

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

ألفاف الرحمن بن ثناء الله

إشراف

فضيلة الشيخ أ.د. سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله -

العام الجامعي ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠- محتويات البحث.

المقدمة	٢٠-٣
أهمية الموضوع	٧-٥
أسباب اختيار الموضوع	٨-٧
خطة البحث	١٥-٨
منهج البحث	١٨-١٥
شكر وتقدير	٢٠-١٨
المدخل	٥٨-٢١
المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنس	٤٠-٢٢
المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان	٤٧-٤١
المسألة الثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموما وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصا	٥٨-٤٨

الباب الأول :

خلق آدم عليه السلام وبيان أنه أصل الإنسان والرد على من خالف في ذلك ٣٠٤-٥٩

تمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية	٦٦-٦٠
الفصل الأول : خلق آدم عليه السلام وبيان أنه أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة	٢٠٦-٦٧
المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده	٨٥-٦٨
المطلب الأول : الأدلة على خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده	٧١-٦٨
المطلب الثاني : إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وبيان موقف الطوائف المخالفة منها والرد عليها	٨٥-٧٢
المبحث الثاني : وقت خلق آدم عليه السلام	٩٠-٨٦

المبحث الثالث : مكان خلق آدم ﷺ	٩١-١٠٢
المبحث الرابع : مادة خلق آدم ﷺ ومراحل خلقه	١٠٣-١١٠
المطلب الأول : مادة خلق آدم ﷺ	١٠٣-١٠٧
المطلب الثاني : مراحل خلق آدم ﷺ	١٠٨-١١٠
المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم ﷺ	١١١-١٤٠
المطلب الأول : المراد بالروح التي نفخت في آدم ﷺ	١١١-١٣٧
المطلب الثاني : أيهما أسبق في الخلق، جسد آدم ﷺ أم روحه ؟	١٣٨-١٤٠
المبحث السادس : كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ وإثبات صفة الكلام لله تعالى من خلال النصوص المتعلقة بآدم ﷺ	١٤١-١٥٨
المطلب الأول : الأدلة على كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ	١٤١-١٤٧
المطلب الثاني : بيان موقف السلف من كلام الله تعالى	١٤٨-١٥٨
المبحث السابع : صفات آدم ﷺ والكلام على حديث : ((إن الله خلق آدم	
على صورته))	١٥٩-١٨٩
المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله آدم ﷺ ، واللغة التي كان يتكلم بها	
آدم ﷺ	١٨٩-٢٠٠
المطلب الأول : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم ﷺ	١٨٩-١٩٢
المطلب الثاني : لغة آدم ﷺ	١٩٣-٢٠٠
المبحث التاسع : خلق زوج آدم ﷺ	٢٠١-٢٠٦
الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان والرد عليها	٢٠٧-٣٠٤
المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس وبيان بطلانه	٢٠٨-٢١٠
المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة وبيان بطلانه	٢١١-٢٣٢
المطلب الأول : أصل الإنسان عند الملاحدة الإسماعيلية الباطنية وبيان بطلانه	٢١١-٢٢٢
المطلب الثاني : أصل الإنسان عند الدهريين والملاحدة الماديين المعاصرين وبيان بطلانه	٢٢٣-٢٣٢
المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحدة وغيرهم وبيان بطلانه	٢٣٣-٣٠٤

المطلب الأول : دعوى الملاحدة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدبي الكائنات الحية
 في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة وبيان بطلانها ٢٦٧-٢٣٣
 المطلب الثاني : دعوى أن أصل الإنسان هو آدم وحواء عليهما السلام ولكنهما تطورا
 من مخلوق قبلهما وهو البشر وبيان بطلانها ٢٩٣-٢٦٨
 المطلب الثالث : دعوى أن الزوج الأول من الإنسان الذي ينتمي إليه الناس كلهم تم
 خلقهما مباشرة، وأنهما أصل السلالة البشرية بعدهما ولكنهم تطورا في الشكل
 والعقل من الإنسان البدائي نسلا بعد نسلا حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في شكله
 وعقله، وبيان ما فيه من الحق والباطل ٣٠٤-٢٩٤
 خلاصة الكلام عن أصل الإنسان ٣٠٤

الباب الثاني :

سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه ٣٠٥-٤١٩

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام ٣٥٨-٣٠٥

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم ٣١١-٣٠٦

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام ٣٣٨-٣١٢

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام ٣٥١-٣٣٩

المبحث الثالث : الرد على من يرى جواز السجود للمخلوق استدلالا بسجود الملائكة

لآدم عليه السلام ٣٥٨-٣٥٢

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام ٤١٩-٣٥٩

المبحث الأول : معنى إبليس ٣٧٦-٣٦٠

المطلب الأول : معنى كلمة " إبليس " لغة واصطلاحا ٣٦٤-٣٦٠

المطلب الثاني : بيان الجنس الذي منه إبليس، من الجن أو من الملائكة ٣٧٦-٣٦٥

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم عليه السلام ٤١٩-٣٧٧

المطلب الأول : موقف إبليس من آدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه ٣٧٨-٣٧٧

- المطلب الثاني : امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام ٣٧٩-٤١٩
- المسألة الأولى : تعليل إبليس امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وبيان بطلانه ٣٧٩-٣٨٦
- المسألة الثانية : أثر هذا المنهج الذي سلكه إبليس في بني آدم ٣٨٧-٤٠٥
- المسألة الثالثة : موقف بعض الفرق الضالة من رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام ٤٠٦-٤١٩

الباب الثالث :

دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة وخروجهما منها وهبوطهما

إلى الأرض ٤٣٠-٦٧٥

- الفصل الأول :** آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة ٤٢١-٥٤٤
- المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة ٤٢١-٤٥٠
- المطلب الأول : وقت دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة ٤٢١-٤٢٢
- المطلب الثاني : الجنة التي سكنها آدم وزوجه عليهما السلام ٤٢٣-٤٥٠
- المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة ٤٥١-٤٩٧
- المطلب الأول : وسوسة إبليس لآدم وزوجه عليهما السلام في الجنة ٤٥١-٤٦٥
- المطلب الثاني : الشجرة المحرمة التي أكل منها في الجنة ٤٦٦-٤٧٧
- المطلب الثالث : الرد على النصارى في دعوى انتقال الخطيئة إلى الأبناء وموت المسيح مصلوباً فداءً للخليقة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ٤٧٨-٤٩٧
- المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام ٤٩٨-٥٤٤
- المطلب الأول : معنى التوبة ٤٩٨-٥٠٠
- المطلب الثاني : الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ٥٠١-٥٠٥
- المطلب الثاني : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحسب النبي أو أنه توسل بحسب محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم -، والرد عليها، وبيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة ٥٠٦-٥٤٠
- المطلب الرابع : الحكمة في ابتلاء الأنبياء بالذنوب ٥٤١-٥٤٤

الفصل الثاني: هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض... ٥٤٥-٦٧٥

- المبحث الأول: خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة وهبوطهما إلى الأرض ٥٤٦-٥٦١
- المطلب الأول: وقت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة ومدة بقائهما فيها ٥٤٦-٥٥١
- المطلب الثاني: مكان هبوط آدم وزوجه عليهما السلام ٥٥٢-٥٥٦
- المطلب الثالث: الحكمة في إهباط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة.. ٥٥٧-٥٦١
- المبحث الثاني: تحذير الله تعالى آدم وذريته من إبليس ومكائده ٥٦٢-٥٩٠
- المطلب الأول: تحذير الله تعالى لآدم عليه السلام وذريته من إبليس ٥٦٢-٥٦٤
- المطلب الثاني: مكائد إبليس وأساليبه في الإفساد ٥٦٥-٥٧٧
- المطلب الثالث: بيان الطريق التي بها النجاة من شره ٥٧٨-٥٩٠
- المبحث الثالث: استخراج ذرية آدم وأخذ الميثاق منهم ٥٩١-٦٢٨
- المطلب الأول: الكلام عن الإشهاد وأخذ الميثاق ٥٩١-٦٢٢
- المطلب الثاني: مكان أخذ الميثاق ٦٢٣-٦٢٤
- المطلب الثالث: رؤية النبي ﷺ نسّم بني آدم في المعراج عن يمين آدم عليه السلام وشماله.. ٦٢٥-٦٢٨
- المبحث الرابع: مناظرة آدم وموسى عليهما السلام ٦٢٩-٦٤٦
- تمهيد: بيان أهمية الإيمان بالقدر وذكر مراتبه ٦٢٩-٦٣٠
- المطلب الأول: دلالة مناظرة موسى وآدم عليهما السلام على كتابة مقادير الخلائق قبل خلقهم ٦٣١-٦٣٢
- المطلب الثاني: معنى قول النبي ﷺ: ((فحج آدم موسى)) عليهما السلام .. ٦٣٣-٦٣٥
- المطلب الثالث: موقف الطوائف من مناظرة آدم وموسى عليهما السلام ٦٣٦-٦٤٦
- المبحث الخامس: خلافة آدم عليه السلام في الأرض ٦٤٧-٦٧٥
- المطلب الأول: معنى الخلافة في اللغة ٦٤٧-٦٤٩
- المطلب الثاني: معنى خلافة آدم عليه السلام عند السلف ٦٥٠-٦٧٠
- المطلب الثالث: معنى الخلافة عند أهل وحدة الوجود وبيان بطلانه ٦٧١-٦٧٥

الباب الرابع :

نبوة آدم عليه السلام ودعوته ووفاته ٦٧٦-٨٤٤

الفصل الأول : نبوة آدم عليه السلام ٦٧٦-٧٩٨

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها ٦٧٧-٦٩٢

المسألة الأولى : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ٦٧٧-٦٨٧

المسألة الثانية : وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام ٦٨٨-٦٩٢

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام ٦٩٣-٧٢٦

تمهيد : معنى النبي والرسول والفرق بينهما ٦٩٣-٧٠٤

المطلب الأول : نبوة آدم عليه السلام وأدلتها ٧٠٥-٧١٤

المطلب الثاني : ذكر الخلاف في رسالته وبيان الراجح فيها ٧١٥-٧٢١

المطلب الثالث : الرد على من أنكر نبوة آدم عليه السلام ٧٢٢-٧٢٤

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام ٧٢٧-٧٩٨

المطلب الأول : تعريف العصمة ٧٢٧-٧٢٨

المطلب الثاني : وقت العصمة ومم تكون ٧٢٩-٧٥٤

المطلب الثالث : اختصاص العصمة بالأنبياء ٧٥٥-٧٦١

المطلب الرابع : شبهات حول عصمة النبي آدم عليه السلام والجواب عنها ٧٦٢-٧٩٨

الفصل الثاني : دعوة آدم عليه السلام ٧٩٩-٨٢٧

المبحث الأول : دلالة قصة ابني آدم على مسائل عقديّة وأخلاقيّة في دعوة آدم عليه السلام ٨٠٠-٨٠٧

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلتها ٨٠٨-٨١٦

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها ٨١٧-٨٢٧

الفصل الثالث : عمر آدم عليه السلام ووفاته ٨٢٨-٨٤٤

المبحث الأول : عمر آدم عليه السلام ٨٢٩-٨٣٤

المبحث الثاني : وفاة آدم عليه السلام ٨٣٥-٨٣٧

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء عليهم السلام وحياتهم في القبور والرد على

المفاهيم الضالة في ذلك ٨٤٤-٨٣٨

الفاتمة ٨٥٠-٨٤٥

الفهارس ٩٨٧-٨٥١

فهرس الآيات القرآنية ٨٨٣-٨٥٢

فهرس الأحاديث النبوية ٨٩٢-٨٨٤

فهرس الآثار ٨٩٥-٨٩٣

فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٠٦-٨٩٦

فهرس الكلمات المشروحة ٩٠٨-٩٠٧

فهرس الفرق والطوائف ٩١٠-٩٠٩

فهرس الأماكن والبلدان ٩١١

فهرس الأبيات الشعرية ٩١٢

فهرس المصادر والمراجع ٩٧٨-٩١٣

محتويات البحث ٩٨٥-٩٧٩

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١).

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾^(٢).

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾^{(٣) (٤)}.

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٥) وبعد :

(١) آل عمران الآية : ١٠٢

(٢) النساء الآية : ١

(٣) الأحزاب الآيتان : ٧٠-٧١

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، أخرجها حم (٢٦٢/٦-٢٦٤ ح : ٢٧٢٠-٢٧٢٢)؛ ود (النكاح، ب: في خطبة النكاح ٢٣٨/٢ ح: ٢١١٨)؛ وت (النكاح، ب: ما جاء في خطبة النكاح ٤١٣/٣ ح: ١١٠٥)؛ ون (النكاح، ب: ما يستحب من الكلام عند النكاح ٨٩/٦ ح: ٣٢٧٧)؛ وجه (النكاح، ب: خطبة النكاح ٦٠٩/١ ح: ١٨٩٢) وغيرهم . وصححها الترمذي والألباني وغيرهم، وهي تشرع بين يدي كل خطبة : جمعة، أو عيد، أو نكاح، أو محاضرة، أو درس أو مؤلف. انظر : شرح خطبة الحاجة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٢)، وهو ضمن مجموع الفتاوى (٢٨٧/١٨)؛ وخطبة الحاجة للألباني (ص : ٣١)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٨/١-٢٩).

(٥) أخرجه م (الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ ح: ٨٦٧) إلا قوله : ((كل محدثة بدعة)) وقوله : ((كل ضلالة في النار)) وهذه الزيادة أخرجها ن (صلاة العيدين، ب: كيف الخطبة ١٨٨/٣ ح: ١٥٧٨) وصححها الألباني في (صحيح سنن النسائي ٥١٢/١ ح: ١٥٧٧).

إن الله سبحانه فعال لما يريد، وقادر على كل شيء، وحكيم في جميع أفعاله وأوامره، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه وقدره، ولا شيء يعجزه في الأرض ولا في السماء، ولم يخل وقت من الأوقات من أفعال وأقوال له تقتضيها حكمته البالغة . فلما اقتضت حكمته البالغة ورحمته السابعة وإرادته النافذة خَلَقَ الإنسان خَلَقَ أبا البشر آدم ﷺ، خلقه من طين، وسواه ونفخ فيه من روحه فكان آدم ﷺ بشرا سويا . فسبحان الخالق العظيم، وتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد كرم الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم ﷺ بأن خلقه بيديه الكريمتين، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة ثم أنزله منها إلى الأرض، واختاره نبيا، وأنزل عليه هداية الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشقاء والحزن والخوف، ويكون الفلاح والسعادة والنجاة والفوز حليفه في الدنيا والآخرة .

وآدم ﷺ هو أبو البشر والجد الأكبر للأسرة الإنسانية كلها، وهو أول مخلوق من البشر، وإليه ينتمي جميع سكان الأرض، فالناس أبيضهم وأسودهم... وعربهم وعجمهم... كلهم من آدم وآدم من تراب .

فقصة أبي البشر آدم ﷺ ليست كغيرها من القصص والحكايات وأحاديث الناس بل هي قصة عظيمة فيها بيان لعظمة الرب وقدرته القاهرة وعظمته الباهرة وحكمته البالغة ورحمته الواسعة ونعمته السابعة... والحديث عنها حديث عن أصل الإنسان وتاريخه، وعن بداية وجود البشر على هذه المعمورة، وعما كرم الله به الإنسان، ودعوة للناس للنظر في أصلهم الكريم الشريف، الدال على نعم الرب عليهم، الموجب لشكرهم وامتنانهم تجاه خالقهم، الموجب عليهم أن يقوموا بحق الخالق وأن يحققوا الغاية التي خلقوا من أجلها. فهي قصة جليلة القدر عظيمة المنافع كثيرة الفوائد بل هي من أعظم القصص التي اتفقت عليها الرسل، ونزلت بها الكتب السماوية، واعتقدتها جميع أتباع الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين .

وقد عرضها القرآن الكريم عرضا محكما، وذكرها في مواضع كثيرة بأسلوب واضح صريح . وزادها أصدق البرية وأفصح العرب محمد ﷺ بيانا وإيضاحا؛ فالوحيان تناولها من جميع جوانبها ولم يتركا المجال لقائل متقول ولا لخارص متخرص بل وضحاها توضيحا

وبيانها بيانا كافيا شافيا لا يحتاج المسلم معه إلا الإيمان والتسليم والاستنباط والاستفادة مع الإقرار بعظمة الخالق وسعة رحمته سبحانه .

ومع هذا البيان والوضوح أخطأ كثير من الناس في فهم هذه القصة العظيمة وما يتعلق بها من المسائل المهمة؛ فأحببت جَمْعَ مَسَائِلِهَا المتعلقة بالعقيدة وإيضاحها وبيانها في ضوء الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، إصلاحا ونصحا لمن أخطأ في فهمها، ومساهمة في بيان الحق وتقريره، ومشاركة في الردّ على الباطل والتحذير منه، وذلك في أول رسالة علمية لي، وهي مرحلة الماجستير وجعلت عنوانها : (المسائل العقيدية المتعلقة بآدم عليه السلام) والله الموفق .

أهمية الموضوع :

- ١- إن من أول ما يدل على أهمية هذا الموضوع أن الله عز وجل ذكر قصة آدم عليه السلام في كتابه القرآن الكريم، وكررها وجلّى جوانبها بعبارات متنوعة وصياغات مختلفة .
- ٢- إن هذا الموضوع فيه حديث عن أصل الإنسان وخلقته وما يتعلق بنشأته الأولى مما هو من علم الغيب الذي أظهره الله لنا .
- ٣- إن الإنسان مخلوق قابل للخير والشر، وعنده نوازع الخير ودوافعه ونوازع الشر ومغرياته، وقصة آدم عليه السلام فيها الطاعة والامتثال وتعظيم المحرمات والوقوف عند الحدود المحدودات، وفيها المعصية والخطيئة مع التوبة والإنابة، وهذه أمور وأحوال تحدث على آحادنا، وقد تتكرر في حياة المسلم مرات وكرات، ففي هذه القصة العظيمة لأبينا الكريم عبرة وعظة وقدوة وأسوة حسنة للتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى .
- ٤- إنه بحث ونظر في عظيم قدرة الله تعالى وعظيم رحمته وفضله وتكرمه على الإنسان بخلق أبيهم آدم عليه السلام، وفي ذلك بيان بطلان دعوى الملاحدة ومن تأثر بهم في إنكار الخلق المباشر أو الدعاوى الباطلة الأخرى في هذا الموضوع .
- ٥- إن الأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم قد دعوا إلى إفراد الله وحده سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات من الدعاء والتوبة والاستغفار... وإخلاصها له وعدم صرف

شيء منها إلى سواه . قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(٢) .
 و آدم ﷺ أول هؤلاء الأنبياء و طليعتهم فعن أبي أمامة ؓ أن رجلا قال :
 يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " . قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟
 قال : " عشرة قرون " ^(٣) .

ف آدم ﷺ هو أول نبي على وجه الأرض، وأول داعية من دعاة التوحيد . ولا شك أنه قام
 بنقل ما تلقاه من ربه تعالى إلى بنيهِ، وعرفهم بالإسلام وعبادة الله عز وجل . وقد تلقى أبنائه
 هذه التعليمات بالقبول، وتوارثوها جيلا بعد جيل، وتناقلوها قرنا بعد قرن . وفي ذلك أبلغ رد
 على تلك المذاهب المزعومة والأفكار الباطلة التي تزعم تطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد .

٦- خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين ونفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى . والطين
 يشير إلى مادية الإنسان والنفخة الإلهية تشير إلى روحانيته . فالإنسان في الإسلام ليس ماديا
 فقط وليس روحانيا فقط بل هو جامع بين المادة والروح .

وبذلك يظهر بطلان تلك النظريات الفاسدة التي تنظر إلى الإنسان من ناحية
 المادة فقط فتجعله ماديا شهوانيا أو تراه امتدادا للذود والقروء، كما يظهر به بطلان تلك
 النظريات الكاسدة التي تنظر إلى الإنسان من جانب الروح فقط فتغفل جانب المادة
 وتصب كل اهتمامها على الجانب الروحي فقط فيختل النظام ويحصل الفساد . فلا بد من
 الاهتمام بالجانبين والعناية بالأمرين كما قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله
 عنهما : ((إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل
 ذي حق حقه .. فلما ذكرا ذلك للنبي ﷺ قال : صدق سلمان)) ^(٤) .

فهذا هو تعليم نبي الإسلام فلا بد من الاهتمام بالجانبين معا وعدم إغفالهما أو أحدهما .
 وبه يظهر سماحة الإسلام وعدالته ووسطيته وفطريته وجدارته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

(١) الأنبياء الآية : ٢٥

(٢) النحل الآية : ٣٦

(٣) حديث صحيح وسأني تخريجه مع ذكر أقوال أهل العلم في تصحيحه في (ص : ١٤٧-١٤٨) .

(٤) أخرجه خ (الصوم، ب : من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ... ٦٩٤/٢ ح : ١٨٦٧) .

٧- خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده من الطين، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته أجمعين، وأسكنه مع زوجته الجنة ... وهذه كلها من الفضائل والخصائص والمكرّمات التي انفرد بها أبو البشر آدم ﷺ. وفي ذلك رد على من زعم أن (الإسلام منذ بدايته لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير، والقرآن يترع إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدي) ^(١).

٨- بيان لشرف العلم ودعوة إلى التحلي به والتأدب بآدابه ... ودعوة إلى التوبة والاستغفار والاعتراف بالذنوب والتذلل والخضوع أمام الواحد الديان الخالق الرحمن من قلب خالص ونية صادقة ... ودعوة إلى الاستعداد الدائم لمقاومة العدو اللدود إبليس وحزبه وبيان لحيله ومكائده وطرق إفساده وتحذير منها ومن ذميم الأخلاق من الحسد والكبر والحرص ... وبيان لعواقبها الوخيمة . عافانا وإياكم من ذلك.

٩- الدلالة والتقرير لمذهب أهل السنة والجماعة الذين ينفون عن الله ما نفاه الله عن نفسه و يثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته .

أسباب اختيار الموضوع :

بالإضافة إلى ما سبق من أهمية الموضوع هناك أسباب دعّتي إلى اختياره، وهي كالتالي:

١- الرد على أولئك المفسدين من أعداء الإسلام الذين يحاولون قطع الطريق على المسلمين من بداية تاريخ البشرية والتشكيك في دينهم وعقيدتهم، زاعمين تارة أن الشرك هو الأصل في بني آدم، وتارة أخرى أن الإنسان تطور من سلالة أخرى ضمن حلقات مختلفة وليس هو من آدم وحواء كما ذكر القرآن الكريم.

٢- بيان زيف المنهج الذي يسلكه بعض الكتاب حيث يحاولون التوفيق بين النظريات الوافدة الفاسدة وبين ما يقرره الإسلام فيزيدون ضلالا وإضلالا من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

٣- لقد تخرّص المتخرسون وكثر القيل والقال في نواح كثيرة مما يتعلق بأبينا آدم ﷺ فمن قائل : أن معنى سجود الملائكة لآدم ﷺ تسخير هذا العالم من المواد الأرضية والمعدنية ونحوها لآدم ﷺ وأبنائه . ومن قائل : أن معناه طاعة قوى النفس الصالحة للعقل ومعنى

(١) هذا ما زعمه المستشرق النمساوي ج. أ. جروينباوم في كتابه : حضارة الإسلام . بواسطة كتاب : مع الأنبياء في القرآن الكريم لعفيف طيارة (ص : ٤٣) وانظر توضيح وجه الرد في (ص : ٣٨٥) .

امتناع إبليس من السجود عصيان القوى الخبيثة للعقل . ومن قائل بجواز السجود للمخلوق استدلالا به . ومن قائل: أنه كان مأمورا بالأكل من الشجرة في الباطن . ومن قائل : أنه توسل بحق النبي ﷺ في توبته . ومن قائل : أنه توسل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فتاب الله عليه . ومن قائل : أن خطيئته انتقلت من بعده إلى أبنائه ومات المسيح ﷺ مصلوبا فداء للبشرية وتخليصا لهم من خطيئة أبيهم آدم ﷺ ، ومن قائل : إن الله سمى عليا ﷺ أمير المؤمنين يوم أخذ الميثاق ، ومن قائل : إن روح آدم ﷺ جزء من الله ، ومن قائل : إن آدم ﷺ جاء عن طريق التناكح والتناسل من أبوين ، ومنهم من ينكر نبوته ، ومنهم من يدعي أن الناس كلهم في البداية كانوا على الشرك والوثنية والخرافة ، ومنهم من يزعم أن إبليس اللعين وآدم ﷺ سيكونان عند الله يوم القيامة في درجة واحد من القرب الإلهي والتنعم في الجنة الأبدية الخالدة ... وما إلى ذلك من أقوال باطلة وآراء ضالة. فأحببت الرد على تلك المفاهيم الضالة وإصلاحها في ضوء الكتاب والسنة؛ فإن في كتاب ربنا وسنة نبينا البيان الكافي والدواء الشافي والقول الفضل والحكم العدل في كل ذلك، فالوقوف على ذلك مع بيان أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وصول للحكم العدل والقول الحق في كل ذلك والله الحمد والمنة .

٤- شمول المسائل العقيدية المتعلقة بآدم ﷺ لكثير من أبواب العقيدة من توحيد الله سبحانه وتعالى بأنواعه الثلاثة، ومن الإيمان بالقدر والنبوة والملائكة والجنة والنار والشفاعة والحياة الآخروية والرد على المذاهب الفاسدة والأديان الباطلة والفرق المنحرفة .

٥- أشار فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله وتولاه - المشرف على هذا البحث، بهذا الموضوع، وذكر لي الخطوط العامة والعناوين الرئيسية له، وحشني على النظر والقراءة و المطالعة حوله . فأمعنت النظر وقلبت الفكر وأطلقت عنان جسود البحث والقراءة في بطون الكتب فوجدت الأرض خصبة والمادة دسمة والموضوع مناسباً ومفيداً والحاجة داعية إليه . ولا أعرف وأنا أحرر هذه السطور أن كتب أحد عن آدم ﷺ في رسالة جامعية بهذا التفصيل مع شدة الحاجة والضرورة إليه ..

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فهي مشتملة على ما يلي :

أ - الافتتاحية .

ب - بيان أهمية الموضوع .

ج - أسباب اختيار الموضوع .

د - خطة البحث .

هـ - المنهج المتبع في البحث .

و - شكر وتقدير

ز - المدخل : وذكرت فيه المسائل التالية:

المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنس .

المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان .

المسألة الثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموماً، وفي المسائل

المتعلقة بالعقيدة خصوصاً.

الباب الأول

خلق آدم ﷺ وبيان أنه أصل الإنسان، والرد على من خالف في ذلك.

وفيه تمهيد وفصلان.

التمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية .

الفصل الأول : خلق آدم ﷺ وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة،

وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : الأدلة على خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده.

المطلب الثاني : إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وبيان موقف

الطوائف المخالفة منها، والرد عليها.

المبحث الثاني : وقت خلق آدم ﷺ .

المبحث الثالث : مكان خلق آدم ﷺ .

المبحث الرابع : مادة خلق آدم ﷺ ومراحل خلقه، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : مادة خلق آدم ﷺ.

المطلب الثاني : مراحل خلق آدم ﷺ .

المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم ﷺ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : المراد بالروح التي نفخت في آدم ﷺ .

المطلب الثاني : أيهما أسبق في الخلق، جسد آدم ﷺ أم روحه ؟.

المبحث السادس : كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ وإثبات صفة الكلام لله تعالى

من خلال النصوص المتعلقة بآدم ﷺ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : الأدلة على كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ .

المطلب الثاني : بيان موقف السلف من كلام الله تعالى .

المبحث السابع : صفات آدم ﷺ، والكلام على حديث : ((إن الله خلق آدم

على صورته)) .

المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم ﷺ ، واللغة التي كان يتكلم بها

آدم ﷺ . وفيه مطلبان .

المطلب الأول : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم ﷺ .

المطلب الثاني : لغة آدم ﷺ .

المبحث التاسع : خلق زوج آدم ﷺ .

الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان والرد عليها، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس وبيان بطلانه .

المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة وبيان بطلانه، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : أصل الإنسان عند الملاحدة الإسماعيلية الباطنية وبيان بطلانه.

المطلب الثاني : أصل الإنسان عند الدهريين والملاحدة الماديين المعاصرين وبيان بطلانه .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطورين من الملاحظة وغيرهم، وبيان بطلانه، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : دعوى الملاحظة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدنى الكائنات الحية في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة وبيان بطلانها.
المطلب الثاني : دعوى أن أصل الإنسان هو آدم وحواء عليهما السلام ولكنهما تطورا من مخلوق قبلهما وهو البشر وبيان بطلانها .

المطلب الثالث : دعوى أن الزوج الأول من الإنسان الذي ينتمي إليه الناس كلهم تم خلقهما مباشرة، وأنهما أصل السلالة البشرية بعدهما ولكنهم تطورا في الشكل والعقل من الإنسان البدائي نسلا بعد نسل حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في شكله وعقله، وبيان ما فيها من الحق والباطل.

الباب الثاني

سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه، وفيه فصلان.

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الرد على من يرى من هذه الأمة جواز السجود للمخلوق

استدلالا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : معنى إبليس، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : معنى كلمة " إبليس " لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : بيان الجنس الذي منه إبليس، من الجن أو من الملائكة .

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم ﷺ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : موقف إبليس من آدم ﷺ قبل نفخ الروح فيه .

المطلب الثاني : امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام، وفيه

المسائل التالية :

المسألة الأولى : تعليل إبليس امتناعه عن السجود لآدم ﷺ، وبيان بطلانه .

المسألة الثانية : أثر هذا المنهج الذي سلكه إبليس في بني آدم .

المسألة الثالثة : موقف بعض الفرق الضالة من رفض إبليس السجود لآدم ﷺ.

الباب الثالث :

دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة وخروجهما منها

وهبوطهما إلى الأرض، وفيه فصلان.

الفصل الأول : آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : وقت دخول آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المطلب الثاني : الجنة التي سكنها آدم وزوجه عليهما السلام .

المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة . وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : وسوسة إبليس لآدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المطلب الثاني : الشجرة المحرمة التي أكلا منها في الجنة .

المطلب الثالث : الرد على النصارى في دعوى انتقال الخطيئة إلى الأبناء وموت

المسيح مصلوبا فداء للخليقة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم ﷺ.

المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول : معنى التوبة .

المطلب الثاني : الكلمات التي تلقاها آدم ﷺ من ربه .

المطلب الثالث : دعوى أن آدم ﷺ توسل بحق النبي ﷺ أو أنه توسل بحق

محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم -
والرد عليها، وبيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة.

المطلب الرابع : الحكمة في ابتلاء الأنبياء بالذنوب.

الفصل الثاني : هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض،

وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة وهبوطهما إلى

الأرض. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : وقت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة ومدة بقائهما فيها.

المطلب الثاني : مكان هبوط آدم وزوجه عليهما السلام .

المطلب الثالث : الحكمة في إهباط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة .

المبحث الثاني : تحذير الله تعالى آدم ﷺ وذريته من إبليس ومكائده. وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : تحذير الله تعالى لآدم ﷺ وذريته من إبليس .

المطلب الثاني : مكائد إبليس وأساليبه في الإفساد .

المطلب الثالث : بيان الطريق التي بها النجاة من شره .

المبحث الثالث : استخراج ذرية آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الكلام عن الإشهاد وأخذ الميثاق.

المطلب الثاني : مكان أخذ الميثاق .

المطلب الثالث : رؤية النبي ﷺ نسمة بني آدم في المعراج عن يمين آدم ﷺ وشماله .

المبحث الرابع : مناظرة آدم وموسى عليهما السلام . فيه تمهيد وثلاثة مطالب .

التمهيد : بيان أهمية الإيمان بالقدر وذكر مراتبه .

المطلب الأول : دلالة مناظرة موسى وآدم عليهما السلام على كتابة مقادير الخلائق

قبل خلقهم .

المطلب الثاني : معنى قول النبي ﷺ : ((فحج آدم موسى)) عليهما السلام .

المطلب الثالث : موقف الطوائف من مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

المبحث الخامس : خلافة آدم ﷺ في الأرض . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : معنى الخلافة في اللغة .

المطلب الثاني: معنى خلافة آدم ﷺ عند السلف .

المطلب الثالث: معنى الخلافة عند أهل وحدة الوجود، وبيان بطلانه .

الباب الرابع

نبوة آدم ودعوته ووفاته . وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول : نبوة آدم ﷺ ، فيه مدخل ومبحثان .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها . وفيه مسألتان .

المسألة الأولى : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية .

المسألة الثانية : وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم ﷺ، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب .

تمهيد : معنى النبي والرسول والفرق بينهما .

المطلب الأول : نبوة آدم ﷺ وأدلتها .

المطلب الثاني : ذكر الخلاف في رسالته وبيان الراجح فيها .

المطلب الثالث : الرد على من أنكر نبوة آدم ﷺ .

المبحث الثاني : عصمة آدم ﷺ . وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : تعريف العصمة .

المطلب الثاني : وقت العصمة ومم تكون .

المطلب الثالث : اختصاص العصمة بالأنبياء .

المطلب الرابع : شبهات حول عصمة النبي آدم ﷺ والجواب عنها .

الفصل الثاني : دعوة آدم ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دلالة قصة ابني آدم على مسائل عقدية وأخلاقية في دعوة آدم ﷺ .

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها .

الفصل الثالث : عمر آدم ﷺ ووفاته . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : عمر آدم ﷺ .

المبحث الثاني : وفاة آدم ﷺ .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم الضالة في ذلك.

الخاتمة : ذكرت فيه أهم نتائج البحث .

منهج البحث :

- خرجت الآيات القرآنية وعزوتها إلى مكانها في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية، ولم أفرق في ذلك بين الآية الكاملة والجزء من الآية .
- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة وعزوتها إلى مصادرها الأصلية بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن كان ذلك المصدر مرقما .
- فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما إلا حديثا واحدا عند الإمام مسلم، وهو حديث التربة وقد فصلت الكلام فيه نظرا لاختلاف الأئمة فيه وانتقادهم له، وبينت ما ظهر لي فيه من الصواب .
- وإن كان الحديث في غير الصحيحين خرجته من كتب السنة الأخرى المعتمدة ثم ذكرت بما ظفرت به من أقوال العلماء المتخصصين بهذا الشأن في بيان درجة ذلك الحديث فإن كان حكمهم مختلفا بين تصحيح الحديث وتضعيفه نظرت في الإسناد وبينت الراجح وإن كان الخلاف دائرا بين التحسين والتصحيح فاكفيت بذكر أقوالهم . وإن لم أجد من أقوال أهل العلم ما يدل على درجة الحديث اجتهدت في بيان درجته من خلال دراسة سنده والحكم عليه .
- خرجت معظم الآثار الواردة عن السلف عن المظان المسندة، واجتهدت في بيان درجتها من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف من خلال أقوال الأئمة، وإن لم أجد فمن خلال دراسة سنده ولكن باختصار، وذلك حسب أهمية الأثر .

● بينت في الهامش المصادر التي استفدت منها أداء للأمانة وإكمالا للفائدة، فإن نقلت من كتاب نقلا حرفيا أحلت إليه في الهامش دون أن أقول فيه : انظر .
وإن نقلت منه بالمعنى أو بتصرف أحلت إليه في الهامش بقولي : انظر : ثم ذكرت ذلك الكتاب.

وإن كان المعنى مأخوذا من عدة مصادر فأبدأ بذكر الأقدم فالأقدم إلا للمعنى خاص كأن يكون الحديث عن ديانة أو طائفة من الطوائف فأذكر مصادر أهل تلك الديانة أو الطائفة أولا أو الكتب الخاصة بتلك الديانة أو الطائفة ثم أذكر ما ذكره غيرهم . وإن تعذر علي العثور على مصادر خاصة بتلك الديانة أو الطائفة أذكر بواسطة أهل العلم المعروفين بالثقة والأمانة والتثبت في النقل .

● حاولت أن تكون الاستفادة من المصدر من طبعة واحدة ولكن اضطررت في بعض المصادر إلى الاستفادة منها من أكثر من طبعة وبيانها فيما يلي :

أ - سنن سعيد بن منصور . اعتمدت على الطبعة التي حققها الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد . ورجعت في بعض الأماكن إلى الطبعة التي حققها الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي . وذلك لوجود الاختلاف في الكتابين إذ حقق كل منهما جزءا من الكتاب .

ب - مسند الإمام أحمد بن حنبل . اعتمدت في غالب البحث على الطبعة التي أشرف عليها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وحققها شعيب الأرناؤوط وغيره . واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر فيما يتعلق بالحكم على الحديث .

ج - رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد . اعتمدت على الطبعة التي حققها محمد حامد الفقي . وأحلت مرة واحدة إلى الطبعة التي حققها شيخنا الدكتور منصور بن عيد العزيز السماري لدراسته أسانيد بعض الآثار وحكمه عليها بالصحة .

د - جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري . اعتمدت في غالب البحث على طبعة دار الفكر بيروت . واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها وعلق عليها الشيخ أحمد محمد شاكر للنظر في درجة الحديث أو الأثر أو الحكم على رجال الإسناد .

هـ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم . اعتمدت في غالب البحث على الطبعة التي حققها الأستاذ الدكتور أحمد بن عبد الله الغماري الزهراني، ورجعت في بعض الأماكن إلى الطبعة التي حققها أسعد محمد الطيب؛ لكون الأولى ناقصة إلا أنها محققة تحقيقا علميا.

و- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . اعتمدت في غالب البحث على طبعة دار الفكر بيروت بتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. واستفدت مرة واحدة من طبعة دار إحياء التراث العربي، بتحقيق : أبي عبد الله علي عاشور الجنوي، وذلك لوجود سقط في مكان الاستفادة في الطبعة التي اعتمدت عليها في البحث .

ز - نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو كتاب بعضه مطبوع وبعضه مخطوط؛ فاستفدت من المطبوع في بعض الأماكن، ومن المخطوط في بعضها، وأشرت في الهامش عند الاستفادة بالمطبوع بالجزء والصفحة، وعند الاستفادة من المخطوط بالجزء والصفحة واللوح والوجه .

ح - الصواعق المتزلة على الطائفة الجهمية المعطلة للعلامة ابن القيم . اعتمدت في غالب البحث على الطبعة التي حققها شيخنا الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، ونشرتها الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها الدكتور علي بن محمد الدخيل الله . ط. دار العاصمة الرياض .

فإن كان الإحالة في الهامش إحالة عامة من غير بيان للطبعة فالمراد بها الطبعة التي اعتمدت عليها في غالب البحث وإن كانت الأخرى ينتها في الهامش .

- ربطت المعلومات السابقة باللاحقة والعكس بواسطة الإحالات في الهامش .
- بينت في الهامش بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان والتوضيح .
- أضفت بعض التعليقات الضرورية في الهامش إتماماً للفائدة .
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ترجمة مختصرة، ما عدا المشهورين منهم كمشاهير الصحابة والأئمة الأربعة اكتفاء بشهرتهم، وكذلك لم أترجم لبعض الأعلام الغربية الذين لم أعثر لهم على ترجمة .

- عرفت بعض الفرق الضالة تعريفاً مختصراً .
- راعيت القواعد العامة لمناهج البحث الحديثة قدر المستطاع .
- وقد استخدمت بعض الرموز في الهامش طلباً للاختصار وهي كما يلي :

خ = صحيح البخاري . م = صحيح مسلم . د = سنن أبي داود . ت = سنن الترمذي . ن = سنن النسائي . جه = سنن ابن ماجه . ط = موطأ الإمام مالك . حم =

مسند الإمام أحمد بن حنبل . حب = صحيح ابن حبان . كم = المستدرک علی
الصحيحين للحاكم . خز = صحيح ابن خزيمة .

ب = الباب . ح = الحديث . ط = الطبعة . هـ = الهجري . م = الميلادي .

● قمت بوضع الفهارس المساعدة في الحصول على مسائل البحث بسهولة، وهي
كما يلي :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الآثار .

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥- فهرس الكلمات المشروحة .

٦- فهرس الفرق والطوائف .

٧- فهرس الأماكن والبلدان .

٨- فهرس الأبيات الشعرية .

٩- فهرس المصادر والمراجع .

١٠- محتويات البحث .

شكر وتقدير : قال تعالى : ﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ ^(١).

فأشكر الله سبحانه وتعالى على آلائه العظيمة ونعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وفي
مقدمتها نعمة الإيمان والإسلام وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل
السنة والجماعة، ولا سيما في مدينة رسول الله ﷺ، وفي هذه الجامعة المباركة . ثم أشكر
الله على توفيقه إياي بإتمام هذا البحث، ولساني يلهج إليه بالدعاء ﴿ رب أوزعني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ ^(٢).

وأقدم بخالص الشكر والتقدير لأمي التي سهرت عليّ، ورغبتني في طلب العلم،

(١) النمل الآية : ٤٠

(٢) النمل الآية : ١٩

وعلمتني القراءة والكتابة في ابتداء الطلب، مع كثرة الأشغال المتزلية التي كانت تقوم بها. ثم أشكر والدي الذي تحمل في سبيل تعليمي مشاق كثيرة، وأرشدني إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة والجماعة في بيئة مليئة بالشرك والبدع والخرافات، وفرغني لحصول العلم، وأنفق علي بما تيسر، وصبر على ابتعادي عنه في طلب العلم سنوات طويلة، مع ضعفه وتقدم سنه وشدة حبه لي، فجزاهما الله خيرا، وأنعم عليهما بالصحة والعافية، وبارك في حياتهما، وأقول : ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾^(١).

ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي المحترم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - الذي أشار علي بهذا الموضوع، ورسم لي معالمة الرئيسة، وساعدني في إعداد الخطة ثم أحسن إلي بقبوله الإشراف على هذا البحث، ولم يدخر جهدا في إبداء توجيهاته القيمة وإرشاداته السديدة، ومنحني من وقته الثمين، وفتح لي قلبه وبابه، وسار معي خطوة خطوة مما جعلني أستسهل المصاعب والمشكلات التي واجهتني أثناء السير. فالحمد لله أعلم كم من الأماكن صححه الشيخ بيده الطيبة، وكم من معضلات ذكر لي الشيخ حلها من علومه الغزيرة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأثابه على ذلك، وأمد في عمره على طاعته، مع الصحة والعافية، وزاده علما وعملا وتوفيقا وهدى، ونفع به، وشكر مساعيه، وختم له بالصالحات .

وشكر موصول لكل من ساعدني في إكمال هذا البحث من أساتذتي وإخواني، أخص منهم بالذكر فضيلة شيعي وأستاذي الدكتور عبد الرزاق بن فراج دخيل الصاعدي - حفظه الله - إذ قام بمراجعة المسائل المتعلقة باللغة العربية وعلومها في هذا البحث، وقابلني بكل فرح وسرور كلما ذهبت إليه، وأتخفني دائما بإرشادات قيمة وتوجيهات سديدة. فجزاه الله خيرا، وبارك في علمه وعمره على طاعته، وشكر له مساعيه الجميلة الجليلة .

وكذلك أرى من الواجب علي أن أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، التي أتاحت لي فرصة الدراسة تحت رعايتها، وهيئت لنا العلماء الصالحين والمشايخ النابغين المتخصصين، ووفرت لنا كل ما نحتاج إليه . فأشكر القائمين عليها وعلى رأسهم خدام الحرمين الشريفين - حفظه الله - وحكومته الرشيدة، وأنا لا أملك إلا أن أتوجه

(١) الإسراء الآية : ٢٤

وأتضرع بالدعاء لله تعالى أن يجازي القائمين على أمر الجامعة خير ما يجازي به عباده الصالحين، وأن يعينهم على خدمة العلوم الشرعية وإيصالها إلى جميع المسلمين في كل مكان، وأن يحفظ هذا الصرح العلمي الشامخ وهذه الحكومة الرشيدة من كيد الكائدين وحقد الحاقدين وأعداء الدين، وأن يزيد لها هدى وثقى وغنى ومنعة وقوة وعزة وشوكة، إنه سبحانه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

وكذلك أشكر الشيخين المناقشين الكريمين، فضيلة الشيخ الدكتور / محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني، وفضيلة الشيخ الدكتور / محمود بن عبد الرحمن قدح - حفظهما الله - لقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتحملهما عناء قراءتها، وتقويمها ومناقشتها، فأسأل الله جل وعلا أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزل لهم المثوبة، إنه سميع مجيب.

وبعد، فهذا عمل بشر وجهد مقل، لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه؛ وذلك بسبب طوله وصعوبته وتنوع مسأله وكثرتها وتشتت مادته العلمية في الكتب المختلفة بأنواعها، ولما يعتريني من ضعف البشر وقصر النظر وقلة الزاد... ولكن يعزيني ويسليني أني اجتهدت وبذلت فيه قصارى جهدي فما كان فيه من صواب فهو بمحض فضل الله علي وإن كان غير ذلك فمن نفسي وأستغفر الله تعالى من ذلك وأتوب إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل. ولا عدمت أحبا ناصحا يدلني على أخطائي لأستدركها، فإني أشكره على ذلك وأدعوه أن يجزيه الله خيرا .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعله عملا صالحا، ولوجهه الكريم خالصا، وأن لا يجعل فيه لأحد شيئا، وأن يغفر زلاتي وسيئاتي وهفواتي، إنه عفو كريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه الطالب : أطفاف الرحمن بن ثناء الله

قسم العقيدة، مرحلة الماجستير .

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

المدخل : وفيه المسائل التالية :

المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنس .

المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان .

المسألة الثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموماً، وفي المسائل

المتعلقة بالعقيدة خصوصاً .

المسألة الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس

معنى الحكمة :

(حكم) الحياء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة اللحام؛ لأنها تمنع الدابة من الجراح ونحوه وتذللها لراكبها، و يقال : حكمت السفينة وأحكمتها إذا أخذت على يديه ^(١).

قال الشاعر :

أبني حنيقة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا ^(٢).
أي : امنعوهم من الفساد .

ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل ^(٣) .

وجاء في القاموس : (" الحكمة " بالكسر : العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحكمه أتقنه فاستحجكم، ومنعه من الفساد) ^(٤).

وقال في اللسان : (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم) ^(٥).

وقال في المفردات : (الحكمة إصابة الحق بالعلم و العقل) ^(٦).

وفي المعجم الوسيط : (الحكمة : العلة، يقال : حكمة التشريع وما الحكمة في ذلك) ^(٧) .

وهو المراد في بحثنا هنا .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٩١/٢ ، مادة : حكم)؛ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص : ٥٦ ، مادة : حكم) .

(٢) شرح ديوان جرير (ص : ٤٧ حرف الباء) .

(٣) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص : ٥٦ ، مادة : حكم) .

(٤) القاموس المحيط (١٠٠/٤ ، مادة : حكم) .

(٥) لسان العرب (٢٧٠/٣ ، مادة : حكم)

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٤٩ ، مادة : حكم) .

(٧) المعجم الوسيط (١٩٠/١ ، مادة : حكم) .

الحكمة في أفعال الله تعالى :

إن الله تعالى حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يخلو فعل من أفعاله ولا أمر من أوامره عن حكمة وغاية حميدة . وهي مقصودة لله تعالى، ومرادة له سبحانه، يفعل ويأمر لأجلها؛ لأنه يحبها ويرضاها ^(١).

قال العلامة ابن القيم ^(٢) : (أنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها) ^(٣).

وتعود إلى الله تعالى من هذه الحكم حبه لها ورضاه بها؛ فهو سبحانه له محاب يحبها ويرضاها ويفرح بها، وتعود على الخلق لأنهم ينتفعون بها ويستفيدون منها ويلتذون بها ^(٤).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٥) : (الحكمة تتضمن شيئين : أحدهما : حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها .

والثاني : إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها) ^(٦) .
فكل ما خلقه الله نعمة على عباده ورحمة بهم، وله سبحانه فيه حكمة بالغة. وهذا هو مذهب السلف، وهو الذي تدل عليه الأدلة .

الأدلة على إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :

أدلة إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى كثيرة منها :

-
- (١) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٣٦) .
 - (٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، الإمام العلامة الحافظ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية مدة طويلة، وبرع في علوم كثيرة، توفي سنة ٧٥١ هـ انظر : البداية والنهاية (٢٣٤/١٤ - ٢٣٥) .
 - (٣) شفاء العليل في مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل (ص : ١٩٠) .
 - (٤) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٣) .
 - (٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، شيخ الإسلام، بحر العلوم العقلية والنقلية، توفي سنة ٧٢٨ هـ انظر : البداية والنهاية (١٣٥/١٤ - ١٤٤)، وجلاء العبين في محاكمة الأحمدين (ص : ٣١-١٧) .
 - (٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/٨ - ٣٦) .

أولاً : الآيات القرآنية الدالة على ثبوت الحكمة والتعليل في أفعاله تعالى، وهي أكثر من أن تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض أنواعها :

١- آيات وصف الله فيها نفسه بالحكمة، وبين أنه هو الذي يعطيها ويترها على من يشاء : قال الله تعالى : ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾^(٤).

ولا شك أن معطي الحكمة غيره يكون حكيماً؛ إذ فاقد الشيء لا يعطيه^(٥).

٢- آيات أخبر الله فيها أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا: قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن متثلن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتقرون ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾^(٨).

فاللام في الآيات المذكورة هي لام التعليل، وليست لام العاقبة، كما يدعي نفاة التعليل؛ لأن لام العاقبة لا تكون إلا في حق من هو جاهل بالعاقبة، كما في قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً ﴾^(٩).

وأما من لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يعجزه شيء فيستحيل في

(١) البقرة الآية : ٢٦٠

(٢) آل عمران الآية : ٦

(٣) النساء الآية : ١١٣

(٤) البقرة الآية : ٢٦٩

(٥) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٥) .

(٦) الطلاق الآية : ١٢

(٧) النحل الآية : ٤٤

(٨) إبراهيم الآية : ٥٢

(٩) القصص الآية : ٨

حقه دخول هذه اللام، بل اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة^(١).
وبالإضافة إلى هذا لقد جاء التعليل في القرآن الكريم بأدوات أخرى منها :

التعليل بأداة (كي) الصريحة في التعليل كما في قوله تعالى : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾^(٢).

وبلفظ { من أجل } كقوله تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ﴾^(٣).

٣- آيات امتن الله فيها على عباده بما خلق لهم، وأنعم به عليهم من الشمس والقمر، والليل والنهار، والهواء والماء... وأخير عن الحكم والغايات التي خلق تلك الأشياء لأجلها فلو كانت غير مقصودة بالفعل لما صح الامتنان به .

قال تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * ونينا فوقكم سباعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا ﴾^(٤).

فهذه نعم امتن الله بها على عباده، وبين الغايات العظيمة التي خلقت لأجلها فكيف يصح بعد هذا البيان الواضح أن يقول أحد أن هذه المخلوقات لم تخلق لحكم مقصودة وغايات حميدة .

٤- آيات نزه الله فيها نفسه عن أن يخلق شيئا عبثا، وأنكر على من زعم أنه خلق الخلق سدى : قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فيل للذين كفروا من النار ﴾^(٥)
وقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعين * ما خلقناهما إلا بالحق ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾^(٧).
تعالى الله وتقدس وتعظم عن أن يخلق شيئا عبثا من غير حكمة ولا لغاية، فتزريه الله

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٤/٨)؛ وشفاء العليل (ص : ١٩١)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٥) .

(٢) الحشر الآية : ٧

(٣) المائدة الآية : ٣٢

(٤) النبأ الآيات : ٦-١٦

(٥) ص الآية : ٢٧

(٦) الدخان الآيات : ٣٨-٣٩

(٧) المؤمنون الآيات : ١١٥-١١٦

تعالى نفسه عن الخلق باطلا وإنكاره على من زعم ذلك دليل على أنه تعالى خلقهم بالحكمة عظيمة محبوبة له تعالى ومطلوبة، وهي عبادته وتوحيده وشكره والثناء عليه .

ثانيا : إجماع المسلمين على أن الله تعالى موصوف بالحكمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة) ^(١) ولا يجوز أن يخلو فعل الحكيم من الحكمة، ولا تكون الحكمة إلا من فاعل مختار، يكون قاصدا بفعله تلك الحكمة ^(٢). أما إذا كان لا يقصد بفعله حكمة ما، فلا يسمى ما ترتب عليه حكمة ولا فاعله حكيما.

ثالثا : إن صنع الشيء واختراعه وإتقانه لغیر غاية عبثا يترفع عنه العقلاء من البشر فمن باب أولى — والله المثل الأعلى — أن يتزه الله عن ذلك. فما نشاهده من حسن خلق الله وبديع صنعه لم يفعله الله عبثا ولغوا بل في كل ذلك غاية باهرة وحكمة ظاهرة لا تنكرها إلا العقول السقيمة ^(٣).

موقف المعتزلة والأشاعرة من الحكمة في أفعال الله تعالى :

وقد جانب الصواب في المسألة المعتزلة ومن وافقهم ^(٤) الذين لم يجعلوا الحكمة في أفعال الله تعالى وأوامره صفة له تعالى بل جعلوها مخلوقة منفصلة مقصورة على الخلق، فزعموا أن الله إنما خلق الخلق للإحسان إليهم ومراعاة مصالحهم وإيصال المنافع إليهم، وأنه لا يعود إلى الله تعالى من الحكمة شيء .

كما جانب الصواب الأشاعرة ومن وافقهم الذين نفوا عن الله عز وجل الحكمة، وقالوا : إنه سبحانه وتعالى يفعل لا لعل ولا لحكمة، وأن الحكمة مترتبة على الفعل وحاصلة بعده من غير أن تكون مقصودة ومرادة بالفعل ^(٥)، فإنها لو كانت غير مطلوبة بالفعل وحاصلة من غير قصد ولا إرادة لا تعد من الحكمة في شيء بل تكون رمية من

(١) منهاج السنة النبوية (١٤١/١) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٤) .

(٣) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٤)؛ ومنهاج السلف والتكلمين في موافقة العقل للنقل (٢٥٧/١) .

(٤) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام (٣٩٧-٣٩٨)؛ وشرح الأصول الخمسة (ص : ٧٧ و ٨٣ و ٥١٠ و ٥١٤ و ٥١٥)؛ وأيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٩/٣٨)؛ والتحفة المنهية شرح الرسالة التدمرية (١١٥-١١٦)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٥١) .

(٥) انظر : المواقف في علم الكلام مع شرحه (٢٩٤/٢-٣٠٠)؛ وشرح جلال الدين الدواني للعقائد النسفية مع حاشية الكلبوي عليه (٢٠٧/٢)؛ وأيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/٨-٣٨)؛ والتحفة المنهية شرح الرسالة التدمرية (١١٥-١١٦)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٦٢) .

غير رام؛ فإن الحكمة لا تكون إلا من فاعل مختار يريد ما ويقصدها ^(١).
والأدلة التي سبق ذكرها ترد على نفاة الحكمة في أفعال الله تعالى وأوامره، وتدل على ما ذهب إليه السلف ^(٢).

بيان الحكمة من خلق الجن والإنس :

إن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما ولكنه سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً منها عبثاً ولعباً . قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ ^(٤) وكذلك نزهه أولو الألباب من عباده عن الخلق باطلا كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار ﴾ ^(٥) فتعالى الله وتقديس وتعظيم عن الخلق لغوا ولعباً، فهو سبحانه وتعالى خلق كل شيء لحكمة وغاية، سواء أدركها العباد أم لم يدركوها، ولم يخلق شيئاً عبثاً، فكيف بالثقلين الجن والإنس؛ فقد خلقهم لغاية نبيلة وحكمة عظيمة ومهمة جليلة، وقد بينها في محكم تنزيله، فقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(٦). فالرب جل جلاله الغني بذاته عما سواه لم يطلب من عباده رزقاً ولا طعاماً، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة محبوبة له تعالى، وهي عبادته وحده التي أمرهم بها ونهاهم عن الإشراك فيها، وهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس كما دلت عليها الآية، وإن كانت هناك أقوال أخرى في بيان معنى الآية، وهي تتلخص فيما يلي :

-
- (١) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٣٧) .
(٢) يحسن الرجوع لمن أراد الوقوف على المسألة بالتفصيل إلى كتاب : شفاء العليل لابن القيم؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى لشيخنا محمد بن ربيع المدخلي .
(٣) الدخان الآية : ٣٨
(٤) ص الآية : ٢٧
(٥) آل عمران الآية : ١٩١
(٦) الذاريات الآيات : ٥٦-٥٨

الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

القول الأول : المعنى ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، والحكمة المقصودة من إيجادهم وخلقهم التي هي عبادة الله وحده حاصلة بفعل السعداء وأهل الطاعة منهم^(١).

وهي كقوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾^(٢)

وإنما قال فريق منهم بدليل قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾^(٣).

فالأية وإن جاءت بلفظ العموم ولكن دخلها التخصيص لما يأتي :

١- أن المجانين والصبيان لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس فهم غير مأمورين بالعبادة فلا يصح أن يقال : أراد منهم العبادة وخلقهم لها^(٤).

٢- قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾^(٥) فمن خلق للشقاء ولجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة؛ لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم^(٦).

٣- دلالة السياق وهو قوله تعالى قبله : ﴿ قول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾^(٧) ثم قال :

(١) انظر : تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٨٢)؛ وتفسير القرآن للصنعاني (٢٤٥/٣)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢-١١/٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ وزاد المسير (٤٣-٤٢/٨)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٦٨/٤)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٨٠/٣)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩/٨-٤٠)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤)؛ والدر المنثور (٦٢٥/٧)؛ وفتح القدير (٩٢/٥)؛ وأضواء البيان (٤٤٤/٧).

(٢) الحجرات الآية : ١٤

(٣) التوبة الآية : ٩٩

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (١٨٢/٤)؛ وزاد المسير (٤٣/٨)

(٥) وفتح القدير (٩٢/٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨).

(٦) الأعراف الآية : ١٧٩

(٧) انظر : المصادر المذكورة في الهامش قبل السابق .

(٨) الذاريات الآيتان : ٥٤-٥٥

﴿وما خلقت الجن والإيس إلا ليعبدون﴾؛ أي : هؤلاء المؤمنين الذين تنفعهم الذكرى ما خلقتهم إلا للعبادة^(١).

- ٤ - جاء في قراءة : ﴿وما خلقت الجن والإيس من المؤمنين إلا ليعبدون﴾^(٢).
- فالأية محمولة على المؤمنين منهم، وبه قالت الكرامية^(٣)، وهو مروي عن طائفة من السلف والخلف .
- قال سعيد بن المسيب^(٤) : ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني^(٥) . وقال الضحاك^(٦) والفراء^(٧) : هذا خاص لأهل طاعته . واختاره أبو جعفر النحاس^(٨) وأبو بكر بن الطيب^(٩) وغيرهما^(١٠).
- وهذا القول وإن كان مرويا عن بعض السلف ولكنه ضعيف مخالف لقول الجمهور، ولما تدل عليه الآية ويتبين ذلك بما يلي :

-
- (١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .
- (٢) ذكر القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ٥٥/١٧) أنها قراءة ابن مسعود، وذكر النسفي في (مدارك التنزيل ٣٨٠/٣) أنها قراءة ابن عباس، وذكر الشوكاني في (فتح القدير ٩٢/٥) أنها قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وجاء في معجم القراءات القرآنية (٤٩٠/٤) أنها قراءة ابن مسعود، وجاء في (مختصر في شواذ القرآن ص : ١٤٥) من غير إسناد - أنها وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ فالله أعلم .
- (٣) ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٠/٨) .
- (٤) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤١ برقم : ٢٣٩٦) .
- (٥) انظر : زاد المسير (٣/٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨) .
- (٦) انظر : تفسير الضحاك (٧٩٥/٢)؛ والضحاك هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، اشتهر بالتفسير، صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة . انظر : تهذيب التهذيب (٥٧٢/٢ - ٥٧٣ برقم : ٣٤٥٨) .
- (٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٨٩/٣)، والفراء هو يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم، النحوي المشهور، صدوق، مات سنة ٢٠٧هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٩٠ برقم : ٧٥٥٢) .
- (٨) انظر : إعراب القرآن (٢٥٠/٤)، والنحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، قال عنه الذهبي : العلامة إمام العربية النحوي صاحب التصانيف، مات سنة ٣٣٨هـ انظر : سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥) .
- (٩) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٠/٨)، وأبو بكر هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري البغدادي المتكلم على طريقة الأشاعرة، إلا أنه كان يثبت كثيرا من الصفات الخيرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر : تبين كذب المفترى (ص : ٢١٧)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (١٧/٢ - ١٨)؛ وسير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧) .
- (١٠) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ وزاد المسير (٤٢/٨)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

١- قصد العموم ظاهر في الآية، وبين بيانا لا يحتمل النقيض؛ فإن " ال " في « الجن والإنس » على المشهور للاستغراق ^(١) ولو كان المراد أهل الطاعة والسعادة منهم فقط لما ذكر الجن والإنس على وجه العموم ^(٢).

٢- العبادة وقعت من الملائكة دون كثير من الجن والإنس، فلو كان المراد عبادة المؤمنين فقط لذكر معهم الملائكة كذلك؛ لأنهم أيضا فعلوا ما خلقوا له، وعبدوا الله سبحانه وتعالى ^(٣).
وأما الاستدلال بقوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس » والقول بأن من خلق للعبادة لا بد أن توجد منه العبادة الشرعية فيه نظر؛ لأن اللام في قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » هي لام كي ولام التعليل، تسمى العلة الغائية، وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين :

النوع الأول : الإرادة الكونية، وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » ^(٤) وقوله تعالى : « ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » ^(٥).

النوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » ^(٦) وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة ^(٧).

وهذا يتبين أن مقتضى اللام في قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ليس إرادة كونية حتى يلزم وقوع المراد منها بل هي إرادة دينية شرعية، ولا يلزم منها تحقق المراد،

(١) انظر : روح المعاني (٢٠/٢٧).

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨ - ٤١) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) هود الآية : ٣٤

(٥) البقرة الآية : ٢٥٣

(٦) النساء : الآيات : ٢٦-٢٨

(٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٧/٨ - ١٨٨)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (١٦٥/٣).

فقد يقع مرادها وقد لا يقع . ومثله قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ ^(١) فهو سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليطاع ولكنه قد يطاع وقد يعصى ^(٢) فكذلك ما خلقهم الله إلا للعبادة، وما أراد منهم غيرها، ثم هم قد يعبدونه تعالى وقد لا يعبدونه .

وأما سياق الآية فلا يدل على أن المؤمنين من الفريقين هم الذين خلقوا للعبادة دون الآخرين بل يقتضي ذما وتوبيخا لكل من لم يعبد الله منهم؛ لأن الله خلقهم لشيء فلم يفعلوا ما خلقوا له؛ ولهذا عقبها بقوله تعالى : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ ^(٣) فإثبات العبادة ونفي طلب الرزق والإطعام - كما يفعله السادة مع عبيدهم - يبين أنه خلقهم للعبادة .

وكذلك قوله تعالى في الآية التي بعدها : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴾ * فويل للذين كفروا من يومهم الذي يعدون ^(٤) يتضمن وعيدا لمن لم يعبد من الجن والإنس .

وقد ذكر الله تعالى قبله قصص الأنبياء إبراهيم ولوط وموسى وهود ونوح عليهم السلام ودعوتهم ومدى تجاوب أقوامهم لهم، فمن اتبعهم منهم وآمن بهم نفعه إيمانه ونجا من عذاب الله، وأما من خالفهم وكفر بهم ولم يقبل ما جاءوا به أدركه عذاب الله بكفره . وفيها بيان لعاقبة المطيعين والعصاة، ودلالة على إثبات النبوات وصدق ما جاء به الرسل ودعوا إليه من عبادة الله وحده لا شريك له .

ثم ذكر الله الآيات الكونية من بناء السماء وفرش الأرض وخلق كل شيء زوجين - وهذه الآيات العظيمة دالة على خالقها، وداعية إلى عبادة ربها تعالى . فلما انتهى من إقامة الحجة شرع في بيان المحجة، فقال عز من قائل : ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ^(٥) .

فهذا كله يتضمن أمر الإنس والجن بعبادته وطاعته وطاعة رسله، واستحقاق من لا يفعل العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا قال بعد ذلك : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ *

(١) النساء الآية : ٦٤

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/٨) .

(٣) الذاريات الآية : ٥٧

(٤) الذاريات الآيتان : ٥٩ - ٦٠

(٥) الذاريات الآيتان : ٥٠ - ٥١

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴿١﴾ كان هذا مناسبا لما تقدم ومؤتلفا معه؛ أي : هؤلاء الذين أمرتهم إنما خلقتهم لعبادتي، ما أريد منهم غير ذلك، لا رزقا ولا طعاما .

فإذا قيل : لم يرد بالآية إلا المؤمنين من الجن والإنس كان هذا مناقضا لما بينه الله تعالى وقرره قبل ذلك في السورة نفسها، وصار كالعذر لمن لا يعبه ممن ذمه ووبخه، وكلام الله تعالى متره من التعارض والتناقض ^(٢). قال تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ ^(٣).

وأما الاستدلال بقراءة من قرأ : { وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا لعبدون } على تخصيص الآية، وحملها على أهل السعادة من الفريقين فلا يصح؛ لأنها قراءة غير متواترة ولا مشهورة بل هي قراءة شاذة ^(٤)؛ فلا تجوز القراءة به في الصلاة ولا في غيرها، ولا أخذ حكم منه على الراجح؛ لأنه نقلها على أنها قرآن ولم يثبت لمخالفتها المصحف الذي كتب فيه ما تواتر، فما خالفه غير متواتر فلا يكون قرآنا ^(٥) وعلى فرض ثبوتها تكون منسوخة بالعرضة الأخيرة ^(٦) وغاية ما فيها أن تحمل على وجه من أوجه التفسير للآية ^(٧)، وهذا التفسير أيضا غير صحيح لما تقدم .

القول الثاني : هذه الآية عامة ولكن المراد بالعبادة تعبيده لهم وقهره لهم ونفوذ قدرته ومشيعته فيهم، وأنه أصارهم إلى ما خلقهم له من الشقاوة والسعادة، فكل مخلوق - ومنهم الجن والإنس - خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيعته، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق، فأمره نافذ على الجميع المؤمن يطيع باختياره، والكافر مدعن منقاد لقضاء ربه جبراً عليه ^(٨).

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ ^(٩) وقوله تعالى :

(١) الذاريات الآيتان : ٥٦-٥٧

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤١/٨ - ٤٣) .

(٣) النساء الآية : ٨٢

(٤) انظر : مختصر في شواذ القرآن (ص : ١٤٥) .

(٥) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٥٤/١) ؛ والإتقان في علوم القرآن (٢٢٥/١ و ٢٢٧-٢٢٨) .

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٤/١٣ - ٣٩٥) .

(٧) انظر : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام (ص : ٧٦٠-٧٦١) .

(٨) انظر : زاد المسير (٤٢/٨) ؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧) ؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤) .

(٩) آل عمران الآية : ٨٣

﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ ^(١) الإسلام والسجود والعبادة كل ذلك خضوع وتذلل لله تعالى، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعا وبعضهم يفعله كرها ^(٢).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير الآية : " إلا ليقرأوا لي بالعبودية طوعا أو كرها "، رواه ابن جرير الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - واختاره ^(٣).

وقال زيد بن أسلم ^(٤) : (جبلهم على الشقاوة والسعادة) ^(٥).

وقال وهب بن منبه ^(٦) : (جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية) ^(٧).

ولكن هذا المعنى فيه نظر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن فسر هذه الآية بأن المراد بـ (يعبدون) هو ما جبلهم عليه، وما قدره عليهم من السعادة والشقاوة، فإن هؤلاء جعلوا معنى يعبدون بمعنى يستسلمون لمشيئتي وقدرتي، فيكونون مُعَبِّدِينَ مَذَلِّلِينَ كي يجرى عليهم حكمي ومشيتي لا يخرجون عن قضائي وقدري، فهذا معنى صحيح في نفسه ولكن قوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ لم يرد به هذا المعنى الذي ذهبوا إليه وحاموا حوله من أن المخلوقات كلها تحت مشيئته وقهره وحكمه. فالمخلوقات كلها داخلية في هذا لا يشذ منها شيء عن هذا .

وقد قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ^(٨) وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ ^(٩) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا

(١) الرعد الآية : ١٥

(٢) انظر : أضواء البيان (٤٤٤/٧) .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/٢٧)، والطبري هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، قال عنه الذهبي : الإمام العلم المجتهد علم العصر صاحب التصانيف البديعة، وتوفي سنة ٣١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، والتفسير والمفسرون (٢٠٥/١) .

(٤) زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسر، مولى عمر بن الخطاب، وكانت وفاته سنة ١٣٦هـ . وقيل غير ذلك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٢٢)؛ التفسير والمفسرون (١١٦/١ - ١١٧) .

(٥) ذكره عنه جماعة من المفسرين انظر : تفسير الثوري (ص : ٢٨٢)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥/٨)؛ والدر المنثور (٦٢٥/٧)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

(٦) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، من أحبار التابعين، صاحب القصص، كثير النقل من الإسرائيليات، كان ثقة صدوقا، توفي سنة ١١٤هـ . انظر : ميزان الاعتدال (٣٥٢/٤)، وتقريب التهذيب (ص : ٥٨٥ برقم : ٧٤٨٥) .

(٧) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ٤٥/٨) .

(٨) يس الآيتان : ٦٠-٦١

(٩) النساء الآية : ٣٦

من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿١﴾ .

فهذا ونحوه من الآيات - وهي كثيرة في القرآن - لم يرد فيها بعبادة الله إلا العبادة التي أمرت بها الرسل، وهي عبادته وحده لا شريك له، والمشركون لا يعبدون الله وحده بل يعبدون الشيطان وما يدعونه من دون الله من الأصنام والتماثيل أو الأنبياء والصالحين أو الملائكة، فهؤلاء المشركون قد عبدوا غير الله تعالى كما أخبر الله بذلك فقال: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿قالوا أجبنا لن عبد الله وحده ونذرم ما كان يعبد آباؤنا﴾ (٣) فكيف يقال أن جميع الإنس والجن عبدوا الله لكون قدر الله جاريا عليهم؟ أم بتصرف واختصار (٤). وفي تخصيص الله الجن والإنس من بين سائر المخلوقات بالذكر في الآية إشارة إلى الفرق بين العبادة الكونية العامة والتي هي عبادة القهر والملك الشاملة لجميع المخلوقات وبين العبادة الشرعية والتي هي عبادة الخضوع والذل والمحبة الاختيارية الخاصة لمن وفقه الله من الأنبياء والمرسلين خاصة ومن المؤمنين عامة؛ لأن الخلق كلهم عبيد مربوبون لله تعالى ولكن الله خص الجن والإنس بالذكر؛ لأنهما المخلوقان اللذان لهما إرادة واختيار ابتلاء من الله تعالى، ومن هنا وقع عليهم التكليف وحق عليهم الحساب والجزاء بمقتضى عملهم رحمة منه وعدلا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر - دون سائر المخلوقات الداخلة تحت العبودية الكونية العامة التي لا يخرج عنها شيء من المخلوقات، والفرق بين عبادتهم إياه التي تحصل بإرادتهم واختيارهم وبين عبوديتهم له في نفوذ مشيئته فيهم وقدره عليهم ظاهر (٥).

القول الثالث: خلقهم الله تعالى للعبادة ولكن منها ما ينفع ومنها ما لا ينفع. قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (٦) هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع شركهم. قاله السدي (٧).

(١) الزمر الآية : ٣

(٢) يونس الآية : ١٨

(٣) الأعراف الآية : ٧٠

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٦/٨ - ٤٧) .

(٥) انظر : المصدر السابق (٤٧/٨) ؛ ومنهجه أهل السنة والجماعة ومنهجه الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٥٦/١ - ٥٨) .

(٦) لقمان الآية : ٢٥ ، و الزمر الآية : ٣٨

(٧) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٥٠/٨) وابن كثير في تفسيره (٢٣٨/٤) ، والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، صدوق بهم ورمي بالتشيع، مات سنة ١٢٧هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص: ١٠٨ برقم: ٤٦٣) .

ومثله قول الكلبي ^(١) بأن الله خلقهم للتوحيد ولكن منه ما ينفع ومنه ما لا ينفع، فالذي ينفع هو توحيد المؤمن الذي يوحد الله في الشدة والرخاء، وأما الذي لا ينفع فهو توحيد الكافر الذي يوحد في الشدة والبلاء، دون النعمة والرخاء ^(٢) كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) وقال تعالى عن فرعون: ﴿ حَتَّى إِذَا دُرِكَهُ الْفُرْقَانُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتُ قَبْلَ وَكُنتَ مِنَ الْمَفْسُودِينَ ﴾ ^(٤).

فهذا المعنى صحيح ولكن ليس هو معنى الآية؛ لأن مجرد الإقرار بالخالق مع الشرك به لا يسمى عبادة بل يقال كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ^(٥) والكافر لا يعبد الله وحده بل يعبد الشيطان وغيره من المعبودات الباطلة، وهو وإن صرف جزءا من عبادته وتوحيده لله تعالى في وقت دون وقت؛ فهذا لا عبرة به لوجود ما يفسده ويحبطه من الشرك بالله تعالى. قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ^(٨).

فالله تعالى غني عن الشرك، ومن عمل عملا وجعل فيه شيئا لغير الله تعالى لا يقبله بل يجعل كله لذلك الغير، ويتركه له وجاء هذا مصرحا في حديث بلفظ : ((فأنا منه بريء وهو للذي أشرك)) ^(٩).

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض، مات سنة ١٤٦ هـ — انظر: ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٤٧٩ برقم : ٥٩٠١).

(٢) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٠/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥).

(٣) العنكبوت الآية : ٦٥

(٤) يونس الآيتان : ٩٠-٩١

(٥) يوسف الآية : ١٠٦

(٦) الأنعام الآية : ٨٨

(٧) الزمر الآيتان : ٦٥-٦٦

(٨) أخرجه م (الزهد والرقائق، ب : من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ ح : ٢٩٨٥).

(٩) أخرجه ج (الزهد، ب : الرياء والسمعة ١٤٠٥/٢ ح : ٤٢٠٢)؛ وخز (جامع أبواب الأفعال المكروهة في الصلاة التي قد هي عنها المصلى، ب : ذكر نفي قبول صلاة المرائي بها ٦٧/٢ ح : ٩٣٨). قال المنذري في (الترغيب

فعبادة المشركين وإن جعلوا بعضها لله لا يقبل منها شيء بل كلها لمن أشركوه.
وعلى هذا، فهم ما عبدوا الله تعالى عبادة تنفعهم ويعتد بها ^(١).

القول الرابع : معنى «إلا يعبدون» إلا يعرفوني، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده .
وقد استدلل لهذا القول بقوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم لقولن الله » ^(٢) ونحو ذلك من الآيات ^(٣).
هذا القول ذهب إليه ابن جريج ^(٤) ومجاهد ^(٥) في رواية عنه ^(٦)، واستحسنه الثعلبي ^(٧)
والبغوي ^(٨).

فيقال : هذا المعنى صحيح وكونه إنما عرف بخلقه لهم يقتضي أن خلقهم شرط في معرفتهم له ولكن لا يقتضي أن يكون ما حصل لهم من المعرفة هو الغاية التي خلقوا لها ^(٩).
ولو كانت هي الغاية المقصودة لكان فرعون وقومه وإبليس ومن تبعه قد أتوا بها وحققوها؛

والترهيب ١/٦٩ ح ٢٥) : (رواة ابن ماجه ثقات)، وقال البوصيري في (مصباح الرجاة ٤/٢٣٦) : (هذا إسناد صحيح رجاله موثقون)، وصححه العلامة الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ٣/٣٧١ ح ٣٤٠٦) .

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١١٥/١١٦)

(٢) الزخرف الآية : ٨٧

(٣) انظر : معالم التنزيل (٤/٢٣٥)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٥-٥٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٣٨)؛ وفتح القدير (٥/٩٢) .

(٤) انظر : تفسير ابن جريج (ص : ٣٢٠)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٣٨)؛ وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، كان يدلس ويرسل، توفي بمكة سنة ١٥٠هـ أو بعدها. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٦٣ برقم : ٤١٩٣) .

(٥) مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي سنة ١٠٤هـ على الأشهر . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٢٠ برقم : ٦٤٨١)؛ والتفسير والمفسرون (١/١٠٤) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٥٠)؛ وفتح القدير (٥/٩٢)؛ وأضواء البيان (٧/٤٤٤) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٦)؛ وفتح القدير (٥/٩٢)، والثعلبي هو أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر كان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة، توفي سنة ٤٢٧هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/٤٣٥)؛ والتفسير والمفسرون (١/٢٢٧) .

(٨) انظر : معالم التنزيل (٤/٢٣٥)، والبغوي هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي قال عنه الذهبي : كان سيداً إماماً عالماً علامة زاهداً، بورك له في تصانيفه، وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه، توفي سنة ٥١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)؛ والتفسير والمفسرون (١/٢٣٤) .

(٩) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٥١-٥٠) .

لأنهم أيضا عرفوا الله تعالى . قال تعالى : ﴿ ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال رب فأظنني إلى يوم يبعثون ﴾ قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾ ^(٢) .

القول الخامس : إن الله خلقهم لعبادته، وهو فعل ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه.

وأثر عن علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير الآية أنه قال : (إلا لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي) ^(٣)، وهذا هو المعروف بالإسناد الثابت ^(٤) عن مجاهد حيث قال : (لآمرهم وأنهاهم) ^(٥)، وروي عن الربيع بن أنس ^(٦) أنه قال : (ما خلقتهم إلا للعبادة) ^(٧)، وروي عن عكرمة ^(٨) أنه قال : (إلا ليعبدون ويطيعون؛ فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد) ^(٩) واختاره الزجاج ^(١٠) وغيره، وهو الذي عليه جمهور المسلمين، واحتجوا قديما وحديثا بهذه الآية على هذا المعنى حتى في وعظهم وتذكيرهم ^(١١) .

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ ^(١٢) وقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ ^(١٣) .

(١) النمل الآية : ١٤

(٢) ص الآيات : ٧٩-٨٥

(٣) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ وزاد المسير (٣/٦)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥)؛ وأضواء البيان (٤٤٤/٧) .

(٦) الربيع بن أنس البكري أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، مات سنة ١٤٠هـ أو قبلها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٠٥ : رقم : ١٨٨٢) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤) .

(٨) عكرمة أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، توفي سنة ١٠٤هـ أو بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٧ : رقم : ٤٦٧٣) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧) .

(١٠) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٥٨/٥)، والزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، قال عنه الذهبي : الإمام نحوي زمانه، توفي سنة ٣١١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤) .

(١١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١/٨-٥٣) .

(١٢) البينة الآية : ٥

(١٣) التوبة الآية : ٣١

ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ ^(١) يعنى لا يؤمر ولا ينهى ، وقوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَإِنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٣) وقالت الجن لما سمعوا القرآن : ﴿ يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٤) .

وقد قال تعالى في القرآن في غير موضع : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٦) فقد أمرهم بما خلقهم له ، وأرسل الرسل يذكروهم بما خلقوا له ، ويدعوهم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له . ولذلك اتفقت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم في الدعوة إلى إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات وإخلاصها له دون سواه ونبذ الكفر والشرك بكل صورته وأشكاله ووسائله المؤدية إليه . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنْ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ^(٩) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١٠) وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ ^(١١) وقال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ

(١) القيامة الآية ٣٦

(٢) الأنعام الآية : ١٣٠

(٣) يس الآيتان : ٦٠-٦١

(٤) الأحقاف الآيتان : ٣٠-٣١

(٥) البقرة الآية : ٢١

(٦) النساء الآية : ١ ، والحج الآية : ١ ، ولقمان الآية : ٣٣

(٧) النحل الآية : ٣٦

(٨) الزخرف الآية : ٤٥

(٩) المؤمنون الآيتان : ٥٠-٥١

(١٠) الأنبياء الآية : ٩٢

(١١) الشورى الآية : ١٣

وهم يسألون * أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿١﴾ .

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ! قلت : لبيك ^(٢) رسول الله وسعديك ^(٣) ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال: هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك فقال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم ^(٤) .

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : لا أحد أغير من الله؛ ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه ^(٥) .

وعن المغيرة ﷺ قال : قال سعد بن عبادة ﷺ : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : تعجبون من غيرة سعد! والله لأنأ أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة ^(٦) .

(١) الأنبياء الآيات : ٢١-٢٥

(٢) "ليك" من المصادر المثناة لفظا، ومعناها التكرار؛ أي : إقامة على إجابتك بعد إقامة وأصله "ألب لك إلباين" فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، ثم حذفت الزوائد، وحذف الجار من الضمير المفعول، وأضيف المصدر إليه . وقيل : إنه من "لب" بمعنى

ألب أي أقام . انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك مع شرحه ضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣٠٧/٢) .

(٣) "سعديك" أي : إسعادا لك بعد إسعاد، ولا تستعمل إلا بعد لبيك؛ لأن لبيك هي الأصل في الإجابة، وسعديك بمنزلة التوكيد لها . انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) أخرجه خ (اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ٢٢٢٤/٥ ح : ٥٦٢٢)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٥٨/١ ح : ٣٠) .

(٥) أخرجه خ (الطلاق، ب : الغيرة ٢٠٠٢/٥ ح : ٤٩٢٢)؛ و م (التوبة، ب : غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٢١١٤/٤ ح : ٢٧٦٠)، واللفظ له .

(٦) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول النبي ﷺ : لا شخص أغير من الله ٢٦٩٨/٦ ح : ٦٩٨٠)؛ و م (اللعان ١١٣٦/٢ ح : ١٤٩٩)، واللفظ له .

وقال الأسود بن سريع ؓ : يا رسول الله ! ألا أنشدك محمد بن حماد حمدت بها ربّي تبارك وتعالى ؟ فقال : إن ربك تبارك وتعالى يحب الحمد ولم يستزده على ذلك ^(١) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال النبي ﷺ : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ^(٢) .

يتبين مما سبق من أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف أن المعنى الذي قصد بالآية قطعاً هو الذي فهمه جمهور المسلمين واحتجوا بالآية عليه واعترفوا بأن الله خلقهم ليعبدوه، ويشكروه، ويذكروه، ويسبحوه، ويحمدوه؛ فهذا الذي خلقهم له وأمرهم به وأحبه ورضيه منهم، فإن فعلوه كان فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وبه يتحقق حصول العبودية الاختيارية الخاصة - لله تعالى، والنجاة من عذابه، والفوز برضوانه، والدخول في جنته، والنظر إلى وجهه الكريم. ولا نعمة أعظم عليهم في الدنيا من الإيمان به والعبادة له، ولا شيء ألد وأحب إليهم في الآخرة من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى ^(٣) .

اللهم ثبتنا على الإيمان وشرفنا برؤية وجهك الكريم . آمين .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ب : من الشعر حكمة، ص : ٢٩٨ ح : ٨٥٩)؛ وكم (معرفة الصحابة، ذكر الأسود بن سريع ٦١٤/٣)؛ وقال : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٣٢٠ ح : ٦٦٠) .

(٢) أخرجه خ (التوحيد ب قول الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ٢٧٤٩/٦ ح : ٧١٢٤) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/١) .

المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان .

حكمة الله أجل من أن يحيط بها مخلوق :

الملوك في الدنيا لا يخبرون جميع من تحت تدبيرهم من الرعية عن كل ما يدبرون ويعملون لهم، ولا يوقفونهم على تفاصيل ما يسعون له من مصالحهم ومنافعهم؛ لأن هذا مناف للحكمة والمصلحة. فإذا كان هذا بين المخلوقين، فكيف بشأن رب العالمين وأحكم الحاكمين الذي لا يشاركه في علمه ولا حكمته أحد أبدا^(١) .

والله تعالى له حكمة في كل ما خلقه وأمر به، ولم تخرج أفعاله وأوامره قط عن الحكمة والرحمة والمصلحة ولكن لا يمكن إطلاع الخلق على جميع الحكم في أفعاله وأوامره، فحكمة الله تعالى أعظم وأجل من أن يحاط بها^(٢) .

فما يخفى على العباد من معاني حكمته في صنعه وإبداعه وأمره وشرعه ولم يعرفوا تفصيلها، فذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به، ويكفيهم في ذلك الإسناد إلى حكمة الله البالغة العامة الشاملة، والاكتفاء بما ظهر لهم عما خفي منها؛ فقد يكون إخفاء الحكمة لحكمة جلية، فمن حكمته سبحانه أنه تعالى لم يخبر أحدا من خلقه ولا عبدا من عباده عن وجه تدبيره وحكمته في كل ما يريده ويخلق؛ لأن ذلك خارج عن قوى المخلوقات، وعقول الخلق عاجزة عن إدراكها والإحاطة بها^(٣) .

ومع ذلك فإن الله قد يطلع عباده على شيء من حكمه العامة والخاصة في أمر من الأمور، وإنما الذي لا يمكن حصوله بالنسبة للإنسان هو الإحاطة بحكمة الله تعالى. قال تعالى : «ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء»^(٤) وقال تعالى : «ولا يحيطون به علما»^(٥) وقال تعالى : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»^(٦) .

(١) انظر : مفتاح دار السعادة (٣٠٤/١) .

(٢) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٧٤) .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال (ص : ١٣٤) ؛ ومفتاح دار السعادة (٣٠٤/١ - ٣٠٥) .

(٤) البقرة الآية : ٢٥٥

(٥) طه الآية : ١١٠

(٦) الإسراء الآية : ٨٥

بيان الوحدة للأصل الإنساني :

أخبر الله تعالى أنه خلق الناس كلهم من ذكر وأنثى، وهما آدم و حواء عليهما السلام فهما الأصلان الكليان للإنسان أبا وأما، والناس كلهم من غير تفریق بين الأجناس والألوان يلتقون فيهما ويتنسبون إليهما .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(٢) .

وقال النبي ﷺ : ((الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب)) ^(٣) .

وقد خلق الله الناس من أصل واحد حيث خلق آدم من تراب، وخلق منه زوجه، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفي ذلك من الحكم ما الله به عليم، وسأذكر هنا بعض ما يظهر لي منها بتوفيق الله تعالى، وعليه التكلاّن .

بيان الحكمة في وحدة الأصل الإنساني :

١ - الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى وربوبيته وألوهيته : خلق الله تعالى آدم ﷺ من تراب، وخلق منه زوجه، وخلق ذريتهما من نقطة نقلا من طور إلى طور، وبثهم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم وأعمالهم، وفي ذلك دليل على كمال قدرة الله تعالى وتفرد به بالربوبية المطلقة . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْوَانُ وَالْأَلْوَانُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) .

(١) النساء الآية : ١

(٢) الحجرات الآية : ١٣

(٣) جزء من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه د (الأدب، ب : في التفاضل بالأحساب ٣٣١/٤ ح : ٥١١٦)؛ و ت (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ب : فضل الشام و اليمن ٧٣٤/٥ ح : ٣٩٥٥)، و اللفظ له، وقال : (هذا حديث حسن غريب)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٨/٣ ح : ٥١١٦)؛ وفي صحيح سنن الترمذي (٥٩٨/٣ ح : ٣٩٥٥) .

(٤) الروم الآيات : ٢٠-٢٢

فإنشاؤكم من الأرض، وبثكم في أقطارها وأرجائها، وخلقكم على هذا التنوع في هياكلكم وصوركم وألوانكم مع أنكم تعودون إلى أصل واحد ومنبت واحد دليل على أن الله على كل شيء قدير، وأنه هو ربكم المستحق لعبادتكم^(١)؛ لأن الذي خلق هو الذي يستحق أن يعبد. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ^(٢)، فَمَنْ لَمْ يَخْلُقْكُمْ لَيْسَ بِرَبِّ، وَلَا يَعْْبُدُ لَكُمْ^(٣)﴾.

٢- ظهور مقتضى أسماء الله تعالى وصفاته من كمال عدله وفضله وحكمته ورحمته بعباده: أخبر الله تعالى عن كمال عدله ونزه نفسه عن ضده من الظلم القليل والكثير^(٤) فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ^(٥)﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ^(٦)﴾ فهو سبحانه لا يجر، ولا يظلم، فلا يخاف عباده منه ظلما ولا هضما. وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل^(٧) بل الله تعالى موصوف بصفات الكمال المطلق من جميع الوجوه^(٨).

ومن كمال عدله وفضله وحكمته ورحمته أنه خلق آدم ﷺ وخلق زوجه، وبارك في ذريتهما وكثر أولادهما، وملا بهم أقطار الأرض وأرجاءها، وأمرهم جميعا بعبادته وتقواه دون سواه، وعليها يحاسبهم يوم القيامة ويجازيهم بها، فالكل مخلوق من أصل واحد، ومأمورون بعبادة رب واحد، ويحاسبون ويجازون على نظام واحد في صعيد واحد، وهذا هو مقتضى حكمته وعدله وموجب أسمائه وصفاته؛ لأن اختلاف الأصل موجب لاختلاف الخلقة واختلاف التكليف، ومن ثم اختلاف الحساب والجزاء، فمن حكمة الله أن جعلهم من أصل واحد يتساوون في خطاب التكليف، ويتساوون في قواعد الجزاء والحساب. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٩)﴾.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٨٨٠).

(٢) البقرة الآية: ٢١

(٣) انظر: أضواء البيان (١٨٢/٦).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢٠٧).

(٥) النساء الآية: ٤٠

(٦) ق الآية: ٢٩

(٧) انظر: هداية الحيارى (ص: ٣١٢).

(٨) انظر: المصدر السابق نفسه؛ ومعتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (ص: ٣٥).

(٩) الزلزلة الآيتان: ٧-٨

٣- قطع أصل التفاخر بالأنساب والأحساب : خلق الله تعالى الناس من أصل واحد

وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأثنى، وجميعهم يرجعون إلى آدم وحواء، فهم سواء في الأصل. وإذا كان الأصل واحداً، فالكل متساوون؛ لأن أباهم واحد وأمهم واحدة، وفي ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب، والتعظيم بالآباء، والتطاول بالأحساب ^(١).

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ^(٢) وتعظيمها بآبائها، فالناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب . قال الله : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله على خير ^(٣) ﴾ ^(٤).

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل ^(٥) الذي يدهده الخراء بأنفه؛ إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية؛ إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب ^(٦).

فالنبي ﷺ شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعدرة، ونفس افتخارهم بالدهدة بالأنف، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة إما الانتهاء عن الافتخار أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف ^(٧).

(١) انظر : أضواء البيان (٤٢١/٧) .

(٢) عبية الجاهلية : بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح التحتية المشددة أي نخوتها وكبرها وفخرها . انظر : القاموس المحيط (١٠٣/١) .

(٣) الحجرات الآية : ١٣

(٤) أخرجه ت (التفسير ب : ومن سورة الحجرات ٣٨٩/٥ ح : ٣٢٧٠)، وصححه الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة (٤٤٩/١-٤٥٢ ح : ١٧٠٠)؛ وفي صحيح سنن الترمذي (١٠٨/٣ ح : ٢٦٠٨) .

(٥) الجعل بضم الجيم وفتح العين : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية . انظر : المعجم الوسيط (١٢٦/١)

وقال المباركفوري في (تحفة الأحوذى ٣١٦/١٠) : (هو دويبة سوداء تدير الغائط بأنفه يقال لها الخنفساء) .

(٦) حديث حسن وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(٧) انظر : عون المعبود (١٧/١٤)؛ وتحفة الأحوذى (٣١٦/١٠) .

وبين أن الناس رجالان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيبا في قومه، وفاجر شقي فهو الديء وإن كان في أهله شريفا رفيعا^(١).

أو أن المفترس المتكبر إما مؤمن تقي؛ فإذا لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي، فهو ذليل عند الله؛ والدليل لا يستحق التكبر؛ فالتكبر منفي بكل حال^(٢).

٤- تساوي بني آدم في إمكانية الاستفادة من نعم الله التي خلقها لهم: خلق الله الإنسان من أصل واحد، وجعلهم متساوين في القدرة على الاستفادة من الرزق والنعم التي خلقها لهم، قال تعالى: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون^(٣).

فلو كانوا من أصول مختلفة لما أمكن لبعضهم الاستفادة بما جعل الله في الأرض من الرزق والخيرات، فإن الحيوانات والجن تستفيد من أشياء، وأشياء كثيرة لا تستطيع أن تستفيد منها لعدم مواءمتها لخلقتها لاختلافها في الأصل. وأما بنو آدم فإنهم متحدون في الأصل متساوون في القدرة على الاستفادة من كل ما خلقه الله لهم في الأرض.

٥- إمكانية التعارف والتعاون بين الناس فيما يصلح شئوهم: قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾^(٤) فإذا كان الجميع يرجع إلى أب واحد وأم واحدة؛ فهم جميعا إخوة في النسب وأفراد من الأسرة الإنسانية ذوي حلقة واحدة وأصل واحد، وبه تتحقق إمكانية التعارف والتعاون بينهم فيما يحقق مصالحهم ويصلح شئوهم، فينبغي أن يكون التعامل فيما بينهم مبنيا على التعاون، بعيدا عن التعادي والتقاتل.

٦- دعوة الجميع إلى تقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه: إذا كانوا جميعا من أب واحد وأم واحدة؛ فلا فضل لبعضهم على بعض من جهة النسب؛ إذ الكل فيه سواء.

(١) انظر: معالم السنن شرح سنن أبي داود (١٣٧/٤).

(٢) انظر: عون المعبود (١٦/١٤)؛ وتحفة الأحمدي (٣١٧/١٠).

(٣) الجاثية الآيتان: ١٢-١٣

(٤) الحجرات الآية: ١٣

وإنما تنال الفضيلة والرفعة بتقوى الله تعالى وطاعته . قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فتقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه هو مدار الشرف والكرم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ^(١) .

وعن أبي نضرة ^(٢) حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ^(٣) .
فالانتماء إلى لغة أو لون أو جنس أو نسب لا قيمة له، ولا فضل فيه، وإنما الشرف والكرم والفضل في تقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه . ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ^(٤) .

٧- بيان بطلان دعاوى الذين يزعمون أنهم المختصون بالفضيلة والقداسة دون الآخرين : إن دعاوى بعض البشر بأنهم أبناء الله وأحبائه كدعوى اليهود والنصارى كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه ﴾ ^(٥) ، وترفع بعضهم على بعض بدعوى تتعلق بشرف أصلهم ورفعة معدنهم ونحو ذلك من دعاوى الناس، فإنما كلها باطلة، فاليهود يزعمون أنهم المختصون بالفضيلة، المنفردون بالكرامة، المتوارثون للشرف والعزة أباً عن جد مهما خبث أفعالهم، وساءت أعمالهم، وشنت جرائمهم، ويزعمون أنهم أبناء الله وأحبائه، وأن أرواحهم جزء من الله، وأن الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنهم المختصون بالكرم والشرف والاستعلاء والتفوق، وأن أرواح غيرهم أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمتهم ^(٦) .

(١) أخرجه م (البر والصلة والآداب ، ب : تحريم ظلم المسلم وخذله ... ١٩٨٧/٤ ح : ٢٥٦٤) .

(٢) هو المنذر بن مالك بن قطعة الغوثي البصري، ثقة، روى عن جماعة من الصحابة، توفي سنة ١٠٨ هـ أو بعدها بسنة . انظر : تهذيب التهذيب (٥٣٧/٥ برقم : ٨٠٠٦)

(٣) أخرجه حم (٤٧٤/٣٨ ح : ٢٣٤٨٩)؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٣) : (رجاله رجال الصحيح) .

(٤) المطففين الآية : ٢٦

(٥) المائدة الآية : ١٨

(٦) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ١٠٢-١٠٣)؛ ومقال بعنوان " الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم : عرض و نقد " للدكتور : محمود عبد الرحمن قدح، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد : ١١١ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ (ص : ٣٧٢-٣٧٣) .

وكذلك رد على الطبقية البرهمية الهندوسية المذمومة التي تقسم الناس من حيث أصل خلقتهم على أربع طبقات، وتخص نفسها بالقداسة والفضيلة دون الآخرين؛ زاعمة أنها خلقت من رأس معبودها، وأما غيرهم فقد خلقوا من أماكن أخرى من جسد معبودهم، وإنما خلقوا لتوفير أسباب الراحة والخدمة لهم كما زعمت وبئس ما زعمت^(١). فكون الناس يرجعون إلى أصل واحد دليل صريح على كذب هذه الدعاوى، وكذب أصحابها في كل ما يدعون، وأن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى وطاعة الله عز وجل .

(١) انظر : تحفة الهند (ص : ٤٥ و ١٠١-١٠٣)؛ وفصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٦٦)؛ والأديان، القسم الأول، الديانات القديمة (ص : ٨٧)؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٧٢٦-٧٢٧) .

المسألة الثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموماً، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصاً.

الهدى محصور فيما أنزل الله من الكتاب والسنة :

لقد خلق الله الإنسان، وأنعم عليه بالهداية والبيان لما فيه أمنه وفلاحه وسعادته، وتجنبيه من الضلال والشقاء . قال تعالى : ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ^(١) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك بأن الله عز وجل قال : ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾) ^(٢) .

والهدى هو ما بعث الله به رسوله، وأنزل في كتابه . قال تعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ ^(٥) .

فالهدى محصور فيما أنزل الله تعالى من كتابه وسنة رسوله ﷺ فقط، وليس وراء هذا طريق ثالث يقرب إلى الله ويباعد من النار ^(٦) قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ ^(٧) .

(١) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (فضائل القرآن، في فضل من قرأ القرآن ١٢٠/٦ ح : ٢٩٩٥٥)؛ وكم (التفسير، طه، من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ٣٨١/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٣) آل عمران الآية : ٧٣

(٤) الأنعام الآية : ٧١

(٥) القصص الآية : ٥٠

(٦) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠-٩/١)؛ والجمعة في بيان المحجة (٢١١-٢١٠/١)؛ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٣) .

(٧) يونس الآية : ٣٢

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

ولما كان فلاح العباد وصلاحهم وهدايتهم وسعادتهم محصورة في شرع الله الذي أنزله في كتابه، وبينه على لسان رسوله ﷺ جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية الكتاب والسنة، وتبين وجوب اتباعهما، والعمل بمقتضاهما، وأنه لا يسع لأحد الخروج عما جاءت به الشريعة، ودل عليه الكتاب والسنة، وأنه من يعتصم بهما، ويصدر عنهما، ويأخذ منهما، ويبيني عليهما يكون من المهتدين - بإذن الله تعالى - إلى صراط مستقيم. قال تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ ^(١).

الأدلة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

الأدلة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، والتمسك بهما كثيرة، يصعب عدد أفرادها والإحاطة بها، فأكتفي بذكر بعض أنواعها :

١- الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ : قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأتمتعوا ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ ^(٤) فقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله كما أمر بطاعة أولي الأمر ولكن طاعتهم مشروطة بشرط أن لا يأمرؤا بمعصية الله فإن أمرؤا بما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما قال النبي ﷺ : ((لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)) ^(٥).

ولذلك أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر في غير المعصية، وعلى تحريمها في المعصية ^(٦). ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة

(١) آل عمران الآية : ١٠١

(٢) النساء الآية : ٥٩

(٣) الأنفال الآية : ٢٠

(٤) آل عمران الآية : ١٣٢

(٥) جزء من حديث علي عليه السلام، أخرجه خ (أخبار آحاد، ب : ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق ٢٦٤٩/٦ ح : ٦٨٣٠) وم (الإمارة، ب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ... ١٤٦٩/٣ ح : ١٨٤٠)، واللفظ له .

(٦) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٢/١٢ - ٢٢٣) .

الرسول ^(١)؛ لأن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، فمن يطعه فقد أطاع الله . قال تعالى :
﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ^(٢) . وقال النبي ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني
فقد عصى الله ...)) ^(٣) .

٢- النهي عن معصية الله ورسوله ﷺ : قال تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذنين ﴾ ^(٤)
وقال تعالى : ﴿ ومن عص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ ومن عص الله ورسوله فإن نار
جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ^(٧) .
فهذه الآيات فيها وعيد شديد لمن يعصي الله ورسوله، وأنه مخذول مرزول، ليس له
عاقبة حميدة، ولا رؤية منصور، ويخشى عليه الفتنة، ولا يؤمن عليه من عذاب الله عاجلاً
أو آجلاً . نسأل الله السلامة من كل خذلان والنجاة من كل مكروه .

٣- الأمر بالرد إلى الله ورسوله عند التنازع : قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله
والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شئ
فحكمه إلى الله ﴾ ^(٩) .

فقد أمر الله تعالى برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله ورسوله .
قال العلماء : الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته ^(١٠) .
ولا خير ولا صلاح ولا عدل في حكم غيرهما، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك

-
- (١) انظر : فتح الباري (١١٢-١١١/١٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢١٤) .
(٢) النساء الآية : ٨٠ .
(٣) جزء من حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه خ (الأحكام، ب : قول الله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء :
٥٩] ٢٦١١/٦ ح : ٦٧١٨)، وم (الإمارة ب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ... ١٤٦٦/٣ ح : ١٨٣٥) .
(٤) المجادلة الآية : ٢٠ .
(٥) الأحزاب الآية : ٣٦ .
(٦) الجن الآية : ٢٣ .
(٧) النور الآية : ٦٣ .
(٨) النساء الآية : ٥٩ .
(٩) الشورى الآية : ١٠ .
(١٠) انظر : قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمور (ص : ٢٦)؛ وهو في مجموع الفتاوى (٦/٣٥) .

فهو باطل، فيجب الرد إليهما؛ لأن بناء الدين عليهما، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما^(١).

٤- وجوب محبة الله ورسوله ﷺ : قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين^(٥).

فهذه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيها دلالة قوية على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء سواهما؛ حيث توعده الله بالوعيد الشديد والمقت الأكيد لمن كان عنده شيء من الأشياء أحب إليه من الله ورسوله، وفيهما بيان للمحبة التي فيها صلاح العباد وسعادتهم، وتحذير من المحبة التي فيها فسادهم وشقاؤهم^(٦).

وقد بين الله تعالى الميزان الذي يعرف به من يحب الله حقيقة، ومن يدعيها دعوى مجردة، فقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾^(٧). وقالت الملائكة لما جاءت إلى النبي ﷺ وهو نائم : ((من أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢١٤ و ص : ١٠٤٥) .

(٢) البقرة الآية : ١٦٥

(٣) التوبة الآية : ٢٤

(٤) أخرجه خ (الإيمان، ب : حلاوة الإيمان ١/١٤ ح : ١٦)؛ وم (الإيمان، ب : بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/٦٦ ح : ٤٣) .

(٥) أخرجه خ (الإيمان، ب : حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/١٤ ح : ١٥)؛ وم (الإيمان، ب : وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل ١٠٠/٦٧ ح : ٤٤) .

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٨٥ و ص : ٤٣٣) .

(٧) آل عمران الآية : ٣١

الله، ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس)) (١).

فعلامه محبة العباد لرحمهم ومعبودهم هو اتباع رسوله محمد ﷺ . ومتابعته في جميع ما يدعو إليه ويأمر به طريق إلى محبة الله ورضوانه؛ لأنه لا يأمر إلا بما يحب الله، ولا ينهى إلا عما يبغضه الله، ولا يفعل إلا ما يحبه الله، ولا يخبر إلا بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله محبة صادقة، لزمه أن يتبع رسوله ﷺ، فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل؛ فإن محبة الله ورضوانه وثوابه وكرامته لا تنال إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب و السنة، وامتنال أمرهما، واجتناب نهيهما (٢).

٥- انتفاء الخيار عن العباد إذا جاء حكم الله ورسوله ووجوب الانقياد والتسليم له : قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن عص الله ورسوله فقد ضلّ لاهلًا مبينًا ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ (٥).

فهذه الآيات نص على أنه إذا جاء حكم من الله ورسوله، فلا خيار لأحد عنده، بل يجب التسليم والانقياد له . قال الزهري (٦) : (من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم) (٧).

قال الحافظ ابن كثير (٨) في تفسير آية الأحزاب المذكورة : (فهذه الآية عامة في

(١) جزء من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أخرجه خ (الاعتصام بالكتاب والسنة، ب :

الاعتداء بسنن رسول الله ﷺ ٦/٢٦٥٥ ح : ٦٨٥٢) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩١/١٠)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٤٨) .

(٣) الأحزاب الآية : ٣٦

(٤) النساء الآية : ٦٥

(٥) الأنعام الآية : ٥٧

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه، توفي سنة خمس و عشرين بعد المائة، وقيل قبل ذلك بسنة أو ستين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٦ : رقم : ٦٢٩٦) .

(٧) ذكره البخاري تعليقا بصيغة الجزم، في صحيحه (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ [المائدة : ٦٧] ٦/٢٧٣٨) .

(٨) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المفسر المحدث المؤرخ، توفي سنة ٧٧٤ هـ . انظر الدرر الكامنة

(١/٣٧٣)؛ ومعجم المؤلفين (٢/٢٨٣-٣٨٤) .

جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (١).

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها تأصيل لأصل عظيم، وبيان لقاعدة كلية شاملة لجميع أصول الدين وفروعه. وذلك أن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تجوز مخالفته بحال من الأحوال، وأن نص الرسول ﷺ على حكم شيء كنص الله تعالى عليه، وأنه لا انفصال بين ما أنزله الله تعالى في كتابه وبين ما بينه على لسان رسوله ﷺ، فهما صنوان لا يفترقان، ومنبعان للتشريع متعاضان (٢)؛ فمن عمل بالقرآن على غير المنهج الذي انتهجه الرسول ﷺ لا يكون عاملا بالقرآن، والمرؤ لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بما جاء في الكتاب المبين والسنة المحمدية قولاً وعملاً واعتقاداً .

العقيدة إنما تؤخذ عن الله ورسوله :

لقد تبين مما سبق وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن المرأ لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بما جاء في الكتاب المبين والسنة المحمدية في أبواب الدين كله، ويتأكد ذلك في المسائل المتعلقة بالعقيدة؛ لأن البشر كلهم عبيد الله، ووظيفتهم أن يعبدوه جل وعلا ويخلصوا له العبودية، وقوام العبودية في تصحيح العقيدة، فمن فسدت عقيدته فسدت عبادته ولم يقبل منه عمله خاصة إذا كان الفساد متعلقا بأصول الاعتقاد (٣). قال تعالى : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ (٤) ومن صحت عقيدته واستقام إيمانه كان القليل من عمله كثيرا مباركا

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩٠) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١١٨٤-١١٨٥)؛ وأضواء البيان (٦/١) .

(٣) انظر : رسالة التوحيد (ص : ١٩-٢٠) .

(٤) التوبة الآية : ٥٤

ومقبولا عند الله تعالى ^(١). قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ^(٢) .

فالعقيدة الصحيحة ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، بل حاجته إلى العقيدة الصحيحة أشد من حاجته إلى الماء والهواء؛ إذ بدون الماء والهواء أكثر ما يتصور عليه من الضرر هو موت البدن وفقدان الحياة الدنيوية، وأما إذا فقدَ العقيدة الصحيحة وحرَم منها فالحلاك الأبدي والشقاء سرمدي يكون مآله ومصيره، ويكون ضائعا تائها خاسرا في الدنيا والآخرة ^(٣). نسأل الله تعالى السداد والثبات على عقيدة الإسلام .

والعقيدة الصحيحة الخالصة لا توجد اليوم إلا في الإسلام؛ لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ^(٤) .

فطالب العقيدة الصحيحة السليمة لن يجدها في اليهودية، ولا في النصرانية، ولا في كلام الفلاسفة ...، وإنما يجدها في الإسلام في أصله الكتاب والسنة ندية طرية صافية مشرقة، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانا و يقينا ونورا، وتجعل الحياة سعيدة مطمئنة ^(٥) . قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ^(٦) .

لا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة أمور العقيدة معرفة صحيحة :

إن الأمور العقيدية ليست داخلية تحت نطاق نظر البشر، وهي أوسع من نطاق عقولهم، والقوى البشرية كلها محدودة بحدود لا تدرك ما وراء تلك الحدود، فقوة البصر التي في العين عاجزة عن الإبصار في الظلام، ومحتاجة إلى النور، فكذلك العقل البشري له

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص : ١٩- ٢٠) .

(٢) النحل الآية : ٩٧ .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ١٢) .

(٤) الحجر الآية : ٩ .

(٥) انظر : العقيدة في الله (ص : ١١) .

(٦) الشورى الآية : ٥٢ .

إطار محدود وبمحال معين لا يمكن له أن يتعداه .

وقد ذكر ابن بطة ^(١) في كتابه " الإبانة " بإسناده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه جاء رجل من المسلمين بآبن له فقال له : لقد حيرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وزهبت به الكلفة عن ربه . فقال عبد الله ﷺ : امدد بصرك يا ابن أخي، ما السواد الذي ترى ؟ قال : فلان . قال : صدقت . قال : فما الخيال المسرف من خلفه ؟ قال : لا أدري . قال عبد الله : يا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حداً محدوداً من دونها حجاباً مستوراً، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها وحدوداً لا يتعداها . قال : فرد الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكير فيما يحيره ^(٢).

وقال ابن خلدون ^(٣) : (اتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره؛ فإن ذلك طمع في محال . ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده، ولا يتعدى طوره) ^(٤).

وقد اعترف عامة رؤوس العقلاء أنه لا يمكن أن ينال بالعقل علم جازم في تفاصيل الأمور الإلهية، وإنما ينال به الظن والحسبان ^(٥). فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة مسائل العقيدة معرفة صحيحة؛ فلا يصح إطلاق العنان له وإقحامه فيما وراء حدوده وإطاره من أمور الغيب بل يجب تقييده بقواعد الكتاب والسنة. فإذا اتصل به نور الوحي من الكتاب

(١) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي المعروف بابن بطة . قال عنه الذهبي : الإمام القدوة العابد المحدث شيخ العراق، توفي سنة ٣٨٧هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/٥٢٩-٥٣٣) .

(٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٤٤٢/١ - ٤٤٣)، والإسناد فيه ضعف .

(٣) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المالكي، عالم مؤرخ اجتماعي، توفي سنة ٨٠٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٨٨/٥) .

(٤) مقدمة ابن خلدون (الفصل السادس من المقدمة : علم الكلام، ص : ٣٨٤) .

(٥) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص : ٢٥٠) .

والسنة كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وأمن من الزيغ والضلال^(١).

مسائل الاعتقاد أمور غيبية :

ولقد أقام الله الحجة على خلقه بكتابه وسنة رسوله ﷺ^(٢)، وكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به قد بينه الله تعالى ورسوله ﷺ بيانا شافيا^(٣)، وأصول العقائد التي أمرنا باعتقادها حددها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان فقال : ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))^(٤).

فالعقيدة في الإسلام تدور حول أمور معينة، وهذه المسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهي التي عناها الله تعالى بقوله عندما مدح المؤمنين ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾^(٥)، فالإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر والقدر إيمان بالغيب، وأما الكتب والرسول فقد يتبادر إلى الذهن أنهما تشاهد وتنظر ولكن نسبتها إلى الله، وكون الرسل مبعوثين من عند الله، وكون الكتب منزلة من عند الله أمر غيبي فالإيمان بها أيضا من الإيمان بالغيب^(٦).

والدخول في أمور الغيب لا يخلو من الخطر والزلل إلا إذا كان مصحوبا بنور الوحي ويدل عليه أنه لما توفي عثمان بن مظعون ؓ، وحضر عنده الرسول ﷺ سمع الصحابة الجلييلة أم العلاء تقول : رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لها النبي ﷺ : وما يدريك أن الله أكرمك. قالت : لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : أما عثمان فقد جاءه والله اليقين وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٣٨-٢٣٩) .

(٢) انظر : الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة (٢/ ٤٧٩-٤٨٠) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧-٢٨) .

(٤) جزء من حديث جبريل عليه السلام، أخرجه خ من حديث أبي هريرة ؓ، (الإيمان، ب : سؤال جبريل عن النبي ﷺ عن

الإيمان والإسلام والإحسان ٢٧/١ ح : ٥٠ والتفسير، ب : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان : ٣٤] ١٧٩٣/٤ ح :

٤٤٩٩) وم (الإيمان، ب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... ٣٩/١ ح : ٩ وأيضا من حديث عمر بن

الخطاب ٣٦-٣٧ ح : ٨)، واللفظ له .

(٥) البقرة الآية : ٣

(٦) انظر : العقيدة في الله (ص : ١٠) .

- وأنا رسول الله - ما يفعل به . قالت : فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا ^(١) .

فإنكار رسول الله ﷺ على أم العلاء في شهادتها لأبي السائب بأن الله قد أكرمه فيه تنبيه عظيم منه ﷺ لهذه الصحابية بأنها قد حكمت بحكم غيبي، وهذا لا يجوز لأنه لا يطلع على الغيب إلا الله عز وجل ^(٢) . فالأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله أو من شاء الله أن يعلمه منها ما شاء . قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول ﴾ ^(٣) .

والعقيدة كلها من أمور الغيب؛ فهي لا تعرف معرفة صحيحة نافعة إلا عن طريق الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فيجب على العباد أن لا يدخروا وسعا في تصحيح عقيدتهم التي هي ملاك أمرهم و رأس ما لهم بالتمسك بالكتاب والسنة في ضوء فهم السلف الصالح .

ضابط لا بد منه لفهم نصوص الكتاب والسنة :

ليس لكل أحد أن يفهم نصوص الكتاب والسنة على ما يشاء كما يفعل كثير من أهل الأهواء والبدع حيث يعتمدون على أفهامهم دون أن يرجعوا إلى أقوال السلف وفهمهم للنصوص، ثم يبحثون عن الأدلة لما قد قرروه عندهم مسبقا، فيحورون الأدلة، ويحرفون الكلم عن مواضعه حسب أهواءهم ورغباتهم، مع أن العقول متفاوتة، والرغبات والأهواء مختلفة متباينة. لذلك لا بد من مقياس يعلم به الحق من الباطل حتى لا يختلط الحابل بالنابل . والميزان الذي يعرف به الغث من السمين، والضابط الذي يتميز به الصحيح من السقيم هو الرجوع إلى فهم السلف الصالح في تفسير النصوص والنظر في أقوالهم والتمسك بآثارهم، وبه ينقطع الطريق على أهل الأهواء والبدع، وتدحض حججهم، ويظهر بطلان منهجهم وكذب دعاويهم، ويتبين مدى قرب الرجل من الحق الثابت من الكتاب والسنة وبعده عنه.

والأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم كثيرة أذكر بعضها منها :

قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

(١) أخرجه خ (الشهادات، ب : القرعة في المشكلات ٩٥٤/٢ ح : ٢٥٤١) .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١ - ١٠) ؛ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٣٠) .

(٣) الجن الآيتان : ٢٦-٢٧

وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴿^(١)﴾ وقال تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ^(٢) .

فقد رضي الله عز وجل عن السابقين الأولين رضاء مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وتوعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد من اتبع سبيلهم وسار على منهجهم بالجنة والرضوان. فهذا دليل صريح على تصحيح مسلكهم ومنهجهم، وأن المنهج الصحيح والمسلك السليم هو ما كان مأخوذاً عنهم ^(٣) .

وقال النبي ﷺ : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) ^(٤) .
فهذه الخيرية التي شهد النبي ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة تدل على تفضيلهم وسبقهم وجلالة قدرهم وسعة علمهم بشرع الله وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ ^(٥) .

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (لا يزال الناس بخير ما أتاها العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاها العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا) ^(٦) .
وبهذا يتبين وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بما في ضوء فهم السلف الصالح في أبواب الدين عموماً، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصاً ^(٧) .

(١) التوبة الآية : ١٠٠

(٢) النساء الآية : ١١٥

(٣) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص : ٥٥-٥٦) .

(٤) جزء من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أخرجه خ (الشهادات، ب : لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ٩٣٨/٢ ح : ٢٥٠٩ وفضائل الصحابة، ب : فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ١٣٣٥/٣ ح : ٣٤٥١ والرقائق، ب : ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٢٣٦٢/٥ ح : ٦٠٦٥)، وم (فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، ب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ١٩٦٣/٤ ح : ٢٥٣٣) .

(٥) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص : ٥٧) .

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (ب : ما جاء في قبض العلم ٦٢٣/٢ ح : ٧٦٤)، رجال الإسناد كلهم ثقات، وقد صحح إسناده بحقق الكتاب .

(٧) يحسن الرجوع لمن أراد المزيد من الأدلة الدالة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم إلى : صحيح البخاري (كتاب الاعتصام ٢٦٥٣-٢٦٨٣)؛ وسنن أبي داود (كتاب السنة ١٩٧/٤-٢٤٦)؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١٣-٥٠/١)؛ والمحجة في بيان المحجة (٢١١-٢١٠/١ و ٢٢٢-٢٢١ و ٤٠٨-٤٠٥/٢) .

الباب الأول : خلق آدم ﷺ وبيان أنه أصل الإنسان

والرد على من خالف في ذلك . وفيه تمهيد وفصلان .

التمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية .

الفصل الأول : خلق آدم ﷺ وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة .

الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان وبيان بطلانها .

تمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية .

معنى (آدم) :

الهمزة والذال والميم أصل واحد، وهو الموافقة والملاءمة يقال : آدم الله بينهما يأدم أدما وآدم الله بينهما يؤدم إيداما؛ أي : جعل المحبة والاتفاق بينهما ^(١).
الأُدْمَةُ : الخلطة، يقال : بينهما أُدْمَةٌ ومُلْحَةٌ؛ أي : خُلِطَتْ، ويقال: أَدَمْتُ بين الشيئين إذا خلطت بينهما ^(٢).
الأُدْمَةُ : الوسيلة إلى الشيء، يقال : فلان أَدَمَتِي إليك؛ أي : وسيلتي إليك؛ وذلك لأن المخالف لا يتوصل به ^(٣).
الأُدْمَةُ : الأسوة والقدوة، يقال : جعلت فلانا أُدْمَةَ أهلي؛ أي : أسوتهم؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد وفق بينهم ^(٤).
الأُدْمَةُ : باطن الجلد الذي يلي اللحم، والبشرة ظاهرها؛ لأنها أحسن ملاءمة لحلم من البشرة ^(٥)، وأدم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها ^(٦)، والإِدام واللأدم : ما يؤتدم به مع الخبز ^(٧).
الأُدْمَةُ في الناس : شربة من سواد، وهي السمرة، والأَدَمُ من الناس : الأسمر، يقال : رجل آدَمُ، وفي الإبل والظباء : البياض، يقال : بعير آدم وناقة أدماء، وظبي آدم وظبية أدماء ^(٨).

-
- (١) انظر : العين (٨٨/٨ مادة : آدم)؛ وتهذيب اللغة (٢١٤/١٢ مادة : آدم)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٧٢/١ مادة : آدم) .
(٢) انظر : العين (٨٨/٨)؛ والراهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١) .
(٣) انظر : تهذيب اللغة (٢١٤/١٢)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٧٢/١) .
(٤) انظر : تهذيب اللغة (٢١٤/١٢)؛ والصاحح تاج اللغة وصحاح العربية (١٨٥٨/٥ - ١٨٥٩) مادة : آدم ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٧٢/١) .
(٥) انظر : الصاحح (١٨٥٨/٥ - ١٨٥٩)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٧٢/١) .
(٦) انظر : العين (٨٨/٨)؛ وتهذيب اللغة (٢١٥/١٢) .
(٧) انظر : تهذيب اللغة (٢١٥/١٢) .
(٨) انظر : العين (٨٨/٨)؛ والاشتقاق (ص : ٧١)؛ وتهذيب اللغة (٢١٤/١٢)؛ والصاحح (١٨٥٨/٥ - ١٨٥٩)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٠) .

أصل اسم " آدم " الذي سمي به آدم أبو البشر عليه السلام :

اختلف أهل اللغة في كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر عليه السلام، فمنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، ومنهم من يرى أنها كلمة عربية، ومنهم من ذهب إلى الجمع بين القولين . وعلى هذا، الكلام في كلمة آدم يتلخص في ثلاثة أقوال، وهي كالتالي :

القول الأول : ذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر عليه السلام كلمة أعجمية وقالوا : إن آدم اسم أعجمي، لا اشتقاق فيه، وأقرب أمره أن يكون على وزن فاعل بفتح العين، وهذا كثير في الأسماء مثل : آزر وعازر وعابر وشاخ وفالغ وأشباه ذلك . وإن اشتقاق آدم من الأذمة أو الأذمة بالفتح بمعنى الأسوة، أو من أديم الأرض وهو وجهها، أو من الأدم أو الأذمة بمعنى الألفة - لا يخلو من التعسف، كاشتقاق إدريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وإبليس من الإبلاس، وإسرئيل من الإسرال .

فمن ادعى الاشتقاق في كلمة آدم؛ وزعم أنها على وزن أفعل فغير صواب؛ لأنه قد نص التصريفيون على أن الاشتقاق إنما يكون من الألفاظ العربية؛ ولا يكون في الأسماء الأعجمية ^(١). قال الثعلبي : (التراب بالعبرانية آدام، فسمي آدم به) ^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر ^(٣) : (آدم اسم سرياني، وهو عند أهل الكتاب آدام بإشباع فتحة الدال بوزن خانام، وزنة فاعال، وامتنع صرفه للعلمية والعجمة) ^(٤).

وقال الدكتور/ ف . عبد الرحيم - حفظه الله - : هو بالعبرية אָדָם وبالسريانية ܐܕܡ ^(٥).

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٥٢/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٨٤/١-٢٨٥)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٦/١-٣٧)؛ وتفسير البحر المحيط (٢٨٥/١) .

(٢) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ٣٦٤/٦)؛ والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن ٥٨/٤) .

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، إمام حافظ محدث مورخ أديب شاعر، كثير التصانيف في الحديث النبوي وعلومها، وقد ترجم له السخاوي في مؤلف خاص سماه : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، توفي سنة ٨٥٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٠/٢-٢١) .

(٤) فتح الباري (٣٦٤/٦) .

(٥) انظر : العرب والدخيل في اللغة العربية (ص : ١-٢)؛ والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام (ص : ١٩-٢١)؛ والعرب للجواليقي بتحقيقه (ص : ١٠٣) .

وخلاصة هذا القول أن كلمة "آدم" اسم أعجمي، وأنه منع من الصرف للعجمة والعلمية^(١).
 واستشهد له بجمع آدم على "أوادم" بالواو لا "أأدم"^(٢)، وبتصغيره على "أويدم" لا "أأيدم"^(٣)؛ لأن الجمع المكسر والتصغير كل واحد منهما يرد الكلمات إلى أصلها ووجود الواو في جمع التكسير وفي التصغير وعدم وجودها في أصل مادة كلمة "آدم" يشعر بأن الكلمة غير عربية.
 ويقول النحاة: أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف إلا ستة يجمعها "صن شمله"^(٤) "ع"^(٥).
 وهذا الاستشهاد فيه نظر.

أولاً: لأن كلمة "أوادم" بالجمع أصلها "آدم"، وكلمة "أويدم" بالتصغير أصلها "أأيدم".
 اجتمعت همزتان متحركتان في كلمة واحدة، ووقعت الهمزة الثانية المفتوحة بعد همزة مفتوحة في "آدم" وبعد همزة مضمومة في "أأيدم"؛ أي: وقعت الهمزة الثانية بعد همزة متحركة غير مكسورة، فقلبت الهمزة الثانية واوا؛ لأن الثقل وقع بها، فصارت "أوادم" بالجمع، و"أويدم" بالتصغير^(٦).
 فالصرفيون متفقون على رد الألف في "آدم" إلى أصلها، وهو الهمزة في الجمع وفي التصغير لكنه عرض للهمزة فيهما غرض أوجب قلبها واوا^(٧)، فالواو منقلبة عن همزة وهي موجودة في أصل مادة كلمة "آدم"، فاتفقت كلمة "آدم" مع جمع التكسير والتصغير في الأصل، فلا يصح الاستدلال بالواو الموجودة في جمع التكسير وفي التصغير على كون اسم "آدم" أعجمياً غير عربي.

(١) وأيضاً من ذهب إلى القول بأعجمية كلمة "آدم" الرخشي في (الكشاف ٢٥٢/١)؛ وابن الأنباري في (البيان في غريب إعراب القرآن ٧٤/١)؛ والبيضاوي في (أنوار التنزيل ١٣٧/١)؛ والنسفي في (مدارك التنزيل ٧٨/١)؛ وأبو حيان في (تفسير البحر المحیط ٢٨٥/١)؛ والسمين الحلبي في (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٦٢/١)؛ وابن الهائم المصري في (البيان في تفسير غريب القرآن ص: ٧٤)؛ وابن عادل المشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٥١٢/١)؛ وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨٤/١)؛ والحي في (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ٣٧-١٣٩)؛ وعبد القادرين أحمد بدران في (جواهر الأفكار ومعدن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار ص: ١٥٣)؛ ومحمد زكريا الكاندهلوي في (أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٢٥٤/٢)؛ ومحي الدين الدرويش في (إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٠/١).
 (٢) انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٨/١)؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٢٣/١).

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٢٣/١).
 (٤) تفصيله: صالح و محمد وشعيب ونوح وهود ولوط عليهم السلام.
 (٥) انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٧-١٣٩).
 (٦) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢١٦/٤)؛ وتوضيح الصرف (ص: ٢٦-٣٠).
 (٧) انظر: شرح شافية ابن الحاجب (٢١٣/١).

وثانيا : كون الكلمة ممنوعا من الصرف لا يلزم منه أن تكون الكلمة أعجمية لوجود كلمات كثيرة عربية ممنوعة من الصرف مع عدم العجمة فيها؛ فإن العجمة ليست هي السبب الوحيد لكون الكلمة ممنوعا من الصرف، وإنما هي سبب من أحد الأسباب المانعة من الصرف، فكلمة " أحمد " من أسماء النبي ﷺ ممنوعة من الصرف، وهي كلمة عربية بالاتفاق، منعها من الصرف العلمية ووزن الفعل، فالاستدلال بكون كلمة " آدم " ممنوعا من الصرف على أعجميتها استدلال غير وجيه، ولا يخلو من النظر فيه، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : ذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن كلمة " آدم " كلمة عربية ^(١).

والذين قالوا بأنها كلمة عربية اختلفوا في بيان وزنها، وما اشتقت منه، وبيان وجه تسمية آدم ﷺ بها على أقوال، وهي كالتالي :

١- إن كلمة " آدم " على وزن فاعل مثل : خاتم وطابق وعالم، وهو مشتق من أديم الأرض، وهو وجهها، وسمي به لأنه خلق من أدمة الأرض وتراهما. ولكن رد هذا الاشتقاق قطرب ^(٢) وقال : لا يصح في العربية أن يكون " آدم " مأخوذا من أديم الأرض؛ لأنه لو كان كذلك لكانت الهمزة الأولى أصلية والهمزة الثانية زائدة، وكان على وزن فاعل بفتح العين مثل : خاتم وعالم وطابق، فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، فمن زعم أنه فاعل من أديم الأرض فخطؤه ظاهر لعدم صرفه ^(٣).

(١) ممن ذهب من أهل اللغة إلى أن كلمة " آدم " كلمة عربية خليل بن أحمد الفراهيدي في (العين ٨/٨٨)؛ وابن جرير الطبري في (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/٢١٤-١١٥)؛ والزجاج في (معاني القرآن وإعرابه ١/١١٢)؛ وابن دريد في (الاشتقاق ص : ٧١)؛ والجوهري في (الصحاح ٥/١٨٥٨-١٨٥٩)؛ وابن فارس في (معجم مقاييس اللغة ١/٧٢)؛ ومكي بن أبي طالب القيسي في (مشكل إعراب القرآن ١/٨٧)؛ والجواليقي في (المغرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم ص : ١٠٣)؛ وابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث ١/٣٢)؛ وحسين بن أبي العزهماني في (الفريد في إعراب القرآن المجيد ١/٢٦٧-٢٦٨)؛ والقرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٩ و ٢٨١) وغيرهم .

(٢) هو محمد بن المستنير أبر علي، النحوي المعروف بقطرب، من تلامذة سيويه والملازمين له، مات سنة ٢٠٦ هـ . انظر : بغية الوعاة (١/٢٤٢-٢٤٣ برقم : ٤٤٤) .

(٣) ذكره عنه غير واحد، انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٤٨٩)؛ وتفسير مبهمات القرآن (١/١٤٢) وانظر أيضا : تفسير البحر المحيط (١/٢٨٥)؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ٧٤)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٢٦٢)؛ واللباب في علوم الكتاب (١/٥١٢) .

٢- إن كلمة " آدم " على وزن " أفعل "، وأصله " أأدم " بهمزتين، اجتمع في كلمة همزتان في غير موضع العين مثل : سئال، وتحركت أولاهما وسكنت ثانيتهما وجب التخفيف، وذلك بإبدال الثانية مدة تجانس حركة الأولى، فقلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصار " آدم " نحو : " آخر " و " آدر "، وأصله " أآخر " و " أأدر " فقلبوا الهمزة الثانية الساكنة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها ^(١).

والذين قالوا بأن كلمة " آدم " على وزن " أفعل " اختلفوا في بيان ما اشتقت منه، وسبب تسمية آدم بها على ثلاثة أقوال :

أ- إن آدم مشتق من أديم الأرض لكنه ليس على وزن فاعل بل هو على وزن أفعل، دخلت الهمزة الرائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأدمة، فكما أن أول الأدمة همزة أصلية فكذلك أول الأديم همزة أصلية، فلا يمتنع أن يبنى منه " أفعل " فيكون غير منصرف كما يقال : رجل أعين وأرأس من العين والرأس، وأسوق وأعنق من الساق والعنق، ويكون ممنوعا من الصرف لوزن الفعل والعلمية ^(٢).

وهذا التوجيه فيه نظر لأمرين :

الأمر الأول : الأصل في صيغة أفعل الدلالة على الوصف، وعلى القول باشتقاق كلمة " آدم " من أديم الأرض وهو وجهها ليس فيها من معنى الصفة شيء ^(٣) إلا أن يدخل فيها معنى اللون ؛ أي اللون المشبه بالتراب ^(٤).

والأمر الثاني : من شروط صيغة أفعل الدالة على الوصف أنها لا تصاغ إلا مما له فعل ثلاثي تام متصرف، وصياغتها من غيرها معدود في الشذوذ ^(٥).

(١) انظر : الصحاح (١٨٥٨/٥ - ١٨٥٩)؛ والبيان في غريب إعراب القرآن (ص : ٧٤)؛ وشرح ابن عقيل

على ألفية ابن مالك (٢١٦/٤)؛ وفتح القدير (٦٤/١) .

(٢) انظر : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية (١٤/١)؛ وتفسير مبهمات القرآن (١٤٢/١)؛ وفتح الباري (٣٦٤/٦) .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن (٨٧/١) .

(٤) من إفادات شيعي الدكتور / عبد الرزاق الصاعدي - حفظه الله - .

(٥) انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١٧٤/٣ - ١٧٥)؛ وشذا العرف في فن الصرف (ص : ٧٨ -

٧٩)؛ وتوضيح الصرف (ص : ٤٣) .

ولذلك عد السهيلي^(١) القول باشتقاق آدم من أديم الأرض على وزن أفعل من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم بالعربية و أفصح لسانا و أذكى جنانا^(٢).
 ب- إن كلمة آدم مشتق من الأدمة في اللون، وسمي بها آدم ﷺ لأدمة جعلها الله فيه^(٣).
 واختلفوا في بيان معنى الأدمة فزعم الضحاك أنها السمرة فأدم يكون معناه أسمر، وزعم النضر بن شميل^(٤) أنها البياض، وأن آدم ﷺ كان أبيض أخذنا من قولهم : ناقة أدماء : إذا كانت بيضاء^(٥).
 ويرى ابن دريد^(٦) أن اللغة تحتمل الاثنين فقال : (إنه مشتق إما من قولهم : رجل آدم يبين الأدمة وهي سمرة كدرة، أو من قولهم : ظي آدم، والآدم من الظباء : الطويل القوائم و العنق الناصع بياض البطن...)^(٧).

وعلى هذا القول أيضا لا ينصرف لوزن الفعل والعلمية .

ج- ويجوز أن يكون " آدم " مأخوذا من قولهم : أدمت بين الشيئين إذا خلطت بينهما، وسمي به " آدم " أبو البشر ﷺ؛ لأنه خلق من عناصر مختلفة وقوى متفرقة، حيث كان ماء و ترابا خلطا جميعا، ثم نفخ فيه الروح، وجعل له العقل و الفهم^(٨).
 ٣- إن كلمة آدم على وزن " أفعل " من باب إفعال ؛ أي : آدم يودم إيداما، فأدم ليس بصيغة وصف، وإنما هو فعل ماض رباعي بالزيادة، سمي به أبو البشر، كما سمي أحمد من الإحماد، وأسعد من الإسعاد؛ فلذلك لم يجر، ويكون تأويله حينئذ آدم الملك الأرض يعني به أبلغ

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو زيد وأبو القاسم الخثعمي السهيلي، كان عالما بالعربية واللغة والقراءات، توفي سنة ٥٨١هـ انظر: بغية الوعاة (٢/ ٨١) برقم : ١٤٩١ .

(٢) انظر : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية (١٤/١) .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن (٨٧/١)؛ وزاد المسير (٦٢/١) .

(٤) النضر بن شميل المازني، النحوي البصري، مات سنة ٢٠٤هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٣٥) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥١٢/١) .

(٦) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من كبار أئمة اللغة، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر : بغية الوعاة (٧٦/١ برقم : ١٣٠) .

(٧) الاشتقاق (ص : ٧١) .

(٨) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١)؛ ومفردات ألفاظ القرآن : (ص : ٧٠)؛ وفتح الباري (٦/ ٣٦٤) .

أدبتها، ثم نقل من الفعل، فجعل اسماً للشخص بعينه . هذا ما ذهب إليه ابن جرير الطبري^(١)، ولكن استبعده أبو حيان^(٢) وابن الهائم^(٣).

والصواب : إن أبا البشر آدم ﷺ سمي بهذا الاسم قبل أن توجد هذه اللغات إذ سماه الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم قبل أن ينزل إلى الأرض، واللغات التي يتكلم بها الناس وجدت بعد ذلك؛ فالله أعلم حقيقة كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر في عالم الغيب ولكن نحن نبحث عن هذه الكلمة التي بينها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ - فعندما ننظر إليها حسب قواعد اللغة العربية وضوابطها فيترجح لدينا أن أصل هذه الكلمة أعجمية ثم ألحقت للعرب فعربتها بألستها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية فهي قبل التعريب كانت أعجمية، وبعد التعريب أصبحت عربية^(٤)، وكذلك يمكن أن تكون كلمة "آدم" التي هي موضع بحثنا هنا من الكلمات التي توافقت عليها اللغات العبرية والسريانية والعربية، فإن آدم ﷺ أبو البشر جميعاً، وكونهم يتفقون على اسمه ليس ببعيد، والله أعلم .

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٤/١ - ٢١٥) .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط (٢٨٥/١)، وأبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياتي، الشهير بأبي حيان، إمام في القراءة والتفسير والنحو والتصريف، كانت وفاته بمصر سنة ٧٤٥هـ . انظر : الدرر الكامنة (٣٠٢/٤)؛ والتفسير والمفسرون (٣١٧/١) .

(٣) انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ٧٤)، وابن الهائم هو أحمد بن محمد بن عماد، أبو العباس القرافي المصري ثم القدسي الشافعي، يعرف بابن الهائم، مات سنة ٨١٥هـ . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٣١١ برقم : ٣٩٤) .

(٤) انظر : جمهرة اللغة (٢٥٨/٢)؛ والكشاف (٣١٨/٥ ، الزمر : ٦٣)؛ والمعرب من الكلام الأعجمي على الحروف المعجم (ص : ٩٢)؛ والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص : ٦٥)؛ وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٨/١)؛ وروح المعاني (٢٢٣/١) .

الفصل الأول : خلق آدم ﷺ وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة،
وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده.

المبحث الثاني : وقت خلق آدم ﷺ .

المبحث الثالث : مكان خلق آدم ﷺ .

المبحث الرابع : مادة خلق آدم ﷺ ومراحل خلقه.

المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم ﷺ .

المبحث السادس : كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ وإثبات صفة الكلام لله تعالى من

خلال النصوص المتعلقة بآدم ﷺ.

المبحث السابع : صفات آدم ﷺ، والكلام على حديث : ((إن الله خلق

آدم على صورته)) .

المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم ﷺ، والتي كان يتكلم بها آدم ﷺ .

المبحث التاسع : خلق زوج آدم ﷺ .

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده .

إن الله تعالى خلق أبا البشر آدم ﷺ، وخصه بفضائل وميزات لم يشاركه فيها أحد من بنيهِ، ومن أول تلك المميزات والخصائص التي اختص بها آدم ﷺ : أن الله تبارك وتعالى كرمه بخلقه بيديه . وقد بين الله ذلك في كتابه المبين وعلى لسانه رسوله الكريم، واعتقده المؤمنون بالله ورسوله من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن كفر به وجحدته وأنكره فقد كفر بالقرآن العظيم، ورد السنة النبوية، وخالف الأمة المحمدية ^(١).

الدليل من الكتاب :

قال الله تعالى : ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ ^(٢) . فسأله سبحانه وتعالى عاتب إبليس على عدم امتثال أمره بالسجود لآدم ﷺ الذي شرفه الله وكرمه بخلقه بيديه تعالى .

الأدلة من السنة :

لقد جاءت السنة موافقة لكتاب الله، ومقررة لما بينه الله في الكتاب، فقد جاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يبين أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيده، وأن الله جعل ذلك خاصة بآدم دون غيره من البشر، وأكتفى بذكر ثلاثة أحاديث منها :

١- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناك ^(٣)،

(١) انظر : الشريعة (١١٧٨/٣) .

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) لست هناك؛ أي : لست أهلاً لذلك . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٥٥/١) .

ويذكر ذنبه فيستحي، اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث (١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى (٢).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه (٣).

(١) أخرجه خ (ب : قول الله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] ١٦٢٤/٤ ح : ٤٢٠٦) ، واللفظ له ؛ وم (الإيمان ، ب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٠ ح : ١٩٣) .

(٢) أخرجه خ (التفسير ، ب : قوله : ﴿ واصطعكتك لنفسي ﴾ [طه : ٤١] ١٧٦٤/٤ ح : ٤٤٥٩) ؛ وم (القدر ب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٣/٤ ح : ٢٦٥٢) ؛ واللفظ له .

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في " المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (ب : في فضل يوم الجمعة ٤٤٤/٢ ح : ١٩٢٣) بإسنادين : أولهما : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ، وبه يلتقي مع شيخ الإمام مسلم قتيبة بن سعيد . والإسناد الثاني : ثنا أبو حفص الخطابي ، ثنا أبو مسلم الكشي ، ثنا الحجي ، وبه يلتقي مع شيخ الإمام مسلم المغيرة بن عبد الرحمن . ورجال الإسنادين ثقات أثبات بدور وأقمار . أبو عمرو بن حمدان هو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري انظر ترجمته في : المقتنى في سرد الكنى (٤٣٦/١ برقم : ٤٧٤١) ؛ وميزان الاعتدال (٤٥٧/٣ برقم : ٧١٤١) ؛ ولسان الميزان (٣٨/٥ برقم : ١٢٧) . والحسن بن سفيان هو ابن عامر أبو العباس الشيباني الخراساني . انظر ترجمته في : الجرح والتعديل (١٦/٣ برقم : ٦٠) ؛ وسير أعلام النبلاء (١٥٧/١٤) . وأبو حفص الخطابي هو فاروق بن عبد الكبير بن عمر . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٦) . وأبو مسلم الكشي هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم المعروف بالكشي وبالكشي . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد (١٢٠/٦ - ١٢٤) ؛ وسير أعلام النبلاء (٤٢٣/١٣) . والحجي هو عبد الله بن عبد الوهاب أبو محمد . انظر ترجمته في : الجرح والتعديل (١٠٦/٥ برقم : ٤٨٦) ؛ وسؤالات أبي عبيد الآجري (٢٣١/٣ برقم : ٢٨٠) ؛ والثقات لابن حبان (٣٥٣/٨ برقم : ١٣٨٣٧) ؛ والكاشف (٥٧٠/١ برقم : ٢٨٣٤) ؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣١٢ برقم : ٣٤٤٩) والحديثان قبلهما يشهدان له فهو صحيح والله أعلم بالصواب .

دليل الإجماع : اتفق المسلمون كلهم على أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيده .

قال الآجري ^(١) : (يقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم ﷺ بيده : كفر بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة) ^(٢) .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيده كما ذكر ذلك في الكتاب والسنة ... وهذا يقوله جميع من يدعى الإسلام سنيهم ومبتدعهم بل وعليه أهل الكتاب) ^(٣) .

من أقوال السلف الصالح :

لقد ثبت أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيده كما سبقت الأدلة على ذلك في ضوء الكتاب والسنة وإجماع الأمة . لذلك جاءت أقوال كثيرة من السلف الصالح، منبثقة من نور الوحي، فيها إيمان وإقرار وبيان وتوضيح بأن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيده، وأكتفي بذكر بعض منها :
قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده : آدم ﷺ، والقلم، والعرش، وجنات عدن . ثم قال لسائر الخلق : كن فكان ^(٤) .
وقال كعب الأحبار ^(٥) : لم يخلق الله بيده غير ثلاث : خلق آدم ﷺ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها : تكلمي . قالت : « قد أفلح المؤمنون » ^(٦) ^(٧) .

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري، قال عنه الخطيب : (كان ثقة صدوقا دينيا)، وقال الذهبي : (كان صدوقا خيرا عابدا صاحب سنة واتباع)، توفي بمكة سنة ٣٦٠ هـ . انظر : تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣)؛ وسير إعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣) .
(٢) الشريعة (٣/ ١١٧٨) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٦٥) .

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ والآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٢-١١٨٣ برقم : ٧٥٦)؛ وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥-١٥٥٦ برقم : ١٠١٨)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٢٩ برقم : ٧٢٩)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٦ برقم : ٦٩٣)؛ وكم (التفسير، سورة الأعراف، ب : خلق الله أربعة أشياء بيده ٣١٩/٢) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وقال في (الغلو للعللي الغفار ص : ٨٢ برقم : ١٨٥) : (إسناده جيد)؛ وصححه الألباني في (مختصر العلو ص : ١٠٥ برقم : ٥٣) على شرط مسلم .
(٥) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم، مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد زاد على المائة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦١ برقم : ٥٦٤٨) .

(٦) المؤمنون الآية : ١

(٧) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ والآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٥ برقم : ٧٥٩)، وصححه الألباني إسناده في مختصر العلو (ص : ١٣٠ ضمن كلامه على الأثر برقم : ١٠٤) .

وقال حكيم بن جابر ^(١): أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس إلا ثلاثة أشياء :
غرس الجنة بيده، وخلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده ^(٢).
وقال ميسرة ^(٣): إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث : خلق آدم عليه السلام
بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده ^(٤).

-
- (١) حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسي، ثقة، مات في آخر إمارة الحجاج سنة ٨٢هـ، وقيل : سنة ٩٥هـ، وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب (٥٨٥/١ برقم : ١٧٣٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ١٧٦ برقم : ١٤٦٧) .
- (٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١١٨٣/٣ برقم : ٧٥٧)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢٩٥/١ برقم : ٥٧٠)؛ وأبو بكر النجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (ص : ٦٧ برقم : ٩٨)؛ وذكره الذهبي في العلو للعلي الغفاري (ص : ١٢٥ ح : ٣٣١)، وصححه الذهبي في الأربعين (ص : ٨٠ برقم : ٧٧)؛ والألباني في مختصر العلو (ص : ١٣٠ برقم : ١٠٤) .
- (٣) ميسرة أبو صالح، مولى كندة، مقبول، ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثالثة ، يعني الطبقة الوسطى من التابعين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٢ و ص : ٥٥٥ برقم : ٧٠٤٠) .
- (٤) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ وقال الشيخ الألباني في (مختصر العلو ص : ١٣٠ ضمن تعليقه على الأثر برقم : ١٠٤) : (رجاله ثقات) .

المطلب الثاني : إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وبيان موقف الطوائف المخالفة منها والرد عليها .

أولا : بيان ثبوت صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته :

إن صفة اليد ثابتة لله تعالى على الصفة التي تليق به تعالى، وقد ورد ذكر صفة اليد لله تعالى في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا، متصرفا فيه، مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقية ^(١). وقد تقدم ذكر بعض ما يبين ثبوت صفة اليد لله تعالى من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأقوال السلف الصالح في المطلب السابق عند ذكر الأدلة على خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده . وهنا أذكر بعض الأدلة الأخرى غير المذكورة، الدالة على ثبوت صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته .

الأدلة من الكتاب :

● قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا إِمَّا يَبُولُ آيِدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ^(٢).

فإن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى، ولعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده بل رد عليهم، وبين أنها يدان مبسوطتان؛ فليس كما زعموا ^(٣).

● وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٦).

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٧٠/٢) .

(٢) المائدة الآية : ٦٤

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٥٨/٢) .

(٤) آل عمران الآية : ٢٦

(٥) آل عمران الآية : ٧٣

(٦) الملك الآية : ١

فهذه الآيات مشتملة على شيئين : أحدهما : إثبات اليد .

والآخر : إضافة الملك والعمل إليها . وهذا يقع فيه التجوز كثيرا، أما الأول فإنه لا يطلق

هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة؛ ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء، فهب أن قوله : ﴿ بيده

الملك ﴾ قد علم أن المراد منه بقدرته، لكن لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة ^(١).

● وقال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ^(٢).

وقد جاء تفسير الآية وبيانها عن أعلم الخلق بالله، و أعرف الخلق بمراد الله تعالى؛ فعن

عبد الله بن مسعود ؓ قال : جاء خبر إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله

تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على

إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول : أنا الملك ! أنا

الملك ! فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الخبر تصديقا له ! ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره

والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ^(٣).

فالقبض، والطى، والإمسك، والهز، والإصبع، واليمين، هذه كلها من صفات اليد

الحقيقية، ولا تحتل غيرها بوجه من الوجوه .

الأدلة من السنة :

عن أبي هريرة ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقبض الله الأرض، ويطوي

السموات بيمينه، ثم يقول : أنا الملك ! أين ملوك الأرض ؟ ^(٤).

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٠/٦)؛ ومختصر الصواعق المرسلة ... (١٥٩/٢-١٦٢) .

(٢) الزمر الآية : ٦٧

(٣) الحديث أخرجه خ (التفسير، سورة الزمر، ب : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [الزمر : ٦٧] ١٨١٢/٤ ح :

٤٥٣٣)؛ وم (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٧/٤ ح : ٢٧٨٦)؛ واللفظ له .

(٤) أخرجه خ (التفسير، سورة الزمر، ب : قوله : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ [الزمر : ٦٧]

١٨١٢/٤ ح : ٤٥٣٤)، واللفظ له؛ وم (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ح : ٢٧٨٧) .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول : أنا الملك ! أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول : أنا الملك ! أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟^(١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر؛ نزلا لأهل الجنة ... الحديث^(٢).

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه، فيقول : أنا الله ! ويقبض أصابعه، ويسطها، أنا الملك !^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : يرحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائمتهم جلوس - فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له - ويداه مقبوضتان - : اختر أيهما شئت . قال : اخترت يعين ربي، وكلتا يدي ربي يعين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ... الحديث^(٤).

(١) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ح : ٢٧٨٧) .

(٢) أخرجه خ (الرقاق ، ب : يقبض الله الأرض يوم القيامة ٢٣٨٩/٥ ح : ٦١٥٥)؛ وم (صفة القيامة والجنة والنار ، ب : نزل أهل الجنة ٢١٥١/٤ ح : ٢٧٩٢) .

(٣) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨-٢١٤٩ ح : ٢٧٨٨) .

(٤) أخرجه ت (أبواب التفسير ، الباب الذي يلي سورتي المعوذتين ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨)، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في السنة (ب : ذكر أخذ ربنا الميثاق من عباده ٩١/١ ح : ٢٠٦)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧)؛ وكم (الإيمان ب : قصة خلق آدم ... ٦٤/١)؛ والبيهقي في السنن الكبرى (ب : الإختبار في الإشهاد ١٤٧/١٠ ح : ٢٠٣٠٧) قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ)، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي ؛ وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٨١/٣ ح : ٣٣٦٨) : (حسن صحيح)؛ وقال في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم : (إسناده حسن) ؛ وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيمين في كتابه (أخذ الميثاق ... ص : ١٩ ح : ٢) بعد دراسة وافية : صحيح لغیره .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ﴾ ^(١) فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ... الحديث ^(٢) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأفهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأفهم الحمم، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كتفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي ^(٣) .

فهذه الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين ثبوت صفة اليد الحقيقية لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، ولا تحتل التأويل بحال من الأحوال؛ فإن القبض، والأخذ، والمسح، والطي، والبسط، والإصبع، والكف، واليمين، والشمال كلها من صفات اليد الحقيقية، فلا يصح حمل اليدين الثابتين لله تعالى في ضوء النصوص الثابتة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا على اليد الحقيقية .

من أقوال السلف :

قال عكرمة : قوله تعالى : ﴿ بل يدها مبسوطتان ﴾ قال : يعني اليدين .

(١) الأعراف الآية : ١٧٢

(٢) أخرجه د (السنة ، ب : في القدر ٢٢٦/٤ ح : ٤٧٠٣) ، واللفظ له ؛ و ت (التفسير ، سورة الأعراف ٥/٢٦٦ ح : ٣٠٧٥) وقال : (هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا) ؛ و ح (ذكر إخراج الله جل و علا من آدم ذريته ... ٣٧/١٤ ح : ٦١٦٦) ؛ و كم (التفسير ، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعا ... ٣٢٤/٢-٣٢٥) وقال : (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٥٠/٣ ح : ٤٧٠٣) ، وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيمين في " أخذ الميثاق " (ص : ١٤ ح : ١) بعد دراسة وافية : (حديث حسن) ، وسيأتي تفصيل مزيد عن هذا الحديث في (ص : ٦٠٦-٦٠٧) .

(٣) أخرجه حم (٤٨١/٤٥ ح : ٢٧٤٨٨) ، واللفظ له ؛ واليزار كما في (كشف الأستار ٢١/٣ ح : ٢١٤٤) ؛ وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق ٣٩٧/٧ في ترجمة آدم برقم : ٥٧٨) قال اليزار : (لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ، وإسناده حسن) . وقال الهيتمي في (مجمع الزوائد ١٨٥/٧) : (رواه أحمد واليزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح) . وقال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة ١٠/١٦٥ ح : ١٠٢٧٢) : (رواه ثقات) . وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٤/١ ح : ٤٩) : " إسناده صحيح " .

وقال نافع بن عمر الجمحي ^(١) : سألت ابن أبي مليكة ^(٢) عن يد الله تعالى واحدة أو اثنتان ؟ قال : بل اثنتان .

وقال عاصم الجحدري ^(٣) قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ قال : بيديه ^(٤) .
وقال الإمام أبو حنيفة : (ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفة بلا كيف) ^(٥) .
وقال الإمام أحمد : (قلب العبد بين أصبعين ، وخلق آدم بيده ، وكل ما جاء الحديث مثل هذا قلنا به) ^(٦) .

قال أبو الحسن الأشعري ^(٧) : (وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى ، وأن له تعالى يدين مبسوطتين ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه) ^(٨) .
قال أبو بكر الإسماعيلي ^(٩) : (وخلق آدم بيده ، ويدها مبسوطتان ينطق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يدها ؛ إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف) ^(١٠) .

-
- (١) نافع بن عمر بن جميل الجمحي المكي ، ثقة ثبت ، مات سنة ١٦٩ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٥٨ برقم : ٧٠٨٠) .
(٢) عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة ، بالتصغير ، التيمي المدني ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، ثقة فقيه ، مات سنة ١١٧ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣١٢ برقم : ٣٤٥٤) .
(٣) عاصم بن العجاج الجحدري البصري ، أبو الجحش المقرئ ، وهو عاصم بن أبي الصباح ، أخذ عنه جماعة قراءة شاذة ، فيها ما ينكر . انظر : ميزان الاعتدال (٣٥٤/٢ برقم : ٤٠٥٧) .
(٤) هذا الآثار الثلاثة أخرجها الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٨) . قال شيخنا الدكتور منصور بن عبد العزيز السماري في تحقيقه للكتاب المذكور (ص : ١٢٢-١٢٣) بأنها صحيحة متصلة الأسانيد إلى أصحابها .
(٥) الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة مع شرحه "الشرح الميسر" لمحمد الخميش (ص : ٤٢) .
(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٣٠٧/١) .
(٧) علي بن إسماعيل بن إسحاق ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله ، كان معتزلياً ، ثم رجع إلى مذهب ابن كلاب ، ثم من الله عليه بالرجوع إلى مذهب السلف ، توفي سنة ٣٢٤ هـ . انظر : تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) ؛
ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٨/٣ و ٧٢/٤) .
(٨) رسالة إلى أهل الثغر (ص : ٢٢٥-٢٢٦) .
(٩) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي ، قال عنه الذهبي : الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام ، مات سنة ٣٧١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٩٢/١٦) .
(١٠) اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص : ٥١) .

وقد حكى الإجماع عن أهل السنة على ذلك قوام السنة أبو القاسم التيمي^(١) فقال : (ومذهب أهل السنة إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد وسائر ما أخبر الله به عن نفسه، وليس قولنا : أن الله وجهها ويدها موجبا تشبيهه بخلقه أصلا بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق، نقول ما قال، ولا نزيد شيئا، وحسبنا الله ونعم الوكيل)^(٢).

فأهل السنة والجماعة يعتقدون بثبوت يدين لله تعالى، وأنهما صفتان من صفات ذاته كما يليق بالله جل جلاله و يصلح لذاته سبحانه، وأن حكمها حكم جميع صفاته من حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وكلامه، فيثبتون جميع صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ إثباتا بلا تمثيل، وتزيها بلا تعطيل على وفق قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(٣) ^(٤).

ثانيا : بيان موقف الطوائف المخالفة من إثبات صفة اليد لله تعالى والرد عليها :

لقد خالف أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به سبحانه طائفتان : طائفة بالغت في الإثبات حتى وقعت في القول بالتشبيه، وطائفة بالغت في التزيه فرارا من التشبيه حتى وقعت في التعطيل .

(١) إسماعيل بن محمد بن الفضل الملقب بقوام السنة، قال عنه أبو موسى المديني : كان قدوة أهل السنة في زمانه .

توفي سنة ٥٣٥هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٠) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٩٥/١ - ١٩٦) .

(٣) الشورى الآية : ١١

(٤) انظر : التوحيد لابن خزيمة (١١٨/١ - ٢٠١) ؛ والإبانة عن أصول الديانة (١٢٤/٢ - ١٤٠) ؛ والشرعية

(١١٨٥ - ١١٧٧/٣) ؛ والتوحيد لابن منده (٢١/٣ - ٢٣) ؛ والأسماء والصفات (١٠٨/٢ - ١٢٩) ؛ ومجموع فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٥/٤ و ١٩٥/٥ و ٣٦٢/٦ - ٣٧٢) ؛ ونقض تأسيس الجهمية (٥١٢/١ - ٥١٦) ؛

ومختصر الصواعق المرسلة (١٥٣/٢ - ١٧٤) ؛ وأضواء البيان (٢٩٠/٧ - ٣١٢) ؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة

النبوية (ص : ٣٠٤ - ٣١٠) ؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣٦٥/٣ - ٣٧٦) ؛ واعتقاد أهل السنة لمحمد الحميس

(ص : ٢٦ - ٢٩) ؛ وصفات الله عز وجل لصالح المسند (ص : ٤٣ - ٥٢) .

الطائفة الأولى : وهم أهل التشبيه والتمثيل ^(١) الذين يعتقدون أن صفات الله تعالى مماثلة لصفات المخلوقين، ووصف الله نفسه أنه خلق آدم بيديه فهذا مفهومه مثل مفهومه في حقنا فيقولون : يده كيدي ! تعالى الله عن ذلك .

هذا القول في غاية البطلان والسقوط إذ هو صريح في التشبيه المحرم الذي نفاه الله عز وجل، وأجمع على نفيه أهل السنة والجماعة، ودل عليه العقل من أن صفات الرب تعالى لا يشبهه فيها شيء من المخلوقات، ولا يماثل هو سبحانه في شيء من صفاته صفات المخلوقات ^(٢).

قال تعالى : « ليس كمثله شيء » وقال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » ^(٣) وقال تعالى : « فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ^(٤) وقال تعالى : « هل تعلم له سميا » ^(٥) وقال تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » ^(٦).

وانتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق معلوم بصريح العقل؛ إذ أحدهما خالق والآخر مخلوق، وأحدهما رب والآخر مربوب، وأحدهما له صفات الكمال من جميع الوجوه غني بذاته عما سواه والآخر ناقص وفقير و محتاج إلى من يساعده ويكمّله، فكيف يصح أن يقال : أن الرب الخالق الغني الكامل من جميع الوجوه مشابه في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله ؟ ^(٧).

(١) من الذين قالوا بالتشبيه والتجسيم هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي الرافضي، ويونس بن عبد الرحمن القمسي، وأبي جعفر الأحول الذي كما يدعى شيطان الطاق، وداود الجواربي، وبيان بن سميان التميمي؛ وكذلك يعزى شيء من التشبيه إلى الكرامية وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، ثم وصل هذا المرض إلى بعض أتباع أئمة المذاهب، وتفاوتت في ذلك من لم يكن له نصيب من الفهم الصحيح للكتاب والسنة . انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص : ٢٠٧-٢١٠)؛ والمسائل والنحل (ص : ٤٤-٤٥ و ٦٥ و ٧٨-٧٩)؛ واعتقاد فرق المسلمين والمشرّكين (ص : ٦٣-٦٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٥/٣ و ٥١/٦)؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (ص : ١٥٥-١٥٧) .

(٢) انظر : رسالة إلى أهل الثغر (ص : ٢١٠-٢١٢)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٧) .

(٣) النحل الآية : ١٧

(٤) النحل الآية : ٧٤

(٥) مريم الآية : ٦٥

(٦) الإخلاص الآية : ٤

(٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١-٦٢)؛ والقواعد المثلى للشيخ العثيمين (ص : ٢٦) .

ولو تماثلا للزم أن يكون كل واحد منهما خالقا ومخلوقا، وربا ومربوبا، وغنيا وفقيرا،
وكاملا وناقصا فيلزم اجتماع الضدين، فعلم أن التماثل بين الخالق والمخلوق منتف
بصريح العقل كما هو منتف بنصوص الشرع^(١).

فلا يجوز تمثيل شيء من صفاته بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء لا
في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله .

الطائفة الثانية : أهل النفي والتعطيل^(٢) الذين ينكرون ثبوت صفة اليد الحقيقية لله تعالى؛
ويحرفون معاني النصوص الواردة في ذلك؛ فيفسرون اليد: مرة بالقدرة، ومرة
بالنعمة فرارا من التشبيه في زعمهم^(٣). والله اكبر كبيرا .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٧/٣)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١-٦٢) .
(٢) أهل النفي والتعطيل في باب صفات الله تعالى على مراتب ودرجات : فمنهم من ينفي جميع الصفات وهم الغلاة من
المعطلة، منهم الفلاسفة، والجهمية أتباع جهم بن صفوان، وكذلك يقول بنفي جميع الصفات المعتزلة، ومن تبعهم كالزيدية
والرافضة الإمامية والخوارج الإباضية، وهو أيضا قول التجارية والضرارية، وكذلك وافقهم عليه ابن تومرت وابن حزم،
فهؤلاء جميعا اتفقوا على نفي جميع صفات الله تعالى مع تنوع أساليبهم في نفيها وتعطيلها وإنكارها . ومنهم من ينفي
الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة، وهو قول الكلاية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وقول أبي العباس القلانسي، وأبي
الحسن الأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري، والباقلاني، وابن فورك، وأبي جعفر السمناني، ومن
تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي الحسن الراغبوني وغيرهم . ومنهم من يقول بإثبات سبع صفات
فقط أو ثمان ونفي ما عداها، والصفات السبعة التي أثبتها هي : الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام
ويريد بعض الماتريدية صفة ثامنة، وهي التكوين، وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها، ولهم في نصوصها أحد طريقين :
إما التأويل، أو التفويض كما قال قائلهم : (وكل نص أوهم التشبيها :: أوله أو فوضه ورم تزبيها) فهم متفقون على نفي
تلك الصفات، ويحذرون في تحديد المعنى المراد أو السكوت عن ذلك . وهذا ما ذهب إليه المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية
الحاصل أن الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم وكذلك المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية هؤلاء كلهم متفقون على عدم إثبات
صفة اليد لله تعالى ونفيها وإنكارها . هذا ملخص من كتاب " مقالة التعطيل والجعد بن درهم " (ص : ٢٤-٢٥ و ٣٣
- ٥٣) ويتنظر للتفصيل : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد والرد على الجهمية للدارمي وللحافظ ابن منده والأسماء
والصفات للسيهقي، والصواعق المتزلة على الطائفة الجهمية والمعلظة لابن القيم؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة
والجماعة للدكتور محمد بن خليفة التميمي .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٢٢٨-٢٢٩)؛ والمواقف في علم الكلام (ص : ٢٩٨)؛ وإيضاح الدليل
في قطع حجج أهل التعطيل (ص : ١٢٢-١٢٧ و ٢٠٦-٢٠٧)؛ وإتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد للقيادي (ص :
مخطوط ، ٢٤/ب)؛ وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص : ٩٣)؛ وأيضا سنن الترمذي (٥٠/٣)؛
ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٦/٤)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص : ٣٠٤)؛
والمعتزلة لزهدي جار الله (ص : ٨٥)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١١٣٠/٢) .

وهو قول باطل وزعم فاسد وبيان بطلانه من شقين :

الشق الأول : إن إثبات أي صفة من الصفات الثابتة لله تعالى ومنها صفة اليد على

الوجه اللائق بالله تعالى لا يلزم منه التشبيه والتجسيم. وبيان ذلك من وجوه وهي كما يلي :

١- إن توهم لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات صفة اليد وغيرها وهم باطل؛ فإنه ليس في المخلوقات يد تمسك السماوات السبع وتطويها، ويد تقبض الأرضين السبع، ولا إصبع توضع عليها الأرض، وإصبع توضع عليها الجبال، وإصبع توضع عليها الماء والثرى، وإصبع توضع عليها سائر الخلق . فلو كان في المخلوقات يد وإصبع هذا شأنها لكان لكم عذر ما في توهم التشبيه و التمثيل من إثبات اليد والإصبع لله حقيقة .

بل إن جميع بني آدم منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سماواته أو أرض من أراضي السبع بجميع أبدانهم لكانوا غير قادرين على ذلك ولا مستطيعين له بل عاجزين عنه، وكذلك لو اجتمعوا جميعا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدرُوا على ذلك وكانوا عاجزين عنه .

فكيف تلتبس يد الخالق بيد المخلوق ؟ وكيف يكون من وصف يد خالقه بما بينه الله ورسوله من القوة والأيد، ووصف يد المخلوق بالضعف والعجز، مشبها يد الخالق بيد المخلوق ؟ وبأي وجه يعقل أن إثبات صفة اليد الحقيقية لله تعالى كما يليق به سبحانه وتعالى يلزم منه التشبيه بيد المخلوق ؟ ^(١).

٢- توهم التشبيه من إثبات صفة اليد وغيرها من الصفات لله تعالى كما يليق بحلاله وعظمته ثم نفيها وتأويلها وصرفها عن ظاهرها إلى معنى مزعوم يلزم منه لوازم باطلة . منها :

- تعطيل هذه النصوص عن دلالتها، وتعطيل الرب عما يستحقه من صفات الكمال، ووصفه بنقيض ذلك من صفات النقص من صفات الأموات والجمادات والمعدومات .
- أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يضل الناس ظاهره، ويوقعهم في التشبيه والتمثيل .

- أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب لهم، ولم يفصح به بل رمز إليه رمزا، وألغزه

(١) انظر : التوحيد لابن خزيمة (٩٤/١ - ٩٥) ؛ ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٦٣/٢) .

إلغازا لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد .

• أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، فإنهم ما استفادوا بترولها غير التعرض للضلال، ولم يستفيدوا منها يقينا ولا علما بما يجب لله ويمتنع عليه، إذ ذاك إنما يستفاد من عقول الرجال وآرائها، وغيرها من اللوازم الفاسدة الباطلة^(١).

٣- إن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا هذه الآيات والأحاديث عن رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين، وفهموا المراد منها، وحملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا إليها أسبق لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

فصرف المعطلة لهذه النصوص عن ظاهرها بدعوى نفي التشبيه والتحسيم باطل؛ لأنه لو كان في إثباتها تشبيه أو تمثيل لكان الرسول وأصحابه أولى بنفيها لورود النصوص الشرعية الدالة على نفي التشبيه بين الخالق والمخلوق . فلما لم يتعرض لها النبي ﷺ بنفي ولا تأويل علمنا وتيقنا أن إثباتها ليس فيه تشبيه ولا تمثيل، فمن نفاها بهذه الدعوى فهو مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومدع أنه أكثر علما، وأعظم ورعا وتعظيما للخالق من النبي ﷺ وأصحابه، ولا ريب أن ذلك دليل على بطلان قولهم وتماقت رأيهم وسوء نظرهم وفهمهم لدين الله ونصوص شرعه؛ لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها^(٢).

٤- الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة : لأننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الحمل، مع الاتفاق في الاسم؛ فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف .

وإذا كان التباين في الحقيقة والكيفية معقولا بين المخلوقات مع الاتفاق في الأسماء فالتباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم^(٣) بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق.

٥- إن المتبادر إلى الذهن من معاني النصوص يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٨/٣ - ٤٩)؛ والصواعق المزلزة على الطائفة الجهمية والمعطلة (١٧٣-١٦٧/١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٠/٥)؛ والعلو للعلي الغفار (ص : ٢٥١)؛ والقواعد المثلى (ص : ٤١) .

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص : ٢٦-٢٧) .

الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، فإذا قيل : إن لسملاكة أجنحة، وللطائرات أجنحة، وللطيور أجنحة، وللبعوض أجنحة لا يفهم منها عاقل أن هذه الأجنحة متماثلة في المعنى، ومتساوية في الوصف والكيفية، بل ذلك معلوم البطان لدى جميع العقلاء؛ فكل جناح منها له معنى مفهوم وصفة معلومة متبادرة إلى الذهن بحسب السياق وما أضيف إليه من الكلام .

فكذلك المعنى الظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارية هي عظم ولحم ودم، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾^(١) .

والمعنى الظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾^(٢) أمّا صفة كمال وجلال، لائحة بالله جل وعلا ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

لأن التفاوت بين صفات الخالق وصفات المخلوق مثل التفاوت بين الخالق والمخلوق، فلا يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق، فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق مفرها عن صفات المخلوق^(٣) .

الشق الثاني : بيان بطلان ما قال به المعطلة في تأويل يد الله تعالى بالنعمة أو القدرة، وذلك من وجوه :

١- لا ريب أن لفظ اليد في كلام العرب قد جاء بمعنى النعمة كقولهم : لفلان عندي يد، وبمعنى القدرة كقولهم : لفلان علي يد، ولكن وقوع اليد في قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت

(١) المائدة الآية : ٣٨

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) انظر : أضواء البيان (٢٨٩/٧ - ٢٩٠)؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص : ٣٦ - ٣٧)؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (ص : ١٧٦) .

بيدي» بهذا التركيب الذي أضاف الله سبحانه وتعالى فيه الخلق إلى نفسه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثنائها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على مثل قولك : كبت بالقلم ومثل هذا النص الصريح يستحيل تأويل اليد فيه بالنعمة أو القدرة؛ فإنه لا يحتمل هنا غير يد الذات، وإن كانت في تركيب آخر تصلح لذلك، فلا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب^(١).

٢- إذا أطلق لفظ اليد لا يكون إلا والمراد به اليد التي هي الصفة، هذا هو الأصل، وإن أريد به غيرها اقترنت معها قرينة تبين المراد منها، فإن أريد باليد النعمة قيل : لفلان عندي يد، فلفظ " عندي " قرينة تدل على النعمة . وإن أريد بها القدرة قيل : لفلان علي يد، فلفظ " علي " قرينة تدل على القدرة، وليس في الآية قرينة تبين أن المراد بها النعمة أو القدرة، فتعين أن المراد بها اليد التي هي الصفة^(٢).

٣- إن اليد التي يقصد بها النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ اليد، فلا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال فيها كف، ولا إصبع ولا يمين ولا شمال، وقد ورد ذلك كله في صفة يد الله تعالى، فهذا ينفي أن يكون المراد بها يد النعمة أو يد القدرة^(٣).

٤- إن اليد التي يقصد بها القدرة أو النعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقية، فهذه موارد استعمالها من أولها إلى آخرها مطردة في ذلك، فلا يعرف العربي خلاف ذلك، فاليد المضافة إلى الحي إما أن تكون يدا حقيقة أو مستلزمة للحقيقة، وأما أن تضاف إلى من ليس له يد حقيقة وهو متصف بصفات الأحياء فهذا لا يعرف البتة^(٤).

٥- ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله : «أن القوة لله جميعا»^(٥) وكقوله : «وإن تعدوا نعمة الله

(١) انظر : الصواعق المتزلزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة (٨٨/١ - ٨٩) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (٤٢/١) ؛ ومختصر الصواعق المرسلة (١٥٩/٢) .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (١٥٧/٢) .

(٤) انظر : المصدر السابق (١٦٠ - ١٥٩/٢) .

(٥) البقرة الآية : ١٦٥

لا تحسوها»^(١) وقد يجمع النعم كقوله : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »^(٢) وأما أن يقول خلقتك بقدرتين أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله ﷺ^(٣).

٦- لو ثبت استعمال اليمين بمعنى القدرة أو النعمة لم يجوز أن يكون المراد باليدين في الآية النعمة أو القدرة؛ لأنه لا يجوز أن يقال : خلق الله آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله على آدم وغيره أكثر من أن تعد وتحصى، قال تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة الشبهة.

ولإجماع المسلمين المثبتين للصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى قدرتان^(٤)، بل الله سبحانه وتعالى له قدرة مطلقة لا حد لها^(٥). قال تعالى : « وهو على كل شيء قدير »^(٦)، فالقدرة صفة عامة مطلقة، ولا يجوز أن يعبر عنها بالاثنتين^(٧).

٧- إن الله أراد تكريم آدم ﷺ فخلقه بيديه، فلما تكبر إبليس وافتخر بكونه خلق من النار رد الله عليه افتخاره، وأثبت لآدم من المزية والاختصاص ما لم يثبت مثله لإبليس بقوله تعالى : « إلبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » فلو كان الله عز وجل عني بقوله : « لما خلقت بيدي » القدرة أو النعمة لم يكن لآدم ﷺ على إبليس في ذلك مزية؛ لأنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله ونعمته سبحانه وتعالى، فحمل الآية على القدرة أو النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها، ويدل على التساوي بينهما في هذا، فلو كان إبليس مساويا لآدم ﷺ لما صح الاحتجاج على إبليس في ذلك، وكان لإبليس أن يقول محتجا على ربه : فقد خلقتني بما خلقت به آدم، فأني فضيلة له علي بما ذكرته ؟^(٨).

(١) إبراهيم الآية : ٣٤ ؛ والنحل الآية : ١٨

(٢) لقمان الآية : ٢٠

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٥٥/٢ - ١٥٦) .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٧٠/٢) ؛ و أضواء البيان (٢٩٠/٧) .

(٥) انظر : الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتزیه (ص : ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٦) المائدة الآية : ١٢٠

(٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٥/٦) .

(٨) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص : ٨٨) ؛ ومجموع فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٩/٦) ؛ ونقض تأسيس الجهمية (٤١/١) ؛ ومختصر الصواعق المرسلة (١٥٦/٢) ؛

والصفات الإلهية في الكتاب والسنة (ص : ٣٠٥) .

٨- إذا قدر اثنان أحدهما يقدر أن يفعل بيديه، والآخر لا يمكنه ذلك . إما لامتناع أن يكون له يدان، وإما لامتناع الفعل باليدين كان الأول أكمل . ولا يقال : إن من يمكنه الفعل بكلامه أو بقدرته بدون يديه أكمل ممن يفعل بيديه؛ لأن من يمكنه الفعل بقدرته أو تكليمه إذا شاء وببيديه إذا شاء هو أكمل ممن لا يمكنه الفعل إلا بقدرته أو تكليمه ولا يمكنه أن يفعل باليد ^(١).

فاليدان لا يعدان من صفات النقص في شيء مما يوصف بذلك بل هما من صفات الكمال، والله الكمال المطلق . وليس في الشرع ولا في العقل السليم ما ينفي ثبوتهما لله بل اتفق الشرع والعقل في إثبات اليمين لله تعالى؛ فيجب الإيمان بثبوتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تجسيم كما يجب الإيمان بتقدس الله وتزهره وعدم مشابحته بأحد من المخلوقين لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله - تزيها من غير نفى ولا تعطيل على وفق قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ^(٢)، فأول الآية رد على أهل التشبيه والتمثيل، وآخرها رد على أهل النفي والتعطيل .

قال نعيم بن حماد الخزاعي ^(٣) : (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها) ^(٤).

فلا يكفي مجرد نفي التشبيه من غير إثبات، أو مطلق الإثبات من غير تزهره بل لا بد من الجمع بين الإثبات والتزهر كما جمع الله تعالى بينهما، إثباتا بلا تمثيل وتزهره بلا تعطيل، وهذا هو مذهب السلف وهو الحق الثابت بالكتاب والسنة، وكفى بهما هداية ورشدا ونورا . قال تعالى : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ ^(٦).

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٢/٦ - ٩٣) .

(٢) الشورى الآية : ١١

(٣) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي، كان أحد من يتصلب في السنة، ومات في محنة القرآن في السجن ببغداد غداة يوم الأحد لثلاثة عشرة دخلت من جمادى الأولى سنة ٢٢٨هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٦٣٥-٦٣٨ برقم : ٨٣١٠) .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩٦/٥) .

(٥) النور الآية : ٣٥

(٦) النور الآية : ٤٠

المبحث الثاني : وقت خلق آدم ﷺ .

لقد جاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يبين أن الله تعالى خلق آدم ﷺ يوم الجمعة، وأنه خُلِقَ بعد العصر في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، وهنا أكتفي بذكر بعض ما جاء من الأحاديث النبوية الثابتة في ذلك .

فعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ^(١) .

وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه ^(٢) .

وعن أوس بن أوس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت — يقولون : بليت ؟ . فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء ^(٣) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أميط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة

(١) أخرجه م (الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ٥٨٥/٢ ح : ٨٥٤) .

(٢) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) أخرجه د (الصلاة، تفرع أبواب الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ٢٧٥/١ ح : ١٠٤٧)، واللفظ له؛ وإن (الجمعة، ب : إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ٩١/٣ ح : ١٣٧٤)؛ وجه (الجناز، ب : ذكر وفاته ﷺ ودفته ٥٢٤/١ ح : ١٦٣٦)؛ والطبراني في الأوسط (٩٧/٥ ح : ٤٧٨٠)؛ وخز (ب : فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ١١٨/٣ ح : ١٧٣٣)؛ وحسب كما في الإحسان (الرقاق، ب : الأدعية، ذكر البيان بأن صلاة من صلى على المصطفى من أمته ﷺ تعرض عليه في قبره ١٩٠/٣ ح : ٩١٠)؛ وكم (الجمعة، ب : الأمر بكرة الصلاة في يوم الجمعة ٢٧٨/١ والأهوال، ب : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ٥٦٠/٤)، وصححه في الموضع الأول على شرط البخاري، وفي الموضع الثاني على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في الموضعين، وصححه النووي في الأذكار (الصلاة على رسول الله ﷺ، ب : الصلاة على رسول الله ﷺ، ص : ٢٠٦ ح : ٢٩٦/٤)؛ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٩٠/١ ح : ١٠٤٧) وغيره.

إلا وهي مُصَيِّخَةٌ^(١) يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه... الحديث^(٢).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : سيد الأيام يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة^(٣).

وعن سعد بن عباد ؓ أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن يوم الجمعة : ماذا فيه من الخير؟ قال : ((فيه خمس خلال : فيه خلق آدم، وفيه أميط آدم، وفيه توفي آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل مأثما أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا جبال، ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة^(٤)).

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر ؓ قال : قال النبي ﷺ : إن يوم الجمعة سيد الأيام

(١) مصيخة : بالصاد، وقيل بالسين؛ أي : مسيخة، والأول هو الأصل، والمعنى : مصغية ومستمعة ومنصتة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤٣٣/٢ ، مادة : سيخ و ٦٤/٣ ، مادة : صيخ) .

(٢) أخرجه ط (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ١٠٨/١-١٠٩ ح : ١٦)، واللفظ له؛ و د (الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ٢٧٤/١ ح : ١٠٤٦)؛ و ت (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٣٦٢/٢ ح : ٤٩١)، وقال هذا حديث حسن صحيح؛ و ن (الجمعة، ب : ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ١١٣/٣ ح : ١٤٣٠)؛ و ح كما في الإحسان (الصلاة، ب : ذكر البيان بأن في الجمعة ساعة يستجاب فيها دعاء كل داعي ٧/٧ ح : ٢٧٧٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٩/١ ح : ١٠٤٦) وغيره .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٦/١)؛ و خز (١١٥/٣ ح : ١٧٢٩)؛ و كم (الجمعة، ب : سيد الأيام يوم الجمعة ٢٢٧/١) وصحح الحديث على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده محققوا مسند الإمام أحمد (٣١٥/٢٤ ضمن كلامهم على ح : ١٥٥٤٨) .

(٤) أخرجه حم (١٢٢/٣٧ ح : ٢٢٤٥٧)، واللفظ له؛ وعبد بن حميد في مسنده (ص : ١٢٧ ح : ٣٠٩)؛ والبزار في مسنده (١٩١/٩ ح : ٣٧٣٨)؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (٧٥/١)؛ والطبراني في الكبير (١٩/٦-٢٠ ح : ٥٣٧٦) . قال البزار : (لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وإسناده صالح) . وقال الهيثمي كما في مجمع الزوائد (١٦٣/٢) : (رواه أحمد و البزار إلا أنه قال فيه : سيد الأيام يوم الجمعة، والطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه كلام وقد وثق، وبقيّة رجاله ثقات) قلت : ولذلك قال الحافظ ابن حجر عنه في تقريب التهذيب (ص : ٣٢١ برقم : ٣٥٩٢) : (صدوق في حديثه لين، ويقال تغير بأخيرة) فإسناد الحديث أقرب إلى الحسن، ولا سيما الأحاديث المتقدمة تشهد له، ولذلك قال محققوا المسند عن الحديث بأنه صحيح لغيره .

وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلل : خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة^(١).
وعن أبي هريرة ؓ قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شبة في المصنف (الصلوات، في فضل الجمعة ويومها ٤٧٧/١ ح : ٥٥١٦)؛ وحم (٢٤ / ٣١٥-٣١٤ ح : ١٥٥٤٨)؛ وجه (إقامة الصلاة، ب : في فضل الجمعة ٣٤٤/١ ح : ١٠٨٤)؛ والطبراني في الكبير (٣٣/٥ ح : ٤٥١١) . قال البوصيري في (مصباح الزجاجة ٣٦١/١ ح : ٣٨٢) : (هذا إسناد حسن)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢١/١ ح : ٨٩٥)؛ وفي مشكاة المصابيح (٤٣٠/١ ح : ١٣٦٣)؛ وكذلك حسنه الشيخ عبد القادر السندي في مقال له منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بعنوان " إزالة الشبهة عن حديث التربة " (ص : ٦٠) ، السنة : (١٣) ، العدد : (٥١٥٠) .

(٢) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ ٢١٤٩/٤ ح : ٢٧٨٩) قال : حدثني سريج بن يونس وهارون بن عبد الله قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً .
وقد تكلم بعض النقاد في سند هذا الحديث ومتمته وأجاب عنه الآخرون، فأما الكلام في سنده فهو يتلخص في وجهين، وهما كالتالي :

١- قال البيهقي : وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد، ثم ذكر بإسناده إلى علي بن المديني أنه سئل عن هذا الحديث فقال : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى . الأسماء و الصفات (٥٥١/٢ ح : ٨١٢) .

وإبراهيم بن أبي يحيى غير محتج به فهو متروك متهم بالكذب، فلا يثبت الحديث عن أيوب ولا من فوقه .
وأجيب عن ذلك بأن حكاية البيهقي قول ابن المديني بكلمة " زعم " فيها رد واضح وإنكارين، ويتضح ذلك بما يلي :
أ- إسماعيل بن أمية لم ينفرد برواية هذا الحديث عن أيوب بن خالد؛ فقد تابعه اثنان من الرواة في رواية هذا الحديث عن أيوب بن خالد .

أحدهما : حجاج بن محمد الأعور، وهو ثقة ثبت إلا أنه كان اختلط في آخره، وروايته عند أبي يعلى في المسند (٥١٣/١٠-٥١٤ ح : ٦١٣٢) .



والآخر : موسى بن عبيدة الرهزي، وهو ضعيف، وروايته عند البيهقي في الأسماء و الصفات (٢٥٦/٢ ح : ٨١٣).
ب- إسماعيل بن أمية ثقة ثبت عند المحدثين، ولم يعرف عنه التدليس فهو غير مدلس مع معاصرته لشيخه
أيوب بن خالد الأنصاري .

فلهذا والله أعلم لم يرتض البخاري قول شيخه علي ابن المديني، وأعل الخبر بأمر آخر، وهو ما يلي :
٢- قال البخاري بعد أن ذكر الحديث بإسناد رجاله ثقات حفاظ مأمونون إلى النبي ﷺ : (وقال بعضهم عن
أبي هريرة عن كعب، وهو أصح) . التاريخ الكبير (٤١٣/١ في ترجمة أيوب بن خالد الأنصاري) .
وأجيب عن ذلك بما يلي :

أ- هذا البعض الذي أشار إليه البخاري كما ترى مجهول مبهم غير معروف العين والحال، فلا يصح تقديم
رواية المجاهيل المبهمين على رواية الثقات المعروفين .

ب- هذه الرواية التي أشار إليها البخاري لم يذكر لنا سندها ولا متنها، وباليته ذكرها لنا، فقد تكون ضعيفة في نفسها .
ج- ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ومن يأخذ عنهم أن ابتداء
الخلق كان يوم الأحد، وهو قول أهل الكتاب المذكور في كتبهم، وعليه بنوا قولهم في السبت .

فقد جاء في التوراة (سفر التكوين ٢/٢-٣) : [و فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح
في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، و بارك الله اليوم السابع و قدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي
عمل الله خالقاً] ؛ و في النسخة السامرية من التوراة (سفر التكوين ٢/٢-٣) [كمل الله في اليوم السادس
صناعته التي صنع، وبارك الله اليوم السابع، واستراح من كل صناعته التي صنع، وبارك الله اليوم السابع و قدسه؛ لأن
فيه بطل من جميع صناعته التي صنع الله للفعل] .

فهذا نص التوراة الموجودة بين يدي اليهود الآن وكذلك الروايات المأثورة عن كعب في الخلق كلها تدل على
أن بداية الخلق كان يوم الأحد، والحديث يخالفه ويبين أن بداية الخلق كان يوم السبت لا الأحد ، و هذا يدفع أن
يكون ما في الحديث مأخوذاً من قول كعب بل هو مأخوذ عن النبي ﷺ .

فالحديث لا غبار عليه البتة، لا في إسناده كما تقدم، ولا في متنه كما سيأتي، بل هو حديث صحيح ثابت، وإن
توهم البعض أن القرآن يخالفه ويناقضه، وذلك أن القرآن قد أخبر في غير ما آية أن الخلق كان في ستة أيام، والحديث
استوعب الأيام السبعة، فقد بين العلماء موافقة الحديث لكتاب الله تعالى وعدم مخالفته له، وكيف يكون أحدهما مخالفاً
للآخر وهما يخرجان من مشكاة واحدة؟ فمن أوجه التوفيق التي ذكرها أهل العلم بين الوحيين ما يلي :

١- الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة في القرآن، فإن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي
أجره الله على الأرض، ويبين مرحلة من مراحل تطور الخلق عليها حتى صارت صالحة للسكنى، ويؤيد أن القرآن
يذكر أن بعض الأيام عند الله تعالى كألف سنة، وبعضها مقداره خمسون ألف سنة، فلا مانع أن تكون الأيام الستة
من هذا القبيل والأيام السبعة من أيامنا هذه كما هو صريح الحديث؛ فالحديث يزيد على القرآن ولا يخالفه .

٢- إن الله تعالى خلق ما خلق في الأيام الستة المذكورة في القرآن، وكانت بداية الخلق يوم السبت ولهايته يوم الخميس
فهي ستة أيام كاملة التي ذكرت في القرآن، ولم يخلق آدم ﷺ في تلك الأيام الستة؛ فإنه ليس في القرآن ما يدل على أن
خلق آدم ﷺ كان في الأيام الستة، وليس في القرآن أو السنة وكذلك ليس من المعتول أن خالقية الله تعالى وقفت بعد



فهذه الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ تفيدنا علما من علوم النبوة، وتبين لنا أن الله تعالى خلق آدم ﷺ يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، والله أعلم .

﴿

الأيام الستة، فإن هذا معلوم البطلان بالضرورة، وإنما خلقه الله تعالى بعد ذلك بمدة، فلما خلقه خلقه يوم الجمعة، ومما يدل على تأخر خلق آدم ﷺ أنه كان في الأرض عمار قبله عاشوا فيها دهرًا، فقد أخرج الحاكم في المستدرك (التفسير ، سورة البقرة ٢/٢٦١) بإسناده الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] . وقد كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء فلما قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؛ يعنون : الجن بنو الجان، فلما أفسدوا في الأرض بعث عليهم جنودا من الملائكة فضربوهم حتى أحقوهم بجزائر البحور . قال : فقالت الملائكة : أنجعل فيها من يفسد فيها كما فعل أولئك الجن بنو الجان ؟ قال : فقال الله : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه و وافقه الذهبي .

وكذلك أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩/١ ح : ٣٢٢) بإسناده الصحيح إلى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة ، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة . فضربوهم حتى أحقوهم بجزائر البحور ، فقال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

وهذا حديثان وإن كانا موقوفين على الصحابين : عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فهما في حكم المرفوع إلى الرسول ﷺ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي، ولا مجال فيه للاجتهاد فهما معمولان على السماع من النبي ﷺ كما هو مقرر لدى أئمة الحديث . انظر : تدريب الراوي (١٩٠/١ - ١٩١) . فالحديثان يدلان على أن خلق آدم ﷺ متأخر عن خلق السموات والأرض، وأن آدم لم يخلق في تلك الأيام الستة التي خلقت فيها السموات والأرض، فلما خلق كان ذلك يوم الجمعة وليس هو اليوم السابع للخلق، وعلى هذا لا تعارض بين هذا الحديث وبين القرآن، فالحديث صحيح ثابت وموافق لكتاب الله تعالى، ودعوى مخالفته لظاهر القرآن دعوى باطلة . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو أعلم بالصواب .

وينظر للتفصيل : الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص : ١٨٨-١٩٣) ؛ وظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية (ص : ١٥٠-١٥٨) ؛ ومعارف السنن شرح سنن الترمذي للبنوري (٣١٦-٣١٧) ؛ ومشكاة المصابيح (١٢١/٣ ح : ٥٧٣٤) بتحقيق الألباني ؛ ومختصر العلو للعلي الغفاري (ص : ١١١-١١٢) ؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٤٩/٣ - ٤٥٠ ح : ١٨٣٣) ؛ وتفسير ابن أبي حاتم بتحقيق : د. أحمد عبد الله الزهراني (١٠٣/١ - ١٠٤ برقم : ٣٠٥ و ١٠٩/١ - ١١٠ برقم : ٣٢٢) ؛ ومقال للشيخ عبد القادر السندي ، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بعنوان : " إزالة الشبهة عن حديث التربة " ، [العدد : ٤٩ (ص : ٢٩-٣٩) ؛ و العدد : ٥٠ و ٥١ (ص : ٤٧-٦١) ، السنة : ١٣] ، وهذا أحسن وأشمل .

المبحث الثالث : مكان خلق آدم ﷺ .

لقد اختلف أقوال أهل العلم في بيان مكان خلق آدم ﷺ وتحديدته وتعيينه، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القول الأول : ما نسب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : مرت بآدم ﷺ أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف . وهذا القول ذكره القرطبي، ونسبه إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ولكنه لم يذكر له إسنادا إليه، كما لم يحل إلى من ذكره بالإسناد إليه ^(١).

القول الثاني : إن آدم ﷺ خلق في بقعة من بقاع الأرض، وكانت بقعة مثمرة رائعة واقعة على جبل من الجبال أو مكان مرتفع من الأرض . وهذا القول أعم من القول السابق إذ ليس فيه تحديد لمكان معين في الأرض . قال به جماعة من المتأخرين المعاصرين : منهم الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ^(٢) وعبد الكريم الخطيب ^(٣) وعفيف عبد الفتاح طيارة ^(٤) وعبد الصبور شاهين ^(٥) ومحمد علي حسن الحلبي ^(٦).

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩)؛ و القرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الأندلسي، الإمام المفسر الفقيه المحدث، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر : طبقات المفسرين (ص : ٢٤٦-٢٤٧ برقم : ٢٩٥).
(٢) انظر : صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (٩٢/١) و الدوسري هذا، كان عالما مفسرا داعية، توفي سنة ١٣٩٩هـ . انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٢٨٣) .

(٣) انظر : التفسير القرآني للقرآن (٥٩/١)؛ وقصتا آدم و يوسف عليهما السلام (ص : ٤٢)، والخطيب هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، له عدة كتب، وفي بعضها ما يمس جانب العقيدة، وقد رد على بعض خرافاته الشيخ صالح الفوزان والشيخ سعود الخلف وغيرهما، وسيأتي ذكر بعض آرائه الضالة مع الرد عليها ، وقد توفي الخطيب هذا - سألح الله - سنة ١٤٠٦هـ . انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٣٢٠-٣٢١)؛ والبيان لأخطاء بعض الكتاب للشيخ صالح الفوزان (ص : ٤٧-٦٩)؛ ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين للشيخ محمد جميل زينو (ص : ٢٤-٥٤)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية للشيخ سعود الخلف (ص : ٢٤)؛ و (ص : ٢٣٧ و ٨٢٢) من هذا البحث .

(٤) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣٩) .

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٥٩-١٦١) .

(٦) انظر : المتشابه من القرآن (ص : ٣٦) .

وقد استدل الدوسري وعفيف طيارة لما ذهبوا إليه بأن الله خلق آدم ليكون خليفة في الأرض وبأنه لم يرد نص برفعه إلى السماء ولكن هذا الاستدلال فيه نظر، وبيان ذلك بما يلي :

١- خَلَقَ اللهُ تعالى آدم ﷺ ليكون خليفة في الأرض لا يلزم منه أن يكون قد خلقه فيها، ولا مانع من أن يكون الله سبحانه وتعالى خلقه في غير الأرض ثم جعله خليفة فيها وأنزله إليها . وهذا هو الصحيح كما سيأتي بيانه .

٢- وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(١) إذا قلنا أن المراد بالخليفة في الآية هو آدم ﷺ - مع خلاف فيه - ^(٢)، فهذا لا يدل على المكان الذي خلق الله تعالى فيه آدم ﷺ، وإنما يدل على المكان الذي جعله خليفة فيه .

٣- قولهما : لم يرد نص برفعه إلى السماء، فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض، فإن عدم الدليل المعين لا يلزم منه عدم المدلول المعين .

٤- كما أنه يجب على من يقول بأن آدم ﷺ لم يخلق في الأرض أن يثبت ذلك بالدليل، فكذلك يجب على من يقول بأنه خلق في الأرض أن يثبت بالدليل أن المادة التي خلق منها لم ترفع إلى السماء .

وقد استدل عبد الكريم الخطيب لما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ^(٣) .

وهذا الاستدلال غير صحيح، فإنه ليس في الآية بيان مكان خلق آدم ﷺ بأنه خلق في الأرض، بل فيها إشارة إلى المادة التي خلق منها آدم ﷺ، فهو سبحانه وتعالى بين أنه خلقنا جميعا من الأرض إذ خلق أبانا وأصلنا آدم ﷺ من ترابها، وأنه يعيدنا فيها إذا متنا، وأنه يخرجنا منها يوم البعث والنشور للحساب والجزاء ^(٤)، فليس في الآية بيان للمكان الذي خلق فيه آدم ﷺ .

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) انظر : (ص : ٦٥٢-٦٥٥) .

(٣) طه الآية : ٥٥

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٥٦/٣) ؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المذاهب (ص : ٦٨٥) .

فلا يصح الاستدلال بكون آدم ﷺ جعل خليفة في الأرض على قول من قال بأن المراد بالخليفة في الآية هو آدم ﷺ على أنه خلق في الأرض، كما لا يصح الاستدلال بكونه خلق من تراب الأرض و مادتها على أنه خلق في بقعة من بقاعها أو على جبل من جبالها، والله أعلم بالصواب .

القول الثالث : خلق الله تعالى آدم ﷺ في سماء الدنيا، وإنما أسجد له ملائكة سماء الدنيا، ولم يسجد له ملائكة السماوات . هذا القول محكي عن ابن جريج ^(١) . ولكن هذه الرواية فيها كلام في سندها ومتنها .

أما السند فلأن فيه راويا اسمه المسيب بن واضح، وهو مختلف فيه عند الأئمة، فكان الإمام النسائي ^(٢) حسن الرأي فيه، وكان لا يحب الكلام فيه، وكان يقول : الناس يؤذوننا فيه؛ أي : بالكلام فيه ^(٣) .

وتكلم فيه الآخرون فقال عنه أبو حاتم ^(٤) : صدوق كان يخطئ كثيرا، فإذا قيل له لم يقبل . وقال الساجي ^(٥) : تكلموا فيه في أحاديث كثيرة . وقال الدارقطني ^(٦) : ضعيف . وقال ابن عدي ^(٧) : له حديث كثير، وأنه كان يشبهه عليه من غير أن يتعمد، وهو لا بأس به . وقال أيضا : قلت لعبدان : أيهما أحب إليك هو [أي : عبد الوهاب بن الضحاك] أو

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٢/٥ برقم : ١٠٣١) بإسناده إليه فقال : ثنا عبد الغفار الحمصي، ثنا المسيب بن واضح، ثنا حجاج، عن ابن جريج قال : خلق الله آدم ﷺ في سماء الدنيا... الخ .

(٢) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، صاحب السنن، توفي سنة ٣٠٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢٥/١٤) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٤٠٣/١١)؛ و ميزان الاعتدال (١١٦/٤ برقم : ٨٥٤٨)؛ ولسان الميزان (٤٠/٦ برقم : ١٥٧) .

(٤) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ، من كبار أئمة الجرح والتعديل، توفي سنة ٢٧٧ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦٧ برقم : ٥٧١٨) .

(٥) زكريا بن يحيى الساجي البصري، ثقة فقيه، توفي سنة ٣٠٧ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢١٦ برقم : ٢٠٢٩) .

(٦) الحسن بن علي بن عمر بن مهدي الشهير بالدارقطني، الإمام الحافظ الناقد، صاحب العلل والتصانيف الغزيرة، توفي سنة ٣٨٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٤٩/١٦) .

(٧) عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، الإمام الحافظ الناقد الجوال، توفي سنة ٣٦٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥٤/١٦ - ١٥٦) .

المسيب ؟ قال : كلاهما سواء . وقول ابن عدي هذا أشد تحريماً من القول السابق لأن أقوال الأئمة في عبد الوهاب بن الضحاك شديدة جداً فهو ضعيف جداً أو متروك^(١) .

وقال الجوزقاني^(٢) : كان كثير الوهم والخطأ^(٣) . وقال ابن الجوزي^(٤) : كثير الوهم .

والذي يظهر لي أن كلام الإمام النسائي عن المسيب بن واضح ألصق بجانب العدالة دون الضبط، فيمكن أن يقال بأنه كان مأموناً عليه في دينه وأخلاقه، فهو عدل من هذا الجانب، وهذا يستحسن منه، ولكنه لم يكن حافظاً ضابطاً لأحاديثه، فكان يشبهه عليه، ولذلك كثر منه الخطأ والوهم في مروياته كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة إلا أنه لم يكن يعتمد ذلك كما قال الحافظ ابن عدي .

الحاصل : إن المسيب بن واضح في أحاديثه وروايته أوهام كثيرة لأنه موصوف بكثرة الخطأ والوهم والإصرار على ذلك، فلا بد لقبول ما جاءت عن طريقه من الثاني فيها والتأكد من ثبوتها وصحتها .

وأما الكلام في متن هذه الرواية المحكية عن ابن جريج ففيها نكارة شديدة؛ لأن فيها مخالفة واضحة لصريح كلام الله تعالى حيث أخبر الله تعالى في محكم كتابه أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ فقال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾^(٥) .

فهذه الآية القرآنية تبين أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ ولكن هذه الرواية المنسوبة إلى ابن

(١) انظر : (الكامل في ضعفاء الرجال ٢٩٥/٥ برقم : ١٤٣٥)؛ وميزان الاعتدال (٦٧٩/٢ برقم : ٥٣١٦)؛ ولسان الميزان (٤١/٦ برقم : ١٥٧)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٦٨ برقم : ٤٢٥٧) .

(٢) الحسين بن إبراهيم بن حسين الهمداني الجوزقاني وقيل : الجوزقاني، محدث فاضل، عالم بالرجال، توفي سنة ٥٤٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧٨-١٧٧/٢٠) .

(٣) انظر أقوال الأئمة عن المسيب بن واضح في : الجرح والتعديل (٢٩٤/٨ برقم : ١٣٥٥)؛ والكامل في ضعفاء الرجال (٢٩٥/٥ برقم : ١٤٣٥)، ترجمة عبد الوهاب بن الضحاك و ٣٨٩/٦ برقم : ١٨٧٤، في ترجمة المسيب بن واضح ؛ والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١٢١/٣ برقم : ٣٣٢٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٠٤/١١)؛ وميزان الاعتدال (١١٧-١١٦/٤ برقم : ٨٥٤٨)؛ ولسان الميزان (٤١/٦ برقم : ١٥٧) .

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي، الشهير بابن الجوزي، إمام حافظ مفسر من شيوخ الخنابلة، صاحب التصانيف إلا أنهم لم يرضوا تصانيفه في العقيدة، توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١) .

(٥) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

جريح تقول : لم يسجد لآدم ﷺ جميع الملائكة، وإنما سجد له بعضهم، وهم ملائكة سماء الدنيا فقط .
وسأني ذكر ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى عند الكلام عن الملائكة الذين سجدوا لآدم ﷺ (١) .

خلاصة القول : إن هذا الكلام المحكي عن ابن جريج غير ثابت عنه، وعلى فرض ثبوته عنه لا يسلم له ذلك؛ لكونه مخالفا لما جاء في كتاب ربنا تبارك وتعالى وأحاديث نبينا الصحيحة .

القول الرابع : إن الله تعالى خلق آدم ﷺ في السماء . فهذا القول أعم من القول السابق ، وإليه ذهب أبو نضرة (٢) و ابن زيد في رواية عنه (٣) .

القول الخامس : خلق الله تعالى آدم ﷺ في الجنة . قال به ابن زيد كما في رواية أخرى عنه (٤) ، وعبد الله بن وهب (٥) كما حكى ذلك عنه ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن القرشي (٦) فقال : (جاء يوسف بن عمرو (٧) إلى عمي عبد الله بن وهب، فقال له : يا أبا محمد أخبرني عن الجنة التي خلق فيها آدم ﷺ، وأخرج منها، أهى الجنة التي يعود إليها آدم ﷺ، ويدخلها المؤمنون، وهى الجنة التي فيها العرش ؟ فقال له : أي شيء هذا

(١) انظر : (ص : ٣٣٩-٣٤٩) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٠/٥ - ١٥٦١) بإسناد حسن .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٨/٣٠) بإسناده إليه، ورجال الإسناد كلهم ثقات . وأيضاً ذكر عنه هذا القول ابن الجوزي في زار المسير (١٣٠/٩)؛ وابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤)، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، ضعيف، توفي سنة ٨٢هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ برقم : ٣٨٦٥)؛ وسأني ذكر أقوال أخرى لأئمة الجرح والتعديل عنه في (ص : ٥٠٩-٥١٢) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٥/٢٧) بإسناده إليه، ورجال الإسناد كلهم ثقات . وأخرج أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٣/٥) (١٥٦٤-) في حديث طويل من حديث ابن زيد مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وفيه : ((...فألقى الله عز وجل تلك القبضة في حجر من أكل الجنة حتى صارت طينا ثم تركها فكانت حمأ مسنونا...)) وقد وصف السيوطي في الدر المنثور (١١٩/١) هذا السند بالصحة ولكنه صحيح إلى ابن زيد؛ أي : من قوله فقط، ولا يصح مرفوعاً إلى النبي ﷺ لكون عبد الرحمن بن زيد ضعيفاً كما تقدم، ولأنه من أتباع التابعين وقد روى الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ فأسقط من الإسناد الصحابي ومن روي عنه، وعلى هذا يكون الإسناد معطلاً. فلا يصح الاعتماد عليه لعدم صحة إسناده إلى النبي ﷺ ولكنه يؤكد ما جاء عن ابن زيد بأن آدم ﷺ خلق في الجنة .

(٥) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري، صاحب مالك، ثقة حافظ عابد، صاحب سنة وأثر، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٢٩٥/٣ - ٢٩٧ برقم : ٤١٨٩) .

(٦) أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري، لقبه بحشل، صدوق تغير بأخرة، توفي سنة ٢٦٤هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٢ برقم : ٦٧) .

(٧) يوسف بن عمرو بن يزيد المصري، صدوق صالح فقيه، توفي سنة ٢٠٥هـ . انظر : تقريب التهذيب (٦١١ برقم : ٧٨٧٥) .

الكلام ؟ من تجالس ؟ فقال : ما أجالس إلا أصحابنا و لكن تذاكروا شيئا أردت أن أسألك عنه . فقال عمي : نعم ، هي الجنة التي يدخلها المؤمنون ، وهي الجنة التي فيها العرش ، إنما أنفقنا الأموال وضررنا إلى العلماء لهذا وأشباهه (١) .

وإليه ذهب الإمام ابن مندة (٢) إذ قال : (بيان آخر يدل على أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيديه ، وصفة خلقه لما خلقه الله عز وجل في الجنة) (٣) ، وبه قال القرطبي (٤) وعبد الرؤوف المناوي (٥) ، والدكتور عمر سليمان الأشقر (٦) وتبعه الأخ أبو بكر زكريا (٧) ، وكذلك قال به الدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة (٨) .

وذكر علي المنوفي (٩) ومحمد التتائي (١٠) وأحمد النفراوي (١١) أن القول بخلق آدم ﷺ في الجنة هو قول الجمهور .

أدلة هذا القول :

قال الشيخ عمر سليمان الأشقر : (وأخبرنا بالمكان الذي خلق فيه ، وهو الجنة : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (١٢)) (١٣) .

(١) التوحيد (٣٠٧/٣ برقم : ٨٩٢) .

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى الأصبهاني ، الإمام الحافظ الجوال صاحب التضايف ، وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر ، توفي سنة ٣٩٥ هـ . انظر : ميزان الاعتدال (٤٧٩/٣ برقم : ٧٢١٣) .

(٣) كتاب التوحيد (٩١/٣) .

(٤) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٩٧/٦ و ١٨٢/٧ - ١٨٣) .

(٥) انظر : فيض القدير (٤٢/٤) ، والمناوي هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي ، عالم مشارك في أنواع من العلوم صاحب تصانيف كثيرة ، توفي سنة ١٠٣١ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٢٠/٥) .

(٦) انظر : العقيدة في الله (ص : ٩٠) ؛ وصحيح القصص النبوي (ص : ٢٢) .

(٧) انظر : رسالته في الماحستير بعنوان : الشرك في القديم والحديث (٧٧٧/١) .

(٨) انظر : خلق آدم وذريته كما ورد في التزويل (ص : ٢٤) .

(٩) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١) ، والمنوفي هو علي بن محمد بن محمد المنوفي المصري ، فقيه محدث نحوي لغوي ، توفي بالقاهرة سنة ٩٣٩ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣٠/٧) .

(١٠) انظر : تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩٠/١) ، والتتائي هو محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المصري المالكي ، فقيه أصولي فرضي ، توفي سنة ٩٤٢ هـ على الراجح . انظر : معجم المؤلفين (١٩٤/٨) .

(١١) انظر : الفواكة النوان على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٢/١) ، والنفراوي هو أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي ، فقيه مشارك في بعض العلوم ، توفي سنة ١١٢٥ هـ أو بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (٤٠/٢ ، ١٩٧) .

(١٢) البقرة الآية : ٣٥

(١٣) العقيدة في الله (ص : ٩٠) .

ولكن هذه الآية ليس فيها تصريح بأن آدم ﷺ كان خلق في الجنة إذ لا يلزم من إسكان الله تعالى للأبوين في الجنة أن يكون قد خلقهما فيها .

وقد أورد الإمام ابن مندة تحت عنوان : (بيان آخر يدل على أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيديه، وصفة خلقه لما خلقه الله عز وجل في الجنة) ^(١) ثلاثة أحاديث مرفوعة، وأربعة آثار محكية عن الصحابة موقوفة عليهم ولكن هذه الأحاديث والآثار متعلقة بخلق الله تعالى آدم ﷺ بيده من الطين، وأما خلقه في الجنة فليس في شيء منها ما يدل صراحة على ذلك إلا ما جاء عن طريق السدي منسوباً إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة - رضي الله عنهم - موقوفة عليهم، وفيه (... فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن يبلغ الروح في رجله عجلاً إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ ^(٢) (...) ^(٣) .

(١) كتاب التوحيد (٩١/٣) .

(٢) الأنبياء الآية : ٣٧

(٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٥/١)؛ وابن مندة في التوحيد (٩٣/٣ - ٩٤ برقم : ٤٨٦) كلاهما من طريق أسباط بن نصر عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن أبي مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ من قولهم . وهذا الإسناد محل خلاف بين العلماء تصحيحاً وتضعيفاً فقال ابن جرير الطبري (١٥٦/١) : (لست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً) . وقال الإمام أحمد عن السدي كما في تهذيب التهذيب (١٥٧ - ٢٠٠/١ برقم : ٥٧٢) : (إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسناداً واستكلفه) . وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في (الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١/٣٩٧ - ٣٩٨) : (وتفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي فإنما يسنده بأسانيد إلى عبد الله بن مسعود وابن عباس، وروى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي) . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧٧ - ٧٦/١) : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، ففعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم) ونحوه قال في (البداية والنهاية ١/١٨١ و ١٨٦) . وقال الحافظ ابن حجر في (العجائب في بيان الأسباب ١/٢١١ - ٢١٢) عن السدي : (هو كوفي صدوق لكنه جمع التفسير من طرق منها عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة وغيرهم، وخط روایات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف، ولم يلق من الصحابة إلا أنس بن مالك) . وقد صحح هذا الإسناد ابن مندة في (التوحيد ٩٤/٣ برقم : ٤٨٦) فقال : (هذا إسناد صحيح ورواته ثقات مشاهير على رسم الجماعة) وكذلك صححه الحاكم في مواضع في المستدرک (٢/٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ - ٣٢١ - ٣٢٢) ووافقه الذهبي، والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٥٦/١ - ١٦٠) وزاد أن الجمع بين الأسانيد الذي فعله السدي ليس بمستكر عند السلف؛ فإن الإمام الزهري كان يفعل ذلك كما فعل في حديث الإفك في صحيح البخاري (الشهادات، ب : ←

ولكن في الاستدلال بهذا الأثر على القول بخلق آدم ﷺ في الجنة نظر من وجهين :

١- إسناد هذا الأثر فيه كلام، وجانب ضعفه أرجح كما تقدم بيانه في الهامش.

٢- يحتمل أن يكون من الإسرائيليات كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وقد تقدم قوله - وكذلك نبه على ذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - فقال: (قال بعض أهل العلم : المراد بالإنسان في قوله : « خلق الإنسان من عجل » آدم . وعن سعيد بن جبير ^(١) والسدي : لما دخل الروح في عيني آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام، فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة ... والظاهر أن هذه الأقوال ونحوها من الإسرائيليات ^(٢) . وعلى هذا، لا يمكن الاعتماد على الأثر المذكور، المنسوب إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ولكن يمكن الاستئناس به .

ف

تعديل النساء بعضهم بعضاً ٩٤٢/٢-٩٤٦ ح : ٢٥١٨) ولكن هذا الرأي فيه نظر لأن الأئمة لم يقبلوا الجمع بين الأسانيد من كل أحد، وإنما قبلوا ذلك من الثقة الحافظ المتقن الذي يعرف اتفاق شيوخه واختلافهم كالزهرى وابن وهب . وأما إذا جمع الراوي بين الأسانيد، وهو ليس من الحفاظ المتقنين فرواياته غير مقبولة عندهم وإن كانت روايته مقبولة عندهم إذا روى عن أحدهم مفرداً من غير جمع . انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٤١٧/١-٤١٨)؛ وشرح علل الترمذي (٨١٦/٢) . والسدي ليس من أولئك الحفاظ المتقنين، فقد تكلم فيه الأئمة كما في تهذيب التهذيب (١٩٩/١-٢٠٠) برقم : ٥٧٢) فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه تضعيفاً يسيراً، ومنهم من شدد في تضعيفه حتى وسمه بالكذب، ومنهم من جعله في مرتبة الصدوق، مع الحاجة إلى النظر والتثبت في مروياته . ويظهر لي من خلال النظر في أقوال الأئمة أن هذا من أعدل الأقوال فيه، فهو صدوق يهيم على القول الراجح فيه، ولا يبلغ درجة الثقات الحفاظ المتقنين الذين قبل منهم الجمع بين الأسانيد، فلا تصح مقارنته بالإمام الحافظ المتقن كالزهرى وأمثاله، والله أعلم . ثم إن مدار إسناد السدي على أسباط بن نصر الهمداني، وأسباط هذا لم يتفقوا عليه كما تقدم من قول الخليلي، وهو كما قال؛ فقد تكلم فيه الأئمة كما في تهذيب التهذيب (١٣٧/١ برقم : ٣٩٦) ففقد وثقه ابن معين في رواية ، وذكره ابن حبان في الثقات، وجعله البخاري وموسى بن هارون في مرتبة الصدوق، وضعفه الإمام أحمد والنسائي تضعيفاً يسيراً، وضعفه ابن معين في رواية تضعيفاً شديداً فقال : ليس بشيء . وقد بين سبب ذلك الضعف أبو نعيم فضغفه وقال : أحاديثه عامية سقط مقلوب الأسانيد . وقال الساجي : روى أحاديث لا يتابع عليها .. فهذا تضعيف شديد مبين من قبل أبي نعيم و الساجي، وأما توثيق ابن معين في رواية فتعارضه الرواية الأخرى عنه التي ضعف فيها، وهي توافق أكثر أقوال الأئمة الآخرين، فعليها الاعتماد من روايته، فلم يبق قول من أقوال الأئمة يدل على توثيقه إلا ما كان من ابن حبان إذ ذكره في الثقات، ويتبين مما سبق أن أكثر الأئمة لم يصفوه بالثقة ولذا قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص : ٩٨ برقم : ٣٢١) : (صدوق كثير الخطأ يغرب)، ومن هنا يتبين أن الذين ضعفوا هذا الإسناد قولهم أقرب إلى الصواب، وأن الذين حكموا عليه بالصحة قد وقع منهم تساهل في هذا الحكم، والله أعلم بالصواب .

(١) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ . انظر : تقريب التهذيب

(ص : ٢٣٤ برقم : ٢٢٧٨) .

(٢) أضواء البيان (٤/٤٣٣ ، الأنبياء : ٣٧) .

ويدل على صحة هذا الاستثناس وصحة هذا القول ما جاء في حديث صحيح أن آدم عليه السلام خُلِقَ وَصُورَ في الجنة . فعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك ^(١) .

قال القرطبي في شرح هذا الحديث : (يعني أن الله تعالى لما صور طينة آدم، وشكلها بشكله على ما سبق في علمه تركه في الجنة) ^(٢) .

وقال الدكتور عبد الله بن مطلق الطواله : (يستفاد من هذا الحديث أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام وتصويره كان في الجنة) ^(٣) .

فهذا الحديث النبوي دليل واضح ونص صريح قاطع في محل النزاع، يدل على أن آدم عليه السلام كان خلقاً في الجنة .

ويمكن الجمع بين القول السابق بأن آدم عليه السلام خلق في السماء وبين هذا القول بأنه خلق في الجنة بأن يقال : إن آدم عليه السلام خلق في الجنة، والجنة في السماء . وعلى هذا لا تعارض بين القولين، والله أعلم بالصواب .

القول السادس : خلق آدم عليه السلام خارج الجنة ثم أدخل فيها . هذا القول ذهب إليه الشوكاني ^(٤)، وتبعه خليل أحمد السهارنفوري ^(٥)

(١) أخرجه م (البر والصلة والآداب، ب : خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك ٢٠١٦/٤ ح : ٢٦١١) .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٩٧/٦) .

(٣) خلق آدم وذريته كما ورد في الترتيل (ص : ٢٤) .

(٤) انظر : نيل الأوطار (٢٨٧/٣)، والشوكاني هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر محدث فقيه أصولي

ذو تصانيف كثيرة في علوم متنوعة، توفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (٥٣/١١) .

(٥) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود (٦/٦)، والسهارنفوري هو خليل أحمد بن محمد علي بن أحمد علي، من كبار علماء

الأحناف الديوبنديين، ذكر في كتابه (المهتد على المقتد ص : ٢٩-٣٠) بأنه و مشايخه على عقيدة الأشعرية والماتريدية في الاعتقاد والأصول، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع، وعلى عدة طرق صوفية في السلوك، وزعم في (ص : ٤٥

-٤٦) : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه ونصر دعوته فرقة من الخوارج، إلى غير ذلك من أقوال القوم ومعتقداتهم

التي تمس جانب العقيدة الصحيحة والتي يجب الحذر منها، وقد وافقه على ذلك سبعة وثلاثون عالماً من كبار العلماء

الديوبنديين من القدم والحديث، توفي سنة ١٣٤١هـ . انظر : ترجمته في مقدمة كتابه " بذل المجهود " بقلم الشيخ أبي

الحسن علي الندوي، بقلم الشيخ حسين أحمد المدني . و انظر : عقائد علماء الديوبند (٩-١٠، ص : ٦٧) .

ومحمد زكريا الكاندهلوي^(١)، و به قال الشيخ عبد القادر شيبه الحمد^(٢).
وقد استدلووا لما ذهبوا إليه بحديث أبي هريرة ؓ مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها^(٣).
ولكن يمكن أن يقال بأن طينة آدم ﷺ حملت إلى الجنة فصورت فيها على ما سبق
في علم الله تعالى ثم نفخ الخالق سبحانه فيه من روحه، وليس في حديث أبي هريرة وغيره
من الأحاديث التي فيها بأنه أدخل فيها يوم الجمعة ما يدل على أن آدم ﷺ أدخل الجنة
بعد ما نفخ فيه الروح^(٤).
فإن كان هذا التوجيه سليما مقبولا فكفى به رحمة و فضلا من الله سبحانه وتعالى،
وإن كان غير سليم فاستغفر الله وأتوب إليه.

ثم إن حديث أنس ؓ يمكن أن يرجح على حديث أبي هريرة ؓ، وذلك لما يلي :
١- يمكن أن يقال بأن إدخال آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة فيه احتمالان : إنه أدخل
فيها بعد نفخ الروح فيه، وليس في الحديث ما يدل على ذلك أو أنه أدخل الجنة قبل نفخ
الروح فيه ، أي حملت طينته إلى الجنة فصورت فيها على ما سبق في علم الله تعالى ثم نفخ
الخالق سبحانه فيه من روحه . وهذا أقرب لما جاء في حديث أنس ؓ وهو قوله ﷺ : ((لما
صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه فيها ...)) وهذا لا يحتمل إلا معنى واحدا وهو

(١) انظر : أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢٥٤/٢)؛ والكاندهلوي هو الشيخ محمد زكريا بن يحيى ، من
أكابر علماء الأحناف الديوبنديين، نسب إليه القول بوحدة الوجود، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٢هـ.
انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٤٨٣-٤٨٤)؛ وعقائد علماء الديوبند (ص : ١٤) .

(٢) انظر : تهذيب التفسير وتجرید التأويل (١٠٦/١) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

(٤) هذا مستفاد من كلام الطيبي في (الكاشف عن حقائق السنن ٢٩٩/١٠)، و مثله ذكر القاري في (مرقاة
المفاتيح ٣٢٨/٥)، والمناري في (فيض القدير ٢٩٧/٥)، وفي (التيسير ٣٠١/٢) . ويؤيد ذلك ما سبق ذكره من
حديث ابن زيد المرفوع المعضل الضعيف بأن الله ألقى تلك القبض التي خلق منها آدم ﷺ في نهر من أنهار الجنة.
وكذلك سألت غير واحد من أهل العلم والمشايخ فذكروا هذا التوجيه جمعاً بين الحديثين؛ فالله أعلم بالصواب .

أن الله سبحانه و تعالى صور طينة آدم ﷺ في الجنة، وأنه خلقه فيها . وقد تقرر في الأصول أن النص الذي لا مزاحم لدلوله مقدم على النص الذي له مزاحم لدلوله ^(١).

٢- أن حديث أنس ؓ نص منطوق في محل التزاع بأن الله سبحانه وتعالى صور طينة آدم ﷺ وشكلها بشكله على ما سبق في علمه سبحانه وتعالى في الجنة . وأما حديث أبي هريرة ؓ بأنه أدخل الجنة، والاستدلال به على أنه خلق خارج الجنة فهذا معنى مفهوم. ولا شك أن النص المنطوق مقدم على المعنى المفهوم ^(٢).

وبناء على ما تقدم من الوجهين يقدم حديث أنس ؓ الذي فيها أن آدم ﷺ خلق في الجنة على حديث أبي هريرة ؓ الذي يفهم منه أنه خلق خارج الجنة، والله تعالى أعلم بالصواب .

القول السابع : إن طينة آدم ﷺ خمرت في الأرض، بين مكة والطائف، وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار، واستعدت لقبول الصورة الإنسانية حملت إلى الجنة فصورت ونفخ فيها الروح . هذا ما ذكره الطيبي ^(٣) وملا علي القاري ^(٤) وعبد الرؤوف المناوي ^(٥).

وهم يريدون بهذا القول الجمع بين ما قيل بأن آدم ﷺ خلق في الأرض وبين ما جاء في الحديث النبوي الصحيح المروي عن أنس ؓ بأنه صور في الجنة ولكن القول بأنه خمرت طينته في الأرض بين مكة و الطائف حتى مرت عليها الأطوار يحتاج إلى نقل صحيح؛ فإن هذا من أمور الغيب، ولا مجال فيه للرأي والاجتهاد العقلي، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلا بنور من الكتاب والسنة .

فالقول الذي يترجح لدي هو القول الخامس لكونه أوفق وألصق بما جاء عن النبي ﷺ؛ ولأن حديث أنس ؓ صريح في محل التزاع أنه خلق في الجنة. وأما القول الأول فهو مجرد عن الدليل مع أنه لا يعلم له إسناد إلى من حكى عنه، وكذلك القول الثالث فإنه وإن كان

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٧٣٨/٣) .

(٢) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٨٧) .

(٣) انظر : الكاشف عن حقائق السنن (٢٩٩/١٠)، والطيبي هو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، صاحب تصانيف وعالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر : معجم المؤلفين (٥٣/٤) .

(٤) انظر : مرقاة المفاتيح (٣٢٨/٥)، والقاري هو علي بن سلطان بن محمد الخروفي المعروف بملا علي القاري،

الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٠١٤هـ. انظر : معجم المؤلفين (١٠٠/٧) .

(٥) انظر : فيض القدير (٢٩٧/٥)؛ والتيسير بشرح الجامع الصغير (٣٠١/٢) .

له إسناده إلا أنه ضعيف لا يصح. وأما القول الثاني فأدلتها في طرف عن محل النزاع، وأما القول الرابع فهو لا يخالف هذا القول ويمكن الجمع بينهما، وأما القول السادس فلا شك أن دليله صحيح قوي إلا أن دليل القول الخامس أقوى منه وأرجح لكونه نصاً في محل النزاع وعدم الاحتمال في دلالتها. وأما القول السابع ففيه محاولة للجمع بين دليل القول الخامس وبين القول الأول ولكن القول بأنها خمرت في الأرض بين مكة والطائف، وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار ثم حملت إلى الجنة فهذا يحتاج إلى نقل صحيح؛ فإن هذا من أمور الغيب، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلا بنور من الكتاب والسنة، والله أعلم بالصواب .

المبحث الرابع : مادة خلق آدم ﷺ ومراحل خلقه،

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مادة خلق آدم ﷺ .

خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين. والطين يتكون من مادتين : التراب والماء؛ فإن التراب وحده إذا لم يكن رطبا مخلوطا بالماء لا يقال له طين بل هو تراب، فإذا خالطه ماء وأصبح التراب رطبا لنا صار طينا^(١) مثل العجين الذي يتكون من الدقيق والماء؛ فالدقيق لوحده أو الماء لوحده لا يقال له عجين، فإذا اختلط الماء والدقيق صار عجينا، فكذلك التراب والماء كل واحد منهما له اسم خاص به في حالة انفردهما عن الآخر، فإذا اختلطتا جميعا صار طينا؛ فالطين يشتمل على مادتين : التراب و الماء ومنهما خلق آدم ﷺ .

المادة الأولى في خلق آدم ﷺ : التراب

خلق الله تعالى آدم ﷺ من تراب الأرض جميعها، أسودها وأحمرها وأبيضها وسهلها وحزنها وطيبها وخبيثها، وهذه هي المادة الأولى في خلق أبي البشر آدم ﷺ، وقد جاء بيان ذلك في القرآن الكريم في أسلوب بارع متنوع خلال كثير من الآيات بأسماء مختلفة، منها ما يلي :

● الأرض : قال تعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض ﴾^(٢)، وقال تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾^(٣) .

● التراب : قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ أكلرت بالذي خلقك من تراب ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾^(٦) وقال تعالى :

(١) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٥٣٣ ، مادة : طين) .

(٢) هود الآية : ٦١

(٣) النجم الآية : ٣٢

(٤) آل عمران الآية : ٥٩

(٥) الكهف الآية : ٣٧

(٦) الحج الآية : ٥

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ ^(٢)
وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ﴾ ^(٣).

● الطين : قال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ قال أسجد لمن خلقت طينا ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ ^(٩) وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ ^(١٠).

● صلصال من حمأ مسنون : قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ ^(١١)
وقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ ^(١٢) وقال تعالى : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ ^(١٣) وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ ^(١٤).

-
- (١) الروم الآية : ٢٠
 - (٢) فاطر الآية : ١١
 - (٣) غافر الآية : ٦٧
 - (٤) ص : ٧١
 - (٥) الأنعام الآية : ٢
 - (٦) الأعراف الآية : ١٢ ؛ و ص الآية : ٧٦
 - (٧) الإسراء الآية : ٦١
 - (٨) السجدة الآية : ٧
 - (٩) الصافات الآية : ١١
 - (١٠) المؤمنون الآية : ١٢
 - (١١) الحجر الآية : ٢٦
 - (١٢) الحجر الآية : ٢٨
 - (١٣) الحجر الآية : ٣٣
 - (١٤) الرحمن الآية : ١٤

فهذه الآيات من القرآن الكريم تبين أن الله تعالى خلق أبا البشر آدم ﷺ من تراب الأرض، هذا الذي قرره الله تعالى في كتابه جاءت السنة النبوية موافقة له، وزادت في شرحه وبيانه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار^(١)، وخلق آدم مما وصف لكم^(٢) .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بآبائها ، فالناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله . والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليتهم أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب^(٤) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك^(٥) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن آدم خلق من ثلاث تربات : سوداء، وبياضاء، وخضراء^(٦) .

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٢٦/٢٧) عن مجاهد أنه قال : إن المارج من النار هو : الملهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت . وسنده صحيح كما في التفسير الصحيح (٤٢٢/٤)؛ وقال ابن الأثير : مارج النار : لهبها المختلط بسوادها . النهاية في غريب الحديث (٣١٥/٤) .

(٢) أخرجه م (الزهد والرفائق، ب : في أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤ ح : ٢٩٩٦) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٤) .

(٤) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(٥) أخرجه د (السنة، ب : في القدر ٢٢٢/٤ ح : ٤٦٩٣)، واللفظ له؛ وت (التفسير ، سورة البقرة ٢١٤/٥ ح : ٢٩٥٥)، وقال :

هذا حديث حسن صحيح ؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ ، ب : بدء الخلق ذكر البيان بأن قوله ﷺ : خلق الله آدم من آدم

الأرض كلها أراد به من قبضة واحدة منها ٢٩/١٤ ح : ٦١٦٠ و ٦٠/١٤ ح : ٦١٨١)؛ وكـ (التفسير ، ب : خلق الله آدم

من آدم الأرض كلها ٢٦١-٢٦٢)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني

في صحيح سنن أبي داود (١٤٣-١٤٤ ح : ٤٦٩٣)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١٧٢/٤ ح : ١٦٣٠) .

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٤/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧/٤ ح : ١٥٨٠) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خلق الله تعالى عز وجل آدم عليه السلام من أديم الأرض جميعها، من أسودها، وأحمرها، وأبيضها، ولينها، وطيبها، وغلظها وسباخها^(١)؛ فكل ذلك أنت راء في ولده^(٢) .

فهذه الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين أن آدم ﷺ خلق من تراب الأرض، وأن هذا التراب لم يؤخذ من مكان واحد بل أخذ من جميع الأرض من تربة حمراء وبياض وسوداء... وخلطت جميعها ثم خلق آدم ﷺ منها، وهذه هي المادة الأولى التي خلق منها أبو البشر آدم ﷺ كما تقدم في ضوء الكتاب و السنة .

المادة الثانية في خلق آدم ﷺ : الماء

لقد تقدم ذكر الآيات الدالة على أن آدم ﷺ مخلوق من الطين، وأن الطين يتكون من مادتين : التراب والماء ، فالتراب هي المادة الأولى في خلق آدم كما تقدم ، والماء هي الأخرى التي خلق منها آدم ﷺ فجميع الآيات المتقدمة الدالة على أن آدم ﷺ خلق من الطين أو الحمأ المسنون أو الصلصال كلها تدل على المادة الثانية التي خلق منها آدم ﷺ وهو الماء .

هذا، وقد ورد ذكر الماء على أنه عنصر أساسي في خلق كل مخلوق حي . قال الله تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾^(٥) .

فالله سبحانه وتعالى بين أنه خلق كل ما يدب ويمشي على الأرض من المخلوقات

(١) السِّبَاخ : جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٣٣/٢ ، مادة : سبخ) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٥٤٧/٥ - ١٥٤٨ ح : ١٠٠٨ - ٧)، قال محققه : هو موقوف ورجال إسناده ثقات؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (ب : بدء الخلق ٢٥٨/٢ ح : ٨١٧)، قال محققه : إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات؛ والتميمي في الحجة في بيان المحجة (ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه خالق الخلق ٣٧٧/١ - ٣٧٨ ح : ٢١٣)، ويشهدله حديثا أبي موسى الأشعري وأبي ذر الغفاري - رضي الله عنهما - وقد سبق ذكرهما في الصفحة الماضية .

(٣) النور الآية : ٤٥

(٤) الفرقان الآية : ٥٤

(٥) الأنبياء الآية : ٣٠

من الماء فتكون هذه الآيات شاملة لأبي البشر وبنيه، شمولها المخلوقات الحية الأخرى^(١)، والله أعلم بالصواب .

وكذلك جاءت السنة النبوية موافقة لكتاب الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء . قال : " كل شيء خلق من الماء " . فقلت : أخبرني بشيء إذا عملت به، دخلت الجنة . قال : " أطعم الطعام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وقم الليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام " ^(٢).

فالنبي ﷺ بين أن كل شيء خلق من الماء، فهذا أيضا يشمل آدم عليه السلام، فالماء هي المادة الثانية في خلق آدم عليه السلام، والله أعلم بالصواب .

خلاصة القول : إن آدم عليه السلام خلق من الطين^(٣)؛ أي : التراب والماء ولكن هذا الطين مر بأحوال وأطوار، ولذلك جاء التعبير عنه في القرآن بألفاظ مختلفة باعتبار صفات الطين وأحواله المختلفة .

سيأتي له مزيد بيان في المطلب التالي إن شاء الله تعالى، وهو ولي التوفيق .

-
- (١) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٧٧/٣)؛ وفتح البيان في مقاصد القرآن (٣٢٤/٩)؛ وأيسر التفاسير لكلام العلمي الكبير (٤٠٩/٣)؛ وفهر الخير على أيسر التفاسير، وهو مطبوع مع أيسر التفاسير (٤٠٩/٣) .
- (٢) أخرجه حم (٣١٤/١٣ ح : ٧٩٣٢)؛ وحج كما في الإحسان (الصلاة، ب : فصل في قيام الليل، ذكر إيجاب دخول الجنان للقائم في سواد الليل يتملق إلى مولاه ٢٩٩/٦ ح : ٢٥٥٩)، واللفظ له؛ وكم (البر والعلة، ب : ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء ١٦٠/٤)، وقال : (صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ قال ابن كثير في التفسير (١٧٧/٣) : (هذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (الأطعمة، ب : إطعام الطعام ١٦/٥) : (رجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة وهو ثقة)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٢٣٨/٣ ح : ٧٧٧) : (إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي ميمونة وهو ثقة) .
- (٣) إن خلق الإنسان من طين يؤيده الواقع، ويشهد له العلم الحديث، فإنك لو أخذت قبضة من تراب الأرض وقطعة من جسم الإنسان، وأجريت على كل منهما عمليات التحليل الكيماوي لوجدت أن العناصر التي يتكون منها جسم الإنسان هي العناصر التي يشتمل عليها الطين، مع اختلاف مقدار كل عنصر تبعاً لأهمية الوظيفة التي يؤديها في الجسم . انظر : الطب محراب الإيمان (٩٥/٢-٩٧)؛ وكتاب " آدم عليه السلام " (ص : ١٩-٢٠) .

المطلب الثاني : مراحل خلق آدم ﷺ .

لقد تقدم في المطلب السابق أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة عن المادة التي خلق منها آدم ﷺ قبل أن يخلقه بقوله تعالى : «إني خالق بشرا من طين»^(١)، وقوله تعالى : «إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون»^(٢).

وهذا الطين الذي خلق منه آدم ﷺ أصله من تراب الأرض، أخذ من أديم الأرض كلها، وأضيف إليه الماء؛ فأصبح طينا لازبا. واللازب : هو الطين الجيد اللزج الذي يلتصق بعضه ببعض^(٣). ثم تركت هذه الطينة حتى تغير لونها وريحها من طول مكثها، فصارت حمأ مسنونا^(٤)؛ أي : طينا متغيرا، ثم صور الله طينة آدم وشكلها بشكله على ما سبق في علمه سبحانه ثم تركه حتى جف وصار صلصالا^(٥) كالْفَخَار، كما قال تعالى : «خلق الإنسان من صلصال كالفخار»^(٦) (٧).

(١) ص الآية : ٧١

(٢) الحجر الآية : ٢٨

(٣) قال ابن عباس في قوله تعالى : «طين لازب» : ملتصق . أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣/٢٣) بإسناده وهو إسناد حسن كما في التفسير الصحيح (١٩٦/٤) . وقال أيضا : الطين اللازب : اللازق الجيد . أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/١٤)؛ وأبو الشيخ في العظمة (١٥٤٥/٥ ح : ١٠٠٤)، وكلا الإسنادين يجتمعان في يحيى بن سعيد عن سفيان إلى ابن عباس موقوفا، والسند صحيح على شرط مسلم كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) .

(٤) قال ابن عباس في قوله تعالى : «من حمأ مسنون» : من طين رطب . وقال مجاهد : حمأ متن . والأثران أخرجهما الطبري في تفسيره (٣٠-٢٩/١٤) بإسناده، وإسناده إلى ابن عباس حسن، وإلى مجاهد صحيح كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) . (٥) هو الطين الذي قد جف وبيس بعد ما خمر حتى إذا ما قرع أصدر صوتا ورنينا يشبه صوت الفخار، وهو الطين المشوي بالنار . قال ابن عباس : «الصلصال» : الطين اليابس . وقال مجاهد : هو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة فهو كالْفَخَار كما قال الله عز وجل . والأثران أخرجهما الطبري في تفسيره (١٢٥/٢٧)، وأثر ابن عباس سنده حسن، وأثر مجاهد سنده صحيح كما في التفسير الصحيح (٤٢٢/٤)، وكذلك جاء عن قتادة مثل قول مجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/١٤)، وسنده حسن كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) .

(٦) الرحمن الآية : ١٤

(٧) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص : ٩-١٠)؛ والمفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٥٩٦/٦)؛ ودفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب [مع أضواء البيان] (١١٨/١٠)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٦٨-٦٩) .

وبقي آدم ﷺ هكذا مصورا منجدلا في طينته إلى ما شاء الله، ولم تنفخ فيه الروح، وهو في هذه الحال وإن كان شيئا غير أنه لم يكن شيئا مذكورا، كما قال الله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ ^(١).

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية : (لم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة ولا شرف، وإنما كان طينا لازبا وحمأ مسنونا) ^(٢).

ثم جاءت مرحلة من أعظم المراحل وأشرفها في خلق آدم ﷺ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ^(٣)؛ فأكرم الله آدم ﷺ وأنعم عليه غاية الإنعام، فنفخ فيه من روحه تبارك وتعالى .

وقد جاء في حديث رسولنا الكريم ﷺ بيان هذه المراحل كلها التي مر بها آدم ﷺ في خلقه فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بإسناده إلى أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار . قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه روحه، فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ^(٤)، فعطس، فلقاه الله حمد ربه، فقال الرب : يرحمك ربك ... الحديث ^(٥).

(١) الإنسان الآية : ١

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٢/٢٩)؛ وانظر : تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٤) .

(٣) ص الآية : ٧٢

(٤) أصل الخيشوم هو غضاريف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، ويطلق ويراد به أقصى الأنف، ويراد ما فوق فتحة الأنف من القصة وما تحتها؛ أي : الأنف بكامله . انظر : القاموس المحيط (١٠٧/٤) ، مادة : خشم ؛ ولسان العرب (١٠٣/٤)؛ ومختار الصحاح (ص : ٧٤) .

(٥) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤٥٣/١١ - ٤٥٥ ح : ٦٥٨٠)؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٨) : (فيه إسماعيل بن رافع ، قال البخاري ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح) لكن إسماعيل بن رافع لم ينفرد برواية هذا الحديث عن المقرئ بل توبع عليه، وتابعه الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، وروايته عند ت (أبواب التفسير، سورتا المعوذتين، الباب الذي قبل الأخير ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨)؛ وابن أبي عاصم في السنة (٩١/١ ح : ٢٠٦)؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٧ ح : ٢١٨)؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (٩٨/١)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧)؛ وكم (الإيمان، قصة خلق آدم ... ٦٤/١)



فالصلصال متحول من الحمأ المسنون، وهو في أصله طين... فالطين طور من أطوار خلق آدم ﷺ، ثم الحمأ المسنون مرحلة تالية له، ثم الصلصال، وهي مرحلة بعد الحمأ المسنون، ثم جاءت مرحلة من أعظم المراحل وأسمها وأعلاها، وهي التي نفخ الله فيها من روحه في آدم ﷺ، والله أعلم بالصواب.

ح

وغيرهم، والشارح بن عبد الرحمن صدوق؛ فالحديث حسن لا سيما له ما يشهد من الأحاديث الصحيحة والحسنة منها : حديث عائشة وأبي موسى الأشعري وأبي ذر الغفاري وابن عباس - رضي الله عنهم -، وقد تقدمت أحاديثهم في (ص : ١٠٥-١٠٦)، وحديث أبي هريرة ؓ، وقد تقدم في (ص : ٤٢)، وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وقد في (ص : ٤٤)، وحديث أنس ؓ، وقد تقدم في (ص : ٩٩) .

وقد قام الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بدراسة هذا الحديث دراسة تفصيلية في تحقيقه للمجلد الرابع عشر من كتاب " المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية " للحافظ ابن حجر العسقلاني وخص النتيجة بقوله : (ذكر العطاس صحيح لغيره في هذا الحديث، وكذلك ذكر التسليم وطره الأخير، والحديث باقية حسن) . انظر للتفصيل : المطالب العالية (أحاديث الأنبياء ، ب : خلق آدم ﷺ ١٤ / ٢٢٩-٢٣٥ ح : ٣٤٤٧) .

المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم ﷺ ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المراد بالروح التي نفخت في آدم ﷺ .

خلق الله تعالى آدم ﷺ وكرمه وشرفه بفضائل انفرد بها عن سائر الخلق، ومن تلك الخصائص والفضائل التي اختص بها آدم ﷺ أن الله سبحانه وتعالى لما خلقه نفخ فيه من روحه تبارك وتعالى، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) . وقال له موسى ﷺ وقت الحاجة : ((أنت آدم الذي خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته...)) ^(٢) ، ويقول له أهل الموقف كما في حديث الشفاعة أن الناس يسأون إليه يوم القيامة، فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك...)) ^(٣) .

فنفخ الله في آدم ﷺ من روحه مما خصه الله به حيث لم يوكل ذلك إلى أحد من خلقه كما هو الحال في غيره، هذه فضيلة عظيمة اختص بها آدم ﷺ، وانفرد بها عن سائر الخلق، ولذلك كانت مرحلة نفخ الروح فيه من أعظم مراحل خلقه وأعلاها وأسمها كما تقدم ولكن الروح التي نفخت فيه اختلفت الأقوال في بيان المراد منها، وفيما يلي ذكرها مع بيان ما لها وما عليها، والله الموفق .

القول الأول : الروح الذي نفخ في آدم ﷺ جزء من الله تعالى غير مخلوق، انفصل

عن ذات الله تعالى، فكان في آدم ﷺ، ثم في شيث ﷺ، ثم هو في كل نبي ووصي، إلى أن صار في علي ﷺ، ثم في أولاده، ثم هو في كل وصي وإمام .

(١) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٢) جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة ؓ، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) جزء من حديث الشفاعة رواه أبو هريرة ؓ، أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه... ﴾ [نوح : ١] ٣/ ١٢١٥ ح : ٣١٦٢) وم (الإيمان ، ب : أدنى أهل الجنة منزلة ١/ ١٨٤ ح : ١٩٤) .

هذا قول الزنادقة من غلاة الروافض الحلولية كالجناحية والبيانية ومن وافقهم^(١). وهو مبني على كفر بواح، وظلمات دامسة بعضها فوق بعض، لا يقول به عاقل تجاه معبوده فضلا أن يقول به مسلم يعرف ربه ودينه، وبيان بطلانه من وجوه :

أولا : إن هذا القول يلزم منه أن هناك أشياء انفصلت من ذات الله تعالى، ودخلت في تركيب غيره، وهو سبحانه وتعالى مزم أن تكون ذاته مادة خلق لغيره^(٢)، بل هو سبحانه بائن بذاته عن مخلوقاته؛ فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ومن قال : إن شيئا من صفات الله تعالى حال في العبد، أو قال بالتبعض على الله فقد كفر، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها^(٣).

ثانيا : إن هذا القول من جنس قول النصارى في المسيح الذين يعتقدون أن المسيح إله على اعتبار أنه ذو طبيعتين : لاهوتية وناسوتية^(٤). وقد رد الله ذلك عليهم، وكفرهم من أجله^(٥). قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله

(١) قال صنف من الصابئة الفلاسفة : إن الروح قديمة أزلية، ولم يقولوا : إنها من ذات الرب تعالى . وقالت النصارى في روح عيسى : إنها قديمة، وإنها من ذات الرب تعالى . وقالت طائفة من الروافض في روح آدم عليه السلام مثل ما قالت النصارى في روح عيسى عليه السلام، وازدادت منهم ضلالا حيث زعمت أن روح الإله كان في آدم عليه السلام ... ثم في كل نبي ووصي إلى أن انتقلت إلى علي وأولاده ثم هو في كل وصي وإمام ! هذا قول الزنادقة من غلاة الروافض الحلولية كالجناحية : أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . والبيانية : أتباع بيان بن سمعان، من ووافقهم . انظر : مقالات الإسلاميين (ص : ٦) ؛ والفرق بين الفرق (ص : ٢٢٧ و ٢٣٦ و ٢٤٢-٢٤٣) ؛ والملل والنحل (١٥٢/١-١٥٣) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢١/٤-٢٢٢ و ١٥٠/١٧) ؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٢٦٣/٧-٢٦٤) ؛ والروح (ص : ٢٦٣) ؛ والتعريفات (ص : ١٠٦-١٠٧) ؛ وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١٧٨/٢) .

(٢) انظر : الشرك في القديم والحديث (١/٤٨٤-٤٨٥) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٦/٢، ٣٤٠ و ٨٣/٥ و ٥٩٨/١٢) ؛ وهداية الحيارى (ص : ٣١١) .

(٤) انظر : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ص : ٥٦) ؛ وشرح الأصول الخمسة (ص :

٢٩٢) ؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤) ؛ وهداية الحيارى (ص : ٣٢٢-٣٢٤) ؛ واليهودية

والمسيحية للأعظمي (ص : ٣٠١) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٠/٤ و ٢٢٢) .

(٦) المائدة الآية : ١٧

هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما أواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿١﴾.

ثالثا : الروح موصوفة بالإرسال والإمساك والقبض والوفاء، وأن الملائكة يخرجونها من البدن طوعا أو كرها، فيمسكونها بأيديهم، ويكفونها بكفن من الجنة أو النار، ويصعدون بها إلى السماء، فلو كانت أرواح من زعم هؤلاء أنها جزء من الله لما صح أن توصف بهذه الأوصاف بل الروح إذا كانت مشركة لا يفتح لها أبواب السماء، ويقال لها : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فما كان هذا وصفه كيف يصح أن يقال أنه جزء من الله ؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿٢﴾ .

رابعا : نفخ الله تعالى في آدم عليه السلام من روحه ليس معناه أن روح آدم جزء من ذاته سبحانه جعله في آدم عليه السلام لما نفخ فيه الروح، بل ما أضافه الله تعالى إلى نفسه على نوعين ﴿٣﴾ وهما :

النوع الأول : صفات لا تقوم بأنفسها، وتكون إضافتها إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف . كقوله تعالى : ﴿ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ﴿٤﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ ﴿٥﴾، فعلمه وكلامه من صفاته تعالى، وصفاته غير مخلوقة .

والنوع الثاني : أعيان منفصلة عنه تعالى قائمة بنفسها، فإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق، كقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ ﴿٦﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن أرضي واسعة ﴾ ﴿٧﴾ .

(١) المائدة الآيتان : ٧٢-٧٣

(٢) انظر الأدلة على ذلك في (ص : ١٣٣-١٣٥) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥١/١٧-١٥٢)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٢٦٥/٧-٢٦٦)؛ والروح (ص : ٢٧٩-٢٨٠)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٨/١-٩٠) .

(٤) التوبة الآية : ٦

(٥) فاطر الآية : ١١ وفصلت الآية : ٤٧

(٦) الجاثية الآية : ١٣

(٧) العنكبوت الآية : ٥٦

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ^(٣).

فالروح التي نفخت في آدم عليه السلام إضافتها إلى الله تعالى من هذه الإضافة الخاصة؛ فهي ليست قديمة، ولا صفة له سبحانه، ولا جزءاً منه تعالى، وإنما هي روح مخلوقة كبقية الأرواح، ولكنها انفردت عن غيرها وامتازت بأن الله نفخها في آدم عليه السلام، وأضافها إلى نفسه إضافة خاصة .

خامساً : أن الأرواح كلها مخلوقة محدثة . والأدلة على كون الأرواح مخلوقة محدثة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد أجمعت الأمة على ذلك، وهنا أكتفي بذكر بعضها ^(٤).

أ- من الكتاب والسنة .

جميع النصوص الدالة على أن الله سبحانه وتعالى هو ربنا، ورب آبائنا، ورب كل شيء تدل على أن الأرواح مخلوقة؛ لأن ربوبية الله تعالى لا تقتصر على الأبدان فقط، ولا على الأرواح فقط، بل هي شاملة للأرواح كما هي شاملة للأبدان، فالأرواح والأجسام كلها مربوبة مملوكة له سبحانه وتعالى، وكل ما هو مربوب مملوك؛ فهو مخلوق ^(٥).

ب - من الكتاب .

● قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ ^(٦) فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه من الوجوه، ولا يدخل في ذلك صفاته؛ فإنها داخلية في مسمى اسمه، والله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه، وقدرته، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه . ليس داخلًا في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها؛ فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق .

(١) الشمس الآية : ١٣

(٢) البقرة الآية : ١٢٥

(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٤) بحسن الرجوع للتفصيل إلى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٦-٢٣٠)؛ وكتب الروح (ص : ٢٦٦-٢٧٢).

(٥) انظر : الروح (ص : ٢٦٦-٢٦٧) .

(٦) الزمر الآية : ٦٢

ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته، فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس .^(١)

● وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٢) . وهذا الخطاب بالفقر إليه سبحانه للأرواح والأبدان معاً، وليس هو للأبدان فقط؛ فلو كانت الأرواح قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها، وهذا من أبطل الباطل؛ فإن فقرها إليه سبحانه من لوازم ذاتها، كما أن غنى ربها من لوازم ذاته، فهو سبحانه الغني بالذات، وهي الفقيرة إليه بالذات . فكيف تكون قديمة مستغنية عن خالقها ومبدعها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة تشهد على كونها مخلوقة مربوبة مصنوعة^(٣) .

● وقال تعالى مخاطباً لعبده زكريا عليه السلام : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً ﴾^(٤) . وهذا الخطاب ليس لبدنه فقط بل هو خطاب لروحه وبدنه؛ فإن البدن وحده لا يفهم، ولا يخاطب، ولا يعقل، وإنما الذي يفهم ويعقل و يخاطب هو الروح وحده أو الروح مع البدن^(٥) .

● وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾^(٦) . فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئاً مذكوراً؛ فإنه إنما هو إنسان بروحه وبدنه لا يبدنه فقط^(٧) .

ج - من السنة .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : الأرواح جنود مجنّدة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف^(٨) .

(١) انظر : الروح (ص : ٢٦٥-٢٦٦) .

(٢) فاطر الآية : ١٥ .

(٣) انظر : الروح (ص : ٢٧٠-٢٧١) .

(٤) مريم الآية : ٩ .

(٥) انظر : الروح (ص : ٢٦٦) .

(٦) الإنسان الآية : ١ .

(٧) انظر : الروح (ص : ٢٦٩) .

(٨) أخرجه خ (الأنبياء، ب : الأرواح جنود مجنّدة ١٢١٣/٣ ح : ١٣٥٨)؛ وم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (البر والصلة والآداب، ب : الأرواح جنود مجنّدة ٢٠٣١/٤ ح : ٢٦٣٨) .

والجنود المجنّدة لا تكون إلا مخلوقة (١).

د - الإجماع على كون الروح مخلوقة : ولما كانت الروح مخلوقة كما تقدمت الأدلة عليه من الكتاب والسنة، أجمعت الأمة على كونها مخلوقة، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء . منهم : ابن قتيبة الدينوري (٢) حيث قال : (أجمع الناس على أن الله فلق الحبة، وبارئ النسمة ؛ أي : خالق الروح) (٣).

وقال محمد بن نصر المروزي (٤) : (لا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكونها واختراعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه . قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ (٥) (٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة) (٧).

وقال العلامة ابن القيم : (أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنهما محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة . هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق . وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم - وهم

(١) انظر : الروح (ص : ٢٦٢ و ٢٦٨ - ٢٦٩) .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كان ثقة دينا، صاحب التصانيف النافعة، توفي سنة ٢٧٦هـ . انظر : تاريخ بغداد (١٧٠/١٠)؛ وسير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣) .

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة (ص : ٥٦)، وذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢١٦/٤ - ٢١٧) وابن القيم في الروح (ص : ٢٦٤) .

(٤) محمد بن نصر المروزي، ثقة حافظ، قال عنه ابن تيمية : " الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم "، توفي سنة ٢٩٤هـ . انظر : مجموع الفتاوى (٢١٦/٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥١٠ برقم : ٦٣٥٢) .

(٥) الجاثية الآية : ١٣ .

(٦) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢١٦/٤)؛ وتلميذه ابن القيم في (الروح ص : ٢٦٣)، واللفظ له؛ وابن عيسى في شرح قصيدة ابن القيم (١٧٩/٢) .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٦/٤) .

القرون الفضيلة - على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة من قصر فهمه في الكتاب والسنة ؛ فزعم أنها قديمة غير مخلوقة (١) .

وقال أبو حيان : (أجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كفرة الفلاسفة وكثير (٢) ممن ينتمي إلى الإسلام أنها قديمة (٣) .

وقال خير الدين الألوسي (٤) : (أجمع المسلمون على أنه (الروح) حادث حدوثا زمنيا، كسائر أجزاء العالم) (٥) .

سادسا : أنه لا يمكن رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر. لقد قرر الإسلام أن الدنيا هي دار العمل، وأن الآخرة هي دار الجزاء، وأن الإنسان يحيى حياة أرضية واحدة، ثم يكون بعدها البعث والحساب الذي يترتب عليه دخول الشخص الجنة أو النار، على حسب عمله في الدنيا؛ فلا تكرر حياة الإنسان الدنيوية على أية صورة من صور التجسد .

قال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا رد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ (٨) وقال تعالى : ﴿ ألمبرواكم أهلكتنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون * وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ (٩) .

(١) الروح (ص : ٢٦١) .

(٢) القائلون بقدم الروح من المنتسبين إلى الإسلام قليلون جدا فلا عبرة بهم بل اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة على كونها مخلوقة كما تقدم ذلك؛ فلو قال : وذهب كفرة الفلاسفة وبعض من ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة لكان أحسن والله أعلم .

(٣) تفسير البحر المحيط (٧٤/٦)؛ ونقله عنه مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في (أقاويل الثقات ص : ١٩١) .

(٤) نعمان بن محمود بن عبد الله الألوسي، من أعلام الأسرة الألوسية في العراق، توفي سنة ١٣١٧ هـ . انظر : الأعلام (٤٢/٨) .

(٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ١٦٩) .

(٦) المؤمنون الآيتان : ٩٩-١٠٠

(٧) الشورى الآية : ٤٤

(٨) الأنعام الآيتان : ٢٧-٢٨

(٩) يس الآيتان : ٣١-٣٢

سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ^(١) فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم في جوف طير خضر، لها

قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا : يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ^(٢).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : يا جابر ! ما لي أراك منكسرا ؟ قلت : يا رسول الله ! استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا . قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك؛ فكلمه كفاحا، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك . قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ... الحديث ^(٣).

فهذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فيها بيان واضح على أن الإنسان يحيا حياة أرضية مرة واحدة؛ فمن مات منهم وارتحل من دار العمل إلى دار الجزاء، ليس له أن يرجع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بل جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي الله تعالى، فيحاسبهم ربهم، ويجازيهم بأعمالهم كلها ^(٤).

قال العلامة ابن حزم ^(٥) : (من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد آخر فهو قول

(١) آل عمران الآية : ١٦٩

(٢) أخرجه م (الإمارة، ب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ... ١٥٠٢/٣ ح : ١٧٨٧) .

(٣) أخرجه ت (التفسير، آل عمران ٢٣٠/٥ ح : ٣٠١٠)؛ وجه (المقدمة، ب : في ما أنكرت الجهمية ٦٨/١ ح : ١٩٠ .

والجهاد، ب : فضل الشهداء ٩٣٦/٢ ح : ٢٨٠٠) . قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ...)؛ وحسنه

العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٠/٣ ح : ٣٠١٠)؛ وفي صحيح سنن ابن ماجه (٨١/١ ح : ١٥٨) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٢ و ٥٧٠/٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٧٦٢-٧٦١ و ص : ٩٥٩)؛ والبوذية وتاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها (ص : ٢٤٢-٢٤٣) .

(٥) هو علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي، قال عنه الذهبي : (الإمام الأوحـد

البحر ذو الفنون والتصانيف)، توفي سنة ٤٥٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) .

أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام (١). وقال أيضا : (من قال : إن الأرواح أعراض فانية، أو قال : إنها تنتقل إلى أجسام آخر فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام لخلافه القرآن والسنن الثابتة عن النبي ﷺ والإجماع ... و أما القول بنقل الأرواح إلى أجسام آخر فهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف) (٢).

وقال القرطبي : (كل من يقول : إن الروح يموت ويفنى (٣) فهو ملحد، وكذلك من يقول بالتناسخ : أنها إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك. إنما هي محفوظة بحفظ الله إما منعمة، وإما معذبة) (٤).

فهذه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع تبين أن روح آدم ﷺ وأرواح من مات من بنيهِ ومن سيموت كلها تكون في مستقرها إلى يوم القيامة، وليس لها أن ترجع إلى دار الدنيا مرة أخرى، على أية صورة من صور التجسد، وبه يعلم بطلان قول من يقول بانتقال روح آدم ﷺ أو غيره إلى أحد من بعده .

فتبين مما سبق من الوجوه في ضوء الكتاب والسنة والإجماع بطلان هذا القول، فله الحمد والمنة، الذي بنعمته تتم الصالحات .

القول الثاني : المراد بالروح التي نفخت في آدم ﷺ هو النور المحمدي : قال محمد بهاء الدين السبطار : (لما كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نورا محضا كانت فضلاته مقدسة طاهرة...، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة...، وهذا هو النور المحمدي، هو المعنى بروح الله المنفوخ في آدم . قال تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ (٥) فروح الله نور محمد ﷺ) (٦).

وهذا القول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

(١) المحلى (٢٦/١) .

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص : ٢١١-٢١٥) .

(٣) اختلف الناس هل الروح تموت مع البدن أو يموت البدن وحده وكل له أدلته والصواب في ذلك أن يقال : موت النفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب . انظر : الروح (ص : ٧٠-٧١) .

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٦٠/١) .

(٥) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٦) النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمديّة الإدرسية (ص : ١٣) .

أولاً : هذه الدعوى ليس لها دليل شرعي ولا عقلي، وإنما هي من باب الغلو المشابه لقول النصارى في المسيح ^(١)، بل هي من باب الكذب على الله ورسوله ﷺ .

ثانياً : إن في إثبات هذا المعنى نفياً لبشرية الرسول ﷺ التي دل عليها الكتاب والسنة. أما الكتاب فقد دلت الآيات القرآنية على بشرية الرسول ﷺ من وجوه عديدة، منها ما يلي :

أ- الرسول ﷺ ليس بدعاً من الرسل فقد خلت من قبله الرسل، وكلهم كانوا بشراً : قال تعالى : ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ﴾ ^(٢). فالرسول ﷺ بشر كسائر الرسل عليهم السلام .

ب - الرسول ﷺ لا قدرة له إلا قدرة البشر : لما طلب المشركون من النبي ﷺ أموراً لا يقدر عليها البشر تعجيزاً له ﷺ أمره ربه تبارك وتعالى أن يقول لهم : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إليه واحد ﴾ ^(٤). فالرسول ﷺ بشر لا قدرة له إلا قدرة البشر، وإنما يؤيده الله تعالى بالوحي وينصره كيف شاء ^(٥).

ج - الرسول مخلوق مما خلق منه البشر . البشر مخلوقون من تراب، لا من نور . قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتشرون ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ ^(٧) والآيات في هذا المعنى كثيرة ^(٨).

فقد أخبر الله تعالى أن رسوله محمداً ﷺ بشر، وأخبر أن البشر مخلوقون من تراب، وهذا خبر عام يشمل الرسول ﷺ وغيره من بني آدم، فكيف يكون نورا محضاً منفرداً عن

(١) انظر قول النصارى في المسيح وروحه في (ص : ١١٢ و ٤٧٨) .

(٢) إبراهيم الآيتان : ١٠ - ١١

(٣) الإسراء الآية : ٩٣

(٤) الكهف الآية : ١١٠

(٥) انظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص : ٩٧ - ٩٨) .

(٦) الروم الآية : ٢٠

(٧) فاطر الآية : ١١

(٨) تقدمت عند الكلام عن مادة خلق آدم ﷺ في (ص : ١٠٣ - ١٠٤) .

سائر البشر ؟ و تخصيص الرسول ﷺ بأنه نور محض وليس بشرا يحتاج إلى مخصص، وليس هناك ما يصلح للتخصيص^(١).

د - الرسول ﷺ يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من ضروريات الحياة ولوازمها. لقد بين الله تعالى بشرية الرسول ﷺ ببيان خصائص البشرية ولوازمها؛ فقال تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾^(٢)، وكل من أكل الطعام فلا بد أن تكون له فضلات، وله مخارج بشرية تخرج منها تلك الفضلات، ويترتب على خروجها في الأنبياء ما يترتب عليها في البشر، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ويغتسل، ويتنظف، ويتطيب، بل وأخبر سبحانه عن عبده ورسوله أنه سيموت، فقال تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾^(٣) وموته - كما تفيد الآية - مثل موتنا^(٤). فالقرآن الكريم يؤكد لنا بشرية الرسول ﷺ، وأنه مثلنا في بشريته، ومن تأمل قوله تعالى : ﴿ بشر مثلكم ﴾ علم أن بشرتنا كالقاعدة، ومحمد ﷺ منسوب إليها، وهذا أبلغ في الدلالة على بشريته من قوله : أنتم بشر مثله^(٥).

وهذا الذي ذكره الله تعالى في كتابه بينه رسول الله ﷺ بلسانه، فأخبر أنه بشر ينسى، ويتذكر، ويرضى، ويغضب، ويخشع، ويحزن، كسائر البشر، فعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا، فقلنا : يا رسول الله ! أزيد في الصلاة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا. قال : إنما أنا بشر مثلكم؛ أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدة السهو^(٦). وعن أم سلمة ؓ قالت : سمع رسول الله ﷺ خصومة بباب حجرته؛ فخرج إليهم، فقال : إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض؛ فأحسب أنه صدق؛ فأقضي له بذلك؛ فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار؛ فليأخذها أو فليتركها^(٧).

(١) انظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص : ٩٦-٩٧) .

(٢) الفرقان الآية : ٧

(٣) الزمر الآية : ٣٠

(٤) انظر : صوفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية (ص : ٥٥-٥٦) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٥٤-٥٥)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٧٩-٨٠) .

(٦) أخرجه خ (الصلاة، ب : التوجه نحو القبلة حيث كان ١٥٦/١ ح : ٣٩٢)؛ وم (المساجد، ب : السهو

في الصلاة والسجود له ٤٠٢/١ ح : ٥٧٢)، واللفظ له .

(٧) أخرجه خ (المظالم، ب : إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه ٨٦٧/٢ ح : ٢٣٢٦)، واللفظ له؛ وم (الأقضية،

ب : الحكم بالظاهر واللعن بالحجة ١٣٣٧/٣ ح : ١٧١٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا بشر أَرْضَى كما يَرْضَى البشر، وأغضب كما يغضب البشر ... الحديث (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : اللهم إني أأخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر؛ فأَيُّ المؤمنين أذيتُه، شتمته، لعنته، جلدته فأجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بما إليك يوم القيامة (٢) .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فبينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر. ثم قال : "أما بعد ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور . فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي " ... الحديث (٣) .

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال : انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، فقال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم . فخرج رسول الله ﷺ حين سمع ذلك فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ! أيها الناس، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياة أحد، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد . ودمعت عيناه؛ فقالوا : يا رسول الله تبكي وأنت رسول الله ؟ قال : إنما أنا بشر، تدمع العين، ويخشع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون (٤) .

وقالت أم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ : كان بشراً من البشر؛ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه (٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر، ولم يخلق أحد من

(١) أخرجه م في حديث طويل (البر والصلة والآداب، ب : من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجر ورحمة ٢٠٠٩/٤ ح : ٢٦٠٣) .

(٢) المصدر السابق (٢٠٠٨/٤ ح : ٢٦٠١) .

(٣) أخرجه م في حديث طويل (فضائل الصحابة، ب : من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧٣/٤ ح : ٢٤٠٨) .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٤٢/١) . قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣١٠/٤ ح :

١٧٣٢) : (هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، ومحمود بن لبيد صحابي صغير) .

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (ب : ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ ص : ١٨١ ح : ٣٣٥) ،

وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية (ص : ١٧٩-١٨٠ ح : ٢٩٣) .

البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)) (١).

ثالثا : أن آدم عليه السلام هو الأصل الأول للعالم الإنساني، وهو أبو البشر جميعا، وكل من جاء بعده من بني آدم؛ فهو من أولاده وأحفاده؛ فهو تابع لهذا الأصل وفرع عنه، ولا يمكن أن يتقدم الفرع على الأصل في الوجود .

رابعا : أنه من المعلوم بالتواتر القطعي أن عبد الله بن عبد المطلب تزوج من آمنة بنت وهب، وأنهما أنجبا طفلا بعد تسعة أشهر، وأن هذا الطفل سمي محمدا، وأنه تربى في حجر أمه، وأرضعته حليلة السعدية، ونشأ وترعرع في مكة كما ينشأ الأطفال والشبان، فرعى الأغنام، واشتغل بالتجارة، وعاش في مجتمع مكة أربعين سنة آمينا صادقا كاملا في الأخلاق والآداب حتى شهد له بذلك الأعداء والأحباب، ثم اصطفاه الله تعالى واختاره رحمة للعالمين وخاتم النبيين (٢).

وهذا كله كان بعد موت آدم عليه السلام بآلاف السنين . فكيف يكون الروح التي نفخت في آدم عليه السلام هو النور المحمدي ولم يكن لمحمد ﷺ وجود في ذلك الوقت فضلا عن نوره ؟

القول الثالث : إن آدم عليه السلام كان بشرا سويا كامل الحياة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، وكان له قلب ينبض، ورئة تتنفس، وعين ترى، وأذن تسمع ... فلما نفخ الله فيه من روحه ارتفع آدم عليه السلام بهذه النفخة الإلهية الكريمة من مستوى البشرية الذي كان فيه مجرد كائن حي إلى مستوى الإنسانية الذي هو أحسن تقويم .

هذا القول ذهب إليه الدكتور فاروق أحمد الدسوقي، وقد استدلل لذلك بالأمر التالية :

أ- إن التسوية في اللغة تعني تمام صنع الشيء أو تمام الفعل .

ب - إن الضمير الغائب في ﴿ سوينه ﴾ (الهاء) عائد على ﴿ بشرا ﴾ في الآية مما يجعل المخلوق بالتسوية آدم البشر وليس آدم الإنسان .

ج - إن الروح ليست هي مصدر حياة الإنسان بل النفس هي مصدر حياة الإنسان (٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/١١ - ٩٥)، والحديث الذي ذكره صحيح قد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٦) .

(٢) انظر : صرفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل . (ص : ٥٣)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٨٠) .

(٣) انظر : الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص : ١٧٩ - ١٨٠) .

ولكن هذا القول غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

- ١- إن التسوية في اللغة تعني التقويم والتعديل والإتقان والإحكام، يقال : سوى الشيء؛ أي : قومه وعدله وجعله سويا ^(١) قال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها ﴾ ^(٢)؛ أي : جعلها محكمة متقنة عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء ^(٣)، فالتسوية ليس فيها من معنى الإحياء شيء؛ فلا يفهم من قوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ﴾ أنه بث فيه الحياة، وجعل له قلباً ينبض، وورثة تنفس، وعينا ترى، وأذنا تسمع... بل معنى التسوية في الآية أن الله صور طينة آدم عليه السلام وشكلها على ما سبق في علمه تعالى، وقدر أعضائه وأوصاله، وجعله كامل الأعضاء والجوارح، ووضع كل عضو منه بالحل الذي لا يليق به غيره، وهياً كل جزء منه لما خلق له في أحسن شكل وأجمل صورة، فلا دمامة فيه ولا داء، ولا عيب فيه ولا نقص ^(٤)، فلما اكتمل تصويره وتشكيله، وصار جسداً مصوراً مشكلاً على أبلغ الوجوه كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة- نفخ الله فيه من روحه، فسرت فيه الحياة، وانقلب ذلك الطين لحماً، ودماً، وعظاماً، وعروقا، وسمعا، وبصرا، وحركة، وكلاماً. هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسير الآية، ^(٥) وهو الذي تدل عليه الأحاديث النبوية؛ فإن آثار الحياة من العطاس والاستماع والسلام والكلام والذهاب والجيء والأكل والشرب... ^(٦) كلها حصلت لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه.
- ٢- إن الآية لا تدل على ما ذهب إليه من التفريق بين آدم البشر وآدم الإنسان، وأنه كان بالتسوية بشراً وأصبح بالنفخة إنساناً- فالآية لا تدل على ذلك من قريب ولا من

(١) انظر : المعجم الوسيط (٤٦٦/١ ، مادة : سوي) .

(٢) النازعات الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٦٨/٤)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٢٦٨) .

(٤) العين (٣٢٧/٧ ، مادة : سوي) .

(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣١/١٤)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٥/٣)؛ والوجيز في تفسير الكتاب

العزيز (٥٩١/١) كلامهما للواحد؛ و معالم التنزيل (٤٩/٣)؛ والمحرر الوجيز للعزيز لابن عطية (١٢٧/١٠)؛ وزاد المسير

(٤٠٠/٧)؛ والتفسير الكبير (١٨٢-١٨١/١٩)؛ والبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص : ٢٠٤-٢٠٥)؛ وفتح القدير

(١٣٠/٣ و ٤٤٤/٤)؛ والفتوحات الإلهية (٥٤٤/٢)؛ وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٦٥/٧)؛ وتيسير الكريم الرحمن

في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧٨ و ص : ٩٩١)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للطنطاوي (٣٨/٨-٣٩) .

(٦) انظر : الأحاديث الدالة على ذلك في (ص : ١٠٩ و ١٤٣-١٤٤) .

بعيد؛ فالذي يرجع إليه الضمير الغائب في ﴿سوته﴾ هو الذي يرجع إليه الضمير الغائب في ﴿نفخت فيه﴾ وهو ﴿بشرا﴾ المذكور في الآية نفسها، فكيف يصح القول بأنه كان بالتسوية بشرا وأصبح بالنفخة إنسانا بل هذا قول باطل وتفريق بين المتماثلين بدون دليل . ويزداد بطلان هذا التفريق وضوحا ببيان بطلان ما فرق به صاحب هذا القول بين البشرية و الإنسانية، فالبشرية عنده هي الخصائص والصفات الجسدية الحيوية التي لها نظائرها عند الكائنات الحية الأخرى مثل : نشأة الجسد البشري من الطين، وتكون الجسد من أعضاء مختلفة، وكونهم أجنة في أرحام الأمهات ثم نهاية وجودهم بالموت؛ فصفة الفناء وعدم الخلود في الدنيا بشرية وليست إنسانية، وكذلك من خصائص البشرية عنده التغذية والنمو والإحساس والحركة والتناسل، والذكورة والأنوثة وحاجة كل نوع منهما إلى الآخر، والحاجة إلى الماء والهواء والغذاء وقضاء الحاجة...^(١).

والإنسانية عنده هي الخصائص والصفات التي ميز الله بها بني آدم عن سائر الكائنات الحية؛ فلا توجد نظائر للخصائص الإنسانية عند غير الإنسان من الأحياء مثل : الابتلاء، والإرادة والاختيار، والعلم والمعرفة، والضعف والهلع أمام الأحداث ومواقف البأس، والخلود وعدم الفناء ، والتطلع إلى ما هو أفضل...^(٢).

ولكن هذا التعريف والتفريق لا يسلم له من وجوه، وهي كما يلي :

أ - إن استعملات لفظ " البشر " في القرآن الكريم لم تقتصر على المعاني الجسدية

الحيوية فقط بل البشر في القرآن الكريم موصوف بصفات معنوية غير جسدية، منها :

● العلم : فالعلم والتعليم والتعلم من صفات البشرية خلافا لزعمه أن العلم صفة إنسانية، وليست بشرية . قال تعالى : ﴿ ولقد علم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾^(٣) بل الحيوانات تكتسب من العلم ما يتناسب مع خلقتها والغاية من وجودها . قال تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلين تعلمونن مما علمكم الله ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات

(١) انظر : الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص ١٦١-١٦٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ١٦٩-١٧٤) .

(٣) النحل الآية : ١٠٣

(٤) المائدة الآية : ٤

والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴿^(١)﴾.

● النسب والصهر : قال تعالى : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾^(٢) وهو استدلال بهذه الآية على أن خلق الإنسان من ماء أمر يخص بشرية بني آدم، وأن التناسل وتعاقب الأجيال أمر بشري ولكنه أغفل قوله تعالى : ﴿ فجعله نسبا وصهرا ﴾ فالنسب والصهر من خصائص البشر التي لا توجد في الحيوانات؛ لأنها شيء مرتبط بالتشريع والأعراف البشرية - وليست من الخصائص الجسدية الحيوية .

● وكذلك من صفات البشرية الذكرى، وأتم يُنذرون ويُندرون . قال تعالى : ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ نذير للبشر ﴾^(٤) وهذه صفات معنوية غير جسدية .

● وأيضا من صفات البشرية أن الله تعالى يعطي منهم من يشاء الكتاب والحكم والنبوة . قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾^(٥) .
فالدكتور الدسوقي وإن قال بأن النبوة بشرية ولكنه غفل أن هذه الصفة غير داخلية في تعريفه للبشرية؛ لكونها غير جسدية .

● التطلع إلى ما هو أفضل وأحسن ليس من الخصائص الإنسانية فقط كما زعم بل هو من الخصائص البشرية أيضا . قال تعالى : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾^(٦) .
فهو إما أن يعتبر العلم والنسب والصهر والذكرى والإنذار والنبوة وإرادة الأفضل والتطلع له من الخصائص الجسدية الحيوية أو أن يوافق على أنها ليست من الخصائص البشرية التي تكون في الإنسانية، فيكون بذلك رادا لنص القرآن الصريح في أن هذه الأمور وصف بها البشر، وهي بالتالي صفات أيضا وصف بها الإنسان؛ فلا معنى للتفريق الذي ذكر بين البشرية والإنسانية .

(١) النور الآية : ٤١

(٢) الفرقان الآية : ٥٤

(٣) المدثر الآية : ٣١

(٤) المدثر الآية : ٣٦

(٥) آل عمران الآية : ٧٩

(٦) المؤمنون الآية : ٢٤

ب - الابتلاء والإرادة والاختيار والعلم ... من الخصائص التي لم ينفرد بها الإنسان بل شاركهم فيها إخوانهم من الجن؛ فأنهم أيضا مخاطبون بكتاب الشريعة، ومأمورون بأوامره، ومنهون عن نواهيها، ولهم الإرادة والاختيار على فعل الطاعة أو المعصية كالإنسان، وقد شهدت بذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهنا أكتفي بذكر بعضها .

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشداً فآمنّا به ولن نشتريه بأحدنا * وأنه تعالى جدرنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً * وأنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا ﴾ ^(٦) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا؛ فمن رأى شيئا من هذه العوامر، فليؤذنه ثلاثا، فإن بدا له بعد، فليقتله؛ فإنه شيطان ^(٧) .

(١) الذاريات الآية : ٥٦

(٢) الأنعام الآية : ١٣٠

(٣) الأحقاف الآيتان : ٢٩-٣٠

(٤) الأعراف الآية : ١٧٩

(٥) الرحمن الآيات : ٣٣-٣٩

(٦) الجن الآيات : ١-٥

(٧) أخرجه م (السلام، ب : قتل الحيات وغيرها ١٧٥٦/٤-١٧٥٧ ح : ٢٢٣٦) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا استطير أو اغتيل، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء . قال : فقلنا : يا رسول الله ! فقدناك؛ فطلبناك، فلم نجدك؛ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال : آتاني داعي الجن؛ فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق بنا، فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ؟ فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بكرة علف لدوابكم . فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم ^(١).

قال القرطبي : (الجن مخاطبون، مكلفون، مأمورون، منهيون، مثابون، معاقبون، كالأنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك) ^(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الثقلين : الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به، وبما جاء به، وطاعته، وأن يحلوا ما حل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن، فلم يؤمن به؛ استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ .

وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين... ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء، عقلاء، فاعلون بالإرادة، بل مأمورون، منهيون، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة) ^(٣).

فهذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تنص على أن الجن مخاطبون بخطاب الشرع، وأنهم مأمورون بفعل الطاعات والقيام بالعبادات، وأنهم منهيون عن ارتكاب المعاصي والمحرمات،

(١) أخرجه م (الصلاة، ب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ٣٣٢/١ ح : ٤٥٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/١٧) .

(٣) بمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٩/٩ - ١٠)؛ وانظر كلاما نحوه لتلميذه ابن القيم في (طريق المجرتين) (ص : ٧١٨ فما بعدها) .

وأنهم يفعلون ما يفعلون من الطاعات أو المعاصي، بالإرادة والاختيار، مع العلم والعقل والفهم والشعور، من غير إكراه وإجبار، ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، وأنهم يثابون على إحسانهم، ويعاقبون على إساءتهم، وهذا ما عليه جمهور أهل الإسلام، فهم بهذا كالبشر الذين كلفهم الله بالتكاليف الشرعية أمرا ونهيا، وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أن الابتلاء، والإرادة والاختيار، والعلم والمعرفة من الخصائص الإنسانية التي لا توجد لها نظائر عند غير الإنسان من الأحياء .

ج - قال تعالى لمريم - عليها السلام - : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن

صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ ^(١) هذه الآية تدل على أن البشر مأمور بالشرع ومطالب به وإلا لما صح إنكار قوم مريم - عليها السلام - إتيان هذا الولد المبارك، فإن إستغرابهم لهذا الأمر لم يكن إنكارا لمجيء الولد عن طريق الالتقاء بين الذكور والإناث بالزواج أو الزنا، وإنما كان إنكارهم عليها إنكارا شرعيا؛ ولهذا قالوا : ﴿ يا مريم لقد جئت شيئا فريا ﴾ * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ ^(٢)، فالبشر مأمور بالشرع، والإنسان مأمور بالشرع، ولا فرق بينهما، ولعل ورود كلمة ﴿ البشر ﴾ في الآية مرة، وكلمة ﴿ إنسيا ﴾ أخرى يوحي إلى هذا المعنى؛ فلا يصح التفريق بين البشر والإنسان، ولا يصح القول بأن المأمور بالشرع هو الإنسان الذي له إرادة واختيار... دون البشر... والله أعلم بالصواب .

د - وقوله : " صفة الفناء وعدم الخلود في الدنيا بشرية وليست إنسانية " من

أبطل الباطل؛ لأن معنى ذلك أن الإنسان ليس من صفاته الموت، وهل النص القرآني في هذا يحتمل هذا التأويل؟! وماذا يقول في قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا * فوريك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ ^(٣) بل الفناء صفة جميع المخلوقات والإنسان من بينها . قال تعالى :

(١) مريم الآية : ٢٦

(٢) مريم الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) مريم الآيات : ٦٦-٦٨

﴿ لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾^(٢)

فهذه الآيات القرآنية تتحدث عن موضوع واحد، وهو خلق الإنسان، وقد ختمها الله تعالى بقوله : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ، ولا يمكن فصل هذا السياق بعضه عن بعض؛ لأنه قال : ﴿ ثم إنكم ﴾ ؛ أي : بعد قوله : ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ ، فالآيات كلها تحكي قصة خلق الإنسان، وتبين أطوار خلقه ومراحل نشأته من بدايته إلى نهايته، والخطاب لجنس الإنسان؛ أي : أنتم يا جنس الإنسان لميتون؛ فالموت أو الفناء صفة بشرية إنسانية .

هـ - خلق الإنسان من الماء والتراب أو من النطفة أمر لا يخص بشرية بني آدم فقط بل هو أمر إنساني أيضا . قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(٥) .

(١) القصص الآية : ٨٨

(٢) المؤمنون الآيات : ١٢-١٦

(٣) الإنسان الآيتان : ١-٢

(٤) الحج الآية : ٥

(٥) المؤمنون الآيات : ١٢-١٤

فهذه آيات من كتاب الله تنص على أن خلق الإنسان من نطفة أو من طين أمر إنساني أيضا، ولا يخص بشرية بني آدم دون إنسانيتهم كما زعمه الزاعم .
والعجيب أنه استدل على كون نشأة الإنسان الأولى من الطين أمرا بشريا بقوله تعالى :
﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ ^(١) فقال : (ولم يقل (خالق إنسانا من صلصال)) ^(٢) وقال : (إن الأصل الأول تراب ثم صار مع الماء طينا ثم تحول إلى صلصال من حمإ مسنون، وهذا أصل بشريته وليس مصدرا للإنسانية، وتكريم آدم أساسا بالإنسانية، وليس بالبشرية) ! ^(٣) و لكنه غفل عن آية قبلها في السورة نفسها، أعني قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ ^(٤).

ففي نفس المرحلة من الخلق وصف الله عز وجل ذلك المخلوق بالبشرية وبالإنسانية، فكيف يصح ما ذهب إليه من التفريق بين البشرية والإنسانية ؟ وكيف يصح أن يقال أن نشأة الإنسان من الطين أمر بشري غير إنساني ؟! والله سبحانه وتعالى يصفه بالبشرية وبالإنسانية . ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ ^(٥).

و- التناسل وتعاقب الأجيال وإنعام الله عليهم بالذكر والإناث أو أحدهما أو كليهما أمر إنساني أيضا . قال تعالى : ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ * لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ﴾ ^(٦).

فهذه ثلاث آيات من سورة الشورى، وهو قد استدل بالآية الأولى على أن من خصائص الإنسانية الجزع والهلوع عند الضراء، والنأي والكفر والفخر عند السراء، ولكنه

(١) الحجر الآية : ٢٨

(٢) الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص : ١٦٣) .

(٣) المصدر السابق (ص : ١٦٤) .

(٤) الحجر الآية : ٢٦

(٥) البقرة الآية : ١٤٠

(٦) الشورى الآيات : ٥٠-٤٨

غفل عن الآيتين بعدها عند ما قرر أن التناسل وتعاقب الأجيال أمر بشري، وأنه يخص بشرية بني آدم دون إنسانيتهم . فمن أين له أن يفرق بين أمرين لم يفرق الله بينهما ؟ قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ^(١).

ويتبين مما سبق أن الآيات القرآنية التي ورد فيها كلمة " البشر " تصف هذا الكائن الحي بصفات غير جسدية أيضا، وبه يسقط زعمه أن البشرية هي مجموعة من الخصائص الجسدية الحيوية عند بني آدم، كما تبين أنه لا فرق بين البشر والإنسان في توجه خطاب الشرع إليهما، وأن الابتلاء والإرادة والاختيار والعلم والمعرفة من الخصائص الإنسانية البشرية، وقد شاركهم فيها إخوانهم من الجن، وأن الفناء وعدم الخلود من الخصائص الإنسانية كغيره من المخلوقات، وبه يسقط زعمه أنهما من الخصائص والصفات التي انفرد بها الإنسان، وأنه لا يوجد لها نظائر عند غيره من أحياء الأرض و السماء . والله أعلم .

٣- وأما التفريق بين النفس والروح ثم القول بأن الروح ليست مصدر حياة الإنسان بل النفس هي مصدر حياة الإنسان فهذه مسألة طال حولها الكلام، واختلف أهل العلم في أنهما شيئان مختلفان أم هما اسمان لمسمى واحد ؟

وخلاصة ما قاله المحققون منهم وهو الصواب أن الروح لها معان ^(٢) تختلف عن معنى النفس، والنفس لها معان ^(٣) تختلف عن معنى الروح، وبينهما معنى مشترك فيطلق كل واحد منهما على الآخر، فالذي يعيش به الإنسان، ويحيى به جسده، ويموت بمفارقة إياه هو الروح وهو النفس؛ فهما يشتركان في هذا المعنى، ولذلك جاء في كثير من النصوص الشرعية إطلاق كل منهما على الآخر، وعليه تدل أقوال أئمة اللغة ^(٤).

(١) الملك الآية : ١٤

(٢) منها القرآن، والوحي، والرحمة، وأيضاً جبريل عليه السلام . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٧٢-٢٧١/٢) .

(٣) منها : الدم، والذات، والعين، والصفات المذمومة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٩٦-٩٥/٥) ، مادة :

نفس)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٢-٢٩٣)؛ والروح (ص : ٣٨٦-٣٨٧) .

(٤) انظر : الدرة فيما يجب اعتقاده (ص : ٢١٧-٢١٨)؛ والذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٥٩/١)؛ ومجموع

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٥-٢٢٦ و ٢٨٩/٩-٢٩٠)؛ والروح (ص : ٣٨٦-٣٨٨)؛ وشرح العقيدة

الطحاوية (ص : ٥٦٧-٥٦٨)؛ وجلاء العينين (ص : ١٦٥-١٦٦)؛ والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل

الشرك والإلحاد (ص : ٢٦٦-٢٦٨) .

قال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾ ^(٢) .

والأنفس هنا هي الأرواح قطعاً؛ فقد جاء في الصحيح عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال : سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله ! قال : أخاف أن تناموا عن الصلاة . قال بلال رضي الله عنه : أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال رضي الله عنه ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال : يا بلال ! أين ما قلت ؟ قال : ما ألقيت علي نومة مثلها قط . قال : إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء. يا بلال ! قم فأذن بالناس بالصلاة، فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابتضت قام فصلى ^(٣) .

وفي رواية عند مسلم أن بلالاً رضي الله عنه قال : ((أخذ بنفسي الذي أخذ - بابي أنت وأمي يا رسول الله ! - بنفسك)) ^(٤) .

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه، وقد شق بصره؛ فأغمضه، ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر؛ فضج ناس من أهله؛ فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون... الحديث ^(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه ^(٦) .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا حضرتم موتاكم؛ فأغمضوا البصر؛ فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً؛ فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت ^(٧) .

(١) الزمر الآية : ٤٢

(٢) الأنعام الآية : ٩٣

(٣) أخرجه خ (المواقيت، ب : الأذان بعد ذهاب الوقت ٢١٤/١ ح : ٥٧٠) .

(٤) أخرجه م (المساجد، ب : قضاء الصلاة الفائتة ٤٧١/١... ح : ٦٨٠) .

(٥) أخرجه م (الجنائز، ب : في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ٦٣٤/٢ ح : ٩٢٠) .

(٦) أخرجه م (الجنائز، ب : في شحوص بصر الميت يتبع نفسه ٦٣٥/٢ ح : ٩٢١) .

(٧) أخرجه حم (٣٥٩-٣٦٠ ح : ١٧١٣٦)؛ وجه (الجنائز، ب : ما جاء في تغميض الميت ٤٦٨/١ ح : ١٤٥٥)،

واللفظ له؛ وكم (الجنائز، ب : تغميض بصر الميت ٣٥٢/١)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه

الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٩/٢ ح : ١١٩٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٨٤/٣-٨٥ ح : ١٠٩٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار... ثم قال : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كف من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ". قال : " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط ... ". قال : " فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها - على ملام من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟! فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه، التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى ". قال : " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ... ". قال : " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح ^(١)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ". قال : " فترق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود ^(٢) من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ... فيصعدون بها؛ فلا يمرون بها على ملام من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له ... فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا "

(١) المسوح جمع، ومفرده المسح : وهو الكساء من الشعر . انظر : لسان العرب (١٣ / ١٠١)، مادة : مسح .

(٢) السفود : بوزن التنور، وهي الحديدة التي يشوى بها اللحم . انظر : مختار الصحاح (ص : ١٢٦)، مادة : سفد .

ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ ^(١) ، فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟... الحديث ^(٢) .

فالمقبوض المتوفى الخارج من البدن المعروج به إلى السماء سماه تارة روحا ، وتارة نفسا ، فالروح المقبوضة هي النفس التي يتوفاها الله حين موتها وفي منامها ، وهي التي يتوفاها ملك الموت ، وهي التي تتوفاها رسل الله ، وهي التي يجلس الملك عند رأس صاحبها ، ويخرجها من البدن كرها ، ويكفنها بكفن من الجنة أو النار ، وهي التي تصعد بها الملائكة إلى السماء ، وهي التي تعاد إلى الجسد عند السؤال ، فهي التي يعيش بها الإنسان ، ويموت بخروجها من البدن .

من أقوال أهل اللغة :

جاء في كتاب العين : (الروح : النفس التي يحيا بها البدن ، يقال : خرجت روحه ؛ أي : نفسه ، ويقال : خرج ، فيذكر) ^(٣) .

وفي تاج العروس : (الروح بالضم : النفس ...) وقال : (وتأويل الروح : ما به حياة الأنفس) ^(٤) .
وفي تهذيب اللغة : (الروح هو الذي يعيش به الإنسان ، لم يخبر الله به أحد من خلقه ، ولم يعط علمه العباد ...) وفيه أيضا : (الروح : إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان ، وهو جار في جميع الجسد ، فإذا خرج لم يتنفس بعده ، وإذا تم خروجه بقي البصر شاخصا نحوه حتى يغمض ، وهو بالفارسية (جان) ...) وفيه أيضا : (سمي الوحي روحا لأنه حياة من موت الكفر ، فصار يحيا به الناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان) ^(٥) .
وفي النهاية : (تكرر ذكر الروح في الحديث والقرآن ، ووردت على معان : والغالب

(١) الحج الآية : ٣١

(٢) أخرجه حم (٤٩٩/٣٠ - ٥٠٣ ح : ١٨٥٣٤) ؛ والطيلاسي في مسنده (ص : ١٠٢ ح : ٧٥٣) ؛ وهناد في الزهد (ب : يوم القيامة وعظمته وما أعد فيه ٢٠٥/١ - ٢٠٧ ح : ٣٣٩) ؛ وابن منلة في الإيمان (ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر ٢٠٨/٣ - ٢١١ ح : ١٠٦٤) ، وقال : (ذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء) ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥/١ - ٣٥٧ ح : ٣٩٥) ، وقال : (هنا حديث صحيح الإسناد) ؛ وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٥٠/٣) : (هو في الصحيح وغيره باختصار رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) ؛ وقال ابن القيم في الروح (ص : ٩٢ - ٩٣) : (الحديث صحيح لا شك فيه) .

(٣) العين (٢٩١/١٣ ، مادة : روح) .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠٧/٦ ، مادة : روح) .

(٥) تهذيب اللغة (٢١٦/٥ - ٢٢٥ ، مادة : روح) .

منها : أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة... ويذكر ويؤنث (١).
فتبين أن قول الدسوقي بأن الروح ليست مصدر حياة الإنسان بل مصدر حياة الإنسان هي النفس قول باطل مخالف للأدلة الصحيحة الصريحة المستمدة من الكتاب والسنة، وتبين أن الروح التي يعيش بها الإنسان ويموت بمخرجها من البدن هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت (٢)، فهما متحدان في كونهما مصدر الحياة، ولا يصح التفريق بينهما من هذا الوجه، والله أعلم .

القول الرابع : الروح الذي نفخ في آدم ﷺ خلق من خلق الله تعالى، له جسم مخالف لهذا الجسم المحسوس، فهو جسم لطيف علوي شريف، ويكون جاريا في جميع أعضاء البدن، كما يسري الماء في الورد والنار في الفحم، وجعل الله تعالى حياة الأجساد به، فإذا خرج من البدن بقي البصر شاخصا نحوه ولم يتنفس بعده، ولم يعط الله علمه أحدا من العباد، فهو كسائر أرواح بني آدم ولكن الله كرم آدم ﷺ وشرفه حيث نفخ فيه من روحه، ولم يوكل ذلك إلى أحد من خلقه، كما هو الحال في غيره، قال تعالى : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ (٣) فهو الذي سواه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأضافه إلى نفسه إضافة خلق وملك، لا أنه جزء منه (٤).
قال الفراء : الروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله به أحدا من خلقه، ولم يعط علمه العباد، وقوله : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ فهذا الذي نفخه في آدم ﷺ، ولم يعط علمه أحدا من عباده؛ فهو من علم ربي، وليس من علمكم (٥).
قال البيهقي (٦) : (الروح الذي نفخ في آدم ﷺ كان خلقا من خلق الله تعالى، جعل الله

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/٢٧٨-٢٧٢، مادة : روح) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٩/٩) .

(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٤) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٥/٣)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٥٩١)؛ وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/١٣٨)؛ والمحضر الوجيز (١٠/١٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٣/٤٩)؛ وزاد المسير (٤/٤٠٠)؛ والنهاية في غريب الحديث (٢/١٧١-١٧٢، مادة : روح)؛ وشرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢٢٣)؛ والروح (ص : ٢٦٣ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٣٢٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٦٥)؛ ونيل الأوطار (٤/٢٨)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (٨/٣٨-٣٩) .

(٥) انظر : معاني القرآن (٢/١٣٠)؛ وأيضا : تهذيب اللغة (٥/٢٢٣-٢٢٤)؛ ولسان العرب (٥/٢٦١) .

(٦) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام، توفي سنة ١٧٤هـ - انظر : سير أعلام النبلاء (١٨-١٦٣-١٧٠) .

عز وجل حياة الأجسام به، وإنما أضافه إلى نفسه على طريق الخلق والملك، لا أنه جزء منه، وهو كقوله عز وجل : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ ؛ أي : من خلقه ^(١) .

وقال القرطبي في تفسير آية الحجر : (الروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق؛ فالروح خلق من خلقه، أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً) ^(٢) .

وقال العلامة ابن القيم : (الروح الذي نفخ منها في آدم عليه السلام روح مخلوقة غير قديمة، وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة) ^(٣) .

وهذا القول هو الصواب في المسألة كما قال ابن القيم بعد ما ذكر الأقوال في حقيقة الروح، وذكر القول السادس بأنه جسم لطيف مخلوق، وبه توجد الحس والحركة في الأعضاء مادامت صالحة لقبول آثاره متصلة به : (وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة) ^(٤) وهو كما قال - رحمه الله - وقد تقدمت الأدلة على ذلك من خلال الرد على الأقوال الباطلة، والله أعلم بالصواب .

(١) الأسماء والصفات (٢١٢/٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤/١٠ ، الحجر : ٢٩) .

(٣) الروح (ص : ٢٨٢) .

(٤) المصدر السابق (ص : ٣٢٤) .

المطلب الثاني : أيهما أسبق في الخلق، جسد آدم ﷺ أم روحه ؟

لا شك أن الروح التي نفخت في آدم ﷺ تأخر خلقها عن خلق جسده، فالله سبحانه وتعالى خلق جسد آدم ﷺ أولاً ثم لما شاءت إرادته واقتضت حكمته تبارك وتعالى نفخ فيه من روحه، ولا أعلم خلافاً في ذلك، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة. قال تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (٢).

فالله سبحانه نفخ من روحه في آدم ﷺ بعد خلق جسده وتسويته له (٣). وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك (٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار. قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه روحه فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فلقاه الله حمد ربه فقال الرب : يرحمك ربك... الحديث (٥).

(١) الحجر الآيتان : ٢٨-٢٩

(٢) ص الآيتان : ٧١-٧٢

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧٨ و ص : ٩٩١).

(٤) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٩).

(٥) حديث حسن بمتابعته وشواهده، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٠٩-١١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ^(١).

وعن ميسرة الفجر ^(٢) رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويغلط كثير من الناس في فهم هذا الحديث؛ فيظنون أن ذات النبي ﷺ ونبوته كانت موجودة في ذلك الوقت، وهذا جهل، فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له : ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ ^(٤) ... ومن قال : إن النبي ﷺ كان نبيا قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله تعالى كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم ﷺ وقبل نفخ

(١) أخرجه ت (المناقب، ب : في فضل النبي ﷺ ٥/٥٨٥ ح : ٣٦٠٩)؛ و كم (التاريخ ٢/٦٠٩)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٨٤ ح : ٣٦٠٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٤/٤٧١-٤٧٢ ح : ١٨٥٦) .
(٢) هو ميسرة الفجر الكلاي، قال البخاري في التاريخ الكبير (٤/٣٧٤) : (له صحة) . وذكره الترمذي في " تسمية أصحاب رسول الله ﷺ " (ص : ٩٣ برقم : ٦١٧)؛ وابن قانع في (معجم الصحابة ٣/١٢٩-١٣٠ برقم : ١١٠٣)؛ وابن حزم في " أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد " (أصحاب الواحد رضي الله عنهم ، ص : ٣٧٥ برقم : ٦١٤ و ص : ٥٣٢ برقم : ٩٤٩) وغيرهم من صنف في الصحابة .

وقيل : ميسرة لقب له، واسمه عبد الله بن أبي الجداء ، كما ذكر محققوا المسند (٢٠٢/٣٤) نقلا عن أبي الوليدان الفرضي في " الألقاب " ولم يتمكن من الحصول على الكتاب . وهذا يحتمل أن يكون صحيحا؛ لأن عبد الله بن شقيق روى هذا الحديث عن عبد الله بن أبي الجداء ، كما أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في (معرفة الصحابة ٣/١٦١٣-١٦١٤ برقم : ١٦٠١)؛ والبخاري في (معجم الصحابة ٤/١٣٤) وهو أيضا روى هذا الحديث عن ميسرة الفجر وسيأتي تخريج الحديث من طريقه في الهامش اللاحق، فيمكن أن يكون عبد الله بن شقيق ذكر مرة اسم شيخه ، وأخرى لقب شيخه، والله أعلم بالصواب .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٤٨)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (المغازي ، ب : ما جاء في مبعث النبي ﷺ ١٤/٢٩٢ ح : ١٨٤٠٢)؛ و حم (٢٠٢/٣٤ ح : ٢٠٥٩٦)؛ والبخاري في التاريخ الكبير (ب : ميسرة، في ترجمة ميسرة الفجر ٧/٣٧٤ برقم : ١٦٠٦)؛ وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٩ ح : ٤١٠)؛ وفي الآحاد والمثاني (٥/٣٤٧ ح : ٢٩١٨)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/٣٩٨ ح : ٨٦٤)؛ وابن قانع في معجم الصحابة (ترجمة ميسرة الفجر الكلاي ، ٣/١٢٩-١٣٠ برقم : ١١٠٣)؛ و كم (التاريخ ، ٢/٦٠٨-٦٠٩) قال : (هذا حديث صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/٢٨٢)، والحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/٤٧٠ رقم : ٨٢٦٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٧١-٤٧٢ ح : ١٨٥٦) .

(٤) يوسف الآية : ٣

الروح فيه، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه . أهـ بتصرف واختصار^(١).

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين أن الله سبحانه وتعالى صور طينة آدم ﷺ، وشكلها بشكله على ما سبق في علمه، ثم تركه ما شاء أن يتركه، ثم لما شاءت إرادته واقتضت حكمته نفخ فيه من روحه؛ وبهذا يتبين أن جسد آدم ﷺ متقدم على روحه في الخلق، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٢/٨ - ٢٨٣)، وانظر أيضا : (٢٣٨/٢ و ٣٦٩/١٨)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري (ص : ٦٥ - ٦٧) .

المبحث السادس : كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ

وإثبات صفة الكلام لله تعالى من خلال النصوص المتعلقة

بآدم ﷺ ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على كلام الله عز وجل مع آدم ﷺ .

إن الله سبحانه تعالى له صفات الكمال المطلق، فله المشيئة المطلقة، يفعل ما يشاء، ويختار ما يشاء، ويصطفي من يشاء، ويكلم من شاء من عباده بما شاء، ومن عباده الذين أنعم الله عليهم بالكلام معه وخصهم وشرفهم به، ورفع به درجاتهم أبو البشر آدم ﷺ ، فقد كلمه ربه قبلا وخاطبه في مقامات كثيرة ومواقف عديدة، وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله المبين وفي سنة رسوله الأمين .

أولا : الأدلة من الكتاب على كلام الله تعالى مع آدم ﷺ .

لقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين بعض تلك المواقف التي كلم الله تعالى فيها آدم ﷺ، وخاطبه فيها أمرا ونهيا، ومن تلك المواقف التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم ما يلي :

أ - كلام الله تعالى مع آدم ﷺ لما عرض الأسماء على الملائكة .

قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿ (١) .

ب - أمر الله لآدم أن يسكن الجنة هو وزوجه، وبيانه لهما بما أنعم عليهما من الجنة ونعيمها، ونهيهما عن الشجرة، وتحذيرهما من إبليس .

(١) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا فيها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلامنا فيها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنت لا تظلمون فيها ولا تضحى ﴾ ^(٣).

ج - نداء الله تعالى الأبوين في الجنة لما أكلا من الشجرة التي نهاهما عنها .

قال تعالى : ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ^(٤).

د - تلقى آدم ﷺ كلمات من ربه تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ^(٦).

هـ - أمر الله آدم ﷺ بالهبوط إلى الأرض والاستقرار فيها إلى حين، وبشارته لمن اتبع هداية المنزل بعدم الحزن والخوف، وبحفظة من الضلال والشقاء .

قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين *

(١) البقرة الآية : ٣٥

(٢) الأعراف الآية : ١٩

(٣) طه الآيات : ١١٧-١١٩

(٤) الأعراف الآيات : ٢٢-٢٣

(٥) البقرة الآية : ٣٧

(٦) الأعراف الآية : ٢٣

(٧) البقرة الآية : ٣٨

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ^(٢).

ثانيا : الأدلة على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام من السنة .

تقدم ذكر بعض تلك المواقف التي كلم الله تعالى فيها أبا البشر آدم عليه السلام، وسجلها لنا ربنا في كتابه الكريم، وهناك مواقف غيرها كلم الله فيها آدم عليه السلام، وبينها لنا الرسول ﷺ، فزاد ما قرره القرآن من كلام الله مع آدم عليه السلام وضوحا وبيانا وشرحا وتفصيلا وتقريرا، فمما جاء عن النبي ﷺ ما يدل على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام ما يلي :

أ- عطاس آدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه، وقول الرب له : يرحمك الله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله. فقال له ربه : يرحمك الله. فلذلك سبقت رحمته غضبه ^(٤).

ب - أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يسلم على الملائكة، ويستمع منهم ما يحويه به؛ فإنها تحيته وتحية ذريته بينهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته. طوله

(١) الأعراف الآيتان : ٢٤-٢٥

(٢) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

(٣) أخرجه حب مرفوعا كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر البيان بأن قوله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس أراد به بعد نفخ الروح فيه ٣٧/١٤ ح : ٦١٦٥)؛ وكم موقوفا (الأدب ٢٦٣/٤) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم وإن كان موقوفا فإن إسناده صحيح مرة)، ووافقه الذهبي، وصححه محقق الإحسان إسناده مرفوعا على شرط مسلم .

(٤) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر حمد آدم ربه لما خلقه بإلهامه جل و علا إياه ذلك ٣٦/١٤ ح : ٦١٦٤)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨٦/١) : (هذا الإسناد لا بأس به) . وحسن إسناده الألباني في السنة لابن أبي عاصم بتحقيقه (٢٦٥/١ ح : ٥٩٦) إلا أن ابن أبي عاصم لم يذكر إلا العطاس .

ستون ذراعا. فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جلوس. فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال : فذهب فقال : السلام عليكم. فقالوا : السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا. فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ^(١).

ج - قول الله تعالى لآدم عليه السلام - ويداه مقبوضتان - : اختر أيهما شئت .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس فقال : الحمد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملا منهم جلوس، فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت قال : اخترت يمين ربي كلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ... الحديث ^(٢).

د - كلام الله مع آدم عليه السلام لما مسح الله ظهره فسقطت ذريته، وأعطى آدم داود - عليهما السلام - أربعين سنة من عمره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا ^(٣) من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فحسد آدم فحدثت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته ^(٤).

(١) أخرجه خ (الاستئذان، ب : بدء السلام ٢٢٩٩/٥ ح : ٥٨٧٣)؛ وم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب :

يدخل الجنة أقوام أفئدة مثل أفئدة الطير ٢١٨٣/٤ ح : ٢٨٤١)، واللفظ له .

(٢) حديث صحيح لغيره، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٧٤) .

(٣) الويص : البريق . انظر : النهاية في غريب الحديث (١٤٦/٥ ، مادة : ويص) .

(٤) أخرجه ت (التفسير، سورة الأعراف ٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٦)، وقال : (هذا حديث حسن صحيح)، وهذا اللفظ؛

ك - نداء الله عز وجل آدم ﷺ يوم القيامة بصوت، وأمره تعالى أن يخرج من ذريته بعثا إلى النار .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ! يقول : لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار . قال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد؛ فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال : ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال : شطر أهل الجنة، فكبرنا^(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾^(٣) قال : أنزلت عليه هذه، وهو في سفر، فقال : " أتدرون أي يوم ذلك ؟ " فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار، فقال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون



وأبو يعلى في مسنده (٢٦٣/١١ ح : ٦٣٧٧ و ٨/١٢ - ٩ ح : ٦٦٥٤)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧)، مع زيادة ذكر قصة تسليمه على الملائكة وردهم عليه؛ وكم (الإيمان، ب : قصة خلق آدم ... ٦٤/١ والتفسير، ب : إعطاء آدم أربعين سنة من عمره داود ٣٢٥/٢)، وصححه في الموضعين على شرط مسلم، وأيضاً وافقه الذهبي في الموضعين، وكذلك صححه ابن العربي في (أحكام القرآن ٧٩٩/٢)، وابن منده في (الرد على الجهمية ص : ٤٩ - ٥٠ ح : ٢٣)؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (رسالة في قنوت الأشياء ص : ١٢) : (إسناده جيد)، وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٢٣٩/٣ ح : ٣٠٧٦)؛ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٠/٤ ضمن كلامه على ح : ١٦٢٣) .

(١) أخرجه خ (التفسير، سورة الحج، ب : ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ [الحج : ٢] ١٧٦٧/٤ ح : ٤٤٦٤)، واللفظ له؛ وم (الإيمان، ب : قوله : يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ٢٠١/١ ح : ٢٢٢) .

(٢) الحج الآية : ١

(٣) الحج الآية : ٢

إلى النار وواحد إلى الجنة". قال : فأنشأ المسلمون يكون، فقال رسول الله ﷺ : " قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية"، قال : " فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة ^(١) في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير" ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة؛ فكبروا ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة؛ فكبروا ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة؛ فكبروا. قال : لا أدري قال : الثلثين أم لا؟ ^(٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال : نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ على النبي ﷺ، وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال : " أتدرون أي يوم هذا؟ يوم يقول الله لآدم : قم، فابعث بعثا إلى النار، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة"، فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ : " سدّدوا وقاربوا و أبشروا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم خليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتا: يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفره الجن والإنس" ^(٣).

ل - آدم عليه السلام نبي مكلم .

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ! أنبي كان آدم؟ قال : " نعم مكلم" قال : فكم كان بينه وبين نوح؟ قال : " عشرة قرون" ^(٤).

(١) الرقمة : الهنة الناتجة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها . انظر : النبوة في غريب الحديث (٢/٢٥٤) .
(٢) أخرجه ت (التفسير، سورة الحج ٣٢٢/٥ ح : ٣١٦٨)؛ وحم (٣٣/١١٤ ح : ١٩٨٨٤)؛ وكم (الأهوال ٥٦٧/٤)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٨٥-٢٨٦ ح : ٣١٦٩) .
(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند (٥/٤٣٠ ح : ٣١٢٢)؛ وحب كما في الإحسان (إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ب : إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس ٣٥٢/١٦ ح : ٧٣٥٤)؛ وكم (الأهوال ٥٦٦/٤-٥٦٧) وقال : (هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٤) : (رواه أبو يعلى و رجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي و هو ثقة) .
(٤) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح - صلوات الله عليهما - من القرون ٦٩/١٤ ح : ٦١٩٠)؛ والطبراني في الأوسط (١/١٢٨ ح : ٤٠٣)؛ وفي الكبير

فهذه جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين ما أنعم الله به على عبده آدم عليه السلام فجعله نبيا مكلفا، وشرفه بالكلام معه، فكلمه بعد نفخ الروح فيه، وأمره أن يسلم على الملائكة، وقال له - ويداد مقبوضتان - : اختر أيهما شئت، وكلمه عند عرض الأسماء على الملائكة، وعند إسكانه مع زوجته الجنة، وعند أكلهما من الشجرة ناداهما، ولقنهما كلماته ليتوب عليهما، وكلمه عند هبوطهما إلى الأرض، وعند إخراج الذرية من ظهره، وعند إعطاء آدم داود عليهما السلام أربعين سنة من عمره، وسيكلمه ربه يوم القيامة، ويناديه بصوت، ويأمره أن يخرج من ذريته بعثا إلى النار كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ .



(١١٨/٨ ح : ٧٥٤٥)؛ وابن منده في التوحيد (١٤١/٣ ح : ٥٧١)، وقال : (هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري)؛ وكم (التفسير، ب : كانت الرسل ثلاث مائة وخمسة عشرة ٢٦٢/٢)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠١/١) : (هذا على شرط مسلم ولم يخرجه)، وقال المهيمني في مجمع الزوائد (٢١٠/٨) : (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليل الحلي وهو ثقة)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (١٢٢/٣ ح : ٥٧٣٧) .

المطلب الثاني : بيان موقف السلف من كلام الله تعالى .

اعتقاد السلف الصالح هو الإيمان بالله ورسوله، والإقرار والتسليم لكل ما جاء عن الله ورسوله؛ فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل^(١). وصفة الكلام من الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثة آلاف موضع - كما ذكر ابن القيم - رحمه الله -^(٢). وهنا أكتفي بذكر بعض الأدلة الدالة على كلام الله تعالى من القرآن الكريم والسنة النبوية غير ما ذكرت في المطلب السابق .

أولا : الأدلة من الكتاب .

الأدلة في كتاب الله تعالى على ثبوت صفة الكلام له تعالى كثيرة يصعب حصرها والإحاطة بأجزاء أفرادها؛ فأكتفي بذكر بعض أنواعها الدالة على كلام الله تعالى من كلامه المجيد .

١- ما جاء بلفظ القول: قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾^(٣) وقال

تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٥).

٢- ما جاء بلفظ النداء: قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾^(٦)

(١) انظر: التوحيد لابن مندة (٣/٧-١٣)؛ وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٧٤-٧٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١٨/٦)؛ والصفات الإلهية (ص: ٦٥)؛ ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص: ٤٠-٤١ و ٨٧).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة (٢/٢٩٧-٢٩٨) .

(٣) الأحزاب الآية: ٤

(٤) المائدة الآية: ١٠٩

(٥) غافر الآية: ٦٠

(٦) مريم الآية: ٥٢

وقال تعالى : ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ ^(٣).

٣- ما جاء بلفظ الكلام : قال تعالى : ﴿ منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ ^(٦).

٤- ما جاء بلفظ الأمر : قال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ أله الخلق والأمر ﴾ ^(٩).

٥- ما جاء بلفظ الشهادة : قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ^(١٠) وقال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ ^(١١).

ثانيا : الأدلة من السنة النبوية .

لا شك أن الرسول ﷺ هو أعرف الخلق بالله تبارك وتعالى، وأفهمهم لكتابه، وأعلمهم بمقصوده ومراده؛ فهو الشارح الأكبر والمفسر الأعظم لكتاب الله تعالى،

(١) الشعراء الآية : ١٠

(٢) القصص الآية : ٦٢ و٧٤

(٣) القصص الآية : ٦٥

(٤) البقرة الآية : ٢٥٣

(٥) النساء الآية : ١٦٤

(٦) التوبة الآية : ٦

(٧) النساء الآية : ٥٨

(٨) النحل الآية : ٩٠

(٩) الأعراف الآية : ٥٤

(١٠) آل عمران الآية : ١٨

(١١) النساء الآية : ١٦٦

ولا يمكن فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحا سليما إلا في ضوء السنة النبوية المباركة، وقد جاء بيان ثبوت صفة الكلام لله تعالى في أحاديث كثيرة، وهنا أكتفي بذكر ثلاثة منها .

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق ثمرة ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ! وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا ^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله يقول لأهل النار عذابا : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال : نعم. قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك ^(٣).

فهذه النصوص الشرعية من كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا ﷺ فيها بيان واضح ودلالة متنوعة على ثبوت صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه .

قال ابن القيم : (وقد نوع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويها يستحيل معه نفي حقائقها بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٢٧٢٩/٦ ح : ٧٠٧٤)؛ وم (الزكاة، ب : الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة ... ٧٠٣/٢ ح : ١٠١٦) .

(٢) أخرجه خ (التوحيد، ب : كلام الرب مع أهل الجنة ٢٧٣٢/٦ ح : ٧٠٨٠)، واللفظ له؛ وم (صفة القيامة والجنة والنار، ب : إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا ٢١٧٦/٤ ح : ٢٨٢٩) .

(٣) أخرجه خ (الأنبياء، ب : خلق آدم عليه السلام ذريته ١٢١٣/٣ ح : ٣١٥٦)، واللفظ له؛ وم (صفة القيامة والجنة والنار، ب : طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ٢١٦٠/٤ ح : ٢٨٠٥) .

حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(١) فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفى الخلق ... فإذا كان كلامه وتكليمه وخطابه ونداؤه وقوله وأمره ونهيهِ ووصيته وعهده وإذنه وحكمه وإنبأؤه وإخباره وشهادته كل ذلك لا حقيقة له بطلت الحقائق كلها ^(٢).

● اتفاق السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله تعالى .

لقد اتفق السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله تعالى كما هو شأنهم في جميع الصفات، إثباتا بلا تمثيل وتزيها بلا تعطيل، من غير أن يخوضوا في البحث عن كيفيةها والتعرف على ماهيتها بل يثبتونها لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وكماله، فيثبتون له كلاما حقيقيا بحرف وصوت يسمعه المخاطب ويحفظه ويتلوه، ويصفونه بما وصف به نفسه من القول والكلام والنداء والمناجاة كما ينبغي له تعالى ^(٣).

(١) يس الآية : ٨٢

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٢٨٥/٢ - ٢٨٦) .

(٣) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية (ص : ٢٦)؛ ورد الإمام البارمي على بشر المريسي (ص : ١١١)؛ وصريح السنة (ص : ١٨ - ١٩)؛ وشرح السنة للبرهاري (ص : ٢٥)؛ واعتقاد أئمة أهل الحديث (ص : ٥٧ - ٦٠)؛ والتوحيد لابن منده (١٢٩/٣ - ١٦٤)؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٦/٢ - ٣٦٢)؛ ورسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص : ١٠٥)؛ وعقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧ - ١٤)؛ والحجة في بيان المحجة (١٩٣/٢ - ١٩٤)؛ والاقتصاد في الاعتقاد (ص : ١٣٠)؛ ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص : ١٥ - ١٩)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١٨/٦ و ٥٢٨ و ٢٨٥/٩ - ٢٨٦ و ١٢/٥٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٤)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢٧٧/٢ - ٢٩٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٧٢ - ٢٠٤)؛ وجللاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٢٩٩ - ٣٧٩)؛ وسؤال وجواب في أهم المهمات للسعدي ، مطبوع مع مجموعة مؤلفاته (٦٣/٣)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة (ص : ٢٦٢ - ٢٦٦)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٦٩ - ٨٧)؛ وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك لمحمد الخميس (٣٠ - ٣١)؛ واعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث له كذلك (ص : ٦٢ - ٦٤)؛ ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (٤٠١/١ - ٤١٧)؛ و مقال لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي بعنوان " الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها " منشور في مجلة الجامعة الإسلامية عام : ١٤٢١ هـ العدد : ١١٢ (ص : ١٢٣) .

• الكلام من صفات الله الذاتية والفعلية :

الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من حيث تعلقها بالله تعالى تنقسم إلى قسمين : ذاتية وفعلية .

فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال الله تعالى متصفا بها كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين .

والفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته تعالى إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء .

وصفة الكلام اجتمع فيها القسمان : الذاتية والفعلية ^(١) فهي من الصفات الذاتية له سبحانه وتعالى باعتبار نوع الكلام، فهو سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال متكلماً ولم تتجدد له هذه الصفة بل كونه متكلماً من لوازم ذاته المقدسة قائمة به سبحانه وتعالى من الأزل إلى الأبد، فهو موصوف به أزلاً وأبداً كما يليق بجلاله وعظمته تعالى .

وهي من الصفات الفعلية له سبحانه وتعالى باعتبار أفراد الكلام، فهو سبحانه وتعالى يكلم من شاء بما شاء متى شاء، فكلامه مع الملائكة عن خلق آدم ﷺ بقوله : ﴿ إني خالق بشر من طين ﴾ ^(٢) غير الكلام الذي خاطب به آدم وزوجه - عليهما السلام - فقال : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ ^(٣) . وكلامه مع آدم ﷺ غير الكلام الذي خاطب به نوحا ﷺ في شأن ابنه فقال : ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ ^(٤) . وكلامه مع نوح

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص : ٧٠) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٢ - ٣٨) ؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٦) ؛ والقواعد المثلى (ص : ٢٥) ؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص : ٢٦٢ - ٢٦٣) ؛ ومقال لشيخنا الدكتور / محمد بن خليفة التميمي - حفظه الله - بعنوان : " الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها " منشور في مجلة الجامعة الإسلامية عام : ١٤٢١هـ العدد : ١١٢ - السنة : ٣٣ (ص : ١٢٤) .

(٢) ص الآية : ٧١

(٣) البقرة الآية : ٣٥

(٤) هود الآية : ٤٦

ﷺ غير كلامه الذي خاطب به موسى ﷺ فقال : ﴿ يا موسى أني أنا الله رب العالمين ﴾ ^(١). وكلامه مع موسى ﷺ غير الكلام الذي خاطب به النبي ﷺ ليلة المعراج في شأن الصلاة فقال : ((إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزى الحسنة عشرا)) ^(٢). وهذا كله غير الكلام الذي أنزله عليه وختم به كتبه، وهذا كله من كلام الله تعالى تكلم به حقيقة في أوقات مختلفة، فمضى شاء تكلم كما يليق به سبحانه وتعالى .

● كلام الله ليس له حد ينتهي إليه .

إن الله سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء، فمضى شاء أن يتكلم تكلم بما شاء، فالقرآن كلامه بالعربية، والتوراة كلامه بالعبرانية، وهو غير كلامه في الإنجيل الذي يقال عنه بأنه كان باللغة السريانية، وكلامه غير مقتصر على الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين فقط بل كل ما خاطب به أنبياءه فهو من كلامه تبارك وتعالى، وهو سبحانه وتعالى كما تكلم في الماضي بما شاء، فكذلك يتكلم في المستقبل، وفي كل وقت بما شاء، فكلامه سبحانه ليس له حد ينتهي إليه ^(٣).

قال تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ ^(٥). فقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار الأرض كلها أقلام فيفنى المداد والأقلام، ولا تنفذ كلماته؛ فإنه ليس لكلامه تبارك وتعالى نهاية بل هو متعلق بمشيئته؛ فهو سبحانه لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء كما يليق بجلاله وعظمته ^(٦).

(١) القصص الآية : ٣٠

(٢) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : ذكر الملائكة ١١٧٣/٣ ح : ٣٠٣٥) .

(٣) انظر : السوحيد لابن خزيمة (٣٩٥/١ - ٣٩٩) ؛ والأسماء والصفات (٤٧٠/١) ؛ ومجموع فتاوى شيخ

الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٢ - ٣٨) ؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٠) .

(٤) الكهف الآية : ١٠٩

(٥) لقمان الآية : ٢٧

(٦) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢٨٦/٢) .

● إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت .

والله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام يسمع، ولا خلاف بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً؛ فإن الكلام هو الحروف المتسقة والأصوات المقطعة^(١)، وقد نادى سبحانه الأبوين - عليهما السلام -، ونادى موسى ﷺ، وسينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب .

والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا بصوت مسموع، فإن انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً^(٢) ولهذا جاء تقييده بالصوت في الحديث الصحيح إيضاحاً وتأكيذاً كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾^(٣).

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ! يقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار . قال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف قال تسعمائة وتسعة وتسعين... الحديث^(٤).

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك، أنا الديان^(٥).

(١) انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص : ٨١ و ١٤٩) .

(٢) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٩٦ ، مادة : ندي) ؛ والمعجم الوسيط (٩١٢/٢ ، مادة : ندي) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٠/١٢) ؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢٧٧/٢) ؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٧-٧٨) .

(٣) النساء الآية : ١٦٤

(٤) حديث صحيح اتفق عليه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٥) .

(٥) أخرجه خ تعليقا بصيغة التمریض (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عند الله لمن أذن له... ﴾ [سبأ : ٢٣] ٦/٢٧١٩) ، وبصيغة الجزم في (العلم ، ب : الخروج في طلب العلم ٤١/١) وذكر رحلة جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس ولم يذكر بقية الحديث؛ أخرجه كاملاً بإسناده في الأدب المفرد (ب : المعانقة، ص : ٣٣٧ ح : ٩٧٠) ؛ وحم (٤٣١/٢٥-٤٣٢ ح : ١٦٠٤٢) ؛ وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥/١ ح : ٥١٤) ؛ وفي الأحاد والثاني (٨٠/٤ ح : ٢٠٣٤) ؛ وكم (الأهوال، ٥٧٤/٤) ؛ والخطيب في (الرحلة في طلب الحديث ص : ١٠٩-١١٥ ح : ٣١-٣٢) ؛ وفي (الجامع في أخلاق السراوي وآداب السامع ٢٢٥/٢-٢٢٦ ح : ١٦٨٦) ؛ قال الحاكم : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٤/٤ ح : ٥٣) ، وابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة (٢٨٠/٢) ، والمهشمي في مجمع الزوائد (٣٥١/١٠) ، وحسن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٧٤/١) إسناد قسم الارتحال منه، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٣٧١-٣٧٢ ح : ٧٤٦) ؛ وفي السلسلة الصحيحة (٣٠١/١-٣٠٢ ح : ١٦٠) .

فتبين من هذا أن الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام يسمع منه تعالى، والكلام المسموع لا يكون إلا صوتاً مشتملاً على حروف منظومة، ولكن صوته تعالى ليس كمثّل أصوات خلقه، ولهذا قال : " يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب " فهذه صفة خاصة بصوته تبارك وتعالى، وأما أصوات خلقه فيسمعها القريب فقط حسب قوة الصوت وضعفه ^(١).

• كلام الله تعالى يسمع منه تارة بالواسطة و تارة بلا واسطة .

وكلام الله سبحانه وتعالى يسمع منه تارة بلا واسطة كما سمعه جبريل وآدم وموسى - عليهم السلام - وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، وتارة يسمع كلامه من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل عليه السلام تبليغاً عنه، وكما سمع الصحابة القرآن الكريم من الرسول ﷺ عن الله تعالى، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نحن نسمع بواسطة التالي ^(٢).

• كلام الله تعالى صفة له غير مخلوق .

الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده بذاته وصفاته، وقد دلت الأدلة على أن الكلام من صفاته تبارك وتعالى، فما تكلم الله به فهو صفة له قائمة بذاته، وليس مخلوقاً منفصلاً عنه؛ لأن صفاته ليست غيره بل هي داخلة في مسمى اسمه، ولازمة لذاته المقدسة، فكما لم تدخل ذاته تعالى في الأشياء المخلوقة؛ فكذلك لا تدخل صفاته في الأشياء المخلوقة؛ فكل ما ثبت أنه من كلام الله سبحانه وتعالى فهو صفة له غير مخلوق ^(٣).

• إجماع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وقد أجمع السلف الصالح على أن القرآن كلام الله تعالى، بحروفه ومعانيه، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود ^(٤).

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٥/١٢)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٧-٧٨) .

(٢) انظر : صفات الله عز وجل (ص : ٧٠) .

(٣) انظر : الروح (ص : ٢٦٦)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٧٨-١٨٧)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٠) .

(٤) معنى قول السلف : " منه بدأ " أي : الله سبحانه وتعالى هو المتكلم به ابتداءً، ولم يخلقه في غيره، فإنه لو كان مخلوقاً في غيره لكان كلاماً لذلك المخلوق الذي خلق فيه، ولم يكن كلاماً لرب العالمين فهو سبحانه إنما يتصف بما قامت به



قال عمرو بن دينار ^(١) : (أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود) ^(٢) .
وقال الآجري : (اعلّموا - رحمنا الله وإياكم - أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووقفوا للرشاد قديما وحديثا : أن القرآن كلام الله عز وجل، ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله تعالى، وعلم الله لا يكون مخلوقا، تعالى الله عن ذلك .
دل على ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة - رضي الله عنهم - وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر) ^(٣) .
وقال اللالكائي ^(٤) بعد أن ذكر خمسمائة وخمسين من أسماء العلماء من التابعين وأتباع

هم

من الصفات لا بما خلقه في غيره من المخلوقات .
ومعنى قولهم : " وإليه يعود " أنه يرفع من الصدور والمصاحف؛ فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢٩/٦ و ٤٠/١٢ - ٤١) وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٩٥) .

ومن الأحاديث الدالة على رفع القرآن من الصدور والمصاحف ما رواه حذيفة بن اليمان مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ : يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صوم، ولا صلاة، ولا نسل، ولا صدقة وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية الحديث . أخرجه جه (الفتن، ب : ذهاب القرآن والعلم ٢/ ١٣٤٤ ح : ٤٠٤٩)؛ وكـ (الفتن والملاحم، ب : يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ٤/ ٤٧٣ و ٥٤٥) وقال : (صحيح على شرطهما و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٩٤) : (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٦) عن سنده : (قوي)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣/ ٣٢٦ ح : ٣٢٨٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١/ ١٧١ ح : ٨٧) .

ومعنى " وشي الثوب " : نقشه ولونه . انظر : لسان العرب (١٥/ ٣١٢)؛ والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٣٥) .
(١) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ١٢٦هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٢١ برقم : ٥٠٢٤) .
(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص : ٢٩)؛ والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ١١٦ - ١١٧)، واللفظ له؛ وابن بطة العكبري كما في المختار من الإبانة (٢/ ١٨٣ - ١٨٤ برقم : ١٨٣)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، من عدة طرق (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥ برقم : ٣٨٥ - ٣٨١)؛ والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٣)؛ وفي الأسماء والصفات (١/ ٥٩٨ ح : ٥٣٢)، قال الذهبي في العلو للعلي الغفاري (ص : ١٥٥ - ١٥٦ ح : ٤٢١) : (وقد تواتر هذا عن ابن عينة)، وقال الألباني في مختصر العلو (ص : ١٦٤ ح : ١٧٣) : (إسناده صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ) .
(٣) الشريعة (١/ ٤٨٩) .

(٤) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، إمام من أئمة أهل السنة، قال عنه الذهبي : مفيد بغداد في وقته، توفي سنة ٤١٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩ - ٤٢٠) .

التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين من شتى البلدان والأمصار مع اختلاف الأعوام والأعصار : (قالوا كلهم : القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر)^(١) .

قال السجزي^(٢) : (لا خلاف بين المسلمين أجمع في أن القرآن كلام الله عز وجل، وأنه الكتاب المنزل بلسان عربي مبين الذي له أول وآخر، وهو ذو أجزاء وأبعاد، وأنه شيء ينقرى^(٣)، ويتأتى أداؤه، وتلاوته، ثم اختلفوا بعد هذه الجملة، فقال أهل الحق : هو غير مخلوق، لأنه صفة من صفات ذاته ...)^(٤) .

وقال أبو عثمان الصابوني^(٥) : (ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون : أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتزييله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ...)^(٦) .

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي^(٧) : (وأجمع أئمة السلف والمقتدى بهم من الخلف على أن القرآن غير مخلوق، ومن قال بخلقه فقد كفر)^(٨) .

قال ابن أبي العز^(٩) : (أهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق)^(١٠) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة وهو الذي

-
- (١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣١٢/٢) .
- (٢) أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكري السجزي، من أئمة أهل السنة وأكابرهم . قال عنه الذهبي : شيخ السنة، توفي سنة ٤٤٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٦٥٧-٦٥٤/١٧) .
- (٣) و هو بمعنى : يقرأ كما قال محقق الكتاب شيخنا محمد باكرم - حفظه الله - .
- (٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص : ١٠٥) .
- (٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري، إمام فقيه محدث، توفي سنة ٤٤٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٠/١٨) .
- (٦) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧) .
- (٧) عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، قال عنه الذهبي : (الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع)، توفي سنة ٦٠٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٢١) وما بعده .
- (٨) الاقتصاد في الاعتقاد (ص : ١٣٦) .
- (٩) أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن محمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن أبي العز، إمام عالم فقيه توفي سنة ٧٩٢هـ . انظر : الدرر الكامنة (٨٧/٣)؛ ومعجم المؤلفين (١٥٦/٧) .
- (١٠) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٨٥) .

يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود (١).
فهذا موقف السلف من كلام الله بإيجاز فيما يتعلق ببيان ما هو الحق الثابت بالكتاب
والسنة وإجماع الأمة، وما هو اللائق بكمال الله وجلاله وعظمته، وما يجب على العباد
اعتقاده في كلام ربهم سبحانه وتعالى .
وأما موقفهم عما خالف الحق وجانب الصواب في المسألة، فإنهم بينوا الحق من
الباطل، وميزوا الصحيح من السقيم بتأصيل العقيدة الصحيحة وبيان منهج الكتاب والسنة
وسلف الأمة الصالح تارة، وأخرى بالرد على الباطل وأهله، فمنهم من رد على أهل
الباطل عموماً (٢)، ومنهم من رد على طائفة من أهل الباطل بعينها (٣)، ومنهم من رد على
رئيس الطائفة وداعيتها وحامل لوائها (٤)، ومنهم من رد على مسألة معينة من المسائل
التي خالفوا الحق وأخطئوا فيها (٥)، ومؤلفاتهم في ذلك معروفة مشهورة .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٢) و أنظر : أيضا (٥٢٨-٥٢٩ و ١٢/٢٤٣-٢٤٤) .

(٢) مثل كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبد الله ابن بطه العكبري .

(٣) مثل كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لأبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني .

(٤) مثل رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد .

(٥) مثل رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت .

المبحث السابع : صفات آدم عليه السلام والكلام على حديث :

"إن الله خلق آدم على صورته"

أولا : صفات آدم عليه السلام .

أ- كان آدم عليه السلام طويل القامة، وكان طوله ستين ذراعا، ويدل على ذلك من أحاديث رسول الله ﷺ ما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله عز وجل آدم على صورته طولنه ستون ذراعا، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحوونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك . قال : فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . قال : فزادوه ورحمة الله . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتشطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم ^(٢) المسك، وبجامرهم ^(٣) الألوة ^(٤)، الألنجوج ^(٥) : عود الطيب، وأزواجهم الحور العين،

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤) .

(٢) الرشح : العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا كما يرشح الإناء للتخلخل الأجزاء . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/٢٢٤) .

(٣) الجامر : جمع مجمر ومُجَمَّر، فالْمَجْمَر بكسر الميم : هو الذي يوضع فيه النار للبخور . والمُجَمَّر بالضم : هو الذي يتبخر به، وأعد له الجمر، وهو المراد في هذا الحديث ؛ أي : إن بخورهم بالألوة، كما قال ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٩٣، مادة : جمر)، قلت : حمل الحديث على المعنيين أولى من قصره على أحدهما فإنه إذا كان الإناء الذي يتبخر فيه من العود الذي يتبخر به كان أحسن وأكثر رائحة، هذا من إفادة شيخنا المشرف على البحث - جزاه الله خيرا - والله أعلم .

(٤) الألوة : بفتح الهمزة وضمها وهي العود الذي يتبخر به . انظر : النهاية في غريب الحديث (١/٦٣ مادة : ألي) .

(٥) الأَلَنجُوج : هو العود الذي يتبخر به . يقال : أَلَنجُوجٌ وَيَلَنجُوجٌ وَأَلَنجَجٌ، والألف والنون زائدتان، كأنه يلج في تضوع رائحته وانتشارها . انظر : النهاية في غريب الحديث (١/٦٢) .

على خلق (١) رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء (٢).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يدخل أهل الجنة الجنة جُرُداً (٥)، مُرداً، يَبِضاً، جَعَاداً (٦)، مُكَحِّلِينَ، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم؛ ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع (٧).

(١) لفظ "خلق" في الحديث ضبطه أبو بكر ابن أبي شيبة بضم الخاء واللام، ويؤيد هذا الضبط ما ورد في رواية أخرى عند مسلم بلفظ : ((لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد))، وضبطه أبو كريب بفتح الخاء وسكون اللام ويؤيد هذا الضبط ما ورد في تمام الحديث بلفظ : ((على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء))، وهو الذي ذهب إليه الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (٣٦٧/٦) وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١٧٢/١٧) : كلاهما صحيح . وهو كما قال فلا مانع من أن يجمع الله لهم الحسينين فيجعلهم على خلق رجل واحد في الصورة وعلى خلق رجل واحد في السيرة .

(٢) أخرجه خ (الأنبياء، ب : خلق آدم عليه السلام وذريته ١٢١٠/٣ ح : ٣١٤٩)؛ وم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب : في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال ٢١٧٩/٤ ح : ٢٨٣٤) .

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٤٨٠/٢ ح : ١١٠٠)، وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله المدني فيه كلام لأهل العلم؛ فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه، ومنهم من وثقه، ويظهر لي من خلال النظر في أقوالهم عنه أنه لا ينحط عن درجة الحسن، وحديثه هذا يصل إلى درجة الصحيح لغيره؛ لأن الراوي عنه هنا الإمام أحمد وقد قال : (ما كتبنا من حديثه فصحيح)، ولما له من الشواهد الصحيحة من الأحاديث المتقدمة والآتية . وانظر أقوال الأئمة في عبد الرحمن بن إسحاق جرحاً وتعديلاً : تهذيب التهذيب (٣/٣٢٧-٣٣٨ برقم : ٤٣٣٢) .

(٤) أخرجه حم (٤٦/١٤ ح : ٨٢٩١)؛ وعبد بن حميد في مسنده (ص : ٤١٧ ح : ١٤٢٧)؛ وابن خزيمة في التوحيد (٩٢/١ ح : ٩٣)؛ والدارقطني في الصفات (ص : ٦٤ ح : ٤٧) وقال محققوا المسند : (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل موسى بن أبي عثمان التبان وأبيه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين ... ولم يذكر عبد بن حميد في روايته " طوله ستون ذراعاً ") .

(٥) الجرد جمع مفردة أجرد، وهو الذي ليس على بدنه شعر، ويقابله أشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٥٦/١ ، مادة : جرد) .

(٦) الجعداد جمع مفردة جعد، والجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً : فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر، وهو ضد السبط، لأن السبوبة أكثرها في شعور العجم وهو المراد في الحديث . وأما الذم فهو القصير المتردد الخلق . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٧٥/١ ، مادة : جعد) .

(٧) أخرجه حم (٣١٥/١٣ ح : ٧٩٣٣ و ٢١٠/١٤ ح : ٨٥٢٤ و ٢٢٠/١٥ ح : ٢٢١ و ٩٣٧٥ و ٣٢٢/١٦ ح : ١٠٩١٣)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥/٧ ح : ٣٤٠٠٦)؛ وابن أبي الدنيا في (صفة الجنة ص : ٥٣ ح : ١٥)؛ والطبراني في (الصغير ١٧/٢)؛ وفي الأوسط (٣١٨/٥ ح : ٥٤٢٢)؛ وابن عدي في (الكامل في ضعفاء الرجال ترجمة علي بن زيد ، ٥/ ١٩٨)؛ وأبو الشيخ في العظمة (١٠٩٧/٣ ح : ٥٩٤-٥٧)؛ وأبو نعيم في (صفة الجنة ١٠٠/٢-١٠١ ح : ٢٥٥)؛ والبيهقي في (السبع والنشور ص : ٢٤٥ ح : ٤٢٠)؛ والبعوي في (معالم التنزيل ٢٨٤/٤ ، الواقعة : ٣٧) كلهم من طريق علي بن زيد

قال القرطبي : (قوله : ((ستون ذراعا في السماء)) ؛ أي : في الارتفاع وكل ما علاك فهو سماء ويعني بذلك : أن الله تعالى أعاد أهل الجنة إلى خلقة أصلهم الذي هو آدم، وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة، وكان طوله فيها ستين ذراعا من ذراع نفسه والله أعلم)^(١) .
وقال القسطلاني^(٢) : (قوله : ((وطوله ستون ذراعا)) ؛ أي : بقدر ذراع نفسه أو بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، ورجح الأول بأن ذراع كل أحد مثل ربعه فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده)^(٣) .

ب - كان آدم ~~الطويل~~ كثير شعر الرأس .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إن آدم كان رجلا طويلا كأنه نخلة سحوق^(٤) كثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك ، فانطلق هاربا في الجنة، فتعلقت به شجرة، فقال لها : أرسليني ، فقالت : لست بمرسلتك، قال : وناداه ربه يا آدم ! أمني تفر ؟ قال : رب إني استحييتك^(٥) .

سم

مرفوعا . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣٩٩/١٠) : (إسناده حسن) . وصححه أحمد شاكر في تحقيق مسند الإمام أحمد مرة وحسنه أخرى؛ فصححه في (٧٤١/١٥ ح : ٧٩٢٠) ، وحسنه في (٢١٨/١٦ ح : ٨٥٠٥) . وقال محقق صفة الجنة لابن أبي الدنيا : (حديث صحيح وإسناده حسن) . وقال محقق صفة الجنة لأبي نعيم : (ضعيف) . والذي يظهر لي أن إطلاق الحكم على الحديث بالحسن أو الصحة أو الضعف لا يخلو من النظر . وذلك لأن إسناده الحديث مداره على علي بن زيد ابن جدعان، وهو ضعيف كما يظهر من أقوال الأئمة فيه؛ فلا يحتج بما تفرد به، ولا يعلم له متابع ولكن له ما يشهد ما عدا الجملة الأخيرة، وهي " في عرض سبع أذرع " فيكون الحديث - كما قال محققوا المسند - حسنا بشواهد ما عدا الجملة الأخيرة فهي ضعيفة، والله أعلم بالصواب .

انظر أقوال الأئمة في علي بن زيد بن جدعان بالتفصيل في كتاب : " أوضح البيان في جرح علي بن زيد بن جدعان ... " لمؤلفه : علي بن حسن الأثري - حفظه الله - (ص : ١٣ - ٩٤) .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٢/٧ - ١٨٣) .

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، محدث مؤرخ فقيه مقرئ، توفي سنة ٩٢٣هـ . انظر :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠٣/٢ - ١٠٤) ؛ ومعجم المؤلفين (٨٥/٢ - ٨٦) .

(٣) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٢٣٤/٧) .

(٤) النخلة السحوق؛ أي : الطويلة التي بعد ثمرها على المجتي . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٤٧/٢) .

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في الزهد (ص : ٨٢ ح : ٢٦٥) ؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٩/١ ح : ٣٩٢)

بإسنادهما، وكلاهما يجتمعان في قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعا، وقاتدة صرح بالتحديث عن الحسن في رواية

عبد الله بن الإمام أحمد، إلا أن الأئمة ذكروا كما في تهذيب التهذيب (٤٨١/١ - ٤٨٤) برقم : ١٤٤٩) أن روايات الحسن

البصري عن الصحابة البدرين فيها انقطاع ولكن جاء في طريق آخر ما يبين هذه الواسطة، ويجعل الإسناد متصلا؛ فقد أخرج

ابن سعد في الطبقات (٣١/١) بإسناده عن قتادة عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب مرفوعا . وعتي بن ضمرة التميمي

ثقة من الثالثة كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ٣٨١ برقم : ٤٤٤٥) . ومن طريق ابن سعد أخرجه

كم (التفسير، ٢٦٢/٢) ؛ والبيهقي في البعث والنشور (ص : ١١٩ ح : ١٩٣) ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح

←

ج - كان آدم عليه السلام في غاية الجمال البشري .

خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وصوره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فمن كرمه الله وشرفه بهذه المكرمات والفضائل ما كان أن يخلقه إلا في أحسن شكل وأجمل صورة . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ^(١) .

قال السهيلي في قوله عليه السلام في حديث المعراج : ((فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطي شطر الحسن ^(٢))) : إن معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام، فإن الله خلق آدم عليه السلام بيده على أكمل صورة وأحسنها، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله، وكان يوسف عليه السلام قد أعطي شطر حسنه، فأدم عليه السلام كان في غاية نهايات الحسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنة ^(٣) .

واستحسنه الحافظ ابن كثير فقال : (وهذا مناسب؛ فإن الله خلق آدم عليه السلام وصوره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه) ^(٤) .

وقال القسطلاني في قوله عليه السلام : ((فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن)) : أي : لم يزل الخلق ينقص من طوله وجماله بعد آدم حتى الآن، فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه أبوه من الحسن والجمال وطول القامة . أمه بتصرف ^(٥) .

خلاصة ما سبق : أن آدم عليه السلام كان طويل القامة، وكان طوله ستون ذراعاً، وكان كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، وكان في غاية الحسن ونهاية الجمال البشري والله أعلم .

ثانياً : الكلام على حديث : " إن الله خلق آدم على صورته " .

إن هذا الحديث اختلفت فيه وجهات أهل العلم، فمنهم من نقل عنه إنكاره ونفيه عن

الإسناد ولم يخرجاه (و وافقه الذهبي، وحسن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٦٧/٦) إسناد ابن أبي حاتم، ولكن ذكر محقق تفسير ابن أبي حاتم في إسناد ابن أبي حاتم لهذا الحديث أربع علل، ثم أجاب عن كل واحدة منها، وقال : " الإسناد مجموع طرقه صحيح " والذي يظهر لي أن إسناد ابن سعد حسن لذاته ومجموع الطرق يكون صحيحاً لغيره، والله أعلم .

(١) التين الآية : ٤

(٢) أخرجه م (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ ١٤٥-١٤٦ ح : ١٦٢) .

(٣) ذكره عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٩٧/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) انظر : إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٢٣٠/١٣) .

الستحدث به، ومنهم من أقر بثبوتها ولكن أخطأ في فهمه، فحمله على غير وجهه وصرفه عن مدلوله ومراده، ومنهم من وفقه الله تعالى للصواب وهداه إلى الرشاد، وأذكر مواقف أهل العلم ووجهات نظرهم تجاه هذا الحديث باختصار^(١)، وهي تتلخص في نقاط تالية:

النقطة الأولى : ما روي عن الإمام مالك من إنكار ثبوت هذا الحديث، والنهي عن التحدث به .

ذكر العقيلي^(٢) بإسناده إلى ابن القاسم^(٣) قال : سألت مالكا عما يحدث بالحديث الذي قالوا : إن الله خلق آدم على صورته ؛ فأنكر ذلك مالك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث به أحد^(٤).

وقال ابن أبي زمنين : (كان مالك يعظم أن يحدث أحد بهذه الأحاديث التي فيها : إن الله خلق آدم على صورته، وضعفها)^(٥).

وهذا القول فيه نظر من وجوه :

١- إن الإمام مالكا - رحمه الله - من أئمة أهل السنة وأكابر علماء هم، وهو أجل من أن ينكر مثل هذا الحديث الصحيح الثابت عن النبي ﷺ .

٢- الإسناد الذي ساقه العقيلي إلى الإمام مالك - رحمه الله - فيه كلام؛ فإن في سنده مقدم بن داود، وهو متكلم فيه؛ فقد قال الإمام النسائي فيه : (ليس بثقة)^(٦). وقال الدارقطني : (ضعيف)^(٧). وقال أبو عمرو الكندي : (كان فقيها مفتيا لم يكن بالمحمود في

(١) أغلب الأقوال والردود عليها مستفاد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " نقض تأسيس الجهمية " بتصرف واختصار، وكذلك استفدت ممن نقل عنه مثل الشيخ حمود التويجري في كتابه " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن " والشيخ عبد الله الغنيمان في كتابه " شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري " .

(٢) أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، قال عنه الذهبي : الإمام الحافظ الناقد مصنف كتاب الضعفاء، توفي سنة ٣٢٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١٥ - ٢٣٩) .

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي، الفقيه، صاحب مالك، ثقة، توفي سنة ٢٩١هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٨ برقم : ٣٩٨٠) .

(٤) انظر : كتاب الضعفاء الكبير (٢٥١/٢ - ٢٥٢)، وانظر أيضا : ميزان الاعتدال (٤١٩/٢ برقم : ٤٣٠١)؛ وسير أعلام النبلاء (ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ٤٤٩/٥ - ٤٥٠) .

(٥) أصول السنة (ص : ٧٥)، وابن أبي زمنين هو محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي، قال عنه الذهبي : الإمام القدوة شيخ قرطبة صاحب جد وإخلاص، توفي سنة ٣٩٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧ - ١٨٩) .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ وميزان الاعتدال (١٧٦/٤)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦) .

(٧) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦) .

الرواية (١). وقال ابن أبي حاتم : (تكلموا فيه) (٢). وقال ابن يونس : (تكلموا فيه) (٣).
فإسناد هذا القول إلى الإمام مالك ضعيف، ولا عبرة بكلام لم يصح إسناده إلى قائله،
ولم يثبت عن المحكي عنه .

٣- وعلى تقدير ثبوت ذلك عن الإمام مالك؛ فقد اعتذر له أهل العلم في ذلك لأحد أمرين (٤) :
أ - عدم بلوغ الروايات الصحيحة إليه .

قال الحافظ الذهبي : (أنكر مالك ذلك؛ لأنه لم يثبت عنده، لا اتصل به؛ فهو معذور) (٥).
ب - أنها وصلت إليه وثبتت عنده ولكنه أنكر التحدث به خوفا من فتنة بعض من يشبهه عليه
الفهم الصحيح كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله
ورسوله ؟) (٦) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا
كان لبعضهم فتنة) (٧) . فكان إنكار مالك - رحمه الله - سدا للذريعة، وإغلاقا لباب الفتنة .
قال ابن وهب وابن القاسم : (كره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون
وجهه، ولا تبلغه عقولهم؛ فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه) (٨).

-
- (١) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ وميزان الاعتدال (١٧٦/٤)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦)، والكندي هو محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي، ثقة ثبت، توفي في حدود سنة ٢٤٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥١٥ برقم : ٦٤١٤) .
(٢) الجرح و التعديل (٣٠٣/٨ برقم : ١٣٩٩)، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، ثقة حافظ، له معرفة بالرجال، وتوفي سنة ٣٢٧هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣-٢٦٩) .
(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ وميزان الاعتدال (١٧٦/٤)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦)، وابن يونس هو عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام يونس الصدفي المصري، إمام بصير بالرجال فهم متيقظ، توفي سنة ٣٧٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٨/١٥-٥٧٩) .
(٤) انظر : فتح الباري (٢٢٥/١)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٠-١١)؛ ومنهج الإمام مالك في إثبات العقيدة (ص : ٢٦٢)؛ وتعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن (ص : ٢٩-٣٠)، وهو مقال للشيخ حماد الأنصاري منشور في مجلة الجامعة السلفية، بنارس الهند، المجلد الثامن، العدد الرابع، شهر ذي القعدة ١٣٩٦هـ .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠٤/٨)، ترجمة الإمام مالك (، والذهبي هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، علامة، محدث، مؤرخ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة، توفي سنة ٧٤٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٨٩/٨-٢٩١) .
(٦) أخرجه خ تعليقا بصيغة الجزم (العلم ، ب : من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) (٥٩/١) .
(٧) أخرجه م (المقدمة، ب : النهي عن الحديث بكل ما سمع) (١١/١) .
(٨) ترتيب المدارك و تقريب المسالك (٤٤/٢) .

وقال ابن عبد البر : (وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا)^(١) .
 ٤- وأما الحديث فهو ثابت مستفيض من طرق كثيرة، رواه عدد من الصحابة، وتلقاه عنهم جماعة كبيرة من التابعين، فمن بعدهم؛ فلا كلام في صحته وثبوته بل هو مما اتفق على صحته وثبوته أئمة هذا الشأن^(٢) .

النقطة الثانية : ذكر الخلاف في مرجع الضمير في قوله ﷺ : ((إن الله خلق آدم على صورته))، وبيان الراجح من الأقوال في ذلك .

اختلف أهل العلم في بيان مرجع الضمير في قوله ﷺ : ((إن الله خلق آدم على صورته)) على ثلاثة أقوال، وهي كالتالي :

القول الأول : الضمير يرجع إلى المضروب والمشتوم .

قال ابن خزيمة^(٣) : الهاء في قوله ﷺ : ((خلق الله آدم على صورته)) كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتتاب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول : ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبه وجوه بني، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم - صلوات الله وسلامه عليه - الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم . أهـ بتصرف يسير^(٤) .

وقال ابن حبان^(٥) : (يريد به على صورة الذي قيل له : قبح الله وجهك من ولده)^(٦) .

وقال البيهقي : (إنما أراد - والله أعلم - فإن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب)^(٧) .

(١) التمهيد (١٥٠/٧)، وابن عبد البر هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، حافظ المغرب، أحد أكابر المالكية، توفي سنة ٤٦٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (٥٧/١/٣ أ - ب)؛ وسير أعلام النبلاء (ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ٤٤٥/٥)؛ وميزان الاعتدال (٤١٩/٢ - ٤٢٠ - برقم : ٤٣٠١)؛ تعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن (ص : ٣٠ - ٣١)؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٠٣/١ - ٥٠٥) .

(٣) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، قال عنه الذهبي : الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣١١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤ - ٣٨٢) .

(٤) انظر : التوحيد (٨٤/١ - ٨٥) .

(٥) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، إمام علامة حافظ مجود صاحب كتب مشهورة، توفي سنة ٣٥٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦ - ١٠٤) .

(٦) كما في الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (١٨/١٣) .

(٧) الأسماء والصفات (٦٣/٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : (واختلف في الضمير على من يعود، فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها) (١).

وهذا القول فيه نظر وبيان ذلك من وجوه :

١- جاء في الصحيحين من قول رسول الله ﷺ ابتداء : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا)) وكذلك في أحاديث أخر : ((إن الله خلق آدم على صورته)) ولم يتقدم فيها ذكر أحد يعود الضمير إليه (٢).

٢- جميع الروايات الواردة عن النبي ﷺ في ذلك لم يتقدم فيها ذكر مضروب أو مشتوم يصلح عود الضمير إليه، فإنه ﷺ لم يقل : إذا ضرب أحدكم أحدا أو إذا قاتل أحدكم أحدا، وإنما قال : ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته)) (٣) وقال : ((لا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته)) (٤) وليس في هذا ذكر مضروب أو مشتوم حتى يصلح عود الضمير إليه .

فإن قيل قد يعود الضمير إلى ما دل عليه الكلام وإن لم يكن مذكورا، قيل : إنما يكون ذلك فيما لا لبس فيه حيث لم يتقدم ما يصلح لعود الضمير إليه إلا ما دل عليه الخطاب، أما إذا تقدم اسم صريح قريب إلى الضمير فلا يصلح أن يترك عوده إليه ويعود إلى شيء متقدم لا ذكر له في الخطاب، وهذا مما يعلم فساده في اللغات (٥).

٣- وما ذكر بعضهم من أن النبي ﷺ رأي رجلا يضرب رجلا ويقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال : خلق الله آدم على صورته؛ أي : على صورة هذا

(١) فتح الباري (١٨٣/٥) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (٦١/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٤) وأما الأحاديث فانظر تخريجها في (ص : ١٤٤ و ١٥٩ - ١٦٠ و ١٧١ - ١٧٣) من هذا البحث .

(٣) أخرجه م (البر والصلة والآداب، ب : النهي عن ضرب الوجه ٢٠١٧/٤ ح : ٢٦١٢) .

(٤) رواية من روايتي حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة ٢٢٩/١ ح : ٥١٩) والدارقطني

في (الصفات ص : ٥٦ - ٥٧ ح : ٤٦) قال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده حسن صحيح ورجاله

ثقات على كلام في ابن عجلان ...) وسأني مزيد إيضاح عن الحديث في (ص : ١٧٣ - ١٧٤) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٦١/١/٣ ب و ٦٢ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٤ - ٦٥) .

المضروب، فهذا شيء لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث (١).

٤- أن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم كلهم على صورة أبيهم آدم عليه السلام، فلا يصح تخصيص واحد منهم لم يتقدم له ذكر بأن الله خلق آدم عليه السلام على صورته بل هذا في غاية البعد، ولا سيما قوله ﷺ: إذا قاتل أحدكم وإذا ضرب أحدكم ولا تقولن أحدكم عام في كل مخاطب (٢).

٥- أن ذرية آدم عليه السلام خلقوا على صورة آدم عليه السلام، ولم يخلق آدم عليه السلام على صورهم، فإن مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه: خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم في الوجود، ولا يقال: إنه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود، كما إذا قيل: خلق الولد على صورة أبيه كان كلاما سديدا، بخلاف ما إذا قيل: خلق الوالد على صورة ولده كان كلاما فاسدا، لأن المصنوع المقيس في كل شيء يكون متأخرا عن المقيس عليه في الوجود، فكيف يقال خلق آدم عليه السلام على صورة هذا المضروب أو المشتوم من بنيه، وهو متأخر في الوجود عن آدم عليه السلام بآلاف السنين (٣).

٦- الحديث خرج مخرج المدح والتعظيم لآدم عليه السلام وعلى القول برجوع الضمير إلى المضروب ليس فيه أي منقبة لآدم عليه السلام، قال عبد الله بن الإمام أحمد (٤): (قال رجل لأبي: إن فلانا يقول في حديث رسول الله: ((إن الله خلق آدم على صورته)). فقال: على صورة الرجل. فقال أبي: كذب، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا؟) (٥).

٧- كون الوجه يشبه وجه آدم عليه السلام فليس للوجه اختصاص بذلك بل سائر أعضاء الإنسان تشبه أعضاء آدم عليه السلام؛ فإن رأس الإنسان يشبه رأس آدم عليه السلام، ويده تشبه يده وهكذا رجله وبطنه وظهره وفخذه وساقه... يشبه ظهره وبطنه وفخذه وساقه...، فلو كان الشبه علة لمنع ضرب الوجه لم يجوز ضرب شيء من أعضاء بني آدم لأن ذلك جميعه على صورة أبيهم آدم عليه السلام.

وقد أجمع المسلمون على وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين وإقامة الحدود مع كونها مشابهة لأعضاء آدم وسائر النبيين. وبهذا يتبين أن المنع من ضرب

(١) انظر: نقض التأسيس (٦١/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص: ٦٤).

(٢) انظر: نقض التأسيس (٦٢/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص: ٦٥).

(٣) انظر: نقض التأسيس (٦٢/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص: ٦٦).

(٤) عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ثقة، مات سنة ٢٩٠هـ. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٢٩٥ برقم: ٣٢٠٥).

(٥) انظر: ميزان الاعتدال (٦٠٣/١ برقم: ٢٢٨٧)؛ وفتح الباري (١٨٣/٥).

الوجه ليس لأجل هذه المشابهة كما قال القائلون (١).

٨- أنه لو كان علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم لنهي أيضا عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم : قطع الله يدك ويد من أشبه يدك (٢).
٩- جاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ " على صورة الرحمن " وسيأتي الكلام عليه في القول الثالث في المسألة .

القول الثاني : الضمير يرجع إلى آدم عليه السلام .

هذا القول مروى عن أبي ثور الكلبي (٣)، ونسبه ابن قتيبة إلى قوم من أهل الكلام المذموم (٤)، واختاره الرازي، وزعم أنه أولى الوجوه الثلاثة (٥)، وإليه ذهب القرطبي (٦) والأبي (٧) والسنوسي (٨) والألباني (٩) والدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة (١٠).

قال الحافظ ابن حجر في قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته وطوله ستون ذراعا)) : (وهذه الرواية تؤيد قول من قال أن الضمير لآدم، والمعنى : أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالا، ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله : ((وطوله ستون ذراعا)) فعاد الضمير أيضا على آدم) (١١).

-
- (١) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٧) .
(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ ب و ٦٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٧) .
(٣) انظر : عقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٥)، والكلبي هو أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، صاحب الشافعي، ثقة فقيه، توفي سنة ٢٤٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٩ برقم : ١٧٢) .
(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص : ٢١٩) .
(٥) انظر : أساس التقديس (ص : ١١٣)، والرازي هو محمد بن عمر بن الحسن التميمي، من كبار متكلمي الأشاعرة، ندم في آخر عمره لخوضه في علم الكلام، توفي سنة ٦٠٦هـ . انظر : لسان الميزان (٤٢٦/٤-٤٢٩)؛ والأعلام (٣١٣/٦) .
(٦) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٣/٧) .
(٧) انظر : إكمال إكمال المعلم (٢١٥/٧-٢١٦)، والأبي هو محمد بن خليفة بن عمر التونسي، المشهور بالأبي، عالم بالحديث والفقه والتفسير، توفي سنة ٨٢٧هـ . انظر : الأعلام (١١٥/٦)؛ ومعجم المؤلفين (٢٨٧/٩) .
(٨) انظر : مكمل إكمال الإكمال (٢١٥/٧-٢١٦)، والسنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر السنوسي، مشارك في بعض العلوم، توفي سنة ٨٩٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٣٢/١٢) .
(٩) انظر : صحيح الأدب المفرد (ب : لا تقل قبح الله وجهه، ص : ٨٥) .
(١٠) انظر : خلق آدم وذريته كما ورد في التزويل (ص : ٢٥) .
(١١) فتح الباري (٣٦٦/٦) .

وهذا القول فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- إذا قال قائل : إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة آدم، أو قال : " لا تقبحوا الوجه، ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ؛ فإن الله خلق آدم على صورة آدم "، كان هذا من أفسد الكلام لعدم وجود المناسبة بين الحكم والعلة قطعاً، وذلك أن كون آدم مخلوقاً على صورة آدم سواء كان فيه تشريف له أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع؛ فليس فيه مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيهِ ولا عن تقييحها وتقييح ما يشبهها^(١).

٢- أن آدم عليه السلام لم تكن له صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقه الله عليها^(٢)، وقال حمدان الوراق^(٣) : (أنه سمع أحمد بن حنبل، وسأله رجل عن حديث خَلَقَ آدمَ على صورته على صورة آدم ؟ فقال أحمد : فأين الذي يروى عن النبي ﷺ أن الله خلق آدم على صورة الرحمن ؟ ثم قال أحمد : وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق ؟)^(٤) . وقال أبو طالب^(٥) : (سمعت أبا عبد الله يقول : من قال إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه !؟)^(٦).

٣- أن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم، فلا فرق بين الوجه وسائر أعضائه في هذا الحكم . فلو كان خلق آدم على صورة آدم مانعاً من ضرب الوجه أو تقييحه لوجب أن يكون مانعاً من ضرب سائر الوجوه وتقييح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين؛ وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلى النبي ﷺ لا يصدر إلا عن جهل عظيم أو نفاق شديد؛ إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه وبيانه^(٧) .

٤- أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه، وهذا من أعظم التناقض، وذلك أنهم تأولوا

(١) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٩-٧٠) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ - ب - ٦٤ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٧١) .

(٣) هو محمد بن علي بن عبد الله البغدادي الوراق، كان من نبلاء أصحاب الإمام أحمد، توفي سنة ٢٧٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٩/١٣ - ٥٠) .

(٤) ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال، ترجمة : حمدان بن الهيثم ٦٠٣/١ برقم : ٢٢٨٧) .

(٥) هو أحمد بن حميد المشكافي، روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وكان الإمام أحمد يكرمه ويقدمه، توفي سنة ٢٤٤هـ . انظر : المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (١٩٧/١ - ١٩٨ برقم : ٤٥) .

(٦) أخرجه ابن بطة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٦٦/٣ برقم : ١٩٨) .

(٧) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٧٠) .

الحديث على أن آدم عليه السلام لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة، وعلى أنه لم يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر، وأما بنوه فقد خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة، وخلقوا في مدة من عناصر الأرض . فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقييحه كونه خلق على ذلك الوجه وهذه العلة منتفية في بنه ينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنه وتقييحه لانتفاء العلة فيها؛ لأن آدم هو الذي خلق على صورته ولكن بنوه لم يخلقوا على صورهم التي هم عليها، كما خلق آدم على صورته بل نقلوا من نطفة إلى علقه إلى مضغة ^(١).

٥- من المعلوم أن قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) من خصائص آدم عليه السلام وإن كان بنوه تبعوا له في ذلك ولكن قول القائل في بيان معناه : أن الله خلق آدم على صورة آدم فهذا يزيل ما اختص به آدم عليه السلام، ويوجب الاشتراك بينه وبين غيره من المخلوقات؛ لأن جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما من الملائكة والجن والإنس والبهائم كلهم مخلوقون على صورهم .

وأما كون آدم خلق على هذه الصورة ابتداء أو في غير مدة فإنه لم يخلق إلا من حال إلى حال من التراب ثم من الطين ثم من الصلصال كما خلق بنوه من النطفة ثم من العلقه ثم من المضغة فلا منافاة في الحقيقة بين الأمرين . فإذا جاز أن يقال في أحدهما : إنه خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار جاز أن يقال في الآخر : خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار . وإذا كان كذلك زال ما اختص الله به آدم عليه السلام، ويوجب الاشتراك بينه وبين سائر المخلوقات بموجب هذا القول فدل ذلك على بطلانه ^(٢).

٦- أن دلالة قول القائل : خلق آدم على صورة آدم، وما يدعونه من معان أخر مثل : كونه لم يخلق من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة، أو كونه لم يخلق في مدة ومن مادة، أو لم يخلق بواسطة القوى والعناصر مما لا دليل عليه بحال؛ فإن لفظ الحديث : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه؛ فلا بد أن يبين وجه دلالة لفظ الحديث على المعاني المذكورة من جهة اللغة، وأن يذكر له نظير في الاستعمال ^(٣).

(١) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٧٠) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٤/١/٣ أ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٧٢) .

(٣) انظر : نقض التأسيس (٦٤/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٧٣) .

٧- جاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ : ((على صورة الرحمن)) وسيأتي الكلام عليه.

القول الثالث : الضمير يرجع إلى لفظ الجلالة : " الله " سبحانه وتعالى .

الوجه التي تقدمت في بيان بطلان قول من يقول : إن الضمير في قوله : ((خلق الله آدم على صورته)) راجع إلى آدم أو أحد من بنيه مضروب أو مشتوم فهي أدلة أيضا على أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ على صورة نفسه، وقد جاء ذلك مصرحا في حديث رسول الله ﷺ فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن (١).

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/٨٣١ ح : ٨٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٢٨-٢٢٩ ح : ٥١٧)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٢٦٨ ح : ٤٩٨)؛ وابن خزيمة في التوحيد (١/٨٥ ح : ٤١)؛ والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٣٠-١٣٥٨٠)؛ والآجري في الشريعة (٣/١١٥٢ ح : ٧٢٥)؛ وابن بطة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٤٤/٣-٢٥٨ ح : ١٨٥)؛ والدارقطني في الصفات (ص : ٦٤ ح : ٤٨)؛ وكم (التفسير، الأعراف ٢/٣١٩)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٦٤ ح : ٦٤٠) كلهم من طريق جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : ((صورة الرحمن)) . وهذا الحديث أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٨٧) ثلاث علل : الأولى : مخالفة الثوري للأعمش في الإسناد حيث أرسله الثوري، ولم يقل عن ابن عمر، ورواية الثوري عند ابن خزيمة (ص : ٨٦ ح : ٤٢) . والثانية والثالثة : عن عنة الأعمش وحبيب وقد وصفا بالتدليس . وزاد عليها العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٣١٧ ح : ١١٧٦) علة رابعة : وهي قول الذهبي في الميزان (١/٣٩٤) نقلا عن البيهقي في السنن الكبرى (٦/٨٧) في جرير بن عبد الحميد أنه نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ . وهناك علة خامسة : ذكرها الشيخ عمرو بن عبد المنعم سليم في (المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني ص : ١٥٠) وهي أن العقيلي ذكر في [الضعفاء الكبير ١/٢٦٣] أن رواية حبيب بن أبي ثابت عن عطاء تكلم فيها يحيى القطان إذ قال : (حبيب بن ثابت عن عطاء ليست بمحفوظة إن كانت محفوظة فقد نزل عنها) وقال العقيلي : (له عن عطاء غير حديث لا يتابع عليه) . وقد أجاب أهل العلم عن هذه العلل التي أعل بها الحديث من أخرجه، فمن أجوبتهم عن العلة الأولى : ١- أن مخالفة الثوري لا تضر رواية الأعمش لأن كلا منهما حافظ إمام، وشيخ من شيوخ الإسلام، وثناء العلماء على الأعمش كثيرة جدا حتى قال ابن المديني كما في تهذيب التهذيب (٢/٤٢٤ برقم : ٣٠٤٩) : حفظ العلم على أمة محمد ﷺ ستة : عمرو بن دينار بمكة، والزهرى بالمدينة، وأبو إسحاق السبيعي والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة . والأعمش من شيوخ الثوري، ومن كان بهذه المثابة فلا تعلل روايته بمخالفة الثوري؛ لأنه قد حفظ ما لم يحفظه الثوري ٢٠- عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي ﷺ، فلا بد أن يكون قد سمعه من أحد، وإذا كان في إحدى الطريقين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بيانا وتفسيرا لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى ولم يكن هذا اختلافا أصلا . ٣- لو قدر أن عطاء لم يذكره إلا مرسلًا، معلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده ، فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلمي عن النبي ﷺ في مثل هذا الباب العظيم فهل يستحيز ذلك من غير أن يكون ثابتا عنده أو أن يكون قد سمعه من مجهول لا يعرف أو كذاب ؟ ٤- المرسل إذا اعتضد بقول الصحابي احتج به من لا يجتج بالمرسل كالشافعي وغيره، وقد حكى عن بعض الصحابة أنهم تكلموا بمعناه كما في قول ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي أخرجه عنه ابن بطة بإسناده كما في المختار من الإبانة (الرد

←

على الجهمية ، ٢١٦/٣ برقم : ١٩١) وقال الحق : "إسناده ضعيف " ؛ وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص : ٢٢١) وشيخ الإسلام ابن تيمية في نقض التأسيس (٦٤/١/٣ ب) وقال في (٦٦/١ - أ) : (ثبت عن بعض الصحابة أنهم تكلموا بهذا المعنى) . وأما العلة الثانية : وهي كون الأعمش موصوفاً بالتدليس ، وقد عنعن فلا يضر ذلك في صحة الإسناد لأنه معدود من أهل المرتبة الثانية من المدلسين الذين قد احتمل الأئمة تدليسهم ، وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم بجانب ما رويوا . وأما العلة الثالثة ، وهي كون حبيب بن أبي ثابت موصوفاً بالتدليس ، وهو من أهل المرتبة الثالثة ، وقد عنعن أيضاً فالجواب عن ذلك : ١ - قبل بعض أهل العلم عنعنة من كان في المرتبة الثالثة من الموصوفين بالتدليس ومنهم الإمام مسلم ، وأخرج لهم في صحيحه محتجا بهم ٢ - الظاهر أنه لم يدلّس في هذه الرواية لأن سماعه عن ابن عمر ثابت ، وكان يروي عنه مباشرة فلو كان قد دلّس في هذا الحديث لكان جديراً أن لا يذكر الوساطة بينه وبين ابن عمر ويروي عنه مباشرة ؛ ليحصل له علو الإسناد ولكن لما رواه عن عطاء عن ابن عمر دل ذلك على أنه لم يدلّس في هذه الرواية . ٣ - له شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وسيأتي تخريجه ، والحكم عليه . أما العلة الرابعة وهي أن جرير بن عبد الحميد نسب إلى سوء الحفظ في آخر عمره كما قال البيهقي فالظاهر أن الإمام البيهقي حصل منه وهم في ذلك بل الذي اختلط هو جرير بن حازم ولذلك قال الحافظ ابن حجر في ترجمة جرير بن عبد الحميد (تهذيب التهذيب ١/٣٧٠) : (وقال البيهقي في السنن نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ ؛ وذكر صاحب الحافل عن أبي حاتم أنه تغير قبل موته بسنة فحجبه أولاده ، وهذا ليس بمستقيم ؛ فإن هذا إنما وقع لجرير بن حازم فكأنه اشتبه على صاحب الحافل) ، وكذلك يردها تصحيح الأئمة الحديث ومنهم الذهبي نفسه الذي نقل عن البيهقي هذا القول في جرير . وأما العلة الخامسة فالجواب عنها أن قول يحيى القطان هذا يحتمل أنه عني بذلك أحاديث مخصوصة ، ومع ذلك لم يجرم جزماً قاطعاً بأنها غير محفوظة عن عطاء ثم إن القطان معروف بتشدهد في الجرح مع أن عامة الأئمة وثقوه توثيقاً مطلقاً فالأخذ بقولهم أرجح ، ولذلك قال الدكتور صالح بن حامد الرفاعي في (الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم ص : ١٥٤) بعد دراسة وافية : (خلاصة القول : أنه لا ينبغي أن يחדش في توثيق الأئمة المطلق لحبيب بن أبي ثابت بمثل هذا القول المحتمل الذي ذكره القطان) . فيتين مما سبق أن العلل التي أعل بها الحديث مندفة . ثم اتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح وحبيب بن أبي ثابت والأعمش والثوري وأصحابهم من غير تكثير سمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر الفاضل المشهود له بالخيرية على لسان أصدق البرية ، مع كون هذه الروايات في مظنة الشهرة دليل على أن علماء الأمة لم ينكروا إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا . ولذلك صحح الحديث جماعة من كبار أهل العلم . قال الإمام أحمد بن حنبل : (هذا الحديث صحيح) . انظر : ميزان الاعتدال (٤٢٠/٢ برقم : ٤٣٠١) ؛ وفتح الباري (١٨٣/٥) . وقال إسحاق بن راهوية : (صح عن رسول الله ﷺ أن آدم خلق على صورة الرحمن) ، وقال مرة : (صح عن رسول الله ﷺ أنه نطق به) ، وقال أيضاً : (صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي) . انظر : المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٦٦/٣ برقم : ١٩٧) ؛ وميزان الاعتدال (٤٢٠/٢ برقم : ٤٣٠١) ؛ وفتح الباري (١٨٣/٥) . وقال الحاكم في المستدرک (٢/٣١٩) : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية صحة صحة الحديث ، ورد على من أعل الحديث بما ذكره ابن خزيمة من العلل ، وأجاب عنها بالتفصيل . انظر : نقض تأسيس الجهمية (٦٤/١ ب - ٦٦ أ) ؛ وعقيدة أهل الإيمان (ص : ٧٣-٧٧) . ووافق الذهبي في تلخيص المستدرک (٣١٩/٢) على تصحيح الحاكم للحديث على شرط الشيخين ؛ وقال في سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٥ ، ترجمة أبي الزناد) بعد ما ذكر طرق حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (وضح أيضاً من حديث ابن عمر ، وقد قال إسحاق بن راهوية عالم خراسان صح هذا عن رسول الله ﷺ) . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/١٠٦) : (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة فيه ضعف) ، وقال في (تحف الخيرة المهرة ٤/١٠٥ ، بواسطة محقق بغية الباحث ٨٣١/٢ ح : ٨٧٢) : (هذا الإسناد رواه ثقات) . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨٣/٥) : (أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات) ، وكذلك صحح الحديث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة ، وجماعة من العلماء المعاصرين منهم : الشيخ عبد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه؛ فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من قاتل فليجنب الوجه؛ فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن ^(٢).

إجماع القرون الأولى المفضلة على رجوع الضمير إلى الله :

بم

الرزاق عفيفي، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري، والشيخ حماد بن محمد الأنصاري، والشيخ عبد الله محمد الدويش، والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، والشيخ صالح علي المسند وغيرهم . انظر للتفصيل : فتاوى اللجنة الدائمة (٥٠٤/٣ - ٥٠٦)؛ وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٦٠/١)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للتويجري (ص : ٢٢-٣٢)، والرد القويم على المحرم الأثيم (ص : ٣٠٥-٣٠٧) له أيضا، ورسالة للشيخ حماد بن محمد الأنصاري بعنوان : " تعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن "؛ ورسالة للشيخ عبد الله محمد الدويش بعنوان : دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٥٠٥/١ - ٥٠٦)؛ وصفات الله عز وجل للمسند (ص : ١٤٤) .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٧/١ - ٢٢٨ ح : ٥١٦)، قال الشيخ الألباني تعليقا على هذا الحديث : (إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير شيخ المصنف، وهو ثقة لكن في شك من ثبوت قوله : " على صورة وجهه " فإن المحفوظ في الطرق الصحيحة " على صورته " ثم إن سعيد بن أبي عروبة قد خولف في إسناده أيضا عن قتادة فقال المثني بن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ " على صورته " وهذا الكلام فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- صحة الإسناد دليل على صحة الحديث إذا خلا منته من شذوذ وعلة قاذية . والإسناد صحيح كما قال الشيخ نفسه وليس في منته ما يقدح في الحديث، فيجب الأخذ به والتسليم له . ٢- ثناء أئمة الجرح والتعديل على سعيد بن أبي عروبة أكثر بكثير من ثناءهم على المثني بن سعيد فلا تقابل بينهما ولا سيما رواية ابن أبي عروبة عن قتادة فلا نظير له في ذلك فقد نص ابن أبي خيثمة وأبو داود الطيالسي وأبو زرعة وأبو حاتم وابن معين وابن عدي وابن حجر أن سعيدا هذا من أثبت الناس في قتادة وأعلمهم بحديثه وأحفظهم له؛ فهو المقدم على غيره في الرواية عن قتادة . انظر : تهذيب التهذيب (٣٢٣/٢ - ٣٢٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٢٣٩ برقم : ٢٣٦٥)؛ والكاشف (٤٤١/١ برقم : ١٩٣٣) . ٣- مخالفة المثني بن سعيد لسعيد بن أبي عروبة لا تجعل رواية ابن أبي عروبة - الذي هو من أثبت الناس في قتادة - شاذة، بل كلا اللفظين ثابت وغاية ما يقال : أن أحدهما صحيح والآخر أصح . ٤- رواية سعيد بن أبي عروبة يؤيدها حديث ابن عمر السابق ذكره وحديث أبي هريرة التالي ذكره . ٥- لا منافاة بين المتن الذي جاء في رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وبين المتن الذي جاء في رواية المثني بن سعيد عن قتادة . بل كل منهما مطابق للآخر في الدلالة على أن الله تعالى خلق آدم ﷺ على صورته تبارك وتعالى، وما جاء في رواية المثني بن سعيد وغيره مضمرا جاء في رواية ابن أبي عروبة موضحا، وجاء ذلك في حديث ابن عمر السابق وحديث أبي هريرة اللاحق مصرحا؛ فهذه الروايات توضح بعضها بعضا وتفسرها ولا تناقضها والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣٠/١ ح : ٥٢١)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٥٣٦/٢ ح : ١٢٤٣)؛ وابن بطنة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٦٠/٣ ح : ١٨٩) كلهم من طريق ابن لهيعة عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة مرفوعا، ورجال الإسناد كلهم ثقات ما عدا ابن لهيعة؛ فقد تكلم فيه الأئمة؛ فمنهم من ضعفه، ومنهم من وثقه، ويدل على من خلال النظر في أقوالهم أنه أقرب إلى الصدوق، وحديثه هذا حسن لشهادة حديث ابن عمر السابق له ولتابعه رواية سعيد بن أبي عروبة له متبعة قاصرة بلفظ : " على صورة وجهه " ثم إنه لم يخالف غيره من الثقات؛ فالحديث حسن إن شاء الله وقد حسنه الشيخ حمود التويجري في " عقيدة أهل الإيمان ... " (ص : ٢٧)، وكذلك حسن إسناده الشيخ عبد الله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٠٦/١)؛ والشيخ صالح المسند في صفات الله عز وجل (ص : ١٤٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هذا الحديث مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، ولم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ... وقد اتفقت الأمة على تصديقه وتبليغه... ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني^(١) وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة . أهـ بتصرف واختصار^(٢) .

والقول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن هو قول أهل السنة والجماعة^(٣) . فقد ذكر الإمام أحمد هذا القول فيما أملاه على بعض أصحابه من أقوال أهل السنة والجماعة، قال محمد بن عوف^(٤) : (أُملي علي أحمد بن حنبل [فذكر جملة من المسائل التي أملاها عليه مما يعتقد أهل السنة والجماعة، ومنها] أن آدم عليه السلام خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ)^(٥) .

النقطة الثالثة : الأقوال في بيان معنى خلق الله تعالى آدم عليه السلام على صورة الرحمن .

سبق البيان بأن الضمير عائد إلى الله تعالى، وأن آدم عليه السلام خلق على صورة الرحمن جل جلاله، فما معنى الصورة في الحديث ؟ وما نوع إضافة هذه الصورة إلى الله تعالى ؟ وما المراد بخلق آدم على صورة الرحمن ؟ فالأقوال في بيان معنى الحديث وتحديد المراد منه مختلفة، وهي كما يلي ذكرها، وبيان الصواب منها والله الموفق .

القول الأول : إن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الحديث إنما هو من إضافة الخلق إلى الخالق؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، فكذلك الصورة تضاف إلى

(١) عبد الله بن محمد بن جعفر، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، قال عنه الذهبي : كان أبو الشيخ من العلماء العاملين، صاحب سنة واتباع لولا ما يملأ تصانيفه بالواهيات، توفي سنة ٣٦٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٦ - ٢٨٠) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٥٧/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٥ و ٥٤ - ٥٥) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٦٠/٣ - ٢٦٤)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل المنيرة (٢٢١/٢ - ٢٢٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٩)؛ وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ

عبد الرزاق عفيفي (١٦٠/١)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٦/٣ برقم : ٢٣٣١) .

(٤) محمد بن عوف بن سفيان الطائي، قال عنه الذهبي : الأمام الحافظ الجود محدث حمص، سمع منه الإمام أحمد حديثاً واحداً، توفي سنة ٢٧٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٦١٣/١٢ - ٦١٦) .

(٥) طبقات الخبالة (ترجمة أبي جعفر محمد بن عوف بن عثمان الطائي، ٣١٣/١ برقم : ٤٣٦) .

الرحمن؛ لأن الله صورها .

قال به ابن خزيمة ^(١) إن صح الخبر مسندا - وهو صحيح كما تقدم - وتبعه في ذلك الرازي ^(٢)، وكذلك قال به ابن حزم ^(٣).

وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

١- أن الأعيان القائمة بنفسها كالناقة والبيت والأرض إذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى علم أنها إضافة خلق إلى خالقه ومملوك إلى مالكة؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها لا تكون قائمة بذات الله تعالى باتفاق العقلاء، وأما الصفات التي لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام إذا أضيفت إلى الله تعالى علم أنها أضيفت إلى موصوفها التي هي قائمة به. والصورة قائمة بالشيء المصور، وليست قائمة بنفسها، فصورة الله لوجهه مثل كلامه وقدرته وعلمه؛ فهي من صفاته قائمة بذاته تعالى؛ فلا يصح أن يقال أنها مضافة إلى الله من باب إضافة الخلق إلى الخالق، بل هي من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ لأنها ليست من الأعيان القائمة بنفسها، وما كان من صفاته تعالى فهو غير مخلوق ^(٤).

٢- أن الأعيان المضافة إلى الله لا تضاف إليه لعموم كونها مخلوقة ومملوكة له سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك يوجب إضافة جميع الأعيان إلى الله تعالى لاشتراكها في الخلق والملك، فلو كان إضافة ناقة صالح عليه السلام إلى الله بمعنى أن الله خلقها وهي ملكه لوجب أن تضاف سائر النوق إلى الله بهذا المعنى فلا يكون حينئذ لها اختصاص بالإضافة، وإذا كان كذلك فالصورة المخلوقة هي مشاركة لجميع الصور في كونها مخلوقة لله فما الموجب لتخصيصها بالإضافة إلى الله ^(٥).

٣- قال النبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) ^(٦) فلو كانت الإضافة إضافة خلق وملك لوجب أن لا يضرب شيء من الأعضاء؛ لأن إضافته إلى خلق الله وملكه كإضافة الوجه سواء ^(٧).

(١) انظر : التوحيد (١/ ٨٨-٩٢) .

(٢) انظر : أساس التقديس (ص : ١١٥) .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٢٨) .

(٤) انظر : نقض التأسيس (٣/ ٧٦ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٤-٩٥) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٣/ ٧٦ ب - ٧٧ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٥-٩٦) .

(٦) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٦) .

(٧) انظر : نقض التأسيس (٣/ ٧٧ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٦-٩٧) .

٤- أن جميع ما يضرب ويشتم من الموجودات هو من مخلوق الله، فلو كانت إضافة صورة الوجه إلى الله إضافة خلق وملك، لوجب أن لا يضرب أي مخلوق، ولا يشتم أي مخلوق^(١).

٥- أن الله خلق آدم عليه السلام، وهذا من أظهر العلوم عند العامة والخاصة، فإذا لم يكن في قوله: ((على صورته)) معنى إلا أنها الصورة التي خلقها وهي ملكه لكان قوله: ((خلق آدم)) كافيا إذ ((خلق آدم)) و ((خلق آدم على صورته)) سواء على هذا التقدير، ومثل هذا الكلام لا يضاف إلى أدنى الناس فضلا أن يضاف إلى النبي ﷺ^(٢).

القول الثاني: المراد من الصورة الصفة والمعنى أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من أول الأمر كاملا تاما في علمه وقدرته، فامتاز آدم عن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالما بالمعقولات قادرا على استنباط الحرف والصناعات، وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه، فصح قوله: ((إن الله خلق آدم على صورته)) على هذا التأويل. هذا القول ذهب إليه الرازي^(٣).

وقريب منه قول الحافظ ابن حجر: (وقيل: الضمير لله، وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرق هذا الحديث: ((على صورة الرحمن))، والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء)^(٤). هذا القول فيه نظر وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي:

١- الصورة هي الصورة الموجودة في الخارج، ولفظ: "صور" يدل على ذلك، وما من موجود من الموجودات إلا له صورة في الخارج. وأما الصفة فهي في الأصل مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة، ثم يسمون المفعول باسم المصدر؛ فيقولون لما يوصف به من المعاني صفة. فحيث دل لفظ الصورة على صفة قائمة بالموصوف، أو على صفة قائمة بالذهن واللسان، فلا بد مع ذلك أن يدل على صورة في الخارج. أما الصفة فقد يكون لها صورة خارجية وقد لا تكون لها صورة خارجية بل تكون مقصورة على معنى قائم بغيره. فتفسير لفظ الصورة بمجرد الصفة التي تقوم بالأعيان كالعلم والقدرة، دون وجود صورة له في الخارج قصر له على بعض معانيه من غير دليل؛ فإنه لا يوجد في الكلام أن

(١) انظر: نقض التأسيس (٣/١٧٧ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص: ٩٧).

(٢) انظر: نقض التأسيس (٣/١٧٧ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص: ٩٨).

(٣) انظر: أساس التقديس (ص: ١١٤-١١٥).

(٤) فتح الباري (٣/١١).

قول القائل - مثلاً - : صورة فلان، يراد بها مجرد الصفات القائمة به من العلم والقدرة ونحو ذلك بل هذا من البهتان على اللغة وأهلها^(١).

٢- أن قوله : إن آدم عليه السلام امتاز عن سائر الأشخاص والأجسام بالعلم والقدرة، إن أراد به امتياز على بنيه، فليس كذلك، وإن أراد امتيازَه عن الملائكة والجن، فهو لم يتميز بنفس العلم، والقدرة، فإن الملائكة قد تعلم ما لا يعلمه آدم عليه السلام، كما أنها تقدر ما لا يقدر عليه، وإن كان علمه الله ما لم تكن الملائكة تعلمه .

فقد ثبت باتفاق الطوائف، أن آدم لم يخلق على صفة من العلم والقدرة امتاز بها عن سائر الأشخاص والأجسام، بل فيها من كان امتيازَه عن آدم بالعلم والقدرة أكثر^(٢).

٣- لم يخلق الله تعالى آدم عليه السلام كاملاً في صفاته التي ذكروها من ابتداء خلقه، بل بعد أن خلقه الله تعالى علمه الأسماء التي لم يكن بها عالماً، كما علم بنيه البيان بعد أن خلقهم، وكذلك لقنه كلماته وعلمه التوبة والإنابة إلى ربه، وكان ذلك بعد معصيته لربه بالأكل من الشجرة الممنوعة، فكيف يصح أن يقال أن الله خلق آدم عليه السلام من أول الأمر كاملاً تاماً في علمه وقدرته ... بل هذا المعنى الذي ذهبوا إليه مخالف لنصوص الشرع، وما خالف النصوص الشرعية؛ فهو باطل قطعاً^(٣).

٤- أن هذا المعنى الذي ذكروه وإن كان ثابتاً في نفسه، ويمكن أن يكون الحديث دالاً عليه باللزوم والتضمن ولكن قصر الحديث عليه باطل قطعاً^(٤).

٥- أن الأدلة الشرعية والعقلية التي يثبت بها تلك الصفات يثبت بنظيرها هذه الصورة؛ فإن وجود ذات مجردة عن الصفات ممتنع في العقل، وثبوت الصفات الكمالية لله تعالى معلوم بالشرع والعقل، وكذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقل، وثبوت المشابهة من بعض الوجوه في الأمور الكمالية معلوم بالشرع والعقل، وكما

(١) انظر : نقض التأسيس (٦٧/١/٣ - ب ، ٦٨ ، أ ، ٦٩)؛ وعقيدة أهل الإيمان (ص : ٨١-٨٣ ، ٨٦)، هذا الفرق الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مطابق لما ذكره أهل اللغة . انظر : تهذيب اللغة (٢٤٨/١٢)؛ والفروق في اللغة (ص : ٢٣)؛ والقاموس المحيط (٧٥/٢ ، صور و ٢١١/٣ ، وصف)؛ ولسان العرب (٤٣٨/٧ ، صور و ٢١٦/١٥ ، وصف)؛ والمعجم الوسيط (١٠٣٦/٢ ، وصف) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٩/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٨٦-٨٧) .

(٣) انظر : نقض التأسيس (٦٨/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٨٣) .

(٤) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩١) .

أنه لا بد لكل موجود من صفات تقوم به فلا بد لكل موجود قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها^(١).

٦- المحذور الذي فروا منه وأولوا الحديث على أن الصورة بمعنى الصفة يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه، وذلك أن كون الإنسان على صورة الله التي هي صفته فيه نوع من المشابهة، كما أنه إذا أقر الحديث كما جاء فيه نوع من المشابهة، غايته أن يقال المشابهة هنا أكثر، لكن مسمى نوع من التشبيه لازم على التقديرين، والتشبيه المنفي بالنص والإجماع والأدلة العقلية الصحيحة منتف على كلا التقديرين، وإذا كان كذلك كان الأخذ بمقتضى الحديث ومفهومه أولى من تركه أو تأويله^(٢).

٧- قال النبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم أو ضرب أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته))^(٣) فنهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه؛ لأن الله تعالى خلق آدم ﷺ على صورته، فلو كان المراد مجرد خلقه عالما قادرا ونحو ذلك لم يكن للوجه بذلك اختصاص بل لا بد أن يريد الصورة التي يدخل فيها الوجه^(٤).

٨- اتفق سلف الأمة وأئمتها على إثبات صفة الصورة لله تعالى كما يليق بجلال الله وعظمته^(٥)، فقد قد جاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يدل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى غير ما تقدم، منها ما يلي :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه : ((... فيأتيهم الله، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم. فيقولون : أنت ربنا؛ فيتبعونه ...)) الحديث^(٦).

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل وفيه ((... فيأتيهم الجبار في صورة غير

(١) انظر : نقض التأسيس (٧٥/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩١) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٧٤/١/٣ ب - ٧٥ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٠) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٦) .

(٤) انظر : نقض التأسيس (٦٨/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٨٨) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩١) .

(٦) أخرجه خ (السوحيدي، ب : قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ٦/

٢٧٠٤ ح : ٧٠٠٠)؛ وم (الإيمان، ب : معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١ ح : ١٨٢) .

صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : أنت ربنا ...)) الحديث (١).
وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في اختصاص الملائكة الأعلى، وفيه : ((...صليت ما قدر لي
فنعست في صلاتي، فاستثقلت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة، فقال : يا محمدا قلت :
رب لييك، قال : فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟ ...)) الحديث (٢).

القول الثالث : (ليس الإنسان ^(٣)) عبارة عن هذه البنية، بل هو موجود، ليس بجسم،
ولا بجسماني، ولا تعلق له بهذا البدن إلا على سبيل التدبير أو التصرف، فقلوه عليه السلام :
((إن الله خلق آدم على صورته)) ؛ أي : أن نسبة ذات آدم عليه السلام إلى هذا البدن،
كنسبة البارئ إلى العالم، من حيث أن كلا منهما غير حال في هذا الجسم، وإن كان
مؤثرا فيه بالتصرف والتدبير)، قاله الرازي، وعزاه إلى الغزالي (٤).

وهذا القول أفسد من القولين السابقين، وبيان فساده وبطلانه من وجوه، وهي كما يلي :
١- إن غاية هذا القول أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على بعض صفاته، وهي صفة
التدبير للخلق من غير حلول فيه، وهذا دون قول من يقول أن الله خلقه على بعض صفاته
من الحياة والعلم والقدرة وما إلى ذلك، وقد تقدم بطلان قول من حمل لفظ الصورة على
هذه الصفات بما فيه كفاية، وذلك كله دليل على بطلان هذا القول من باب أولى (٥).
٢- إن دعواهم أن الروح ليست بجسم، وأنها لا تكون في البدن خلاف لما نطقت

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة*إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]

٢٧٠٦/٦ ح : ٧٠٠١)؛ وم (الإيمان، ب : معرفة طريق الرؤية / ١٦٧ ح : ١٨٢) .

(٢) أخرجه ت (أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سورة : ص ٣٦٨/٥ ح : ٣٢٣٥)؛ وح (٤٢٣-٤٢٢/٢٦ ح : ٤٢٣)

٢٢١٠٩)؛ وابن خزيمة في التوحيد (٥٤٠/١-٥٤١)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح، وسألت محمد بن

إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا صحيح)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨/٣-٣١٩ ح : ٣٢٣٥) .

(٣) مراد الغزالي بالإنسان هنا روح الإنسان، وهو في هذا القول تابع لقول الصابئة المتفلسة الذين يزعمون : أن

الروح ليست بجسم، ولا يشار إليها، ولا تختص بمكان دون مكان، ولكنها مدبرة للجسم كما أن الرب مدبر

للعالم . انظر : ما ذكره في ذلك شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٧٨/١/٣ أ)، وما نقله عنه التوحيدي في

عقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٩)، وما قاله محقق كتاب الرازي " أساس التقديس " (ص : ١٦٦) .

(٤) أساس التقديس (ص : ١١٦)، والغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، من

كبار متكلمي الأشعرية، وفي الأخير مال إلى طريقة أهل الحديث، فمات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم، كانت وفاته

سنة ٥٠٥هـ . انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢/٤)؛ والصفدية له (٢١٢/١)؛ وسير أعلام

النبلاء (٣٢٢٢-٣٤٦)؛ ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٦٧٦-٦٨٢) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠٢-١٠٣) .

به نصوص الكتاب و السنة، وهو خلاف لما يعرفه ويحسه بنو آدم، لا سيما حين الموت إذا أحسوا بترع الروح من الجسد، وأنها تخرج من جميع أعضاء البدن، وقد تقدم بيان ما توصف به الروح من الدخول والخروج والصعود والهبوط والقبض والإرسال وغيرها من الصفات في ضوء الكتاب والسنة^(١)، وهي صفات لا تقوم إلا في الجسم، فقول القائل : ليست بجسم، وليست في البدن مضادة لقول الله وقول رسوله ﷺ^(٢).

٣ - قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾^(٣) فأخبر سبحانه أنه نفخ فيه من روحه فكيف يجوز أن يقال إن الروح ليست فيه^(٤).

٤ - قال النبي ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا)) فهذا صريح في أن آدم ﷺ كان طوله ستين ذراعا، وهذا نص في البدن فكيف يجوز أن يقال إن البدن ليس داخلا في الحديث، وإنما المراد الروح فقط^(٥).

٥ - أن من ألفاظ الحديث : ((إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) فهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه، وهو جزء من أجزاء البدن، ولو كان المراد الروح فقط لما نهى عن ضرب الوجه، فإنه من البدن بل لقال : لا تقبخوا الروح، ولا تسبوها، أو لا تغموا الآدمي، أو لا تحزنوه، أو لا تضيقوا صدره؛ فإن الله خلقه على صورته، فيكون النهي عن تعذيب الروح المشابهة للرب من الوجه الذي ذكره فيما زعم^(٦).

٦ - من جعل نسبة روح آدم ﷺ إلى جسده كنسبة الباري إلى العالم لزمه أن يجعل الباري روح العالم، وفساده من أظهر الأمور^(٧).

٧ - أن اسم آدم يتناول البدن كتناوله الروح، وهذا معلوم بالاضطرار من كلام الله وكلام رسوله؛ فمن زعم أن قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) لا يتناول إلا روح آدم دون جسده، فإن بطلان قوله معلوم بالاضطرار، وإنما يقال هنا في مثل قوله في حديث المعراج : أنه رأي في

(١) انظر : (ص : ١٣٣-١٣٥).

(٢) انظر : نقض التأسيس (٨٠/١/٣ ب - ٨١ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠٦-١٠٧).

(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٤) انظر : نقض التأسيس (٨١/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠٧).

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ أ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠١).

(٦) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٩-١٠٠).

(٧) انظر : نقض التأسيس (٨١/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠٨).

السماء آدم وإبراهيم ونحوهم فإنه في مثله يقال هي الأرواح للعلم بأن أجسادهم في قبورهم^(١).
 ١٠- أن إطلاق لفظ الصورة على مجرد كونه مدبرا للعالم من غير حلول فيه أمر لا يدل عليه اللفظ بوجه من الوجوه^(٢).

القول الرابع : خلق الله آدم على صورته؛ أي : على صورة العالم؛ فإن الإنسان على صورة العالم، وهو على صورة الله . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) عن طائفة من الاتحادية^(٤).

هذا القول باطل و بيان بطلانه من وجوه، وهي كما يلي :

١- قول النبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) يقتضي أن خلقه على صورة الرحمن هو المانع من ضربه، وكونه على صورة العالم لا يمنع ضربه وقتاله؛ فإن العالم بنفسه مشتمل على النعيم والعذاب، وعلى ما ينعم ويعذب، وعلى البر والفاجر^(٥).
 ٢- أن خلقه على نسخة العالم ليس له اختصاص بالوجه بل هو شامل لروحه وسائر أعضائه، فينبغي أن يكون النهي عن الضرب لسائر أعضائه ونفسه، أو لا ينهى عن ضرب شيء منها، وكلاهما باطل^(٦).

٣- أن تسمية العالم صورة الله أمر باطل لا أصل له في اللغة، بل العالم مخلوق الله ومملوكه^(٧).
 ٤- أن هذا القول يتضمن أن إضافة الصورة إليه إضافة خلق ومملك لا إضافة ذاتية، وقد تقدمت الوجوه الدالة على بطلانه، فهي تبطل هذا التأويل أيضا^(٨).
 ٥- أن كون الإنسان مشابها للعالم ليس بأعظم من مشابهة بعض الناس لبعض

(١) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠١-١٠٢) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١٠١-١٠٢) .

(٣) انظر : نقض التأسيس (٨٢/١/٣ ب و ٨٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٠ و ١١٤) .

(٤) وهو كما قال . انظر : فصوص الحكم (ص : ٤٨-٤٩)؛ ومصرع التصوف (ص : ٣٩-٤٠) سأكتفي هنا بذكر ما يتعلق بحديث الصورة، وستأتي وجوه أخرى تدل على بطلان هذا القول عند بيان مفهوم الخلافة عند أهل وحدة الوجود والرد عليه . انظر : (ص : ٦٧١-٦٧٥) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٨٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٤) .

(٦) انظر : نقض التأسيس (٨٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٤) .

(٧) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٤) .

(٨) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٤-١١٥) .

كمشاهدة الرجل لأبيه، ومعلوم أن مشاهدة بعض الآدميين لبعض ليس مقتضيا لدم، ولا مدح، ولا مانعا من العقاب، بل هو سبحانه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي^(١).

٦- جاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ : ((على صورة الرحمن)) وهذا يمنع أن يكون المراد جميع أعضاء الإنسان وروحه^(٢).

٧- ومن ألفاظ الحديث أن النبي ﷺ قال : ((لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته))، وقال : ((إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته))
فنهى عن ضرب الوجه وتقبُّحه لكون آدم ﷺ مخلوقا على صورة الله، وهؤلاء يزعمون أن وجود كل موجود هو عين وجود الرب، فكل تقبيح ولعن وشم وذم وضرب وإهانة في العالم هو واقع على الرب في زعمهم، كما يقع عليه كل مدح ودعاء وحمد، وهو عند هم الداعي والمدعو له، والمصلي والمصلى له، واللاعن والملعون، والشاتم والمشتوم، والقاتل والمقتول والناكح والمنكوح، فلا يتصور عندهم أن يختص شيء بعينه عن التقبيح والضرب لكونه على صورة الله؛ إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو على صورة الله عندهم^(٣).

٨- يمتنع على أصلهم وهو القول بوحدة الوجود أن يكون آدم مخلوقا على صورة الله؛ إذ على أصلهم ليس في الوجود شيان أحدهما خالق والآخر مخلوق بل الخالق هو المخلوق^(٤).

القول الخامس : إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ على صورته؛ أي : على صورة الرحمن، فالصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وكبريائه، وحكمها كسائر الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة كالعلم والقدرة والرحمة والسمع والبصر... فهي من الصفات التي يوصف بها الخالق، ويوصف بها المخلوق؛ فإذا أطلقت هذه الصفة ولم تقيد كان مشتركا بين الخالق والمخلوق، فإذا قيدت وأضيفت إلى المخلوق كان له بما يناسب حاله من الضعف والفقر والحاجة... وإذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى كان له بما يناسب عظمته وجلاله وغناه وكبريائه... فالنصوص الدالة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى نمرها كما جاءت، ونؤمن بشبوتها لله تعالى

(١) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص : ١١٥) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص : ١١٦) .

(٣) انظر : نقض التأسيس... (٨٨/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٤) انظر : نقض التأسيس... (٨٨/١/٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان... (ص : ١٢٥) .

كما يليق بجلاله وعظمته، إثباتا بلا تمثيل وتزيها بلا تعطيل، ولا نفسره بكيفية أو حد .
قال الإمام أحمد بن حنبل - وقد سئل عن حديث النبي ﷺ : ((خلق الله آدم على صورته)) : (لا نفسره، ما لنا أن نفسره، كما جاء في الحديث) (١).

وقال ابن قتيبة : (فإن صحت رواية ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ بذلك [أي: ((على صورة الرحمن))] فهو كما قال رسول الله ﷺ، فلا تأويل، ولا تنازع فيه ... والذي عندي - والله أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمحيثها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد) (٢).

وقال الآجري : (باب الإيمان بأن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته، بلا كيف) ثم ذكر حديث أبي هريرة من عدة طرق وحديث ابن عمر وكلها بأسانيده ثم قال : (هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها : كيف ؟ ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين) (٣).

وقال أيضا : (سمعت أبا عبد الله الزبيري (٤) - رحمه الله - وقد سئل عن معنى هذا الحديث فذكر مثل ما قيل فيه ثم قال أبو عبد الله : " نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جاءت، ونؤمن بها إيمانا، ولا نقول : كيف، ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتهت بنا، فنقول من ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاءت ") (٥).

وقال ابن بطة : (باب الإيمان بأن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته بلا كيف) ثم قال : (وكل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ، ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها، وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير؛ لكن تمر على ما جاءت، ولا يقال فيها : لم ؟ ولا كيف؟ إيمانا بها وتصديقا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا،

(١) ذكره عنه الشيخ محمود التويجري وعزاه إلى الخلال . انظر : عقيدة أهل الإيمان في .. (ص : ٢٤-٢٥) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص : ٢٢٠-٢٢١) .

(٣) الشريعة (١١٤٧/٣-١١٥٣) .

(٤) لم أتمكن من معرفته .

(٥) الشريعة (١١٥٥/٣) .

وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى ﷺ، بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقيح، ولا تفتيش، والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة؛ فالطعن عليهم، والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك، فالله حسيبه، والمتقم منه بما هو أهله (١).

وقال ابن عبد البر : (الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها : الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه) (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات، التي قد يسمى المخلوق بها، على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل العليم، والقدير، والرحيم، والسميع، والبصير، ومثل خلقه بيديه، واستوائه على العرش، ونحو ذلك) (٣).

وقال الذهبي بعد ما ذكر صحة حديث أبي هريرة وابن عمر - رضي الله عنهم - : (أما معنى حديث الصورة ففرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء) (٤) وقال أيضا : (فنؤمن به، ونفوض، [أي : نمره كما جاء] ونسلم، ولا نخوض فيما لا يعيننا، مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير) (٥).

كما بين أن التأويل ليس من منهج السلف وقد أخطأ ابن خزيمة بتأويله لحديث الصورة فقال : (ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب، لعلمه، ودينه، واتباعه السنة ... وقد تأول حديث الصورة فليعذر، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا، وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوحيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من ذلك) (٦).

وقال الحافظ ابن حجر بعد تصحيحه لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : (فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة، من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه،

(١) المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٤٤/٣) .

(٢) التمهيد (١٤٨/٧) .

(٣) ذكره الشيخ عبد الله الغيمان نقلا عنه انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥١١/١) .

(٤) ميزان الاعتدال (٤٢٠/٢) برقم : ٤٣٠١ ، في ترجمة عبد الله بن ذكوان .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٥) ، في ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان .

(٦) المصدر السابق (٣٧٤/١٤ - ٣٧٦) ، في ترجمة ابن خزيمة .

أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله (١).

ولكن تعقب على كلام الحافظ ابن حجر، فإن الموقف الأول الذي ذكره - وهو إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه هو مذهب أهل السنة والجماعة، كما تدل عليه الأقوال السابقة واللاحقة، وأما التأويل فهو مذهب المتأخرين بعد القرون الفاضلة من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة (٢).

وقد سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (٣) عن حديث : ((خلق الله آدم على صورته)) عن مرجع الضمير و عن معنى الصورة في الحديث ؛ فيبين أن الضمير راجع إلى الله سبحانه وتعالى، واستدل لذلك بحديث ابن عمر المشهور، ورد على الأقوال الباطلة مستشهدا بأقوال السلف، وبين أن الصورة من صفات الله تعالى، وقال في الأخير : (الذي ينبغي في هذا ونحوه إمرار الحديث كما جاء على الرضا والتسليم مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء و هو السميع البصير، والله سبحانه أعلم) (٤).

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - : (إن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل، وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر : ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)) وقد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٥) والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة - رحمه الله عليهم جميعا -، وقد بين كثير من الأئمة خطأ الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في إنكار عود الضمير إلى الله سبحانه في حديث ابن عمر، والصواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضمير إلى الله عز وجل، بلا كيف ولا تمثيل، بل صورة الله سبحانه وتعالى تليق به وتناسبه كسائر صفاته، ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى؛ كما قال عز وجل :

(١) فتح الباري (١٨٣/٥) .

(٢) انظر : الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب " سير أعلام النبلاء " للذهبي جمعا وتخريجا ودراسة (٢٩٤/١) .

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، العلامة، أحد الأفاضل من العلماء في البلاد النجدية في أثناء المائة الثالثة عشرة من الهجرة، وكانت وفاته سنة ١٢٨٢هـ . انظر : الأعلام (٢٣٢/٤)؛ ومعجم المؤلفين (٧٢/٦) .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢٢٣/٢)؛ والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٦٢/٣-٢٦٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٣٠) .

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنطلي، أبو محمد ابن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٣٨هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٩٩ برقم : ٣٣٢) .

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ^(١) وقال عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ^(٢) وقال سبحانه : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ^(٣) وقال عز وجل : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ^(٤) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والواجب على أهل العلم والإيمان إمرار آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة كما جاءت، وعدم التأويل لها بما يخالف ظاهرها كما درج على ذلك سلف الأمة وأئمتها، مع الإيمان بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء في صورته، ولا وجهه، ولا يده، ولا سائر صفاته، بل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه في جميع صفاته، لا شبه له، ولا مثل له، ولا تكيف صفاته بصفات خلقه، كما نص على ذلك سلف الأمة وأئمتها من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان - رحمهم الله جميعا، وجعلنا من أتباعهم بإحسان ^(٥) .

وقال أيضا : (الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ ... وهذا لا يلزم منه التشبيه والتمثيل، بل المعنى عند أهل العلم : أن الله خلق آدم سميعا بصيرا متكلمًا إذا شاء، وهذا هو وصف الله عز وجل، فإنه سميع بصير متكلم ذو وجه جل وعلا، وليس المعنى التشبيه والتمثيل، بل الصورة التي لله غير الصورة التي للمخلوق، وإنما المعنى : أنه سميع بصير، ذو وجه ومتكلم إذا شاء، وهكذا خلق الله آدم سميعا بصيرا، ذا وجه، وذو يد، وذو قدم، ويتكلم إذا شاء ^(٦) ولكن ليس السميع كالسميع، وليس البصير كالبصير، وليس المتكلم كالتكلم، وليس الوجه كالوجه؛ بل لله صفاته سبحانه وتعالى لا يشابه فيها شيء، بل تليق به سبحانه، وللعبد صفاته التي تليق به، صفات يعترئها الفناء والنقص والضعف، وأما صفات الله سبحانه وتعالى فهي كاملة لا يعترئها نقص ولا ضعف ولا فناء ولا

(١) الإخلاص الآيات : ١-٤

(٢) الشورى الآية : ١١

(٣) مريم الآية : ٦٥

(٤) النحل الآية : ٧٤

(٥) تقریظ الشيخ ابن باز - رحمه الله - على كتاب " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ج) .

(٦) ولا يلتبس هذا بقول الرازي الذي سبق ذكره لأن الرازي ينكر الصفات الذاتية كلها، وأما كلام الشيخ هنا فهو في إثبات أن صورة آدم ﷺ على صورة الله من ناحية أن الله عز وجل موصوف بصفة الوجه والعين واليد والقدم، وآدم وأبنائه موصوفون بهذه الصفات إلا أن صفة الله عز وجل على كيفية لا يماثله فيها أحد من خلقه تبارك وتعالى .

زوال . ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ^(١) (...) ^(٢) .

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في حديث خلق الله آدم على صورته :
(أنه لا يراد به صورة تماثل صورة الرب - عز وجل - بإجماع المسلمين والعقلاء ؛ لأن الله - عز وجل - وسع كرسيه السماوات والأرض ، والسماوات والأرضون كلها بالنسبة للكرسي - موضع القدمين - كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة ؛ فما ظنك برب العالمين ؟ فلا أحد يحيط به وصفا وتخيلات ، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعا ، وإنما يراد به أحد معنيين :

الأول : أن الله خلق آدم على صورة اختارها ، وجعلها أحسن صورة في الوجه ، وعلى هذا ؛ فلا ينبغي أن يقبح أو يضرب ؛ لأنه لما أضافه إلى نفسه اقتضى من الإكرام ما لا ينبغي معه أن يقبح أو أن يضرب .

الثاني : أن الله خلق آدم على صورة الله - عز وجل - ولا يلزم من ذلك المماثلة بدليل قوله ﷺ : ((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أضواء كوكب في السماء)) ولا يلزم أن يكون على صورة نفس القمر ؛ لأن القمر أكبر من أهل الجنة ، وأهل الجنة يدخلونها وطول أحدهم ستون ذراعا ^(٣) .

وقال أيضا : (فإذا قلت : ما هي الصورة التي تكون لله ويكون آدم عليها ؟ قلنا : إن الله عز وجل له وجه ، وله عين ، وله يد ، وله رجل عز وجل ، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان ؛ فهناك شيء من الشبه ، لكنه ليس على سبيل المماثلة ؛ كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر ، لكن بدون مماثلة ، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ؛ من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل) ^(٤) .

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) فتاوى نور على الدرب ، من أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦٦/١) وانظر له كلاما

نحوه في مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣١٤/١ - ٣١٦) ط . دار الوطن الرياض .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤٨/٣ - ١٤٩) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية (١١٠/١ - ١١١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : (إن الضمير في قوله : ((على صورته)) يعود على الله بدليل ما جاء في رواية أخرى صحيحة : ((على صورة الرحمن)) وهو ظاهر السياق، ولا يلزم على ذلك التشبيه؛ فإن الله سمي نفسه بأسماء سمي بها خلقه، ووصف نفسه بصفات وصف بها خلقه، ولم يلزم من ذلك تشبيهه، وكذا الصورة، ولا يلزم من إتيانها لله تشبيهه بخلقها؛ لأن الاشتراك في الاسم، وفي المعنى الكلي لا يلزم منه التشبيه فيما يخص كلا منهما؛ لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ^(١) (٢).

خلاصة القول : إن الحديث : ((خلق الله آدم على صورته)) صحيح ثابت عن النبي ﷺ، ولم يكن عند السلف خلاف في رجوع الضمير إلى الله ، كما جاء مصرحاً في حديث ابن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهم -، وأن الصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث وغيره، فيجب الإيمان بثبوت هذه الصفة لله تعالى كما يليق به سبحانه، وعدم الخوض في تأويلها، وقطع الطمع عن إدراك كيفيتها، والله أعلم ^(٣).

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٦/٣ فتوى رقم : ٢٣٣١) .

(٣) وينظر للتفصيل : الشريعة للآجري بتحقيق : د. عبد الله بن عمر الدميحي (١١٤٧/٣ - ١١٥٥)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري؛ وأيضاً كتابه " الرد القويم على المحرم الأئيم " (٣٠٧ - ٣٠٤/١)؛ وتعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن للشيخ حماد الأنصاري؛ ودفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ عبد الله محمد الدويش؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان (٤٩٦/١ - ٥٦٨)؛ وصفات الله عز وجل لصالح المسند (ص : ١٤٣ - ١٥٣)؛ وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للشيخ علوي السقاف (ص : ١٦٥ - ١٦٧)؛ ومنهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه " فتح الباري للشيخ محمد إسحاق كئلو (٨١٩/٢ - ٨٣٧) .

المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله آدم عليه السلام ، واللغة

التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام .

إن مما أكرم الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم عليه السلام أنه علمه الأسماء كلها قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿ ^(١) وجاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فيقولون له : ((أنت أبو الناس ، خلقتك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ... الحديث ^(٢) .)) وجاء في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام أن موسى عليه السلام قال لآدم عليه السلام : ((أنت الذي نفخ الله فيك من روحه ، وعلمك الأسماء كلها ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ... الحديث ^(٣) . فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها ولكن اختلفت أقوال السلف في بيان الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام ويمكن تلخيصها في قولين . أولهما : أن الله علم آدم عليه السلام أسماء معدودة لمسميات مخصوصة . ويندرج تحت هذا القول أربعة أقوال :

(١) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

(٢) جزء من حديث أنس رضي الله عنه وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تحريجه في (ص : ٦٩) .
(٣) جزء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه د (السنة ، ب : في القدر ٢٢٦/٤ ح : ٤٧٠٢) ، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في السنة (ب : ذكر احتجاج موسى و آدم عليهما السلام ٦٢/١ ح : ١٣٧) ؛ وأبو يعلى في مسنده (٢٠٩/١ ح : ٢٤٣) ؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (١٦٧/١ ح : ٨٥) ، وإسناد الحديث حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٠٤/٨) ، وقال عنه في (درء تعارض العقل والنقل ٤١٨/٨) ؛ وفي مجموع الفتاوى (١٠٨/٨) : (إسناده جيد) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٩/٣ ح : ٤٧٠٢) ؛ وفي السلسلة الصحيحة (٢٧٧/٤ ح : ١٧٠٢) ؛ وفي تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم .

١- أن الله سبحانه و تعالى علم آدم عليه السلام أسماء من يعقل . وهذا القول يشتمل على قولين :
أ- أنه علمه أسماء الملائكة وهو مروى عن أبي العالية ^(١) وربيع بن أنس في رواية عنه ^(٢) .
لأنه لم يكن حينئذ من يعقل إلا الملائكة، وإبليس لم يكن انفصل عن الملائكة، ولم يكن له في ذلك الوقت ذرية ^(٣) .

ب - أنه علمه أسماء ذريته . وهو مروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(٤) .
وهذا يناسب نوعا ما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه ويص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ... الحديث ^(٥) .
ورجح ابن جرير هذين القولين واختارهما وقال : (أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة) ^(٦) .

وعلل ذلك بأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ثم عرضهم ﴾ فالهاء والميم (هم) عبارة عما يعقل ^(٧) ولكن تعقب بأن ما ذهب إليه ليس بلازم؛ فإنه لا يتفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل، تغليا للعاقل على غيره ^(٨) كما في قوله تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ ^(٩) .
٢- أنه علمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب، والهوام، والطيور . وهذا القول

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٤/٧) .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/١)، وفي الإسناد إليه جهالة .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧) .

(٤) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/١)، ورجال الإسناد إليه كلهم ثقات .

(٥) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٦/١) .

(٧) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٨) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٥/١)؛ وفتح القدير (٦٤/١) .

(٩) النور الآية : ٤٥

منسوب إلى ابن السائب الكلبي ومقاتل^(١) وابن قتيبة^(٢).

٣- أنه علمه أسماء الأجناس دون الأنواع مثل : إنسان، وملك، وحن وطائر. وهذا

القول منسوب إلى عكرمة^(٣).

٤- أنه علمه أسماء النجوم . وهو مروى عن حميد الشامي^(٤) .

وهذه الأقوال الثلاثة فيها نظر لعدم موافقتها لظاهر الآية؛ فإن الله تعالى قال : «الأسماء كلها»

وهذا لفظ عام مؤكد يدل على أن الله تعالى علم آدم ﷺ جميع الأسماء، ولم يخرج عن هذا

شيء منها^(٥)؛ فلا يصح قصرها على أسماء معدودة لمسميات مخصوصة بدون دليل والله أعلم .

والثاني : أثر عن جماعة من السلف أنهم حملوا الآية على العموم، وقالوا : إن الله تعالى

علم آدم ﷺ أسماء كل شيء .

وهذا القول مروى ابن عباس^(٦) وسعيد بن جبير^(٧) ومجاهد^(٨) وقتادة^(٩) والربيع

(١) مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، كان مشهوراً بتفسير الكتاب العزيز، حكى عن الشافعي عنه أنه قال : كلهم

عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير، توفي سنة ١٥٠ هـ . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٢٠ برقم : ٣٢) .

(٢) ذكره عنهم ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٤/٧)

وانظر : قول ابن قتيبة في كتابه " تفسير غريب القرآن " (ص : ٤٥-٤٦) .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٤/٧) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦/١ برقم : ٣٤٣)، ورجال إسناده ثقات ما عدا قائله حميد الشامي

فهو مستور الحال كما قال المحقق، وقال عنه الحافظ ابن حجر : حميد الشامي هو ابن أبي حميد الحمصي،

مجهول، من الخامسة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٨٢ برقم : ١٥٦٧) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٥/١) بإسناده إلى ابن عباس من عدة طرق بألفاظ مختلفة ومعناها واحد، وفي الاثنين منها

سعيد بن معبد وهو مجهول الحال، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥١٢/٣ برقم : ١٦٩٩)؛ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل

(٦٣/٤ برقم : ٢٦٥) ولم يذكر عنه جرحاً ولا تعديلاً . وفي الطريق الثالث بشر بن عمار، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب

(ص : ١٢٣ برقم : ٦٩٧)، والطريق الرابع وهو أحسن من الطرق للتقلبة وفيه الحسين بن عبد الرحمن الجرجاني، ذكره ابن حبان في

الثقات (١٨٨/٨ برقم : ١٢٩٠٧) وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص : ١٦٧ برقم : ١٣٢٧) : مقبول . والطريق

الخامس وهو عن أحمد بن إسحاق، ثنا أبو أحمد، ثنا شريك، عن عاصم بن كليب عن الحسن بن سعد عن ابن عباس . هذا الإسناد

أحسن من الأسانيد السابقة ورجاله ما بين صدوق وثقة؛ فأبو أحمد وهو الزبيري وكذلك الحسن بن سعد الراوي عن ابن عباس

كلاهما ثقتان والبقية صدوق، فهذا الإسناد لا يقل عن درجة الحسن فيما يظهر لي، ولا سيما تشهد له الطرق الأخرى، والله أعلم .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٥/١)، ورجال إسناده ما بين ثقة وصدوق : وكيع بن الجراح وسالم

الأفطس ثقتان والبقية صدوق، فالإسناد إليه حسن والله أعلم .

ابن أنس في رواية عنه (٣) .

وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية (٤)، واختاره ابن كثير (٥)، واستدلا له بحديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون إلى آدم عليه السلام يوم القيامة؛ فيقولون له : ((...وعلمك أسماء كل شيء...)) (٦)، وبظاهر الآية «الأسماء كلها» .

وكذلك يشهد له حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في احتجاج آدم و موسى عليهما السلام مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم ، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك. قال نعم... الحديث (٧) .

وهذا هو الأظهر لشهادة ظاهر الآية وحديث الشفاعة وحديث احتجاج آدم وموسى له، فأدم عليه السلام كان في إمكانه أن يغير عن جميع ما يريده ويتصوره بلفظه، وكان قادرا على تسمية ما يراه، ويقع تحت حسه من جميع الأجناس بلا استثناء بإلهام الله له (٨)، والله أعلم .

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٥/١-١١٦ برقم : ٣٤٢) وقال المحقق : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١٦-٢١٧)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦/١ برقم : ٣٤٤) كلاهما عن طريق عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بالفاظ متقاربة . وهذا الأثر إسناده حسن كما في التفسير الصحيح (١٣٧/١)؛ وكما قال محقق تفسير ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/١)، وفي الإسناد إليه جهالة .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧)؛ وكتاب الاستقامة (١٩٩/١) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٧٥/١) .

(٦) جزء من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٧) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٨٩) .

(٨) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٥/٧)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار لابن بلزان (ص : ١٦١) .

المطلب الثاني : لغة آدم ﷺ .

اللغة التي كان يتكلم بها آدم ﷺ الأقوال فيها مختلفة ومتباينة :
ف قيل : إنه كان يتكلم بالسريانية ^(١)، وقيل : إنه كان يتكلم باليونانية ^(٢)، وقيل : إنه كان يتكلم بالعبرانية ^(٣)، وقيل : إنه كان يتكلم بالنبطية ^(٤)، وقيل : إنه كان يتكلم بالفارسية ^(٥)، وقيل : إنه كان يتكلم بالعربية قبل الأكل من الشجرة الممنوعة فلما أكل منها سلبت منه العربية فكان يتكلم بالسريانية ولما تاب ردت إليه العربية ^(٦)، وقيل : إنه كان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية ^(٧)، وقيل : إنه كان يتكلم بسبع مائة ألف لغة ^(٨).

وهذه الأقوال لم يذكر قائلوها أو ناقلوها دليلا لها يعتمد عليه من الكتاب أو السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ؛ فهي مجرد حكايات، ولا عبرة بها .

وقيل : إن آدم ﷺ كان عالما بجميع اللغات، وفصل بعضهم هذا التعميم فقال : إنه كان عالما بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده اليوم، وما يتكلمون بها إلى يوم القيامة من جميع الأجناس ^(٩).
وغلا بعضهم في هذا التفصيل، فقال : علمه الأشياء كلها، ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وعلمه أصول العلوم، وقوانين الصناعات، وأسماء الآلات، من السيارات والطائرات

(١) انظر : الفهرست (ص : ١٨)؛ ومعالم التنزيل (٣٠/٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٤٠/٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠١/٤)؛ والدر المنثور (٦٨٤/٥)؛ وروح المعاني (١١٥/٦ و ١٧٣/١٢)؛ وأبجد العلوم (٣٤٣/١) .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : الفهرست (ص : ١٨) .

(٥) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٦) انظر : المزهر في علوم اللغة (٣٠/١)؛ والدر المنثور (١٤١/١)؛ وروح المعاني (١٧٢/١٢) .

(٧) انظر : معالم التنزيل (٢٦٦/٤ ، الرحمن : ٤) .

(٨) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص : ٢٢) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٨٣-٢٨٤ و ١٥٢/١٧)؛ ومعالم التنزيل (٦١/١)؛ ولسان العرب (٣٨٢/٦) مادة :

سمو؛ والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧٧/١)؛ والإتقان في علوم القرآن (١٤٥/٤)؛ وكشف الظنون عن أسامي

الكتب والفنون (٢٥/١)؛ وقصص المرسلين في كتاب رب العالمين للشيخ أبي بكر الجزائري (ص : ١)؛ والتشابه من

القرآن لمحمد الحلي (ص : ٣١) .

...وتفاصيلها أجزائها وأدواتها وطرق استخدامها... وما يحتاج إليه ذريته ^(١).

واستدل بعضهم لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(٢) وبقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون إلى آدم عليه السلام يوم القيامة فيقولون له : ((... وعلمك أسماء كل شيء ...)) ^(٣).

ولكن هذا القول فيه نظر وبيان ذلك بما يلي ^(٤):

١- القول بأن آدم عليه السلام كان عالماً بجميع ما تكلم به ذريته من اللغات، وما سيتكلمون به من اللغات إلى يوم القيامة لم يقل به أحد من السلف ولم يفسر أحد منهم الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام بهذا التفسير بل اللغة التي حصل فيها الكلام وهل علم الله آدم عليه السلام لغة معينة من اللغات أو كلها أو بعضها لم يرد له ذكر عن السلف في تفسير الآية فيما وقفت عليه من أقوالهم وآثارهم ^(٥).

٢- أنه يؤدي أن آدم عليه السلام تكلم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة، وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها؛ ودعوى هذا كذب ظاهر .

٣- أن آدم عليه السلام لا ينقل عنه هذه اللغات إلا بنوه، وقد أغرق الله تعالى عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة، وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ ^(٦) قال ابن عباس في تفسير الآية : (لم يبق إلا ذرية نوح) ^(٧)، وهم لم يتكلموا بجميع ما تكلمت به الأمم بعدهم .

٤- قد أجرى الله عادة بني آدم أنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونها بها أو يخاطبهم بها غيرهم، وأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم .

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١ / ٨٤)، والمقتطف من عيون التفاسير (١ / ٦٤-٦٥) .

(٢) البقرة الآية : ٣١

(٣) جزء من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٤) هذه الوجوه التالية في الرد مستفادة من كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٨٨-٩١)، وهو في

مجموع الفتاوى (٧ / ٩١-٩٦) .

(٥) انظر : (ص : ١٨٩-١٩٢) .

(٦) الصافات الآية : ٧٧

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣ / ٦٧)، وإسناده حسن كما في التفسير الصحيح (٤ / ٢٠٥) .

٥- أن اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصىه إلا الله تعالى، والعرب أنفسهم لكل قوم منهم لغات ولهجات لا يفهمها إلا أصحابها ولا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن تنقل هذه اللغات كلها عن أولئك الذين كانوا في السفينة، وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل، وإنما النسل لنوح عليه السلام وجميع الناس من أولاده .

٦- ذكر أهل التاريخ ^(١) أن أولاد نوح عليه السلام الذين بقوا بعد الطوفان ثلاثة فقط وهم سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش، وقد ورد بذلك أيضا حديث ضعيف عن النبي ﷺ ^(٢). وإذا كان كذلك فهؤلاء الثلاثة لا يمكنهم أن ينطقوا بهذه اللغات كلها، ويمتنع نقل ذلك عنهم .

٧- هناك تفاوت بين اللغات في سعتها وألفاظها وكلماتها ومدلولاتها... فترى أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية؛ ففيها من أسماء الأصوات والأولاد والبيوت والحيوانات وما إلى ذلك ما ليس في غيرها. فلو كانت هذه اللغات كلها مأخوذة عن آدم عليه السلام لعلم جميع أولاده لغات متناسبة؛ فتفاوت هذه اللغات بهذا الشكل يوحي بأنها ليست متلقاة عن أبي البشر آدم عليه السلام.

٨- قال الله تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ ^(٣) وقال تعالى :

﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ ^(٥). فالله سبحانه وتعالى أهدى النوع الإنساني المنطق والتعبير عما يريد به ويتصوره بلفظه كما أهدى غيره. وأول من علم ذلك أبوه آدم عليه السلام وهم توارثوا عنه وعلموا كما علم - وإن اختلفت اللغات - . ولذلك نرى أن بني آدم قد يتكلمون بألفاظ لم يسمعوها قط من غيرهم. فلا يصح أن يقال أن آدم عليه السلام كان عالما

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (١٢٠/١ و ١٢٤-١٢٦)؛ وتاريخ مدينة دمشق (٣٤/١)؛ والبداية والنهاية (١١٥/١ - ١١٦) .

(٢) أخرجه حم (٢٩٢/٣٣ ح : ٢٠٠٩٩ و ٢٩٣/٣٣ ح : ٢٠١٠١)؛ وت (التفسير، الصفات ٣٦٥/٥ ح : ٣٢٣٠) من حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعا، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص : ٤٠٨ ح : ٦٣٤-٦٣٥) .

(٣) الرحمن الآيات : ١-٤

(٤) الأعلى الآيات : ١-٣

(٥) فصلت الآية : ٢١

بجميع اللغات التي تكلم بها بنوه إلى اليوم، وما سيتكلمون بها إلى يوم القيامة والله أعلم .

وقيل : إن آدم عليه السلام كان يتكلم بالعربية ^(١).

وقد يستدل له بما قيل : أن الملائكة يتكلمون بالعربية، والدليل على ذلك قول الملائكة لآدم عليه السلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال : فذهب فقال : السلام عليكم، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله ... الحديث ^(٢).

قال القسطلاني : (قيل : إن في الحديث أن الملائكة يتكلمون بالعربية) ^(٣).

فإن دل الحديث على أن الملائكة يتكلمون بالعربية علم به أنها لغة آدم عليه السلام من باب أولى؛ لأنه هو الذي بدأ بالسلام عليهم والتحية لهم ثم هم ردوا عليه السلام وزادوه : ((ورحمة الله)) . وكذلك قوله : ((السلام عليكم)) يوحي بأن العربية هي لغته إذ لا يوجد في أي لغة من لغات العالم ما يعادل هذه الكلمة بما فيها من معاني الدعاء بالخير والحفظ والأمان والصحة والعافية ... وصفاء القلب وإظهار المحبة وإرادة الخير والفلاح والصلاح ... ودوام السرور والسعادة والرخاء والهناء ... والسلامة من الأمراض والآفات في المال والبدن والأهل والدين ، والنجاة من كل مكروه في الدنيا والآخرة ... أو ما يقاربها فيما يقوله الناس من الألفاظ والكلمات عند لقاء الآخرين والدعاء لهم .

ولا شك أن اللغة العربية هي أقوى اللغات البشرية وأوسعها وأجمعها وأفصحها وأفضلها، وقد قال ابن حزم عن اللغة التي علمها الله آدم عليه السلام : (أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا، وأشدّها اختصاراً) ^(٤) فقد تكون العربية هي التي اختارها الله لصفيه ونبيه أبي البشر آدم عليه السلام .

(١) انظر : البداية والنهاية (١٢٠/١)؛ والمزهر في علوم اللغة (٣٠/١-٣١)؛ وروح المعاني (١٧٢-١٧٣) .

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤) .

(٣) إرشاد الساري (٢٣٠/١٣) .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦) .

قال عبد الملك بن حبيب ^(١): (كان اللسان الأول الذي نزل به آدم عليه السلام من الجنة عربيا، إلى أن بعد العهد وطال حرف وصار سريانيا، وهو منسوب إلى أرض سورى أو سوريانه وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق. قال : وكان يشاكل اللسان العربي، إلا أنه محرف، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح، إلا رجلا واحدا يقال له جرهم، كان لسانه لسان العربي الأول؛ فلما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته؛ فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعييل، وجائر أبي ثمود وجديس، وسميت عاد باسم جرهم؛ لأنه كان جدّهم من الأم، وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشذ بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن؛ فترل هناك بنو إسماعيل عليه السلام؛ فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي) ^(٢).

وقد ذكر أهل التاريخ أن اللغة السريانية هي لغة محرفة عن العربية، وأن العربية هي لغة القبائل التي سكنت شبه الجزيرة العربية من اليمن إلى الشام إلى العراق وتخوم فلسطين وسيناء، وأن العربية هي لغة عاد وثمود وطسم و جدس وعمليق وجرهم من أولاد إرم بن سام، وهي المعروفة في تواريخ العرب بالقبائل البائدة ^(٣).

فهذه الوجوه المتقدمة — إن كانت في محلها — فهي قرائن قوية تدل على أن اللغة العربية كانت لغة آدم عليه السلام فهي أم اللغات، وعنها تفرعت اللغات الأخرى، وتعددت حيث أصبحت لها لهجات مختلفة، ثم انفصلت كل لهجة من أمها شيئا فشيئا، وابتعدت حتى أصبحت لغة مستقلة والله أعلم .
ولكن هذا القول لا يمكن الجزم به؛ فإن الاستدلال بسلام آدم عليه السلام على الملائكة وجوابهم بالسلام والرحمة له على أن الملائكة تكلموا معه بالعربية لا يخلو من النظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- عورض هذا القول باحتمال أن يكون بغير اللسان العربي ثم لما خلق العرب ترجم

(١) عبد الملك بن حبيب بن سليمان الأندلسي، قال عنه الذهبي : (كان موصوفا بالخندق في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتمقن)، وقال عنه ابن حجر : (صدوق ضعيف الحفظ كثير الغلط)، توفي سنة ٢٣٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٠٢/١٢ - ١٠٧)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٦٢ برقم : ٤١٧٤) .

(٢) ذكره السيوطي في المزهري في علوم اللغة (٣٠/١ - ٣١)؛ والآلوسي في روح المعاني (١٧٢/١٢) .

(٣) انظر : مقدمة المحقق لكتاب الصحاح للجوهري (ص : ١١ - ١٢) .

بلسانهم . ذكره القسطلاني ^(١) .

٢- لقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين من أحداث الأمم الماضية ووقائعهم شيئا كثيرا بلسان عربي مبين وهذا لا يعني بالضرورة أن ما جرى من ذلك كان باللغة العربية، وأنهم كانوا يتكلمون بها بل الله سبحانه وتعالى حكى لنا معاني كلامهم في لغتهم، باللغة العربية التي بها نتفاهم، بيانا لنا ورحمة بنا ^(٢) .

٣- قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْكَ ﴾ ^(٣) وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا بَلِّغْهُمْ أَعْلَانِ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ وَنَبِّهْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ^(٦) وقال تعالى عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًا ﴾ ^(٧) وقال الله تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالَا لفرعون : ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بَآئَةً مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ﴾ ^(٨) وقال تعالى عن عيسى بن مريم عليهما السلام أنه قال لقومه : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ^(٩) .

وقد أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سلم على خضر عليه السلام، فرد السلام عليه وقال : ((وَأَنْتَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ ...)) الحديث ^(١٠) .

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الإحكام (ص : ٤٠) .

(٣) هود الآية : ٤٨

(٤) هود الآية : ٦٩

(٥) الحجر الآيتان : ٥١-٥٢

(٦) الذاريات الآيتان : ٢٤-٢٥

(٧) مريم الآية : ٤٧

(٨) طه الآية : ٤٧

(٩) مريم الآيات : ٢٩-٣٣

(١٠) جزء من حديث موسى مع خضر عليهما السلام، أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ١٢٤٦/٣ ح : ٣٢٢٠)؛ وم (الفضائل، ب : في فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧/٤ ح : ٢٣٨٠) .

فهذه الآيات من كتاب الله ورد فيها ذكر السلام من بعض من قبلنا على بعضهم، وأن نوحا عليه السلام قيل له أن يهبط بالسلام والبركة عليه وعلى من معه، وأن الملائكة سلموا على إبراهيم وهو أيضا أجابهم ورد السلام عليهم، وأن موسى وهارون عليهما السلام قالوا لفرعون لما ذهبنا إليه : السلام على من اتبع الهدى، وأن عيسى عليه السلام قال لقومه : السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .

وكذلك أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سلم على الخضر عليه السلام وهو رد السلام عليه فهل هذا كله كان بالعربية؟ وأن نوحا وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى - عليهم السلام - كانوا يتكلمون بالعربية؟ وهؤلاء رسل الله إلى أقوامهم والرسول لا يرسل إلا بلسان قومه كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ ^(١) فهل كانت أقوامهم يخاطبون بالعربية ويفهمونها ويتكلمون بها أم حكى الله سبحانه وتعالى لنا معاني كلامهم في لغتهم باللغة العربية التي نتفاهم بها؟

فيتبين مما سبق أن الاستدلال بسلام آدم عليه السلام على الملائكة ويردهم السلام عليه على أن الملائكة تكلموا مع آدم عليه السلام بالعربية بعيد ^(٢) والله أعلم .

وأما قول عبد الملك بن حبيب وما ذكره بعض المؤرخين فمحتمل إلى حد كبير لو صح ولكن هذا من أمور الغيب لنا، وعقولنا قاصرة، وأبصارنا كالة عن النظر في هذه الدجنة والخوض في هذه اللجة على الوجه الصواب بدون أنوار الوحي من الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ فلا يمكن الأخذ به على وجه اليقين والقطع، ولا يمكن الجزم

(١) إبراهيم الآية : ٤

(٢) هذا القول وهذا الاستدلال شبيه بما جرى مع ابن حزم - رحمه الله - حيث جاء إليه رجل فقال : إن اللغة العربية

هي لغة أهل الجنة، واحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [يونس : ١٠] ؛ فقال

له : قل : إنما لغة أهل النار كذلك لقوله تعالى عنهم أنهم قالوا : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾

[إبراهيم : ٢١] ولأنهم قالوا : ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ [الأعراف : ٥٠] ولأنهم قالوا : ﴿ لو

كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠]، فسلم له الرجل، وقال : نعم . فقال له : إذا سلمت

هذا فاقض أن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام كانت لغتهم العربية؛ لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم

بالعربية، فإن قلت هذا كذبت ربك في قوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم : ٤]

[فصح أن الله تعالى إنما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي نتفاهم بها ليبين لنا . أهـ بتصرف .

انظر : الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٤٠) .

بأن اللغة العربية هي التي نزل بها آدم ﷺ من الجنة .

قال العلامة ابن حزم : (لا ندري أي لغة هي التي وقف آدم ﷺ عليها أولا إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا ... ولا ندري لعل قائلًا يقول : لعل تلك اللغة قد درست البتة، وذهبت بالجملة، أو لعلها إحدى اللغات الباقية، لا نعلمها بعينها، وهذا هو الذي توجه به الضرورة .

وقد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم ﷺ على جميع اللغات التي ينطق بها الناس إلى اليوم، ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات، ثم صارت لغات كثيرة . إذا توزعها بنوه بعد ذلك . وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب إلا أننا لا نقطع على هذا كما نقطع على أنه لا بد من لغة واحدة وقف الله تعالى عليها)^(١) .

الحاصل : الأقوال في بيان لغة آدم ﷺ مختلفة، وأكثرها مذكورة من قبل ناقليها أو قائلها بدون ذكر أي دليل من عقل سليم أو نقل صحيح فلا عبرة بها، وقد ذكر بعضهم أنه كان عالما بجميع اللغات البشرية وفصلوه تفصيلا لا تدل عليه النصوص وإن زعموا أنها تدل على ما ذهبوا إليه . و قيل إنه كان يتكلم بالعربية وهو الأشبه كما قال ابن كثير^(٢) ولكن ما ذكرت معه من الأدلة لا تخلو من النظر فهي غير كافية للحزم به، فلا يمكن تعيين اللغة التي كان يتكلم بها آدم ﷺ على وجه اليقين، والله أعلم بالصواب .

(١) الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦-٣٨)؛ وانظر : دراسات في العربية وتاريخها (ص : ١١) .

(٢) أنظر : قصص الأنبياء لابن كثير (ص : ٧٩) .

المبحث التاسع : خلق زوج آدم ﷺ .

خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بحكمته وقدرته ومشئته؛ فهو خالق كل شيء، ورب كل شيء، وما سواه فمخلوق ومربوب . وهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، لا يمنعه شيء عن شيء في الأرض ولا في السماء، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو على كل شيء قدير .

ومن آثار ربوبيته وحكمته وقدرته ورحمته أنه سبحانه وتعالى خلق أبا البشر آدم ﷺ من الطين، وخلق منه زوجه حواء عليها السلام، ثم بارك في ذريتهما، وكثر أولادهما، وملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها؛ ف سبحانه الخالق العظيم .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ ^(٥) .

فقد بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق الناس كلهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبارك في هذين الزوجين، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . والمراد بالنفس الواحدة في الآيات السالفة الذكر هو أبو الناس كلهم آدم ﷺ، وزوجه هي حواء عليها السلام، وبه قال جماعة من السلف كالسدي ^(٦)

(١) النساء الآية : ١

(٢) الأنعام الآية : ٩٨

(٣) الأعراف الآية : ١٨٩

(٤) الروم الآية : ٢١

(٥) الزمر الآية : ٦

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٢/٣) بإسناد حسن، كما في التفسير الصحيح (٣/٢) .

وقتادة (١) ومقاتل (٢) وعليه جمهور المفسرين (٣).

هذا المعنى الذي ذهب إليه المفسرون من السلف والخلف في تفسير الآيات منبثق عن الفهم السليم لكتاب الله تعالى، المبني على كلام النبي ﷺ؛ فقد جاءت أحاديث عديدة عن النبي ﷺ تبين أن الله سبحانه وتعالى خلق حواء - عليها السلام - من ضلع من أضلاع آدم ﷺ، وفيما يلي ذكر بعضها :

عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيراً (٤).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها (٥).

وعن سمرة بن جندب ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : إن المرأة خلقت من ضلع إن أقمتها كسرتها؛ فدارها تعش بها (٦).

(١) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٠/١)؛ وتفسيره (٢٢٤/٤ و ٢٨٦/٧ و ٣١/٢١) بإسناد حسن كما في التفسير الصحيح (٢٦١/٢ و ٨٢/٤)، وقتاده هو قتادة بن دُعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت، روى له الجماعة، وذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين، توفي سنة بضع عشرة بعد المائة من الهجرة النبوية. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٥٣ برقم : ٥٥١٨)؛ وطبقات المدلسين (ص : ٤٣ برقم : ٩٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣/٣) بإسناد حسن كما في التفسير الصحيح (٣/٢)، مقاتل هو مقاتل بن حيان البجلي، صدوق فاضل، توفي في كابل، وهي الآن عاصمة أفغانستان - وكانت وفاته قبل ١٥٠ هـ. انظر : تهذيب التهذيب (٥٢٢/٥-٥٢٣ برقم : ٧٩٨٠)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥٤٤ برقم : ٦٨٦٧).

(٣) انظر : معالم التنزيل (٣٨٩/١)؛ وزاد المسير (١/٢)؛ ورموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الرزاق الرسعني (ص : ٣٥٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢/٥)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٧٢/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٣/٢)؛ وفتح القدير (٤١٧/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٢١٥/٤)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٤٣٧/٢ برقم : ٥١٦٧)؛ وتهذيب التفسير ... للشيخ عبد القادر شيبه الحمد (١٧٧/٣).

(٤) أخرجه خ (النكاح، ب : الوصاة بالنساء ١٩٨٧/٥ ح : ٤٨٩٠)، و اللفظ له؛ وم (الرضاع، ب : الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ ح : ١٤٦٨).

(٥) أخرجه م (الرضاع، ب : الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ ح : ١٤٦٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (الطلاق، في مداراة النساء ١٩٧/٤ ح : ١٩٢٧٠)؛ و حم (٢٨٣/٣٣ ح :

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن المرأة خلقت من ضلع؛ فإن تقمها كسرتها؛ فدارها؛ فإن فيها أودا ^(١) وبلغة ^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله عز وجل آدم انتزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حواء ^(٣).

معنى قول النبي ﷺ : ((إن المرأة خلقت من ضلع...)).

قول النبي ﷺ : ((إن المرأة خلقت من ضلع)) يحتمل معنيين :
أولهما : أن المرأة خلقت من أصل معوج وهو الضلع، وفي ذلك إشارة إلى ما تقدم

٢٠٠٩٣)؛ والحارث بن أسامة في مسنده كما في بغية الباحث (٥٥٠/١ ح : ٤٩٦)؛ وأبو بكر الروياني في مسنده (٧٦/٢ ح : ٨٥١) كلهم من طريق عوف عن رجل عن سمرة مرفوعا . وهذا الرجل المبهم هو أبو رجاء؛ فقد أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٨٢/٢ ح : ١٤٧٦)؛ والطبراني في الأوسط (٢٣١/٨ ح : ٨٤٨٩)؛ وحسب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشره الزوجين، ذكر الأمر بالمداورة للرجل مع امرأته ... ٤٨٥/٩ ح : ٤١٧٨)، واللفظ له؛ وكم (البر والصلة، ب : المرأة خلقت من ضلع أعوج ١٧٤/٤) من طريق عوف عن أبي رجاء عن سمرة مرفوعا . وأبو رجاء هو عمران بن ملحان العطاردي ثقة مخضرم أخرج له الجماعة كما في التقريب (ص : ٤٣٠ برقم : ٥١٧١)؛ فالحديث صحيح، وقد صححه ابن حبان، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٤/٤) : (رواه أحمد والبزار بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح وسمي الرجل أبا رجاء العطاردي) .

(١) أود : من باب سمع ومعناه : اغرَجَ ؛ فالأود : العوج . انظر : مختار الصحاح (ص : ١٣)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١٥٤/١)؛ ولسان العرب (٢٦٠/١) .

(٢) أخرجه حم (٢٦٦/٣٥ ح : ٢١٣٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد (ب : من قدم إلى ضيفه طعاما فقام يصلي ص : ١٩٤-١٩٥ ح : ٧٤٧) مطولا؛ والدارمي في مسنده (النكاح، ب : مداورة الرجل أهله ١٤٢٥/٣ ح : ٢٢٦٧)، واللفظ له؛ والبزار كما في كشف الأستار (١٨٣/٢ ح : ١٤٧٨)؛ والنسائي في الكبرى (عشرة النساء، ب : مداورة الرجل زوجته ٣٦٤/٥ ح : ٩١٥٢) مختصرا . والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٢٧٩-٢٨٠ ح : ٥٧٤) .

(٣) أخرجه ابن مندة في كتاب التوحيد معلقا (٢١١/١ ح : ٧٩) مختصرا، واللفظ له؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٤/٥ ح : ٨٥٣٥) موصولا مع زيادة ذكر الميثاق؛ وأبو الشيخ في العظمة (١٥٥٣/٥ ح : ١٠١٥٤١) ولفظه قريب من لفظ ابن مندة . ومدار الإسناد على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما تقدم في (ص : ٩٦) من قول الحافظ ابن حجر، وسيأتي ذكر أقوال الأئمة الآخرين عنه في (ص : ٥٠٩-٥١٢) .
الحاصل : لا شك في ضعف هذا الإسناد ولكن الأحاديث المتقدمة تشهد لحل الشاهد منه، ولذلك قال محقق كتاب العظمة فيما معناه : الإسناد من طريقه ضعيف ولكن الحديث صحيح ثابت من طرق أخرى، والله أعلم .

من أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام. وهو الذي عليه جمهور المفسرين والمحدثين ^(١).

والثاني : هذا بيان من النبي ﷺ لطبيعة المرأة، وأنها كالضلع في الاعوجاج ^(٢)، ويشهد له قوله ﷺ : ((ثم إن المرأة كالضلع)) كما في بعض روايات الحديث ^(٣).

ولكن لا تعارض بين ألفاظ الحديث؛ لأن رواية الحديث بلفظ : ((المرأة خلقت من ضلع)) تشير إلى نقطة تشبيه المرأة بالضلع في الرواية الأخرى ((إن المرأة كالضلع))، وتبين أن المرأة عوجاء مثل الضلع لأن أصلها منه؛ إذ خلقت حواء عليها السلام من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام فالمرأة في مشاعرها وعواطفها تحاكي ذلك الضلع المعوج الذي خلقت منه، وبهذا يتبين أنه لا تناقض بين ألفاظ الحديث ورواياته الثابتة عن النبي ﷺ بل يوضح بعضها بعضاً، وكلها متفقة في بيان حقيقة واحدة، وهي أن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، والله أعلم بالصواب ^(٤).

فيتبين مما سبق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن السلف بجلاء ووضوح أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، وفيها رد دافع على أولئك الذين يزعمون أنها خلقت خلقاً مستقلاً من التراب كما هو شأن آدم عليه السلام ^(٥)، أو أنها ولدت من أبوين، وجاءت من ذكر وأُنثى عن طريق التناسل، والالتقاء بين الزوجين ^(٦).

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٢٢/٤)؛ وشرح النووي على صحيح مسلم (٥٧/١٢)؛

والكاشف عن حقائق السنن (٣٠٦/٦-٣٠٧)؛ وفتح الباري (٣٦٨/٦ و ٢٥٣/٩)؛ وسبل السلام (١٣٩/٣)؛ ونيل الأوطار (٢٤٤/٦)، وانظر : ما سبقت الإشارة إليه في (ص : ٢٠٣، الهامش رقم : ٣).

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٢٢/٤)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٣٠٦/٦-٣٠٧).

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه (النكاح، ب : المداراة مع النساء، وقول النبي ﷺ : إنما المرأة كالضلع ١٩٨٧/٥ ح : ٤٨٨٩)؛ وم (الرضاع، ب : الوصية بالنساء ١٠٩٠/٢ ح : ١٤٦٨).

(٤) انظر : فتح الباري (٢٥٣/٩)؛ وحياة آدم لمحمود شلبي (ص : ٦١) بواسطة كتاب "الإنسان" للمطرودي (ص : ١٩).

(٥) ذكره الماوردي في كتابه "أعلام النبوة" (ص : ٧٧) عن أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المعتزلي التوفي (٣٢٢هـ)

ورأيه يميل لمحمد بن حمزة الكرماني (ت : ٥٣٥هـ) في كتابه : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٤/١)؛ وذكره عبد الوهاب النجار في كتابه : قصص الأنبياء (ص : ٨) ولكنه لم يرض به واختار الأول . وانظر أيضاً : ما قاله عبد

الصبور شاهين في كتابه "أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة" (ص : ٧٦).

(٦) قاله عبد الصبور شاهين . انظر كتابه المذكور آنفاً : (ص : ١١٧).

وقت خلق حواء عليها السلام :

أما الوقت الذي خلقت فيه حواء عليها السلام فلم أقف فيه على دليل صريح من القرآن أو السنة الثابتة عن النبي ﷺ يحدد الوقت الذي خلقت فيه أم بني آدم حواء عليها السلام ولكن هناك آيات في كتاب الله تعالى استنبط منها المفسرون أن حواء عليها السلام خلقت بعد سجود الملائكة لآدم ﷺ وامتناع إبليس من السجود له، وقبل أن يأمر الله تعالى آدم ﷺ بأن يسكن هو وزوجه الجنة .

قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا فيها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلامنا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنت لا تنظما فيها ولا تضقى ﴾ ^(٣) .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى آدم ﷺ أن يسكن هو وزوجه الجنة، ويفهم من هذا الخطاب وسياق الآيات أن حواء عليها السلام كانت قد خلقت قبل أن يتلقى آدم خطاب ربه للسكن في الجنة مع زوجته عليهما السلام ^(٤) .

قال الآلوسي ^(٥) : (وقال كثيرون - ولعلي أقول بقولهم - : إنما خلقت قبل الدخول ودخلا معا، وظاهر الآية الكريمة يشير إليه، وإلا توجه الأمر إلى معدوم وإن كان في علمه تعالى موجودا، وأيضا تقدم ﴿زوجك﴾ على ﴿الجنة﴾ نوع إشارة إليه، وفي المثل : (الرفيق قبل الطريق)، وأيضا هي مسكن القلب والجنة مسكن البدن، ومن الحكمة تقدم الأول على الثاني) ^(٦) .

(١) البقرة الآية : ٣٥

(٢) الأعراف الآية : ١٩

(٣) طه الآيات : ١١٧-١١٩

(٤) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٧/١)؛ والبداية والنهاية (٧٤/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٨/١-٧٩)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص : ١٧٢)؛ وقصص الأنبياء لمحمد الفقي (ص : ٢٢)؛ والابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم للشيخ عبد الله مير غني (ص : ٩٤) .

(٥) أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، توفي سنة ١٢٧٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٧٥/١٢) .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٣٤/١) .

وقال الشيخ عبد القادر شيبه الحمد - حفظه الله - : لا شك أن هذا الأمر إنما صدر من الله عز وجل لآدم عليه السلام بعد أن خلق الله له زوجته حواء - عليها السلام - حيث خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام ... والظاهر أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام وتأني إبليس - لعنه الله - عن السجود كان قبل خلق حواء، وكان قبل أن يؤمر آدم وزوجه - عليهما السلام - بأن يسكنا الجنة. أهد بتصرف واختصار^(١).

ويتبين مما سبق أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، وأنها خلقت بعد سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وقبل أن يأمر الله لآدم بأن يسكن هو وزوجه الجنة، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر : تهذيب التفسير وتجرید التأویل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل (١ / ١٠١ - ١٠٢) .

الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان والرد عليها .

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس وبيان بطلانه .

المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة وبيان بطلانه .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحدة وغيرهم، وبيان بطلانه.

المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس وبيان بطالانه .

يعتقد الهندوس ^(١) أن الروح الكوني ^(٢) تشكل بالشكل الإنساني، ثم نظر حوله، فلم يجد هناك شيئاً غير نفسه، فصرخ بملء فيه : " هأنذا "، فوجدت من هذه الساعة كلمة " أنا " ولذلك فأول ما يقول الإنسان إلى الآن عند كلامه عن نفسه : " أنا " . وشعر هذا الروح الكوني أو الإنسان الأول بالخوف من وحدته؛ ولذلك يخاف الإنسان إلى الآن إذا كان وحيداً، ولكنه سأل نفسه : لماذا أخاف فإنه لا يوجد أحد غيري، وإنما يخاف الإنسان من غيره . ووجد نفسه لا يشعر بالسعادة؛ ولذلك لا يشعر الإنسان بالسعادة إذا كان وحيداً، فرغب في إيجاد قرين له، فقسم نفسه قسمين : قسم بقي على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، ومن تلك الساعة تسلسل خلق الإنسان ^(٣) .

وجاء في " الأبانشاد " وهو من كتب الهندوس المقدسة : (كان الله في الحق كبير الجسم حتى ليعدل جسمه رجلاً وامرأة، ثم شاء لهذه الذات أن تنشق نصفين، فقسم نفسه إلى قسمين : قسم بقي على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، وضاجع الزوج زوجته؛ وبهذا أنسل البشر .

وسألت الزوجة نفسها : كيف استطاع أن يضاجعني بعد أن أخرجني من نفسه ؟

(١) الهندوسية ديانة وثنية عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي تعبد آلهة كثيرة؛ فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٧٢٤/٢) .

(٢) يقصد الهندوس بالروح الكوني " براهما " فهو الذات الكونية والروح العالمية التي هي أصل الأرواح كلها، ومع تطور الفلسفة الهندوسية أصبحت هذه القوة تعني روح الكون والقوة التي تثبت الكون . انظر : الموسوعة العربية العالمية (٢٩٠/٤ مادة : براهما) .

(٣) انظر : الفكر الفلسفي الهندي (ص : ١٣٧-١٣٨) بواسطة كتاب : أصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٤٠-٤١)؛ والأساطير الهندية عن الكون وخلقها (ص : ٣٤) بواسطة كتاب : مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى، ٥٢/٤-٥٣)، ومنه نقل الأعظمي في " فصول في أديان الهند " (ص : ١٠٢-١٠٣) .

فلأخطف ! فاختفت في صورة البقرة، وانقلب هو ثورا فزأوجها، فاتخذت لنفسها هيئة الفرس، واتخذ لنفسه هيئة الجواد، ثم أصبحت أتاناً فصاراً حماراً، وانقلبت عتراً فصار تيساً... وهكذا حتى توالدت جميع المخلوقات من الذر والنمل إلى الفيلة والجمال .

فلما انتهى إلى هذا ونظر الإله إلى تلك الكائنات أدرك حقيقة الأمر وقال : حقا أنا هذا الخلق نفسه؛ لأني أخرجته من نفسي (^(١)) .

فهذه الحكاية الهندوسية التي نسب فيها الهندوس إلى رهم صفات وأفعالا يتتره البشر أن تنسب إليه - تذكر أن الإنسان بل كل المخلوقات من ذوات الأرواح مخلوقة من ذات إلههم ومعبودهم . وجاء في " الريج فيدا " كتاب الهندوس المقدس : (خلق الله طائفة " البراهمة " من فمه، و " الكشتري " من عضده، و " الويش " من فخذه، و " الشودرا " من رجله) (^(٢)) .

وجاء في " شريعة منو " وهو من كتبهم المقدسة : (كانت الدنيا غامضة، لا توجد لها علاقة، ولا وسيلة للوصول إليها، ثم ظهر " برميشور " (الإله الأكبر) بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقاً من ذاته؛ فخلق الماء، وألقى فيه النطفة، وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منها " برهما " (الخالق)، وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني الأرض والسماء وما بينهما، والجهات الثمانية، والبحور المتموجة، ثم أخرج من فمه طائفة " البراهمة "، ومن عضده طائفة " الكشتري "، ومن فخذه طائفة " الويشيا "، ومن رجله طائفة " الشودرا "، فما دام " برهما " مستيقظاً؛ فالدنيا باقية، فإذا أخذ النوم تقع القيامة) (^(٣)) .

هكذا تذكر كتب الهندوس المقدسة لديهم فهم يعتقدون بأنهم خلقوا من جسد معبودهم وخالقهم " برهما "، وأنه هو الذي جعلهم على طبقات بحيث خلقهم من أماكن مختلفة من جسده و لكن جاء في الحوادث التاريخية أن الآريين - لما سيطروا على شمالي وشرقي الهند في الألف الثانية قبل الميلاد استعبدوا الأهالي - خلقوا هذه الطبقات،

(١) بريها درانياكا (سفر من أسفار " الأبانشاد ") (٨١/٤/١) بواسطة كتاب: قصة الحضارة (الهند وجيرانها ٣٣-٣٤)، ومنه نقله عبد الكريم الخطيب في " قصتنا آدم و يوسف ... " (ص : ٢٣-٢٤)؛ وفي " قضية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ذاتا وموضوعا " (ص : ١٧٥) .

(٢) الريج فيدا ١٢/٩٠/١٠ بواسطة كتاب : فصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٥٦) وانظر : تحفة الهند (ص : ٤٥ و ١٠١-١٠٣)؛ والأديان : دراسة تاريخية مقارنة (القسم الأول، الديانات القديمة ص : ٨٧) .

(٣) منو إسمرتي، الباب الأول : ٥١-٥٢ بواسطة كتاب : فصول في أديان الهند (ص : ١٠٠-١٠١) .

وذلك يجعل أهالي البلاد اعبيدا ومنبوذين يقومون بخدمة الأسياد الذين تتكون منهم الطبقات الثلاث التي تنتمي إلى الجنس الآري^(١).

كما يلاحظ أن " برهما " مخلوق خلقه " برميشور " من مادة التكوين مع أنه روح الله الأزلية في عقيدة الهنادك، وإليها ترجع الأرواح السفلية، وأن هذا المخلوق انقلب فصار خالقا، فخلق الجنة والأرض والسماء وما بينهما، وأن هذا الخالق المخلوق خلق الطبقات الأربع من الناس، فمن خلق الباقي من الأجناس البشرية ؟ ، ثم إذا كان " برهما " هو الذي يدبر الكائنات فما هو وظيفة " برميشور " الذي خلق " برهما "؟ وبه يتبين تناقض هذه الديانة وفساد هذا القول^(٢)، وسيأتي بيان بطلان هذا القول من أوجه أخرى غير ما ذكرت^(٣).

(١) انظر : فصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٥٨)؛ والأديان : دراسة تاريخية مقارنة (القسم الأول : الديانات

القديمية ص : ٨٧)؛ ومقارنة الأديان (الأديان الهند الكبرى، ٤/٢٤-٢٥) .

(٢) انظر : فصول في أديان الهند (ص : ١٠١) .

(٣) انظر : (ص : ٢١٨-٢٢٢) .

المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة و بيان بطلانه .

لقد خلق الله تعالى الإنسان، ومنحه اللسان، وعلمه البيان، وأحسن إليه كل الإحسان، وأنعم عليه غاية الإنعام، وأغدق عليه نعمه كل حين وآن ... فضلا من الرب الرحيم الرحمن .

ومع ذلك كله نجد من الناس من ينأ بجانبه، ويستكبر عن ربه، فينسب خلقه إلى غيره، ويعطله عن مخلوقه، ويشرك معه غيره في خلقه ...أو يكفر به ويحده وينكر وجوده ولا يؤمن به أصلا .

وأقوالهم الدالة على إنكار الخالق وحده، وتعطيله عن مخلوقه، ونسبة الخلق إلى غيره كثيرة، وهنا أكفي بذكر بعض أقوالهم الباطلة المتعلقة بأصل الإنسان من خلال المطلبين الآتين.

المطلب الأول : أصل الإنسان عند الملاحدة الإسماعيلية الباطنية وبيان بطلانه .

مصدر مقالة الإسماعيلية في أصل الإنسان :

زعمت جماعة من الفلاسفة عن خلق الكون وإيجاده أنه صدر عقل أول عن عقل محض، وهو الله عندهم، ومن العقل الأول صدرت عقول أخرى بعضها من بعض، إلى عشرة عقول، ومن العقل العاشر الذي يسمونه العقل الفعال فاضت العناصر الأربعة التي يتركب منها جميع المخلوقات الأرضية من الجماد، والنبات، والحيوان البهيم، والإنسان^(١).

(١) انظر : آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ضمن كتاب : تراث الإنسانية (٥٧٦/٢ - ٥٧٨)؛ و "في سبيل موسوعة فلسفية " (الفارابي، الفيض والعقول الإبداعية عند الفارابي ص : ٦١-٦٩ وابن سينا، ابن سينا والفيض الإلهي ص : ٤٥-٤٨)؛ وأصل الإنسان وسر الوجود (الفيض و الإبداع بمفهوم الفارابي، ص : ١٥٩-١٦٤ والفيض عند ابن سينا، ص : ١٧٢-١٧٤) .

وتابعته على ذلك الإسماعيلية فرعمت أن جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية من جماد وحيوان ونبات وإنسان... ونجوم وكواكب... هذه كلها وجدت بواسطة العقل والنفس، وزعموا أن الله أبدع العقل الأول وهو تام بالفعل، وبتوسط هذا العقل أبدع النفس وهي غير تامة، ولما اشتاقت النفس إلى كمال الفعل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، والحركة تحتاج إلى وسيلة، وهي الأفلاك السماوية^(١).

فالإنسان وما سواه من المخلوقات كلها وجدت بواسطة العقل الفعال في زعم الفلاسفة، وهي وجدت بواسطة العقل والنفس في زعم أذناهم من الإسماعيلية إلا أن الإسماعيلية فصلوا خلق المعدن والنبات والإنسان - والأخير هو المقصود ذكره هنا - تفصيلا ازدادوا به ضلالا وكفرا وشركا وإلحادا وزندقة على مشايخهم من الفلاسفة.

قول الإسماعيلية في أصل الإنسان :

قال الحسين بن علي بن محمد الإسماعيلي^(٢) : (فلما أراد المدير أن يجعل الأرض مقرا لظهور ما يظهره من المواليد - التي هي المعدن والنبات والحيوان - وكانت وما يليها من الجو في نهاية الإفراط في البرد واليبس، فحرك الفلك، فرمت الكواكب بأشعتها نحو الأرض، وقد كانت صخرة صلبة لشدة بردها ويسها، فلم تجد الأشعة فيها منفذا لصلابتها، فرجعت منعكسة، فسخنت وجه الأرض وما يليها من الهواء، وصيرته معتدلا... ثم إن المدير تعالى صرف تدبير العالم إلى زحل بمادته في تحريكه للفلك، فدبر العالم ألف سنة... ثم إن المشتري رافد زحل في التدبير ألف سنة ثانية... ثم إن المريخ رافد زحل في التدبير ألف سنة ثالثة... ثم إن الشمس رافدت زحل في التدبير ألف سنة رابعة... ثم إن الزهرة رافدت زحل ألف سنة خامسة... وكان كل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشري)

وقال : (إن المدير تعالى حرك الفلك، فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان، فصارت غيوما، ثم ائملت على وجه الأرض أمطارا صافية معتدلة، وخذدت الأرض خددا غير عميقة، وقد صفا ذلك الماء في عمقها، ثم صعد بخارا على ألطف

(١) انظر : الإسماعيلية المعاصرة (ص : ٧٤-٧٥)؛ والإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص : ٣٩٨ و ٤٠٧) .

(٢) هو الحسين بن علي بن محمد بن الوليد الإسماعيلي، متكلم إسماعيلي، توفي سنة ٦٦٧ هـ . انظر : معجم

المؤلفين (٣٧/٤) .

وأشرف وأصفى من الأول، فأهّل مطرا كثيرا نظير مني الرجل، فوقع في تلك المغارات والحدود التي [هي] شبيهة بأرحام النساء، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة، فصار شيئا واحدا . ثم أسختته حرارة الأرض، فصعد هاربا من الحر، فلحقه برد النسيم من خارج الحدد، فهبط منه هاربا، ثم لم يزل يهبط تارة ويصعد تارة، وهو يقتصر ويتلطف وينعقد ويتكون في مراتب الحلقة مدة تسعة أشهر، بتدبير المدبر وتأثير قوى الكواكب والأفلاك فيه، إلى أن كملت له المدة . ثم فتح عينيه وحواسه، واستنشق النسيم، واتصلت به الحياة الحسية بواسطة النسيم، فتمدد تارة وقعد تارة، وجعل يتمرغ ببذنه في ذلك الماء الذي تكون منه، ويجتذبه بمسام بذنه وقد صار دهنا .

ثم طلب الغذاء من فمه، وقد كان أولا يغتذي من صفو ذلك الدهن، فجعل يمتص أصبعه الإبهام، فأجرى الله له فيها لبنا خالصا سائغا للشاربين، فاغتذى به، فجعل ينام تارة ويقعد تارة إلى أن كمل له سنة، ثم قام، وهو يومئذ في كبر جثته كمثلي ابن أربع سنين . وذلك لكبر الأيوين اللذين هما السماء والأرض . فمشى وتناول بما قرب منه من الغذاء من التين والعنب والفواكه التي كان قدمها له المدبر سبحانه . وكان هذا النشوء الحادث في جميع جزائر الأرض الاثنتا عشرة؟!، وتكون من فضلات تلك المياه إناث، وكان النشوء الأول كلهم ذكورا .

وكان المدبر تعالى قد ميز من تلك المياه أصفافها وأشرفها وأفضلها، وساقه إلى أشرف البقاع في أول الكون، وهي جزيرة " سرنديب " ^(١) لأنها موضع الاعتدال من الأرض يومئذ في تلك الحدد . وفي تلك الحدد ثمانية وعشرون شخصا هم في الشرف والفضل على سائر البشر بميزة الياقوت الأحمر في شرفه على الأحجار، وفيهم - أعني الثمانية والعشرون شخصا ؟ ^(٢) - شخص واحد عليه من الشرف والفضل ما للياقوت الأحمر على الأحجار وهو زبدة العالم وخلاصته ... ثم إن هذا الشخص الفاضل فرق من

(١) سرنديب : بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت وباء موحدة : بلغة الهند وهي جزيرة عظيمة في بحر هرند بأقصى بلاد الهند . انظر : معجم البلدان (٢١٦/٣) .

(٢) هكذا مكتوب مع أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن تكون العبارة " أعني الثمانية والعشرين شخصا "؛ أي : بالياء لا بالواو لأنه مفعول به، و" العشرين " من ملحقات الجمع المذكور السالم الذي ينصب بالياء . انظر : أوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (٦٢/١) .

السبعة والعشرين اثني عشرة في جزائر الأرض الاثنتا عشرة^(١)؟ يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته ... هذا الشخص الفاضل هو آدم الأول، وهو أبو البشر من حيث أنه معلمهم أو أمر معاشهم وأمر معادهم؛ فهو سبب حياتهم في الدنيا والآخرة... وأقام هذا الشخص الفاضل بحضرته اثني عشر شخصا (حجج الليل) وهم أفضل السبعة والعشرين، منهم أربعة يسمون (الحرم) وهم أفضل من الثمانية، ومن الأربعة واحد وهو أفضلهم، وهو الباب لذلك المقام الكريم... ثم إن كل داع أمر أهل جزيرته بأن يتزوج كل واحد منهم بالأنثى التي تكونت في مغارة غيره، ولا يتزوج بالأنثى التي تكونت معه في مغارته، وظهرت منها عن فضلة مائه؛ فهي له كالأخت لا يحل له نكاحها .

فهذه طريقة أهل الحق الطاهرة المتزه عليها، لا ما يعتقد الجهلة من أهل الظاهر من أن آدم زوج أولاده البطن الأول بالبطن الثاني فيكون أهل النشوء سفاحا، نعوذ بالله من ذلك... وكانت هذه الولادة من الأرض تلك الدفعة الواحدة الأولى^(٢) لا غير، ورجعت من التناسل بين الرجال والنساء إلى الآن^(٣) .

وقال إبراهيم الحامدي الإسماعيلي^(٤): (... دارت الأفلاك، ودبرت المديرات، وتدافع الهواء، وامتزجت الأمهات، فانعصر البخار بذلك السحاب، بتدافع جرم الهواء الذي يقال له الريح، فأمرت مطرا نظير المني، فأخرجت الأرض الجثة لجميع الحيوان حالا بعد حال، وظهرت جنة الإنسان والطالع العذراء بقوة تأثير الأصليين اللذين كانا سببا لوجود آدم الروحاني وزوجه في الروحانيين، وسبب وجود الطين ، فخلق من ذلك جميع الموجودات في الأرضين والسموات ...) .

(١) هكذا مكتوب مع أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن تكون العبارة " الاثني عشرة " لأنها تتبع المتبوع في الإعراب، والمتبوع مجرور لدخول حرف الجر " في " عليها، والاثنتان من الملحقات بالثنى الذي يجز بالياء . انظر : المصدر السابق (٥٨/١) .

(٢) هكذا مكتوب مع أن تأنيث كلمة " الأول " في اللغة العربية " الأولى "، لا " الأولى " كما قال المؤلف .
(٣) المبدأ والمعاد لعلي بن الوليد، مخطوطة في المكتبة الخاصة لمصطفى غالب الإسماعيلي برقم : ١١٥، بواسطة كتاب " أصل الإنسان وسر الوجود " لمؤلفته : باسمه كيال - وهي من القوم أنفسهم، وتقول بمقولتهم - (ص : ٣٤٩-٣٥٥)، وكتاب : الإسماعيلية تاريخ وعقائد للعلامة إحسان إلهي ظهير (ص : ٤١٤-٤١٨) .

(٤) هو إبراهيم بن الحسين الحامدي، من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم في اليمن، توفي سنة ٥٥٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣/١) .

وقال : (إن ظهور الجثة من غير نقطة، ولا ازدواج بالقوة الإلهية المكونة بالآلة المعتدلة الشريفة السعيدة الفلكية، وقوة العالم، والفلك هو معلول علة العلل الواحد الذي ليس كمثله شيء، فالبشر نتيجة الفلك، ثم كان من بعد ذلك الازدواج والتناسل من الذكر والأنثى، من كل زوج ليبقى الجنس إلى الوقت المعلوم ...) .

وقال : (... ثم ابتداء زحل وعطارد في تكوين الإنسان في ابتداء خلق البشر ... اجتمع الماء في المغارات والكهوف ... فحدث في تلك الأغوار من ماء المطر الذي يشبه مني الرجل و من ماء الأرض ما يجانس نقطة المرأة، ومن النداة المتقدمة من الثلوج والأمطار، المتجمعة من الطوفان ماء نظير دم الطمث الذي يجمع بين النطفتين ... وظهرت قوى حرارة الأرض ... وهبت الرياح من ناحية إلى أخرى ... فصار الماء دهنيا سيالا معتدلا لطيفا طبعه طبع النطفة المتكونة في الرحم ... وسخن الهواء، وحمي ظاهر الأرض، فحف شيئا بعد شيء، وابتدأ الدهن ينعقد بإنضاج الحرارة ... إلى حد المضغة ... وأحدث كل كوكب فيها شيئا ما تولى جزء من جسده، وأكسبه قوة من قواه . والمتولى لنقش الصورة عطارد بشراكه الشمس وزحل والقمر، فأول ما انفعل بقوة الشمس. ثم الرجلان بقوة زحل، ثم الرأس بقوة القمر، وعطارد يزيد في كل قوة وهو يرسم التصوير، والزهرة تتولى التذكير والتأنيث ... فلما حدث في الجثة الطول والعرض والعمق، وتخطط رأسه ووجهه - وقد نضبت المغارات - انقشرت الأغشية، وانبعث فيه الروح من الحرارة التي كونته ثم استجنت في بدنه، وأعطاه القمر قوة الحياة الإلهية الحية التي يحيى بها ما استكن فيه، من حرارة الشمس وقوتها ... وتحرك الإنسان بالحياة المتعلقة به، التي دخلت عليه عند كماله من قوى الأفلاك ... وهو يجتذب ببدنه تلك الرطوبات وخواصها ... وتزداد قوته بعد إقامته فيها بين الماء والطين تسعة أشهر ...، فلما صارت الشمس في برج العقرب وتقوى الإنسان البشري فتح فاه وطلب الغذاء من فمه المهيا له، وسار لسته أشهر من يوم خلع المشيمة التي كانت تلفه، وهو في هذه الستة أشهر يرضع إلهامي يديه ...، فسار وهو في الخلق والقوة كمولود أربع سنين لقوة الأبوين وعظمتهم ...) ^(١) .

فهؤلاء يعتقدون في أصل الإنسان أنه نزل مطر من السماء، ووقع في حفريات كثيرة

(١) ذكرته عنه باسمه كيال في : أصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٢٨٠-٢٩٢) .

في الأرض، كما يقع مني الرجل في رحم المرأة، وبتأثير الأجرام السماوية في المياه المتجمعة في تلك الحفريات ولد من كل حفرة رجل، ثم ولدت امرأة من كل حفرة بما بقي فيها من الماء، وهكذا ولدت جماعة كبيرة من الرجال من الأرض دفعة واحدة، ثم ولدت جماعة كبيرة من النساء من الأرض في دفعة لاحقة، ثم حصل التزاوج والتناكح بين أولئك الرجال والنساء، وبذلك استمر التناسل والتوالد . وهؤلاء الرجال والنساء الذين ولدوا في تلك الحفريات من خلال دفعتين هم أصول الإنسان عندهم .

بيان بطلان مقالة الإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة في أصل الإنسان :

لا شك أن ما ذهبت إليه الإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة في أصل الإنسان من أبطل الباطل؛ فإنهم بهذه المقالة الشنيعة والعقيدة الفاسدة ما قدروا الله حق قدره بل كذبوه فيما أخبر به، وعطلوه عن خلقه، وجعلوا العقل والنفس مع الأفلاك والكواكب والنجوم بمنزلة الخالق المدبر المحيي المتصرف في العباد ... ولا شك أن هذه الدعوى منهم زندقة واضحة، ووثنية ظاهرة، وشرك جلي بالله تبارك وتعالى . وهو قول لا ينتمي إلى عقل ولا إلى شرع، وإنما ينتمي إلى الوثنية اليونانية التي تتعبد للكواكب والنجوم، وتدعي لها أرواحا وتصرفا وتديرا . ولا يختلف عن دعوى عباد الأصنام في أصنامهم من مشركي العرب والهندوس ومن على شاكلتهم . وجميع آيات التوحيد في القرآن ترد عليهم، وتبين ضلالهم، وكفى بها برهانا ساطعا وحجة واضحة لمن أراد الله هدايته ^(١) .

وبالإضافة إلى ما سبق يمكن أن يقال في بيان بطلان ما نسبوا إليه الخلق من العقل والنفس ما يلي ^(٢):

١- إن هذه العقول والنفوس التي يدعوها لا يقر بها جل بني آدم، وليس لها في نفوسهم أي صدى ولا أثر، فلا تجد أحدا منهم يدعو في رخاء ولا شدة العقل أو النفس الكلية ولا

(١) انظر : مقالا لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - بعنوان : قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية ، عرض ونقد في ضوء السلف " (ص : ٣٨٣-٣٨٤) ، وهو منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية و آدابها ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١ هـ .

(٢) الوجوه التالية في الرد مستفادة من المقال السابق لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - (ص : ٣٨٧-٣٩٠) ومقال آخر له - يسر الله طبعه ليعم النفع به - بعنوان " قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية " (ص : ٥٣) .

غيرهما بل لا يدعو إلا الله تعالى . وما ذلك إلا لأنهم لا يعرفون خالقاً غيره سبحانه . قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ ^(١) .

٢- قولهم عن الله تعالى بأنه عقل، هذا في الحقيقة نفي للخالق تعالى؛ لأن العقل ما هو إلا معنى من المعاني، وهو أشبه ما يكون في دعواهم بالفكر أو الخيال، والمعاني ليس لها وجود ذاتي في الخارج، بل تكون قائمة بغيرها أو صادرة عن غيرها مثل الكلام والأفكار والخيالات ، فهذه المعاني تقوم بغيرها ولا تقوم بنفسها . وهم ينفون أن يكون الله قائماً بغيره أو صادراً عنه، وإذا كان الله معنى، وليس له وجود ذاتي في الخارج، وليس قائماً بغيره، وليس صادراً عن غيره فمعناه أنه ليس له وجود أصلاً . وهو قول يتناقض تماماً مع دعوى وجوده ودعوى صدور العالم منه .

٣- إذا تبين أن العقل معنى من المعاني وليس له وجود ذاتي في الخارج، وإنما هو موجود ذهني قائم بالنسبة لنا بالعقل المركب في أجسادنا . فالادعاء بأنه صدر عنه النفس دعوى مرفوضة عقلاً ، لأنه لا وجود له بنفسه في الخارج ، فكيف يكون موجداً لما له وجود خارجي مستقل ؟ .

فهذا مرفوض عقلاً، كما لو قلنا : إن أحداً من الناس تخيل خيال طائراً، ثم الطائراً التي تخيلها بذهنه أنتجت حصاناً محسوساً، فلو قال قائل ذلك، ل قيل له : هذا كذب وجنون .

فإن قيل : إن ما يتعلق بالعقل الأول، أو العقل الفعال أو نحوه، يختلف عما عليه الإنسان ل قيل له : من أخبرك بذلك ؟ هل اطلعت على تكون العقل الأول ومادته وفعله ، أم تخرصون و تخبطون ؟ لا شك أنهم يخرصون ويخبطون .

٤- إن العقل الأول لا يمكن بحال أن يوجد عنها ما يسمونه بالنفس أو غيرها؛ لأنها إن كانت من جنس العقل الأول، فقد نتج عندنا تكرار من الصنف نفسه، وإن كانت من غير جنسه فهي دعوى باطلة يرفضها الواقع؛ لأن العقل الأول عندهم ذو صفة واحدة وكيفية واحدة، فكيف ينتج عنه ما هو خلاف جنسه ؟ .

٥- إن ما نسبوا إليه الخلق والإيجاد هي أشياء عاجزة تماماً، فإن العقل الأول أو النفس أو مجموعهما أمور معنوية عاجزة، يدل على عجزها في دعواهم أنه لم يصدر عن كل واحد منها إلا شيء واحد، أو شيان أو ثلاثة أشياء، وهذا دليل عجزها وضعفها . وإذا نظرنا إلى

(١) العنكبوت الآية : ٦٥

الكون والمخلوقات الموجودة فيه وجدنا فيها ما هو أقوى وأقدر بكثير مما زعموا أنه أصلها ومادتها . ومعنى ذلك أنها أعظم من موجدها وخالقها فيما يزعمون ! .

٦- الإنسان وكذلك غيره من الحيوانات مكونة من شيئين : روح ومادة . أما الروح فلا نعلم كنهها ومادتها . وأما المادة الموجودة في هذه المخلوقات من الحيوانات وغيرها التي تحيط بنا، فإن لها مكونات لا نكاد نحصيها كثرة من تراب وماء وهواء ونار ونور وخشب ومعادن وحيوانات ... ولها تكوين آخر تتكون منه مثل : الدم والعصب والعظم، وكل نوع من هذه الأنواع مكون من مكونات عديدة كثيرة، لا يعلم عددها إلا الذي خلقها .

فكيف أمكن لما يسمونه العقل أو النفس أو هما معا أن يوجد تلك المكونات العديدة المتنوعة وهما فاقدان لهما ؟ وكيف أمكن لهما أن يوائما بينهما تلك الموائمة العجيبة التي تدل على علم وحكمة متناهية ؟ وكيف أمكن لهما الرعاية والعناية بالاستمرار حتى تحققت هذه النتائج الباهرة ؟ وهل يمكن أن تعزى هذه الأشياء الغريبة العجيبة المتناهية في العلم والحكمة إلى أمور معنوية قائمة في الأذهان، والتي ليس لها وجود في الخارج ؟

لا شك أن ذلك لا يمكن بداهة، بل وراء هذه المخلوقات خالق عظيم، مدبر عليم حكيم، له كل صفات الكمال والجلال، ولا بد أن يعزى إليه القدرة التامة على إيجاد كل موجود وتديره وتنظيم شؤون خلقه، وأن له القدرة المطلقة على إيجاد الأشياء من العدم المحض وتديرها والتصرف فيها .

يتبين مما سبق بطلان ما زعمت الفلاسفة ومن وافقهم من الإسماعيلية، وأن مزاعمهم لا تمت بصلة إلى العقل الذي يزعمون أنهم أربابه، كما لا تمت إلى الشرع الذي يزعمون أنهم ينتصرون له باستدلالهم العقلية، بل قولهم في غاية الفساد والبطلان، ولا يعدو عن كونه ظنا كاذبا وخيالا فاسدا وخرصا باطلا .

مناقشة عامة لأقوال الهندوس والإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة :

قد سبق ذكر بعض الوجوه الدالة على بطلان أقوالهم عند ذكرها، وهنا أذكر وجوها أخرى عامة، كلها تدل على بطلان أقوالهم جميعا، وهي كما يلي :

١- إن خلق آدم وحواء - عليهما السلام - من أمور الغيب لنا، وشأن الأمور المغيبة عن الإنسان أنه لا يستطيع أن يحكم عليها حكما صحيحا إلا بما وصل إليه من نقل

الثقات وخبر الصادقين، فإن الشيء إنما تدرك حقيقته بإحدى ثلاث : إما برؤيته ومشاهدته، وإما بمشاهدة مثله ونظيره، وإما بالخبر الصادق الثقة عنه ^(١).

والأول والثاني منتف في حق آدم وزوجه حواء عليهما السلام أما الأول فلأنه لم نشهد خلقهما. قال تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ ^(٢) . والذي لم يشهد الأمر لا يعلمه .

وأما الثاني فلأنه لا يوجد مثيل لخلقهما، فإن الله تعالى خلق الإنسان على أربعة أنواع متقابلة :

١- خلق أبا البشر آدم ﷺ من غير ذكر ولا أنثى .

٢- خلق حواء - عليها السلام - من ذكر بغير أنثى .

٣- خلق عيسى ﷺ من أنثى بغير ذكر .

٤- خلق عامة بني آدم من ذكر وأنثى ^(٣).

فالآن لا يوجد نظير لخلق الإنسان على النحو الذي خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام حتى يمكن معرفة خلقهما بمشاهدة نظيره .

فما بقي من طرق المعرفة الصحيحة عن أصل الإنسان إلا الطريق الثالث، وهو خبر الصادق عن ذلك، وقد أخبر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله أنه تعالى خلق الناس كلهم من نفس واحدة، وهو آدم ﷺ قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ^(٥) .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها؛ فالناس رجلان : بر تقي

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣/٣)؛ والقواعد المثلى (ص : ٢٧) .

(٢) الكهف الآية : ٥١

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥٥-٥٤/٤)؛ وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد (٥٦٦-٥٦٧)؛

وتفسير القرآن العظيم (٣٦٧/١) .

(٤) الحجرات الآية : ١٣

(٥) النساء الآية : ١

كریم على الله، وفاجر شقي هين على الله . والناس بنو آدم . وخلق الله آدم من تراب (١).
وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا؛ إنما هم
فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه؛ إن الله قد أذهب عنكم
عبية الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي . الناس كلهم بنو آدم . وآدم خلق من تراب (٢).
فالله تعالى خلق الناس كلهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، ثم بارك فيهما، وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء، وجعلهم شعوبا وقبائل، وربطهم بالصلة والرحم من النسب
والصهر فيما بينهم، هذا هو الحق الثابت عن أصل الإنسان من غير شك ولا مرية فيه؛ لأن
هذا خبر الخالق الذي خلقهم ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ (٣) ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ (٤).
فلا عبرة بما زعم هؤلاء من أن الناس خلقوا من أجزاء مختلفة من جسد برهما كما
زعم الهندوس أو خلقوا بواسطة العقل العاشر كما زعم الفلاسفة أو خلقوا بواسطة العقل
والنفس، وفي شكل المجموعات ؛ أي : مجموعة من الرجال أولا، ومجموعة من النساء
ثانيا، كما زعمت الإسماعيلية .

٢- إن ما قاله أصحاب هذه الأقوال مناقض ومعارض كل المعارضة لما أخبر الله تعالى به في
وحيه من كتابه وسنة نبيه ﷺ، وليس بإمكانهم أن يقيموا دليلا واحدا يشبثون به صحة مزاعمهم الباطلة،
فضلا أن يشبثوا بطلان ما أخبر الله به تعالى عن خلق آدم وحواء عليهما السلام (٥).

٣- أصحاب هذه الأقوال عطلوا الخالق عن خلقه ونفوا عنه أن يكون قد خلق
الإنسان بل العالم كله خلقا مباشرا، وإنما أبدعه تعالى في نظرهم بواسطة مخلوق غيره،
فالمخلوق هو الخالق المباشر، وبذلك وصفوا الخالق بالضعف والعجز والفقر إلى من

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٤) .

(٢) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(٣) النساء الآية : ٨٧

(٤) النساء الآية : ١٢٢

(٥) انظر : مقالا لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - بعنوان : " قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام
في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف " ، منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة
واللغة العربية وآدابها ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١هـ (ص : ٣٨٦) .

يساعده بل وصفوه تعالى بكل صفات النقص والذم؛ إذ جعلوه معزولا لا دور له في الخلق والإيجاد والتصرف والتدبير بعد وجود هذه الوسائط التي تم بها الخلق في زعمهم .

٤- ولما لم يؤمن هؤلاء بالخالق الواحد الصمد القادر على كل شيء نسبوا الخلق إلى غيره من المخلوقات، فتعدد الخالق لديهم؛ ولذلك تارة ينسبون الخلق إلى فرد من أفراد البشر، وأخرى إلى جماد من الجمادات كالكواكب والنجوم، وثالثة إلى معنى لا يقوم بنفسه كالعقل... ولم يكتفوا بهذا بل صبوا على ذلك المصنوع المخلوق كل معاني الإلهية وصفاتها من الرزق والتدبير والإحياء... ولا شك أن تعدد الإله يخالف العقل السليم؛ (فإنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما - مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياء والآخر إماتته - فلا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال : فإما أن يحصل مراد كل واحد منهما : وهذا ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين وذلك محال . وإما أن لا يحصل مراد كل واحد منهما : وهذا أيضا ممتنع؛ لأنه يلزم منه خلو الجسم من الحركة والسكون وهو ممتنع . كما يستلزم عجز كل واحد منهما، والعاجز لا يكون إلها . وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر : فيكون هذا القادر هو الإله، وأما الآخر العاجز المغلوب لا يصلح أن يكون إلها)^(١).

٥- إن الناظر في هذا الكون الفسيح يجد انسجاما تاما واتساقا عاما، لا تضاد ولا تنافر، وإنما هي مخلوقات رتب خلقها وإيجادها وجميع شؤونها، بحيث تدل على موجدتها الأحد الفرد الصمد، وهي توحى بحكمة عامة وغاية عظيمة في خلقها وإيجادها، فانظر الشمس والقمر والأرض... كيف رتب وجود كل منها ليقوم بوظيفته المحددة بكيفية محددة، وانظر إلى الزوجين الذكر والأنثى، كيف خلقهما الله تعالى لتحقيق الغاية والمهمة المنوطة بهما، وكيف جعلهما لباسا لهما، يكمل كل واحد منهما الآخر .

فهذا التكامل العجيب و الانسجام التام في هذا الكون الفسيح لا يمكن بحال أن تنسب إلى اثنين فضلا عن ثلاثة وأربعة، إلى غير ذلك من دعاوى أهل الضلال والانحراف والإلحاد^(٢).

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٢٨) .

(٢) انظر : مقال شيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - بعنوان : " قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في

توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف " (ص : ٣٨٥) .

٦- قد بين الله تعالى وحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله واستحقاقه بالألوهية والعبودية، ونفى الشراكة فيها لأحد غيره، ونهى عن اتخاذ إلهين، وبين بطلان تعدد الآلهة وفساده، وأمر باتخاذ إله واحد فرد صمد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . قال تعالى : ﴿ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُشْركون ﴾ * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ * أم اتخذوا من دونه آلهة قل ها توأبرهانكم ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ ^(٧) والآيات في هذا المعنى كثيرة . وهي تبين فساد تعدد الخالق وبطلانه، وتقرر تفرد الله تعالى بالخلق وصفات الخالق، وتبين ما يجب على المخلوق تجاه خالقه من توحيده وعبوديته، وهذا الذي يتفق مع العقل السليم والفكر المستقيم، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) يوسف الآية : ٣٩

(٢) الأنبياء الآيات : ٢١-٢٤

(٣) المؤمنون الآية : ٩١

(٤) النحل الآية : ٥١

(٥) الرعد الآية : ١٦

(٦) غافر الآية : ٦٢

(٧) الأنعام الآية : ١٠٢

المطلب الثاني : أصل الإنسان عند الدهريين والملاحدة الماديين المعاصرين وبيان بطلانه .

إن الملاحدة القدماء كانوا مشركين بالله تعالى، فكانوا يمنحون خصائص الألوهية والربوبية لغير الله تعالى، ولم يكن إنكار وجود الله تعالى بالكلية عندهم ظاهرة منتشرة متفشية إلا في القليل منهم، كأولئك الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ما لهم به من علم إن هم إلا يظنون ﴾^(١).

وقد رد الله عليهم مقالتهم بأن هذا صادر عن غير علم، وإنما هي ظنون وأوهام وتخيلات، وصدق الله العظيم؛ إذ كيف يكون الدهر الذي هو عبارة عن مرور الأيام والليالي مالكا لحياتهم ومماهم ؟ وكيف يمكن لعقل يحترم نفسه أن يسلم بأن السافل الناقص العاجز الأخرس الأبكم المجرد عن العقل والشعور والإدراك - وهذه صفات الدهر - يستطيع أن يتحكم في الأعلى القادر العاقل المتكلم الناطق المفكر - وهذه صفات الإنسان ؟ فإنه من المستحيل عقلا أن يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون، وأن يضع نظاما للأحياء من ليس بحجي في نفسه^(٢).

وأما الملاحدة المعاصرون فهم ينكرون وجود الله تعالى أصلا، ولكنهم يلبسون إنكارهم للخالق لباس العلم المادي!، فلا يؤمنون إلا بما تثبته علومهم المادية، ويقع تحت حسهم، ويخضع لتجارهم العملية . ويرفضون المفاهيم الدينية، والإيمان بالله، وما غاب عن حسهم بحجة أن العلم التجريبي يأبأها !! وهؤلاء لما أنكروا خالقهم الذي خلقهم تاهوا وضلوا ضلالا بعيدا، وأقوالهم الدالة على إنكار الخالق وجحده وتعطيله عن مخلوقه ونسبة الخلق إلى غيره كثيرة، وهنا أكتفي بذكر بعض أقوالهم الباطلة المتعلقة بأصل الإنسان الدالة على إنكارهم الخالق وجحدهم الرب تبارك وتعالى .

قال " داروين " : (نستطيع القول أن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الادعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل)^(٣). وقال

(١) الجاثية الآية : ٢٤

(٢) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢٨ و ٣١) .

(٣) نقلا من كتاب " دارون ونظرية التطور " (ص : ٢٠) .

أيضا : (إن مفصل الباب يومئ إلى صانعه الإنسان ، أما المفصل الحي فهو نتيجة للصدفة)^(١) .
وقال " برتراند راسل " : (ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير ، إن نشأته وحياته ... ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة)^(٢) .

وقد ألف " جوليان هكسلي " كتابا سماه : (Man Stands Alone) أي : الإنسان يقوم وحده ؛ أي : هكذا دون خالق^(٣) .

وكان " هيكل " قد بلغ به عماه في إلحاده وزندقته حتى كان يقول : (إنه لو أعطي ماء ، ومواد كيميوية ، ووقتا كافيا ، لاستطاع أن يخلق إنسانا)^(٤) .

فهذه جملة من أقوال الملاحدة عن أصل الإنسان ، وخلاصتها : أنهم يرون أن الإنسان لم يخلق من قبل خالق حكيم ، وإنما نشأته وحياته نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ، وأنه ليس هناك قصد وإرادة وتدبير أو حكمة وغاية وراء وجود الإنسان ونشأته .
إن هؤلاء الملاحدة لما أنكروا الخالق الذي خلقهم ونسوه عميت بصائرهم ، وزاغت قلوبهم ، وضلوا ، وتاهوا ، وتناقضوا ، وأتوا بما لا يقره العقل ، ولا يشهد له الواقع ، وتأباه الفطرة السليمة . والمتأمل في كلامهم يرى تناقضهم واضحا ؛ فعندما يذكر أحدهم أن مفصل أي باب بسيط يومئ إلى صانعه الإنسان ولكن المفصل الحي الذي يصفه بأنه مدهش لم يصنعه صانع حكيم عاقل . فهذا تناقض صارخ يندر أن يشاهد في دنيا العلم ، وهل يستطيع أن يقول عاقل بأن كوخا صغيرا لحارس لا بد أن بناء ماهر بناه ، ولكن أثرا معماريا فجما مثل القلعة الحمراء أو أهرام مصر لا يحتاج إلى أي بناء أو مهندس !^(٥) .

(١) نقلا من المصدر السابق (ص : ١١١) .

(٢) نقلا من كتاب : الله يتجلى في عصر العلم (المادية وحدها لا تكفي ، كتبه : أيرفينج وليام نو بلوتشي ص : ٥٧) ؛
وركائر الإيمان بين العقل والقلب (ص : ٤٤) ؛ و " في موكب النبیین " (٩٨ / ١) .

(٣) وقد انبرى له عالم آخر ، وهو " أ . كرسى موريسون " - الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيورك - وصنف كتابا سماه : (Man Does Not Stand Alone) ؛ أي : الإنسان لا يقوم وحده ، أي : إنه يقوم في هذه الدنيا ومعه الله . والكتاب مترجم إلى اللغة العربية ، ومطبوع باسم " العلم يدعو للإيمان " . انظر : كلمة المترجم : محمود صالح الفلكي (ص : ١٨) ؛ وكلمة المقدمة : أحمد زكي (ص : ٣٨) .

(٤) نقلا من كتاب " العلم يدعو للإيمان " (ص : ٤٥) .

(٥) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٢١) .

ولو أن هؤلاء الملاحدة فكروا في أنفسهم ونظروا في مبدأ خلقهم من نقطة إلى علة إلى مضغة... حتى صاروا بشرا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة؛ لاضطرهم هذا النظر وهذا الفكر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه .

فقد سئل أحد العقلاء المؤمنين بالله تعالى : بم عرفت ربك ؟ فقال : هذه النقطة التي يليها الفحل برحم الأتني، فيطورها الله من نقطة إلى علة إلى مضغة إلى آخر أطوارها؛ فيكون بشرا سويا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، له سمع يسمع به المسموعات، وبصر يبصر به، وعقل يهتدي به إلى مصالحه، ويدان يبطش بهما، ورجلان يمشي بهما، وله منافذ يدخل فيها ما يغذي البدن وينفعه، ومنافذ أخر يخرج منها ما يضره، ووضع كل عضو في موضعه اللائق به . فهذا كله دليل على وجود خالق حكيم عليم قادر على كل شيء^(١). قال الله تعالى : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

وأما الملاحدة فقد سئل أحدهم وهو " أوبارين " ^(٣) وهو من خلفاء داعية الإلحاد " أرنست هكل " : هل التفاعل الكيماوي في المادة قادر الآن على إيجاد الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الأولى بها ؟ فتلعثم هذا الملحد - ولعلمه في قرارة نفسه بأن هذا القول خرافة في خرافة، ومن المستحيل على أي إنسان تحقيقه - وقال : إن هذا لا يزال ممكنا ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا (يعني الأرض) .

ولا يخفى على العاقل ما في هذه الإجابة السخيفة من مراوغة وتنصل لأنه لو قال : إن ذلك ممكن على ظهر هذه الأرض لانتصب أمامه سؤال محرج للغاية يقول : لماذا لم تقوموا بتحقيق هذا الأمر الممكن ؟ وهكذا يتملص الملاحدة عندما يدعون إلى البرهنة على صحة مزاعمهم الإلحادية عمليا، ويظل السؤال قائما دون إجابة من " أوبارين " أو غيره من الملاحدة . أليس ذلك دليلا واضحا على سخف الملاحدة، وسفاهة عقولهم، وكذب

(١) انظر : الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (١/٥ / ٥٣٤-٥٣٥ و ٥٤١-٥٤٢) .

(٢) الذاريات الآية : ٢١

(٣) هو " ألكسندر ايفانو فيتش أوبارين " ، عالم سوفيتي طبيعي، وكان مدير معهد باخ للكيمياء الحيوية التابع لأكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي بموسكو، وكان رئيس الندوة الدولية التي عقدت للبحث عن " نشأة الحياة على الأرض " عام ١٩٥٧م.

انظر : تراث الإنسانية (١٧١-١٧٠/٢) .

دعائهم، وبعدهم عن العلم والأمانة والعقل ؟^(١).

فلو اجتمع الملاحدة كلهم من أول الزمان إلى آخره بل لو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم على إيجاد شخص واحد على هذا الوصف المحكم الغريب، وساعد بعضهم بعضاً لم يقدروا على ذلك، ولعجزت علومهم ومعارفهم وقدرهم عن ذلك، بل لا يستطيعون أن يخلقوا عضواً واحداً من أعضاء الإنسان أو خلية واحدة من خلاياه كما خلق الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾^(٢). فهؤلاء الملاحدة لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً واحداً الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها وأدناها، كما أخبر بذلك خالقهم الذي يعلم سرهم وجهرهم . ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة ؓ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة^(٤) أو ليخلقوا حبة أو شعيرة^(٥).
فهؤلاء الملاحدة فضلاً أن يخلقوا إنساناً أو جزءاً من أجزاء بدنه لا يستطيعون أن يخلقوا حشرة واحدة من ذبابة أو نملة فيها روح تتصرف بنفسها كما تتصرف النملة الصغيرة التي هي من خلق الله تعالى بل لا يستطيعون أن يخلقوا حبة حنطة أو شعير فيها طعم تؤكل، وترزع، وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى .
وهذا التعجيز والتحدي من الخالق الجبار سيظل قائماً إلى يوم القيامة، وليس بإمكان أحد من الملاحدة أو غيرهم من المخلوق أن يخلقوا كخلق الله تعالى^(٦)، أليس ذلك دليلاً

(١) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢٩ و ٣٤-٣٥) ؛ و " في مركب النبين " (٩٠ / ١) .

(٢) الحج الآية : ٧٧

(٣) الملك الآية : ١٤

(٤) الذرة : هي النملة الصغيرة . وقيل : هي النملة الحمراء، وهي من أصغر النمل . وقيل : هي ما ترفعه الريح من التراب . انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ١٦٧ ، النساء : ٤٠) .

(٥) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصفات : ٩٦] ٢٧٤٧/٦ ح :

٧١٢٠) ، واللفظ له ؛ و م (اللباس والزينة، ب : تحريم تصوير صورة الحيوان ١٦٧١/٣ ح : ٢١١١) .

(٦) انظر : شرح النروي لصحيح مسلم (٩١/١٤) .

واضحاً وبرهاناً ساطعاً على وجود الخالق وعظمته وكبريائه سبحانه وتعالى؟ ولكن الملاحظة، كما قال الله تعالى : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾^(١).

وإذا سئل أحدهم : من خلق هذه الذرات وهذه المادة التي تكون منها جسم الإنسان ؟ فإنهم يجيبون : إن العلم أثبت أنها وجدت دائماً منذ الأزل . فنحن نطرح عليهم سؤالاً لا بد من إجابته لإثبات هذا المدعى، وهو : أين الدليل العلمي التجريبي القاطع الذي يثبت صدق دعواكم أن هذه الذرات وهذه المادة كانت موجودة منذ الأزل ؟ وليس عندهم أي دليل علمي قاطع على ذلك^(٢).

فإن الأدلة العلمية تدل على أن الكون له بداية، يقول " إدوارد لوثر كيسيل " في معرض رده على القائلين بأزلية الكون : (ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام، وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هنالك عمليات كيميوية أو طبيعية، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد، وتوقف كل نشاط في الوجود، وهكذا توصلت العلوم - دون قصد - إلى أن لهذا الكون بداية، وهي بذلك تثبت وجود الله، لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه، ولا بد له من مبدئ أو من محرك أول، أو من خالق، هو الإله)^(٣).

فما لكم يا معشر الملاحدة تؤمنون بمثل هذه النظرية الباطلة، العارية عن الأدلة والبراهين، القائمة على الظنون الكاذبة والتخمينات الواهمة، ولا تؤمنون بالخالق المبدع العظيم مع أن آثار وجوده ظاهرة وباهرة ؟

(١) البقرة الآية : ١٧١

(٢) انظر : الشرك في القدم والحديث (٧٠١/١ - ٧٠٢) .

(٣) الله يتجلى في عصر العلم (فلننظر إلى الحقائق دون ملل أو تحيز، كتبه : إدوارد لوثر كيسيل، ص : ٣٣) .

ثم إن الناظر في هذا الكون بما فيه الإنسان إذا تأمل تأملاً صحيحاً أدرك أن وجود الكون لا بد أن يكون بواحدة من ثلاثة أمور، وهي :

١- أن توجد هذه المخلوقات بنفسها من غير محدث ولا خالق، فهذا محال ممتنع يجزم العقل ببطلانه ضرورة، ويعلم يقيناً أن من ظن ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير موجد ولا محدث .

٢- أن تكون هذه المخلوقات هي المحدثه لنفسها الخالقة لها، فهذا أيضاً محال ممتنع بضرورة العقل، فكل عاقل يجزم أن الشيء لا يحدث نفسه، وإذا بطل هذان القسمان عقلاً وفطرة تعين القسم الثالث .

٣- وهو أن هذه المخلوقات وما يجري في هذا الكون من الحوادث لها خالق خلقها ومحدث أحدثها، وهو الرب العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدير للأمور كلها .

ولهذا نبه الله تعالى على هذا التقسيم العقلي الواضح لكل عاقل فقال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ ^(١).

فالمخلوق لا بد له من خالق، والأثر لا بد له من مؤثر، والمحدث لا بد له من محدث، والموجد لا بد له من موجد، والمصنوع لا بد من صانع، والمفعول لا بد له من فاعل .

هذه قضايا بديهية جلية، يشترك في العلم بها جميع العقلاء، وهي من أعظم القضايا العقلية؛ فمن ارتاب فيها أو شك في دلالتها فقد برهن على اختلال عقله وضلاله ^(٢).

وأما الكلام عن القول بأن الذرات التي تكون منها الإنسان اجتمعت صدفة فوجد منها الإنسان بدون أي خطة سابقة، أو عمل حكيم

فهذا من الافتراءات الآثمة التي قال بها دعاة الإلحاد الغافلون عن الإبداع الرباني في جسم الإنسان، وما يحتوي عليه من حكم وأسرار، التي لا يمكن أن توجد صدفة، فهي من المسلمات التي اتفقت عليها الدلائل العلمية المادية والبراهين العقلية المنطقية، ويمكن ذكر

(١) الطور الآيتان : ٣٥-٣٦

(٢) انظر : الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٥٣٤/١/٥)، وانظر : الله يتجلى في عصر العلم (نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد ؟ كتبه : فرانك ألن ، ص : ١١-١٦) .

بعضها باختصار فيما يلي :

١- إن الأجهزة الآلية التي يستخدمها الإنسان، المعقدة منها والبسيطة، تحيل الدلائل العلمية المادية المستندة إلى الوسائل الإنسانية وجودها عن طريق المصادفة، فكيف يصح أن يقال في الإنسان الذي اخترع هذه الأجهزة وسخرها لخدمته أنه جاء عن طريق مصادفة عمياء من غير تصميم ولا إبداع ؟

٢- يقول علماء الخلية : إن عدد الخلايا في جسم الإنسان يبلغ إلى ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ستين ألف مليار خلية، وداخل كل خلية نظام فائق الدقة، وهي تشكل مجموعها حياة اجتماعية رائعة، وتعطي عن العلاقات الاجتماعية مثالا باهرا ...^(١)، وإن جزيئات D.N.A. الموجودة في خلية واحدة في جسم الإنسان تحتوي على معلومات بقدر موسوعة عملاقة مؤلفة من ستة وأربعين مجلدا يتألف كل مجلد من (١٢٠) ألف صفحة^(٢)، وإنما تملك تركيبا ليس أعقد فقط من أي محرك للطائرة، بل أعقد وأكمل من تركيب أي كومبيوتر موجود حاليا في العالم بدرجة لا تقبل القياس أو المقارنة^(٣).

وإذا كانت الأجهزة الآلية التي يستخدمها الإنسان، المعقدة منها والبسيطة، لم توجد أية منها عن طريق المصادفة بل جاءت عن طريق التصميم والإبداع^(٤) فهل من المعقول أن يأتي الإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية، وداخل كل خلية نظام فائق الدقة ... وهي أعقد وأكمل من أي مخترع آلي في العالم - عن طريق المصادفة المحضة ؟^(٥).

٣- إن خلايا أجسامنا وأجسام غيرنا من الحيوانات دائمة الانقسام في جميع ساعات الليل والنهار حتى في أثناء النوم، وذلك الانقسام قد يكون لنمو الجسم أو لتعويض ما يفقد أو يموت من الخلايا لأسباب عديدة، وكل خلية من هذه الخلايا تتكون أساسا من مادة عجيبة يطلق عليها اسم (البروتوبلازم) .

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٤٠-٤١) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٣٦ و ٣٨) .

(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٨) .

(٤) انظر : الله يتجلى في عصر العلم (التوافق بين العلوم . كتبه : واين أولت . ص : ١٣٨) .

(٥) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٤٠-٤١) .

وتوجد بداخل كل خلية محتويات عديدة ذات وظائف محددة، ومن هذه المحتويات أجسام دقيقة تحمل عوامل وراثية هي التي يطلق عليها اسم (الكروموسومات) . وعدد هذه الكروموسومات ثابت في خلايا كل نوع من أنواع الحيوانات والنباتات المختلفة، فعددها في خلايا القط - مثلاً - يختلف عن عددها في خلايا الكلب أو الفيل أو الأرنب أو نبات الجزر أو الفول . وفي كل خلية من الخلايا التي يتكون منها جسم الإنسان يوجد ستة وأربعون من هذه الكروموسومات . وعندما تنقسم الخلية إلى خليتين داخل أجسامنا، فإن كل خلية جديدة لا بد أن تحتوي على العدد نفسه من الكروموسومات؛ أي : ستة وأربعين كروموسوماً، إذ لو اختلف هذا العدد لما أصبح الإنسان إنساناً .

ولكن هناك نوعان من الخلايا يختلفان عن بقية الخلايا، وهما الخلايا التناسلية؛ أي : الحيوان المنوي في الذكر والبويضة في الأنثى، فعندما تنقسم خلايا الأنسجة لتكوين هذه الخلايا التناسلية فإنها تنتج خلايا لا تحتوي على الستة والأربعين كروموسوماً بل تحتوي على نصف هذا العدد ؛ أي : يصبح في كل خلية تناسلية ذكورية أو أنثوية ثلاثة وعشرون كروموسوماً فقط .

إن هذا لا يحدث سدى من غير حكمة، وإنما يحدث هذا لحكمة بالغة ولهدف عظيم، إذ أن الخلية الذكورية (الحيوان المنوي) لا بد أن تندمج مع الخلية الأنثوية (البويضة) لتكوين أول خلية في جسم الجنين، هي التي يطلق عليها اسم الخلية الملقحة . وبهذا الاندماج يعود عدد الكروموسومات في الخلية الجديدة إلى العدد الأصلي، وهو ستة وأربعون كروموسوماً .

وهذه الخلية الملقحة التي أصبحت تحتوي على ستة وأربعين كروموسوماً توالي انقسامها فتصبح خليتين ثم أربع خلايا ثم ثمان خلايا، وهكذا حتى يتم تكوين الجنين الذي يخرج من بطن أمه، ويستمر نموه عن طريق انقسام الخلايا حتى يصبح إنساناً كاملاً النمو في كل خلية من خلاياه ستة وأربعون كروموسوماً، كما هو الحال في خلايا جسد أبيه وأمه وأجداده وجميع أفراد الجنس البشري .

إن اختزال عدد الكروموسومات إلى النصف عند تكوين الخلايا التناسلية بالذات لكي تندمج فيعود العدد الأصلي (للكروموسومات) في الخلايا لا يمكن أن يكون نتيجة مصادفة عمياء، بل لا بد أن يكون نتيجة تخطيط دقيق من قوة عليا تعرف ما تفعل، وهي في الوقت نفسه لا يمكن أن تخضع للتجربة واحتمال الخطأ، إذ لو حدث خطأ مرة واحدة

عند بدء الخلق لقضى على الكائن الحي قبل تكوين الجيل الثاني؛ أي أن هذا الترتيب لا بد أن يكون قد تم منذ تكوين أول جنين ظهر في الوجود .

ألا يكفي هذا وحده دليلا على وجود قوة عليا مدبرة مقدره حكيمة ؟ بل لا يمكن أبدا أن يكون هذا المبدأ أو القانون الذي يسود جميع الكائنات الحية من صنع مصادفة عمياء تتخبط في الظلام؛ فإن المصادفة لا يمكن أن تتخذ مظهر قانون عام تخضع له جميع الكائنات^(١).

٤- ولقد حسب علماء الرياضيات بأن التريلايين من السنين لا تكفي لأن تجعل ممكن التصور بأن شيئا (أي : الخلية) على هذا التنسيق والروعة كان حصيلة الصدفة،^(٢) فالإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية وجوده عن طريق المصادفة المزعومة كم يستغرق من الوقت، هذا لا يمكن النطق به، والأرقام الرياضية عاجزة عن التعبير عنه .

٥- ولنضع الجسم الحي الذي يحتوي على تركيب معقد جدا، ولنأخذ مسألة ترتيب الأعداد من واحد إلى عشرة، ولنكتب هذه الأرقام على أوراق، ثم لنضع هذه الأوراق في كيس، وبعد خلط هذه الأوراق جيدا دعنا نحاول سحب ورقة واحد، إن احتمال ظهور رقم (١) هو بنسبة ١ : ١٠ ، أما احتمال ظهور الرقمين (١) و (٢) بالتسلسل فهو بنسبة ١ : ١٠٠ ؛ أي : (١٠ × ١٠ = ١٠٠)، واحتمال ظهور الأرقام (١ ، ٢ ، ٣) بالتتابع هو بنسبة ١ : ١٠٠٠ ؛ أي : (١٠ × ١٠ × ١٠ = ١٠٠٠)، واحتمال ظهور الأرقام من (١) إلى (١٠) بالتسلسل هو بنسبة ١ : ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ؛ أي : $10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 \times 10 = 10,000,000,000$ ؛ أي : بنسبة واحد إلى عشرة مليارات . ولو أجرينا عملية سحب الأوراق ليلا ونهارا بحيث نسحب ورقة كل خمس ثوان لاحتجنا إلى ألف وخمسمائة سنة (١٥٠٠ سنة) لكي يكون هناك احتمال لسحب هذه الأرقام بتسلسلها^(٣)، وعلى ذلك كم يستغرق بناء هذا

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٩٩-١٠٣) باختصار وتصرف، وهو استفاد من مقالة الدكتور يوسف عز الدين في جريدة الأهرام المصرية .

(٢) انظر : أيهما هو الصحيح : الخلق أم النشوء ؟ (ص : ٦٤-٦٥)، والتريلايون جمع مفردا تريليون وهو رقم مؤلف من واحد، وإلى يمينه ثمانية عشر صفرا . انظر : تعليق المترجم على المصدر المذكور .

(٣) انظر : داروين ونظرية التطور (ص : ٢٢-٢٣)؛ والعلم يدعو إلى الإيمان (ص : ٥١) .

الإنسان الحي العاقل... لو نشأ بالمصادفة والاتفاق، ولو حاسبنا ذلك بالطريقة نفسها ستتكاثر الأعداد بشكل هائل جدا ضد المصادفة، بحيث يصعب حسابه فضلا عن تصويره تصورا جيدا، ما يجعل هذا الاحتمال خياليا فقط .

فهذه نماذج قليلة من الأدلة والبراهين العلمية والعقلية والرياضية، وغيرها كثير، وكلها تدل دلالة واضحة على أن الإنسان لم يأت إلى الوجود عن طريق المصادفة، وأنه لم يظهر على هذه الأرض فجأة بدون خطة سابقة أو عمل حكيم بل هو مخلوق خلقه الله تعالى العليم الحكيم، فقد زوده بقوى محدودة بما يناسب حاجاته ومقتضياته، فليس في إمكانه أن يخلق إنسانا أو حيوانا أو حبة من شعير... بل هو مخلوق عاجز... وليس له أن يتعدى طوره، وإنما عليه أن يعرف قدره، وأن يشعر بما من به عليه ربه، وأن يقوم بما هو واجب عليه تجاه خالقه، فيعبده وحده تعالى، ويخلص له جميع أنواع العبودية من حمد وتسبيح وتكبير وصيام وصلاة ونسك ودعاء... وغيرها من العبادات التي أمر الله عباده أن يعبدوه بها، وهذه هي الحكمة من خلقهم، وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام عن الحكمة من خلق الجن والإنس^(١).

(١) انظر : (ص : ٢٧ - ٤٠) .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحظة وغيرهم وبيان بطلانه .

هناك من يزعم أن الإنسان لم يصل إلى صورته الحاضرة وشكله الحالي وعقله المعاصر إلا بعد سلسلة طويلة من التطور والارتقاء عبر الملايين من السنين، ولهم في ذلك أقوال مختلفة وآراء متباينة، وفيما يلي ذكر خلاصتها مع بيان بطلانها من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : دعوى الملاحظة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدنى الكائنات الحية في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة، وبيان بطلانها .

القول بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله قديم^(١)، والوقت الذي أثبت فيه هذه القضية لأول مرة يصعب تحديده بالضبط ولكن من الأقوال ما يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ فقد نقل عن بعض فلاسفة الإغريق أنهم كانوا يرون أن العالم الحي كان خاضعا لتحويلات، وقد قدموا عددا من الفرضيات عن تطور الحياة من الأنواع البسيطة إلى الأنواع المعقدة^(٢)، ومما نقل من تلك الأقوال ما قاله " انكسمندروس " (ولد سنة ٦١٠ قبل الميلاد) :
(إن نشأة المخلوقات الحية منسوب إلى تأثير الشمس في الأرض، وتميز العناصر المتجانسة بالحركة الدائمة، والأرض كانت في البدء طينية ورطبة أكثر مما هي الآن، فلما وقع فعل الشمس فارت العناصر الرطبة التي في جوفها، وخرجت منها على شكل فقاعات، فتولدت الحيوانات الأخرى، غير أنها كانت كثيفة ذات صور قبيحة غير منتظمة، وكانت مغطاة بقشرة غليظة تمنعها من التحرك والتناسل وحفظ الذات فكان لا بد من نشوء مخلوقات جديدة أو ازدياد فعل الشمس في الأرض لتوليد حيوانات منتظمة يمكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها، أما

(١) انظر : أيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٢٨-٢٩) .

(٢) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكذب المقدسة (ص : ٣٥) ؛ ومذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ٨) ؛ وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٤-٢٦٦) .

الإنسان فظهر بعد الحيوانات كلها ولم يخل من التقلبات التي طرأت عليها فخلق أول الأمر شنيع الصورة ناقص التركيب، وأخذ يتقلب إلى أن حصل على صورته الحاضرة (١).

فهذا الفيلسوف اليوناني يرى أن ظهور الحياة نتيجة لاختلاط العناصر بحرارة الشمس وأثرها فيها . وأن المخلوقات الحية - والإنسان منها - كلها تقلبت في صور من الارتقاء والنشوء حتى بلغت حالتها الحاضرة . فالادعاء بمحيي الأحياء بعضها عن بعض عن طريق التطور ادعاء قديم، وقد ردد نحو هذا القول أناس آخرون في أوقات مختلفة (٢)، ولكن هذه النظريات كلها لم تلبث طويلا، وذهبت أدراج الرياح .

وفي العصر الحديث قدم " جारلس روبرت داروين " (٣) نظرية التطور في ثوب جديد وتفصيل جديد، ووافق ذلك هوى في نفس ملاحدة العصور المتأخرة، فطاروا بها شرقا وغربا، جاعلين منها منطلقا للدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الدين، أشهروا بها عبر وسائل الإعلام المختلفة، حتى أصبحت هذه النظرية منوطة باسمه، فيقال لها : " نظرية داروين "، وأصبح ذلك الاسم المشهور لنظرية النشوء والارتقاء (٤).

قال " داروين " : (إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر حارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت) (٥) . وقال أيضا : (أو من بكل كياني أنه [أي : الإنسان] متطور من ذكاء أدنى الحيوانات في سلم التطور) (٦) .

-
- (١) نقلا من كتاب : أصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٤)؛ وأصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٣٧) .
 - (٢) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٦-١٧)؛ وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٦-٢٦٧) .
 - (٣) ولد " جارلس روبرت داروين " سنة ١٨٠٩م بانكثرة من أب طبيب، درس الطب ولم يكمله، ثم دخل كلية اليسوع في جامعة كمبرج، ثم ذهب في سفرة بحرية على متن سفينة " بيجل " إلى جنوب أمريكا وغيرها لمدة خمس سنوات، وقام بتدقيق أنواع الحيوانات التي صادفها، وتأثر بالبحث الذي نشره " توماس روبرت مالثوس " - المتخصص في الاقتصاد - حول التزايد السكاني وقلة الغذاء، وعند ما طبق داروين أفكار مالثوس هذه على مشاهداته توصل إلى فكرة الانتخاب الطبيعي، وأن هناك صراعا بين الكائنات الحية لأجل البقاء، والانتخاب الطبيعي يجري تأثيره بإزالة الضعفاء دون الأقوياء، وتبعاً لقانونه في الانتخاب الطبيعي رحل داروين من هذه الحياة سنة ١٨٨٢م . انظر : المنجد (الأعلام ص : ٢٣٨)؛ وراث الإنسانية (٩٧٣/٢-٩٧٧)؛ و دارون ونظرية التطور (ص : ١٧-١٩) .
 - (٤) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٩) .
 - (٥) نقلا من كتاب : في موكب النبين (٨٦/١)؛ وانظر : مصرع الدارونية (ص : ١٢٢) .
 - (٦) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١١٢) .

ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟

الذين قالوا بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله أكثرهم يرون أن الإنسان جاء عن طريق عملية التطور من الشرارة الأصلية للحياة، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه فكرة التطور كلها^(١).
وتفصيل ذلك كما يراها أصحابها أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة، تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت إلى هذه الأنواع المختلفة التي نراها، وعلى رأسها الإنسان .
وعلى هذا، فالإنسان عندهم بدأت حياته على ظهر الأرض بشكل جرثومة صغيرة، وتحولت إلى حيوان صغير، ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى إلى حياة حيوانية بدائية، فألى حيوانات أكبر فأكبر ريشة ومجنحة، ثم تحولت إلى ذوات فقرات، ثم ارتقت إلى حيوان أشبه بالإنسان، ثم كانت نهاية هذا التطور إنساناً أول : لا يعقل، ولا يدرك، ولا يتكلم، ثم إنساناً كاملاً، وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وإدراكه .
ويقولون : إن الحياة الأولى عند ما وجدت كان عليها أن تصارع من أجل البقاء، فهذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير، بين هذه الكائنات وبين عوامل الطبيعة وتقلبها وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض، وكان ذلك عبر آلاف القرون^(٢).

اختلاف التطوريين في تحديد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان

في زعمهم : اختلف القائلون بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله في تحديد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان، فمنهم من يرى أنه تطور من أصل بعيد منقرض مشترك بين القرد والإنسان، فهما فرعان انحدرتا من أصل واحد بعيد، ولكن الإنسان سار في مسار تطوري إلى الأعلى، وأما القردة فلم تستطع ذلك فبقيت على حالها. وعلى هذا القول لا يكون القرد جدًّا أعلى للتطوريين بل يكون ابن عم لهم بعيد .

(١) انظر : العلم يدعو إلى الإيمان (ص : ١٠٧) .

(٢) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢١-٢٢)؛ وفي موكب النبیین (٥٦/١) .

وعليه حمل " أحمد باشميل " مذهب " داروين " ^(١).

ومنهم من يرى أن الإنسان والقرد كان أخوين، وأن الإنسان لم يترق عن القرد، وإنما تردى هذا القرد من أوج الإنسانية إلى عالم الحيوانية، وعلى هذا القول يكون القرد العم الأعلى للتطوريين . وهذا الرأي ذهب إليه " شلفر " (المولود سنة ١٧٧٨ م) ^(٢).

ومنهم من يرى أن الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان هو القرد، دون تحديد نوع القرد، ومن هؤلاء من يفصل فيقول : إن النوع الإنساني انحدر من ثلاثة أنواع من القردة :

فالنوع الأبيض : انحدر إنسانه الأول من " الشمبازي "، وهو أرقى أنواع القردة، والإنسان الأسود : يرجع أصله إلى القرد المعروف باسم " الغوريلا "، وهو أحط أنواع القردة .

وأما الأقوام ذوو الأيدي الطويلة، والشعر الضارب إلى الحمرة، والجماجم البيضاء التي يساوي طولها عرضها فأصلهم من الأورانغ، وهو القرد الذي يلي الشمبازي في المرتبة ^(٣).

وعلى هذا القول يكون القرد هو الجد المباشر للتطوريين، وليس جد واحد من القرد بل لهم ثلاثة أجداد، ومن ثلاثة أنواع من القروء !!! .

والقول بتطور الإنسان من القرد هو الذي استقر عليه رأي غلاة التطوريين الماديين الملحدون ^(٤) كما صرح به كبارهم ^(٥)، ويظهر لي أن حمل مذهب داروين على هذا القول

أقرب لقوله : (المسافة بين القوى الفكرية لحيوان من أدنى الفقرات والقوى الفكرية لقرد من القردة العليا أكبر من المسافة بين القوى الفكرية في القرد وبينها في الإنسان) ^(٦).

ومنهم من يرى أن الإنسان متطور من حيوان ثدي حيث يقول : (لما ظهر الإنسان

(١) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٧) .

(٢) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٣/١ ، مادة : إنس)؛ والإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٧) .

(٣) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٧/١ ، مادة : إنس)؛ والإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٨ - ١٤٩) .

(٤) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٨) .

(٥) منهم : " لا مارك " و " كارل فوت " و " هكسلي " و " أرنست هيكل " و " روبرت ليرمان " و " لويس س . ب . ليكسي " وغيرهم . انظر : أقوالهم في كتاب " الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه " (ص : ١٢٥ - ١٢٦) .

(٦) نقلاً من كتاب " الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه " (ص : ١٢٥)، وهو نقل من كتاب " تاريخ الفلسفة الحديثة (ص : ٣٥٣) .

على وجه الأرض لم يكن بأكثر من حيواني ثدي، ولم يكن يختلف عن سائر الحيوانات العليا في النواحي التشريحية العامة، وإن كان يتميز ببعض الخواص القديمة والحديثة، وهي التي مهدت له السبيل إلى التطور والارتقاء . وهذا القول أعم من القول السابق، وقال به أحد المعاصرين التطوريين، وهو يوسف مصطفى الحاروني ^(١).

ومنهم من لا يحدد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمه ولكنه يدعو إلى الاحترام والتقدير لما جاء به دارون عن أصل الإنسان ^(٢) فيقول نحو قوله فيزعم أن الإنسان ارتقى في سلم التطور من أدنى الأحياء؛ أي البكتيريا ^(٣)، وبعد سلسلة من التطورات، وبعد عملية طويلة من التصفية والانتخاب انتهت بظهور الإنسان على تلك الصورة التي انفصل بها عن سائر الأحياء ^(٤) عبر ملايين السنين ^(٥). وهذا ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب .

ومنهم يزعم أن الإنسان لم يوجد كإنسان، وأنه تطور فيما بعد إلى ما هو عليه الآن، ولا يحدد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمه، ولكنه لا يقف عند هذا الحد كما وقف غيره من التطوريين بل هو لا يزال يتوقع مزيدا من التطور فيقول : (إن الإنسان لم يوجد كإنسان منذ بدأت الحياة ولكنه تطور فيما بعد إلى ما هو عليه الآن، وعلى أي حال لم يظهر كإنسان إلا بعد أن عجزت كل أشكال الحياة للكائنات الأخرى عن إيجاد أي جهاز بالغ التعقيد كالعقل البشري ... ويبدو أن الجنس الأبيض هو في الذروة في الوقت الحاضر . أفيأتي الزمان بالإنسان الممتاز " السوبرمان " الذي ينسل ذرية من نوعه تملأ الأرض على رجبها ؟) ^(٦) هذا ما زعمه " أ . كرسى موريسون " .

فهذه الأقوال المختلفة المتباينة من قبل التطوريين في تحديد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمهم إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن أصحابها ليسوا على شيء، وأنهم تائهون في بحار من الظنون والتخمينات، وأن أقوالهم مبنية على الوهم والتخيل، وأنهم

(١) العلم ومشكلات الإنسان (ص : ٧) .

(٢) انظر : " قصتا آدم و يوسف عليهما السلام " (ص : ٢٩) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٦) .

(٤) انظر : " قصتا آدم و يوسف عليهما السلام " (ص : ٣٥) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٦) .

(٦) العلم يدعو للإيمان (ص : ١٠٧ - ١١٠) .

عاجزون عن تحديد الأصل المباشر الذي يزعمون تطور الإنسان منه في ضوء العلم والعقل والحجة والبرهان ولكن مع ذلك نجدهم مصرين على القول بتطور الإنسان من مخلوق قبله .

ذكرهم كيفية عملية التطور وبيان بطلانها .

قالوا في كيفية عملية التطور : أن هناك ثلاث وسائل في إكمال عملية التطور، وهي كما يلي :

١- الانتخاب الطبيعي : زعموا أن هناك تنازعا للبقاء بين الكائنات الحية، وتقوم عوامل الفناء بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة، والإبقاء على الكائنات القوية، وذلك ما يسمى بزعمهم بقانون " البقاء للأصلح "، فيبقى القوي السليم الذي يورث صفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القوية مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في الكائن، وذلك هو " النشوء " الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى، وهكذا يستمر التطور وذلك هو الارتقاء^(١).

٢- الانتخاب الجنسي : وذلك بواسطة ميل الذكر والأنثى إلى التزوج بالأقوى والأصلح، فتورث بهذا صفات الأصلح، وتندعم صفات الحيوان الضعيف لعدم الميل إلى التزاوج بينه وبين غيره^(٢).

٣- كلما تكونت صفة جديدة، ورثت في النسل .^(٣)

تفنيد شرح داروين لعملية التطور :

أما القول بالانتخاب الطبيعي : بأن هناك صراعا مريرا بين الكائنات الحية لأجل البقاء، وأن هناك ناموسا أو قانونا يعمل على إفناء الكائنات الحية الضعيفة فلا يبقى إلا الأصلح الذي يورث صفاته لأبنائه فتتراكم الصفات القوية حتى تكون حيوانا جديدا . فهذا قول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- لو أن مجرد البقاء كان المطلب الوحيد للكائنات الحية الأولى، فإن نوعا من الحياة البدائية كاف للإيفاء بالغرض، وكان لها أن تقنع ببقائها هكذا مادامت هي حية، ولا داعي للتنازع على البقاء، ولا سيما في مثل هذه الحياة البدائية - بشكل جرثومة مثلا - لا يبرح لها المنافسة والمصارعة والتنازع لأجل الاستمرار والبقاء والنمو؛ فليس هناك ما

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

يستدعي ظهور نوع أقوى وفوزه بالبقاء دون غيره كما زعم الزاعمون^(١).

٢- إن الانتخاب الطبيعي -- على فرض التسليم المطلق له -- لا يفسر ولو من جانب بعيد أكثر الحقائق وضوحا فيما يتعلق بالعملية كلها، وهو اتجاه الكائنات الحية في سلم التطور نحو الأحسن والأرقى، فما الذي جعل الكائنات الحية تتجه نحو التطور والارتقاء ... دون التدهور والانحطاط إلى الأدنى؟ وكيف تسنى لهذا المفهوم الخالي من الحياة والشعور أن يبقى الصالح من الأحياء ويزيل الطالح، فيكون هو صاحب الكلمة النافذة على أقدار الأحياء؟ أليس من المستحيل عقلا أن يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون، وأن يضع نظاما للأحياء من ليس بحج في نفسه؟^(٢).

٤- إن فكرة الانتخاب الطبيعي تتعارض مع نظرية تطور الأحياء كلها من أصل واحد أو أصول قليلة؛ لأن علماء الأحياء أحصوا حتى الآن ما يقارب مليون نوع من الحيوانات وثلاثمائة ألف نوع من النباتات، ويعتقد أن العدد الحقيقي للأنواع هو ضعف هذا العدد^(٣)، فإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الموجودة بمختلف أنواعها بمنظار الانتخاب الطبيعي يلزم أن يكون عدد أنواع الأحياء في الماضي أضعاف أضعاف العدد الموجود حاليا، ليكون الناتج النهائي بعد عمليات الانتخاب الطبيعي والانقراض هذا العدد الحالي البالغ مليونين تقريبا كما يذكر عن علماء الأحياء^(٤)، وفي ذلك تناقض صريح لمن يقول بالانتخاب الطبيعي، ويرى أن البقاء للأصلح في معركة الصراع لأجل البقاء، مع دعواه انحدار الأحياء كلها من جرثومة واحدة أو جراثيم عديدة عن طريق التطور.

فالقول بالانتخاب الطبيعي نقطة ضعيفة جدا في نظرية التطور، وهي كافية لوحدها لنسف النظرية كلها ودحضها من أساسها.

ولسائل أن يسأل من حماة نظرية التطور وأنصارها: متى بدأ الانتخاب الطبيعي يعمل عمله بحيث يبقى الأقوياء ويزول الضعفاء؟ وكيف وصل عدد الأحياء بأنواعها إلى

(١) انظر: العلم في مواجهة المادية (ص: ١٣)؛ ومصرع الدارونية (ص: ٧٢).

(٢) انظر: العلم في مواجهة المادية (ص: ١٣ و ١٥)؛ ودارون ونظرية التطور (ص: ٢٥-٢٦).

(٣) انظر: دارون ونظرية التطور (ص: ٢٤).

(٤) انظر: دارون ونظرية التطور (ص: ٢٥)؛ وما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص: ٣٢).

هذا العدد الهائل إن كان هناك وجود للانتخاب الطبيعي ؟

٥- وليس بإمكانهم أن يأتوا بجواب صحيح مقنع لما ذكر؛ لأنه لا وجود في الحقيقة للانتخاب الطبيعي في صراع الحياة بحيث يبقى الأقوياء فقط، ويزول الضعفاء كلهم؛ لأننا نجد أن الحيوانات الدنيا البحرية منها والبرية هي باقية حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في الابتداء، ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء أو تعرضت لغضبة الانتخاب الطبيعي ففقدت الحياة وذهبت عن الوجود، بل الكون يعج بالأصلح والصالح من شتى أصناف الحيوانات من أدناها إلى أعلاها (١).

فلا يصح دعوى من زعم أن الأقوياء يتكيفون للحياة وبيقون، وأن الضعفاء يزولون نتيجة ضعفهم وعجزهم فلو كان قانون الاصطفاء والبقاء للأصلح صحيحا لم يكن هناك وجود للكائنات الحية الضعيفة .

٦- حقا هناك نظام وناموس وقانون ولكن هذا النظام وهذا القانون لا يقتصر عمله على إهلاك الكائنات الضعيفة فقط - كما زعم الزاعمون - بل يعمل على إهلاك الكائنات الحية جميعها قويا وضعيفا؛ لأن الله الخالق قدر الموت على كل حي مخلوق (٢).

٧- هناك نظام آخر يعمل بمقابلة هذا النظام، ذلك هو قانون التكافل على الحياة بين البيئة والكائن، لأن الله قدر الحياة فهياً أسبابها؛ فنجد الشمس والبحار والرياح والأمطار والنباتات والجانبيية كل هذه وغيرها تتعاون للإبقاء على حياة الإنسان وغيره من الحيوانات. فإذا كانت هناك سنة للهلاك فهناك سنة للحياة، ولكل دور في الحياة. فلماذا النظر إلى عوامل الفناء دون النظر إلى عوامل البقاء ؟ وهذا من أحد الأسباب التي أحدثت خللا في تفكيرهم، وسببت سوء فهمهم للحياة والأحياء والكون (٣).

٨- وإذا كانت الظروف الطبيعية : من رياح ورعد وحرارة وماء وعواصف وغيرها

(١) انظر : قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن (ص : ١٨٧)، وينظر أيضا : داروين ونظرية التطور (ص :

٢٦-٢٧ كلام البروفيسور Etienne Rabaud ، مدير معهد علوم الحياة في جامعة باريس)، وما أصل

الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٣٨ و ٥٠-٥٣)؛ وكبرى اليقينيّات الكونية (ص : ٢٦٠) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢-٨٣)؛ وما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٤٨-٤٩) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٣)؛ وكبرى اليقينيّات الكونية (ص : ٢٦٠-٢٦١) .

قادرة - بإذن الله وتقديره - على تشويه الخلق أو تدمير صنعة كطمس عين أو تهدم بناء، فإنه من غير المعقول أن تقدر هذه الظروف الطبيعية الميتة الجامدة والبليدة أن تنشئ عينا لمن لا يملك عينا أو تصلح بناء فيه نقص^(١).

٨ - إن العقل يقبل أن تكون الظروف الطبيعية - بإذن الله وتقديره - صالحة لإحداث الخراب والهلاك، لكنه من غير المعقول أن تكون هذه الظروف صالحة لتفسير الخلق البديع والتصوير والتكوين المنظم المتقن . إن أي عضو من أعضاء الكائنات الحية قد رسم بإتقان، وكون بنظام، ورتبت أجزاؤه بحكمة بالغة محكمة، ونسق عمله مع غيره في غاية الإبداع، ومن المحال أن ينسب ذلك الإتقان والنظام البديع إلى خبط الظروف الطبيعية العشوائية^(٢).

٩ - إن الانتخاب الطبيعي - على فرض التسليم المطلق له - إنما يفسر بقاء الأقوى ولكنه لا يستطيع تفسير وجوده أصلا .^(٣) وقد يتضح ذلك بالمثال الآتي :

توضيح عملية الانتخاب الطبيعي بمثال :

إن رمينا إلى حوض ماء سمكة وقطة وطائرا، فإن القطة والطائر سوف يموتان غرقا بعد دقائق، وتبقى السمكة وحدها حية؛ أي : أن " الانتخاب الطبيعي " نفذ حكمه، فأبقى على " الصالحين "، ونحى وأبعد " غير الصالحين " ^(٤).

فقد يرى من لا يعرف شيئا عن أسلوب العمل في عالمنا في هذا الإيضاح شيئا موافقا للعقل، ولكن يجب أن لا يغيب عن بالنا أنه لكي نعطي " الانتخاب الطبيعي " هذه الفرصة لإجراء حكمه، فلا بد من وجود حوض ماء وسمكة وقطة وطائر، فكما نحتاج إلى بحر لكي تسير السفينة فيه، فكذلك يحتاج " الانتخاب الطبيعي " - إن كان هناك شيء اسمه " الانتخاب الطبيعي " - إلى عالم للأحياء لكي يعمل عمله فيه^(٥)، ولكن السؤال : كيف ظهرت الأحياء إلى عالم الوجود بأنواعها المختلفة إذا كانت كلها منحدره من أصل واحد ؟ لأن فكرة الانتخاب الطبيعي لا

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٩) .

(٤) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٣) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٤) .

يتحقق دورها ولا يمكن لها أن يعمل عملها إلا بعد وجود عالم من الأحياء . فعلى القائلين بنظرية التطور أن يبينوا كيفية تنوع الأحياء - مع ما فيها من الفروق - من أصل واحد وإلا ستبقى قلعة نظرية التطور أي : الانتخاب الطبيعي قلعة معلقة في الهواء من غير قاعدة ولا أساس .

الطفرة هي قاعدة الانتخاب الطبيعي :

لما رأى القائلون بنظرية التطور أن فكرة الانتخاب الطبيعي هي كقلعة معلقة في الهواء، وأنه لا بد لها من قاعدة، بدؤوا يبحثون عنها، وأخيرا اكتشفوا لها قاعدة غير مبنية على أساس ثابت، كما سيأتي بيانه، وتلك القاعدة التي اكتشفوها هي ما يسمى بفكرة " الطفرة " .

فقالوا : الفروقات بين الكائنات الحية حصلت نتيجة للطفرات، والطفرات هي التغيرات التي تحصل عن طريق الخطأ أو الصدفة في شفرات D.N.A الموجودة في الكروموسومات الناقلة للصفات الوراثية، فإذا تعرضت إلى الأشعة الكونية أو إلى أشعة اكس أو إلى الحرارة، تغيرت جزئيات D.N.A، وبنتيجة هذا التغير وتراكم المفيد منه تظهر فروق مهمة في التركيب البنيوي الذي يؤدي في الأجيال القادمة إلى ظهور أنواع جديدة من الأحياء^(١).

ولكن هذه القاعدة المزعومة لم يزد في قلعته الموهومة إلا وهنا على وهن؛ فإنها ليست إلا ترقيعا اصطناعيا استعمل لسد رتوق نظرية التطور الكثيرة، ولكن هذا الترقيع الاصطناعي لا يستطيع سد فجوات النظرية ورتوقها، بل هو يبين ضعف النظرية وشدة افتقارها إلى الأدلة، وأن أصحابها يلهثون وراء الأدلة الواهية التي لا قيمة لها في ميزان العلم، فهم كالظمان يجري وراء السراب يحسبه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئا، وذلك لأننا عندما نضع " فكرة الطفرة " أمام أشعة العقل والعلم يظهر لنا أن أية نظرية تستند على مثل هذه الفكرة يكون مصيرها الإخفاق والإفلاس . وبيان ذلك من وجوه، وفيما يلي ذكر بعضها :

أولا : ليس من دليل على الإطلاق على حدوث الطفرة - بالمفهوم الذي يقدمه التطوريون - أو حتى إمكانية حدوثها^(٢).

ثانيا : لقد ثبت بالبحوث العلمية أن التغيرات العشوائية الحاصلة في شفرات الوراثة -

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٧-٨٨ و ص : ٩٩)؛ وكبرى اليقينيات الكونية (ص : ٢٦٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٩٢) .

والتي يطلقون عليها اسم الطفرات - لا تؤدي إلى تكامل وتحسن الكائن الحي، بل تضره وتؤدي به إلى العجز، وإلى الموت^(١).

قال الدكتور/ وولتر إدوارد لا ميرنس - أخصائي علم الوراثة - : الطفرات قليلة الحدوث، وهي على قلتها تعتبر الأساس المادي الذي يبني عليه علماء التطور تفسيرهم لظاهرة التطور، ولكن هل يمكن أن تكون الطفرات حقيقة وسيلة التطور؟ إن الدراسة الطويلة المتصلة لهذه الطفرات في كثير من الكائنات تدل على أن الغالبية العظمى من الطفرات تكون من النوع المميت، أما الأنواع غير المميتة منها فإن التغيرات المصاحبة لها تكون من النوع الذي يؤدي إلى التشويه أو على الأقل من النوع الذي يضعف من قوة الفرد؛ فمن الصعب إذن أن يؤدي تجمع هذه الطفرات الوراثية إلى التغيرات اللازمة لنشأة أنواع جديدة تعتبر أكثر تقدما ورقيا من أسلافها. أھـ باختصار وتصرف^(٢).

وقال أيضا : قد تؤدي الطفرة في بعض الحالات النادرة إلى تحسين صفة من الصفات ولكن اجتماع هذه الصفة مع بعض الصفات الأخرى التي تطرأ عليها يؤدي إلى تكوين كائن أقصر عمرا و أقل قدرة على الحياة ولكن دعنا نسلم جدلا بحدوث طفرات نادرة تصحبها تحسينات تبلغ ١ ٪ فكم تحتاج مثل هذه الطفرات من الأجيال لكي يتراكم ويظهر أثرها و ينتج عنها نوع جديد ؟

لقد أوضح " باتو " في كتاب (التحليل الرياضي لنظرية التطور) أن تعميم صفة من الصفات عن طريق الطفرة في سلالة من السلالات لا يمكن أن يستغرق أقل من مليون جيل من الأجيال المتتالية؛ وحتى لو سلمنا بقدوم الأحقاب الجيولوجية كما يقدرها الجيولوجيون فمن الصعب أن نتصور كيف أن حيوانا حديثا نسبيا مثل الحصان قد نشأ من سلفه الذي كان عدد الأصابع في قدمه خمسة، في الفترة من العصر الفجري (الايوسيني) الحديث حتى الآن أھـ بتصرف^(٣).

ثالثا : إن الطفرة لا تستطيع أبدا إنشاء عضو غير موجود أصلا، فلكي يتحول حيوان زاحف إلى حيوان طائر، لا بد أن تتغير أعضاؤه الداخلية، وبشكل كبير ومعقد (نظام الدورة

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٣) .

(٢) انظر : مقاله بعنوان " ما وعاه ابن صاحب البستان " ضمن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم (ص : ٧٦-٧٧) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٧٧) .

الدموية، نظام التنفس، شكل العظام... الخ) ولا يكفي هذا؛ إذ يجب ظهور أعضاء جديدة لم يكن يملكها سابقا مثل : الأجنحة والريش والمنقار ... الخ فكيف تستطيع الطفرة تأمين هذه الحاجات ؟ وكيف تستطيع تعيين شكل هذه الأجنحة والريش والمنقار ؟ وكيف تستطيع تخطيط كيفية عمل هذه الأعضاء الجديدة ؟ وكيف تعمل على نماذج غير موجودة لديها ؟^(١)

رابعاً : المعلومات الجديدة التي أمكن الحصول عليها عن الإنسان تبين بطلان هذا القول : يقول علماء الخلية أن عدد الخلايا في جسم الإنسان يبلغ إلى ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ستين ألف مليار خلية^(٢)، وأن جزيئات D.N.A. الموجودة في خلية واحدة في جسم الإنسان تحتوي على معلومات بقدر موسوعة عملاقة مؤلفة من ستة وأربعين مجلدا يتألف كل مجلد من (١٢٠) ألف صفحة^(٣).

ثم إن التغيرات التي قد يتحملها الجسم الإنساني حسب حسابات العالم الياباني " موتو كيمورا " يجب حصول تبدل كل بضعة سنين في جزيئة واحدة في الإنسان، وأما حسب حسابات عالم الوراثة الانكليزي الشهير " جون بوردون ساندرسن هالدين (١٨٩٢-١٩٦٤م) فإن نسل الإنسان يستطيع تحمل تغيير مقداره جزيئة واحدة كل ألف سنة، وإن أي تغيير أسرع سيؤدي إلى انقراض النوع الإنساني^(٤).

بينما نظرية التطور تحتاج لإثبات صحتها إلى تغييرات وطفرات أسرع من هذا بكثير، ولو فرضنا المستحيل ... وأن الطفرات تعمل بالشكل الذي يقول به التطوريون، فمعنى هذا أنه لا يسعنا إلا إعطاء إجازة قسرية للانتخاب الطبيعي لمئات الملايين من السنين لكي تتحقق نظرية التطور^(٥).

خامساً : ما هو أساس الطفرة وكيف يحدث ؟

فقد أرجع التطوريون حدوث هذه الطفرات إلى الخطأ أو إلى الصدفة^(٦)، ولكن

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٠) .

(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٣٦ و ٣٨) .

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ١٠٢) .

(٥) انظر : أيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٥٣) .

(٦) انظر : الإنسان في القرآن الكريم للعقاد (ص : ١١٤) .

حدوثها عن طريق الخطأ أو الصدفة، ثم اتجاهها نحو التحسن والارتقاء أمر لا يستسيغه العقل السليم ولا يشهد له الواقع المشاهد .

حدوث الخطأ في العمل لا يزيد في إتقانه .

إذا حدث خطأ في عمل ما؛ فإنه من المحتمل إلى حد كبير أن يفسد العمل أو يتضرر به على أقل تقدير ولكنه لا يزيد في إتقانه وإحكامه؛ ولذلك لم يشاهد حتى الآن أن الأخطاء المطبعية في كتاب مطبوع أدت إلى تكامل ذلك الكتاب وارتفاع مستواه، كما لم يشاهد أن خطأ في صنع الطائرة أدى إلى تحسن نوعية الطائرة ورفع مستواها بل قد تسقط الطائرة بسبب مسمار أو صامولة واحدة فيها خلل^(١).

ودعنا نتخيل بأننا قمنا بإمطار إحدى الطائرات وابلا من الرصاص بواسطة رشاشة أتوماتيكية، فإذا كان محرك الطائرة قد أصيب برصاصة أو برصاصتين فإنه من المحتمل أن تسقط هذه الطائرة، ولكن نظرية التطور تتوقع عكس هذه النتيجة ... إذ تتوقع أن يتحسن محرك الطائرة فتصبح من النوع التي تفوق سرعتها سرعة الصوت (Super Sonic)^(٢).

وأما حدوث الطفرة عن طريق الصدفة في جزئيات D.N.A. التي تملك تركيباً أعقد وأكمل من تركيب أي كومبيوتر موجود حالياً في العالم، ثم اتجاهها نحو الأحسن والأرقى ... فهو أمر غير ممكن الوقوع كما تقدم بيان بطلان ذلك في ضوء الأدلة والبراهين العلمية والعقلية ، وأن الأرقام الرياضية تعجز عن التعبير عن الوقت الذي يستغرق حصول خلية واحدة عن طريق الصدفة^(٣) فكيف بالإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية؟ وهنا أضيف إلى ما تقدم مثالا واحدا يبين استحالة تطور الإنسان عن طريق الصدفة .

وهي مسألة تراصف حروف كلمة (نظرية التطور) :

لنضع الجسم الحي الذي يحتوي على تركيب معقد جدا جانبا، ونأخذ مسألة تراصف

حروف كلمة : (نظرية التطور) عن طريق الصدفة .

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٨) .

(٣) انظر : (ص : ٢٢٨-٢٣٢) .

فلنكتب على قصاصات الورق الحروف من الألف إلى الياء، ولنجلب آلة طباعة عليها الحروف الأبجدية فقط (من دون الإشارات والأرقام)، ولنجلس أمامها قردا (وهو من الحيوانات الراقية في نظرية التطور)، ولتصور أن القرد سيضرب على هذه الحروف عشوائيا، فما هو احتمال ظهور " نظرية التطور " عن طريق الصدفة ؟

إن عبارة " نظرية التطور " تحتوي على (١١) حرفا، وبما أن هذه الحروف هي من بين الحروف الأبجدية البالغة (٢٨) حرفا، فإن احتمال ظهور حرف النون هو بنسبة ١ : ٢٨، واحتمال ظهور حرفين (النون والظاء) بالتسلسل هو بنسبة ١ : $28 \times 28 = 784$ ، واحتمال ظهور الأحرف : (النون والظاء والراء) بالتسلسل هو بنسبة ١ : $28 \times 28 \times 28 = 21952$ ، وهكذا... ظهور كلمة : نظرية التطور عن طريق الصدفة هو بنسبة (١ : ٢٨) أي رقم واحد إلى رقم هائل جدا، يتألف من ضرب العدد (٢٨) في نفسه إحدى عشرة مرة، ولكي تتصور مدي ضخامة هذا الرقم نقول بأنه يساوي تقريبا عدد الثواني التي مضت اعتبارا من خلق الكون حتى الآن، أي : لو كان القرد يضرب على هذه الآلة الطباعة مرة كل ثانية من قبل خمسة عشر مليار سنة حتى الآن لكان هناك احتمال أن تظهر عبارة " نظرية التطور " بعامل الصدفة^(١). وبهذا يتبين أن حدوث الطفرة الذي بنوه على أساس الخطأ أو الصدفة أساس باطل، ولذلك يمكن تصوير نظرية التطور كقمة قلعة معلقة في الهواء. فهذه النظرية أنشأت قمة هذه القلعة المسماة بـ " الانتخاب الطبيعي "، ثم اكتشف أنه لا بد من قاعدة تحت هذه القمة، وهكذا طرحت فكرة الطفرة، وأخير جاء دور إنشاء الأساس، وذلك عن طريق الصدفة^(٢)، وقد تقدم بيان بطلان كل من الصدفة والطفرة و الانتخاب الطبيعي في ضوء البراهين والأدلة العلمية والعقلية، وبه يعلم بطلان هذه النظرية واختيارها من أساسها .

فهذا غيض من فيض من ثغرات نظرية التطور وأوجه بطلانها فيما يتعلق بفكرة

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٢٣-٢٤) . وانظر : أمثلة أخرى بين بها العلماء استحالة وجود الإنسان والكون عن طريق المصادفة في المصدر السابق (ص : ٢٢-٢٣)؛ والعلم يدعو للإيمان (ص : ٥١ و ص : ١٩٣-١٩٦)؛ والله يتحلى في عصر العلم (مقال بعنوان : نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد . كبه : فرانك ألن . ص : ١٥-١٦)؛ وفي موكب النبیین (١/ ٨٠-٨١)؛ والإسلام يتحدى (ص : ٧٢-٧٥)؛ ومصرع الدارونية (ص : ٩٠-٩٣)؛ والعقيدة في الله (ص : ٧٣-٧٤)؛ وعقيدة المسلم محمد الغزالي (ص : ١٦-١٩) .

(٢) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٤) .

الانتخاب الطبيعي، وقاعدتها المزعومة الموسومة بالطفرة، وأساسها الموهوم أي الخطأ أو الصدفة. ومع ذلك نجد من التطوريين من يعتقد بها، و يقول بتطور الكائنات الحية تحت إشرافها، فلنستمع الآن إلى شرح " داروين " (واطع هذا الصنم) كيفية تحول عضو من شكل لآخر تحت إشراف الانتخاب الطبيعي :

شرح داروين كيفية تحول عضو من شكل لآخر وبيان بطلانه :

قال داروين : (قد يصعب على الكثيرين الاعتقاد بأن عضوا كالعين وصل إلى أقصى درجات الكمال بواسطة الانتخاب الطبيعي، ولكننا إن أحطنا علما بسلسلة المراحل الطويلة التي يمر بها أي عضو، والتي تؤدي كل مرحلة منها وظيفة مفيدة للكائن، فإن وصول هذا العضو إلى أية درجة من درجات الكمال لا يكون مستحيلا، لنأخذ مثلا خياشيم السمكة، فمن الواضح أن هذه الخياشيم تطورت وتحولت إلى عضو الرئة في الحيوانات البرية التي تنفس الهواء . ولا بد أن هذا العضو اضطر لفترة ما إلى القيام بوظيفتين مختلفتين في الوقت نفسه، حتى تيسر له الاختصاص في إحدهما، كما أن قيام عضوين مختلفين عن بعضهما تمام الاختلاف بإيفاء نفس الوظيفة، وقيام أحد العضوين بمساعدة العضو الآخر عند تطوره وتكامله يعد من الأسباب التي سهلت في أحيان كثيرة المراحل الانتقالية في التطور)^(١).

هكذا ... وبهذه البساطة يعتقد " داروين " أنه استطاع أن يشرح كيفية تحول عضو من شكل إلى آخر تحت إشراف الانتخاب الطبيعي ولكن العلم المعاصر يرفض هذا الشرح وهذا التفسير، بل يعتبره مضحكا .

فكما يصعب على الإنسان الاعتقاد بأن سيارة تسير بالبترين قد تحولت نتيجة سلسلة حوادث المرور إلى سيارة تعمل بالغاز السائل، وأنها في فترة من فترات التحول كانت تسير بالبترين وبالغاز معا من باب الاحتياط !!

كذلك يصعب عليه تصديق كل هذه الحكايات حول خروج الأحياء من الماء إلى اليابسة، فإن قليلا من العلم وقليلا من التفكير يكفيان لرؤية كيف أن اللوحة التي تقدمها نظرية التطور في حاجة إلى عقل وشعور خارقين .

(١) أصل الأنواع (ص : ٢٣١-٢٣٢) نقلا من المصدر السابق (ص : ١٠٥-١٠٦) .

ويمثل هنا بمثال واحد، فمثلا قبل كل شيء يحتاج جهاز التنفس لكي يتعرض لمثل هذا التبدل والتحول إلى تعيين هدف أمامه ... وهذا الهدف هنا هو (الخروج من الماء إلى اليابسة)، فمن الذي يعطي هذا القرار ويعين هذا الهدف ؟ أهو الكائن نفسه ؟ أهى جزئيات جسمه ؟ أهو الماء ؟ أهو الهواء ؟ .

ثم يجب تعيين الخطوات اللازمة للوصول إلى هذا الهدف، ووضع خطة تحتوي على تفاصيل كثيرة جدا تشتمل أجهزة الجسم كله، فمن الذي يضع هذه الخطة ؟ أهو الكائن الحي ؟ أهى ذرات جسمه ؟ أم الهواء ؟ .

ثم يجب الأخذ بنظر الاعتبار جميع العوائق والمشاكل التي قد تظهر أثناء خطوات التقدم نحو الهدف، أخذ التدابير والاحتياطات اللازمة تجاهها، وإدراج جميع هذه التدابير في الخطة بشكل مناسب، بحيث لا تتعارض مع الخط العام للخطة . فمن الذي يرى المشاكل والعوائق والصعوبات قبل أوانها، ويفكر بالتدابير اللازمة فيؤمن التنسيق بين الأعضاء ؟ .

ثم تأتي مرحلة التنفيذ، والتطوريون يرون أنها تتحقق نتيجة ملايين الحوادث التي تصيب شفرات الجينات . والغريب أن هذه الحوادث تكون وكأنها مرتبة ضمن خطة معينة!! ثم إن حادثة معينة تأتي لتكمل " التقدم " الذي حققته الحادثة السابقة، ولتدفع خطوة أخرى إلى الأمام، ولستقرب الكائن خطوة أخرى نحو الهدف !! وهكذا يتخلص هذا الكائن من قبضة الانتخاب الطبيعي (الذي يجول في الدنيا في أكل ساعة من ليل ونهار دون أن يحس به أحد)^(١).

وأخيرا، وبعملية تشبه عملية تحول دراجة أطفال ذات ثلاث عجلات إلى طائرة فانتوم إثر تعرضها لسلسلة من الحوادث العشوائية !! تظهر أمامنا المعجزة وتكامل .

ثم إنه من الغريب جدا، أن لا يؤدي عبث الصدفة بشفرات الجينات إلى كوارث، وقد يفسر عدم فهم داروين ومغاصريه هذا الأمر إلى قلة معلوماتهم. أما الإصرار ممن جاء بعدهم عليه، فلا يفسر إلا بالعناد والتعصب. ذلك لأن مد يد العبث إليها أو تدخل الصدفة لا تؤدي إلا إلى كارثة .

واليوم يحاول الذكاء الإنساني — وليست الصدفة — أن ينفذ إلى أعماق علوم الجينات

(١) انظر : أصل الأنواع (ص : ١٣٣) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٠٤) .

بدراسات شاقة، فمن المستحيل قبول الادعاء بأن الصدفة والانتخاب الطبيعي استطاعا القيام بكل هذه الألغاز التي استعصى حلها على الذكاء الإنساني بالرغم من جميع الجهود المبذولة في هذا المجال، ومن المستحيل قبول هذا الادعاء وإن بذلت المحاولات لوضع قناع العلم عليه^(١).

وأما القول بالانتخاب الجنسي : الذي يكون به الميل في التناسل بين الأفراد القوية مما سبب اندثار الأفراد الضعاف، وبقاء الأقوى :

فيقال : إن ذلك ليس دليلا على حدوث تطور في النوع، بل يفهم منه بقاء النوع القوي من نفس النوع الذي اندثر الضعيف منه، فلا يفهم أن الباقي القوي أصبح نوعا راقيا متطورا غير النوع الضعيف الذي اندثر وذهب .

ثم إنه ليس بصحيح أن الصفات الحسنة في فرد من الأفراد تنتقل بواسطة الوراثة، فمثلا : الحداد القوي العضلات لا تنتقل قوة عضلاته إلى ذريته كما أن العالم الغزير العلم لا ينتقل علمه بالوراثة إلى أبنائه^(٢).

أما القول الأخير في شرحه لعملية التطور بأنه كلما تكونت صفة جديدة ورثت في النسل : فيقال في الجواب عليه : إن القول بحدوث النشوء لبعض الخصائص والصفات العارضة ثم توريتها في النسل فذلك ما يرفضه علم الوراثة الحديث؛ فكل صفة لا تكمن في الناسلة، ولا تحتويها صبغة من صبغاتها؛ فهي صفة عارضة لا تنتقل إلى الذرية بالوراثة^(٣).

كما أن وحدات الوراثة بأنواعها المختلفة تحتفظ بخصائص نوعها، وتحتم على الكائن الحي البقاء في دائرة النوع الذي نشأ منه وعدم الخروج منها. فلا يتطور الكائن الحي إلى نوع جديد؛ فالقط أصله قط، وسيظل قطا بإذن الله على توالي القرون، وكذلك الكلب والثور والحصان والقرود والإنسان . فالكل لهم أصلهم الخاص بهم، وسيبقون في دائرة أصلهم الذي نشئوا منه بإذن الله تعالى^(٤).

ومع مخالفة علم الوراثة لنظرية داروين فإن التجربة تنقض هذا القول؛ فهاهم اليهود

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٠٦-١٠٩)

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والإنسان في القرآن الكريم (ص : ٧٨) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٢٨٠٩/٥ ، السجدة : ٧) .

والمسلمون من بعدهم يحتنون أبناءهم ولكن ذلك كله لم يسبب أن ولد أطفالهم بعد مرور
السنين مختونين، ^(١) وهكذا ، فكلما تقدم العلم أثبت بطلان نظرية " داروين " .

أدلتهم على تطور الإنسان من مخلوق آخر قبله وبيان بطلانها :

وقد استدلل القائلون بتطور الإنسان على ما ذهبوا إليه بما يلي :

دليلهم الأول : الحفريات الأرضية : تعتمد النظرية على أساس ما شوهد في زمن "

داروين " من الحفريات الأرضية؛ فقد وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية،
وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى . فقال " داروين " : إن تلك
الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الحيوانات والكائنات الأولى . ^(٢) ثم
وجد الداروينية من هذه الحفريات ما يسمونه " إنسان بليداون " بجمجمة إنسان وفك قرد ^(٣) .

ولكن اعتماد هذه النظرية على الحفريات واستدلالها بما على تطور الإنسان من

مخلوق آخر باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- نقص علم الحفريات : فإن علم الحفريات لا يزال ناقصا، فلا يدعي أحد أنه أكمل التقيب

في جميع طبقات الأرض وتحت الجبال والبحار، فلم يجد شيئا جديدا ينقض المقررات ^(٤) .

٢- عدم توفر أسباب حفظ هذه الحفريات في حالتها الأصلية : إن الشروط

الواجب توفرها لحفظ عظام الحفريات وجماجمها التي يستدلون بها غير متوفرة، فوجودها
حتى الآن مصونة الأنسجة والأعضاء بحالة صحيحة مع مضي الملايين من الأعوام والسنين
عليها - كما زعموا - أمر تعج حوله كثير من الشكوك والشبهات فكيف يصح
الاستدلال بما ليس بثابت بل هو بنفسه يحتاج إلى الإثبات ؟ ^(٥) .

٣- علم الحفريات في تغير فلا يمكن الاعتماد عليه كدليل قطعي : إن الحفريات في زمن

دارون كانت تقول : إن أقدم عمر للإنسان هو ستمائة ألف سنة ولكن الاكتشافات الجديدة في علم

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٥)؛ وانظر : أمثلة أخرى من هذا النوع في كتاب : الإنسان في القرآن الكريم (ص : ٧٥ ، ١٠٢) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٧٩-٨٠) .

(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١١٦-١١٩) .

(٤) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٥) انظر : مصرع الدارونية (ص : ٤٣) .

الحفريات قد قدرت أن عمر الإنسان يصل إلى عشرة ملايين من السنين، فكيف يعتمد لإثبات شيء على شيء لا يثبت بل هو ما زال في احتمال التغير، فقد ينكشف في الغد غير هذا ؟ ^(١).

٤-٦ - سر العقل عند الإنسان ليس كبير حجم الدماغ : التطوريون كثيرا ما يستدلون بسعة الجمجمة الحفرية وفراغها على سعة العقل وقدرة التفكير وعلو الذكاء، فيقولون : أن الإنسان في البداية لم يكن قادرا على التفكير، وكانت جمجمته صغيرة، فلما كبرت جمجمته بمرور الأيام ازداد عقله، وأصبح قادا على التفكير واختراع الآلات واستخدامها ... ^(٢) ولكن الاستدلال بسعة الجمجمة وفراغها على قوة الذكاء والعقل والفهم استدلال غير سليم؛ فإن وزن الدماغ ليس مقياسا للذكاء وإلا لكان الفيل الذي يحتوي دماغه على ٥٠٠٠ سم لكان أذكى من الإنسان ^(٣).

ثم من أهم الحفريات التي يتعلق بها أصحاب التطور " الإنسان النياندرتالي " الذي كان يعيش قبل ١٠٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠٠ سنة على خلاف بينهم في مزاعمهم، ويعدونه من الموجة الثالثة من موجات تطور الإنسان ^(٤)، ويذكرون أن جمجمته كان يبلغ حجمها ١٣٠٠-١٦٠٠ سم ^(٥).

ويذكرون أن الإنسان الهوموسابيتر (Homo Sapiens) أي : الإنسان بشكله الحالي الذي يعدونه من الموجة الرابعة والأخيرة من موجات تطور الإنسان في زعمهم، ويقولون : إن حجم فراغ جمجمته انخفض، وحجمها المتوسط ١٣٠٠ سم ^(٦).

فهل يعتبر " الإنسان النياندرتالي " الذي هو من الموجة الثالثة من موجات التطور أرقى من " الإنسان الهومو سابيتر " الذي هو من الموجة الرابعة عندهم على حد اصطلاحهم ؟
بينما يذكر في كتاب علم الحيوان أن حجم جمجمة الإنسان الطبيعي ١٤٨٠ سم للرجال، و ١٣٠٠ سم للنساء، و يبلغ وزن دماغ الرجل ١٣٥٠ جراما، و يبلغ وزن دماغ المرأة ١٢١٠

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨١)؛ و في موكب النبيين (٦٢/١ - ٦٣) .

(٢) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٢-١٠٧) .

(٣) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٨٠) .

(٤) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٥) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ١٠٦)؛ و " في موكب النبيين " (٦١/١) .

(٦) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٧) .

جرامات . وأن أصغر وزن لدماغ بشري طبيعي مهما كان عرقه ١٠٢٥ جراما . فلو اعتبرنا بالقياس للنسبة بين الوزن والحجم للإنسان لبلغ الحجم ٩٤٠ سم . فهل يعتبر الإنسان النياندرتالي شخصا دون مرتبة الإنسان الحالية وهو يبلغ أكثر من الحجم الأخير بكثير ؟^(١) .

٧- لو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب أن توجد الحيوانات العليا دائما في أعلى طبقات الأرض، وأن لا يوجد منها شيء في طبقاتها السفلى، كما يجب أن لا توجد الحيوانات الدنيا في الطبقات العليا ولكن الأمر ليس كذلك؛ فقد وجدت الآثار من طوائف الأحياء الكبرى، الدنيا منها والعليا في أسفل طبقات الأرض، كما وجدت الحيوانات الدنيا فوق الحيوانات العالية في طبقات الأرض، فهذا ينقض دعوى تطور الحيوانات العليا من الحيوانات الدنيا استدلالا بحفريات الأرض^(٢) .

٨- وجود الكائنات الأولى البدائية في بعض طبقات الأرض أولا ثم الأرقى ليس دليلا على تطور الكائنات الراقية من الكائنات الدنيا بل هو دليل على ترتيب وجود هذه الكائنات فقط عند ملائمة البيئة لوجودها على أي صورة كان هذا الوجود^(٣) .

٩- الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم تعارض فرضية التطور : فقد قام العالم السويسري " جوهانس هورذمر " بإجراء الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم، فأثبتت له معارضتها لفرضية التطور، فأعلن في ١٠ مارس ١٩٥٦ أنه لا يوجد دليل واحد من الألف على أن الإنسان من سلالة القرود . وأنه يعيش منفردا وبعيدا عن القرود منذ عشرة ملايين سنة^(٤)، و أيده آخرون كما سيأتي .

وقال " فيركو " - من علماء الحفريات - في كتابه " النوع الإنساني " : (يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الأنثروبولوجيا السابقة على التاريخ، تجعل القرابة المزعومة بين الإنسان والقرود تبعد عن الاحتمال شيئا فشيئا . فإذا درسنا الإنسان الحفري في العهد الرابع، وهو الذي يجب أن يكون أقرب إلى أسلافه

(١) انظر : في موكب النبيين (٦١/١) .

(٢) انظر : قصة الإيمان (ص : ١٨٧)؛ وأيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٧٤-٤٨) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨١) .

(٤) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٧٨) .

نجد إنسانا مشابها لنا كل الشبه، فإن جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعا محترما للغاية، وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبرها الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثلهم، فإذا قابلنا مجموع الرجال الحفريين الذين نعرفهم بما نراه في أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصي الحلقة بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين، ولا أتجاسر أن أفترض في اكتشافاتنا الحفرية، فلم نصادف غير أصحاب القرائح السامية من أهل العهد الرابع، ومهما كان الأمر فيجب أن أقول : لم توجد قط جمجمة قرد تقرب من جمجمة إنسان (١).

والمتابع لكلام هذا العالم يعرف عدة أمور :

- أ - كلما كان التقدم في العلم فإن احتمال تطور الإنسان عن الحيوان يبعد شيئا فشيئا .
ب - أن الإنسان القديم كان بحالة أحسن مما نحن عليه الآن، وهذا عكس ما تريد أن تقرره نظرية النشوء والارتقاء بل هذا موافق لما جاء في الأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ أن آدم خلق وطوله ستون ذراعا ولم يزل الخلق يتناقص حتى الآن (٢).
ج - أن بعض الاكتشافات الحفرية ليس يبعد أن تكون لغير الأصحاء من المرضى والمصابين بكوارث .

١٠- عظام الحفريات وجماجمها الدالة على عدم اكتماله أصحابها لا يعني بالتأكيد أن الناس كلهم في ذلك الزمان كانوا ناقصي التكوين : فقد يكون النقص في التكوين والتركيب راجعا إلى عاهة أو مرض رافق أصحاب هذه العظام كما يدل عليه كلام الأستاذ " فيركو " أو قد تكون لإنسان معاصر أصيب بمرض كما ذكر العالم " أب كاروزينيا " عن جمجمة " الإنسان النياندر تالي " حيث قال : (وقد أثار العثور على هذه الجمجمة نقاشا حادا بين علماء الحفريات حيث اعتبرها البعض جمجمة الإنسان القديم، بينما اعتقد البعض أنها جمجمة إنسان معاصر كان قد أصيب بمرض) . (٣) ومثل هذه الأمور الشاذة تحدث حتى اليوم (٤).

(١) نقلا من كتاب : في موكب النبیین (٦٨-٦٩) .

(٢) انظر : الأحاديث الدالة على ذلك في (ص : ١٥٩-١٦٠) .

(٣) نقلا من كتاب : في موكب النبیین (٦٠/١) .

(٤) انظر : مثالا لذلك ذكره محمد أحمد باشملي في كتابه : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٨٨) .

١١- السلسلة التي تغطيها الحفريات منقطعة غير متصلة : قال " أنتوني ستادن " في كتابه " العلم بقرة مقدسة " : (إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول : إن جزءا كبيرا من السلسلة مفقود، وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها)^(١).

قال العلامة " ليكون دينوي " في كتابه مصير البشرية : (إن التطور يبدو لنا ك فيلم سينمائي غير تام . فهناك أجزاء عديدة مفقودة ولا نعرف عنه سوى مرحلته الحاضرة، وبعض مقاطع من الماضي نحاول الربط بينها قدر استطاعتنا)^(٢).

وقال الدكتور " حليم عطية سوريال " في كتابه " تصدع مذهب دارون " : (إن الحلقات المفقودة ناقصة بين طبقات الأحياء، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونه فحسب، فلا توجد حلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الوحيدة والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة، ولا بين الحيوانات الرخوة، ولا بين المفصليّة، ولا بين الحيوانات اللافقرية، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور، ولا بين الزواحف والحيوانات الثديية)^(٣).

قالت منيرة علي الغاياتي : (إننا في حاجة إلى ملايين الحلقات ل نربط بين الإنسان وبين أي نوع من القرد، ومما يبعث على الحيرة أكثر أن نقطة بداية الحياة في هذه السلسلة مفقودة !)^(٤).

١٢- الحفريات المتعلقة بتطور الإنسان دخلها الغش والتزوير^(٥) : مثلا : ادعاءهم أنهم عثروا على " إنسان بلتداون " بجمجمة إنسان وفك قرد، وهذا يدل على أن الإنسان تطور من القرد، وأن " إنسان بلتداون " صورة من صور الحلقات المفقودة في عملية التطور . فهذه قضية مزيفة وقد دخلها من الكذب والغش والخيانة والتزوير شيء كثير؛ لأن هذه العظام لا تعود إلى كائن واحد بل إلى عدة كائنات . ولذلك قال " فرانز ويدنريج " سنة ١٩٤٠م ؛ أي بعد ثلاثين سنة تقريبا من اكتشاف هذه العظام : (يجب حذف

(١) نقلا من كتاب : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٤) .

(٢) نقلا من كتاب : مصرع الدارونية (ص : ٤٤) .

(٣) نقلا من كتاب : العقيدة في الله (ص : ٨١)؛ وكتاب : الإنسان في القرآن الكريم (ص : ١١٨) .

(٤) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٤-١٥) .

(٥) راجع للاطلاع على أمثلة كثيرة للتزوير في الحفريات من قبل أنصار النظرية وكشف العلماء عن تزويرها

وتزييفها كتاب : النظريات العلمية ونظرية التطور (ص : ٩) .

إنسان بـلـتـداون من سجلات المتحجرات؛ لأنه ليس إلا عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك قرد الأورانج ووضع أسنان في هذه الفك بشكل اصطناعي (١).

وفي سنة ١٩٤٩م قام " كنيث أوكلي " وزملاؤه بعدة تجارب على عظام " إنسان بـلـتـداون " فأظهرت التجارب أنها ليست قديمة بالدرجة المتصورة سابقا، وأن العظام دفنت في منطقة " بـلـتـداون " في زمن قريب جدا ... في عصرنا الحالي، وأن البقع الموجودة عليها لم تكن ناتجة عن بقائها مدة طويلة مدفونة في التراب بل إنها أحدثت بشكل اصطناعي للإيهام بأنهما تعود إلى أزمان غابرة جدا، وليس هذا فحسب، بل تبين أن الأسنان المغروسة في عظم الفك بردت بمبردة للتموية وللإيهام بأنها تأكلت على مر الزمن، وكانت علامات البرد ظاهرة لكل عين متفحصة، وأخيرا أعلنت النتيجة في تشرين الثاني سنة ١٩٥٣م، وكانت كما يلي :

(إن " إنسان بـلـتـداون " ليس إلا قضية تزوير وخداع، تمت بمهارة، ومن قبل أناس محترفين؛ فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات، والأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي، وركبت على عظام الفك، وظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتموية وإعطاء شكل تاريخ قديم لها) (٢).

دليلهم الثاني : تشابه الأجنة : تعتمد النظرية على ما كان معروفا في زمن " داروين " من تشابه أجنة الحيوانات في أدوارها الأولى، فهو يوحى بأن أصل الكائنات واحد، كما أن الجنين واحد، وحدث التطور على الأرض كما يحدث في أرحام الكائنات الحية (٣).

ولكن الاستدلال بتشابه الجنين البشري بأجنة الحيوانات - كما زعموا - على اشتراك سلف الإنسان والحيوانات، وأنهما من أصل واحد استلال غير صحيح. وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- القول بتشابه الجنين البشري بأجنة الحيوانات خطأ كبير : وقد وقع فيه بعض

(١) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٢٠) .

(٢) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٢٤) وانظر تفصيله في المصدر السابق : (ص : ١١٥-١٢٦)؛

ومصرع الدارونية (ص : ٦٠-٦١) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

العلماء، نتيجة لعدم تقدم الآلات المكبرة التي تبين التفاصيل الدقيقة التي تختلف فيها أجنة الحيوانات بعضها عن بعض في التكوين والتركيب والترتيب^(١).

٢- الجنين البشري يختلف عن أجنة الحيوانات من عدة أوجه : لما تقدمت الآلات المكبرة في العصر الحاضر بينت هذه الآلات تفاصيل دقيقة بين أجنة الحيوانات، وظهر أنه لا تشابه بين أجنة الحيوانات أبداً، وأن أجنة الإنسان تختلف عن أجنة الحيوانات من عدة جوانب^(٢).

٣- الذين رسموا صور الأجنة وقالوا بتشابهها خانوا وزوروا في الرسم : إن "أرنست هيكل"^(٣) الذي وضع صور الأجنة المتشابهة قام بالتزييف والتزوير في التصوير. وقد اعترف بتزويره في هذه الصور بعد انتقاد علماء الأجنة له وأعلن : أنه اضطر إلى تكملة الشبه في نحو ثمانية في المائة من صور الأجنة لنقص الرسم المنقول^(٤).

وليس هيكل هو الرجل الوحيد الذي قام بالتزوير في تصوير الأجنة وإيهام التماثل بين الجنين البشري والحيواني دعماً لنظرية التطور بل هناك مئات من رجال العلم شاركوه في هذه الجريمة، فقد قال هيكل بعد اعترافه بالتزوير : (يعزيني أن أرى بجاني في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في التجارب العلمية وغيرهم من علماء الأحياء (البيولوجيا)؛ فإن كثيراً من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة المنتشرة والمعول عليها مزور مثل تزويري تماماً لا يختلف عنه في شيء)^(٥).

٤- التشابه الخارجي لا يدل على التماثل الباطني : فقد يوجد الشبه بين شيء وآخر من حيث المظهر، ويكون في باطنهما من التفاوت ما الله به عليم؛ فجميع أنواع البيض تبدو متشابهة في مظهرها الخارجي ولكن فيها من الاختلاف الكيميائي الحيوي ما هو أبلغ

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٢) .

(٢) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٧٨) فقد ذكر المؤلف الفوارق المهمة بين أجنة الحيوانات بالرسم والصورة المأخوذة من الآلات المكبرة .

(٣) هو بيولوجي ألماني، صاحب مذهب التحول وتطور الأجنة، توفي سنة ١٩٥٦ م . انظر : المنجد (ص : ٦٠٦) .

(٤) انظر : مصرع الدارونية (ص : ٦٠)؛ ومذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣)؛ وفي مركب النبيين

(١٠٥/١)؛ ودارون ونظرية التطور (ص : ٧-٨)؛ والعقيدة في الله (ص : ٨٢)؛ والإنسان في القرآن الكريم (ص : ٩٤) .

(٥) نقلاً من كتاب : مصرع الدارونية (ص : ٦٠)، وانظر : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣) .

بكثير من التشابه الخارجي .

فلا يصح الاستدلال بتشابه الجنين البشري - على فرض التشابه المطلق - بأجنة الحيوانات في الظاهر على وحدة الأصل بين الإنسان والحيوانات ^(١).

دليلهم الثالث : الأعضاء الأثرية : يعتقد النشويون أن بعض أعضاء الإنسان تمثل بقايا أعضاء كانت ضرورية لأسلافه ولكنها مع الزمن أصبحت عديمة الضرورة بالنسبة له، ومن تلك الأعضاء التي يسمونها الأعضاء الأثرية ويستدلون بها لنظريتهم- وجود الزائدات الدودية في الإنسان التي هي المساعد في هضم النبات، وليس لها الآن عمل في الإنسان - كما زعموا - فهذا مما يوحي بأنها أثر بقي من القرد لم يتطور؛ لأنها تقوم بدورها في حياة القرد الآن ^(٢).

ولكن الاستدلال بوجود الزائدة الدودية على نظرية تطور الإنسان من القرد ونحوه من الحيوان استدلال غير سليم وبيان ذلك من وجوه :

١- لا يخلو جزء من أجزاء جسم الإنسان من فائدة : كان يعتقد النشويون أن الأعضاء الأثرية في الإنسان يبلغ عددها إلى مائة وثمانين عضوا ولكن هذا العدد ظل يتناقص مع تزايد المعرفة، والآن بعض النشويين بدؤوا يعترفون بأن ما كانوا يسمونه بقايا أعضاء ليس من بينها عضو واحد بلا فائدة أو غرض . قال " البروفيسر أ . س . جورديتش " من جامعة أكسفورد : (من حماقة القول بأن أي جزء من جسم الإنسان لا فائدة له) ^(٣).

٢- وجود الزائدة الدودية في الإنسان ليس دليلا على تطوره من القرد : إن وجود الزائدة الدودية في الإنسان كعضو أثري - على فرض التسليم له - فليس ذلك دليلا قاطعا على أن الإنسان تطور من القرد بل قد يكون سبب وجودها عند الإنسان وراثته لها من الإنسان الجد الذي كان اعتماده على النباتات، فخلقت لمساعدته في هضم تلك النباتات ^(٤).

٣- الزائدة الدودية لها وظيفة في جسم الإنسان : القول بأن الزائدة الدودية ليست لها وظيفة حاليا في جسم الإنسان قول غير صحيح؛ فقد أثبت الطب الحديث أنها ذات

(١) انظر : في موكب النبيين (١٠٥/١) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٣) نقلا من كتاب : مذهب النشوء و الارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١١-١٢) .

(٤) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢) .

وظيفة في جسم الإنسان، فهي جهاز لمفاوي مناعي في البطن كغيره من أجهزة المناعة في جسم الإنسان، ولذلك تدعى باسم (لوزات البطن) .^(١) والعلم كل يوم إلى الازدياد؛ فقد يكشف لنا أن لها حقيقة ووظائف أخرى لا تزال غائبة عنا حتى اليوم^(٢).

٤- وجود الأعضاء الأثرية في جسم الإنسان لا يدل على تطوره وارتقائه بل هو دليل على تدهوره وانحطاطه : فإنه لو كانت ثمة أعضاء أثرية في جسم الإنسان وليس لها وظيفة الآن، فهذا لا يدل على ارتقاء الإنسان وتطوره، وإنما يدل على انحطاط الإنسان وتدهوره لتعطل بعض أعضائه التي كانت تقوم بوظيفتها من قبل، وهذا عكس ما يريده القائلون بالتطور، فهم إذا أرادوا أن يعززوا نظريتهم عليهم أن يثبتوا ظهور أعضاء جديدة في الإنسان وليس اختفاء أعضاء كانت موجودة من قبل^(٣).

دليلهم الرابع : وجود التشابه في البناء الجسمي الظاهري وفي بعض السلوك بين الإنسان والكائنات الحية الراقية ولا سيما منها القرد .

ولكن وجود التشابه بين الإنسان وبين بعض الكائنات الحية الأخرى في البناء الجسمي والهيكل الخارجي لا يستلزم منه أن الإنسان تطور من ذلك الحيوان، وتوضيح ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- وجود التشابه في البناء الجسمي لدى الكائنات الحية وفي بعض سلوكهم الخارجي فهذا لا يقتضي النسب بينها، ولا ينفي خروج كل نوع من بداية خاصة : فقد تكون هناك بدايات متعددة : بداية تطورت إلى نباتات، وبداية تطورت إلى فرع الحيوانات كالاسفنج مثلاً، وبداية أخرى خرج منها فرع آخر كالأسماك، وبداية خرج منها الإنسان، وبذلك يكون للإنسان جد منفصل، ويكون لكل نوع جد خاص به . فالتشابه التشريحي في الأنواع لا ينفي خروج كل نوع من بداية خاصة، ولا يلزم أن يكون بينها نسب مشترك^(٤).

(١) انظر : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص : ٣٢٩، في الهامش)؛ وأيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء ؟ (ص : ٦٤) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢) .

(٣) انظر : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٢) .

(٤) انظر : مصرع الدارونية (ص : ٥٠)؛ وكواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص : ٣٣٠) .

قال العالم البيولوجي " أوستن كلارك " : (لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره . إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة . لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن)^(١).

وقال " أ. كرسى موريسون " : (الإنسان ... تكوينه يشبه تكوين فصائل السيميا ولكن هذا الشبه الهيكلي ليس بالضرورة برهانا على أننا من نسل أسلاف سيمائية " من القروء " أو أن تلك القروء هي ذرية منحطة للإنسان، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن سمك القد قد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها، ويأكل الطعام نفسه، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة. وإنما يعني ذلك ببساطة أنه في وقت ما عند بداية التكيف كانت هناك ضرورة متوازنة لتنظيم كل من النوعين)^(٢).

٢- وأما ما يذكرونه من وجود التشابه في الجينات بين القرد والإنسان، وبالتالي يحكمون على توحد أصلهما فهذا حكم اعتباطي؛ لأنه من الممكن أن نصل إلى نفس النوع من القوائم بمقارنة الخنزير والكلب والفأر... لأننا سنجد - ولا شك - كثيرا من نقاط الالتقاء بينهما^(٣) .

٣- ليس من الغرابة أن تتشابه الأحياء في البناء الجسمي فإنها متشابهة في قوانين الحياة العامة : فعلى سبيل المثال يلزم في الحيوانات التي تتنفس وجود الحويصلات الرئوية كما تتطلب التغذية وجود قناة هضمية وما يلحق بها من غدد، كما أن التخلص من النواتج المضرة يتطلب وجود الكلى ... ويلزم بالضرورة أن تكون متشابهة في تركيبها الظاهري^(٤) ولكن من الغرابة أن لا تتشابه هذه الأحياء مع كونها محكومة بنظام موحد من الله سبحانه وتعالى^(٥)، ويتضح ذلك بالوجه التالي .

٤- الفرق بين الإنسان وبين غيره من الأحياء كبير : فالإنسان في أول ولادته يكون في

(١) نقلا من كتاب : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣) .

(٢) العلم يدعو للإيمان (ص : ١٤٤) .

(٣) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٢١) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٥) انظر : الإنسان ووجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٨١) .

غاية من الضعف عقلا وجسدا، لا يقدر على مشي، ولا جلوس بنفسه، ولا أدنى حركة جسدية تكون منتظمة، وهو في غاية البلادة والبله، لا يدري ما هو محيط به، ولا يعرف الأرض من السماء، ولا النار من الماء، فلا يتجنب مؤذيا، ولا يختار نافعا حتى لا يدري كيف يأخذ ثدي أمه، ثم بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه - بتوفيق من الله تعالى - يترقى في القوة والإدراك شيئا فشيئا حتى يبلغ في القوة والذكاء إلى درجة لم تكن منتظرة منه فيما لو قيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها أقوى منه حالا جسدا وإدراكا^(١).

بين الإنسان والقرد :

ولنترك الحيوانات الأخرى جانبا، ولنأخذ القرد الذي يزعم التطوريون أن الإنسان تطور منه أو أن هناك نسبا مشتركا بينهما، وأنهما يرجعان إلى أصل واحد؛ فلنقارن بينهما مقارنة في ضوء العلم الحديث والواقع لتبين صحة ما ذهب إليه التطوريون أو بطلانه . فلو افترضنا جدلا وجود مشابهة تعطي الظن باشتراك الإنسان والقرد في أصل واحد أو أن الإنسان متطور من القرد... فلماذا يوجد فرق رهيب بين سلسلة تطور القرد الطفل وسلسلة تطور الطفل الإنسان ؟ فالعلم والعقل والملاحظة البحتة تثبت أن البون شاسع جدا بين الإنسان والقرد في مرحلة الطفولة .

فالإنسان الطفل يولد عاجزا من الناحيتين البدنية والعقلية، ويترقى فيهما ببطء شديد، وتستمر حالة العجز فيه زمنا طويلا ... ولكنه عندما يكبر يصل إلى درجة عظيمة من القوة والذكاء . بخلاف القرد... فإنه بمجرد ولادته يساعد أمه في رعايته، ويستطيع أن يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا، وهو ما يزال قردا صغيرا .

فلو كان الإنسان متطورا من القرد لما كان دونه عند الولادة، ولو كان كلاهما من أصل واحد مشترك بينهما لما كان بينهما هذا البون الشاسع الرهيب فما الذي جعل الإنسان دون القرد عند الولادة، ثم جعل القرد دون الإنسان بعد تقدم السن ؟^(٢).

(١) انظر : الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية (ص : ٢٤٣-٢٤٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والإنسان في الكون بين القرآن والعلم (ص : ١١٩-١٢٠)؛ وأصل الأخناس

البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٣٥٧-٣٥٨) .

الدراسة العلمية الحديثة تدل على عدم وجود القرابة بين الإنسان والقرد :
قال " فيركو " - من علماء الحفريات - : (يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الأنتروبولوجيا السابقة على التاريخ، تجعل القرابة المزعومة بين الإنسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئا فشيئا ... ومهما كان الأمر فيجب أن أقول : لم توجد قط جمجمة قرد تقرب من جمجمة إنسان) (١).

قال العلامة " فون بسكوف " بعد أن قام مع زميله الأستاذ " فيرخو " بالدراسة التشريحية للإنسان والقرد والمقابلة بينهما : (إن الفروق بين البشر والقروء أصلي وبعيد) (٢).

وأذاع البروفيسور جوهانس هورذر - العالم الذري بسويسرا - بيانا في مارس ١٩٥٦م - فقال : (إنه لا يوجد دليل واحد من الألف على أن الإنسان من سلالة القرد، وإن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان يعيش منفردا، وبعيدا جدا، وأن الهياكل التي درسها تؤكد نظريته) أهـ بتصرف (٣).

وأيد الدكتور " دويتز " - المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا - وجهة نظر البروفيسور " هورذر " وأعلن ذلك في أمريكا بتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٦م - (أن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تاما، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجله، ومنها الداواب التي تمشي على أربع، ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها) (٤).

اعتراف التطوريين بفروق كثيرة بين الإنسان والقرد

ولم يكن القائلون بتطور الإنسان غافلين عن مثل هذه الفروق بين الإنسان والقرد، بل كان بعضهم يدرك ذلك جيدا . ومم يجدر ذكره في هذا الصدد ما قاله " توماس هكسلي " - وهو من غلاة التطوريين القائلين بتطور الإنسان من القرد - فقد قال " هكسلي " : (إنني سأنتهز هذه الفرصة لأقرر بوضوح - على العكس - أن لهما وزنهما وأهميتهما، وأن كل عظمة من عظام الغوريلا تحمل ملامح تميزها عن نظيرتها في الإنسان، وأنه على الأقل في

(١) نقلا من كتاب : في موكب النبين (٦٨/١ - ٦٩) .

(٢) نقلا من المصدر السابق (٧٩/١) .

(٣) بواسطة كتاب : في موكب النبين (٦٢/١) .

(٤) نقلا من كتاب : في موكب النبين (٦٢/١ - ٦٣) .

مخلوقات ليس هناك من أشكال وسطية تغطي الثغرة التي تفصل بين الإنسان وبين الغوريلا ^(١). ويقول العالم "آرثر كيث" - أحد علماء التطور : (لقد أحصيت الصفات المشتركة بين الإنسان والقرود؛ فوجدتها لا تتجاوز ٧ ، ٨ %) ^(٢) فما نصيب الـ ٣ ، ٩١ % من الصفات غير المتشابهة ؟ فشتان ما بين القرود ... والإنسان ... ^(٣).

وقال الأستاذ "فرخو" - وكان يري بتسلسل الإنسان من القرود، ثم شك في ذلك، ورجع عنه، وعارضه في آخر أمره بمنتهى القوة ^(٤) - : (إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرود فرقا بعيدا، فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرود أو غيره من البهائم، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) ^(٥).

فالقرود وهو من الحيوانات العليا التي يرى التطوريون أن الإنسان تطور منه، وإذا كان الفرق بينه وبين الإنسان بهذه الدرجة فما بالك بغيره من الأحياء ؟ فوجود نوع من التشابه بين الأحياء في البناء الجسمي لا يستلزم وجود نسب مشترك بينها، ولا يصح الاستدلال به أن جميع الكائنات الحية انحدرت من أصل واحد، ولو تأمل الماديون بعقل وروية، ونظروا بعين الإنصاف لظهر لهم أن المشابهة الصورية الظاهرة بين الإنسان والقرود أو غيره من الحيوان لا تدل على وجود نسب مشترك بينها . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

دليلهم الخامس : التأخر في وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض ^(٦)
ولكن الاستدلال بتأخر وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض على إثبات نظرية التطور استدلال غير سليم؛ لأن تأخر ظهور بعض الأنواع الراقية عن أنواع سابقة لها في الوجود لا يقتضي أن السابق أب أو جد لما ظهر بعده، إذ الاحتمال الأقرب للتصور أن يكون مبدع النوع الأول قد أبدع بعده النوع الأرقى، ثم أبدع بعد ذلك

(١) نقلا من كتاب : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٢١) .

(٢) نقلا من كتاب : في موكب النبیین (١٠٥/١ - ١٠٦) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه (ص : ١٢٦) .

(٥) نقلا من كتاب : في موكب النبیین (٧٨/١) .

(٦) انظر : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص : ٣١٨ و ٣٢٩) .

الأرقى فالأرقى، ثم أبدع أخيرا الإنسان^(١).

فهذه هي الأدلة التي تمسك بها أعيان القائلين^(٢) بتطور الإنسان من أدنى الكائنات الحية إلى صورته الحاضرة، وقد سبق بيان بطلانها، وبه يتبين أن الأسس والقواعد التي بنيت عليها هذه النظرية منهارة، وأن الأدلة التي تعلق بها أصحابها واهية، فدعواهم فاسدة باطلة، عارية عن الحجة والبرهان، وبالإضافة إلى ما سبق يدل على بطلانها أوجه أخرى كثيرة، أجمالها في نقاط، وهي كما يلي :

الأولى : النظرية لا يؤيدها الواقع المشاهد^(٣) : فهذه النظرية الباطلة يخالفها

الواقع المشاهد ولا يؤيدها وبيان ذلك بما يلي :

١- لو كانت النظرية حقا لشاهدنا كثيرا من الحيوانات والإنسان تأتي إلى الوجود عن طريق التطور، لا عن طريق التناسل فقط . وإذا كان التطور يحتاج إلى زمن طويل فذلك لا يمنع من مشاهدة قرود تتحول إلى آدميين في صورة دفعات متوالية كل سنة، أو كل عشر سنوات، أو كل مائة سنة .

٢- لو سلمنا جدلا : أن الظروف الطبيعية والانتخاب الطبيعي، قد طورت قردا إلى رجل - مثلا - فإننا لن نسلم أبدا بأن الظروف قد قررت أيضا أن تكون امرأة لذلك الرجل ليستمر في التناسل والبقاء مع الموازنة بينهما .

٣- إن القدرة على التكيف التي نشاهدها في المخلوقات - كالحرباء - مثلا تتلون بحسب المكان هي مقدرة كامنة في تلك المخلوقات تولد معها، وهي عند بعضها وافرة، وعند البعض الآخر تكاد تكون معدومة، وهي عند جميع المخلوقات محدودة لا تتجاوز حدودها. فالقدرة على التكيف صفة كامنة. لا صفة متطورة، تكونها البيئة كما يزعم أصحاب النظرية،

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٣٣٠) .

(٢) وقد حاول بعض أذنانهم الاستدلال لهذا القول الفاسد بآيات من القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ [نوح : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون : ١٢] وغيرها من الآيات الدالة على كون الإنسان مخلوقا من الطين . وهي في معزل عن الدلالة على زعمهم الباطل، وسيأتي بيان بطلان استدلالهم بها على ما زعموا مع بيان معناه الصحيح في المطلب القادم إن شاء الله .

(٣) تمت الاستفادة في هذه الردود من كتاب : العقيدة في الله (ص : ٨٥-٨٦) بتصرف يسير .

وإلا لكانت البيئة فرضت التكيف على الأحجار والأتربة وغيرها من الجمادات .

٤- تمتاز الضفادع على الإنسان بمقدرة على الحياة في البر والماء، كما تمتاز الطيور عليه بمقدرة على الطيران والانتقال السريع، وذلك بدون آلة، كما أن أنف الكلب أشد حساسية من أنف الإنسان، وكما أن عين الجمل أو الخيل أو الحمار ترى في النهار وفي المساء على السواء في حين تعجز عين الإنسان عن الرؤية في الظلام... فهل أنف الكلب أكثر رقياً من أنف الإنسان؟ وهل الضفادع والطيور أرقى من الإنسان في بعض الجوانب؟ وهل الجمال والخيول والحمير أرقى من الإنسان؟
فهذه النظرية يخالفها الواقع المشاهد مخالفة تامة .

الثانية : هذه النظرية الباطلة عاجزة عن الإجابة المقنعة لكثير من الأسئلة عن الظواهر الموجودة :

إن نظرية التطور تحسب أنها استطاعت تفسير نشوء الكائنات الحية وتكاملها وتطورها وكل شيء بـ (الانتخاب الطبيعي) ولكن الحياة هي أشمل وأعقد من مجرد أجساد الكائنات الحية، فعلاوة على وجود الأجهزة العضوية في أجساد الكائنات، هناك علاقات متداخلة ومتشعبة ومعقدة وحساسة بين هذه الكائنات والكائنات الأخرى من جهة، وبينها وبين بيئتها، وهذا موضوع مهم جداً لا يمكن لأي نظرية تدعي تفسير الحياة أن تملأ إيضاحها وتفسيرها، غير أننا نرى أن الظلمات تحيط بهذا الموضوع في نظرية التطور، ولا نرى أي بصيص من نور .
فمثلاً لا تستطيع نظرية التطور أن تفسر كيف أن الطفل وهو جنين في بطن أمه - يتدرب لاكتساب المهارة الوحيدة المطلوبة منه، وهي عملية مص الثدي، وذلك بمص أصبعه؟^(١)

كما لا تستطيع هذه النظرية أن تفسر كيف أن النحلة تستطيع التحول بين الأزهار، وامتصاص رحيقها، لعمل غذاء من أنقى الأغذية، وليس هناك من معلم أو مدرب لها؟ وكيف تستطيع بإشاراتها ورقصاتها الخاصة من التخاطب مع أفراد مجموعتها، ثم القيام بإنشاء خلاياها بطريقة هندسية متناهية في الدقة من غير أن يرى فيها خطأً مليمتراً واحداً؟^(٢)

أم تستطيع هذه النظرية أن تفسر كيف تبني العناكب بيوتها؟ والطيور أوكارها؟ والنمل

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

مساكنها ؟ ... فإن حاولت النظرية الادعاء بأن هذه الكائنات الحية اكتسبت المهارة بعد ملايين السنين نتيجة طفرات عديدة وعمليات الانتخاب الطبيعي، نسألها أن توضح لنا كيف تسنى لها أن تعيش طيلة هذه القرون الطويلة؟ ومن الذي أنقذها من الموت جوعاً وعطشاً ومرضاً؟ ومن الذي أودع جميع أنواع الأغذية اللازمة لكل كائن حي بحساب دقيق، في المأكولات والأغذية الخاصة بذلك الكائن الحي؟ ومن الذي دبر لها رزقها وهياً لها أسباب حياتها؟^(١).

ويمكن تعداد أمثلة أكثر وأكثر، وكتابة مجلدات من الكسب حول هذا الموضوع، بل يمكن صرف العمر كله في تعداد مثل هذه الأمثلة، أما الاكتفاء بالقول بأن (الغريزة) هي الكلمة السحرية التي تفسر وتوضح هذه المهارات المتعددة والمذهلة، الموجودة بين ملايين الأنواع من الأحياء على اختلافها، والظن بأن هذه الكلمة كافية لإيضاح كل شيء، فليس إلا إعلان عن جهل الإنسان وعماه^(٢).

الثالثة : الذين أيدوا هذه النظرية الباطلة لم يكن تأييدهم لها عن علم واقتناع قلبي بل كان رغبة في الإلحاد أو جهلاً بمبادئها الكفرية : إن " داروين " لما قدم نظرية النشوء والارتقاء في لباس العلم الجديد بتفصيل جديد، وافق ذلك هوى في نفس الملاحدة، فطاروا بها شرقاً وغرباً، جاعلين منها منطلقاً للدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الدين، أشهروا بها عبر وسائل الإعلام المختلفة، فأجابهم من أجابهم جرياً وراء كل ناعق إما جهلاً بمبادئها الكفرية ومحتوياتها الإلحادية، وإما محاربة للدين ورغبة في الإلحاد والزندقة وهم الأكثر، وأصبحوا من حماة وأنصارها، يدعون إليها ويضلون الناس بها .

ولم يكن تأييدهم لها ودعوتهم إليها إلا انتصاراً لحرية الفكر الذي كانت الكنيسة تحاربه، وحرباً مضادة يشنها علماء الطبيعة ضد قساوسة الكنيسة وأفكارهم بعد أن نشبت حرب طاحنة بين الفريقيين، فالتأييد إنما هو نتيجة حرب حاقد على الأديان، لا عن علم واقتناع قلبي، فقد اعترف كثير من مؤيدي هذه الفرضية بأنها غير ثابتة وغير علمية، وفيما يلي بعض أقوالهم^(٣) :

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٥-١٣٧) .

(٢) راجع للاطلاع على المزيد من هذه الأسئلة التي تعجز نظرية التطور الإلحادية عن الإجابة المقنعة لها كتاب :

دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٤-١٤١)؛ ومصرع الدارونية (ص : ١٨٩-١٩١) .

(٣) هذه الأقوال مأخوذة مما ذكرتها عنهم " منيرة علي الغاياني " في كتابها : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة

الدين (ص : ٦-٩) .

وقال تعالى عن خلق الإنسان : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ ^(١)

وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ ^(٤).

فالآيات القرآنية تبين أن البشر خلق من الطين، وأن الإنسان كذلك خلق من الطين، فلا فرق بين البشر والإنسان، فهما اسمان لمخلوق واحد خلق من الطين، ولا شك أن الذي خلق من الطين هو آدم ﷺ فهو أبو البشر وهو أبو الإنسان كذلك . فلا يصح أن يقال : أن آدم ﷺ أبو الإنسان وليس " أبو البشر "، كما لا يصح أن يقال : الذي خلق من الطين بشر غير آدم ﷺ، وأنه جاء مولودا لأبوين من البشر؛ لأن الذين جاءوا مولودين لأبويهما من البشر هم أولاد أبي البشر آدم ﷺ وذريته كما قال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ ^(٥).

ثانيا : إن آدم ﷺ هو أبو البشر وأبو الناس كما أخبر بذلك النبي ﷺ : فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث ^(٦).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا : أن الناس يأتون إليه يوم القيامة، فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ...)) الحديث ^(٧).

(١) الحجر الآية : ٢٦

(٢) الرحمن الآية : ١٤

(٣) السجدة الآية : ٧

(٤) المؤمنون الآية : ١٢

(٥) السجدة الآيتان : ٧-٨

(٦) جزء من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٧) جزء من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١١) .

والناس اسم جمع، ومفرده إنسان^(١)، وآدم ~~الطَّيْلَ~~ وصف بأنه أبو الناس كما وصف بأنه أبو البشر على لسان أفصح العرب وأصدق البرية. فكيف يسوغ لمسلم عالم أن يقول بالتفريق بين آدم البشر وآدم الإنسان، وأن يقول : إن آدم ~~الطَّيْلَ~~ هو أبو الإنسان وليس أبا البشر !؟

ثالثا : كتب اللغة والمعاجم لا تدل على التفريق المذكور بين البشر والإنسان^(٢) : فقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن : (عبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر)^(٣).

- (١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٤١١/١٥ ، مادة : أنس)؛ وأبي آدم ... (ص : ٩٩) .
- (٢) اختلف أئمة اللغة في الوزن الصرفي لكلمة " إنسان " ومادة اشتقاقه على قولين : القول الأول : ذهب جمهور الكوفيين إلى أن " إنسان " على وزن " إفعان "، وهو مشتق من النسيان، وأصله " إنسيان " على وزن " إفعان " ولكن حذفت الياء - وهي لام الكلمة - لكثرة الاستعمال كقول العرب : " أيش " في أي شيء، و " عم صباحا " في " أنعم صباحا " . والدليل على أن الإنسان مأخوذ من النسيان قولهم في تصغيره : " أنسيان " فردوا الياء في حال التصغير لأن الاسم لا يكثر استعماله مصغرا كثرة استعماله مكبرا، فالتصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وبهذا علم أن الإنسان مأخوذ من النسيان، وأنه على وزن " إفعان " .
- ولكن تعقب هذا القول بما يلي : ١- قولهم : إن " إنسان " أصله " إنسيان "، وحذفت منه الياء لكثرة الاستعمال كما حذفت في قولهم : " أيش " في " أي شيء "، و " عم صباحا " في " أنعم صباحا "، فهذا باطل إذ لو كان الأمر كما قالوا لكان جائزا أن يؤتى به على الأصل، كما يجوز أن تقول : أي شيء ، وأنعم صباحا. فلما لم يأت ذلك في الإنسان، ولم يرد استعمال " الإنسيان " في أي شيء من كلامهم في حالة اختيار و لا ضرورة دل على بطلان ما ذهبوا إليه . ٢- وأما الاستدلال بتصغير الإنسان على " أنسيان " بزيادة الياء فهذا على خلاف القياس، وكما زيدت الياء في قولهم : " ليلية " في تصغير ليلة، و " عشيشية " في تصغير عشية، فكذلك زيدت الياء في قولهم : " أنسيان " في تصغير " إنسان " ... إلى غير ذلك مما جاء على خلاف القياس؛ فلا يكون فيه حجة، والله تعالى أعلم .
- والقول الثاني :** ذهب البصريون وجماعة من الكوفيين إلى أن " إنسان " على وزن " فعان " مأخوذ من الإنس، لأجل ظهورهم في مقابل الجن أو لما يوجد فيهم من الأنس وعدم الاستيحاش في مقابل الحيوانات الأخرى، وفي كلا الوجهين تكون الهمزة في الإنس أصلية فكذلك الهمزة في الإنسان أصلية . وألف ونون زائدتان؛ ولهذا قالوا : إن وزنه " فعان " . والذي يترجح لي هو رجحان القول الثاني لأن القول الأول تعقب من الوجهين المذكورين، فذلك على أقل تقدير يدل على ضعفه، ولأن القول الثاني أكثر موافقة لما قاله أئمة اللغة في بيان معنى الإنسان، والله أعلم بالصواب . انظر للتفصيل : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين (المسألة السابعة عشر بعد المائة ، ٨٠٩/٢ - ٨١٢)؛ والصحيح (٩٠٤/٣ - ٩٠٥ ، مادة : أنس)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٩٤ ، مادة : أنس)؛ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص : ٢١ - ٢٢)؛ ولسان العرب (٤٣١/١ - ٤٣٢ ، مادة : أنس) .
- (٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٢٤ ؛ مادة : بشر) .

وفيه أيضا : (الإنس خلاف الجن ... الإنسان سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل : الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه. وقيل : سمي بذلك : لأنه يأنس بكل ما يألفه، قيل : هو إفعلان : وأصله إنسيان سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي)^(١).

وفي تهذيب اللغة : (أصل الإنس والناس والإنسان من الإيناس، وهو الإبصار. يقال : أنستته وأنستته؛ أي : أبصرته ... وسمي الإنسيون إنسيين لأنهم يؤنسون؛ أي : يروون، وسمي الجن جنا لأنهم مجتثون عن رؤية الناس؛ أي : متوارون)^(٢).

وفي كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين " : (سمي الإنس إنسا لظهورهم، كما سمي الجن جنا لاجتماعهم؛ أي : استتارهم . ويقال : أنست الشيء : إذا أبصرته . قال تعالى : ﴿ أنس من جانب الطور نارا ﴾^(٣)؛ أي : أبصر ... ويجوز أن يكون سمي الإنس إنسا؛ لأن هذا الجنس يستأنس به، ويوجد فيه من الأنس وعدم الاستيحاش ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان)^(٤).

وفي الصحاح : (الإنس : البشر : الواحد إنسيٌّ و أنسيٌّ أيضا بالتحريك، والجمع أناسيٌّ، وإن شئت جعلته إنسانا، ثم جمعته أناسيٌّ؛ فتكون الياء عوضا من النون . وقال تعالى : ﴿ وأناسي كثيرا ﴾^(٥))^(٦).

وفي تاج العروس : (الإنس بالكسر : البشر، كالإنسان بالكسر أيضا ... سمي الأنسيون لأنهم يؤنسون؛ أي : يرون، وسمي الجن جنا؛ لأنهم مجنونون عن رؤية الناس؛ أي : متوارون)^(٧).

(١) المصدر السابق (ص : ٩٤ ، مادة : أنس) .

(٢) تهذيب اللغة (٨٩/١٣ ، مادة : أنس) .

(٣) القصص الآية : ٢٩

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين (٨١١/٢ - ٨١٢) .

(٥) الفرقان الآية : ٤٩

(٦) الصحاح (٩٠٤/٣ ، مادة : أنس) .

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠٨/١٥ - ٤٠٩) .

وفي معجم مقاييس اللغة : (بشر : الباء والشين والراء أصل واحد : ظهور الشيء مع حسن وجمال ... وسمي البشر بشرا لظهورهم)^(١).

وفيه أيضا : (أنس : الهمزة والنون والسين أصل واحد : وهو ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش، وقالوا الإنس خلاف الجن، وسموا لظهورهم)^(٢).
وفي القاموس المحيط : (البَشَر : محرّكة : الإنسان، ذكرا وأنثى واحدا وجمعا، وقد يثنى ويجمع)^(٣).

وفيه أيضا : (الإنس : البشر)^(٤).

وفي كتاب الاشتقاق : (البشر : الناس، يقع على الواحد والجمع)^(٥).

وفي المعجم الوسيط : (البشر : الإنسان)^(٦).

يتبين من النظر فيما ذكره أئمة اللغة عن معنى البشر وعن معنى الإنسان أن الفرق بين الإنسان و البشر ليس فرقا في الذات، فهما اسمان لمخلوق واحد، أطلقا عليه بالنظر إلى صفات مختلفة في الإنسان، فإطلاق البشر عليه بالنظر إلى حسنه وجماله، وإطلاق الإنسان عليه بالنظر إلى استثناس بعضهم ببعض وتآلفهم وتعاونهم فيما بينهم أو لما يطرأ عليهم من النسيان على قول الكوفيين وهو لا يخلو من النظر؛ فلا يصح أن يقال : أن البشر مخلوق من جنس، والإنسان مخلوق من جنس آخر كما قال القائل بل الفرق بين البشر والإنسان فيما يظهر لي هو فرق بالصفات، فالبشر فيه معنى الظهور مع الحسن والجمال، والإنسان فيه معنى الظهور مع الألفة والاستثناس وعدم التوحش، والله أعلم بالصواب .

رابعا : قوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾^(٧) لا يدل على أن خلق البشر كان قد تم قبل

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٥١/١ ، مادة : بشر) .

(٢) المصدر السابق (١٤٥/١ ، مادة : أنس) .

(٣) القاموس المحيط (٣٨٦/١ ، مادة : بشر) .

(٤) المصدر السابق (٢٠٥/٢ ، مادة : أنس) .

(٥) الاشتقاق (ص : ٧٧ ، مادة : بشر) .

(٦) المعجم الوسيط (٥٨/١ ، مادة : بشر) .

(٧) ص الآية : ٧١

إعلام الله الملائكة عن خلق الإنسان؛ لأن «خالق» اسم فاعل وهو مجرد من الألف واللام، والقاعدة النحوية تقول : إذا كان اسم الفاعل مجردا من الألف واللام، فلا يخلو من حالتين : إما أن يكون بمعنى الحال والاستقبال أو بمعنى الماضي، فإن كان بمعنى الحال والاستقبال جاز فيه وجهان :

الوجه الأول : حذف التنوين والنون والإضافة مثل قوله تعالى : ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ ^(١)، وقوله تعالى : ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ ^(٢)، وقوله تعالى : ﴿ إنهم ملاقوا ربهم ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(٤). فهذه كلها للاستقبال .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ ^(٥) فهذا حال .

الوجه الثاني : إثبات التنوين والنون والنصب مثل قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ ^(٦)، وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ ^(٧) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(٨) وقوله تعالى : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ﴾ ^(٩) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقولن شيئا إنني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله ﴾ ^(١٠) وقوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من رقوم * فما لئون منها البطون ﴾ ^(١١). هذه كلها للاستقبال.

(١) آل عمران الآية : ٩

(٢) النساء الآية : ١٤٠

(٣) هود الآية : ٢٩

(٤) آل عمران الآية : ١٨٥ ؛ والأنبياء الآية : ٣٥ ؛ والعنكبوت الآية : ٥٧

(٥) الأنعام الآية : ٩٢

(٦) ص الآية : ٧١

(٧) الحجر الآية : ٢٨

(٨) البقرة الآية : ٣٠

(٩) الكهف الآية : ٨

(١٠) الكهف الآيتان : ٢٤

(١١) الواقعة الآيات : ٥١-٥٣

ومثل قوله تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ ^(١) وهذا للحال .
 وإن كان بمعنى الماضي فلا يجوز فيه إلا وجه واحد وهو حذف التنوين والنون
 والإضافة مثل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ ^(٢) .

لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعل المضارع من رفع الفاعل ونصب المفعول لموافقته له في
 الحركات والسكنات فـ " ضارب " موافق لـ " يضرب " (ض ا ر بٌ = يَ ضُ رِبُ)
 فهو يشبه الفعل الذي هو بمعناه لفظا ومعنى، ولا يعمل عمل فعل الماضي لعدم موافقته له في
 الحركات والسكنات فـ " ضارب " لا يوافق " ضرب " فهو مشبه للفعل من ناحية المعنى؛
 أي : الدلالة على معنى الضرب. أما من ناحية اللفظ فلا يشبهه، ولذا تجب إضافته ^(٣).
 ويتبين مما سبق أن النصب دلالة قطعية إذ هو لا يدل إلا على الحال والاستقبال،
 وأما الإضافة فدلالته احتمالية إذ هي تدل على الماضي والحال والاستقبال .
 قال الفراء : (وأكثر ما تختاره العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه
 ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة) ^(٤).

وقال ابن قتيبة : (ولو أن قائلًا قال : هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر : هذا قاتل
 أخي بالإضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله) ^(٥).
 فلو كان المراد هنا في قوله تعالى للملائكة : ﴿ إني خالق بشر من طين ﴾ الإخبار عن الماضي،
 وأن البشر كانوا قد خلقوا في ذلك الوقت الذي أعلم الله به ملائكته وخاطبهم بهذا القول
 الكريم لقال تعالى : { إني خالقُ بشرٍ } حتى يفهم منه الماضي، ولكن الله سبحانه وتعالى

(١) الزمر الآية : ١٤

(٢) فاطر الآية : ١

(٣) انظر : شرح ابن عقيل (١٠٦/٣ - ١٠٧)؛ وأوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (١٣/٣ - ١٤)؛
 والمساعد على تهليل الفوائد (١٩١/٢ - ٢٠٠)؛ وشرح جبل الزجاجي (٦ - ٥/٢)؛ وتعجيل الندى بشرح
 قطر الندى (ص : ٢٧٨ - ٢٨٠)؛ ومعاني النحو (١٧٠/٣ - ١٧٤) .

(٤) معاني القرآن (٢٠٢/٢ ، الأنبياء : ٣٥) .

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص : ١١)؛ وانظر : مناظرة لطيفة حول هذه المسألة النحوية بين القاضي أبي يوسف والكسائي،
 وما حكم به بينهما الخليفة هارون الرشيد، ذكرها السيوطي في كتابه : الأشباه والنظائر في النحو (٢٤٤/٣) .

لم يقل : { إني خالقُ بشرٍ } ، وإنما قال : ﴿ إني خالقُ بشرٍ ﴾ فدل ذلك على بطلان القول بأن البشر كان قد تم خلقهم لما أخبر الله ملائكته عن خلق الإنسان بالآية المذكورة، فما ذهب إليه هذا القائل باطل و مخالف لقواعد اللغة العربية المعروفة عند أئمة اللغة والنحاة والله أعلم .

خامسا : قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(١) ولا شك أن الله تعالى لما أخبر الملائكة عن هذا لم يكن آدم ﷺ قد جعل في ذلك الوقت خليفة في الأرض؛ إذ لو كان آدم ﷺ في ذلك الوقت خليفة في الأرض بالفعل لم يكن لما بعدها من الآيات الدالة على تعليم آدم الأسماء، وعرضها على الملائكة، وسجود الملائكة، ورفض إبليس السجود، وإسكان الأيوين في الجنة، وإغواء الشيطان لهما وتوبتهما وهبوطهما إلى الأرض ... لم يكن لهذه الآيات كلها كبير معنى إذ هو خليفة في الأرض فلا فائدة من هذا كله، وخاصة قول الملائكة كما قال الله تعالى ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ ^(٢) فهذا يدل على أن آدم ﷺ لم يكن جعل خليفة في الأرض في ذلك الوقت؛ إذ لو كان قد جعل خليفة في الأرض لقالت الملائكة : { أجعلت فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء } . فكما أن آدم ﷺ لم يكن جعل خليفة في الأرض لما خاطب الله تعالى الملائكة بهذه الآية، وأخبرهم بها فكذلك لم يكن قد تم خلق ذلك البشر - وهو آدم ﷺ - الذي أخبر الله عن خلقه في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين ﴾ فلا يصح أن يقال أن الله خلق بشرا أولا ثم جعلهم إنسانا استدلالا بالآية المذكورة .

سادسا : الأطفال عند الولادة يكونون كاملي الأعضاء والجوارح : يبدأ تكوين الأعضاء والجوارح وما فيها من القوى عند الأطفال وهم أجنة في الأرحام . وهذه الأعضاء والقوى تتكون شيئا فشيئا، وتأخذ صورتها الأخيرة قبل الولادة ثم يولدون وهم كاملوا الأعضاء والجوارح . وإنما يختلفون عن الكبير في القوة والضعف، فالكبير تكون قوة سمعه وبصره وفهمه وإدراكه ... أكثر من الصغير . وإذا أخذ الصغير في النمو والكبر، وتقدم به

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) البقرة الآية : ٣٠

العمر ازدادت قواه العقلية والبصرية والسمعية والجسدية ...^(١) فالأصل أن الأطفال يكونون مزودين بهذه القوى كلها من الله سبحانه وتعالى، ويكونون متصفين بها عند الولادة .

ولذلك نرى أن المولود الجديد منذ الساعات الأولى من الولادة يميز بين طعم وطعم؛ فإن أعطي شراباً ممزوجاً بالمرارة يبصقه ولا يبتلعه بل يصرخ ويصيح ويرفع صوته بالبكاء ولكنه إذا أعطي شراباً ممزوجاً بالسكر أو العسل أو تمراً مليناً ممزوجاً كما يفعل عند تحنيكه فهو يتركه في فيه، ويحرك به لسانه وشفتيه ويحاول أن يبتلعه. فهذا يدل على أنه قادر على معرفة الطعوم والتمييز بين حلوها ومرها منذ ولادته . فسبحان الخالق العظيم .

وكذلك نرى في بيوتنا وأولادنا أن المولود الصغير - ابن بضعة أسابيع - يفتح عينيه، وإذا ذهب أمه تجعل الكحل في عينيه أو تريد أن تجعل الدواء في عينيه فإذا هو يغمض عينيه قبل أن يصل عود الكحل أو ما فيه الدواء إلى عينيه، فهذا دليل على أنه يرى أن هناك شيئاً يتجه إلى عينيه، ولذلك يغلق عينيه .

ونرى أن الولد الصغير إذا كان نائماً فقليل من الصوت أو الإزعاج يوقظه، ونرى أنه إذا أخذ في البكاء، وأمه على بعد منه، فهي تهدئه من بعد فإذا وصل صوتها إليه يهدأ ويعلم أن الإسعاف قريب ويطمئن بذلك، مع أنه يميز بين صوت وصوت؛ فهو لا يطمئن لصوت أي شخص، وإنما يطمئن لصوت أقرب الأشخاص لديه الذين يقومون بخدمته وخاصة الأم، فهذا يدل على أنه يسمع، وأنه يعقل ويفهم ويميز ولكن كل ذلك حسب جسمه . فكما هو صغير في جسمه فكذلك صغير في قواه العقلية والسمعية والبصرية^(٢) ... والله سبحانه وتعالى لم ينف عن المولود السمع والبصر والفؤاد، وإنما نفى عنه العلم، حيث قال : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾^(٣) ولكنه تعالى من فضله زود هذا المولود بوسائل العلم الثلاثة : وهي السمع والبصر والفؤاد ليتمكن المولود من

(١) انظر : رحلة الإيمان في جسم الإنسان (ص : ٥٨ - ٧٩) ؛ و Text Book Of Pediatrics مؤلفه :

Nelson (٣٤/١) . تمت الاستفادة من الكتاب المذكور بمساعدة الدكتور علي علي البهجي - أخصائي

طب الأطفال - بمستشفى الجامعة الإسلامية بالمدينة، وجزاه الله خيراً .

(٢) من إفادات الدكتور علي علي البهجي - حفظه الله - .

(٣) النحل الآية : ٧٨

التعلم بها . ولذلك امتن الله بها على وجه أخص؛ إذ هي داخلة في منة الخلق والإيجاد والإخراج من بطن الأم. فهو سبحانه وتعالى امتن على عباده بخلقه لهم وإيجاده لهم من العدم . وكذلك امتن عليهم بتزويده إياهم بهذه الأعضاء التي لها شرف على غيرها من الأعضاء لكونها من وسائل العلم ^(١)، فلا يصح القول أن الأطفال يولدون وليس لهم سمع ولا بصر ولا فؤاد، بل هذه القوى كلها تبدأ في التكوين وهم أجنة في الأرحام، وتكون موجودة عندهم منذ الولادة، وإن لم تكن كالكبير في القوة والإدراك، والله أعلم بالصواب .

سابعاً : البشر ليسوا كالحيوانات بل البشر هو الإنسان وهم مخاطبون بشرع الله تعالى، ومأمورون بأوامره، ومنهون عن نواهيه، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أ - قال تعالى : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ ^(٢) فالنسب والصهر من خصائص البشر التي لا توجد في الحيوانات لأنها شيء مرتبط بالتشريع والأعراف البشرية - وليست من الخصائص الحيوانية المحضة . فلو كان البشر غير مخاطب بالشرع وليس عندهم حلال وحرام لم يكن هناك أي حكمة وفائدة في جعلهم نسبا وصهرا؛ فالكل حلال؛ فلا داعي للنظر في النسب أو الصهر كما هو الحال عند الحيوانات .

ب - وقال تعالى لمريم - عليها السلام - : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ ^(٣) هذه الآية تدل على أن البشر مأمور بالشرع ومطالب به وإلا لما صح إنكار قوم مريم - عليها السلام - إتيان هذا الولد المبارك؛ فإن إستغرابهم لهذا الأمر لم يكن إنكارا لمحيي الولد عن طريق الالتقاء بين الذكور والإناث بالزواج أو الزنا، وإنما كان إنكارهم عليها إنكارا شرعيا؛ ولهذا قالوا : ﴿ يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ ^(٤)، فالبشر مأمور بالشرع، والإنسان مأمور بالشرع، ولا فرق بينهما، ولعل ورود كلمة ﴿ البشر ﴾ في الآية مرة، وكلمة ﴿ إنسيا ﴾ أخرى يوحي إلى

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٩٨ ، النحل : ٧٨) .

(٢) الفرقان الآية : ٥٤

(٣) مريم الآية : ٢٦

(٤) مريم الآيتان : ٢٧-٢٨

هذا المعنى . فلا يصح التفريق بين البشر والإنسان، ولا يصح القول بأن المأمور بالشرع هو الإنسان... دون البشر ... والله أعلم بالصواب .

ج - وقال تعالى : ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ نذير للبشر ﴾ ^(٢) فمن صفات البشر أنهم يُنذَرُونَ و يُنذَرُونَ وأنهم يحتاجون إلى الإنذار والتذكير، فلو كان البشر كالحیوان غیر مخاطب بالشرع، لم يكن هناك أي وجه وأي داع للإنذار والتذكير لأنهم غير مأمورين بأوامر الشرع ولا منهيون عن نواهيه؛ فالأمر والنهي عندهم سواء فلا فائدة من هذه الذكرى ومن هذا الإنذار .

د - وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتكم بسلطان إلا بإذن الله ﴾ ^(٥) . فالله سبحانه وتعالى يمن على من شاء من عباده من البشر فيوحي إليهم بما يشاء، ويعطيهم الكتاب والحكمة والنبوة. ولا شك أن الذي أوتي الكتاب والحكمة والنبوة هو أول من يدخل في هذا الخطاب، وأول من يؤمر بأوامره، وأول من ينهى عن نواهيه؛ ولذلك هؤلاء الرسل من البشر كثيرا ما كانوا يقولون لأممهم من البشر أمرت أن أكون أول المؤمنين ... وأمرت أن أكون أول المسلمين . قال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ ^(٦) وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فلما أفاق قال سبحانه تبّت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ ^(٧) وقال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ قال إني عبد الله أتاني الكتاب

(١) المدثر الآية : ٣١

(٢) المدثر الآية : ٣٦

(٣) الشورى الآية : ٥١

(٤) آل عمران الآية : ٧٩

(٥) إبراهيم الآيتان : ١٠ - ١١

(٦) يونس الآية : ٧٢

(٧) الأعراف الآية : ١٤٣

وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا ﴿١﴾ وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ : ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ ﴿٢﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ ﴿٤﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ ﴿٥﴾ فهؤلاء الرسل عليهم السلام الذين اختصهم الله تعالى بالكتاب والحكمة والنبوة كلهم من البشر، وأرسلوا إلى بني جنسهم من البشر؛ فالرسل والمرسلون إليهم كلهم من البشر، وكلهم مخاطبون بخطاب الرسالة الإلهية والرسل أول من يدخل في ذلك .

فلا يصح القول بأن البشر لم يعرفوا رسولا، ولم يتلقوا رسالة، ولم يعرفوا أمرا ولا نهيا. فهم ليسوا كالحیوانات والبهائم، والاتصال الجنسي لم يكن بينهم قائما من غير شرط ولا قيد بل هم كانوا ولم يزالوا مخاطبين بالشرع، ومطالين بإتيان أوامره، والابتعاد عن نواهيه . ومنهم من اختص بحمل الرسالة الإلهية وتبليغها إلى من أرسل إليهم، وبه يعلم بطلان ما زعمه الزاعم من أن البشر كانوا أشبه بالحيوانات من غير رسالة إلهية وشرعية ربانية .

الحاصل : يتبين مما سبق من الوجوه أن الآيات القرآنية لم تفرق بين البشر والإنسان؛ فالكل مخلوق من الطين. وأن النبي ﷺ بين أن آدم ﷺ هو أبو البشر، وأنه أبو الناس؛ فالنبي ﷺ لم يفرق بين آدم البشر وبين آدم الإنسان. وأن كتب اللغة والمعاجم لم تفرق بين البشر والإنسان كما فرق صاحب هذا القول. وأن البشر ليسوا كالحیوانات بل البشر هو الإنسان وهم مخاطبون بشرع الله، ومأمورون بأوامره، ومنهيون عن نواهيه. ومنهم من اختص بحمل رسالة الله إلى بني جنسهم من البشر. وأن البشر يبدأ تاريخه من وجود أبي البشر آدم ﷺ، وأنه

(١) مريم الآيات : ٣٠-٣٢

(٢) الأنعام الآية : ١٤

(٣) الأنعام الآيتان : ١٦٢-١٦٣

(٤) الزمر الآيتان : ١١-١٢

(٥) غافر الآية : ٦٦

لم يكن هناك وجود لأي جنس بشري قبل آدم ﷺ . وبه يتبين بطلان ما فرق به صاحب هذا القول بين البشر والإنسان وما عرف به كلا من البشر والإنسان، فإنه رأي ساقط باطل لمخالفته للكتاب والسنة ومقتضى اللغة العربية. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الآيات القرآنية التي استدل بها لما ذهب إليه وبيان معانيها الصحيحة :

حاول الدكتور عبد الصبور شاهين أن يدعم رأيه فيما ذهب إليه من القول بتطور الإنسان من مخلوق قبله وهو البشر، وما فرق به بين البشر والإنسان - بالآيات القرآنية، وفيما يلي ذكر بعض تلك الآيات القرآنية التي حاول الاستدلال بها على ما ذهب إليه وبيان معناها الصحيح في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، فمن الآيات التي استدل بها :

• قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم

يكن من الساجدين ﴾ ^(١) .

فهو يرى أن الآية تتحدث عن جماعة من البشر، خلقوا في أشكال بدائية ثم سواهم الله وشكلهم وطورهم من الأشكال البدائية إلى الأشكال الحسنة شيئا فشيئا خلال ملايين السنين حتى جاء التطور الأخير في صورة آدم ﷺ الذي خرج من البشر، ودخل في الإنسان، فنفخ الله فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له . فأول الآية تتحدث عن جماعة من البشر خلقوا قبل آدم ﷺ، وآخرها تتحدث عن آدم ﷺ الذي سجدت له الملائكة ^(٢) .

ولكن ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين في تفسير الآية غير صحيح إذ يلزم منه أن آدم ﷺ كان حيا قبل نفخ الروح فيه، وأنه قبل النفخ كان بشرا، وبالنفخ صار إنسانا، وأنه ابن للبشر وليس أبا لهم، وأنه كان قبله أصول بشرية، تناسل منها آدم ﷺ وهذا كله باطل على باطل وقد سبق الكلام عن ذلك ^(٣) .

بل هذه الآية من أولها إلى آخرها تتحدث عن آدم ﷺ فالذي خلقه الله تعالى وصوره بالصورة البشرية هو آدم ﷺ ولكنه تعالى نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في هذا

(١) الأعراف الآية : ١١

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٨٦ و ١٠٧) .

(٣) انظر : (ص : ١٢٣-١٣٦) .

المقام، مع أن المخلوق المصور بالذات هو آدم ﷺ بدليل قوله تعالى : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ امتنانا عليهم لامتنانه على أصلهم الذي تفرعوا منه . فخلق الله لآدم وتصويره له بالصورة البشرية الكريمة خلق وتصوير لهم؛ لأنها سرت إليهم وهم توارثوها من أبيهم جيلا بعد جيل . ففي ذلك إشارة إلى أن لهم حظا من خلقه وتصويره، فترل الله خلق الأصل الأول للنوع الإنساني منزلة أفراد النوع الذين منهم المخاطبون.

ونظيره قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ ^(١) ؛ أي : حملنا أصولكم وهم الذين كانوا مع نوح ﷺ وتناسل منه الناس بعد الطوفان . والله تعالى يخاطب الموجودين والمراد آبائهم كقوله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ^(٢) . وليس المراد بنو إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ بل المراد آبائهم ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء .

والقرآن يفسر بعضه بعضا ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ﴾ ^(٣) فأوقع الله الخلق من التراب على الناس كلهم وهو في الحقيقة لأبيهم آدم الذي هو أصلهم والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فمعنى الآية أن الله تعالى خلق آدم ﷺ من طين غير مصور ثم صورته بالصورة البشرية ثم نفخ فيه من روحه تبارك وتعالى ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له كما قال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين ﴾ * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ^(٤) وهذا ما ذهب إليه المفسرون

(١) الحاقة الآية : ١١

(٢) البقرة الآيات : ٥٥-٥٧

(٣) الحج الآية : ٥

(٤) ص الآيتان : ٧١-٧٢

في بيان معنى الآية ^(١)، وهو موافق للآيات الأخرى من القرآن الكريم كما هو موافق للأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في هذا الموضوع، فلا ينبغي العدول إلى غيره، والله أعلم بالصواب .

• وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين *

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ ^(٢).

• وقوله تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ * ثم جعل نسله من سلالة

من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴿ ^(٣).

• وقوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ ^(٤).

فهو يفسر هذه الآيات بأن الإنسان كانت بداية خلقه من الطين ولكنه لم يخلق من الطين

مباشرة بل الذي خلق من الطين حيوان اسمه البشر وهو المعبر عنه بـ ﴿ سلالة من طين ﴾، وكانوا في

أشكال بدائية، بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد... لقوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل

لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾، ثم تناكح هؤلاء البشر وتزاوجوا فيما بينهم، فأخذت سلالة من مائهم،

وجعلت في قرار مكين فكانت نطفة وعلقه ومضغة ... واستمر هذا التناسل متطورا نحو الأحسن

والأكمل ملايين السنين حتى اكتمل خلق الإنسان؛ فكان مختلفا عن الخلق السابق أي : عن خلق

البشر، لأنه الآن أصبح إنسانا، وهو الذي أشير إليه في قوله تعالى : ﴿ فأنشأناه خلقا آخر ﴾، هذه هي

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢٧/٨)؛ والتفسير الكبير (٣٠/١٤)؛ والجامع لأحكام القرآن

(١٦٨/٧ - ١٦٩)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٠٢/٢ - ٢٠٣)؛ والضوء المنير على التفسير (١٢٥/٣)؛

وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢١٤/٣ - ٢١٥)؛ ومحاسن التأويل (١٥/٧ - ١٦)؛ وفي

رحاب التفسير (١٣٠٤/٨)؛ وروح المعاني (٨٦/٨ - ٨٧)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٦/٨ - ٣٧)؛

وأيسر التفاسير (١٥٦/٢)؛ وتهذيب التفسير (١٤٩/٥ - ١٥٠) .

(٢) المومنون الآيات : ١٢-١٤

(٣) السجدة الآيات : ٧-٩

(٤) نوح الآية : ١٤

أطوار خلق الإنسان المشار إليها في قوله تعالى : ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ ^(١) هكذا زعم الدكور ^(٢) .
ولكن هذا الاستدلال وهذا التفسير غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه
خلق الإنسان من سلالة من طين؛ أي : من شيء مستل ومأخوذ من الطين ولكن القائلين
بتطور الإنسان من حيوان قبله زعموا أن الله تعالى لم يخلق الإنسان من سلالة من طين بل
خلقه - في زعمهم - من سلالات حيوانات مختلفة؛ أي : من مائها المهين، نسلا بعد
نسل عبر ملايين السنين. هذا خلاف ما أخبر به الله سبحانه وتعالى .

ثم إن كلمة السلالة في قوله تعالى : ﴿وقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ لا يدل على وجود نسل
وذرية خلقت من الطين وعاشت ملايين السنين ثم تناسل منها الإنسان بل معناها أن الإنسان الأول،
وهو آدم عليه السلام لم يخلق من جميع الطين الموجود في الأرض بل أخذت قبضة من تراب الأرض كلها
واستلت منها سلالة، ومن هذه السلالة الطينية المأخوذة من جميع الأرض خلق أبو البشر آدم عليه السلام .

ونظيره قوله تعالى عن خلق بني آدم : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ * ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ^(٣) .

وهذه الآية واضحة في التفريق بين خلق الإنسان وبين نسله فالإنسان مخلوق من طين
ونسله مخلوق من ماء مهين، وكما أن الله تعالى خلق هذا النسل الآدمي بالسلالة المائية
المأخوذة من ماء الزوجين، وليس بين ماء الزوجين والسلالة المائية المأخوذة من مائهما
نسل وذرية، فكذلك خلق الله تعالى آدم عليه السلام من السلالة الطينية المأخوذة من جميع
الأرض، وليس بين هذا الطين والسلالة الطينة نسل وذرية.

(١) نوح الآية : ١٤

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٩٠-٩٢) ، وكذلك استدلل بهذه الآيات
عبد الكريم الخطيب على أن الإنسان تطور من البكتيريا، وأنه بعد سلسلة طويلة من التطورات وبعد عملية طويلة من
التصفية والانتخاب وصل إلى حالته الحاضرة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص : ٢٣٧ و٢٦٣) ، وكذلك
استدل بهذه الآيات الدكتور موريس بوكائي على دعواه أن الإنسان تطور في شكله وعقله من الإنسان البدائي نسلا
بعد نسل حتى وصل إلى الإنسان المعاصر في شكله وعقله إلا أنه أصاب في جانب إذ لم يقل بتطور الإنسان من أية
سلالة حيوانية سابقة كما قال غيره من التطورين، وسيأتي الكلام عن ذلك في (ص : ٢٩٤-٣٠٤) .

(٣) السجدة الآيات : ٧-٩

فالمقصود بالسلالة في آية " المؤمنون " هي الطينة التي أخذت من جميع الأرض التي خلق منها آدم ﷺ، وهو الذي تدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ^(١).

وقوله تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يبين مراحل خلق بني آدم وهم أجنة في أرحام أمهاتهم. يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ . ودلالة هذه الآية على المعنى المذكور واضحة جدا لا غموض فيه أبدا .

فهذا الإنسان المخلوق من الطين جعل الله له نسلا وذرية ولكنه تعالى لم يخلقهم من الطين مباشرة، وإنما خلقهم عن طريق الماء المهيئ، فجعله في قرار مكين إلى وقت معلوم فمر بعدة مراحل وأطوار، فكان أولا نطفة، ثم أصبح علقة، ثم مضغة. والله سبحانه وتعالى سواه في هذه المراحل وصوره، فخلق له العظام والأعضاء والأعصاب والعروق، وغطاه باللحم، ووضع كل عضو منه في المحل الذي لا يليق به غيره، ثم أرسل إليه الملك لينفخ فيه من الروح بإذنه تبارك وتعالى .

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال : حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات : فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ... الحديث^(٢).

وعن أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ قال : وكل الله بالرحم ملكا ، فيقول : أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه .^(٣)

فهذا الملك الموكل بالرحم عندما ينفخ فيه الروح يتحرك ذلك الجماد بإذن الله تعالى، ويصبح حيوانا بعد أن كان جمادا، ويصير خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة

(١) انظر : (ص : ١٠٣-١٠٧) .

(٢) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ١٢١٢/٣ ح : ٣١٥٤)، واللفظ له؛ وم (القدر، ب : كيفية خلق آدمي في بطن أمه ... ٢٠٣٦/٤ ح : ٢٦٤٣) .

(٣) أخرجه خ (القدر ٢٤٣٣/٦ ح : ٦٢٢٢) واللفظ له؛ وم (القدر، ب : كيفية خلق آدمي في بطن أمه ... ٢٠٣٨/٤ ح : ٢٦٤٦) .

واضطراب؛ فتبارك الله أحسن الخالقين ^(١). وهذا هو معنى الآية الثابت في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فلا ينبغي العدول إلى غيره، والله أعلم .

وأما قوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ فهذه الأطوار ليست هي المراحل والأطوار التي يذكرها القائلون بتطور الإنسان بعد خلقه وإيجاده في شكل بدائي بشري ثم تطوره إلى شكل متطور إنساني حديث ^(٢) بل هذه الأطوار التي مر بها خلق الإنسان قد جاء بيانها في آيات أخر من كتاب الله تعالى، وقد تقدم بيانها في ضوء الآيات القرآنية مثل آيات " المؤمنون " وآيات السجدة وغيرها من الآيات . وهذا هو المروي عن جماعة من السلف في تفسير الآية وبيان معناها . قال الحافظ ابن كثير : (معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة . قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد) ^(٣).

وقيل أطوارا : يعني صبيانا ثم شبانا ثم كهولا ثم شيوخا . وقد جاءت آية الحج جامعة لهذا المعنى والذي قبله فقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ ^(٤).

وقيل أطوارا : أي أنواعا : صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا .
وقيل أطوارا : أي : مختلفين في الأقوال والأفعال والأخلاق .
والأقوال الثلاثة الأخيرة ذكرها غير واحد من المفسرين منهم القرطبي ^(٥)، وصديق حسن خان القنوجي ^(٦) والشيخ عطية محمد سالم ^(٧).

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٤٠/٣ - ٢٤٢)؛ وتيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (ص : ٧٤٦ و ص : ٩٠١) .

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٩٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٤) .

(٤) الحج الآية : ٥

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١٨ - ٣٠٤) .

(٦) انظر : فتح البيان (٣٣٦/١٤)، والقنوجي هو محمد بن علي بن حسن، المشهور بصديق حسن خان القنوجي، زوج ملكة

بموبال الهندية، علامة محدث مفسر سلفي صاحب تصانيف كثيرة، من رجال النهضة الإسلامية المجلدين، توفي سنة ١٣٠٧هـ.

انظر : الأعلام (١٦٧/٦)؛ والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٨٥/١) برقم : ٤٨٣ .

(٧) انظر : أضواء البيان (التكملة ، ٣٢٠/٨) .

وأنسب الأقوال وأحسنها في بيان معنى الآية هو القول الأول وإن كان الجميع صحيحا. وذلك لوجود قرينة وهي أن الآية في قضية الخلق وهو الإيجاد الأول، لأن ما بعد الإيجاد صفات عارضة، ولأن الآية سبقت في الدلالة على قدرة الله على بعثهم بعد موتهم لمجازاتهم، فكان الأنسب بما أن يكون متعلقها كمال الخلقة والقدرة على الإيجاد. والأنسب لهذا المعنى هو خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين، ثم تطويرها إلى علقه، ثم تطوير العلقه مضغة، ثم خلق المضغة عظاما، ثم كسو العظام لحما، ثم نشأته نشأة أخرى . فهذا كله مرجح للقول الأول في بيان معنى الأطوار^(١)، والله أعلم بالصواب .

فهذه جملة من الآيات القرآنية التي حاول التطوريون ومن تأثر بهم من المسلمين وغيرهم الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه من القول بتطور الإنسان ولكنها في معزل عن الدلالة على ما استدلوا له، والتفسير الذي يذكرونه ليس له أي دليل من الكتاب والسنة ولا من أقوال السلف الصالح . فلا عبرة بمثل هذه التأويلات الباطنية الفاسدة للآيات القرآنية، لا سيما مع مخالفتها لما بينه الله في كتابه ولما بينه نبيه ﷺ في أحاديثه عن أصل الإنسان وخلقته .

الحاصل : إن ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين من القول بأن آدم وحواء عليهما السلام مرحلة أخيرة من التطور البشري، وأنهما جاءا مولودين لأبويهما من البشر الذين تعرضوا للتطور في الشكل والعقل خلال ملايين السنين، وكذلك ما فرق به بين البشر والإنسان فهذا كله باطل بعيد عن دلالة الكتاب والسنة واللغة العربية ومخالف تماما لما أخبر الله ورسوله عن خلق الإنسان وأصله، وكل ما خالف قول الله وقول رسوله؛ فلا عبرة به في ميزان العلم الصحيح والعقل السليم، والله أعلم بالصواب وهو الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد .

(١) انظر : المصدر السابق (٣٢٠/٨ - ٣٢١) .

المطلب الثالث : دعوى أن الزوج الأول من الإنسان الذي ينتمي إليه الناس كلهم تم خلقهما مباشرة، وأنهما أصل السلالة البشرية بعدهما ولكنهم تطوروا في الشكل والعقل من الإنسان البدائي نسلا بعد نسلا حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في شكله وعقله، وبيان ما فيه من الحق والباطل .

يرى الدكتور " مورييس بوكائي " أن الإنسان من ناحية الأصل قادم من زوجين تم خلقهما مباشرة، وأنه لم يتطور من حيوان كما تزعم الداروينية ومن تأثر بها، ولكنه تطور من الإنسان البدائي الذي وجد قبل ملايين السنين، ومر بمراحل عديدة من التطور في الشكل والعقل حتى وصل إلى الإنسان الحديث، وكان هذا التطور عن طريق التطور في الخلية والإضافة في الشفرة الوراثية، حيث حصل في جيل تعديلات طفيفة، وتجمعت تدريجيا، وانتهت بالإنسان الذي نعرفه اليوم . فهو يثبت تطور الإنسان عن طريق التطور في الخلية، ويرد على القول بتطور الإنسان من أية سلالة حيوانية. وهو برأيه هذا الخاص يحاول الجمع بين معطيات العلم وتعليمات الكتب المقدسة .

قال الدكتور " مورييس بوكائي " : (إذا كان الله بقدرته التي لا تحصى قد شاء في وقت معين أن يسمح لزوجين جديدين من الكائنات الحية بأن يظهرها على الأرض ... وما أن تم خلق هذين الزوجين الجديدين حتى كونا أصل سلالة بشرية تعرضت عبر ملايين السنين للتحويلات الجسدية التي يشير إليها علم الإحاثية بما لا يدع مجالا للإنكار . وبالتالي فإن الإنسان الذي خلقه الله - قد تطور من حيث الشكل - كما يوحي بذلك القرآن الكريم فيما يبدو . وتذكر آيات القرآن الكريم كذلك اختفاء بعض الأقسام الذين تم استبدالهم، وجاء أقوام آخرون يحملون ملامح شكلية شبيهة بملامح أسلافهم . ومن الممكن حقا أن يكون النمط البشري الذي يعيش الآن قد جاء نتيجة لهذه الأحداث والظواهر)^(١) .

وقال : (إن خلق النوع البشري تم بمعزل عن أية سلالة كانت موجودة من قبل، وأن هذا النوع تعرض بالتالي للتغيرات التي تحدثنا عنها ...)^(٢) وقال : (إن شكل الإنسان تعرض

(١) ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٢١٩)، وانظر (ص : ١١٤ و ١٤٢ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٠٧) والدكتور مورييس بوكائي له عناية بدراسة العلوم الدينية والدينية والتقريب بينهما يدل على ذلك كتابه المذكور آنفا وكذلك كتابه : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . انظر : مقدمة الناشر لكتاب : ما أصل الإنسان ؟ .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٢١) .

لتحولات منذ عهد بعيد ... ولا بد أن ننظر إلى التغيرات الشكلية التي طرأت على الإنسان عبر العصور، في ضوء المعلومات التي جاء بها علم الوراثة، فالتحولات طويلة المدى في الإنسان لا يمكن أن تكون قد حدثت إلا بسلسلة من عمليات " إعادة تشكيل " حدثت عبر أجيال متعاقبة، وتراكمت تدريجياً بمرور الزمن تحت تأثير المعلومات الجديدة التي وفرها الوراثة الجينية، واستمر مفعول المعلومات الجديدة بعد الولادة وطوال مرحلة الطفولة، وقد أثرت بصفة خاصة على البنيات البشرية . ومثال ذلك إن العنصر الذي طرأ عليه تغير كبير بمرور الزمن هو سعة الجمجمة، والتي ازدادت زيادة كبيرة بالارتباط مع نمو المخ!، وقد تطلبت هذه التغيرات تعديلات مستمرة ومتعاقبة عبر عدد كبير من الأجيال؛ لأن كل تحول من هذه التحولات كان صغيراً جداً في الواقع، وقد حدثت التحولات جميعها بطريقة منظمة تحت تأثير الوراثة الجينية (١).

وقال : (وتوجد لدينا دلائل لا يتطرق إليها الشك تدل على أن إنسان العصر الحديث ليس مماثلاً تماماً للأشكال البشرية التي كانت تعيش في العصور السحيقة والتي اكتشفت بقاياها منذ عهد قريب ومن ثم فإن وجود تحولات في النوع البشري بمرور الزمن أمر لا سبيل إلى إنكاره بل إنها مسألة واضحة مثلما أن الأرض كروية، وإذا كانت التوراة لا تذكر هذه التغيرات على وجه التحديد، فإن القرآن الكريم يخبرنا أنها قد وقعت بعد خلق الإنسان، ومن ثم فإن الكتاب المقدس على وفاق تام مع المعلومات العلمية في هذه الناحية) (٢).

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الدكتور موريس بوكاي فيه حق وباطل :

فمما فيه من الحق قوله : إن الإنسان لم يتطور من أية سلالة حيوانية، وأن النوع البشري تم خلقه بمعزل عن أية سلالة كانت موجودة من قبل .

فهذا حق وصواب . ولا شك أن الإنسان لم يتطور من أية سلالة حيوانية بل خلق خلقاً مستقلاً، وهو الذي تدل عليه النصوص الشرعية .

وكذلك قوله : إن الإنسان من ناحية الأصل قادم من زوجين تم خلقهما مباشرة، وهما الأصل للسلالة البشرية، فالناس كلهم من نسلهما، وجاءوا عن طريقهما .

(١) ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٢٢٢-٢٢٤) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٢٥) .

فهذا صحيح، ولا شك أن الإنسان من ناحية أصله قادم من آدم وحواء - عليهما السلام - وهما أول زوج من الإنسان على وجه الأرض ولكن ينبغي أن يعلم أن الله تعالى خلق أولا آدم ﷺ خلقا مستقلا ثم خلق منه زوجه حواء، ولم يخلقها مباشرة كما قال بل خلقها منه ﷺ ثم بارك في أولادهما .

وأما قوله : إن الإنسان في البداية لم يكن مثل إنسان اليوم بل كان كما يصوره علم الحفريات؛ أي : صغير الجسم، قليل العقل، قبيح الشكل ...، وتعرض تحولات جسدية وتغيرات شكلية عبر أجيال متعاقبة خلال ملايين السنين الماضية ... حتى وصل الإنسان إلى شكله الحالي ... فهذا قول باطل قطعاً وبيان ذلك بما يلي :

إن خلق أبي البشر الذي ينتمي إليه الناس كلهم من أمور الغيب لنا قال تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ ^(١) فنحن لم نشهد هذا الخلق ، كما أنه شيء لا يقع تحت حواسنا البشرية، ولا يخضع لتجاربنا العملية، وأيضا ليس هناك نظير مشاهد له يمكن قياسه عليه؛ فلا يمكن العلم به على وجه صحيح إلا عن طريق الخبر الصادق المتمثل في الوحيين من الكتاب والسنة وهما يدلان على بطلان هذا القول، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أولا : بيان بطلان ما ذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي" عن الإنسان الأول من خلال الآيات القرآنية .

● قال تعالى عن أبي البشر آدم ﷺ : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ ^(٢) .
فالله سبحانه وتعالى بين أنه من جملة ما أكرم به آدم ﷺ وأنعم عليه أنه علمه الأسماء كلها، وأنه علمه علما فاق به الملائكة، وعجزت الملائكة عن معرفة ما عرفه آدم ﷺ فلا يصح أن يقال إن الإنسان الأول لم يكن عنده علم ولا عقل ولا إدراك وأنه تطور في ذلك كله شيئا فشيئا .

(١) الكهف الآية : ٥١

(٢) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

● وقال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ ^(١) .

فإن الله سبحانه وتعالى أمر ملائكته كلهم أن يخروا ساجدين لأبي البشر آدم ﷺ الذي أكرمه سبحانه وتعالى بخلقه بيديه الكريمتين، وبنفخه فيه من روحه سبحانه . فهل يأمر الله سبحانه وملائكته بالسجود لمخلوق ناقص في خلقته وشكله وعلقه ؟ وهل هذا البشر الذي خلقه الله تعالى بيديه الكريمتين، ونفخ فيه من روحه سبحانه ثم أمر ملائكته كلهم بالسجود له كان مخلوقا ناقص التكوين قليل العقل صغير الجسم قبيح الصورة ؟ كلا، إن ذلك لا يليق بالله سبحانه وتعالى ، ولا يليق بقدرته العظيمة، ولا يليق بملائكته الكرام، ولا يليق بأبي البشر آدم ﷺ . بل خلقه الله تعالى خلقا كاملا مستقلا في أحسن صورة وأجمل شكل وأحسن تقويم . كما قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ^(٢) .

● وقال تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فذلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالارينا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإذا ما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ^(٤) .

(١) ص الآيات : ٧١-٧٥

(٢) التين الآية : ٤

(٣) الأعراف الآيات : ١٩-٢٤

(٤) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

فالله سبحانه وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يسكن مع زوجته الجنة، وأباح لهما أن يأكلا منها ما شاءا إلا شجرة عينها لهما ومنعهما عن الاقتراب منها. ولكنه لما أكلا من الشجرة المحرمة بإغواء الشيطان لهما ناداهما ربهما وذكرهما بنهييه إياهما عن الأكل منها، فمباشرة من غير توان منهما رفعا إلى الله سبحانه وتعالى أكف الضراعة والندامة، وطلبا منه سبحانه أن يغفر لهما خطيئتهما، ويمحو عنهما زلتهما، متوسلين برحمته سبحانه، وبإظهار ضعفهما أمامه . فأمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض، وبشر بمن تبع هداه بالفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة . فهل يصح أن يقال أن هذا الخطاب الإلهي بهذه الأوامر والنواهي كان متوجها من الله سبحانه وتعالى إلى مخلوق لم يتم خلقه، ولم ينضج عقله ؟ وهل يمكن أن يصدر مثل هذا الجواب من مخلوق ناقص التكوين، قليل العقل، قليل الفهم وقليل الإدراك ؟ ألا يدل اعتراف الأبوين بذنبهما ورجوعهما إلى ربهما وتوسلهما برحمته وبيان ضعفهما وخسارتهما إن لم يدركهما الله برحمته ومغفرته ... على تمام معرفتهما وكمال عقلهما وسلامة فطرتهما ونضوج عقلهما ودقة إدراكهما ؟ .

ثانيا : بيان بطلان ما ذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي" عن الإنسان الأول في ضوء الأحاديث النبوية .

● لقد جاء في عدد من الأحاديث النبوية على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الله سبحانه وتعالى كان قد أكرم أبا الناس آدم عليه السلام بتعليمه الأسماء كلها، وأنه سبحانه وتعالى كان قد علمه صنعة كل شيء لما أخرجه من الجنة .

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ... الحديث ^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) ..

فسجدوا لك. قال نعم... الحديث (١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير (٢).
فهذه الأحاديث النبوية تدل على أن آدم عليه السلام الذي هو أبو الناس كلهم كان الله سبحانه وتعالى قد علمه الأسماء كلها. وكان علمه صنعة كل شيء لما أخرجه من الجنة .
فآدم عليه السلام كان قادرا على الاستفادة من جميع الأشياء، ولا سيما ما كان يحتاج إليه منها.
وكان بإمكانه أن يعبر عن جميع ما يريده ويتصوره بلفظه، وكان قادرا على تسمية ما يراه ويقع تحت حسه من جميع الأجناس بلا استثناء بإلهام الله له .

وفي ذلك رد دامغ على دعوى كل من زعم أن الإنسان الأول تطور في خلخته وعقله وأنه في نشأته الأولى لم يكن يعقل سويا، ولم يكن يفهم جيدا، وأنه كان قليل العقل والإدراك، بعيدا عن النضوج العقلي، عاريا من التفكير السليم السوي، بل أقرب إلى الحرمان من قوة الفكر والإدراك والتدبر، ثم تطورت هذه القوى شيئا فشيئا في أبنائه حتى وصل الإنسان إلى عقله الحالي وعلمه الحديث وفكره المعاصر، فلا يصح أن يقال أن الإنسان الأول كان قليل العقل وأن أبنائه تطووا عقلا وإدراكا فيما بعد شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى عقلهم المعاصر؛ فإنها دعوى باطلة منتنة .
● وكذلك جاء في عدد من الأحاديث النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مزيد بيان وإيضاح لصفات

الإنسان الأول : أبي البشر آدم عليه السلام الذي ينتمي إليه الناس كلهم، وفيما يلي ذكر بعضها :
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله (٣).

(١) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٨٩) .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٤٥/٨ ح : ٣٠٢٩) مرفوعا وموقوفا، وأخرجه موقوفا كل من عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٤٤/١)؛ وابن جرير في تفسيره (٧٥/١)؛ وتاريخه (٨٢/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨/١ برقم : ٤٢١)؛ وكم (التاريخ، ب : ثماركم هذه من ثمار الجنة ٥٤٣/٢)، واللفظ له . وقال : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي وقال الميثمي في (مجمع الزوائد ١٩٧/٨ - ١٩٨) عن الرواية المرفوعة : (رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٣٩٣/١ - ٣٩٤) : (وهو وإن كان موقوفا لفظا فإنه مرفوع حكما لأنه من إخبار عن غيب لا يعلم بالرأي والقياس، والأشعري هو أبو موسى ولم يكن ممن يحكي عن الكعب القديمة) .

(٣) حديث صحيح على شرط مسلم، وورد مرفوعا وموقوفا، وقد سبق تخريجه وبيانه في (ص : ١٤٣) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس، فألممه ربه أن قال : الحمد لله. فقال له ربه : يرحمك الله. فلذلك سبقت رحمته غضبه ^(١).

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته. طوله ستون ذراعا. فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جلوس. فاستمع ما يحبونك، فإلها تحيتك وتحية ذريتك، قال : فذهب فقال : السلام عليكم. فقالوا : السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله. قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا. فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ^(٢).

وعن أبي بن كعب ؓ عن النبي ﷺ أنه قال : إن آدم كان رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هاربا في الجنة، فتعلقت به شجرة، فقال لها : أرسليني، فقالت : لست بمرسلتك، قال : وناداه ربه يا آدم ! أمني تفر ؟ قال : رب إني استحييتك ^(٣).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس فقال : الحمد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس، فقل : السلام عليكم. قالوا : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. فقال الله له : ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت قال : اخترت يمين ربي كلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته... الحديث ^(٤).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عيني، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال :

(١) حديث لا يقل عن درجة الحسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٣).

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤).

(٣) حديث إسناده حسن لذاته، ومجموع طرقه يكون صحيحا لغيره، وقد سبق تخريجه وبيانه في (ص : ١٦١-١٦٢).

(٤) حديث صحيح لغيره وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤).

ستين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته^(١).

فمن صفات أبي البشر آدم ﷺ الواردة في ضوء الأحاديث النبوية أنه كان أكمل الناس قامه، فكان طوله ستون ذراعا في السماء، كأنه نخلة سحوق، وأن الناس قد تناقص خلقهم بعده شيئا فشيئا^(٢)، وأنه كان يمشي على قدميه، وكان يأكل ويشرب، ويبصر ويسمع، ويعطس، ويحمد ربه، ويتكلم، ويفهم الخطاب، ويرد بأحسن الجواب، ويشعر بالخياء والندم، ويعبد ربه، ويطلب رحمته، ويستغفر منه ذنبه . ومن كانت هذه صفاته كما وردت على لسان أصدق البرية محمد ﷺ لا يصح أن يقال عنه بأنه كان ناقصا في خلقته وعقله وشكله وصورته، وأنه تطور شيئا فشيئا حتى وصل أبنائه خلال ملايين السنين إلى صورتهم الحاضرة وشكلهم الحالي وعقلهم المعاصر .

● لقد استنبط العلماء من قوله ﷺ غن يوسف ﷺ : ((فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن^(٣))) أن آدم ﷺ كان في غاية نهايات الحسن البشري، وأنه لم يكن في ذريته من يوازيه حسنا وجمالا، وهو استنباط حسن؛ فإن آدم ﷺ خلقه الله تعالى بيديه الكريمتين ونفخ فيه من روحه فما كان الله ليخلق بيده إلا أحسن الأشياء وأجملها^(٤). فلا يصح أن يقال أن الإنسان الأول كان رديء الشكل والصورة ثم تطور أبنائه في شكلهم شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى شكلهم الحالي . فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن أبا البشر آدم ﷺ كان على قدر كبير من العلم والعقل والمعرفة والإدراك، وأنه كان أكمل خلقا وأكثر طولا وجمالا من الإنسان الحالي، وأن الإنسان الحالي تناقص منه في خلقه وطوله وجماله شيئا فشيئا، وفي ذلك دلالة واضحة على بطلان دعوى من زعم أن الإنسان الأول في نشأته الأولى كان صغير العقل قليل العلم والمعرفة، وأنه كان دميم الشكل قبيح الصورة سيئ المظهر والمنظر،

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) انظر : صفات آدم ﷺ في (ص : ١٥٩-١٦٣) .

(٣) جزء من حديث المعراج، وهو حديث صحيح، واللفظ لمسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٢) .

(٤) انظر : (ص : ١٦٢) .

وأنه تطور أبنائه شيئاً فشيئاً في أجسادهم وعقولهم حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في علمه وعقله وحسنه وجماله ... فالأمر ليس كما زعم الدكتور "موريس بوكاي" وأمثاله، فإنه قول باطل وزعم فاسد؛ لأنه مخالف لقول الله وقول رسوله ﷺ في بيان صفة أبي البشر الذي ينتمي إليه جميع الناس، وكل قول أو رأي مخالف ما جاء في كتاب الله أو ثبت بحديثه عن رسول الله محمد ﷺ فهو قول باطل باطل بلا ريب .

ثالثاً : دلالة علم الحفريات والخلية والواقع المشاهد على بطلان ما

ذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي" وغيرهم من أنصار التطور .

أ - علم الحفريات : سبق أن ذكرت من خلال أقوال علماء الحفريات أن الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم تعارض فرضية التطور، وأنه كلما يتقدم العلم سيتبين بُعد احتمال تطور الإنسان من مخلوق قبله، وأن دراسة جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعاً محترماً للغاية، وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبرها الكثير من المعاصرين أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثلهم، وأن الأشخاص ناقصي الخلقة بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين، وأنه ليس بعيداً أن تكون بعض الاكتشافات الحفرية لغير الأصحاء من المرضى والمصابين بكوارث، وأن مثل هذه الأمور الشاذة لا زالت تحدث حتى اليوم^(١).

ب - الواقع المشاهد : بالإضافة إلى ما سبق من دلالة الأحاديث النبوية ومتابعة علم الحفريات لها على أن الإنسان في الماضي كان أقوى من الإنسان الحالي يشهد له الواقع والتجربة؛ فإن الإنسان في السابق كان أحسن قامة وأكثر قوة وأشد بنية وأقدر على الحفظ والتحمل من إنسان اليوم بل لو قورن ذلك بين الأجيال السالفة القربية وبين الأجيال الموجودة لوجدنا فرقا واضحاً بين هذه الأجيال الموجودة وبين تلك الأجيال الماضية، ولوجدنا أن الجيل السابق كان في حالة أحسن وبنية أقوى من إنسان اليوم .

فالناس منذ خلق آدم ﷺ ما زالوا يتناقصون في الخلق، وهذا هو الصحيح الذي لا مرية فيه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وشهد له علم الحفريات والمتخصصون في ذلك،

(١) انظر : (ص : ٢٥٢-٢٥٣) .

ويشهد له الواقع المشاهد. وهذا عكس ما يريده الدكتور "موريس بوكاي" وغيره من القائلين بتطور الإنسان الحالي من الإنسان السابق البدائي في الشكل والعقل وغيره .

ج - علم الخلية : وكذلك سبق أن ذكرت من خلال أقوال علماء الخلية أن المعلومات الجديدة التي أمكن الحصول عليها عن الإنسان تبين بطلان القول بتطوره، وأن التغيرات التي قد يتحملها الجسم الإنساني يجب حصول تبدل كل بضع سنين لجزئية واحدة في الإنسان، وأن أي تغيير أسرع سيؤدي إلى انقراض النوع الإنساني ولكن نظرية التطور تحتاج لإثبات صحتها إلى تغييرات أسرع من هذا بكثير. فلو زادت سرعة التغير والتطور لانقرض النوع الإنساني وإلا الوقت الذي يقدرونه للتطور غير كاف له . فالعلم الحديث عن الإنسان يبين بطلان القول بتطور الإنسان الحديث من الإنسان البدائي الناقص السابق ويدل على استحالة^(١).

أدلة الدكتور موريس بوكاي " فيما ذهب إليه .

١- الخفريات : وقد تقدم الكلام على بطلان الاستدلال بها على تطور الإنسان من عدة وجوه^(٢).

٢- الوراثة والخلية : وقد سبق بيان بطلان التطور عن طريق الخلية في ضوء أقوال علماء الخلية والمتخصصين فيها، وفي ضوء حسابات العلماء المتخصصين في علم الحساب^(٣).

٣- آيات من القرآن : وهي من الآيات نفسها التي استدل بها الدكتور عبد الصبور شاهين على زعمه أن الإنسان تطور من مخلوق قبله وهو البشر وقد تقدم الكلام عنها وبيان معانيها الصحيحة الموافقة للكتاب السنة وفهم السلف الدالة على شرف أصل الإنسان وفضله^(٤).

الحاصل : إن ما ذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي" من أن الإنسان قادم من زوجين تم خلقهما مباشرة، وأنهما لم يتطورا من أية سلالة حيوانية سابقة فهذا صحيح موافق لما دل عليه الكتاب والسنة . وأما زعمه أن الإنسان الحالي متطور من الإنسان القديم، وأن الإنسان في الماضي السحيق كان أدنى في علمه وعقله، وأنه كان أقبح في شكله وصورته من الإنسان الحديث، ثم حصل التحسن والتطور والارتقاء في الشكل

(١) انظر : (ص : ٢٤٤) .

(٢) انظر : (ص : ٢٥٠-٢٥٥) .

(٣) انظر : (ص : ٢٤٤) .

(٤) انظر : (ص : ٢٨٧-٢٩٣) .

والعقل عبر الأجيال خلال ملايين السنين فهذا قول غير صواب، يدل على بطلانه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويشهد بفساده المعلومات الحديثة عن الإنسان وعلم الحفريات وكذلك الواقع المشاهد والتجربة فهو قول باطل بلا شك والله أعلم بالصواب .

خلاصة الكلام عن أصل الإنسان : يتلخص لنا مما سبق أن ما ذهب إليه الهندوس عن أصل الإنسان، ومن شابه قوله قولهم من الفلاسفة وأتباعهم من الإسماعيلية الذين جعلوا الخالق مادة خلق لغيره من المخلوق، ثم وصفوا هذا المخلوق بصفات الخالق، فعطّلوا الخالق الحق عن مخلوقه، ونسبوا الخلق إلى غيره، وأشركوا معه غيره من المخلوق في الخلق والإيجاد، وجعلوا لأنفسهم أكثر من خالق، فهم بذلك ظلموا أنفسهم، ونحسوا حق خالقهم، وقالوا قولاً يتنافى مع العقل السليم .

وأما ما قاله الملاحدة المعاصرون من وجود الإنسان صدفة بدون خالق مدبر حكيم فهذا إنكار للخالق ظلماً وعلواً، وهذا ظلم ليس بعده ظلم؛ فإن من أكبر الظلم وأشنعهُ أن ينكر المخلوق الحقير خالقه ... كما أنه مخالف للعقل والمنطق السليم .

وأما أصل الإنسان الذي يصوره داروين - ذلك القرد الذي ترقى عن فأر أو صرصور - أو أصل الإنسان الذي يصوره من تأثر بنظرية داروين وذهب إلى الجمع بين الداروينية وبين ما قرره الإسلام فيرى أن أصل الإنسان مشوه الصورة قبيح الخلقة خفيف العقل ثقيل الظل لا سمع له ولا بصر ولا عقل .. وأشبه ما يكون بحيوان مفترس .. فهذا أصل يخجل الإنسان من الانتساب إليه ولكن مع ذلك وجد من الناس من يفتخر بالانتساب إليه ^(١). ﴿ ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور ﴾ ^(٢).

وأما ما قرره الإسلام عن أصل الإنسان فهو أصل كريم شريف يشعر الإنسان في نفسه العزة والكرامة والسعادة بالانتساب إليه، كما أنه يعطي الخالق الحكيم حقه من الإجلال والتعظيم. ويستوجب من العبد شكره وامتنانه تجاه خالقه وربّه، وهو الذي يتوافق مع العقل السليم والفكر المستقيم .

وقد تقدمت بعض ما خص الله تعالى به أبا لبشر آدم ﷺ وشرفه وكرمه به في الفصل الأول من هذا الباب، والآن سننظر مظهر آخر من مظاهر إكرام الباري ﷻ لآدم ﷺ، وألا وهو سجود الملائكة له بأمره تبارك وتعالى، وذلك في الباب القادم إن شاء الله تعالى، وبه التوفيق .

(١) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٨٨) .

(٢) النور الآية : ٤٠

الباب الثاني : سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه، وفيه فصلان.

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام .

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الرد على من يرى جواز السجود للمخلوق استدلالاً بسجود

الملائكة لآدم عليه السلام .

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

أولاً : معنى الملائكة في اللغة .

الملائكة في اللغة جمع مَلَك .

وقد اختلف أئمة اللغة في أصل كلمة " مَلَك " على أقوال ، و يمكن تلخيصها في قولين، وهما كما يلي :

القول الأول : أن كلمة " ملك " ليس لها اشتقاق عند العرب بل هي كلمة معربة

من اللغة العبرانية . ذكره القرطبي عن النضر بن شميل ^(١)، وعنه ذكره ابن عاشور ^(٢).

ويؤيده أن التوراة سمت المَلَك مَلَاكاً بالتخفيف ولكن تعقب هذا القول بأن وجود

كلمة متقاربة في اللفظ والمعنى في لغتين لا يلزم منه أن إحداها منقولة عن الأخرى ^(٣).

القول الثاني : إن " مَلَك " كلمة عربية، وهو قول جمهور أئمة اللغة، ولكنهم

اختلفوا في بيان ميزانه الصرفي، وما اشتق منه، على أقوال، وهي كما يلي :

أ - أن " مَلَك " مشتق من المَلِك ؛ لأن المَلِك مَالِك للأمور التي جعلها الله إليه .

وهذا القول عزاه رضي الدين ^(٤) إلى ابن كيسان ^(٥).

ب - أنه مشتق من المَلِك (بفتح الميم وسكون اللام) : بمعنى القوة والشدة يقال :

مَلَكْتُ العَجِينَ ؛ أي : شددت عجنه، ويقال : حائط ليس له ملاك ؛ أي قوة وتماسك ^(٦)،

هذا القول ذكره الراغب عن بعض المحققين ^(٧).

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١)، وابن عاشور هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر التونسي، عالم أديب مفسر، توفي سنة ١٢٨٤هـ انظر : معجم المؤلفين (١٠١/١٠ - ١٠٢) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٤) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢) .

(٥) محمد بن إبراهيم بن كيسان، أديب نحوي لغوي، توفي سنة ٢٩٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢١٣/٨ و ٣١١) .

(٦) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٧٦ ، مادة : ملك)، والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١)؛

وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤) .

(٧) انظر : المفردات في ألفاظ القرآن (ص : ٧٧٦ ، مادة : ملك)، والراغب هو الحسين بن محمد بن الفضل

المعروف بالراغب الأصفهاني، أديب لغوي مفسر، توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (٥٩/٤) .

وعزاه القرطبي^(١) وابن عاشور^(٢) إلى ابن كيسان، والحافظ ابن حجر إلى أبي عبيدة^(٣).
وقال أبو عبيدة^(٤): (الملاهمة : الهمزة فيها مجتلبة؛ لأن واحدها مَلَكٌ بغير همزة)^(٥). فهو لم يبين أنه مشتق من المَلِك أو المَلِك، وإنما يبين أن مفرد الملاهمة ليس فيها همزة زائدة، وعلى هذا فهو يحتمل كلا القولين. وعلى الوجهين السابقين يحتمل أن يكون "مَلَك" على وزن "فَعَلَ" مثل : بَطَلَ وأَسَد، من غير همزة مزيدة فيه، كما قال أبو عبيدة .

ويؤيده أنهم جوزوا في جمعه "أملاك" على وزن "أفعال". و"أفعال" لا يكون جمعا لما في أوله ميم زائدة^(٦)، وعلى هذا تكون "ملك" حروفه كلها أصلية من غير حذف أو تغيير فيها، ولكن جمعه "ملائك" على وزن "فعائل" يكون مما شذ عن القياس^(٧) لأن "فعائل" من أوزان الرباعي، وليس من أوزان الثلاثي^(٨)، والله أعلم .
وأیضا يحتمل أن يكون "مَلَك" أصله "مَلَأَك" على وزن "فَعَّلَ"، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها تخفيفا، فأصبح "مَلَك" على وزن "فعل" فبقيت الأحرف الأصلية، وحذفت منها الهمزة التي كانت زائدة، وعلى هذا يكون جمعه "ملائك" على وزن "فعائل" جمعا قياسيا لكون مفردة رباعيا في الأصل .
وهذا القول ذكره القرطبي^(٩)، ونسبه رضي الدين^(١٠) إلى ابن كيسان، ويبن أنه مشتق عنده من المَلِك، وتعبه بأن هذا اشتقاق بعيد، وأن "فَعَّلَ" قليل لا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١ - ٢٦٣) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٣) انظر : فتح الباري (٣٠٦/٦) .

(٤) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، النحوي اللغوي، صاحب تصانيف، وقد رمي برأي الخوارج، توفي سنة ٢٠٨هـ .

وقيل بعد ذلك . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٣٠ - ٣١ برقم : ٤٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥٤١ برقم : ٦٨١٢) .

(٥) مجاز القرآن (٣٥/١) .

(٦) انظر : فتح الباري (٣٠٦/٦) .

(٧) انظر : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملاهمة بالإنسان (ص : ١٤) .

(٨) انظر : شرح ابن عقيل (١٣٢/٤)؛ وأوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (٢٠٨/٤)؛ وشذا العرف في

فن الصرف (ص : ١٠٥ - ١٠٦) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) .

(١٠) محمد بن الحسن الاسترأبادي، نحوي صرفي، متكلم منطقي، توفي سنة ٦٨٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٨٣/٩) .

كما في " شمأل " ^(١). وكذلك أعزاه إليه ابن عاشور، وبين أنه مشتق عنده من المَلَك، وتعقبه بأن دعوى زيادة حرف بلا فائدة دعوى بعيدة ^(٢).

ج - أن " مَلَك " كان أصله " مَلْكَ " على وزن " مَفْعَل " من الألوك، وهي الرسالة، ولكن حصل فيه قلب مكاني، وذلك بتقديم عين الكلمة على فائها؛ أي : بتقديم اللام على الألف، فصار " مَلْكَ " على وزن " مَفْعَل "، ثم حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة استعمالها، فأصبح " مَلَك " على وزن " مَعَل "، فالميم الموجودة فيه زائدة، والهمزة التي هي فاء الكلمة محذوفة. ويكون جمعه ملائكة على وزن " معافلة " .

وعلى هذا القول، سميت الرسالة ألوكا لأنها تؤلك في الفم، أخذنا من قول العرب : يَأْلُكُ الفرس اللجام إذا مضغ الحديدية وعلكها ^(٣) .

وأثر عن الكسائي ^(٤) أنه كان يقول بهذا القول ^(٥) ولكنه تعقب بأن القلب خلاف الأصل ^(٦)، ولو كان مأخوذاً من " أَلَك " لظهر ذلك في بعض تصاريفه، ولقالوا في جمعه " مألكة " و " مألَك " مع أن الجمع قد جاء على ملائكة؛ أي: على الأصل، وهو " لأك " ^(٧)، وهو القول الآتي .

د - أن " مَلَك " أصله " مَلْأَك " على وزن " مَفْعَل " مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول، مشتق من لأك بمعنى أرسل : ومنه قولهم في الأمر بتبليغ رسالة : أَلَكْنِي إليه؛ أي : كن رسولي إليه ^(٨). ثم حذفت الهمزة وهي عين الكلمة بعد نقل حركتها إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها طلباً للتخفيف، فأصبح " مَلَك " على وزن " مَفْعَل "، وعلى هذا، الميم

(١) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٢٧٠/١٠، ألك)؛ والمفردات في ألفاظ القرآن (ص : ٨٢، ألك)؛ والعين (٤٠٩/٥، ألك)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١٣٣/١، ألك)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤) .

(٤) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي المعروف بالكسائي، مقرر مجود لغوي نحوي شاعر صاحب تصانيف كثيرة، توفي سنة ١٨٠ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٨٤/٧) .

(٥) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٧) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٨) انظر : تفسير غريب القرآن (ص : ٢٣)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨-٣٩٧/١) .

الموجودة فيه زائدة، وليست أصلية، كالقول الذي قبله، ولكن الهمزة المحذوفة هنا هي عين الكلمة . و تكون " ملائكة " على وزن " مفاعلة " .

وإنما اشتق اسم الملائكة من لأك بمعنى أرسل لأن الملائكة رسل الله تعالى إلى عباده . وهذا القول عزاه رضي الدين ^(١) وابن عاشور ^(٢) إلى أبي عبيدة، وذكر شيخنا الدكتور عبد الرزاق بن فراج الصاعدي ^(٣) - حفظه الله - أنه قول الجمهور، وأنهم رجحوه لسلامته من القلب ^(٤)، ولظهور الهمزة في المفرد في قولهم : " ملائكة "، وفي الجمع في قولهم : " ملائكة "، ولوجود نظيره في بعض اللغات السامية فهو في الحبشية والسريرية والعبرية " ملائكة "، كما أن فعله الثلاثي " لأك " لم يزل مستعملاً في اللغة الحبشية بمعنى : أرسل رسالة أو رسولا، فهذا كله مما يرجح هذا القول ^(٥).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن اللغة تحمل كلا القولين : فيمكن أن يكون " ملك " مشتقا من " لأك "؛ أي من غير قلب، وهو الذي اختاره، ويحتمل أن يكون مشتقا من " ألك " ثم وقع فيه القلب، وكلا الوجهين بمعنى الرسالة والبلاغ ^(٦).

والذي يظهر لي أن الأمر فيه سعة؛ فإن الملائكة موصفون بالقوة والشدة كما قال تعالى : ﴿ ملائكة غلاظ شداد ﴾ ^(٧)، وأنهم رسل الله تعالى ويقومون بتبليغ رسالات الله إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام، وأن الرسالة تؤلك في الفم وتؤدى به، فكل هذا يحتمل أن يكون قد اشتق منه كلمة " ملك "، وإن كان اشتقاقه من " ألك " أو " لأك " بمعنى : أرسل أقرب وأيسر لأنه أوضح في الدلالة، وأوفق لما يقوم به الملائكة من إبلاغ رسالات الله إلى الأنبياء والمرسلين، ثم إن اشتقاقه من " لأك " أرجح من الكل لسلامته من القلب، ولظهور الهمزة في المفرد في قولهم : " ملائكة "، وفي

(١) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨-٣٩٧/١) .

(٣) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٤) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨-٣٩٧/١) .

(٥) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (١٩٧/١ و ٣٨٨-٣٨٧) .

(٦) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٥٠٠) .

(٧) التحريم الآية : ٦

الجمع في قولهم : " ملائكة " ، ولوجود نظيره في بعض اللغات السامية، كما تقدم، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الملائكة عند المسلمين .

الملائكة عند المسلمين ^(١) خلق من خلق الله تعالى، مخلوقون من نور، وهم أحياء، ناطقون، متصفون بصفات حميدة، وأعمال رشيدة، وأقوال سديدة، ولهم ذوات قائمة بأنفسها، وقد زودهم الله تعالى بالقدرة على التشكل في أشكال مختلفة، وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ^(٢) وهم كثيرون جدا، لا يعلم عددهم إلا الله . قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ ^(٣) .

ثالثا : وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، ولا يعتبر الشخص مؤمنا إلا إذا آمن بهم؛ فقد أمر الله عباده أن يؤمنوا بهم، وذكر ذلك في جملة العقائد الإيمانية التي لقنها عباده، فقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ﴾ ^(٤)، وقال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ ^(٥) .

وقال النبي ﷺ في شرح الإيمان لما سأله عنه جبريل عليه السلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟

(١) انظر : أقوال الناس ومعتقداتهم في الملائكة مفصلة مع الرد على الأقوال الباطلة منها في كتاب : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٥ - ٢٣) .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٤٨٩ - ٤٩٨)؛ وفتح الباري (٣٠٦ / ٦)؛ ولوامع الأنوار البهية ... (٤٤٦ / ١ - ٤٤٧)؛ ومعارج القبول للحكمي (٦٥٦ / ٢)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤ - ١٥)؛ والإيمان بالملائكة عليهم السلام لعبد الله سراج الدين (ص : ٣ - ٤ ، و ١٩ - ٢٢)؛ وكتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (ص : ٣٥ - ٣٨)؛ وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف (ص : ٩٩)؛ والنظومة الألفية في مسائل الاعتقاد السلفية لفهد النفيعي (ص : ٨٥ - ٨٧)؛ وتعليقه على هذه الآيات (ص : ٢٣٨ - ٢٤٣) .

(٣) المدرر الآية : ٣١

(٤) البقرة الآية : ٢٨٥

(٥) البقرة الآية : ١٧٧

قال : الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر ... الحديث^(١).
وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((... أن تؤمن بالله، وملائكته،
وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ... الحديث^(٢).
وقد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ، وجميع
تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل دلالة قاطعة على وجود الملائكة وجودا حقيقيا، وأنهم
ليسوا ضربا من الأوهام ولا نوعا من تخيلات الأحلام، كما أنهم ليسوا عقولا مجردة، ولا من معاني
النفوس البشرية السعيدة بل هم عالم حقيقي الوجود وإن كانوا غيا عن العيان الشهود^(٣).
فإن وجود الموجود لا يتوقف على رؤية العيان، لأننا نجد كثيرا من الكائنات هي
قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود، ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها، فهذه
الأرواح المدبرة للأشباح، وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام، وهذا الهواء الذي
ملأ الفراغ والفضاء، هي كائنات موجودة قطعاً مع أنها لا ترى بالعين^(٤).
فكذلك الملائكة لا شك في وجودهم لدلالة الأدلة القطعية عليها، ولا يستبعد العقل
السليم؛ فلا ينبغي لعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ثبوته من الكتاب والسنة بل يجب الإيمان
بكل ما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ من أسمائهم وصفاتهم
وظائفهم وأعمالهم . فما كان منه مفعلاً يجب الإيمان به مفعلاً، وما كان منه مجعلاً
ولم يرد تفصيله في الكتاب والسنة يجب الإيمان به مجعلاً^(٥).
ومن أنكرهم ولم يؤمن بهم يكون كافراً بإجماع المسلمين^(٦) بل بنص القرآن الكريم
كما قال تعالى : ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾^(٧).

(١) جزء من حديث حبريل عليه السلام، أخرجه الشيخان، وهذا لفظ البخاري ح : ٤٤٩٩)، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦).

(٣) انظر : الإيمان بالملائكة عليهم السلام (ص : ٣).

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ٥).

(٥) انظر : تفسير آيات القرآن عن علاقة للملائكة بالإنسان (ص : ١٤-١٥)؛ وكتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم (ص : ٤٦-٤٩).

(٦) انظر : كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (ص : ٣٦).

(٧) النساء الآية : ١٣٦

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

لقد كرم الله تعالى آدم عليه السلام وخصه بميزات وفضائل كثيرة، ومن تلك المكرمات والخصائص التي اختص بها آدم عليه السلام أن الله تعالى أسجد له ملائكته، وقد جاء ذكر هذه الفضيلة العظيمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى، وفي كثير من أحاديث النبي ﷺ، وفيما يلي ذكر تلك الآيات الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وشيء من أحاديث النبي ﷺ .

الآيات القرآنية الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ^(١)، وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ ^(٢)، وقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ ^(٣)، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ ^(٤)، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ ^(٥)، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ ^(٦)، وقال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ ^(٧).

(١) البقرة الآية : ٣٤

(٢) الأعراف الآية : ١١

(٣) الحجر الآيات : ٢٨-٣١

(٤) الإسراء الآية : ٦١

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) طه الآية : ١١٦

(٧) ص الآيات : ٧١-٧٤

من الأحاديث النبوية الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

عن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يرشحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناك، ويذكر ذنبه فيستحي، اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث (١).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى (٢).

وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه (٣).

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين وتنص على أن مما أكرم الله تعالى به أبا البشر آدم عليه السلام أنه أسجد له ملائكته؛ فهذه منقبة جليلة و فضيلة عظيمة لآدم عليه السلام بشهادة من الله ورسوله ﷺ .

معنى السجود في اللغة العربية .

قبل الدخول في بيان معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام يحسن بنا أن نعرض على بيان

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٦٩) .

معنى السجود في اللغة العربية، حتى يسهل فهم معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام وحتى يسهل الرد على من جانبه الصواب في المسألة .

جاء في معجم مقاييس اللغة : (سجد : السين والجيم والdal أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل. يقال : سجد إذا تطامن، وكل ما ذل فقد سجد)^(١).

وفي الصحاح : (سجد : خضع ... ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض)^(٢). وفي تهذيب اللغة : (أسجد الرجل إذا طأ رأسه وانحنى. وسجد إذا وضع جبهته بالأرض ... وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد ... وسجود الموات كله في القرآن: طاعته لما سخر له، ومنه قول الله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدْ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٣). وليس سجود الموات لله بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله، وعلينا التسليم والإيمان بما أنزل من غير تطلب كيفية ذلك السجود وفقهه؛ لأن الله عز وجل لم يفقهناه)^(٤). وفي " المحكم والمحيط الأعظم " : (سجد يسجد سجودا : وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجِدَ و سُجُودٌ)^(٥).

وفي المعجم الوسيط : (سجد يسجد سجودا : خضع وتطامن. و - وضع جبهته على الأرض فهو ساجد، ج : سُجِدَ و سُجُودٌ)^(٦).

وفي " الزاهر في معاني كلمات الناس " : (سجد الرجل : معناه قد انحنى وتطامن ومال إلى الأرض من قول العرب : قد سجدت الدابة وأسجدت إذا خفضت رأسها لتركب)^(٧).

وفي مفردات ألفاظ القرآن : (السجود أصله التطامن والتذل، وجعل ذلك عبارة عن

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣٣/٣) .

(٢) الصحاح (٤٨٣/٢) مادة : سجد .

(٣) الحج الآية : ١٨

(٤) تهذيب اللغة (٥٦٩/١٠ - ٥٧٢ ، مادة : سجد) .

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (١٨٧/٧ ، مادة : سجد) .

(٦) المعجم الوسيط (٤١٦/١ ، مادة : سجد) .

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (١٤١/١ ، مادة : سجد) .

التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات. وذلك ضربان : سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب نحو قوله : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾^(١)؛ أي : تذللوا له . وسجود تسخير : وهو للإنسان والحيوانات والنبات. وعلى ذلك قوله : ﴿ والله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾^(٢) فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم^(٣) . وفي لسان العرب : (سجد يسجد سجودا : وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجِدَ وسُجِدَ)^(٤) .

فالسجود في اللغة معناه الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد والانحناء، ويكون غايته بوضع الجبهة على الأرض .

الأقوال في بيان معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام و بيان الراجح منها :

لا شك أن الله تعالى أمر ملائكته أن يسجدوا لآدم عليه السلام، كما بين الله ذلك في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين. وقد اتفقت الأمة على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن سجود عبادة لآدم عليه السلام^(٥)، ثم اختلفوا في بيان معنى سجود الملائكة له على أقوال، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

القول الأول : الملائكة هي قوى النفس الصالحة، والشياطين هي قوى النفس الخبيثة، وسجود الملائكة لآدم عليه السلام معناه طاعة القوى الصالحة للعقل، وامتناع الشياطين عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل .

هذا قول الفلاسفة ومن وافقهم^(٦)، وهو قول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

(١) النجم الآية : ٦٢

(٢) الرعد الآية : ١٥

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٣٩٧ ، مادة : سجد) .

(٤) لسان العرب (١٧٥/٦ ، مادة : سجد) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٢/٢١٢)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٦)؛ والجامع لأحكام القرآن (١/٢٩٣)؛ واللباب في علوم الكتاب (١/٥٢٨) .

(٦) انظر : ما ذكره ابن الجوزي في (كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام) و معه بيان مذاهب الفرق الضالة ص :

أحدها : الفلاسفة في الحقيقة ليس عندهم شيء من الإيمان بالغيب الذي أخبرت به الأنبياء - عليهم السلام -، فهم منكرون لحقيقة الإيمان وأركانها ^(١)، وإن كان من يذهب منهم إلى الجمع بين الآراء الفلسفية والأخبار النبوية يوحى ظاهر كلامهم أنهم مقرون بالإيمان بالغيب ولكن حقيقة كلامهم ومؤداه يكون النفي وعدم الإيمان به ^(٢).

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي استأثر الله بعلمه. وقد أخبر الله عنهم في كتبه، وعلى السنة رسله - عليهم السلام - ولكن الفلاسفة لا يؤمنون بهم، ويؤولون الآيات والأحاديث الدالة على وجود الملائكة تأويلاً يفضي إلى إنكارهم. فمن تأويلاتهم لنصوص الكتاب والسنة الدالة على وجود الملائكة أنهم زعموا أن الملائكة عبارة عن القوى الصالحة في النفس، وأن سجود الملائكة لآدم معناه طاعة القوى الصالحة للعقل ^(٣).

وهذا في الحقيقة إنكار لوجود الملائكة أصلاً، وكفر وتكذيب بما أخبر الله به عنهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

فهذا القول ليس من أقوال المسلمين الذين يؤمنون بما أخبرت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بل هو ليس من أقوال اليهود والنصارى القائلين بالنبوات الإلهية،

حج

٨٠-٨١)؛ والرازي في تفسيره (٢٣٨/٢)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع فتاوى ١٢٧/٤ و ٣٤٦/٤)؛ وفي (الصفدية ١٨٩/١ و ٢٥٢/٢)؛ وفي (الرد على المنطقيين ص : ١٠٦ و ٤٤٤ و ٤٨١)؛ وابن القيم في (الصواعق المرسلة ١٥٤٦/٤) بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ط. الثالثة .

(١) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ١٣٩)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٤٠٢-٤٠٣) .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ١٩٦ و ٢٧٥)؛ والصفدية (٢٥٢/٢) .

(٣) وكذلك من أقوال الفلاسفة ومن شائعهم والذين يريدون الجمع بين الآراء الفلسفية والأخبار النبوية أنهم يقولون تارة أن المقصود بالملائكة هي العقول العشرة والنفوس التسعة التي يقول بها الفلاسفة اليونانيون وقد يستلزون لذلك بقوله تعالى : ﴿عَلِيهَا سَعَتُهُمْ﴾ [المائدة : ٣٠] ، وتارة يقولون : أن جبريل هو العقل الفعال الذي بواسطته وجدت المخلوقات التي هي دون فلك القمر في زعمهم ، وتارة يجعلون جبريل هو ما يتشكل في نفس النبي من الصور الخيالية، وتارة يقولون : إن الملائكة هي الجواهر الروحانية أو أرواح البشر الصافية أو أرواح المدة لنفوسنا القوة والطاعة، وهي لنا كنسبة الضوء إلى الشمس وغيرها من الأقوال الباطلة . انظر للاطلاع على هذه الأقوال ومعرفة بطلانها : كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ومع بيان مذاهب الفرق الضالة لابن الجوزي (ص : ٨٠-٨١)؛ والتفسير الكبير (٢٣٨/٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١٩-١٢٩ ، ٢٥٩-٢٦٠ ، ٣٤٦)؛ والرد على المنطقيين (ص : ١٠٢ و ١٠٦ و ١٩٦-١٩٨ و ٢١٩ و ٢٧٦-٢٧٨ و ٤٤٤ و ٤٦٩-٤٧١ و ٤٨٦-٤٩٨)؛ والصفدية (١٨٩/١ ، ٢٠١-٢٠٩ و ٢٥١-٢٥٢/٢ و ٢٥٨)؛ وبنية المرتاد (ص : ١٩٠ و ٢١٥ و ٢١٩-٢٢٠ و ٢٣١-٢٣٢ و ٢٤٣-٢٤١ و ٢٥١-٢٥٥ و ٣٥٤-٣٥٥ و ٣٧٥-٣٧٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٤٤، المشر : ٣١)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٨-٢٣) .

وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة وأمثالهم من القرامطة الباطنية ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة وغيرهم^(١).

الثاني : أن الملائكة الذين وصفهم الله في الكتاب والسنة لا ينطبقون على هذه الأعراض والقوى الصالحة. فهم ليسوا أعراضا تقوم بالنفس بل هم خلق من خلق الله تعالى، أحياء ناطقون، لهم ذوات قائمة بأنفسها، قائمون بوظائف وأعمال جليلة، موصوفون بالذهاب، والحجى، والصعود، والتزول، والسمع، والبصر، والنطق، والكلام... إلى غير ذلك مما ورد في شأنهم وصفاتهم في الكتاب والسنة.

كذلك الشياطين الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة ليسوا مجرد القوى الخبيثة والأعراض الفاسدة والصفات الذميمة في النفس بل هم أعيان وذوات خبيثة يقومون بالإضلال والإفساد، وهم يأكلون ويشربون..... إلى غير ذلك مما ورد في وصفهم وذمهم والتحذير منهم في الكتاب والسنة.

فتفسير الملائكة والشياطين بالأعراض والقوى في النفوس خلاف لما بينه الله تعالى في كتبه، وأخبرت به رسله، واتفق عليه المسلمون^(٢).

الثالث : لقد أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وأنه سجد له الملائكة كلهم امتثالا لأمر ربهم، وأنه لم يشذ ممن أمر بالسجود له إلا إبليس، فالقول بأن امتناع إبليس عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل مخالف لما بينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله؛ إذ لم يكن أحد من الشياطين مأمورا بالسجود لآدم عليه السلام إلا أباهم الذي أبى وعصى واستكبر، ولم يكن مأمورا بالسجود منهم غيره^(٣).

وستأتي وجوه أخرى تبين بطلان هذا القول وفساده إن شاء الله.

القول الثاني : إن سجد الملائكة لآدم عليه السلام معناه تسخير هذا العالم للآدميين، وأن الكون بما فيه من المواد الأرضية والمعدنية ونحوها قد سخرها الله لهم، وأعطاهم القدرة على الانتفاع بها والتصرف فيها^(٤).

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٤٨٩-٤٩٨) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .

(٤) انظر : الإنسان في ظل الأديان للدكتور عمارة نجيب (ص : ٤٩)؛ والهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لأبي زيد

وهذا القول ذهب إليه طائفة من العصرين الذين يريدون أن يفسروا القرآن تفسيراً عصرياً - تأثراً بالمناهج والأفكار والنظريات الوافدة الفاسدة، وجهلاً بأضرارها ومفاسدها، أو حبا للظهور وطلباً للشهرة عن طريقها ^(١) - ففسروا القرآن الكريم بما يخالف روح الإسلام، ولا يتفق مع الغاية والحكمة التي من أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل . وقد يفضي بصاحبه إلى إنكار ما هو من أركان الإيمان ومسلمات الدين التي لا يصح الإيمان بدونها . و تأويلاتهم الفاسدة للآيات القرآنية كثيرة، ولكن اكتفيت هنا بذكر ما أتوا به من تأويلات فاسدة للآيات القرآنية المتعلقة بسجود الملائكة لآدم عليه السلام، ولا شك أن تفسير هذه الآيات القرآنية بمثل هذه الأقوال والآراء باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

الأول : إن هذه التفسيرات لا تستحق أن تسمى تفسيراً لكتاب الله تعالى بل هي أقرب إلى التحريف من التفسير لكتاب الله تعالى؛ فإنه لا فرق بينها وبين تحريف الباطنية والقرامطة الذين يفسرون القرآن حسب أهوائهم وخواطرهم ووساوسهم، بغير هدى من الله ولا هدى من رسول الله ﷺ ^(٢).

الثاني : إذا أولت هذه الآيات بمثل هذه التأويلات الباطلة توجه نظير هذا التحريف والتبديل لغيرها من الآيات القرآنية، فيقلب القرآن بعد ما كان تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة - رموزاً وإشارات وألغازاً وأحاجي . وينفتح باب عظيم من الشر، ويمكن لكل عدو للإسلام أن يدخل من هذا الباب، ويأتي بمثل هذه التفسيرات الباطلة والأقاويل الضالة؛ فيبطل بذلك القرآن كله، وتعود هدايته إضلالاً، ورحمته نقمة .

محمد
محمد المنهوري (ص : ٧) بواسطة كتاب : التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي (٢/ ٥٤٠)؛ وبواسطة كتاب : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للأستاذ فهد الرومي (٣/ ١٠٩١)؛ والقرآن محاولة لفهم عصري لمصطفى محمود (ص : ٦٨) وانظر : ما قاله عنه الشيخ فهد الرومي في كتابه : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣/ ١١٢٨)، وانظر : ما ذكره الشيخ رشيد رضا في تفسيره عن شيخه محمد عبده (١/ ٢٦٩ و ١/ ٢٨١-٢٨٢) وما قاله هو تبعاً لشيخه (٨/ ٣٣٢)؛ وكذلك انظر : ما ذكره عنهم العلامة عبد الرحمن السعدي في (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٨/ ٣٢٦) [ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته]؛ وأيضاً قصص الأنبياء له (ص : ٢٣) .

(١) انظر : التفسير والمفسرون (٢/ ٥٢٢-٥٢٣) .

(٢) انظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٨/ ٣٢٦) [ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي]؛ وأيضاً قصص الأنبياء له (ص : ٢٣) .

فسبحان ربي إن هذا لبهتان عظيم ^(١).

الثالث : القول بأن سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه تسخير هذا الكون وما فيه من القوى للإنسان يوحى بإنكار وجود الملائكة . وهذا أمر جد خطير؛ فإن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بهم، ويكفر منكرهم. فيجب الإيمان بهم إيمان تسليم وتصديق، ولا ينبغي تأويلهم على نحو يؤدي إلى الإنكار وعدم التسليم ^(٢).

الرابع : إن هذه التفسيرات ليس لها ما يساندها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

الخامس : إن هذه التفسيرات لا تدل عليه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فإن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٣) لا يقول أي شخص عاقل - له معرفة باللغة العربية - فضلا أن يقول بها مسلم يعرف دينه وكتابه : أن معناه طاعة القوى الصالحة للعقل، أو أن الله سخر للإنسان هذا الكون؛ فله حق التصرف والانتفاع بما فيه، أو أن الملائكة خدام آدم وذريته، وأنهم ما زالوا ساجدين لهم، وأنهم سيقون ساجدين لهم إلى يوم القيامة؛ أي : مستمرين في خدمتهم، وساعين لمنافعهم ولما يكفل معاشهم؛ فإن الآية لا تدل على مثل هذه الهذيان من قريب ولا بعيد .

فيتبين مما سبق من الوجوه أن القول بأن سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه تسخير هذا العالم للآدميين، وتمكينهم من الاستفادة بما فيه المواد الأرضية والمعدنية قول غير صحيح، وكذلك تدل هذه الوجوه على بطلان قول المتفلسفة ومن وافقهم، وقد سبق ذكره وبيان بطلانه، كما أنها تدل أيضا على بطلان القول الآتي، وهو :

القول الثالث : سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه موالاتهم لآدم ﷺ وبنيه، وخدمتهم، وسعيهم لما يفيد بني آدم في حياتهم، ومعاشهم إلى يوم القيامة . هذا القول ذهب إليه

(١) انظر : المصدرين السابقين نفسهما .

(٢) انظر : اتجاهات التفسير في العصر الراهن (ص : ١٥٩) .

(٣) البقرة الآية : ٣٤ و الإسراء الآية : ٦١ و الكهف الآية : ٥٠ و طه الآية : ١١٦

الأستاذ طنطاوي جوهرى^(١) والدكتور عبد الصبور شاهين .

قال الأستاذ طنطاوي بن جوهرى مبينا معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام : (سجود الملائكة لآدم تسخيرهم وانقيادهم للسعي لمنافع آدم وبنيه فيما يكفل معاشهم)^(٢) .

قد أوضح ذلك وفصل الدكتور عبد الصبور شاهين فقال : إن سجود الملائكة يعنى تكليفهم بحياطة الحياة الإنسانية، ابتداء من آدم، وهو تكليف ماض إلى يوم القيامة، تتولى الملائكة فيه المحافظة على بني آدم، وإلهامهم الخير، طبقا لمشئة الله تعالى، في مقابل ما توعد به إبليس آدم وذريته من الغواية والتضليل .

وعلى ذلك فقد سجد الملائكة، وما زالوا ساجدين لآدم، ولبنى آدم، وهذه هي الكرامة الوارد ذكرها في قوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾^(٣) . وهي التي أشار إليها إبليس في قصة الحوار في سورة الإسراء كما قال تعالى : ﴿ قال أراك هذا الذي كرمت علي ﴾^(٤) . أهـ بتصرف واختصار .

وقال أيضا : (إن تكليف الله سبحانه للملائكة بالسجود كان يعنى تكليفهم بالاشتغال بحفظ ذلك الخليفة النبي، وذريته إلى يوم القيامة . وقد رفض إبليس أن يخضع للأمر الإلهي، وأن يعمل في خدمة الإنسان كالملائكة . وبذلك انشق على الأمر الإلهي، وصار عدوا لآدم وذريته، كما صار عدوا لله خالقه)^(٥) وقال أيضا : (المعنى الصحيح للسجود : هو موالة آدم وذريته إلى يوم القيامة)^(٦) .

(١) طنطاوي بن جوهرى المصري، كان مولعا بالعلوم الحديثة، وحاول أن يفسر القرآن تفسيرا ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من العلوم، ولذلك تعرض لنقد كبير من العلماء حتى إن المملكة العربية السعودية منعت تفسيره من الدخول في المملكة، وتوفي سنة ١٣٥٨ هـ . انظر : الأعلام (٢٣٠/٣)؛ والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة المحجرة (٣١٨/١ برقم : ٤٢٠)؛ التفسير والمفسرون (٥٠٩-٥٠٥/٢) .

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥٢/١) .

(٣) الإسراء الآية : ٧٠

(٤) الإسراء الآية : ٦٢

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٣-١٤٤) .

(٦) المصدر السابق (ص : ١٤٦) .

(٧) أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٩) .

فهما يريان أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ يعني التكليف من الله لهم أن يقوموا بالمحافظة على بني آدم، وإلزامهم الخير وموالاةهم، والسعي لهم لما ينفعهم في معاشهم. وأن سجد هم لم ينته بعد بل هم مازالوا ساجدين لآدم وبنيه. وأنهم سيقون ساجدين لهم إلى يوم القيامة؛ أي : موالين لهم، ومحافظين عليهم، وقائمين بخدمتهم، وساعين لما ينفعهم ويكفل معاشهم .

وهذا القول من جنس القول السابق وقد تقدم بيان بطلانها من عدة وجوه، وهي كلها تدل على بطلان هذا القول أيضا ، و الآن أضيف إليها - بتوفيق الله تعالى - وجوها أخرى تدل على بطلان هذا القول وكذلك الذي قبله، وهي كما يلي :

الأول : إن الملائكة - عليهم السلام - كانوا أمروا بالسجود لآدم ﷺ فقط؛ ولم يكونوا أمروا بالسجود لآدم وذريته لأن الله تعالى قال لهم مخاطبا إياهم : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ ولم يقل لهم : { اسجدوا لآدم وذريته أو أسجدوا لآدم وبنيه } فكيف يصح القول بأن الملائكة أمروا بالسجود لآدم وذريته، وأنهم سجدوا لآدم وذريته ؟ .

الثاني : قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ ^(١) سجد فعل ماض. وقد اتفق أئمة اللغة أن الفعل الماضي المجرد عن القرينة ^(٢) يدل على معنى - أي : حدث - وزمن قد مضى وفات قبل النطق به ^(٣) . والحدث هنا هو السجود من الملائكة لآدم ﷺ، ولا شك أن هذا الحدث كان قد وقع ومضى قبل أن يخبرنا الله به بإنزال كتابه العزيز على رسوله محمد ﷺ بزمن لا يعلمه إلا الله تعالى. فكيف يصح أن يقال : أن الملائكة ما زالوا ساجدين منذ خلق آدم ﷺ إلى الآن، وأنهم سيقون ساجدين له ولذريته إلى يوم القيامة ؟ والله إن هذا لقول غريب جدا! ولا تكاد تسمع أحدا يقول بهذا القول أو يوافقك على هذا التفسير .

الثالث : قد أخبر الله عن سجود الملائكة لآدم ﷺ بقوله تعالى : ﴿ فسجدوا ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة ﴾ . وكذلك أخبر النبي ﷺ عن ذلك كما قال

(١) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

(٢) قد تكون الصيغة للفعل الماضي ويراد بها المستقبل . مثلا : إذا كان على سبيل الطلب والدعاء كقول أحدنا لشخص

أحسن إليه : جزاك الله خيرا، وأعانك الله، ورفع درجاتك . انظر للتفصيل : معاني النحو (٣١٢/٣ - ٣٢٧) .

(٣) انظر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣٦/١)؛ وشذا العرف في فن الصرف (ص : ٢٥)؛ والنحو

الروائي (٤٥/١ - ٤٦)؛ والمرشد إلى قواعد اللغة العربية (٣٦/٢)؛ وتصريف الأفعال (ص : ١٠٩) .

موسى لآدم - عليهما السلام - ، وكما يقول له أهل الموقف وذلك بقوله ﷺ :
((... وأسجد لك ملائكته ...)) ، وبقوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة ؓ : ((...
فسجدوا ...)) ، فـ (سجد) و (سجدوا) و (أسجد) هذه كلها من صيغ الفعل
الماضي الذي يدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي .

والأزمنة ثلاثة : الماضي، والحال، والاستقبال . وللإخبار بحدوث أي حدث في
زمن من هذه الأزمان الثلاثة أفعال خاصة . فللإخبار بوقوع الحدث في الزمن الماضي
فعل خاص، وهو الفعل الماضي . وللإخبار بوقوع الحدث في الزمن الحاضر أو المستقبل
فعل مشترك بينهما، وهو الفعل المضارع . وإذا أراد المخبر أن يخبر بوقوع الخبر في
أحدهما بالتعيين، فهناك أدوات خاصة يخصص بها المتكلم الزمن الذي وقع فيه الحدث
من الحال أو الاستقبال. وإذا أراد المتكلم الإخبار عن حدث وقع في الماضي، وهو يقع
في الحال، وكذلك سيقع في المستقبل فيجب عليه أن يستعمل لذلك الأفعال والصيغ
والأدوات الخاصة بالزمن الذي وقع فيه الحدث. فهي تتغير من فعل إلى فعل، ومن
شكل إلى شكل، ومن صيغة إلى صيغة، ومن حالة إلى حالة، ومن تركيب إلى تركيب،
 باختلاف الزمن الذي وقع فيه الحدث، فعل واحد بصيغة واحدة في تركيب واحد ونسق
واحد يدل على الأزمان الثلاثة : أي : مضيا، أو حالا، أو استقبالا، ولكن لا يوجد منذ
خلق آدم ﷺ إلى وقتنا الحالي، وإلى يوم القيامة باستمرار، بل قد لا تجد ذلك في أي لغة
من لغات العالم فضلا أن تجدها في اللغة العربية التي أجمع اللغات وأوسعها وأفصحها
وأبلغها وأدقها على الإطلاق .

فلو كان المقصود بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بسجود الملائكة لآدم
ﷺ البيان والإخبار بأن الملائكة سجدوا لآدم وبنيه في الماضي السحيق، وأنهم لا زالوا
ساجدين لهم إلى وقتنا الحاضر، وأنهم سيستمرون في سجودهم في المستقبل وسيقون
ساجدين لهم إلى يوم القيامة لجاءت هذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بأفعال
وصيغ مختلفة حسب اختلاف زمن السجود - كما زعم الزاعم - ، ولم تكن على نسق
واحد بفعل واحد في الأحوال كلها، والله أعلم بالصواب .

الرابع : إن الله تعالى أكرم أبا البشر آدم ﷺ بمكرمات وفضائل لم يشاركه فيها

أحد من المخلوقين، ومن تلك الفضائل التي اختص بها آدم ﷺ أن الله أسجد له ملائكته أجمعين. ولذلك قال له موسى ﷺ : ((أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته...)) الحديث (١). وكذلك أهل الموقف يأتون إليه يوم القيامة فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحي ، اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...)) الحديث (٢)، ثم يذهبون إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، ويذكرون لكل واحد منهم بما اختص به .

فآدم ﷺ أبو البشر كلهم، وقد خلقه الله بيده، على صورته، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جنته . فهذه جملة من الكرامات والفضائل التي اختص بها آدم ﷺ، وهي التي أشار إليها إبليس عند إبائه عن السجود لآدم ﷺ .
وأما ما أنعم الله به على بني آدم وكرمهم به فقد ورد ذكر بعضه في آية الإسراء حيث يقول الباري جل وعلا : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (٣).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ (٤) ؛ أي : يمشي قائما منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية. ﴿ وحملناهم في البر ﴾ ؛ أي : على الدواب من الأنعام والخيول والبغال،

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩).

(٢) جزء من حديث الشفاعة برواية أنس رضى الله عنه، وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩).

(٣) الإسراء الآية : ٧٠

(٤) التين الآية : ٤

وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار، ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ ؛ أي : من زروع، وثمار، ولحوم، وألبان، من سائر أنواع الطعوم، والألوان المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة، من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها، وألوانها، وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا﴾ ؛ أي : من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات (١).

فهذه جملة مما أنعم الله به على بني آدم وكرمهم به، فسجود الملائكة مما أختص به آدم ﷺ ولم يشاركه فيها أحد من المخلوق، فلا يصح إدخال هذه الكرامة الخاصة بآدم ﷺ في تلك الكرامة العامة التي جعلها الله لبني آدم كلهم. فإن ذلك يستلزم سلب هذه الخصوصية العظيمة من أبي البشر ونفيه عنه (٢).

وهذا الوجه يدل أيضا على بطلان قول المتفلسفة ومن شايعهم، كما يدل على بطلان قول العصريين العقلانيين؛ إذ يلزم من أقوالهم أيضا سلب هذه المفخرة العظيمة والخصوصية الجليلة من أبي البشر آدم ﷺ، وقد تقدم ذكر أقوالهم، وبيان بطلانها . وكذلك الوجه القادم أيضا يدل على بطلان أقوالهم جميعا وهو :

الخامس : لو كان المقصود من سجود الملائكة لآدم ﷺ ما ذكره الفلاسفة ومن وافقهم من العصريين يلزم منه أن الله تعالى لم يبين ذلك في كتابه أوضح بيان، وأن رسول الله ﷺ لم يفهم المقصود من هذه الآيات على وجه صحيح، أو أنه ﷺ فهم المقصود منها ولكنه لم يبين ذلك لأصحابه وكتبه منهم، أو أنه أراد الخير لهم وحاول بيان ذلك لهم ولكنه لم يساعده لسانه وبيانه، فلم يتمكن من الإفصاح عما في ضميره حتى يفهم السامعون منه على الوجه الصحيح، فبقيت هذه الآيات غير مفهومة فهما صحيحا منذ نزولها، ولم يفهما أحد من أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى أن جاء هؤلاء العقلانيون من الفلاسفة والعصريين، ففهموها على وجه صحيح بعد آلاف السنين، وحرصوا على صلاح الناس وفلاحهم فبينوها لهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٥١/٣) .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٥٦/٢)؛ وقصص الأنبياء لابن كثير (ص : ١١) .

بيانا واضحا يفهمونه !! .

فيلزم من أقوالهم القدح فيمن أنزل عليه هذه النصوص وأخبر بها، إما في علمه ومعرفته، وإما في فصاحته وبيانه، وإما في نصحه وحرصه على هداية المخاطبين وصلاحهم وإرادة الخير لهم .

فهل هؤلاء أفصح بيانا من كتاب الله أو أنهم أعلم بمراد الله من رسول الله ﷺ أو أنهم أحسن كلاما وأفصح بيانا من رسول الله ﷺ أو أنهم أحرص على صلاح الأمة وفلاحها وأنصح لها من رسول الله ﷺ أو أنهم أفهم لكتاب الله من الصحابة والتابعين وأتباعهم؟! لا يمكن أن يدعي ذلك إلا جاهل أو زنديق^(١). والله المستعان .

ويتبين مما سبق أن هذا القول في بيان معنى سجود الملائكة لآدم ﷺ بعيد جدا عن الصواب لكونه مخالفا للكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح وقواعد اللغة العربية، والله أعلم .

القول الرابع : روح آدم ﷺ جزء من الله تبارك وتعالى، انتقلت إلى آدم لما نفخ الله فيه من روحه تعالى، وبه استحق آدم سجود الملائكة؛ أي : كان سجود الملائكة لذلك الجزء الإلهي الذي حل في آدم ﷺ . تعالى الله عما يصف الظالمون علوا كبيرا .

وهذا قول بيان بن سمعان التميمي، وهو الذي تنتسب إليها البيانية التي هي إحدى فرق الرافضة الغالية الحلولية^(٢).

ولا شك أن هذا قول مبني على كفر بواح، وظلمات دامسة بعضها فوق بعض، لا يقول به عاقل مسلم يعرف شيئا من دينه وما أنزل على نبيه . وقد تقدم بيان بطلان هذا القول عند بيان المراد بالروح التي نفخت في آدم ﷺ^(٣).

القول الخامس : هو ما ذهب إليه ابن الفارض^(٤) ومن وافقه من أمثاله من القائلين

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٨/٤ و ٥ / ٢٦-٢٧ و ٣٠-٣١)؛ والصواعق المنزلة على

الطائفة الجهمية والمعتلة (١٧٨-١٧٧/١) .

(٢) انظر : الملل والنحل (١٥٣-١٥٢/١) .

(٣) انظر : (ص : ١١١-١١٩) .

(٤) هو عمر بن علي المعروف بابن الفارض، من الصوفية القائلين بوحدة الوجود، ولذلك كفره جماعة من أهل العلم

من عصره إلى عصرنا، وقد ذكر البقاعي في كتابه " مصرع التصوف " (ص : ١٩٢-١٩٥) نحواً من أربعين من

كبار أهل العلم الذين كفروا ابن الفارض، وبين أن تكفير العلماء له متواتر. فعلا من نظر في قصيدته الثائية رأى

بوحدة الوجود^(١) الذين يرون أنه ليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود بل الكل واحد؛ فالخالق عين المخلوق، والمخلوق عين الخالق !! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وبناء على هذه العقيدة الكفرية زعم ابن الفارض : أنه عين الله، وأنه عين الرسل الكرام، وأنه عين آدم ﷺ، وأنه عين الملائكة الذين سجدوا لآدم ﷺ . فقال :

وفي شهدت الساجدين لمظهري فحققت أي كنت آدم سجدتي^(٢)

وقال القاشاني في شرح هذا البيت : (أي عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهري، فعلمت حقيقة أي كنت في سجدتي تلك السجدة، وأن الملائكة يسجدون لي، والملائكة صفة من صفاتي ، فالساجد صفة من صفاتي تسجد لذاتي)^(٣) .

فرغم ابن فارض ووافقه أمثاله أن الملائكة سجدوا لمظهره، وأن آدم ﷺ تجسد في الذات الإلهية التي هي ابن فارض؛ فلا يرى بين الله تعالى وآدم ﷺ والملائكة وبين نفسه فرقا بل يرى أن الكل واحد وهذا الواحد هو ابن الفارض. واجتنابا من القول بالتعدد والغيرية، ومن الاعتراض عليه بأنك ما دمت تتحدث عن ساجدين، وعن مسجود له، فقد قلت بذوات كثيرة وأغيار عديدة زعم القاشاني أن الملائكة ليست ذوات، وإنما هي صفات للذات الإلهية، والصفات عنده عين الذات، فلا تعدد ولا غيرية .

ولا شك أن هذا القول وهذا المعتقد أقبح من كفر البيانية الحلولية وزينهم وضلالهم، لأن البيانية قالوا بحلول جزء من الذات الإلهية في آدم ﷺ. أما ابن الفارض ومن وافقه فقد جعلوا الذات الإلهية والملائكة وآدم وابن الفارض بل الخلق كله ذاتا واحدة؛ وليس عندهم وجود منفصل للذات الإلهية عن الخلق، ولا للخلق عن الخالق . وقد تقدم بيان بطلان القول بحلول جزء من الروح الإلهية في آدم ﷺ من عدة وجوه فهي تدل على بطلان هذا القول من باب أولى^(٤) .

فيها كفرا بواحا وزندقة صريحة والله المستعان . انظر ترجمته ونماذج من كلامه الدال على اعتقاده وحدة الوجود في

(لسان الميزان ٣١٧/٤ - ٣١٩ ، في ترجمته)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٢٤ - ٣٣ ، ٩٧ - ٩٨) .

(١) انظر : أقوال القائلين بوحدة الوجود مع بيان بطلانها في كتاب " هذه هي الصوفية " (ص : ٢٢ - ٦٨) .

(٢) ديوان عمر ابن الفارض (الثائية الكبرى المسماة بنظم السلوك ، ص : ٦٣) .

(٣) كشف الوجه الغر (٨٩/٢) على هامش شرح الديوان، نقلا من كتاب : هذه هي الصوفية (ص : ٣٣) .

(٤) انظر : (ص : ١١٢ - ١١٧) .

وبالإضافة إلى ما سبق تضاف هنا وجوه أخرى تدل على بطلان هذا القول وفساد هذا المعتقد، وهي كما يلي :

الأول : إن الناظر في قصة آدم عليه السلام التي حكاه الله تعالى في كتابه الكريم وبينه رسوله الأمين في أحاديثه الكريمة يجد أن هناك أمرا بالسجود، وهو الله سبحانه وتعالى. وهناك مسجود له وهو آدم عليه السلام. وهناك ساجدون، وهم جميع الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله. وهناك من امتنع من السجود، وهو إبليس. فكيف يصح أن يقال أن الأمر بالسجود، والمسجود له، والساجدين الذين لا يعلم عددهم إلا الله، والممتنع عن السجود هؤلاء كلهم واحد؟. وكيف يصح أن يقال أنه ليس لأحد منهم وجود منفصل عن الآخر؟ وهل يصح أن يقال أن آدم عليه السلام والملائكة وإبليس كلهم أمروا بالسجود لآدم عليه السلام كما أمر الله تعالى بذلك، وأن كلهم كانوا مأمورين بالسجود لآدم عليه السلام، وأن كلهم سجدوا له، وأن كلهم امتنعوا عن السجود؟ ألا يتناقض هذا مع بداهة العقول؟

الثاني : كذلك هناك زوجة آدم عليه السلام وهي حواء عليهما السلام. وقد جعل الله لهما ذرية كثيرة، وهم ما زالوا يولدون إلى الآن، وسيقون يولدون إلى يوم القيامة. فكيف يصح أن يقال : أن الكل واحد، وأنه ليس هناك غير واحد في الوجود مع أن التوالد والتكاثر ما زال مستمرا في بني آدم، وسيبقى مستمرا إلى يوم القيامة؟

الثالث : إن ابن الفارض الذي ادعى بهذه الدعوى الخبيثة قد خلق من أبوين في الربع الأخير من القرن السادس من الهجرة النبوية، وبالتحديد ولد في ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مائة بالقاهرة^(١). فهو جاء بعد وفاة آدم عليه السلام بألاف كثيرة من السنين. فكيف يصح أن يقال أن الملائكة لما سجدت لآدم عليه السلام كان ذلك السجود لمظهر ابن الفارض وذاته مع أنه لم يكن لابن الفارض ولا لأحد من بني آدم وجود في ذلك الوقت أصلا؟.

الرابع : إذا كان ابن الفارض هو عين الرب الرازق الخالق المعبود، وأنه هو الذي به حياة الأحياء... فهل العالم بأرضه وسماؤه وما بينهما كان موجودا قبل أن يخلق ابن فارض أم لا؟ ولا شك أنه لا يقول عاقل أن العالم وجد بوجود ابن فارض، وأنه لم يكن

(١) انظر : لسان الميزان (٣١٧/٤ برقم : ١٠٠٣) .

للعالم وجود قبله بل العالم موجود قبل أن يخلق ابن فارض بآلاف كثيرة من السنين التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى . فمن خلق هذا العالم كله ودبره وصيره قبل أن يخلق ابن الفارض في الدنيا ؟ ومن خلق أبويه اللذين ربياه صغيرا ؟ فهل يصح أن يصدق دعوى من يدعي الألوهية، وهو مخلوق عن طريق الأبوين من البشر، وقد بقى شهورا وهو جنين في بطن أمه ؟ ثم خلق ضعيفا عاجزا لا يعلم شيئا ... ؟ كلا وألف كلا .

الخامس : ثم إن ابن فارض مات سنة اثنين وثلاثين وستمائة من الهجرة . فهل مات إليه هؤلاء المدعين المفترين الكذابين من الاتحادية بموت ابن فارض ومن وافقه في هذه الدعوى الخبيثة ؟ وهل انتهى العالم وذهب الوجود كله بموته من الدنيا ؟ وهل لا يوجد الآن وجود للدنيا ومن فيها ؟ وأهم من ذلك كله هل يموت الإله ويهلك ؟ ومن يموت ويفنى ويهلك هل يستحق أن يكون إلها ؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار .

السادس : وأما قول القاشاني أن الملائكة صفة من صفاتي فهذا معلوم بطلانه وفساده فإن الملائكة ليسوا أعراضا وصفات للذات الإلهية بل هم خلق من خلق الله تعالى، أحياء ناطقون، لهم ذوات قائمة بأنفسها، موصوفون بصفات حميدة، وقائمون بوظائف وأعمال جليلة .

السابع : يمكن أن يقال لهم : من أين علمتم وأخذتم معلوماتكم هذه التي تتناقض مع الشرع تناقضا بينا ؟ فإن ما في الشرع جاء عن طريق الوحي من الله إلى الأنبياء - عليهم السلام - وقد جاءوا بالأدلة والبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم . وأما ما ادعيتموه فلا بد أن تبينوا مصدره فإن العقل لا يستطيع أن يتوصل إلى ما ذكرتموه . فهل أوحى الله تعالى إليكم كما أوحى إلى أنبيائه ورسله من قبل ؟ وأين الأدلة والبراهين والمعجزات التي تدل على صدقكم في دعواكم ؟

ولا شك أنه لا يوجد شيء من ذلك سوى الدعاوى الكاذبة التي يفترون بها على الله تعالى من عند أنفسهم . وليس بإمكانهم أن يقيموا عليها برهانا شرعيا ولا عقليا . فهم ممن قال الله فيهم : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ ^(١) ﴿ ومن الناس من

(١) القصص الآية : ٥٠

يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»^(١) ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾^(٢) .

الثامن : إن هذا القول نابع من الاعتقاد بوحدة الوجود. والقول بوحدة الوجود معلوم بطلانه بالضرورة، وزعمهم أن الملائكة سجدوا لمظهر ابن الفارض وذاته فرع من فروع تلك العقيدة الباطلة . فإذا كان أساس القول وأصله باطلا فلا شك في بطلان ما بني عليه وتفرع منه؛ فإنك لا تجني من الشوك العنب، والله أعلم بالصواب .

القول السادس : إن سجود الملائكة لم يكن لآدم ﷺ بل كان لله تعالى. وإنما جعل آدم ﷺ قبة لهم، كما جعلت الكعبة قبة لنا في سجدتنا وصلاتنا . وذلك لأن السجود لغير الله محرم في جميع الأديان والشرائع بل كفر، ولأنه لم يسبق لآدم ﷺ ما يوجب الإكرام له بالسجود .

وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين^(٣)، واختاره ابن العربي^(٤)، وإليه جنح القرطبي^(٥)، وعده شيخ الإسلام ابن تيمية من أقوال بعض الأغبياء وهذيانهم من المعتزلة، ومن تبعهم من متأخري الأشاعرة، وبعض من ينتسب إلى السنة^(٦)، وذكر ابن مفلح^(٧) والقاسمي^(٨) والشيخ محمد سيد طنطاوي أنه من قول المعتزلة^(٩).

(١) الحج الآية : ٨

(٢) الأنعام الآية : ١٤٤

(٣) انظر : أحكام القرآن للحصص (٣٧/١)؛ والتفسير الكبير (٢١٢/٢)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨٧/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١) .

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن العربي (١٦/١)، وابن العربي هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المالكي، إمام حافظ صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٤٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠ - ٢٠٤) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢/١) .

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٦/٤ و ٣٥٨ و ٣٦١) .

(٧) انظر : مصائب الإنسان من مكائد الشيطان (ص : ٣٦)، وابن مفلح هو إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد المقدسي، عالم فقيه، توفي سنة ٨٠٣ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٠٧/١) .

(٨) انظر : محاسن التأويل (١٠١/٢ - ١٠٢)، القاسمي هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٣٢ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٧/٣ - ١٥٨) .

(٩) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد الطنطاوي وهو من شيوخ الأزهر في مصر (٩٨/١) .

وهذا القول باطل؛ وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدها : إن سجود الملائكة كان لآدم عليه السلام بأمر من الله تعالى وفرضه عليهم . وقد أجمع على ذلك كل من يسمع قوله ويعتد به ^(١).

الثاني : قال تعالى مخاطبا لملائكته : ﴿ فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ . ولم يقل : ﴿ فَقَعُوا إِلَيْهِ سَاجِدِينَ أَوْ اسْجُدُوا إِلَى آدَمَ ﴾ ، وكل حرف له معنى ، ومن التمييز في اللسان أن يقال : سجدت له ، وسجدت إليه . وقد أجمع المسلمون على أن السجود لغير الله محرم . وكذلك قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى بيت المقدس ثم صلى إلى الكعبة إلى آخر حياته ، وأنه كان يصلي إلى عترة ، وإلى عمود ، وإلى شجرة . ولا يصح أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي لبيت المقدس أو للكعبة أو للعترة ، أو للعمود أو للشجرة ^(٢).

الثالث : إن إبليس لم يمتنع من السجود لآدم عليه السلام إلا لأنه رأى فيه تكريما وتعظيما وتشريفا لآدم عليه السلام . ويدل على ذلك قول إبليس فيما حكى الله عنه حيث قال جل وعلا : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ^(٣) ﴾ . فلو كان آدم عليه السلام قبلة لم يمتنع إبليس من السجود له . فإن القبلة قد تكون أحجارا ، وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها . وقد يصلي الرجل إلى عترة وبغير ، ولا يتوهم أنه مفضل بذلك . فهذا يدل على أن الشيطان إنما فر من تكريم الله لآدم عليه السلام وتشريفه له بذلك السجود ^(٤).

الرابع : إنه لو جعل آدم عليه السلام قبلة في سجدة واحدة لكانت القبلة وبيت المقدس

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٨/٤) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٨/٤) ، وانظر أيضا : التفسير الكبير (٢١٢/٢) ؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١) .

(٣) الإسراء الآيتان : ٦١-٦٢ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للحصص (٣٧/١-٣٨) ؛ والتفسير الكبير (٢١٢/) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤) ؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٨/١) ؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١) .

أفضل منه بآلاف كثيرة؛ إذ جعلت قبلة دائمة في جميع أنواع الصلوات ^(١).

الخامس : هذه القصة الطويلة التي قد جعلت علما له، ومن أفضل النعم عليه، والله سبحانه وتعالى قد رفعه بها وامتن عليه ليس فيها أكثر من أنه جعله قبلة كالكعبة في بعض الأوقات! مع أن بعض ما أوتيته من الإيمان والعلم والقرب من الرحمن أفضل بكثير من الكعبة؛ والكعبة إنما وضعت له ولذريته؛ أفيجعل من جسيم النعم عليه أو يشبهه به في شيء نزر قليل جدا ؟ !! هذا مالا يقوله عاقل البتة ^(٢).

وأما قولهم : لا يجوز السجود لغير الله : فيقال لهم أولا : التحليل والتحرير بيد الله تعالى؛ فالحلل ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله . فكيف يكون سجود الملائكة لآدم عليه السلام حراما، والله سبحانه تعالى هو الذي أمرهم بالسجود له ؟ ^(٣).

ثانيا : نفي السجود عن الملائكة لآدم عليه السلام بحجة أنه لا يجوز السجود لغير الله غير صحيح؛ لأن القول بعدم جواز السجود لغير الله كلمة عامة تنفي بعمومها جواز السجود لغير الله من آدم عليه السلام وغيره من المخلوق . ولكن هناك أدلة خاصة تدل على أن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر من الله تعالى لهم بذلك . وقد تقرر في الأصول أن الدليل العام إذا عارضه الدليل الخاص؛ فإنه يقضى بالخاص على العام. وذلك جمعا بين الدليلين وعملا بهما؛ فإن العمل بهما أولى من إهمالهما أو إهمال أحدهما ^(٤) .

فالأصل العام أنه لا يجوز السجود من مخلوق إلا لله تعالى ولكن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر خاص من الله تعالى وفرضه عليهم. وعلى هذا فلا إشكال في ذلك ^(٥).

ثالثا : قال تعالى عن أبوي يوسف وإخوته : ﴿ وخرّوا له سجدا ﴾ ^(٦) . قال قتادة في تفسير الآية : (كانت تحية من قبلكم، كان بها يحيي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

(٤) انظر : الواضح في أصول الفقه (٤٣٤/٣ - ٤٣٨)؛ وشرح مختصر الروضة (٧٣٣/٣ و ٧٣٨) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤) .

(٦) يوسف الآية : ١٠٠ .

الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى، عجلها لهم ونعمة منه (١). فإذا كان سجود بعضهم لبعض تحيتهم فيما بينهم فكيف يقال إن السجود كان محرماً على الإطلاق ؟ (٢).

رابعاً : يتبين من قول قتادة وغيره من المفسرين أن السجود كان جائزاً في الأمم السابقة على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم . ولكنها نسخت في الأمة المحمدية، وأصبح السجود خاصاً بالله تعالى وحده لا شريك له . فلا يستشكل الناسخ بالمنسوخ إذ لا تعارض بينهما لعدم اجتماعهما في وقت واحد (٣).

خامساً : لقد ثبت أن البهائم كانت تسجد للنبي ﷺ (٤)، والبهائم مسخرة لأمر الله الكوني؛ فليس عندها شرك بالله تعالى بل هي ماشية على خطها المستقيم في صلاحها وتسييحها لله تعالى من غير إلحاد فيها ولا انحراف عنها . فلو كان السجود لشيء يعني عبادته ما كان لهذه البهائم أن تسجد للنبي ﷺ (٥).

سادساً : إن الخضوع والقنوت بالقلوب والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يكون على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى وحده، وهو في غيره ممتنع باطل .

وأما السجود فشرعية من الشرائع لأن الله تعالى أمرنا أن نسجد له . ولو لم يفرضه سبحانه علينا لم يجب فعله علينا البتة . ولو أمرنا الله أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير طاعة لله، وقربة إليه، وعبودية له سبحانه وتعالى . فكذاك سجود الملائكة لآدم عليه السلام طاعة لله وطاعة له وقربة تقربوا بها إليه سبحانه . وهو في الوقت نفسه تشریف وتكريم وتعظيم لآدم عليه السلام . والله سبحانه وتعالى يكرم من يشاء

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٦٨/١٣، يوسف : ١٠٠)، وصححه إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٧٦/١٢)، وحسنه الشيخ حكمت بشير - حفظه الله - في التفسير الصحيح (٩٨/٣).

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

(٣) انظر : أحكام القرآن للعصام (٣٧/١-٣٨)؛ وتهديب اللغة (٥٧١/١٠، مادة : سجد)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٧/١ و ٤٩١/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٢/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١) .

(٤) انظر : جملة من الأحاديث النبوية الدالة على سجود البهائم للنبي ﷺ في (ص : ٣٥٤-٣٥٦) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

من خلقه بما يشاء كيف يشاء^(١).

وأما قول بعضهم : لم يسبق لآدم ما يوجب إكرامه بالسجود له : فهذا لغو من القول، هذى به بعض من اعتزل الجماعة، وجانب الصواب في المسألة؛ فإن نعم الله تعالى وأياديه وآلاءه على عباده ليست بسبب منهم بل كلها فضل وكرم منه سبحانه وتعالى . ولو كانت بسبب منهم فهو المنعم بذلك السبب عليهم. فهو المنعم بها على عباده أولا وآخرا . فله الشكر كله على ما أنعم. ونسأله سبحانه المزيد من نعمه وفضله وكرمه^(٢).

القول السابع : سجود الملائكة لآدم ﷺ يعني مجرد الخضوع والتذلل والاعتراف بالفضل لآدم ﷺ .

وسأتي ذكر هذا القول، ومن ذكره، والرد عليه عند الكلام عن كيفية سجود الملائكة لآدم ﷺ إن شاء الله تعالى، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط^(٣).

القول الثامن : إن الملائكة سجدوا لآدم ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى وفرضه عليهم؛ فسجودهم كان طاعة لله وقربة إليه وعبادة له سبحانه وتعالى، وكان في الوقت نفسه تكريما وتشريفا وتعظيما لآدم ﷺ. والله سبحانه وتعالى يكرم من خلقه من يشاء بما يشاء كيف يشاء؛ فله الأمر كله، وله الحكم كله، ويفعل ما يريد^(٤).

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم... ﴾ : (فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم ﷺ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته)^(٥) .
وهذا قول الجمهور^(٦)، وهو محكي عن جماعة من السلف^(٧)، وبه قال ابن جرير

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦١/٤) .

(٣) انظر : (ص : ٣٣٥-٣٣٧) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤)؛ وقصص الأنبياء للسعدي (ص : ١٥)؛ ومرعاة

المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري (١٦١/١) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٩/١)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ٣٧٦/١٢)،

وحسنه شيخنا حكمت بشر - حفظه الله - في (التفسير الصحيح ١٤٠/١) .

(٦) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٢/١) .

الطبري، واختاره أبو بكر الجصاص^(٢) والرازي والبعوي وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير^(٣) وغيرهم^(٤).

وهذا القول هو الصواب لموافقه للكتاب والسنة وأقوال السلف، ولأنه أنسب وأليق بالمقام الذي هو إظهار الفضل لآدم عليه السلام؛ فهو أكثر دلالة على تعظيم آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه، والله أعلم بالصواب.

✎

- (١) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٥/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣٠٢/١)؛ والدر المنثور (١٢٣/١) .
- (٢) أحمد بن علي الرازي الجصاص، من كبار الأحناف، قيل : كان يميل إلى الاعتزال، توفي سنة ٣٧٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٠/١٦) .
- (٣) انظر بالترتيب : جامع البيان للطبري (٢٢٨/١)؛ وأحكام القرآن للجصاص (٣٧/١)؛ والتفسير الكبير (٢١٢-٢١٣)؛ ومعالم التنزيل (٦٢/١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٧٨-٧٧/١)؛ والبداية والنهاية (٦٥/٢) .
- (٤) انظر : فتح القدير (٦٦/١ و ٢٩٢/٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٤١)؛ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٣٢١/٨) ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي .

كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

إن كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام اختلفت فيها أقوال المفسرين، وفيما يلي ذكرها مع بيان ما لها وما عليها، وبالله التوفيق .

القول الأول : كان سجود الملائكة إيماء . هذا القول مروى عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي ^(١) .

وهذا القول غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أولاً : أن هذا الأثر لم يصح إسناده إلى قائله لأن فيه راوياً اسمه عبد الله بن المؤمل المخزومي المكي، وهو ضعيف، كما قال أئمة الجرح والتعديل ^(٢) .

فهذا القول المنسوب إلى محمد بن عباد المخزومي غير ثابت عنه؛ فلا عبرة برواية لم يصح سندها إلى قائلها، ولا التفات إلى قول لم يثبت عن المحكي عنه .

ثانياً : ليس هناك دليل يدل على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان إيماء .

ثالثاً : هذا خلاف ظاهر القرآن الكريم كما سيأتي بيانه .

رابعاً : هذا خلاف لما هو معروف في اللغة العربية كما تقدم ^(٣) .

خامساً : هذا مخالف لما عليه جمهور المفسرين كما سيأتي .

القول الثاني : سجود الملائكة لآدم عليه السلام يعني مجرد الخضوع والتذلل والانقياد والاعتراف بالفضل له من غير أن يكون هناك سجود بوضع الجبهة على الأرض . ذكره

(١) أخرجه عنه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٢/٥ برقم : ١٠٢٩)؛ ومحمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة المخزومي المكي، روي عن جماعة من الصحابة، ثقة، أخرج له الجماعة . انظر : تهذيب الكمال (٤٣٣/٢٥ برقم : ٥٣٢٠) .

(٢) انظر : الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص : ١٤١ برقم : ٣٣١)؛ والجرح والتعديل (١٧٥/٥ برقم : ٨٢١)؛ والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١٣٧/٢ برقم : ٢٠٩٧)؛ وميزان الاعتدال (٥١١-٥١٠/٢ برقم : ٤٦٣٧)؛ والمغني في الضعفاء (٣٥٩/١ برقم : ٣٣٩٠)؛ وتهذيب التهذيب (٢٧٩/٣ برقم : ٤١٣٥)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٢٥ برقم : ٣٦٤٨) .

(٣) انظر : (ص : ٣١٤-٣١٥) .

الرازي وابن كثير وابن عادل الدمشقي^(١) والشوكاني وصديق حسن خان ولكنهم لم يرضوا به بل ضعفوه^(٢). واختاره بعض المتأخرين^(٣).

وقريب من هذا القول ما ذكره ابن الجوزي^(٤)، وقاله الواحدي^(٥) وجلال الدين المحلي^(٦) وجلال الدين السيوطي^(٧)، والبغوي^(٨) وغيرهم^(٩) من أن سجود الملائكة لآدم ﷺ كان بالميل والانحناء له..

وهذا القول فيه نظر؛ فإنه لا شك أن من معاني السجود في اللغة العربية الخضوع والتذلل والانقياد والانحناء كما قال أئمة اللغة إلا أن قصر سجود الملائكة على ما ذكره يخالف ظاهر القرآن الكريم؛ أي : قوله تعالى : ﴿ فقعدوا له ساجدين ﴾ . وهذا أمر من وقع يقع وقوعاً، وهو الخرور والسقوط . ففيه دليل على أن المأمور به ليس بمجرد الانحناء أو مجرد الخضوع والتذلل كما قيل، بل معناه اسقطوا له ساجدين^(١٠).

(١) عمر بن علي بن عادل النعماني الدمشقي، مفسر، توفي بعد سنة ٨٨٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣٠٠/٧) .

(٢) انظر بالترتيب : التفسير الكبير (٢١٣/٢)؛ و تفسير القرآن العظيم (٧٨/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١) .

(٣) مثل البهي الخولي في كتابه : آدم عليه السلام (ص : ٧٦-٧٧)؛ والدكتور محمد الطيب النجار في كتابه : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥١-٥٢) .

(٤) انظر : زاد المسير (٦٤/١) .

(٥) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠٠/١)، والواحدي هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، وكان إماماً في اللغة والتفسير، توفي سنة ٤٦٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٨-٣٤٢) .

(٦) انظر : تفسير الجلالين (ص : ٤٥٨ ، سورة ص : ٧٢) والمحلي هو محمد بن أحمد بن محمد المحلي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨٦٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣١١/٨-٣١٢) .

(٧) انظر : تفسير الجلالين (ص : ٦ ، البقرة : ٣٤ و ص : ٢٦٣ ، الحجر : ٢٩)، والسيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي، عالم كبير مفسر صاحب تصانيف كثيرة في علوم متنوعة، توفي سنة ٩١١هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢٨/٥) .

(٨) انظر : معالم التنزيل (٦٢/١) .

(٩) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم لمؤلفه : عفيف عبد الفتاح طيارة (ص : ٣٦) .

(١٠) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٥/٥ و ٢٣٦/٧)؛ وفتح القدير (١٣٠/٣)؛ وروح

وذلك لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض، وهذا هو المعنى للسجود في العرف الشرعي^(١)، ثم إن السجود غايته يكون بوضع الجبهة على الأرض كما ذكر أئمة اللغة؛ فالقول بأن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان بالانحناء أو بالخضوع المجرد له قول يخالف ظاهر القرآن الكريم، ويخالف العرف الشرعي لمعنى السجود، وأيضا قصر للكلمة؛ أي: السجود على بعض معانيها من غير دليل، وبهذا يتبين عدم صحة هذا القول وبطلانه، والله أعلم بالصواب.

القول الثالث: إن الملائكة خروا على وجوههم ساجدين لآدم عليه السلام امتثالا بأمر ربهم فكان سجودهم لآدم عليه السلام بوضع الجبهة على الأرض مثل سجود بني آدم في الصلاة. وهذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين^(٢).

هذا هو القول الذي يتفق مع ظاهر الكتاب العزيز، ومع العرف الشرعي كما تقدم. ويؤيده ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلي! أمر ابن آدم بالسجود فسجد؛ فله الجنة. وأمرت بالسجود فأبيت؛ فلي النار^(٣).

ولا شك أن سجود بني آدم عند آيات السجود القرآنية يكون بوضع الجبهة على الأرض، وذلك هو أقصى معاني السجود وغايته^(٤).

ثم إن حمل سجود الملائكة لآدم عليه السلام على أقصى معاني السجود اللغوية أي: وضع الجبهة على الأرض أكثر دلالة على تعظيم آدم عليه السلام، وأنسب بأحوال الملائكة الذين من صفاتهم أنهم

المعاني (٢٢٤/٢٣)؛ وفتح البيان (١٦٥/٧).

(١) انظر: التفسير الكبير (٢١٣/٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٦٤/١)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٨٠/١)؛ وغرائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابوري

(٢٦١/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١)؛ ومرعاة المفاتيح (١/

١٦١)؛ وصفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (٨٣/١-٨٤)؛ وأوضح التفاسير (ص: ٨).

(٣) أخرجه م (الإيمان، ب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ٨٧/١ ح: ٨١).

(٤) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (١٦١/١).

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمرون ﴾^(١)؛ فالقول بأن الملائكة خروا على وجوههم ساجدين
لآدم عليه السلام امتثالا بأمر ربهم هو الصحيح من الأقوال، والله أعلم بالصواب .
ولكن هل سجد لآدم عليه السلام جميع الملائكة أم بعضهم ؟ وهذا سيأتي الكلام عنه في
المبحث القادم بإذن الله تعالى .

(١) تحريم الآية : ٦

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

لقد عرفنا فيما مضى من السطور أن الله سبحانه وتعالى أكرم أبا البشر آدم عليه السلام بأن أسجد له ملائكته، وأن الملائكة خروا ساجدين له امتثالاً لأمر ربهم سبحانه وتعالى ولكن من هم الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام فهل أمر بالسجود له كلهم أم بعضهم ؟ فقد اختلفت أقوال أهل العلم في ذلك، ويمكن تلخيصها في قولين، وفيما يلي ذكرهما، وبيان الراجح منهما، والله الموفق .

القول الأول : لم يسجد لآدم عليه السلام جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم . وهذه الطائفة من الملائكة التي سجدت لآدم عليه السلام فيها أقوال :

ف قيل : هم ملائكة الأرض دون ملائكة السماء . وهذا القول محكي عن ابن عباس^(١) وأبي العالية^(٢) .

وقيل : إنما أسجد الله لآدم عليه السلام ملائكته الذين كانوا في السماء الدنيا دون ملائكة السماوات . هذه القول محكي عن ابن جريج^(٣) .

وقال أبو حامد الغزالي : الملائكة الأرضية الموكلة بجنس الإنس هي التي سجدت لآدم عليه السلام، ولم يسجد له الملائكة السماوية، ولا سيما أعلاهم والمقربون منهم الذين لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها^(٤) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠١/١ - ٢٠٢ و ١٣١/٨) بإسناده إليه، فقال : ثنا أبو كريب، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس من قوله في حديث طويل، وذكره عنه غير واحد كالقاضي بدر الدين في (آكام المرجان ص ١٩٨)؛ و ابن كثير في تفسيره (٧٦-٧٥/١)؛ وفي (البداية والنهاية ٧٣/١) ولكن هذا الأمر غير ثابت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فإنه من أضعف طرق التفسير إليه، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١/١ رقم : ٣٦٢) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية من قوله . قال صاحب التفسير الصحيح (١٣٩/١) عن هذا الإسناد بأنه "إسناد جيد" ولكن هذا الحكم لا يخلو من النظر فيه، ولا سيما هذا الأمر، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله . وأما أبو العالية فهو رفيع، بالتصغير، ابن مهران الرياحي، تابعي كبير، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بستين، مجمع على ثقته إلا أنه كان يرسل كثيراً، توفي سنة ٩٠ هـ وقيل : سنة ٩٣ هـ وقيل بعد ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤ - ٢١٣) .

(٣) سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٩٣ - ٩٥) .

(٤) انظر : جواهر القرآن (ص : ٢٧) .

وقد استدل لذلك بما روي منسوباً إلى رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله أرضا ييضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض، قالوا : يا رسول الله ! من ولد آدم ؟ قال : لا يعلمون أن الله خلق آدم . قالوا : يا رسول الله ! فأين إبليس منهم ؟ قال : لا يعلمون أن الله خلق إبليس . رواه ابن عباس رضي الله عنهما ^(١).

وقال الآلوسي عن الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام : والذي عليه السادة الصوفية ^(٢) أنهم ما عدا العالين؛ فإنهم لم يكونوا داخلين في الخطاب ولا مأمورين بالسجود؛ لاستغراقهم وعدم شعورهم بسوى الذات. وقوله تعالى : « استكبرت أم كمت من العالين » ^(٣) يشير إلى ذلك عندهم ^(٤).

فهذه الأقوال تدل على أن آدم عليه السلام لم يسجد له جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم ولكن لا يمكن الاعتماد عليها؛ فإنها باطلة، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أولها : الآثار المروية لم تصح أسانيدھا عن حكيت عنهم ونسبت إليهم .

١- الأثر المنسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - .

قال عنه القاضي بدر الدين : (هذا الذي ذكره ابن جرير فيه انقطاع، وفي السياق نكارة) ^(٥).

وقال الحافظ ابن كثير : (هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها) ^(٦).

وقال أيضاً : (رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس، وفيه انقطاع، وفي السياق نكارة) ^(٧).

(١) ذكره أبو حامد الغزالي في (جواهر القرآن ص : ٢١)؛ والدليي في (الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٨٩ ح : ٧٠٨)؛ والقرطبي في تفسيره (٨٠/ ١٠ ، الحل : ٨)؛ والزبيدي في (تحاف السادة للثقلين ١٠/ ١٦٢) كلهم من غير إسناد . وقد ورد حديث مسند مرفوع بهذا المعنى أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٠ ح : ٩٥١) بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ولكن في إسناده رلو متروك، وهو مسلمة بن علي الخثعمي كما في تهذيب التهذيب (٥/ ٤٣٩-٤٤٠ رقم : ٧٧٥٨)، وكذلك فيه رلو آخر، وهو عبد الرحمن الخراساني لم يعرف من هو ولم يعثر له على ترجمة كما قال محقق الكتاب، ولذلك قال عن الحديث : ضعيف جداً . وهو كما قال .

(٢) ظهرت التصوف في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الشرف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقاً كثيرة مع التأثير بالأفكار الهندوسية والبوذية والفارسية واليونانية والمسيحية وغيرها إلى أن وصل غلاقم إلى القول بالحلول والاتحاد والفناء وما إلى ذلك . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٤٩-٢٧٠)؛ وقرن معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/ ٧٤٢) .

(٣) ص الآية : ٧٥

(٤) انظر : روح المعاني (١/ ٢٢٠) .

(٥) أكسام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (ص : ١٩٨)، والقاضي هو محمد بن عبد الله الشبلي، الحنفي، فقيه محدث مؤرخ أديب، توفي سنة ٧٦٩ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٠/ ٢١٩) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٦) .

(٧) البداية والنهاية (١/ ٧٣) .

وقال السيوطي : (طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة؛ فإن الضحاك لم يلقه. فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمار عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر) (١).
فالأثر المنسوب إلى ابن عباس غير صحيح عنه لعدم سماع الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (٢)، ولكون بشر بن عمار ضعيفا (٣) ولكون المتن منكرا . وسيأتي بيان وجه النكارة في الوجه الثاني من الرد إن شاء الله .

٢- وكذلك ما أثر عن أبي العالية في إسناده إليه كلام . قال ابن القيم : (وهذا الإسناد يروى به أشياء منكورة جدا) (٤) . ففيه رواية تكلم فيهم الأئمة ، منهم :
● إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي قال عنه الساجي: يحدث بالمناكير والكذب (٥).
وقال الأزدي : ساقط؟. ورد عليه الذهبي فقال : (لا يلتفت إلى قول الأزدي؛ فإن في لسانه في الجرح رهقا (٦)) (٧). وقال الحافظ ابن حجر : (صدوق تكلم فيه الساجي) (٨). فهو لا ينحط عن درجة الصدوق، ولا يخرج عن دائرة الاحتجاج (٩).

● وربيع بن أنس البكري، وهو صدوق له أوهام، وخاصة فيما رواه عنه أبو جعفر الرازي . قال ابن حبان : (الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا) (١٠). فمرويات الربيع بن أنس ما كان منها عن طريق أبي جعفر الرازي فيها اضطراب كثير، وهذا الأثر من رواية أبي جعفر عنه .

● وأبو جعفر الرازي هو عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمي، وهو عالم بتفسير

-
- (١) الإتيان في علوم القرآن (٢٠٩/٤ ، النوع الثمانون : في طبقات المفسرين) .
(٢) انظر أقوال الأئمة الدالة على عدم سماع الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس : ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢ - ٣٢٦ برقم : ٣٩٤٢)؛ وتهذيب التهذيب (٥٧٢/٢ - ٥٧٣ برقم : ٣٤٥٨) .
(٣) انظر : أقوال الأئمة الدالة على كون بشر بن عمار ضعيفا : ميزان الاعتدال (٣٢١/١ برقم : ١٢٠٩)؛ وتهذيب التهذيب (٢٨٧/١ برقم : ٨٣٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ١٢٣ برقم : ٦٩٧) .
(٤) الروح (ص : ٢٩٣) .
(٥) نقلا من : تهذيب التهذيب (١٠٥/١ برقم : ٢٨٥) .
(٦) رهقا؛ أي : عجلة وحدة وشدة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٨٣/٢ - ٢٨٤ ، مادة : رهق) .
(٧) ميزان الاعتدال (٦١/١ برقم : ١٩٠) .
(٨) تقريب التهذيب (ص : ٩٣ برقم : ٢٤٢) .
(٩) انظر : أقوال الأئمة الآخرين في توثيقه : ميزان الاعتدال (٦١/١ برقم : ١٩٠)؛ وتهذيب التهذيب (١٠٥/١ برقم : ٢٨٥) .
(١٠) نقلا من : تهذيب التهذيب (١٤٢/٢ برقم : ٢٢١٢) .

القرآن ولكنه ليس بقوي في الحديث، ويخطئ فيه . قال الحافظ ابن كثير : (قال فيه الحافظ أبو زرعة ^(١) يهمل في الحديث كثيرا، وقد ضعفه غيره أيضا، ووثقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ، فيما تفرد به نظر) ^(٢). وقال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة) ^(٣) فلا يحتاج بما تفرد به .

فهذا الإسناد مداره على أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري، ولا يمكن الاعتماد عليه لسوء حفظ أبي جعفر، ولكون مرويات الربيع بن أنس ما كان منها عن طريق أبي جعفر مضطربة، كما نص الأئمة على ذلك، وهذا الأثر من رواية أبي جعفر عنه، ولعدم وجود متابع أو شاهد له، ولكونها منكرة المتن كما سيأتي بيانه ^(٤).

٣- وكذلك ما أثر عن ابن جريج في إسناده أيضا إليه نظر؛ لأن فيه راويا اسمه المسيب بن واضح ، قد تقدم الكلام عنه ^(٥) بأن الأئمة تكلموا فيه، وأن أحاديثه ورواياته فيها أوهام، فلا بد لقبولها من التأيي فيها، والتأكد من ثبوتها وصحتها، هذا إذا كانت

(١) عيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي، إمام ناقد مشهور، توفي سنة ٢٦٤هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٧٣ برقم : ٤٣١٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢١، الإسراء : ١) .

(٣) تقريب التهذيب (ص : ٦٢٩ برقم : ٨٠١٩) .

(٤) وهذا الإسناد قد ضعفه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٢٩٨/١ ح : ٦٦٣)؛ وفي (ضعيف سنن أبي داود ص : ٩١ ح : ١١٨٢)؛ وفي (ضعيف سنن الترمذي ص : ٣٦٦-٣٦٧ ح : ٣٣٦٥)؛ وكذلك ضعفه المحققون للكتب النالية : تفسير ابن أبي حاتم (١٢١/١ برقم : ٣٦٢)، ومسند الإمام أحمد (١٤٤/٣٥ ح : ٢١٢١٩ و ١٤٨/٣٥ ح : ٢١٢٢٥ و ١٥١/٣٥ ح : ٢١٢٢٧)، والرد على الجهمية للدارمي (ص : ٢٣ ح : ٢٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (٩٢/١ ح : ٩٤-٥٠) .

وهذا الإسناد صححه الحاكم حيث قال في المستدرک (التفسير، سورة الإخلاص ٥٤٠/٢) : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ولكن تعقب عليهما الشيخ مقبل الوداعي في (تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ٦٣٤/٢) [مطبوع مع المستدرک ط. الأولى دار الحرمين] فقال : (في رواية أبي جعفر ضعف سيما إذا روي عن الربيع بن أنس)، وكذلك حسن حديثا من هذا الإسناد الألباني في ضعيف الترمذي (ص : ٣٦٦ ح : ٣٣٦٤) . والذي يظهر لي أن تحسين الألباني للحديث الوارد بهذا السند إنما هو نظرا للشواهد، ويدل على ذلك تحسينه الطرف الأول من الحديث دون آخره، وتضعيفه بالسند نفسه حديثا آخر في نفس الباب والمقام، وأما ما كان من الحاكم والذهبي فقد كفى المؤونة الشيخ مقبل الوداعي بالتعقب السابق عليهما وهو تعقب في محله . وعلى كل حال الأثر الذي معنا لا يمكن الاعتماد عليه لما تقدم من الكلام في روايته، ولعدم وجود متابع أو شاهد له، ولمخالفة صريح القرآن له، والله أعلم بالصواب .

(٥) انظر : (ص : ٩٣-٩٤) .

روايته مرفوعة متصلة فكيف إذا كانت مقطوعة غير متصلة .

ومما يدل على عدم صحة هذه الأقوال أنها مخالفة لما نص عليه القرآن نصا صريحا، فلا التفت إليها مع وجود النص القرآني ولو كانت ثابتة عنهم فكيف بها وهي غير صحيحة الأسانيد إليهم؟ فلا عبرة بأقوال لم تصح أسانيدها إلى المحكي عنهم ولم تثبت عن المنسوب إليهم .

الثاني : هذا القول مخالف لصريح القرآن الكريم؛ أي : قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة

كلهم أجمعون ﴾ ^(١) فهذه الآية عامة مؤكدة تأكيدا بعد تأكيد ^(٢)، وإذا أراد شخص أن يخرج أحدا أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ لا يمكنه أن يأتي بعبارة أبلغ وأفصح من هذه الآية، فكيف يسوغ أن يقال أنه لم يسجد جميع الملائكة لآدم ﷺ .

الثالث : أما حديث ابن عباس الذي استدل به بعضهم فهو حديث لم أقف له على إسناد. ولا يمكن قبول أي كلام منسوب إلى النبي ﷺ بدون النظر في ناقله والكشف عن أحوال رواته. والذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم لم يذكروا له إسنادا حتى ينظر فيه فيقبل أو يرد . هذا إذا كان متن الحديث خاليا من الطعن فكيف إذا كان متعارضا مع صريح القرآن الكريم؟

بل إن هذا الحديث منسوب إلى النبي ﷺ كذبا، لم يخرج من مشكاة النبوة، فهو من الأحاديث الموضوعية المختلقة على رسول الله ﷺ؛ ولذا حكم عليه أهل العلم بالحديث بالوضع والاختلاق، وبينوا أنه منسوب إلى رسول الله ﷺ كذبا وزورا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الحديث الذي ذكره [أي: الغزالي] عن ابن عباس من الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة) ^(٣) .

الرابع : أما قول بعضهم بأنهم مستغرقون بجمال الحضرة الإلهية، ولا يلتفتون إلى غير ذات الباري تعالى؛ فهذا الكلام من جنس الطامات، وهو من جنس ما يسميه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره . ومعلوم باتفاق الناس أن حال البقاء أكمل من حال الفناء. وهذه حال الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.

(١) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

(٢) انظر : أوجه الدلالة على العموم والتأكيد له من الآية في (ص : ٣٤٦-٣٤٧) .

(٣) بغية المراتد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص : ٢٣٠) .

ومعلوم أن الرسل أفضل الخلق، وهم يدعون العباد إلى الله، ويعلمونهم، ويجاهدون في سبيل الله، ويأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق. فلو كانت تلك الحال أكمل لكان من لم يرسل أكمل من الرسل. وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى^(١).

الخامس : أما استدلال بعضهم لذلك بقوله تعالى : ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾^(٢)،

وتفسيرهم ﴿العالين﴾ بالكرويين أو ملائكة السماء المقربين، وأنهم لم يكونوا داخلين في خطاب الأمر بالسجود^(٣) فهذا قول في كتاب الله بلا علم، ولا يعلم ذلك عن إمام ولا متبع، ولا يدل عليه لفظ الآية من قريب ولا بعيد بل معنى الآية : أطلبت أن تكون كبيرا من هذا الوقت أم كنت عاليا قبل ذلك^(٤). وليس لنا أن نفسر كلام الله بآرائنا وأهوائنا، والله أعلم بتفسيره^(٥).

ويتبين مما سبق أن القول بأن الذين سجدوا لآدم ﷺ هم طائفة من الملائكة : سواء قيل : هم ملائكة الأرض أو هم ملائكة السماء الدنيا أو ما عدا المقربين منهم فهذه الأقوال كلها باطلة لمخالفتها لصريح الكتاب والسنة . وكل قول خالف ما جاء في كتاب الله وما ثبت بحديثه عن رسول الله ﷺ فلا عبرة به والتفات إليه، ولا سيما إذا كان من أمور الغيب الذي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد العقلي، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلى بنور من الكتاب والسنة الصحيحة. والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن الله تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم ﷺ، ولم يبق منهم أحد إلا وقد شمله الخطاب الإلهي بالوقوع ساجدا لآدم ﷺ ؛ فامثلوا لأمر ربهم، وسجد له الملائكة كلهم . هذا قول جمهور المفسرين وهو الذي عليه عامة أهل العلم بالكتاب والسنة^(٦) .

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٢٦-٢٢٧) .

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) انظر : روح المعاني (١ / ٢٢٠) .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣ / ١٨٥-١٨٦) ؛ والجامع لأحكام القرآن (١٥ / ٢٢٨) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٣٦٤) ؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٩٩١) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٣٦٤) .

(٦) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤ / ٣١ و ٢٣ / ١٨٥) ؛ ومعالم التنزيل (٣ / ٤٩-٥٠) ؛ وزاد المسير

(١ / ٦٤) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٣٦٢) ؛ و بغية المرتاد (ص : ٢٢٣) ؛ وتفسير القرآن

العظيم (١ / ٧٩) ؛ والبداية والنهاية (١ / ٧٣) ؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧ / ٢٣٦) ؛ وفتح

القدير (٣ / ١٣٠ و ٤ / ٤٤٥) ؛ ومحاسن التأويل (١ / ١٠٢) ؛ وأضواء البيان (٤ / ٩٣ و ٤ / ٣٩٥) .

أدلة هذا القول من الكتاب والسنة :

استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه من القول بأن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أولا : الأدلة من الكتاب العزيز :

ذكر الله تعالى سجود الملائكة لآدم عليه السلام في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وكلها تدل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى وفرضه ذلك عليهم . فمن الآيات القرآنية التي ذكرت قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ ^(٥) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ ^(٦)، وقوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ ^(٧).

(١) البقرة الآية : ٣٤

(٢) الأعراف الآية : ١١

(٣) الحجر الآيات : ٢٨-٣١

(٤) الإسراء الآية : ٦١

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) طه الآية : ١١٦

(٧) ص الآيات : ٧١-٧٤

وجه الدلالة من هذه الآيات على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام :

هذه الآيات القرآنية تدل على أن جميع الملائكة أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، وأنهم جميعا امتثلوا لأمر ربهم؛ فسجدوا لآدم عليه السلام. وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدها : الاسم المجموع المعرف بالألف واللام لغير المعهود يقتضي العموم، ويوجب استيعاب الجنس كله ^(١). وقد قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ ، وقال تعالى :

﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ . فالملائكة من ألفاظ المجموع وهو اسم معرف بالألف واللام لغير المعهودة مثل : المسلمين، والمشركون، والذين . والشخص العربي السليم بمجرد أن يسمع هذه الألفاظ يفهم منها العموم من غير إشكال أو حاجة إلى الاستفسار، ولا يتطرق إلى ذهنه أن المراد منه مسلم دون مسلم أو مشرك دون مشرك أو شخص دون شخص . فكذلك لفظ الملائكة في هذه الآيات؛ فلا يفهم منها أن المأمور بالسجود كان ملكا دون ملك أو طائفة منهم دون طائفة بل يفهم أن جميع الملائكة أمروا بالسجود، وأن جميعهم سجدوا لآدم عليه السلام امتثالا بأمر ربهم تبارك وتعالى. وهذا هو مقتضى اللسان الذي نزل به القرآن، وليس هناك من دليل صالح يوجب العدول من العموم إلى الخصوص؛ فهذه الآيات باقية على عمومها، ودالة على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام، والله أعلم ^(٢).

الثاني : قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ * إلا إبليس ﴾ وصيغة " كل " من أبلغ العموم ^(٣). فلو لم يكن الاسم الأول المجموع المعرف بالألف واللام موجبا للاستيعاب والاستغراق لكان توكيده بصيغة " كل " موجبا لذلك ومقتضيا له ^(٤).

الثالث : لو لم تفد صيغة " كل " تلك الإفادة العامة لكان قوله تعالى : ﴿ أجمعون ﴾ دالا على العموم؛ لأن صيغة " جميع " وما تصرف منها من ألفاظ العموم

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٦٦/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٤ و ص : ٢٤٧)؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤ و ٣٦٢) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٧٢/٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٦ و ٢٤٨)؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤ و ٣٦٣/٤) .

كذلك^(١) ؛ و ليس هذا كله إلا تحقيقاً للعموم، وتوكيداً له بعد توكيد^(٢).

الرابع : ذكر الله تعالى أن الملائكة كلهم سجدوا لآدم عليه السلام ولكنه تعالى استثنى منهم إبليس . واستثناء الشخص الواحد منهم يدل على أن من عدا ذلك الشخص كان داخلاً في ذلك الحكم^(٣). قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس ﴾ :
(فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم)^(٤).

الخامس : لا يصح التراجع في موجب الأسماء العامة، وخاصة بعد توكيدها بما يفيد العموم لأن صيغة التوكيد بعد العموم لا تؤتى إلا لقطع احتمال الخصوص^(٥). وقد وردت كلمة " الملائكة " في الآيات المذكورة معرفة بالألف واللام دالة على العموم ثم أكدت بعدها بتأكيدين، وبأبلغ صيغ العموم فذهب احتمال الخصوص، وتعين القول بالعموم والله أعلم .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

لقد جاءت الأحاديث النبوية موافقة لكتاب الله تعالى، فقررت ما قررته الآيات القرآنية، وبينت أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام بأن أسجد له ملائكته بأسلوب يدل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام، فمن الأحاديث الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام ما يلي :
عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، اتنوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث^(٦).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما،

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٧٢/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٦ و ٢٤٨)؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/٤) .

(٣) انظر : التفسير الكبير (٢٣٨/٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧٩/١) .

(٥) انظر : شرح ابن عقيل (٢٠٧-٢٠٨)؛ وأوضح المسالك مع شرح ضياء السالك (١٥٢/٣)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/٤) .

(٦) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكتم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ^(١).

وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه ^(٢). فهذه الأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن أصدق البرية وأعرف الخلق بكلام الله تعالى وأعلم الخلق بالمراد منه وأفصح من نطق باللغة العربية وأنصح الناس للأمة تدل على أن الله تعالى أكرم آدم ﷺ بأن أسجد له جميع ملائكته، وبيان ذلك من وجوه؛ وهي كما يلي :

أحدهما : الإضافة إلى المعرفة من أساليب الكلام العربي الدالة على العموم ^(٣) مثل : قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٤)؛ أي إن حاولتم يا عباد الله أن تعدوا جميع نعم الله عليكم لا تستطيعون إحصاءها بل تعجزون عن عدّها وحسابها، فضلا عن قيامكم بشكرها ولكن سددوا وقاربوا وأبشروا؛ فإن ربكم غفور رحيم يرضى باليسير من شكركم، مع إنعامه الكثير عليكم ^(٥).

ومثل قوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ^(٦). فلا تخالفوا يا عباد الله أمرا من أوامره بل عليكم أن تتبعوا جميع أوامره وإلا سيأتيكم فتنة أو عذاب أليم .

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٦٩) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٦٦/٢)؛ ومذكورة في أصول الفقه (ص : ٢٤٥-٢٤٦) .

(٤) النحل الآية : ١٨

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧١ و ص : ٥٨٨) .

(٦) النور الآية : ٦٣

فيتضح مما سبق أن الإضافة إلى المعرفة من الأساليب العربية الدالة على العموم.
فكذلك قول النبي ﷺ في شأن آدم عليه السلام : ((وأسجد لك ملائكتك)) كما في حديث
الشفاعة وحديث احتجاج آدم وموسى - عليهما السلام - يدل على أن جميع ملائكة الله
سجدوا لآدم عليه السلام ، والله أعلم .

**الثاني والثالث : قول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثاني : ((وأمر
الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس))** فالملائكة من ألفاظ الجمع ، وهو اسم
معرف بالألف واللام غير المعهودة ، وذلك يعنى استيعاب الجنس كله .
وكذلك استثناء إبليس من الملائكة الذين سجدوا يدل على أن الباقيين كلهم سجدوا .
وقد تقدم بيان هذين الوجهين عند ذكر أوجه الدلالة من الآيات القرآنية على سجود
جميع الملائكة لآدم عليه السلام .

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن مما أكرم الله تعالى به أبا البشر
آدم عليه السلام أنه أسجد له ملائكته ، وقد تكرر ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله ، وفي عدة
مواضع من أحاديث رسول الله ﷺ . فهذه عشرة مواضع من الكتاب والسنة فيما وقفت
عليه تكرر فيها ذكر سجود الملائكة لآدم عليه السلام بصيغ وأساليب تدل على العموم ، ولم يقتصر
بشيء منهما ما ينافي العموم ويدل على التخصيص . فليس هناك دليل مقترن أو دليل منفرد
يصلح للدلالة على التخصيص ^(١) ؛ ولذلك لا يصح أن يقال بأن طائفة معينة من الملائكة
هم الذين أمروا بالسجود لآدم عليه السلام بل يتعين القطع بالعموم ، ويجب القول والاعتقاد بأن
جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام كما أخبر الله بذلك في كتابه ، وكما أخبر بذلك رسوله ﷺ
في أحاديثه ، وكما قال بذلك عامة أهل العلم بالكتاب والسنة ، والله أعلم بالصواب .

مسألة : سجود الملائكة كلهم كان في وقت واحد أم في أوقات مختلفة ؟

ذكر جماعة من المفسرين أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام في وقت واحد غير
متفرقين في أوقات مختلفة . وقد استدلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ ،

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤ - ٣٤٦ و ٣٦٣/٤ - ٣٦٤) .

فقالوا : قوله تعالى : ﴿ كلهم ﴾ يدل على الإحاطة؛ أي : الملائكة كلهم سجدوا لآدم عليه السلام، ولم يبق منهم أحد إلا خر ساجدا له. وقوله تعالى : ﴿ أجمعون ﴾ يدل على المعية والاجتماع في السجود بحيث لم يتأخر أحد منهم عن أحد بل كلهم سجدوا معا في وقت واحد^(١).
وقد سئل المبرد^(٢) عن هذه الآية فقال : (لو قال : ﴿ فسجد الملائكة ﴾ احتمل أن يكون سجد بعضهم . فلما قال : ﴿ كلهم ﴾ زال هذا الاحتمال، فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم عند هذا بقي احتمال، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت ؟ فلما قال : ﴿ أجمعون ﴾ ظهر أنهم سجدوا جميعا دفعة واحدة)^(٣).
وقال الزمخشري^(٤) : (كل للإحاطة، وأجمعون للاجتماع. فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم، ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات)^(٥) ومثله قال النسفي^(٦).
ولكن تعقب هذا القول بأنه لو كان المقصود بالآية الدلالة على المعية، وبيان أن الملائكة كلهم سجدوا مجتمعين في وقت واحد غير متفرقين في أوقات مختلفة لكان قوله تعالى : ﴿ أجمعون ﴾ منصوبا على الحال، ولقال سبحانه وتعالى : { أجمعين } أي : منصوبا بالياء والنون لكونه حالا دالا على أنهم سجدوا معا في وقت واحد ولكن الأمر ليس كذلك بل قوله تعالى : ﴿ كلهم ﴾ تأكيد لـ ﴿ الملائكة ﴾، و ﴿ أجمعون ﴾ تأكيد ثان

(١) انظر : الكشف (٢٨١/٥)؛ وأنوار التنزيل (٨٦/٣)؛ وفتح القدير (٤٤٥/٤)؛ وروح المعاني

(٢٢٤/٢٣ - ٢٢٥)؛ والقصة القرآنية هداية وبيان للدكتور وهبة الزحيلي (ص : ٢٩) .

(٢) محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد، من أئمة النحو المعروفين، مات في أول سنة ٢٨٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣ - ٥٧٧) .

(٣) حكاه عنه غير واحد من المفسرين، انظر : إعراب القرآن للنحاس (٣٨٠/٢)؛ ومشكل إعراب القرآن (٤١٣/١)؛ ومعالم التنزيل (٤٩/٣)؛ وإعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش (٢٣٧/٥)؛ وفتح البيان (١٦٦/٧) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وكان من كبار دعاة الاعتزال - سأل الله -، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠ - ١٥٦) .

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٨١/٥ ، ص : ٧٣) .

(٦) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١٦٤/٣) .

له، فهذا تأكيد بعد تأكيد يدل على أن جميع الملائكة سجدوا ولكن لا يدل على أنهم سجدوا في وقت واحد في دفعة واحدة^(١).

وقد أجيب عن ذلك بأنه لا اختصاص لإفادته ذلك بالحالية بل الاشتقاق الواضح يرشد أن فيه معنى الجمع والضم؛ فإن «أجمعون» مشتق من (ج م ع) والجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء وعدم تفرقه^(٢). والأصل في الإطلاق الخطابي التزليل على أكمل أحوال الشيء، ولا خفاء في أن الجمع في وقت واحد أكمل أصنافه، ولكن لما شاع استعماله تأكيداً أقيم مقام كل في إفادة الإحاطة من غير نظر إلى الكمال، فإذا فهمت الإحاطة بلفظ آخر لم يكن بد من ملاحظة الأصل صونا للكلام عن الإلغاء، ولو سلم ما قالوا فكل تأكيد الشمول بإخراجه عن الظهور إلى المنصوص، وأجمعون تأكيد لذلك التأكيد؛ فيفيد أتم أنواع الإحاطة، وهو الإحاطة في وقت واحد^(٣).

ثم إن سجود الملائكة كلهم لآدم عليه السلام في وقت واحد أكثر دلالة على تشريف آدم عليه السلام وتعظيمه وتكريمه، وأنسب بأحوال الملائكة وصفاتهم. فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ * يسبحون الليل والنهار لا يفترون^(٤) و﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(٥).

وهذا استنباط لطيف وتوجيه جميل للآية، يطمئن إليه القلب؛ فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمن تقصيرنا وسوء فهمنا. ونسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد والصواب في فهم الكتاب العزيز والعمل به؛ فهو المسدد والموفق للصواب والهادي إلى سواء الصراط.

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس (٣٨٠/٢)؛ ومشكل إعراب القرآن (٤١٣/١)؛ وأنوار التزليل (٨٦/٣) .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة (٤٧٩/١)؛ وتذيب اللغة (٣٩٧-٣٩٩)؛ ولسان العرب (١٤/٣)؛ والمعجم الوسيط (١٣٤/١) .

(٣) انظر : روح المعاني (٢٢٤/٢٣ - ٢٢٥) .

(٤) الأنبياء الآية : ٢٠-١٩

(٥) التحريم الآية : ٦

المبحث الثالث : الرد على من يروى من هذه الأمة جواز السجود للمخلوق استدلالا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام .

لقد ذهب بعض الناس إلى القول بأنه يجوز السجود من باب التعظيم لمن يستحق الاحترام والتقدير والتعظيم، كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام تعظيما له وتكريما^(١) . ولكن الاستدلال بسجود الملائكة لآدم عليه السلام على جواز السجود من أحد من هذه الأمة المحمدية لمخلوق استدلال غير صحيح ، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدها : السجود عبادة عظيمة، والعبادة بجميع أنواعها لا تجوز إلا لله تعالى . قال تعالى : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾^(٤) .

فإن الله سبحانه وتعالى بين لنا في هذه الآيات الكريمة أن السجود من أعظم شعائر العبادة، وهي مختصة بالخالق جل وعلا؛ فلا يجوز لأحد منا أن يسجد لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة الشمس، والقمر، والنبي، والولي ...، وكل مخلوق^(٥) .

الثاني : لاشك أن الرسول محمد بن عبد الله ﷺ هو سيد الأولين والآخرين، وأكرم الخلق عند رب العالمين، وأحبهم إليه. وقد امتن الله على عباده؛ إذ بعثه رسولا إلى الناس أجمعين، ورحمة للعالمين فقال تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

(١) قال به الحميني في كتابه (كشف الأسرار ص : ٤٢-٤٣)؛ وجعفر سبحاني - الشيعي الاثنا عشري - في كتابه (التوحيد والشرك في القرآن الكريم ص : ٥١-٥٣ و ٥٧-٥٩)، وكذلك سمعت بعض علماء البريلوية القبورية في خطبهم ومحاضراتهم يستدلون بهذه القصة على جواز السجود للمخلوق من باب التعظيم، وبذلك يلبسون على الناس ويجعلونهم يعبدون المقابر ويسجدون لها وما إلى ذلك من الفساد والضلال، وأيضا يستدل به الأغاخانية والبهائية في سجودهم لزعمائهم وأئمتهم كما أخبرني بذلك شيخنا أ . د . محمود بن عبد الرحمن قدح - حفظه الله وجزاه خيرا .

(٢) النجم الآية : ٦٢

(٣) فصلت الآية : ٣٧

(٤) البقرة الآية : ٢١

(٥) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٩٦) .

والحكمة وإن كانوا من قبل في ضلال مبين»^(١) ، وقال تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»^(٢) .

وقد أدبنا الله تعالى بآداب كثيرة تجاه حبيبه المصطفى ورسوله المرتضى ﷺ ، فقد ثمانا عن معصيته، وإيذائه، ورفع الصوت فوق صوته، والتقدم بين يديه، والجهر له بالقول، كما هو الحال فيما بيننا... ، في غير ما آية، وأمرنا بطاعته، ومحبتة، وتكريمه وتعظيمه، والتأدب معه ... ، في غير ما آية^(٣) ، ولكنه سبحانه وتعالى لم يأمر بالسجود له، ولو كان السجود من البشر جائزا لأحد من المخلوق لكان الرسول ﷺ أولى به من غيره، ولجاء بيانه وتقريره من الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

الثالث : لقد اختار الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ رجالا كانوا يحبون النبي ﷺ ويعظمونه أكثر من كل ما نحبه ونعظمه، كما اختار الله تعالى لهم نبيا كان حريصا أشد الحرص على إرشادهم، وهدايتهم، ونصحهم، وتوجيههم لكل خير .

ومما يدل على ذلك أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سجدوا للنبي ﷺ ، وبعضهم استأذنوا منه أن يسمح لهم بالسجود له . ولا شك أنه لم يحملهم على ذلك إلا شدة حبهم وتعظيمهم له ﷺ ولكنه ﷺ لم يسمح لهم بذلك بل منعهم وبين لهم أنه لا ينبغي لبشر أن يسجد لأحد من المخلوق أيا من كان . وقد ورد بيان ذلك في كثير من أحاديث المصطفى ﷺ ، وهنا أكتفي بذكر بعضها، وهي كما يلي :

عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ ، قال : " ما هذا يا معاذ ؟ " قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم^(٤) وبطارقتهم^(٥) ، فرددت في

(١) آل عمران الآية : ١٦٤

(٢) الأنبياء الآية : ١٠٧

(٣) انظر : (ص : ٤٩-٥٣) .

(٤) أساقفة جمع أسقف ومعناه : عالم ورئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهي مرتبة فوق القس . وهو أعجمي معرب، فقيل : هو سرياني، وقيل : هو يوناني وهو الذي صوبه الدكتور ف . عبد الرحيم - حفظه الله - ، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في العبادة، والسقف في اللغة طول في انحناء، فيكون عربيا . انظر : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم بتحقيق : الدكتور ف . عبد الرحيم (ص : ١٤٤) ؛ والنهاية في غريب الحديث (٣٧٩/٢ ، مادة : سقف) .

(٥) بطارقة جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها، وهو ذو منصب وتقدم عندهم تصف به العرب يريدون المدح، وقيل هو رومي معرب، وقيل : هو عربي وافق عجميا . انظر : المعرب (ص : ٢٠٠-٢٠١) ؛ والنهاية في غريب الحديث (١٣٥/١ ، مادة : بطرق) ؛ وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (٢٨٧/١) .

نفسى أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ : " فلا تفعلوا؛ فإنى لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه ^(١) .

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل حائطا من حوائط الأنصار، فإذا فيه جملان يضربان ويرعدان، فاقرب رسول الله ﷺ منهما، فوضعا جرائهما ^(٢) بالأرض، فقال من معه : نسجد لك ؟ فقال النبي ﷺ : ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد، ولو كان أحد ينبغي له أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لما عظم الله عليها من حقه ^(٣) .

وعن أنس بن مالك ؓ قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ^(٤) ، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : " قوموا " فقاموا فدخل الحائط، والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار : يا رسول الله ! إنه قد صار مثل الكلب الكلب ^(٥) ، وإنا

(١) أخرجه حم (١٤٥/٣٢ ح : ١٩٤٠٣)؛ وجه (النكاح، ب : حق الزوج على المرأة ٥٩٥/١ ح : ١٨٥٣)، واللفظ له؛ وحب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشره الزوجين، ذكر استحباب الاجتهاد للمرأة في قضاء حقوق زوجها ... ٤٧٩/٩ ح : ٤١٧١)؛ والبيهقي في الكبرى (القسم والنشوز : ب : ما جاء في بيان حقه عليها ٢٩٢/٧)؛ وكم (البر والصلة، ب : حق الزوج على المرأة ١٧٢/٤)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ١٢١/٢ ح : ١٥١٥)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٢٠٢/٣ ح : ١٢٠٣)؛ وحسن إسناده في (إرواء الغليل ٥٦/٧ ح : ١٩٩٨) .

(٢) الجران : باطن العنق . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٦٣/١ ، مادة : جرن) .

(٣) أخرجه ت (الرضاع، ب : ما جاء في حق الزوج على المرأة ٤٦٥/٣ ح : ١١٥٩)؛ وقال : حديث أبي هريرة حسن غريب من هذا الوجه)؛ والبيهقي في الكبرى (القسم والنشوز، ب : ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة ٢٩١/٧)؛ وحب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشره الزوجين، ذكر استحباب الاجتهاد للمرأة في قضاء حقوق زوجها ... ٤٧٩/٩ ح : ٤١٧١)، واللفظ له، وكسلمهم بإسناد واحد إلا أنه لم يذكر الترمذي والبيهقي قصة الجملين، وذكر آخر الحديث . قال الهيمشي في (جمع الزوائد ٧/٩) : (روى الترمذي طرفا من آخره، وإسناده حسن)، وكذلك قال الألباني في (إرواء الغليل ٥٤/٧ ح : ١٩٩٨)، وقال في (صحيح سنن الترمذي ٥٩٣/١ ح : ١١٥٩) : (حسن صحيح) .

(٤) يسنون عليه : أي : يستخدمونه لسقي الزرع والنخل . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤١٥/٢) .

(٥) الكلب الكلب : الذي يكلب في أكل لحوم الناس فيأخذه شبه جنون، فإذا عقر إنسانا كلب المعقور وأصابه داء الكسل يعوي عواء الكلب، ويمزق ثيابه عن نفسه، ويعقر من أصاب ثم يصير أمره إلى أن يأخذه العطاش فيموت من شدة العطش ولا يشرب . انظر : النهاية في غريب الحديث (١٩٥/١)؛ ولسان العرب (١٣٥/١٢) .

نخاف عليك صولته. فقال : " ليس علي منه بأس " . فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه. فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه : يا بني الله ! هذه بحيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك . فقال : " لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها الحديث ^(١) .

وعن قيس بن سعد ﷺ قال : أتيت الحيرة ^(٢)، فرأيتهم يسجدون لمرزبان ^(٣) لهم، فقلت : رسول الله ﷺ أحق أن يسجد له . قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أتيت الحيرة، فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله ﷺ أحق أن تسجد لك. قال : رأيت لو مررت بقري أكنت تسجد له ؟ قال : قلت : لا . قال : " فلا تفعلوا، لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن؛ لما جعل الله ﷻ لهم عليهن من الحق ^(٤) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : دخل النبي ﷺ حائطا للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر

-
- (١) أخرجه حم (٦٤/٢٠ - ٦٥ ح : ١٢٦١٤)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (٢٦٥/٥ ح : ١٨٩٥)؛ والنسائي في الكبرى (عشرة النساء ، ب : حق الرجل على المرأة (٣٦٣/٥ ح : ٩١٤٧)، ولم يذكر قصة الجمل . قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٥/٣ ح : ٢٠) : (رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد، زواته ثقات مشهورون)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٩) : (رواه أحمد والبخاري رجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس، وهو ثقة)، ووافقهما الألباني كما في إرواء الغليل (٥٥/٧ ح : ١٩٩٨)؛ وقال محققو المسند : صحيح لغيره دون قوله في آخر الحديث : والذي نفسي بيده لو كان من قدمه ... إلى آخره .
- (٢) الحيرة (بكسر الحاء وسكون الباء) : مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف . وقال في النهاية : البلد القديم بظهر الكوفة، ومحلة معروفة بنيسابور . وهو الآن في العراق . انظر : معجم البلدان (٣٢٨/٢)؛ والنهاية في غريب الحديث (٤٦٧/١ ، مادة : حير)؛ وقصد السبيل ... (٤٤٤/١) .
- (٣) مرزبان (بضم الزاء) : أحد مرازمة الفرس، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو معرب وتفسيره بالعربية : حافظ الحد، والجمع : مرازمة و مرازب . انظر : المعرب (ص : ٥٨٨ - ٥٨٩)؛ والنهاية في غريب الحديث (٣١٨/٤ ، كلمة : مرزبان تحت مادة : مرز)؛ وقصد السبيل (٤٥٧/٢ - ٤٥٨) .
- (٤) أخرجه د (النكاح ، ب : في حق الزوج على المرأة (٢٤٤/٢ ح : ٢١٤٠)؛ والدارمي في مسنده (الصلاة ، ب : النهي أن يسجد لأحد (٩١٧/٢ ح : ١٥٠٤)؛ والطبراني في الكبير (٣٥٢-٣٥١/١٨ ح : ٨٩٥)؛ والبيهقي في الكبرى (القسم و النشوز ، ب : ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة (٢٩١/٧)؛ والبخاري في مسنده باختصار (١٩٩/٩ ح : ٣٧٤٧)؛ وكـ (النكاح ، ١٨٧/٢)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٩٥/١ ح : ٢١٤٠) دون جملة القبر .

ورجال من الأنصار، قال : وفي الحائط غنم، فسجدت له. قال أبو بكر : يا رسول الله إنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم. فقال : إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير، فسجده، فقال أصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال : " اعبدوا ربكم، وأكرموا أخاكم، ولو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله ^(٢).

فلو كان السجود من البشر جائزا لأحد من المخلوق في هذه الشريعة لكان رسولها محمد ﷺ أولى الناس به لعظم حقه على أمته جميعا، ولأذن للصحابة لما استأذنوا منه لذلك، ولم يمنع الذين سجدوا له منهم بل لأقرهم، وشجعهم، وطلب من الباقي أن يفعلوا كما فعل هؤلاء، وكذلك لأمر النساء أن يسجدن لأزواجهن لعظم حقوقهم عليهن، ولين للأمة أن السجود ضرب من الإكرام والتعظيم؛ وأن عليهم أن يسجدوا لكل من يستحق الاحترام والتقدير؛ فإنه ﷺ لا يسكت عن حق، ولا يقر على باطل، ولا يرضى بأي خير يعلمه، ولكنه لما كان السجود عبادة عظيمة لا تصلح إلا للخالق تعالى فهمي النبي ﷺ عن السجود لغير الله، وبين أنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من المخلوق، فهذا كله دليل على عدم جواز السجود لأحد من المخلوق في هذه الملة.

الرابع : إن الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية قد أباح الله فيها لأصحابها بعض ما حرمه علينا في شريعتنا، ومنها ما لا يهتم أحد منا بفعله الآن، فضلا أن يقترب منه أو يفعله مثلا :

(١) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٦/١٣٠-١٣١ ح : ٢١٢٩ - ٢١٣٠) بإسنادين، وألفاظهما

متقاربة، وقال المحقق عن كليهما : (إسناده حسن) .

(٢) أخرجه حم (٤١/١٨-١٩ ح : ٢٤٤٧١)، واللفظ له؛ وابن أبي شيبة في المصنف (الصلوات)، من كره أن يسجد

الرجل للرجل ٥٢٨/٢، والنكاح، ما حق الزوج على امرأته (٣٠٦/٤) ولم يذكر قصة سجود الجمل؛ ومن طريقه

جه (النكاح، ب : حق الزوج على المرأة ٥٩٥/١ ح : ١٨٥٢) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣١٠/٤) : (روى

ابن ماجه بعضه بغير سياقه، رواه أحمد، وفيه على بن زيد، وحديثه حسن، وقد ضعف)، وقال أيضا (٩/٩) : (رواه

أحمد، وإسناده جيد)، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ١٢١/٢ ح : ١٥١٤) .

النكاح بالأخوات الشقيقات كان مباحا في عهد آدم ﷺ^(١) و لكنه محرم علينا في ديننا بنص الكتاب حيث قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم... ﴾^(٢)، والآن لا نجد أحدا من المسلمين يقول بالزواج من الأخت الشقيقة نظرا إلى أنه كان مباحا في شريعة من شرائع الله تعالى السابقة. فكما أنه لا يفتى و لا يحكم هنا بالشريعة المتقدمة؛ لأنها عارضت ما جاءت به شريعتنا^(٣) فكذلك لا يستدل بسجود الملائكة لآدم ﷺ على جواز السجود لأحد من المخلوق لأنه يتعارض مع ما تقرر في شريعتنا. فقد جاء الأمر في شريعتنا بالسجود لله وحده تعالى، كما جاء النهي عن السجود لغيره تعالى، ولما سجد بعض أصحاب النبي ﷺ له منعهم، ولم يأذن بذلك لمن استأذنه منهم، فهذا كله دليل على عدم جواز السجود لأي مخلوق في شريعتنا .

الخامس : السجود كان جائزا في الأمم السابقة على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم، ولكنها نسخت في الأمة المحمدية. وقد أبدلها الله تعالى التسليم والتحية فيما بينها، فأصبح السجود خاصا لله وحده لا شريك له، ولا يجوز لأحد من المخلوق .

قال قتادة في تفسير قوله تعالى عن أبي يوسف وإخوته : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ﴾^(٤) : (كانت تحية من قبلكم، كان بها يحبي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى، عجلها لهم، ونعمة منه)^(٥). والنصوص الشرعية المتقدمة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدم جواز السجود لأحد غير الله تعالى فيها دلالة على صحة ما قاله قتادة وغيره من المفسرين^(٦).

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤١/٢ - ٤٢)؛ ورسالة التوحيد للدهلوي (ص : ٩٧-٩٨)؛ والإنسان في ظل الأديان (ص : ٩٣-٩٤) .

(٢) النساء الآية : ٢٣

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (١٦٩/٣ - ١٧٠)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ١٩٢-١٩٣) .

(٤) يوسف الآية : ١٠٠

(٥) إسناده لا يقل عن درجة الحسن لذاته، وقد سبق تخريجه وبيانه حكمه في (ص : ٣٣٥) .

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٣٧/١ - ٣٨)؛ وتهذيب اللغة (٥٧١/١٠)، سجد؛ والجامع لأحكام

القرآن (٢٩٣/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٧/١ و ٤٩١/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٢/١)؛

وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١) .

فلا يصح الاستدلال بجواز السجود في الأديان السابقة لبعض المخلوقات على جواز السجود من أحد من هذه الأمة لمخلوق من شيخ أو ولي أو صالح ... فإنه ينافي كمال الامتثال لأوامر الله تعالى بل معصية عظيمة له سبحانه قد تؤدي بصاحبه إلى الكفر بالله والخروج عن دينه ^(١).

والله سبحانه وتعالى له المشيئة المطلقة، وله الأمر المطلق، فله أن يأمر من شاء بما شاء، وأن ينهى من شاء عما شاء. وكان قد أباح لعباده أن يسجد بعضهم لبعض على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم، ولكنه سبحانه وتعالى لما نهانا عن ذلك، وأمرنا بالتسليم والتحية فيما بيننا، وأمرنا أن نفرده تعالى بالسجود له، وأن نتوجه إليه بجميع أنواع العبادات، مخلصين له وحده، لا شريك له تعالى يجب علينا الامتثال بأمر الله تعالى، والانقياد لله من غير ضيق، ولا حرج في النفوس، وليس لنا أن نتشيث بما أمر الله به الأولين، ونترك ما أمرنا به ربنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

ويتبين مما سبق من الوجوه أنه يجب السجود لله وحده، ولا يجوز السجود لمخلوق أيا كان، وأن الاستدلال بسجود الملائكة لآدم عليه السلام على جواز السجود لمخلوق نبي أو ولي أو عالم أو معلم ... استدلال باطل قطعاً، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٩٨) .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام.

وفيه مبحثان .

المبحث الأول : معنى إبليس .

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم عليه السلام .

المبحث الأول : معنى إبليس . وفيه مطلبان .

المطلب الأول : معنى كلمة " إبليس " لغة واصطلاحاً .

أولاً : معنى كلمة " إبليس " في اللغة العربية :

اختلف أئمة اللغة في كلمة إبليس على قولين، فمنهم من يرى أنها كلمة عربية، ومنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، وفيما يلي ذكر القولين، وبيان الراجح منهما، والله الموفق للصواب .

القول الأول : ذهب جماعة من أئمة اللغة ^(١) إلى أن إبليس كلمة عربية. فهو اسم على وزن " إفعيل "، ومشتق من الإبلّاس. قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(٢)، وقال تعالى : ﴿ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ^(٣). والمبلس هو : الحزين النادم المخذول المتروك المنقطع عن الحجة، اليائس من الخير والنجاة ^(٤).

وسمي إبليس إبليساً لأنه افتضح بعصيانه أمر ربه عندما أمره بالسجود مع الملائكة لآدم عليه السلام، فطرده الله من الجنة، فيئس من رحمة الله، فحزن وندم، فصار مخذولاً متروكاً ذليلاً منقطع الحجة ساكتاً، فقيل له : إبليس ^(٥).

وقد تعقب بأنه لو كان كذلك لكان قد سمي به بعد يأسه من رحمة الله ولعنه وطرده، وظاهر القرآن

(١) من أئمة اللغة الذين قالوا بعربية كلمة " إبليس " خليل بن أحمد الفراهيدي في (العين ٢٦٢/٧، مادة : بلس)؛ وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٧/١ - ٢٢٨)؛ والجوهري في (الصحاح ٩٠٩/٣، مادة : بلس)؛ وابن فارس في (معجم مقاييس اللغة ٢٩٩/١ - ٣٠٠، مادة : بلس)، وكذلك قال به ابن دريد في (جوهرة اللغة ٢٨٨/١ و ٣٧٧/٣)؛ والأزهري في (تهذيب اللغة ٤٤٢/١٢، مادة : بلس)، والراغب في (مفردات ألفاظ القرآن ص : ١٤٣، مادة : بلس) ولكنهم لم يجزموا به، وإنما ذكروا هذا القول فقط ولكن بصيغة التمرّض والحكاية وبما يوحي بعدم إطمئنانهم إليه .

(٢) الروم الآية : ١٢

(٣) الأنعام الآية : ٤٤

(٤) انظر : لسان العرب (٤٨٢/١ - ٤٨٣، مادة : بلس) .

(٥) انظر : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (١٩٣/٢) بواسطة كتاب " عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٦٢) .

والحديث يدل أنه كان يسمى به قبل ذلك ^(١) إلا أنه يمكن أن يقال أنه سمي به باعتبار ما سيقع له ^(٢). وكذلك يشكل عليه بأن إبليس ممنوع من الصرف. فلو كان على وزن "إفعليل"، مشتقا من الإبلاس لكان منصرفا؛ لأنه لا يكون فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، وهذا وحده لا يكفي لكونه ممنوعا من الصرف ^(٣).

وقد اعتذر لذلك من جعله عربيا بقلته وشذوذه في العربية، وأنه لما لم يكن له نظير في الأسماء العربية عد بمثالة الأعجمي، فهو غير منصرف للعلمية ولشبهه بالأعجمية ^(٤).

وهذا اعتذار ركيك لأن كون الكلمة شاذة وقليلة لا يلزم منه أن تكون ممنوعة من الصرف؛ فإن القلة والشذوذ ليست من موانع الصرف ^(٥). وكذلك هناك كلمات كثيرة بالعربية قال عنها أئمة اللغة بأنها قليلة الاستعمال أو أنها شاذة، ولم يقل أحد بأنها كلها ممنوعة من الصرف بل هي تسأخذ مجراها حسب قواعد اللغة العربية المعروفة ^(٦)، ولأن الذي لا يوجد في كلام العرب هو ما كان على وزن "أفعليل" بفتح الهمزة؛ فإنه عديم النظر ^(٧). وأما "إفعليل" فهو من الأوزان العربية المعروفة، وله نظائر كثيرة ^(٨) في كلام العرب مثل: إجفيل للجبان الذي يفر من كل شيء، وإحليل لمخرج البول من عضو الإنسان، واللبن من الثدي. وإكليل للتاج، وما كلل به الرأس من ذهب وغيره، وما أحاط بالظفر من اللحم، وغيرها من الكلمات التي جاءت على وزن إفعليل ^(٩).

(١) لأنه لما امتنع عن السجود قال الله له: ﴿إِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: ((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به...)) الحديث، ولا شك أن هذا كان قبل طرده ولعنه. والحديث قد سبق تخريجه في (ص: ٩٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٣٣٩/٦).

(٣) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن (٧٤/١).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٧/١-٢٢٨)؛ والبيان في تفسير غريب القرآن (٧٥-٧٦)، وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٥٣/١)، والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٤/١).

(٥) انظر: فتح الباري (٣٣٩/٦).

(٦) من إفادات شيخنا الدكتور/عبد الرزاق الصاعدي - حفظه الله -.

(٧) انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٥٣/١).

(٨) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢٧٢-٢٧٣)؛ وتفسير غريب القرآن العظيم (ص: ٢٥٩)، والدر المنصور في علوم الكتاب المكنون (٢٧٦/١)، وقصد السبيل... (١٥٣/١).

(٩) انظر: معاني هذه الكلمات وأمثلة أخرى لها، ذكرها ابن دريد في (جمهرة اللغة، باب ما جاء على "إفعليل" ٣٧٦-٣٧٧).

يتبين مما سبق أن القول بأن إبليس اسم عربي، وأنه مشتق من الإبلّاس، وأنه على وزن إفعيل، وأنه منع من الصرف العلمية ولشبهه بالأعجمية؛ لقلته وشدّوده في العربية قول غير صواب، والله أعلم .

القول الثاني : ذهب أكثر أئمة اللغة ^(١) إلى أن إبليس ليس بعربي، وأن وزنه " فاعيل "، وأنه ممنوع من الصرف العلمية والعجمة ^(٢).

ويظهر لي أن هذا القول هو الصواب، وأنه لا يصح أن يشتق إبليس من الإبلّاس، وإن وافق معنى أبلّس لفظاً ومعنى؛ لأنه لو كان كذلك لانصرف كما ينصرف نظائره، فإنه لو سمي رجل بإجفيل ونحوه لكان منصرفاً ^(٣)، ولم يكن ممنوعاً من الصرف. وإبليس ممنوع من الصرف بالاتفاق، فذلك يدل على أنه اسم أعجمي، فليس هناك ما يمنعه من الصرف إلا العلمية والعجمة، والله أعلم بالصواب .

(١) من أئمة اللغة الذين قالوا بأن كلمة " إبليس " ليست بعربية، وإنما هي كلمة أعجمية أبو عبيدة معمر بن المثنى في (مجاز القرآن ٣٨/١)، والزجاج في (معاني القرآن وإعرابه ١١٤/١)، وأبو جعفر النحاس في (إعراب القرآن ٢١٢/١)، ومكي بن أبي طالب القيسي في (مشكل إعراب القرآن ٨٧/١)، والزحشري في (الكشف ٢٨/٤ ، مريم : ٥٦)، والجواليقي في (المغرب ص : ١٢٢)، وابن عطية في (المحرر الوجيز ١٧٩/١)، ومحمود بن أبي الحسن النيسابوري في (إيجاز البيان عن معاني القرآن ٩٠/١)، وابن الأنباري في (البيان في غريب إعراب القرآن ٧٤/١)، وحسين بن أبي العر الهمداني في (الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٧٢/١ - ٢٧٣)، ومحمد بن أبي بكر الرازي في (تفسير غريب القرآن العظيم ص : ٢٥٩)، وفي (مختار الصحاح ص : ٢٦ ، بلس)، وعلي بن عثمان الماديني في (بجهة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب ص : ٥٥)، والسمين الحلبي في (الدر المنصون في علوم الكتاب المكون ٢٧٦/١)، والفيومي في (المصباح المنير ص : ٢٤ ، بلس)، وابن هائم في (التبيان في تفسير غريب القرآن ٧٥-٧٦)، وابن حجر في (فتح الباري ٣٣٩/٦)، والثعالبي في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢١٦-٢١٧)، وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم ٨٧/١)، والحلي في (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ١٥٣/١)، والزيدي في (تاج العروس ٤٦٤/١٥ ، بلس)، والآلوسي في (روح المعاني ٢٢٩/١)، وابن عاشور في (التحرير والتنوير من التفسير ٤٢٤/١)، ومحي الدين الدرويش في (إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٠/١ و ٨٤)، ومحمد سيد طنطاوي في (التفسير الوسيط ٩٨/١)؛ وشيخنا الدكتور ف . عبد الرحيم في (المغرب والدخيل في اللغة العربية ص : ٢١)، وفي " المغرب " للجواليقي بتحقيقه (ص : ١٢٢) . وذكر الدكتور ف . في كتابيه المذكورين والدكتور حسن ظاظا في كتابه (الساميون ولغاتهم ص : ١٣٠) : أن كلمة إبليس أصله يوناني ؛ أي : (Diaboleus) ، ومعناه الأصلي التمام الكذاب العدو ثم انتقل مع الأديان السماوية إلى معنى رئيس الشياطين، والله أعلم بالصواب .

(٢) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(٣) انظر : المصباح المنير (ص : ٢٤ ، مادة : بلس) .

ثانيا : معنى كلمة " إبليس " اصطلاحا .

وفي الاصطلاح : إبليس علم يطلق على ذلك الشيطان الأكبر الذي خلق من النار، وكان يجالس الملائكة، ويتعبد معهم، وليس من جنسهم كما سيأتي بيانه^(١)، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ﷺ خالف أمر ربه بتكبره على آدم ﷺ؛ لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم ﷺ^(٢)؛ فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله عن باب رحمته، وحضرة قدسه، وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحكيم العليم الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطمع^(٣)، وقال كما حكى الله عنه : ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتكن ذرته لإقلىلا﴾^(٤) فإبليس علم ذات تفردت بإغواء بني آدم وإضلالهم وقيادتهم إلى الشرك والشر^(٥).

وقد أطلق عليه القرآن اسم الشيطان في مواضع منها قوله تعالى : ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾^(٦) وقوله تعالى : ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾^(٧) وقوله تعالى : ﴿وناداهما ربهما ألمأنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾^(٨) وقوله تعالى : ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما﴾^(٩) وقوله تعالى : ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾^(١٠).

(١) انظر : (ص : ٣٦٥-٣٧٦) .

(٢) انظر تعليل إبليس عن امتناعه من السجود وبيان بطلانه في (ص : ٣٨١-٣٨٧) .

(٣) انظر : عالم الجن والشياطين للأشقر (ص : ١٦) ؛ وعالم الجن في ضوء الكتاب و السنة لعبد الكريم عيلت (ص : ٤٦٥-٤٦٦) .

(٤) الإسراء الآية : ٦٢

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٧٦) .

(٦) البقرة الآية : ٣٦

(٧) الأعراف الآية : ٢٠

(٨) الأعراف الآية : ٢٢

(٩) الأعراف الآية : ٢٧

(١٠) طه الآية : ١٢٠

فالمقصود بالشيطان في هذه الآيات هو إبليس الذي تولى إغواء آدم وحواء عليهما السلام، وحثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها حتى أكلا منها .

ولفظ الشيطان قد يراد به إبليس خاصة كما في الآيات المذكورة، وقد يراد به معنى عام، وهو كل شرير مفسد داع للغي والفساد من الجن والإنس كما في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ^(١).

وكذلك يطلق لفظ الشيطان على المتميز بالخبث والأذى من الحيوان . قال أسلم مولى عمر بن الخطاب ^(٢) : ركب عمر رضي الله عنه برذونا فجعل يتبختر به، فضربه فلم يزد إلا تبخترا، فترل عنه، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان، لقد أنكرت نفسي ^(٣).

وعلى هذا فإن الشيطان إذا أريد به الجنس فله معنيان : معنى خاص ومعنى عام . فأما الخاص فيراد به إبليس وذريته المخلوقون من النار، والذين لهم القدرة على التشكل، وهم يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة، مطبوعون بفطرهم على الوسوسة والإغواء، وهم بهذا عاملون على التفريق والخراب، جاهدون لفصل ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يفصل، وإبرام ما يجب فصمه، وفصم ما يجب إبرامه؛ فإبليس هو قائد جنود الشر والموحي به إليهم والمحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم وإضلالهم ^(٤).

وأما المعنى العام فيراد به كل مخلوق عات متهم من الإنس والجن والدواب. فأما من جانب الجن والإنس فهو التمرد والعصيان لأمر الله ومحاوله بذر الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله. قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ^(٥) . وأما من جانب الدواب فهو الخبث والأذى الذي تميزت به عن جنسها ^(٦) والله أعلم بالصواب.

(١) الأنعام الآية : ١١٢

(٢) أسلم العلوي، مولى عمر، ثقة مختصم، توفي سنة ٨٠هـ - وقل بعد سنة ٦٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٠٤ برقم : ٤٠٦) .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٦/١)، وقال : (إسناده صحيح) .

(٤) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٣٣٢/٢) .

(٥) الأنعام الآية : ١١٢

(٦) انظر : عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٦٥ - ٤٦٩) .

المطلب الثاني : بيان الجنس الذي منه إبليس، من الجن أو من الملائكة.

اختلف العلماء في بيان الجنس الذي منه إبليس فمنهم من يرى أنه كان من الملائكة، ومنهم من يرى أنه لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن، ومنهم من يرى الجمع بين القولين، فيرى أنه كان من الملائكة صورة، ولم يكن منهم أصلاً ومادة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وبيان الراجح منها، وبالله التوفيق والتسديد .

القول الأول : ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة. وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري والبعوي وأبو حيان والسمين الحلبي^(١) وصديق حسن خان والقاسمي وغيرهم^(٢).

وقد استدل القائلون بكونه من الملائكة بما يلي :

الدليل الأول : قالوا : إن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ إلا إبليس استكبر^(٣) إنما هو استثناء متصل، لأن الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع. فأخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على أنه منهم .
ومما يؤكد ذلك توجه الأمر بالسجود إليه. فلولا أنه منهم لما أمر بالسجود لآدم عليه السلام، ولو لم يكن مأموراً بالسجود لآدم عليه السلام لم يكن عاصياً، ولم يقع عليه ذم لتركه فعل ما لم يؤمر به . فأخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة واستحقاقه الحزى والنكال لعدم سجوده لآدم عليه السلام دليل على أنه من الملائكة^(٤).

ولكن تعقب هذا الاستدلال بما يلي :

-
- (١) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، المعروف بالسمين، مفسر نحوي فقيه، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢/٢١١) .
(٢) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٢٤ ، ٢٢٧) ؛ ومعالم التنزيل (١/٦٣) ؛ وتفسير البحر المحيط (١/٣٠٣) ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٢٧٣) ؛ وفتح البيان (١/١٣٢) ؛ ومحاسن التأويل (٢/١٠٣) .
(٣) ص الآيتان : ٧٣-٧٤
(٤) انظر : معالم التنزيل (١/٦٣) ؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم للأدكاوي (١/٥٦) .

١- إن استثناء الله تعالى إياه من الملائكة لا يدل على كونه من جملةهم. وإنما استثناءه منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ ^(١) فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم، وأصبح عاصيا بمخالفة الأمر؛ ولذلك استحق الذم والخزي والنكال في الدنيا والآخرة. فهذا استثناء من جنس المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام، وليس استثناء من جنس الملائكة ^(٢).

قال الزمخشري: (كان جنيا واحدا بين أظهر الألو ف من الملائكة، مغمورا بهم، فغلبوا عليه في قوله: ﴿ فسجدوا ﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم) ^(٣).

وقال أيضا: إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؛ لأن إبليس كان في صحبتهم، وكان يعبد الله تعالى عبادتهم. فلما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام والتواضع له كرامة له، كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع. أھـ بتصرف يسيير ^(٤).

وقال الحافظ ابن كثير: (إن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، إلا أنه كان قد تشبه بهم، وتوسم بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر) ^(٥).

٢- وقد ورد الاستثناء من غير الجنس في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ ^(٦)، وقوله تعالى: ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ ^(٧)، وقوله تعالى: ﴿ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ ^(٨)، وقوله تعالى: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ ^(٩)، وقوله تعالى: ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما *

(١) الأعراف الآية: ١٢

(٢) انظر: الإيمان بالملائكة (ص: ٢٦٠-٢٦١)؛ ومجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين (١/٢٨٦-٢٨٧).

(٣) الكشف (٢٥٤/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (١١٣/٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٧٧/١).

(٦) النساء الآية: ٢٩

(٧) النساء الآية: ١٥٧

(٨) الشعراء الآية: ٧٧

(٩) الزخرف الآيتان: ٢٦-٢٧

الإقلاسلاما سلاما»^(١)، وقوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجهه الأعلى﴾^(٢).
 فهذا الآيات القرآنية المستثني فيها ليس من جنس المستثنى منه. والاستثناء من غير
 الجنس أمر شائع في كلام العرب^(٣)؛ فلا مانع أن يقال أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وإذ
 قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر﴾^(٤) من باب المنقطع، وأن المستثنى
 فيه ليس من جنس المستثنى منه، وعلى هذا إبليس لم يكن من جنس الملائكة.
 ويؤيد هذا المذهب قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من
 الجن ففسق عن أمر ربه﴾^(٥) فبين الله أنه كان من الجن. ولا شك أن الجن جنس آخر غير
 الملائكة، فإبليس ليس من جنس المستثنى منه؛ أي: ليس من الملائكة^(٦).
 ٣ - ويمكن أن يقال بأن هذه الآية محتملة لكون إبليس من جنس الملائكة على أن
 الاستثناء من المتصل، فهي محتملة كذلك لكونه ليس منهم على أن الاستثناء من المنقطع.
 وهو شائع في كلام العرب كما مر. فهذا الدليل لا ينهض حجة لهم^(٧) لأنه كما قال أهل
 العلم: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال^(٨)، والله أعلم بالصواب.
 ٤ - وعلى سبيل الفرض لو سلم أن الاستثناء متصل يمكن أن يقال: إن الجن من جنس
 الملائكة من حيث لطافة الجسم، وعدم رؤية البشر له. فيكون الاستثناء متصلا، مع كون
 إبليس من عنصر الجن حقيقة؛ لدلالة النصوص الشرعية على ذلك^(٩) وسيأتي بيانها إن شاء الله.

(١) الواقعة الآيتان: ٢٥-٢٦

(٢) الليل الآيتان: ١٩-٢٠

(٣) انظر: شرح جمل الزجاجي (٤٠١/٢-٤٠٤)؛ ومعاني النحو (٢٤٧/٢)؛ وشرح مختصر الروضة (٥٩٢/٢-٥٩٦)؛
 ومذكرة في أصول الفقه (ص: ٢٧١-٢٧٢).

(٤) البقرة الآية: ٣٤

(٥) الكهف الآية: ٥٠

(٦) انظر: عالم الجن والشياطين للدكتور/ عمر سليمان الأشقر (ص: ١٨).

(٧) انظر: الجن في القرآن والسنة لمؤلفه: ولي زار بن شاه ز الدين (ص: ٧٥).

(٨) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي (٧/٢)؛ وفيض القدير (١٠١/١، ٣٧٠، ٣٥٣/٣ و ٤٧٤/٥)؛
 وحاشية السندي على سنن النسائي (٧/٢)؛ ونيل الأوطار (٧٠/٢)؛ وتحفة الأحوذى (٥٢٧/١).

(٩) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان عبيدات (ص: ٤٨٢).

الدليل الثاني : وردت آثار عن بعض السلف كعلي بن أبي طالب ^(١)، وابن عباس ^(٢)؛ وابن مسعود ^(٣)، وسعيد بن المسيب ^(٤)، وقتادة ^(٥) وغيرهم. وهي تدل على أن إبليس كان من الملائكة.

ولكن الاستدلال بهذه الآثار على كون إبليس من الملائكة لا يخلو من النظر فيه، وذلك لما يلي:

١- لم يثبت خبر واحد عن رسول الله ﷺ أن إبليس كان من الملائكة ^(٦). فلو كان هو من الملائكة لبينه لنا رسول الله ﷺ وحفظه لنا أصحابه رضي الله عنهم ونقلوه إلينا كما نقلوا جميع أحاديثه

-
- (١) عزا إليه النسفي في تفسيره (٨٠/١) من غير ذكر للإسناد ولا إحالة إلى من ذكره بالإسناد .
- (٢) أكثر من نسبت إليه الآثار في هذه المسألة من الصحابة هو ابن عباس، فإنها حكيت عنه من طرق كثيرة، ذكرها ابن جرير في تفسيره (٢٢٤-٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٢/١ برقم : ٣٦٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١٦٧٦/٥ برقم : ١١١٩ ، ١٦٨١/٥ برقم : ١١٣١-١١٣٢)، وقد تبين لي بعد دراستها أنه لم يخل سند منها من الكلام فيه وفي روايته أو من النظر في متنه، وقد تقدم الكلام على بعضها من حيث سندها ومتنها في (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٤٠-٣٤١ و ٣٤٥-٣٤٩) . وأقوى الطرق عن ابن عباس في هذه المسألة حسب علمي ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٢/١ برقم : ٣٦٥) بسنده فقال : ثنا أبي، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة ... قال المحقق : (رجال إسناده ثقات لكن عباد بن العوام مع ثقته في حديثه لين واضطراب)، قلت : أولا : سفيان بن حسين لا يوصف بكونه ثقة على الإطلاق بل هو ثقة في غير الزهري، وهذا بالاتفاق . ثانيا : العباد بن العوام لا يوصف بالاضطراب في أحاديثه على الإطلاق، وإنما اضطرابه فيما رواه عن سعيد بن أبي عروبة، وهذا لا يضر هنا ؛ فإن الرواية التي معنا ليست من طريق ابن أبي عروبة بل هي من طريق سفيان بن حسين فلا يضر ذلك، فالذي يظهر لي أن هذا الإسناد حسن إلى ابن عباس . والله أعلم .
- (٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٥/١) من طريق أسباط بن نصر عن السدي ... وهذا الإسناد قد سبق الكلام عنه مفصلا في (ص : ٩٧-٩٨)، وبالإضافة إلى ما تقدم هناك من الكلام في إسناد تفسير السدي عموما، وفي السدي وأسباط بن نصر خصوصا، يوجد في إسناد هذه الرواية شيخ الطبري موسى بن هارون الهمداني، وقد قال عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٥٦/١) : (ما وجدت له ترجمة، ولا ذكرا في شيء مما بين يدي من المراجع إلا ما يرويه عنه الطبري) .
- (٤) أخرج عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٥/١) بإسناد حسن، كما قال الدكتور/أحمد نجيب في رسالته للدكتوراه : الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص : ١٣٦ برقم : ٤٧) .
- (٥) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٥/١) بإسناده إليه من طريقين، وكلاهما حسن إسناده كما قال الدكتور أحمد نجيب في كتابه المذكور (ص : ١٣٦-١٣٧ برقم : ٤٨-٤٩)؛ وكما في التفسير الصحيح (١٣٩/١) .
- (٦) انظر : تهذيب التفسير وتجرید التأويل من الأباطيل وردية الأقاويل (٩٩/١) .

بل جاء في القرآن الكريم ما يبين أنه كان من الجن . والجن غير الملائكة، وسيأتي بيانه إن شاء الله .
٢- إن الآثار الواردة في المسألة ، المحكية عن بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهم - فهي وإن كانت في حكم الرفع لكونها مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد لكنه لا يمكن الاستدلال بها لأمرين :
الأول : أنهما لا تخلو من النظر والكلام فيها إما في أسانيدهما أو في متونهما أو فيهما معا، كما تقدم .

والثاني : الاحتجاج بقول الصحابي من الأصول المختلف فيها، والذين قالوا بالاحتجاج به من شروطهم أن لا يكون مأخوذاً عن الإسرائيليات ^(١) . وهذه الآثار المحكية عن بعض الصحابة على فرض ثبوت بعضها عنهم يحتمل أن تكون مأخوذة عن الإسرائيليات التي لا يعول عليها .
قال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكر إسناد السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيلييات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم) ^(٢) .

وقال أيضا بعد ما ذكر جملة من الآثار الواردة عن السلف في هذا المعنى : (وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف . وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه؛ لمخالفته للحق الذي بأيدينا . وفي القرآن غنية عن كل ما عده من الأخبار المستقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة . وليس لهم من الحفاظ المتقنين، الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبيّنوا صحيحه من حسنه، من ضعيفه، من منكروه، وموضوعه، ومتروكه، ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين، والكذابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث

(١) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ١٩٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧٦/١ - ٧٧)، وانظر في البداية والنهاية (١٨/١ و ٨٦) كلاما نحوه.

عنه بما ليس منه؛ فرضى الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم (١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره : من أنه كان من أشرف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزازيل كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها) (٢).
فهذه الآثار الواردة عن بعض الصحابة لا يمكن الاعتماد عليها للنظر في ثبوت تلك الآثار عنهم، ولاحتمال أن تكون مأخوذة عن الإسرائيليات .

وأما الآثار المحكية عن غير الصحابة من التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب وقتادة وغيرهم، فهي وإن كانت حسنة الأسانيد إليهم إلا أن أقوالهم و تفسيراتهم ليست حجة باتفاق أهل العلم؛ فإنها ليست من الأصول التي اختلف أهل العلم في الاحتجاج بها، مع احتمال كونها إسرائيلية كما قال أهل العلم (٣).

وغاية ما يمكن أن يقال بأنه يمكن الاستئناس بهذه الآثار المحكية عن السلف من الصحابة فمن بعدهم، والنظر فيها ولكن لا ينبغي الاعتماد عليها والاستدلال بها، والله أعلم .

الدليل الثالث : وهو إطلاق لفظ الجن على الملائكة في الكلام العربي . قال تعالى :

﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لم يحضروا ﴾ (٤). قالوا : المراد بالجنة في الآية الملائكة ؛ لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله (٥).

وقال الأعشى :

وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا أجر (٦).

فأطلق على الملائكة اسم الجن، ويتضح مما سبق بأن الملك يسمى جنا بحسب اللغة،

(١) تفسير القرآن العظيم (٨٩/٣) .

(٢) أضواء البيان (٩٤/٤) .

(٣) وقد جمع الدكتور / أحمد نجيب بن عبد الله هذه الآثار في رسالته للدكتوراه بعنوان : " الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري ... "، وناقشها نقاشا طيبا من حيث سندها ومتنها، يحسن الرجوع إليها للحصول على التفصيل والاستزادة في المعلومات .

(٤) الصافات الآية : ١٥٨

(٥) انظر : معالم التنزيل (٦٣/١) .

(٦) ملحقات ديوان الأعشى (ص : ٢٤٣)، والأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ولم يسلم، توفي سنة ٧هـ . انظر : الأعلام (٣٤١/٧)؛ والشعر والشعراء (ص : ١٥٤) .

وهو الذي يشير إليه قوله تعالى : « كان من الجن »؛ فإن الجن جنس من الملائكة سمو ذلك لاستتارهم عن العيون ^(١).

ولكن هذا التوجيه والاستدلال فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- قوله تعالى : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون » غير صريح

في أن المراد بالجنة في هذه الآية الملائكة؛ فقد اختلف العلماء في بيان معنى « الجنة » في الآية، وذكر أكثر المفسرين في تفسيرها قولين ^(٢) :

أحدهما : أن المراد بها الملائكة، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله .

والآخر : أن المراد بها الجن، كما في قوله تعالى : « من الجنة والناس » ^(٣)، وذلك لأن

المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله من سروات الجن؛ أي : من فريق نساء من أشرف الجن. وقوى هذا القول جماعة من العلماء كابن القيم ^(٤) والآلوسي ^(٥) وابن عاشور ^(٦).

وبهذا يتضح أن لفظ الجنة في الآية لا يقطع بحملها على الملائكة فقط، بل يرجح حملها على الجن، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

٢- لا شك أن الملائكة يصح إطلاق اسم الجن عليهم بحسب اللغة؛ أي : لاستتارهم عن العيون، ولكن لفظ الجن بحسب العرف أصبح مختصا بغيرهم، كما أن لفظ الدابة يتناول كل ما يدب على الأرض بحسب اللغة الأصلية، ولكنه بحسب العرف اختص ببعض ما يدب من ذوات الأربع ^(٧). فلا مانع من أن تحمل آية الصفات على اللغة الأصلية، وهو المعنى العام الشامل للملائكة والجن لتشاركهم في لطافة الجسم وعدم رؤية البشر لهم - مع أن جملة على

(١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص : ٢١)؛ ومعالم التنزيل (٦٣/١)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٥٦/١) .

(٢) انظر : معالم التنزيل (٤٤/٤ - ٤٥)؛ وزاد المسير (٩١/٧)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٥ - ١٣٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧١/١٧ - ٢٧٢)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٤) .

(٣) الناس الآية : ٦

(٤) انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص : ٦٦) .

(٥) انظر : روح المعاني (١٥١/٢٣) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١٨٥/٢٣ - ١٨٦) .

(٧) انظر : التفسير الكبير (٢١٤/٢)؛ وشرح مختصر الروضة (٤٨٦/١) .

الجن أرجح من حملة على الملائكة كما تقدم-، وأن تحمل آية الكهف على العرف الحادث، وهو المعنى الخاص بالجن دون الملائكة لدلالة النصوص الأخرى على ذلك^(١).

٣- أن قوله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه﴾ جملة مستأنفة تشعر بتعليل فسوقه وعصيانه وعدم سجوده لآدم ﷺ، وهو كونه من الجن، فلو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون ألبة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس^(٢).

وقد تقرر في الأصول أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل^(٣)، كقولهم : سرق فقطعت يده؛ أي : لأجل سرقة، وسها فسجد؛ أي : لأجل سهوه .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿قل هو أذى فاعزلوا النساء في الحيض﴾^(٤)؛ أي : لأجل كونه أذى، وقوله ﷺ : ((من بدل دينه فاقتلوه))^(٥)؛ أي : لأجل ارتداده عن الإسلام.

فكذلك قوله تعالى : ﴿كان من الجن ففسق﴾ ؛ أي : لعله كينونته من الجن، فهذا وصف فارق بينه وبين الملائكة؛ لأنهم امتثلوا الأمر وعصى هو فلم يسجد^(٦).

٤- جواز إطلاق الكلمة الواحدة على أكثر من معنى لا يلزم أن تكون المعاني كلها من جنس واحد مثل : العين فإنها تطلق ويراد بها العين الباصرة، أو العين الجارية، أو الجاسوس، وغيرها من المعاني^(٧)، فكذلك جواز إطلاق كلمة الجن على الملك من حيث اللغة لوجود مشابهة بينهما من بعض الوجوه لا يصح أن يفهم منه أن إبليس الذي هو من جنس الجن أنه كان من جنس الملائكة .

الدليل الرابع : قالوا : إن المقصود من قوله تعالى : ﴿كان من الجن﴾ البيان والإيضاح بأنه كان من الملائكة الذين جعلهم الله تعالى على خزائن الجنة، وأنه كان رئيسهم . قاله

(١) انظر : التفسير الكبير (٢١٤/٢) .

(٢) الكشف (٥٩٢/٣)؛ وأضواء البيان (٩٤-٩٣/٤) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٣٦٣-٣٦٢/٣)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٠٢)؛ وأضواء البيان (٩٣/٤) .

(٤) البقرة الآية : ٢٢٢

(٥) جزء من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، أخرجه خ (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ب : حكم

المرتد والمرتدة واستتابتهم ٢٥٣٧/٦ ح : ٦٥٢٤) .

(٦) انظر : أضواء البيان (٩٣/٤) .

(٧) انظر : مختار الصحاح (ص : ١٩٥، مادة : عين)، والأمثلة على هذا كثيرة جدا . انظر لذلك كتاب : ما

اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري .

البغوي، وذكره عن سعيد بن جبير وغيرهم ^(١) .

ولكنه هذا التوجيه لا يخلو من النظر فيه، وبيان ذلك بما يلي :

١- أن القول بأنه كان خازنا للجنة قول يحتاج لثبوتة إلى دليل من الكتاب والسنة؛ لأنه من أمور الغيب؛ فلا يمكن الأخذ به إلا بدليل من كتاب الله أو بحديث ثابت عن رسول الله ﷺ، ولا دليل على ذلك من الكتاب والسنة؛ فلا يصح أن يقال بأنه كان ملكا جعله الله تعالى خازنا للجنة .

٢- أن قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق ﴾ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه

جنيا، كما تقدم، ولا يمكن تعليل تركه السجود بكونه خازنا للجنة ^(٢) .

٣- وهناك أدلة أخرى من الكتاب والسنة تدل على كونه من الجن وسيأتي ذكرها .

القول الثاني : إن إبليس لم يكن من الملائكة قط، وإنما هو من الجن . وقد ذهب إلى

هذا القول جماعة من أهل العلم من السلف والخلف . وهو قول الحسن البصري ^(٣) وابن

شهاب الزهري ^(٤)، وهو الذي اختاره الزجاج ومكي بن أبي طالب القيسي ^(٥) والزمخشري

وحسين بن أبي العز الممذاني ^(٦) وابن كثير ومحمد بن علي البنسي ^(٧) والزرقاني ^(٨)

(١) انظر : معالم التنزيل (٦٣/١) وانظر : التفسير الكبير (٢١٣/٢)، وكذلك انظر الآثار الواردة عن السلف في كون إبليس من الملائكة، المحال إليها في (ص : ٣٦٨) .

(٢) التفسير الكبير (٢١٤/٢) .

(٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١)، وهو إسناد صحيح كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧٨/١)؛ واللجنة الدائمة في فتاها (٥٠٩/٣)؛ وشيخنا / حكمت بشر في (التفسير الصحيح (١٣٩/١)، والحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، من أكابر التابعين، توفي سنة ١١٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٦٠ : برقم : ١٢٢٧) .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٦٦/٧ : برقم : ١٢٨٤٦) بدون إسناد، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٤٤/٥) برقم : ١٠٨٨) بإسناده إليه، وأخرجه ابن أبي الدنيا في (مكائد الشيطان ص : ٥٢-٥٣ : برقم : ٣٢) من طريق آخر، وتبين لي بعد دراسة الإسنادين أن هذا الأكثر عن الزهري بالنظر إلى الطريقتين يصل إلى درجة الحسن إن شاء الله، والله أعلم بالصواب .

(٥) مكسي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي، من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، توفي سنة ٤٣٧هـ - انظر : معرفة القراء الكبار (٧٥٢/٢ : برقم : ٤٧٣) .

(٦) حسين بن أبي العز يعقوب الممذاني، ولقبه المنتجب على أصح الأقوال، مقريء نحوي، توفي سنة ٦٤٣هـ . انظر : الأعلام (٢٩٠/٧)؛ ومعجم المؤلفين (٧/١٣) .

(٧) محمد بن علي بن أحمد الأوسي البنسي، عالم بالعربية، أندلسي من أهل غرناطة، توفي سنة ٧٨٢هـ . انظر : الأعلام (٢٨٦/٦) .

(٨) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، المالكي، محدث فقيه أصولي، توفي بالقاهرة سنة ١١٢٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢٤/١٠) .

والأدكاوي^(١)، ورجحه العلامة الآلوسي وابن عاشور ومحمد الأمين الشنقيطي ومحمد بن صالح العثيمين وصالح بن فوزان الفوزان...^(٢) وغيرهم من العلماء المتأخرين^(٣)، وبه أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية^(٤).
وقد استدلووا بالآتي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمره ﴾^(٥). فאלله تعالى صرح في هذه الآية الكريمة بأنه كان من الجن، وهذا نص قرآني في محل النزاع، فلا عدول إلى غيره .
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (وأظهر الحجج في المسألة - حجة من قال : إنه غير ملك؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق ﴾ وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، والله أعلم)^(٦).

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾

(١) عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي المصري، أديب ناثر ناظم، توفي سنة ١١٨٤ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٧٩/٦).
(٢) انظر بالترتيب : معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١١٣/١ - ١١٤)؛ ومشكل إعراب القرآن المجيد للقيسي (٨٧/١)؛ والكشاف (٢٥٤/١ و ٥٩٢/٣ و ٢٨١/٥)؛ والفريد في إعراب القرآن المجيد للهملاني (٢٧٢/١ - ٢٧٣)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٧/١ و ٨٨/٣ - ٨٩)؛ وتفسير مبهمات القرآن للبلسي (١٣١/١)؛ والأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية للزرقاني (ص : ٩٢٥)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن للأدكاوي (٥٦/١)؛ وروح المعاني (٢٩٢/١٥ - ٢٩٣)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٣/١)؛ وأضواء البيان (٩٣/٤ - ٩٤)؛ وأحكام من القرآن الكريم للعثيمين (ص ١٦٣)؛ وكذلك مجموع فتاواه ورسائله (٢٨٥/١ - ٢٨٧)؛ والمنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (٣٢/٢) .

(٣) انظر : الإيمان بالملائكة (ص : ٢٦٠)؛ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ٨)؛ والقصة القرآنية هداية وبيان للدكتور / وهبة الزحيلي (ص : ٣٢ - ٣٣)؛ والجن في القرآن والسنة لمؤلفه : ولي زار بن شاه ز الدين (ص : ٨٠)؛ وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان عبيدات (ص : ٤٨٦ - ٤٩٠)؛ وعالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر (ص : ١٧ - ١٨)، وتهديب التفسير وتجريد التأويل للشيخ عبد القادر شيبه الحمد (١٠٠/١)؛ والنبوة والأنبياء لمحمد علي الصابوني (ص : ١٢٨ - ١٢٩)؛ ومنهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (٦٤٨/٢ - ٦٤٩) وغيرهم .

(٤) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٤/٣ - ٥٠٥ و ٥٠٩/٣) .

(٥) الكهف الآية : ٥٠ .

(٦) أضواء البيان (٩٤/٤) .

قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ^(١) . فهذا الآية تدل على أن الجن جنس آخر غير الملائكة، وإبليس من الجن بنص القرآن. فلا يصح القول بأنه كان من الملائكة، ولا يعدل إلى غيره مع وجود النص القرآني الصريح القاطع محل التراع في ذلك ^(٢) .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتهم من طين ﴾ ^(٣) فقد أخبر الله تعالى أنه خلق إبليس من نار، ولم يخبر أنه خلق الملائكة من نار بل جاء على لسان أصدق البرية أنهم مخلوقون من نور . فعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ^(٤) . فهذا الحديث النبوي يدل على أن الملائكة مخلوقون من نور، لا من نار. وأما إبليس فهو مخلوق من نار، لا من نور؛ إذا طبيعتهما مختلفة .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ أقتصدونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ ^(٥) فقد أخبر الله أن إبليس له نسل وذرية. وأما الملائكة فليس لهم نسل وذرية، لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى، والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتب شهداتهم ﴾ ^(٦) . فالله سبحانه وتعالى أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة. فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة، فانتفت الذرية . فهذا دليل على أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ إذ لو كان من الملائكة لما كان له نسل و ذرية كالملائكة ^(٧) .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ ^(٨) وقوله تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ ^(٩) .

(١) سبل الآيات : ٤٠-٤١

(٢) انظر : أضواء البيان (٩٤/٤) .

(٣) الأعراف الآية : ١٢

(٤) حديث صحيح أخرجه مسلم وقد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٥) .

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) الزخرف الآية : ١٩

(٧) انظر : التفسير الكبير (٢١٤/٢) .

(٨) التحريم الآية : ٦

(٩) الأنبياء الآية : ٢٧

فقد وصف الله تعالى ملائكته بأنهم يمثلون أمره، ولا يسبقونه بالقول. ونفى عنهم المعصية نفياً تاماً. وأما إبليس فقد خالف الأمر وعصى، فوجب أن لا يكون من الملائكة الموصوفين بالعصمة عن المعصية لربهم تبارك وتعالى .

القول الثالث : لا منافاة بين القولين المتقدمين، ويمكن الجمع بينهما، وذلك أن إبليس كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ومادته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (جعله بعض الناس من الملائكة؛ لدخوله في الأمر بالسجود، وبعضهم من الجن؛ لأن له قبلاً وذرية، ولكونه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور .

والتحقيق أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة : لا جبرائيل، ولا ميكائيل، ولا غيرهما)^(١).

وقال العلامة ابن القيم : (الصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد، فإن إبليس كان مع الملائكة في صورته، وليس منهم بمادته وأصله، وكان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتورداً على محل واحد)^(٢).

والذي يظهر لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الثاني بأن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ وذلك لصراحة ما اعتمدوا عليه من آية الكهف في قوله تعالى : ﴿كان من الجن﴾، ولما ورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وبأن له نسلاً وذرية، وبأنه مخلوق من نار، وأنه يأكل ويشرب ... فهذه كلها من صفات الجن دون الملائكة، ولشيوع الاستثناء من غير الجنس في كلام العرب، ووروده في القرآن الكريم، ولاستقامة توجيههم استثناء إبليس من الملائكة من جهة المعنى بأنه كان يتعبد الله مع الملائكة، ويجالسهم ويتسم بأفعالهم، فأصبح واحداً منهم لمعايشته إياهم، ولذلك دخل في خطاب الأمر بالسجود لآدم مع الملائكة .

وأما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من أن إبليس كان من الملائكة باعتبار صورته، ولم يكن منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله - حيث لم يتخلف أحد من الملائكة عن السجود لآدم ﷺ فهو في الحقيقة ترجيح للقول الثاني بأن إبليس كان من الجن، وأنه لم يكن من الملائكة، والله أعلم بالصواب .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .

(٢) نقلاً من " محاسن التأويل " للقاظمي (١٠٤/٢) .

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم عليه السلام . وفيه مطلبان .

المطلب الأول : موقف إبليس من آدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه .

إن إبليس خلق قبل أن يخلق آدم عليه السلام . ولما خلق الله آدم عليه السلام وصوره على ما سبق به علمه سبحانه وتعالى تركه ما شاء أن يتركه، قبل نفخ الروح فيه . فكان إبليس يأتي إليه، ويقول : لقد خلقت لأمر عظيم . وكان يطوف به ويدور حوله ينظر فيه، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك، وقال : ظفرت به .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك^(١)، وهو عند ابن حبان بلفظ : " ظفرت خلق لا يتمالك " ^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حماً مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار . قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه روحه ... الحديث ^(٣).

يتبين من الحديثين أن إبليس كان موقفه من آدم عليه السلام قبل أن ينفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه موقف العداء والاستكبار والحسد، وأنه كان يزعم أن آدم لا ينجو من سلطانه وكيده، وأنه لا يستطيع أن يسلط عليه، وأنه كان ينوي في نفسه مخالفة آدم عليه السلام قبل أن يتم خلقه .

ويؤيد هذا ما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره^(٤) و تاريخه^(٥) بإسناده إلى ابن عباس أنه قال : (... فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلل - أي : يصوت - ... ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٩) .

(٢) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٣٥/١٤ ح : ٦١٦٣) .

(٣) حديث حسن بمتابعته وشواهد، وقد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٩ - ١١٠) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠١/١ - ٢٠٢) .

(٥) انظر : تاريخ الطبري (٦٤/١) أخرج فيه مفرقا .

ويخرج من فيه، ثم يقول : لست شيئا ؟ - للصلصلة - ولشيء ما خلقت ؟ لئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت عليّ لأعصينك ...) .

وكذلك ما ذكره في تفسيره ^(٦) وتاريخه ^(٧) بإسناده عن طريق السدي من قول ابن مسعود أنه قال : (... فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة ... ويقول : لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا؛ فإن ربكم صمد، وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكته ...) .

فهذه الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم متفقة مع الحديث النبوي في بيان عداء إبليس وحسده واستكباره على آدم ﷺ قبل نفخ الروح فيه ولكن الزيادة التي في هذه الآثار على ما ثبت من الحديث النبوي كبقاء آدم ﷺ في طينته أربعين ليلة أو سنة، وضرب إبليس طينة آدم المصورة برجله، ودخوله في فيه، وخروجه من دبره، وكذلك العكس فهذا لا يمكن الاعتماد عليها لأن مثل هذا الأمر يحتاج إلى دليل صحيح من كتاب أو سنة، ولأن في ثبوت هذه الآثار عمن حكيت عنهم من الصحابة نظر، وفي أسانيدهم إليهم كلام - كما تقدم ^(٨) - والله أعلم بالصواب .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٣/١) .

(٧) انظر : تاريخ الطبري (٦٤/١) ، ذكره مفرقا .

(٨) انظر : (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٤٠-٣٤١ و ٣٦٨) . وانظر ما قاله الدكتور / أحمد نجيب بن عبد الله عن هذه الروايات في رسالته للدكتوراة " الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري " (ص : ١٢٦-١٢٧) .

المطلب الثاني : امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام،

وفيه ثلاثة مسائل .

المسألة الأولى : تعليل إبليس امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وبيان بطلانه .

أمرُ الله إبليس بالسجود لآدم عليه السلام وامتناعه عن السجود له :

إن مما أكرم الله به أبا البشر آدم عليه السلام أن أسجد له ملائكته، فلما أمر سبحانه الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام امثل جميعهم بأمر ربهم، وخروا ساجدين تكريما وتعظيما لآدم عليه السلام، وعبادة وطاعة وقربة لربهم جل وعلا، ولكن إبليس أبى واستكبر أن يكون من الساجدين لآدم عليه السلام. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه، فقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾^(٦).
فهذه الآيات القرآنية تبين أن إبليس لم يسجد لآدم عليه السلام إباء منه واستكبارا، ويزداد ذلك وضوحا وبيانا بالنظر فيما اعتل به لعدم سجوده لأبي البشر آدم عليه السلام .

(١) البقرة الآية : ٣٤

(٢) الأعراف الآية : ١١

(٣) الحجر الآيتان : ٣٠-٣١

(٤) الكهف الآية : ٥٠

(٥) طه الآية : ١١٦

(٦) ص الآيات : ٧٣-٧٤

تعليل إبليس امتناعه من السجود لآدم عليه السلام :

ولما عاتب الله إبليس على مخالفته أمره سبحانه، وعدم سجوده لآدم عليه السلام جاء اللعين بعذر أقبح من الذنب، وهو أنه مخلوق من النار، وأن آدم عليه السلام مخلوق من الطين، واستنتج من ذلك أنه خير من آدم عليه السلام، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه، وأنه لا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه ^(١). وقد حكى الله تعالى ذلك في كتابه فقال : ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجدت لخلق طينا ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ^(٥).

فالشبهة التي تعلق بها إبليس زعمه أنه خير من آدم عليه السلام؛ لكونه مخلوقا من النار، وكون آدم عليه السلام مخلوقا من الطين .

بيان بطلان ما علل به إبليس امتناعه من السجود لآدم عليه السلام .

إن امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام إنما كان عن إباء وكبر وغرور وحسد . قال قتادة : (حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال : أنا ناري، وهذا طيني، فكان بدء الذنوب الكبير، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم) ^(٦).

وأما الشبهة التي تعلق بها فإنما ذكرها على سبيل التعنت، ومع ذلك هي شبهة واهية

(١) انظر : استخراج الجلال من القرآن الكريم (ص : ٦٠)؛ وإغاثة اللهفان (٢٠١/٢-٢٠٢)؛ وبدائع الفوائد (٤/ ١٨٨)؛ وآكام المرجان

في غرائب الأخبار وأحكام الجنان (ص : ١٥٧-١٥٨)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (١/ ٥٩) .

(٢) الأعراف الآية : ١٢

(٣) الحجر الآيتان : ٣٢-٣٣

(٤) الإسراء الآية : ٦٠

(٥) ص الآيتان : ٧٥-٧٦

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٣/١ برقم : ٣٦٨)، وإسناده صحيح كما في (التفسير الصحيح ١/ ١٤٠) .

داحضة، وبيان بطلانها من وجوه، وهي كما يلي :

الوجه الأول : إن قياس إبليس نفسه على عنصره الذي هو النار، وقياسه آدم عليه السلام على عنصره الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم عليه السلام، وأنه لا ينبغي أن يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، فهذا قياس فاسد؛ لأنه في مقابلة النص الصريح الذي هو قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ ^(١). والقياس إذا صادم النص يكون فاسد الاعتبار، إذ لا مجال للقياس عند وجود النص ^(٢).

الوجه الثاني : لا يسلم له دعواه أن النار خير من الطين بل الطين خير من النار، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- أن التراب إذا وضع فيه القوت من الحب والنوى أخرجه - بإذن الله - أضعاف أضعاف ما وضع فيه، فمن بركته يؤدي ما استودعته فيه إليك مضاعفا. ولو استودعته النار لخانتك وأكلته، ولم تبق ولم تذر، بل النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلق به؛ فإنه لو وقع منها شواظ ^(٣) بقدر الحبة في مدينة عظيمة لأفسدها كلها ومن فيها، ولا يمكنها أن تحفظ شيئا من الأمانة. فالنار مظنة الإهلاك والخيانة بخلاف التراب، فإنه مظنة الحفظ والأمانة والإئمان ^(٤).

٢- أن النار طبعها الخفة والطيش والحدة، وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار؛ فأورثه اللعنة والشقاوة إلى الأبد. والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات، وهو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع والإنابة، فأورثه التوبة والهداية والاجتهاد ^(٥).

(١) البقرة الآية : ٣٤ والأعراف الآية : ١١ والكهف الآية : ٥٠ وطه الآية : ١١٦

(٢) انظر : استخراج الجدل من القرآن الكريم (ص : ٦٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٥)؛ والصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة (٢/٦٦٣)؛ وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/٢٠١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢/٢٠٣)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (١/٥٩).

(٣) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : الشواظ : لهب النار. أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٩/٢٧)، وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٤/٤٢٥).

(٤) انظر : الصواعق المنزلة ... (٢/٦٦٤-٦٦٥)؛ وبدائع الفوائد (٤/١٨٨-١٨٩).

(٥) انظر : جوامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/١٣٠-١٣١)؛ ومعالم التنزيل (٢/١٥٠-١٥١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٧/١٧١).

٣- أن المادة الإبليلية هي المارج من النار، وهو ضعيف يتلاعب به الهوى، فيميل معه كيفما مال. ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه، فأسره وقهره. ولما كانت المادة الآدمية الترابَ وهو قوي لا يذهب مع الهوى، أينما ذهب قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه، فاجتباها واصطفاه. وكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال. وكان الثبات و الرزان أصليا له فعاد. وكان إبليس بالعكس من ذلك، فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره؛ آدم إلى أصله الطيب الشريف، واللعين إلى أصله الردي الخبيث ^(١).

٤- أن الله تعالى أودع في الأرض من المنافع والمعادن والأثمار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات والجلال والجنان والرياض والمراكب البهية والصور البهيجة ... ما لا يعلمه إلا الله. فالتراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان وأقواتهم، ولباس العباد وزينتهم، وآلات معاشهم ومساكنهم. وأما النار فلم يودع فيها شيئا من ذلك، فلا توجد فيها روضة أو جنة أو معدن أو صورة أو عين فوارة أو نهر مطرد أو زهرة جميلة أو ثمرة لذيدة أو مركبة بهية أو زوجة حسنة أو لباس وسترة ... فأين النار من التراب ؟ ^(٢).

٥- أن النار وإن حصل فيها بعض المنفعة والمتاع، فالشر كامن فيها، لا يصددها عنه إلا قسرها وحبسها، ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل. وأما التراب فالخير والبركة كامن فيه، كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمرته. فأين أحدهما من الآخر ؟ ^(٣).

٦- أن الرحمة تنزل على الأرض فتقبلها، وتجيى بها، وتخرج زينتها وأقواتها، وتشكر ربها. وتنزل على النار فتأبأها، وتطفئها، وتمحوها، وتذهب بها.

فبينها وبين الرحمة معادة، وبين الأرض وبين الرحمة موالاة وإخاء ^(٤).

٧- أن التراب ضروري للحيوان، ولا يمكنه أن يعيش بدونه أو بما خلق منه البتة، وأما النار فيستغني عنها الحيوان البهيم مطلقا، وقد يستغني عنها الإنسان الأيام والشهور فيعيش بدونها ^(٥).

(١) انظر : بدائع الفوائد (١٨٩/٤)؛ وآكام المرجان في غرائب الأخبار و أحكام الجن (ص : ١٥٨) .

(٢) انظر : بدائع الفوائد (١٩٠/٤-١٩١)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٣) انظر : بدائع الفوائد (١٨٩/٤)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٨) .

(٤) انظر : الصواعق المتزلة (٦٦٦/٢) .

(٥) انظر : الصواعق المتزلة (٦٦٥/٢)؛ وبدائع الفوائد (١٨٨/٤-١٨٩)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٨) .

عن عروة ^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له : " ابن أخي، إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال : قلت : يا خالة ! ما كان يُعِيشُكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ... الحديث ^(٢) .

٨- أن الأرض مهبط وحي الله، ومسكن رسله وأنبيائه وأوليائه، وكفاتهم أحياء وأمواتا. والنار مسكن أعدائه ومأواهم ^(٣) .

٩- أن النار طبعها العلو والفساد، والله سبحانه لا يحب المستكبرين، ولا يحب المفسدين . والأرض طبعها الخشوع والإخبات والنفع، والله تعالى يحب المخبتين، ويحب الخاشعين، ويحب المحسنين ^(٤) .

١٠- أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه، وأخبر عن منافعها، وأخبر أنه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا، وكفاتا للأحياء والأموات، ودعا عباده إلى التفكير فيها، والنظر في آياتها وعجائب ما أودع فيها. ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب لإاموضعا أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة، ومتاع للمقوين ^(٥) . تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الناس. فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن ؟ ^(٦) .

١١- أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابه خصوصا، وأخبر أنه بارك فيها عموما، فقال تعالى : ﴿ قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنذا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ ^(٧) فهذه بركة عامة .

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، من أعلم الناس بحديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، وتوفي سنة ٩٤هـ على الصحيح من أقوال أهل العلم . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٩ برقم : ٤٥٦١)؛ وتهذيب التهذيب (١١٧/٤ برقم : ٥٢٥٣) .

(٢) أخرجه خ (الهبة وفضلها والتحريض عليها ٩٠٧/٢ ح : ٢٤٢٨)؛ وم (الزهد والرقائق ٢٢٨٣/٤ ح : ٢٩٧٢) .

(٣) انظر : الصواعق المتزلة (٦٦٥/٢) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٢٦٥-٢٦٦) .

(٥) وذلك في الآية (٨٠) من سورة يس ، والآيات (٧٠-٧٣) من سورة الواقعة .

(٦) انظر : بدائع الفوائد (٤ / ١٩٠)؛ وأكام المرجان (ص : ١٥٨-١٥٩) .

(٧) فصلت الآيتان : ٩-١٠

وأما البركة الخاصة ببعضها فكقوله تعالى : ﴿ ونجيناه و لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ ^(١) ،
وقوله تعالى : ﴿ وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى :
﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ﴾ ^(٣) .
وأما النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلا بل المشهور أنها مذهب للبركة ما حقه
لها . فأين المبارك في نفسه ، المبارك فيما وضع فيه ، إلى مزيل البركة وما حقها ؟ ^(٤) .
١٢- أن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض . فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه
الأشياء المكمل لها ، فهي تابعة لها خادمة فقط ؛ إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها ،
وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدم لخدمته ومن يقضي حوائجه ^(٥) .
١٣- أن الله تعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغدو
والأصايل عموما ، وبيته الحرام الذي جعله قياما للناس مبارك فيه وهدى للعالمين خصوصا ،
فجعل حجه محطا لأوزارهم ، ومكفرا لسيئاتهم ، وجالبا لهم مصالح معاشهم ومعادهم ، ولو
لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاهها ذلك شرفا وفضلا على النار ^(٦) .
١٤- أن التراب يفسد صورة النار ويطلها ويقهرها وإن علت عليه ^(٧) .
١٥- النار مضطربة سريعة النفاد والزوال ، والطين ثابت طويل البقاء ^(٨) .
١٦- أن اللعين لقصور نظره وضعف بصيرته رأى صورة الطين ترابا ممتزجا بماء
فاحتقره ، ولم يعلم أن الطين مركب من أصلين : الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء
حي ، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم .

(١) الأنبياء الآية : ٧١

(٢) الأنبياء الآية : ٨١

(٣) سبأ الآية : ١٨

(٤) انظر : بدائع الفوائد (١٩٠/٤) ؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٥) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

(٦) انظر : بدائع الفوائد (١٩٠/٤) ؛ والصواعق المتزلة (٦٦٥/٢) ؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٧) انظر : الصواعق المتزلة (٦٦٦/٢) ؛ وفتح القدير (٤٤٥/٤) .

(٨) انظر : الصواعق المرسل (٦٦٦/٢) ؛ وفتح القدير (١٩٢/٢) .

هذا، وكم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة ، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أن التراب خير من النار وأفضل^(١) :

يتبين مما سبق من الوجوه أن دعوى إبليس أن النار خير من الطين دعوى باطلة بل الطين أفضل من النار وخير منها، وبه ينهد بنیان قیاسه الفاسد، ويطل دعوى فضله على آدم عليه السلام .
الوجه الثالث : لو سلم بطريق الفرض الباطل أن النار خير من الطين لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيرا من المخلوق من الطين؛ فإن شرف الأصل لا يستلزم شرف الفرع^(٢).

فالله سبحانه وتعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الكافر من المؤمن، ويخرج الظلمات من النور، ويخرج الورد من الشوك، ويخرج من الطين ما هو خير منه من النباتات والمعادن وغيرها. وقد جعل العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله خيرا وأفضل ممن ليس مثلهم من كبار قريش وبني هاشم. وخلق بني آدم من الماء المهيّن في أحسن تقويم، وجعلهم في كمال الصورة الإنسانية التامة المحاسن خلقا وخلقا. وخلق الملائكة من نور، وآدم عليه السلام من تراب، وجعل في ذرية آدم عليه السلام من هو خير من الملائكة، وإن كان النور أفضل من التراب .
فهذا وأمثاله من كمال قدرة الله سبحانه وتعالى بأنه يخلق من المادة المفضولة من هو خير ممن خلقه من المادة الفاضلة. فالتفضيل ليس بالمواد والأصول بإطلاق بل الاعتبار مع ذلك بكمال النهاية لا بنقص المادة، فالعين لم يتجاوز نظره محل المادة، ولم يعبر منها إلى كمال الصورة ونهاية الحلقة^(٣).
ثم إن الشيء كما يشرف بمادته وعنصره يشرف بفاعله، وغايته، وصورته. وهذا الشرف اختص به أبو البشر آدم عليه السلام فقد خلقه الله تعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض، وليس لإبليس شيء من ذلك. فكفى به شرفا وفضلا وكرامة وسعادة لآدم عليه السلام^(٤).

(١) انظر : بدائع الفوائد (١٩١/٤)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٢) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (٦٠/١) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦-٥/١٥)؛ والصواعق المزلزة (٦٦٣/٢-٦٦٤)؛ وبدائع

الفوائد (١٩٢-١٩١/٤)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩-١٦٠)؛ وروح المعاني (٨٩/٨) .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣١/٨)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/١٥)؛

وتفسير القرآن العظيم (٢٠٤/٢)؛ وروح المعاني (٨٩/٨) .

الوجه الرابع : أنه لو سلم بطريق الفرض الباطل أن قياسه صحيح، وأنه أفضل من آدم عليه السلام فيمكن أن يقال : إن إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر^(١) بل يترجح امتثاله أمر ربه بسجوده لآدم عليه السلام على إباته وعدم سجوده له من وجهين^(٢) :

١- أن مصلحة امتثال الأمر راجحة على الامتناع؛ لأن امتثال الأمر آمن من العقاب المترتب على المخالفة .

٢- أن امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام بما ذكره من التعليل يلزم منه تخطئة الأمر، ونسبته إلى وضع الشيء في غير محله . وفي ذلك ذم لله وسوء أدب معه سبحانه وتعالى الذي لا يخلو فعل من أفعاله، ولا أمر من أوامره من حكمة .

يتبين مما سبق من الوجوه أن الشبهة التي تعلق بها إبليس شبهة داحضة باطلة تدل على فساد نظره وبطلان حجته، وأن الحكمة كانت توجب عليه أن يسجد لآدم عليه السلام ولكنه عارض حكم الله وأمره برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصاً وعقلاً، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ١٥) .

(٢) انظر : استخراج الجدل من القرآن الكريم (ص : ٦١) ؛ والقياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٤٠) .

المسألة الثانية : أثر هذا المنهج الذي سلكه إبليس في بني آدم .

إن إبليس لما أمر بالسجود لآدم ﷺ عارض الأمر الإلهي والخطاب الرباني بعقله الفاسد، وادعى أن النار خير من الطين. وذلك يقتضي في زعمه أن المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين، فهو خير من آدم ﷺ، وصارت هذه المعارضة الإبلسية ميراثا في أتباعه من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١- تصحيح ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، وتفضيل اللعين على آدم ﷺ :

لقد وجد في بني آدم من يقول بصحة ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، ويفضله على أبي البشر آدم ﷺ؛ فقد قيل عن بشار بن برد ^(١) أنه كان يفضل النار على التراب وكان يوافق إبليس اللعين في تصحيح قياسه الفاسد وكان ينتصر لإبليس ويصوب رأيه الباطل، فقال في ذلك - كما حكى عنه - :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار ^(٢)

فهذا البيت صريح في تفضيله النار على الطين، وأنه يزعم أن النار معبودة لشرفها وعظمتها، وأما الطين فهو مظلم لا يسمو إلى درجتها في زعمه !. وأصرح من ذلك قوله :

إبليس خير من أبيكم آدم فتنبها يا معشر الفجار

إبليس من نار وآدم طينة والأرض لا تسمو سمو النار ^(٣)

فهو يفضل إبليس على آدم ﷺ، ويزعم صحة قياسه الفاسد، ويقول بما قال به إبليس حرفا بحرف، ويتبعه شبرا بشبر، فهو من أتباع إبليس وحلفائه .

٢- التفاخر بالأصول والعروق، والتعالي بالآباء والأجداد، وتقديم الأحساب

والأنساب على الإيمان والتقوى : خلق الله تعالى الناس كلهم من ذكر وأنثى، وجميعهم

(١) بشار بن برد العقيلي بالولاء، الضرير، شعره في أول طبقات المولدين، اقم بالزندقة فقتله المهدي عليها سنة ١٦٧هـ .

انظر : تاريخ بغداد (١١٢/٧)؛ البداية والنهاية (١٠٠-١٤٩/١٠)؛ والزندقة والزنادقة (ص : ١٧٧-١٧٩) .

(٢) ديوان بشار بن برد (ملحقات الديوان ٧٨/٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

يرجعون في أصلهم ونسبهم إلى آدم وحواء عليهما السلام، فهم سواء في هذا الأصل، فلا ينبغي التفاخر بالأنساب، والتعظيم بالآباء ولكن مع ذلك كثير من بني آدم يدعون بدعوى الجاهلية، و يفتخرون بالأصول والعروق، ويتطاولون بالأحساب والأنساب، ويتعاضمون بالآباء والأجداد، ولا يلقون بالا للإيمان والتقوى، ويدعون أنهم المختصون بالفضيلة، والمنفردون بالكرامة، والمتوارثون للشرف والعزة أبا عن جد، مهما خبثت أفعالهم، وساءت أعمالهم، وشنت جرائمهم، وزادت آثامهم، وكثرت معاصيهم.

والتأمل في أحوال الناس اليوم يرى أن الحياة المعاصرة في أغلب أحوالها قائمة على التقسيم العرقي المذموم بل إن من الناس من غلا في هذا الباب، فقسم الناس على طبقات، وجعل ذلك من العقيدة والدين، ويزعم أنه وعشيرته أبناء الله وأحباؤه، وأن أرواحهم جزء من الله، وأن الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنهم المختصون بالكرم والشرف والاستعلاء والتفوق، وأن أرواح غيرهم أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا لتوفير أسباب العيش والراحة لهم، وجعلوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمتهم^(١). فهذا كله من الدعاوي الباطلة التي يدعيها أصحابها، وهم في ذلك تابعون لما رسم لهم

الشیطان من المعالم الإبلیسیة والأصول الشیطانیة .

وكم خسر العالم من أجل التفاخر بالأحساب والأنساب، والتعالي بالآباء والأجداد، فسلت السيوف، وجردت الصوارم، وأججت نيران المعارك، ودارت دائرة الحروب، وسفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وبذلت الأرواح والأموال، وقتلت النفوس والنفائس، وفقد الأحبة والأقارب من الآباء والأبناء والإخوان والأعمام والأخوال والأزواج ... وزادت صفوف اليتامى والأرامل والشكلى، وكثر الفقراء والمساكين، وفقد الأمن والاستقرار، وعم الخوف والفقر والبلاء^(٢) .

(١) انظر : (ص : ٤٦-٤٧) .

(٢) الحروب التي وقعت بين الناس، قديما وحديثا، أفرادا وجماعات أغلبها وقعت لأجل التفاخر بالأحساب والأنساب، ولأجل التقاسيم العرقية والتزعات العنصرية، فحروب العرب في الجاهلية، ولا سيما منها الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، والحروب الصليبية، والحروب الاستعمارية، والحروب العالمية المعاصرة هذه كلها وقعت لأجل تفضيل جنس بشري على آخر منهم . انظر : أيام العرب في الجاهلية وحروبها، أسبابها ونتائجها في كتاب : الكامل في التاريخ (٢٩٩/١-٤٠٢)، وتاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام (ص : ٣٥٩-٣٨٢)، وانظر عن الحروب الصليبية

وكم شقي الناس من أجل التعصب للأصول والعروق، فآثروا من أجله النعمة على النعمة،
و الشر على الخير، وقدموا الكاذب على الصادق، والفاجر على البر، واختاروا الظلام على النور،
والإيمان على الكفر، والضلالة على الهداية، والعذاب على المغفرة، والنار على الجنة .

فعن المسيب بن حزن - رضي الله عنهما - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه
رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال : أي عم قل : لا
إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن
ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو
طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول
الله ﷺ : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن
يستغفروا للمشركين ﴾ ^(١)، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ : ﴿ إنك لاتهدي
من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ^(٢) ^(٣) .

وهذا طلحة النمري لما سمع أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة جاء إليه وقال : (أشهد
أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر) فقاتل معه
حتى قتل ^(٤)، فيا لها من شقاوة ما بعدها شقاوة، و يا لها من خسارة ما بعدها خسارة .
وما ذلك إلا لأجل التعصب بالحسب والنسب، والتعلق بالأصول والعروق،
وتقديمها على الإيمان والتقوى الذي هو ميزان الشرف والكرامة عند الله تعالى ^(٥) .

الاستعمارية في كتاب : حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري (٦١/١ - ٦٨)، وانظر عن العصبية الجنسية
وآثارها السيئة في العالم كتاب : حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه : لوثرروب الأمريكي (٧١/٤ - ١٥٦)، ومقالا بعنوان "
أنحضرت ﷺ كما منشور حقوق إنسانيت " أي : الحقوق الإنسانية التي نشرها وأعلنها محمد ﷺ . للدكتور / احتشام
أحمد الندوي ، منشور في مجلة السراج، المجلد التاسع والعدد ١-٢ (ص : ٢٢-٢٤) .

(١) التوبة الآية : ١١٣

(٢) القصص الآية : ٥٦

(٣) أخرجه خ (التفسير، القصص ب : ﴿ إنك لاتهدي من أحببت... ﴾ [الآية : ٥٦] ١٧٨٨/٤ ح : ٤٤٩٤)، واللفظ له؛

وم (الإيمان، ب : الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في الترع ... ٥٤/١ ح : ٢٤) .

(٤) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢٧٧/٢) .

(٥) انظر : (ص : ٤٤-٤٦) .

بل إن الحجة الوحيدة التي كان يتعلق بها المشركون، وكانوا يواجهون بها أنبياء الله ورسله في عدم إيمانهم بالله ورسله، وفي عدم إفرادهم الله سبحانه وتعالى بالعبادة كلها هي اتباعهم للآباء والأجداد، والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم وأديانهم بغير علم ولا هدى ولا بصيرة، كما حكى الله عنهم فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ تَتَّبِعُهُمَا تَوَافِقًا لِقَاءِكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ ۖ لِيَكُونَ لِلَّهِ الْقَوْلُ فِي شَيْءٍ قَدِيرًا ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلْ إِلَيْنَا آيَةً قَالُوا إِنَّا لَا نَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلْ إِلَيْنَا آيَةً قَالُوا إِنَّا لَا نَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ تَتَّبِعُهُمَا تَوَافِقًا لِقَاءِكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ ۖ لِيَكُونَ لِلَّهِ الْقَوْلُ فِي شَيْءٍ قَدِيرًا ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلْ إِلَيْنَا آيَةً قَالُوا إِنَّا لَا نَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ بَلِ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾^(٤).

٣- الاعتماد على العقل القاصر الضعيف ومعارضة الوحي الإلهي به وتقديمه عليه : إن إبليس قدس عقله، وعبد هواه، واستقل برأيه، فعارض الأمر الإلهي بعقله الفاسد، ورأى أن في سجوده لآدم عليه السلام غضاظة له، وهضمًا لشأنه، وكسرا لمزنته، مع أن النظر الدقيق يخالف ذلك .

فكذلك وجد من البشر من يعارض الأحكام الإلهية والأخبار الربانية بعقله الفاسد، ويعرضها على عقله الضعيف المختل، فيقبل منها ما شاء، ويرفض منها ما شاء بدعوى أن العقل يأبأها، ولا يسلم لها، وأن هذا خلاف العقل والحكمة !^(٥) .

ولا شك أن تقديس العقل، وتحكيمه على الوحي الإلهي، وتقديمه على نصوص

(١) البقرة الآية : ١٧٠

(٢) المائدة الآية : ١٠٤

(٣) لقمان الآية : ٢١

(٤) الزخرف الآيتان : ٢٢-٢٣

(٥) انظر : جملة من أقوال العقلانيين من القدماء والمحدثين في تقديسهم العقل وتقديمهم إياه على النص الإلهي في كتاب :

العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون (ص : ٥١-٧٥)، وقد بين العلامة ابن القيم بطلان هذا الطاغوت من مائتين

وواحد وأربعين وجها . انظر : الصواعق المرسلة (٣-٤-٧٩٦-١٥٦٥) بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله .

الكتاب والسنة من الأصول الشيطانية التي رسم معالمها إبليس اللعين^(١)، وعملا بهذه القاعدة الإبليسية أنكر كثير من العقلانيين ما هو من مسلمات الإيمان وثوابت الدين بالضرورة، فمنهم من أنكر الأحاديث النبوية التي لم تستسغها عقولهم المريضة^(٢) بطرق شتى^(٣)، ومنهم من أنكر وجود الملائكة^(٤)، ومنهم من أنكر الجن والشياطين^(٥) ومنهم من أنكر المعجزات والكرامات التي يكرم الله بها من شاء من عباده من الأنبياء والصالحين^(٦)، ومنهم من أنكر عذاب القبر ونعيمه^(٧)، ومنهم من أنكر علامات القيامة مثل طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، ونزول المسيح^(٨) وغيرها من الأمور^(٩)، ومنهم من أنكر البعث والنشور والحساب والميزان وما في النار من أنواع العذاب الحسي، وما في الجنة من أنواع النعيم الحسي^(١٠).

- (١) انظر : جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية (ص : ٤٤-٤٥) .
- (٢) انظر : نماذج للأحاديث التي رفضها العقلانيون بدعوى الاستحالة العقلية وعدم مسابقتها مع النواميس الظاهرة والعلوم الحديثة مع الجواب عن شبهاتهم حولها بالتفصيل في كتاب : السنة النبوية ومطاعن المبتدعين فيها (ص : ١٧٨-١٩٣ و ٢٠٥-٢١٨)؛ وموقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي (ص : ١١٣-١٢٧)؛ وزوابع في وجه السنة قديما وحديثا (ص : ٧٣-٧٤ و ١١٣-١٦٨) .
- (٣) الذين أنكروا السنة النبوية لهم أساليب شتى في إنكارها فهم تارة ينكرون حجية السنة مطلقا، وتارة ينكرون الاحتجاج بخير الآحاد منها دون المتواتر، وتارة ينكرون بعضها بدعوى عدم ثبوتها هي ثابتة، أو بدعوى معارضتها للعقل أو عدم مسابقتها للعلوم الحديثة، وتارة ينكرون بتأويلها بما يخالف روح الإسلام ولا يدل عليه ألفاظ الحديث من قريب ولا بعيد. انظر للاطلاع على شبهاتهم مع الجواب عنها بالتفصيل : السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص : ١٢٤-٣٠٧) .
- (٤) الذين أنكروا للملائكة هم بعض النصارى والفلاسفة وبعض عبدة الأوثان والجوس والتورية . انظر الرد عليهم عقلا ونقلا في كتاب : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٩-٢٠)، وانظر أيضا : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .
- (٥) الذين أنكروا الجن والشياطين هم بعض الأطباء وكثير من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة فهم أنكروا الجن والشياطين رأسا . انظر : آكام المرجان في غرائب الأنخاب وأحكام الجن (ص : ٣-٦)؛ والعقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .
- (٦) أنكروا المعتزلة وأفراحهم . انظر : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٢٦) .
- (٧) أنكروا الملاحدة ومن غذهب بمذهبهم من الإسلاميين . انظر شبهتهم وبيان بطلانها : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٦١/١-١٦٤)؛ والعقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .
- (٨) أنكروا السيد أحمد خان . انظر : زوابع في وجه السنة (ص : ٧٤)، في الهامش برقم : ٩٥ .
- (٩) أنكسر الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والجور العين وسائر ما وعد به الناس . انظر : تهافت الفلاسفة للغزالي (ص : ٢٧٢-٢٨٩) ومثلهم قال السيد أحمد خان من العقلانيين المعاصرين في الهند . انظر : زوابع في وجه السنة قديما وحديثا (ص : ٧٣-٧٤)، في الهامش .

ومنهم من أنكر وجود الجنة والنار الآن ^(١)، ومنهم من أنكر أسماء الله وصفاته ^(٢)، بل ومنهم من أنكر وجود البارئ سبحانه وتعالى ^(٣).

وما ذلك إلا لأجل التخلي من الوحي الإلهي من الكتاب والسنة، واتباع الهوى وتقديس العقل، وتحكيمه، وإطلاق العنان له، وإعطائه فوق ما يستحق، وإدخاله فيما لا يقدر، وتحمله ما يتحمل، كما فعل إبليس من قبل. فهذا كله من اتباع عمل الشيطان من الشهوات والشبهات. قال الإمام ابن القيم : (وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقدم الرأي على الوحي، والهوى على العقل. وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم فساد؛ فلا إله إلا الله. كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحى بها من ضلالة، وكم هدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان) ^(٤).

٤- الأخذ بالقياس الفاسد والقول به في مقابلة النص الشرعي: قال الحسن البصري : (قاس إبليس وهو أول من قاس) ^(٥). وقال ابن سيرين ^(٦) : (أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس) ^(٧).

-
- (١) وهم الجهمية ومن وافقهم . انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١٥) .
- (٢) المنكرون لصفات الله تعالى على درجات، وقد سبق الكلام عنهم في (ص : ٧٩)، وكذلك المنكرون لأسماء الله أيضا على درجات ودركات فمنهم من أنكر أسماء الله كلها، وقال : إن الله لا يسمى بشيء، وهم الجهمية والغالية من الملاحدة كالقرامطة والفلاسفة. ومنهم من قال : إن الله يسمى بالخالق القادر فقط وهذا القول منسوب إلى الجهم بن صفوان. ومنهم من قال بإثبات الأسماء مجردة عن الصفات، وهو قول المعتزلة. ومنهم من قال بإثبات الأسماء الحسنی مع إثبات معاني بعضها وتحريف معاني البعض الآخر، وهذا قول الكلاية والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم . انظر تفصيل ذلك في كتاب : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی (ص : ٢٨-١١) .
- (٣) انظر : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٩) وانظر : (ص : ٢٢٣-٢٢٤) من هذا البحث .
- (٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٧٢/١) .
- (٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٨) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٢) : (إسناده صحيح) . وقال الشوكاني في تفسيره (١٩٣/٢) : (إسناده صحيح إلى الحسن) .
- (٦) محمد بن سيرين الأنصاري البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، توفي سنة ١١٠ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٣ برقم : ٥٩٤٧) .
- (٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٨) بإسناده إليه، وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٢) .

وإبليس كان قياسه مقابل النص، وذلك وضع للقياس في غير محله، لأن القياس إنما يكون إذا لم يكن نص، فلما استعمل إبليس قياسه مع وجود النص صار قياسه فاسداً .

وورث منه هذا المسلك أتباعه من أعداء الأنبياء، فعارضوا ما جاء به الأنبياء من الوحي الإلهي بالأقيسة الفاسدة، وأخذوا بقياسهم الفاسد وتمسكوا به، وتركوا النور الإلهي، وآثروا التخبط في الضلال والظلام على هداية الوحي الرباني^(١)، والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة الجوانب، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة للأقيسة الفاسدة المتعلقة بالمسائل العقدية باختصار :

١- من الناس من يتخذ الملائكة والأنبياء والأولياء والشيوخ والصالحين وسطاء بينهم وبين الرب جل وعلا، ويظنون أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾^(٣)، فهم قاسوا الله تعالى في ذلك على أحوال الناس عند ملوكهم وعظماءهم في الدنيا. فإنه إذا أراد أحد أن يتقرب إلى ملك من ملوك الدنيا، فلا يحسن أن يأتي إليه أولاً بل ينبغي له أن يتقرب إليه بحاشيته، الذين يرفعون أمره إليه، ويقومون بقضاء حوائجه^(٤).

فهؤلاء تركوا النصوص الإلهية من الكتاب والسنة التي تبين عظمة الله وقدرته وتوجب الالتجاء إليه وحده في الشؤون كلها . قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا

(١) انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص : ٨٢) .

(٢) يونس الآية : ١٨

(٣) الزمر الآية : ٣

(٤) انظر : هذه الشبهة وبيان بطلانها في (الرد على المنطقيين ص : ٥٢٧-٥٣٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام

ابن تيمية (١/١٢٦-١٣٠ و ١١/٥٢٦-٥٢٩)؛ وتيسير العزيز الحميد (ص : ٢٢٩-٢٣٥ و ٢٧٣-٢٩١)؛

ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص : ٣٤٨-٣٦٠) .

(٥) البقرة الآية : ١٨٦

(٦) غافر الآية : ٦٠

الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من
ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ^(١) .

وقال النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما - : يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ الله
يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن
الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على
أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف ^(٢) .

والقرآن والحديث مملوءان بمثل هذه التوجيهات الإلهية والإرشادات الربانية ولكن هؤلاء
تركوا هذه النصوص الإلهية من الكتاب والسنة، وقاسوا الخالق العظيم جبار السماوات
والأرض، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، الرحيم بعباده، الغني عن كل ما سواه،
الذي وسع سمعه الأصوات كلها، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي لا يعزب
عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء ...، على مخلوق ضعيف حقير، قليل العلم، قليل
الصلاحية، محدود الطاقة، محتاج إلى غيره، فقير إلى سواه، لا يستطيع أن يستغني عن غيره لحظة
من حياته، ولا يستطيع أن يصلح أموره إلا بالاستعانة بغيره، فأنى هذا من ذلك ؟

٢- ومن الناس من قاس دعاء الأموات وطلب الحوائج منهم على جواز الطلب من
الأحياء، وقاس زيارة الأموات والاستفادة منهم على زيارة الفقير للغني ونيله من بره ^(٣)، وقاس
التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود، وقاس إسراج المقابر على إسراج المساجد ^(٤) .

وهذه الأقيسة التي جاءت بها القبرورية كلها من الأقيسة الفاسدة، ولا عبرة بها في
الشرع؛ فإنه لا شك أن قياس الأموات من الأنبياء والصالحين في الأمور التي لا يقدر عليها

(١) سبأ الآيتان : ٢٢-٢٣

(٢) أخرجه ت (أبواب صفة القيامة، الباب الأخير ٦٦٧/٤ ح : ٢٥١٦)؛ والطبراني في الكبير (١١/١٧٨ ح :
١١٤١٦ و ١٢/٢٣٨ ح : ١٢٩٨٨)؛ وهناد في الزهد (باب: التوكل ٣٠٤/١ ح : ٥٣٦) . قال الترمذي :

(هذا حديث حسن صحيح)؛ وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٦١٠/٢ ح : ٢٥١٦) .

(٣) انظر هذه الشبهة وبيان بطلانها في : تيسير العزيز الحميد (ص : ٧٢٩-٧٣٠)؛ ومنهاج التأسيس والتقديس
في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص : ٣٧١-٣٧٥) .

(٤) انظر : هذه الشبهات مع الجواب عنها بالتفصيل في : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٧٩-٩٥) .

إلا الله تعالى على الأحياء القادرين في الأسباب العادية المقدور عليها من أفسد القياس وأبطل الباطل لأن الله تعالى فرق بين الأحياء والأموات ولم يسو بينهما . قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون بأني يعثون ﴾ ^(٢) .

وكذلك قياس التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود، وقياس إسراج القبور على إسراج المساجد لا يصح لكونه معارضا لما جاء عن النبي ﷺ فعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((... وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)) ^(٣) . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج ^(٤) .

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين، يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، قالوا : يا رسول الله ! اجعل لنا

(١) فاطر الآيات : ١٩-٢٢

(٢) النحل الآيتان : ٢٠-٢١

(٣) أخرجه م (المساجد ... ، ب : النهي عن بناء المساجد على القبور ... ٣٧٧/١ ح : ٥٣٢) .

(٤) أخرجه حم (٤٧١/٣ ح : ٢٠٣٠ و ٣٦٣/٤ ح : ٢٦٠٣ و ١٢٨/٥ ح : ٢٩٨٤ ، ٢٢٧/٥ ح : ٣١١٨) ؛ ود (الجنائز ، ب : زيارة النساء القبور ٢١٨/٣ ح : ٣٢٣٦) ؛ وت (الصلاة ، ب : ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا ١٣٦/٢ ح : ٣٢٠) ؛ ون (الجنائز ، ب : التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٩٤/٤ ح : ٢٠٤٣) ؛ وحب كما في الإحسان (الجنائز ، فصل في زيارة القبور ، ب : ذكر المتخذات المساجد والسرج على القبور ٤٥٢/٧ ح : ٣١٧٩ و ب : ذكر الزجر عن زيارة القبور واتخاذ السرج عليها ٤٥٣/٧ ح : ٣١٨٠) ؛ وكم (الجنائز ، ٣٧٤/١ ح : ٣١٧٩) ؛ والبيهقي في الكبرى (الجنائز ، ب : ما ورد عن نهين عن زيارة القبور ٧٨/٤) . قال الترمذي : (وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وحديث ابن عباس حديث حسن) . وقال الحاكم : (حديث متداول فيما بين الأئمة ووجدت له متابعا من حديث سفيان الثوري في متن الحديث فخرجه) . وقال أحمد محمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي (١٣٦/٢) : (هذا الحديث على أقل حالاته حسن ثم الشواهد التي ذكرناها في تأييده ترفعه إلى درجة الصحة لغيره إن لم يكن صحيحا بصحة إسناده هذا) . وقال في تعليقه على مسند الإمام أحمد (٣٢٣/٣ ح : ٢٠٣٠ و ٢٠٦/٤ ح : ٢٦٠٣ و ٤٧/٥ ح : ٣١١٨) : (إسناده صحيح) ، وصححته اللجنة الدائمة في فتاوها (٤٢٥/١) .

ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ : سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم^(١).

فقياس القبوريين القبور على المساجد من القياس الفاسد لأن النبي ﷺ نهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، ثم إذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف حولها، وتعليق الأسلحة عليها للتبرك، اتخاذ إله مع الله، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فكيف يصح العكوف حول القبور، والتسمع بها، وتقبيل جدرانها وأعتابها، وأخذ تراجمها تبركا، وطلب الشفاء منها، ودفع الضرر والمرض بها؟^(٢) والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

٣- ومن الناس من قاس صفات الخالق بصفات المخلوق، فشبّه الله تعالى بخلقه في صفاته جل وعلا، ثم منهم من نفى هذه الصفات التي جاءت بإثباتها الكتاب والسنة عن الله تعالى - كلها أو بعضها - فرارا من التشبيه، وبذلك هم وصفوا الله تعالى بما لا يليق به، وشبهوه تعالى بالمخلوقين، ثم عطلوه سبحانه وتعالى عن صفاته العلية، وعن كماله المقدس، وعطلوا النصوص الإلهية الدالة على اتصاف الله بها، ووصفوه تعالى بما لا يليق به من صفات الجمادات والحيوانات، فوقعوا في أشد ما فروا منه، وكان حالهم كمن فر من المطر، وقام تحت الميزاب.

ومنهم من لم يزل متمسكا بقياسه الفاسد في تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق؛ فزعم أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، ومنهم من عكس الأمر فقياس المخلوق بالخالق، ووصف المخلوق الضعيف بصفات الخالق تعالى حتى صرفوا لهذا المخلوق شيئا كثيرا من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى^(٣).

(١) أخرجه جم (٢٢٥-٢٢٦/٣٦ ح : ٢١٨٩٧)؛ وت (الفتن، ب : ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ٤/٤٧٥ ح : ٢١٨٠)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (٣٧/١ ح : ٧٦)؛ والمروزي في السنة (ص : ١٦ ح : ٣٧-٣٨)؛ والنسائي في الكبرى (التفسير، الأعراف، الآية : ١٣٨، ٣٤٦/٦)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذكر الإخبار عن اتباع الأمة سنن من قبلهم من الأمم ٩٤/١٥ ح : ٦٧٠٢)؛ والألكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٤/١ ح : ٢٠٥) وغيرهم. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في تحقيقه للسنة لابن أبي عاصم؛ وفي صحيح سنن الترمذي (٤٦٥/٢ ح : ٢١٨٠).

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص : ١٨٢-١٨٥)؛ وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (ص : ١٥٩-١٦١)؛ والقياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٩٠-٩١).

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٨/٣-٤٩)، وانظر على سبيل المثال أقوال المشبهة والمعطلة في صفة اليد لله تعالى في (ص : ٧٨-٧٩) من هذا البحث.

وهذا كله لأجل تمسكهم بقياسهم الفاسد الذي ورثوه من إبليس اللعين، ولأجل بعدهم عن التمسك بنصوص الوحي والفهم الصحيح لها . قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ^(١) ، والنصوص من الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة لا تحصى .

٤- ومن الناس من قاس قدرة الخالق على قدرة المخلوق، وبناء عليه استبعدوا البعث بعد الموت فأنكروه، كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون * إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ ^(٣) .

فهؤلاء المنكرون للبعث والنشور قاسوا قدرة الخالق القوي الجبار القادر على كل شيء بقدرة المخلوق الضعيف العاجز . ولما رأوا أن هذا ممتنع على الخلق، وأنهم لا يقدرُونَ عليه جعلوا قدرة الله كذلك . ولم يعلموا أن الذي أنشأهم أول مرة قادر على إنشائهم مرة أخرى من باب أولى . فعارضوا بعقولهم السخيفة، وأنكروا ما أخبر الله به من تحقيق وقوعه . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ ^(٤) .

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) يس الآية : ٧٨

(٣) المؤمنون الآيات : ٣٣-٣٧

(٤) الحج الآيات : ٥-٧

٥- ومن الناس من قاس الله تعالى على الثلج والماء. واستدل به على مذهبه الفاسد، وهو القول بوحدة الوجود؛ أي : اتحاد الخالق بالخلق، وأن الله سبحانه وتعالى هو عين هذه المخلوقات والموجودات ، كما فعل عبد الكريم الجيلي^(١) الملحد في قياسه الفاسد وزعمه الباطل فقال :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت بما الماء الذي هو تابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائه وغيران في حكم دعتة الشرائع^(٢)
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع^(٣)

فالجيلي ومن وافقه^(٤) يعتقدون بوحدة الوجود، ويزعمون كما أنه لا فرق بين الماء والثلج إلا في الاسم؛ إذ الماء ثلج ذائب، والثلج ماء متجمد، فكذلك لا فرق بين الخالق والمخلوق إلا في الاسم. فالخالق هو أصل المخلوق كالماء للثلج، والمخلوق هو مجلى الخالق ومظهره كالثلج للماء . فالخالق متحد بخلقه، وهو عينهم في زعمهم.

وهذا القياس الذي جاء به القائلون بوحدة الوجود من أفسد القياس وأبطل الباطل؛ لأنه يوصل صاحبه إلى أبشع أنواع الكفر والضلال والشرك بل يؤدي في الحقيقة إلى الزندقة، وإنكار وجود الله تعالى، فالعياذ بالله .

وأول سورة في المصحف الكريم، وهي سورة الفاتحة تدحض هذا المذهب الخبيث وتبين بطلانه، فقد اشتملت على أدلة كثيرة مبطللة لهذه المقالة الخبيثة، فقد أثبت الله فيها حامدا وحمودا، وربا ومربوبا، وراحما ومرحوما، ومالكا ومملوكا، وعابدا ومعبودا، ومستعينا ومستعاننا به، وهاديا ومهديا، ومنعما ومنعما عليه، وغاضبا ومغضوبا عليه، بخلاف ما عليه القوم من أن الكل وحدة واحدة^(٥).

(١) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، القادري، الصوفي، من القائلين بالعقيدة الكفرية، وهي القول بوحدة الوجود، توفي سنة ٨٣٢هـ. انظر : معجم المؤلفين (٣١٣/٥) .

(٢) تأمل سحرته بالشرائع الإلهية، وما ذلك إلا لأنها تحكم بالمغايرة بين الخالق والمخلوق، ولا تقول بالوحدة بين الخالق والمخلوق وحدة الماء والثلج التي يزعمها الجيلي وأمثاله من الملاحدة القائلين بوحدة الوجود .

(٣) الإنسان الكامل (٣٣/١) .

(٤) انظر : أقوال القائلين بوحدة الوجود مع بيان بطلانها في كتاب : هذه هي الصوفية (ص : ٢٢-٦٨) .

(٥) انظر : بدائع التفسير (١٦٢/١-١٦٣) .

ثم إن القول بوحدة الوجود قياسا على الثلج وما يأتون به من الأمثلة باطل إذ هو قياس مع الفارق؛ فإن أجزاء هذه الأشياء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف سائر الموجودات في هذا الكون؛ فإن كل موجود مستقل عن الآخر. فإذا كان الإنسان مثلا منفصلا عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل يدري ما يقول أن بينهما اتحادا ذاتيا، وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات .

فإذا كان الاتحاد الذاتي ممتعا بين المخلوق والمخلوق فهو بين الخالق والمخلوق ممتنع من باب أولى ^(١).

والله تعالى يقول : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ^(٢) ويقول تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأتم لا تعلمون ﴾ ^(٣) فهذا قياس في مقابلة النص فهو فاسد، وأيضا قد دل العقل على فساده فهو فاسد شرعا وعقلا . والله أعلم بالصواب .

٦- ومن الناس من قاس الرسل عليهم السلام على أنفسهم، فأنكروا أن يكون البشر رسولا، مبعوثا من الله تعالى إليهم، كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ قالوا ما أنزل إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ ^(٦).

فهؤلاء المنكرون للنبوات والرسالات لم يكن إنكارهم لها إلا لأجل القياس الفاسد؛ إذ قاسوا الرسل الكرام على أنفسهم بجامع البشرية في كل، فقالوا : أنتم بشر مثلنا وقد منعت البشرية من رسالتنا، فلتمنع من رسالتكم .

وأیضا من قیاسهم الفاسد فی إنکارهم النبوة أنهم قالوا : ليس الخلق أهلا أن يرسل الله

(١) انظر : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ١٩٣) .

(٢) الإخلاص الآيات : ١-٤

(٣) النحل الآية : ٧٤

(٤) الأنعام الآية : ٩١

(٥) يس الآية : ١٥

(٦) الأنعام الآية : ٨

إليهم رسولا، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلا أن يرسل السلطان إليهم رسولا^(١).
فهؤلاء المنكرون لرسالة البشر من الله تعالى أتوا بقياسين فاسدين إذ قاسوا الرسل الكرام على أنفسهم، وقاسوا فعل الباري تعالى على فعل العبد، ولم يعلموا أن الله ليس له مثل، ولا نظير في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في صفاته؛ فلا يصح أن يقاس في شيء منها على أحد من خلقه، كما لم يعلموا أن الاصطفاء للرسالة الإلهية فضل من الله تعالى ورحمة منه، يكرم بها من شاء من عباده، وتركوا النصوص الإلهية في ذلك. قال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسُ مِنْ أَنْكَرَ وَجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ، وَهُوَ قَاسٌ فِي ذَلِكَ أَفْعَالُ الرَّبِّ عَلَى أَفْعَالِ الْعَبْدِ إِذْ قَالَ : لَوْ أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمُلُوكِ بَنَىٰ مَدِينَةً مِنَ الْمَدَنِ، وَأَعَدَّ لَهَا كُلَّ مَا يَصْلَحُهَا وَيَرْغَبُ فِيهَا، ثُمَّ عَطَّلَهُ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا سِنَوَاتٌ طَوِيلَةً، فَإِنْ فَعَلَهُ هَذَا يَعْدُ عَبَثًا، وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ هَذَا الْفِعْلُ، قَالَ : فَكَذَلِكَ الرَّبُّ ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^(٤).

٧- ومن الناس من أنكر وجود الجنة والنار الآن، وهو قاس في ذلك أفعال الرب على أفعال العبد إذ قال : لو أن ملكا من الملوك بنى مدينة من المدن، وأعد لها كل ما يصلحها ويرغب فيها، ثم عطله عن الناس ولم يمكنهم من الانتفاع بها سنوات طويلة، فإن فعله هذا يعد عبثا، ولا يحسن منه هذا الفعل، قال : فكذلك الرب^(٥).
وهذا القياس الذي جاء به الجهمية من الأقيسة الفاسدة التي لا معنى لها في الشرع؛ فإنهم قاسوا فعل الرب على فعل المخلوق، والخالق سبحانه وتعالى لا يقاس في ذاته أو صفاته أو أفعاله على شيء من مخلوقاته إذ ليس كمثله شيء، ولأنه قياس في مقابلة النص، فقد قال تعالى عن الجنة : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٧).

(١) انظر : هذه الشبهة والجواب عنها في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣١/٦) .

(٢) إبراهيم الآية : ١١

(٣) الحج الآية : ٧٥

(٤) الأنعام الآية : ١٢٤

(٥) انظر : هذه الشبهة وبيان بطلانها بالتفصيل في شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١٤ - ٦٢٠) .

(٦) آل عمران الآية : ١٣٣

(٧) التوبة الآية : ١٠٠

وقال تعالى عن النار : ﴿ وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ﴾ ^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ ^(٣) ^(٤).

والنصوص في بيان أن الله تعالى أعد الدارين وهما لأهلها من أصناف النعيم وأنواع من العذاب كثيرة جدا .

٨- ومن الناس من أنكر خلود الجنة والنار، وزعم أنهما تفنيان وتبيدان، وقاس فناءهما على فناء الدنيا، مع أن الله تعالى أخبر بدوامهما وبقائهما، فقال تعالى عن خلود الجنة : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ^(٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ^(٧) ^(٨). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه ^(٩).

(١) الأحزاب الآية : ٨

(٢) الأحزاب الآيتان : ٦٤-٦٥

(٣) السجدة الآية : ١٧

(٤) أخرجه خ (التفسير، السجدة ١٧٩٤/٤ ح : ٤٥٠١)؛ وم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤ ح : ٢٨٢٤) .

(٥) النساء الآية : ٥٧

(٦) النساء الآية : ١٢٢

(٧) الأعراف الآية : ٤٣

(٨) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ... ب : دوام نعيم أهل الجنة ... ٢١٨٢/٤ ح : ٢٨٣٧) .

(٩) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ... ب : دوام نعيم أهل الجنة ... ٢١٨١/٤ ح : ٢٨٣٦) .

وقال تعالى عن خلود النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ *إلا طريق جهنم خالدين

فيها أبداً﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ *خالدين فيها أبداً لا يحدون ولها ولا نصيراً﴾^(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود، فلا موت. ويا أهل النار خلود، فلا موت... الحديث^(٣)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

فقول الجهمية ومن وافقهم بفناء الجنة والنار قياساً على فناء الدنيا من القياس الفاسد؛ لأنه في مقابلة النص الإلهي من الكتاب والسنة. وهذه النصوص تبين بطلان ما ذهبوا إليه، وتدل دلالة واضحة على دوامهما، وأنها لا تفنيان ولا تبيدان بإبقاء الله تعالى لهما، وهو الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها^(٤).

وقد بين العلامة ابن القيم - رحمه الله - أثر القياس الفاسد وخطورته، وبين أصله ومنشأه وذكر لها بعض الأمثلة فقال: وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل، فأصلها من القياس الفاسد، فما أنكرت الجهمية من صفات الرب، وأفعاله، وعُلُوّه على خلقه، واستوائه على عرشه، وكلامه وتكليمه لعباده، ورؤيته في الدار الآخرة إلا من القياس الفاسد... إلى أن قال: وما فسد مما فسد من أمر العالم وخرب منه إلا بالقياس الفاسد بل أول ذنب عصي الله به القياس الفاسد، وهو الذي جر على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جر، فأصل شر

(١) النساء الآيتان: ١٦٨-١٦٩

(٢) الأحزاب الآيتان: ٦٤-٦٥

(٣) أخرجه خ (التفسير، مريم، ب: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [الآية: ٣٩] ١٧٦٠/٤ ح: ٤٤٥٦)؛ وم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤ ح: ٢٨٤٩).

(٤) انظر: هذه الشبهة وبيان بطلانها في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٧/١٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص:

٦٢٠-٦٢٩)؛ وتوقيف الفريقين على خلود أهل الدارين (ص: ٦٢-٧٦)؛ وشرح معاصرة تنتسب إلى الإسلام

(١٠٠٧-١٠١١)؛ ودعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة (ص: ٢٤٦-٢٦٧).

الدنيا والآخرة جميعه من هذا القياس الفاسد. وهذه جملة لا يدريها إلا من له اطلاع على الواجب والواقع، وله فقه في الشرع والقدر. أنه بتصرف واختصار ^(١).

فهذه بعض النماذج للأقيسة الفاسدة المتعلقة بمسائل الاعتقاد ^(٢)، وهي كلها تدل على خطورة القياس الفاسد، وخطورة الاستقلال بالعقل البشري دون إخضاعه للوحي السماوي . وقد بين الشهرستاني ^(٣) الآثار السيئة التي حصلت في بني آدم من هذا المنهج الفاسد الذي جاء به إبليس، وبين أنه أصل كل بدعة وضلالة... فقال : (إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها، وهي النار على مادة آدم ^{عليه السلام}، وهي الطين، وانشعبت من هذه الشبهة شبهات ^(٤)، وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة... ومن المعلوم الذي لا مرية فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم، ووساوسه، ونشأت من شبهاته... ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيف والكفر والضلال هذه الشبهات، وإن اختلفت العبارات، وتباينت الطرق، فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص .

ومن جادل نوحا وهودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله عليهم أجمعين - كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته...

(١) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥٠٢/١ - ٥٠٣) .

(٢) وقد ذكر شيخنا الدكتور / أحمد بن شاكر الحذيفي - حفظه الله - في رسالته للدكتوراه بعنوان " القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة " نماذج كثيرة للأقيسة الفاسدة التي لها أثر في الانحراف في العقيدة، وذكر شبهاتهم، ثم رد عليها بتفصيل يروي الغليل، ويشفي العليل بإذن الله تعالى . وكذلك هناك أمثلة كثيرة للأقيسة الفاسدة المتعلقة بالأحكام مثل : قياس الربا على البيع بجامع ما يشترك فيه كل من الطرفين من التراضي بالمعاوضة المالية، وقياس الميتة على المذكي في جواز أكلها بجامع ما يشتركان فيه من إزهاق روح، هذا بسبب الآدميين، وهذا بفعل الله تعالى . وقد ذكر العلامة ابن القيم جملة كبيرة من الأقيسة الفاسدة المتعلقة بالأحكام في كتابه : إعلام الموقعين (١٤٤/١ و ٣٠٠ - ٣٦٨) فليرجع إليهما للاستزادة والتفصيل .

(٣) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، فقيه متكلم على مذهب الأشعري، توفي سنة ٥٤٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨٦/٢٠)؛ ومعجم المؤلفين (١٨٧/١٠) .

(٤) انظر : الشبهات السبع المحكية على لسان إبليس وموقف الطوائف منها والجواب عنها بتفصيل يروي الغليل ويشفي العليل في كتاب الصواعق المرسلة (١٥٦٤/٤ - ١٥٧٥) بتحقيق الدكتور / علي بن محمد الدخيل الله ط. الثالثة .

إذ لا فرق بين قولهم : « أبشرونا »^(١) وبين قوله : « أسجد لمن خلقت طينا »^(٢) وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحرز الإشكال والافتراق كما هو في قوله تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا »^(٣). فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال المتقدم في الأول : « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »^(٤)، وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم : « أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين »^(٥).

وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم »^(٦) « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل »^(٧). فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل أجرى حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق، والأول غلو، والثاني تقصير... وبالجمله كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فالمعتزلة غلو في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات. والمشيبة قصرها حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام. والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول. والخوارج قصرها حتى نفوا تحكيم الرجال. وأنت ترى إذا نظرت أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول، وتلك في الأول مصدرها، وهذه في الآخرة مظهرها وإليه أشار التزيل في قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين »^(٨) ^(٩) أھـ بتصرف واختصار .

(١) التغابن الآية : ٦

(٢) الإسراء الآية : ٦١

(٣) الإسراء الآية : ٩٤

(٤) الأعراف الآية : ١٢

(٥) الزخرف الآية : ٥٢

(٦) البقرة الآية : ١١٨

(٧) يونس الآية : ٧٤

(٨) انظر : الملل والنحل (١٦/١ - ٢٠) .

(٩) البقرة الآية : ١٦٨ و ٢٠٨ والأنعام الآية : ١٤٢

يتبين مما سبق من الوجوه بعض الآثار السيئة لهذا المنهج الفاسد الذي جاء به إبليس في بني آدم من تفضيل بعضهم اللعين على أبي البشر آدم ﷺ، وتصحيحهم قياسه الفاسد، واستكبارهم بالمواد والأصول بغض النظر عن المعاني والصفات الحسنة من الإيمان والعمل الصالح، وتقديسهم العقل وتقديمهم إياه على أوامر الله، وأخذهم بالقياس الفاسد في مقابلة النص الشرعي، بل هذا المنهج الذي جاء به إبليس هو أصل كل شبهة وشهوة، وأصل كل بدعة وضلالة بني آدم، يخشى منها على المرء في دينه ودنياه، ولا عاصم منها إلا الله، فنسأله سبحانه وتعالى منها السلامة والعافية في الدين والدنيا إنه سميع مجيب .

المسألة الثالثة : موقف بعض الفرق الضالة من رفض إبليس

السجود لآدم عليه السلام .

تمهيد : بيان موقف اليهود والنصارى من سجود الملائكة لآدم عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له وأثره في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام .

إن اليهود والنصارى لم يذكروا قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له . وبذلك هم أساءوا إلى أبيهم آدم عليه السلام؛ إذ ضيعوا ما رفع الله به شأنه وخصه به عن غيره من خلقه، ولم يحفظوا ما أكرم الله به أباهم من إسجاد الملائكة له ولكنهم بروا بمن أغواهم وعاداهم وأضلهم وأعماهم، فستروا على إبليس جرمه، وصانوه من السنة كثيرة تلهج باللعة والدعاء عليه، فهم أحسنوا إليه بذلك^(١).

فكنلك وجد من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من تبعهم ذراعا بذراع، وشبرا بشبر، ولم يتخلفوا عنهم في شيء من مساوئهم ومخازيهم بل سبقوهم إليها وأتوا بما لم يأتوا به، وفيما يلي ذكر بعض تلك المواقف الضالة لبعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام فيما يخص امتناع إبليس عن السجود لأبي البشر آدم عليه السلام .

أولا : موقف الجبرية^(٢) من رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام :

(١) وكذلك لم يذكر اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة لديهم أن إبليس هو الذي زين لآدم وحواء الأكل من الشجرة المحرمة، وأنه هو الذي وسوس إليهما بذلك بل زعموا أن الحية هي التي تولت الوسوسة والإغراء على الأكل من الشجرة المحرمة فزينت لحواء أن تأكل منها ثم زينت لآدم عليه السلام أن يأكل منها فأكل. فهم بعدم ذكر هذه الجرائم التي فعلها إبليس، وسترهم لمساوئهم وتغطيتهم لها أحسنوا إليه وبروا به . من إفادة المشرف على البحث - حفظه الله تعالى - وانظر : سفر التكوين (١٩-١/٣) .

(٢) القدريّة الغلاة أنكروا القدر السابق والكتاب السابق، وزعموا أن الأمر أنف؛ أي : مستأنف من جديد، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها. ولذلك صرح قدماء هذه الفرقة بأن الله سبحانه وتعالى لم يكن يعلم من إبليس حين خلقه أنه سيصدر منه ما صدر، ولو علم ذلك لم يخلقه، كما ذكر ذلك عنهم العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلة بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله (١٥٤٨/٤) وقد قابل هذه البدعة أناس آخرون ببدعة الجبر، فأنبتوا القدر ولكن بالغوا في إثباته حتى زعموا أن العباد مجبورون على أفعالهم من غير إرادة منهم ولا اختيار، وأنهم تصدر عنهم كما تتحرك أوراق الأشجار عند هبوب الرياح، وأنهم ليسوا فاعلين أفعالهم في الحقيقة، ولا قادرين عليها وإنما هم كالآلة المحضة. وكلتا الطائفتين بعيدة عن الحق ومجانبة للصواب . انظر : شفاء العليل (ص ٣٥-٣٧-٣٩)؛ ومشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٧-٣٩)؛ ومدارج السالكين (٤٠٤-٤٠٥) .

الجبرية يزعمون أن إبليس معذور في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام، لأنه لم يمتنع عن السجود له باختياره بل كان مجبورا على عدم السجود له، والله سبحانه وتعالى هو الذي منعه وحال بينه وبين السجود لأنه هو الذي قدر ذلك عليه؛ فلا ذنب لإبليس في تركه السجود لآدم عليه السلام، وكان عمله هذا موافقا لإرادة الله ومشيئته ^(١).

فهؤلاء الجبرية أثبتوا القدر، وآمنوا بأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا حسن وصواب ولكنهم بالغوا في الإثبات حتى نكبوا عن الصراط المستقيم، وضلوا عن سواء السبيل، إذ نفوا عن العبد اختياره وقدرته على الفعل، وجعلوا كل أفعاله شرها وخيرها واقعة منه بغير اختياره وإرادته، وزعموا أنها موافقة لمشيئة الله وأن كل ما وافق مشيئته موافق لمرضاته، فلم يفرقوا بين المحذور والمأمور، وبين المحبوب والمبغوض، وبين المؤمن والكافر، وبين المطيع والعاصي حتى جعلهم هذا الاعتقاد الفاسد يشفقون على إبليس، ويبحثون له المعاذير، ويحتجون له بالمقادير، ويروونه معذورا مجبورا مكرها في امتناعه عن السجود، وأن الذي أمره بالسجود هو الذي منعه من السجود، ولا يستحيون من نسبة الظلم إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، تعالى الله عما يصف الظالمون .

ثانيا : موقف الصوفية الاتحادية من رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام :

إن الصوفية الاتحادية تزعم أنه ليس هناك وجود لأحد سوى الله تعالى، وأن كل موجود في الكون هو عين الله؛ فالخالق هو عين المخلوق، والمخلوق هو عين الخالق في زعمهم ^(٢)، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهم انطلاقا من هذه العقيدة الكفرية يزعمون أن إبليس كان مستحكما في توحيد الله عز وجل، وأنه حين امتنع عن السجود لآدم عليه السلام لم يكن ذلك إلا لأنه رآه غير الله، فرفض السجود لغير الله، وأبى أن يسجد إلا لله تعالى بزعمهم ^(٣).

(١) انظر : مشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٨)؛ ومدارج السالكين (٤٠٥/١) .

(٢) انظر : هذه هي الصوفية (ص : ٣٦ و ٣٨ و ١٦٧) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٨/٢)؛ وروح المعاني (٥٥/١٤)؛ والفكر الصوفي في

ضوء الكتاب والسنة (ص : ٦٠)؛ وفصائح الصوفية (ص : ٤٧ و ٥١-٥٢)؛ وروود على أباطيل

(ص : ٣٢٣ و ما بعده)؛ وأبي آدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٨) .

ولذلك نرى الصوفية حفية دائما بتقديس هذا اللعين عدو الله وعدو البشرية كلها، فمن هؤلاء من يعتذر عن إبليس، ويتوجع له، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؟ وهل كان في ترك سجوده لغيره تعالى إلا محسنا ؟ وإذا ناح نائح منهم على إبليس، رأيت من حنينهم وأنينهم وبكائهم وعويلهم ورثائهم وثنائهم عليه أمرا عجيبا ^(١)، ومنهم من يفتخر بالانتساب إليه، ويجعله قدوته وشيخه، ويزعم أنه كان مؤمنا موحدًا ^(٢)، ومنهم من يزعم أنه لا فرق بينه وبين آدم عليه السلام عند الله تعالى يوم القيامة، فيقول : (فلا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان ^(٣)، وترنم أطيّار بألحان، على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان، وعدم مالك وبقي رضوان، وصارت جهنم تنعم في حظائر الجنان، واتضح سر إبليس فيهم، فإذا هو ومن سجد له سيّان) ^(٤)، ومنهم من يزعم أن ما علل به إبليس امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام يدل على علمه وفضله وخلقه وأدبه مع الله تعالى، بل يزعم أنه من أعلم الخلق بأداب الحضرة الإلهية، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب، وأنه سيكون يوم الدين من عباد الله المقربين، وأنه قد بلغ من إنعام الله تعالى وإكرامه له ما لم يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فيقول هذا الزاعم الكاذب في قوله تعالى فيما حكاه عن إبليس في تعليله امتناعه عن السجود : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ^(٥) : (وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بأداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه الجواب لأن الحق لم يسأله عن سبب المانع، ولو كان كذلك لكان صيغته ؟! : لم امتنعت أن تسجد لما

(١) انظر : مشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٨)؛ ومدارج السالكين (٤٠٥/١) .

(٢) هذا القول نسبته الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه : فضائح الصوفية (ص : ٥٢) إلى الخلاج، وأحال إلى كتابه : الطواسين (ص : ٥٢) .

(٣) الذين يرون رهم يوم القيامة هم المؤمنون فقط، وأما إبليس وجنوده فهم كما قال الله تعالى عنهم : ﴿كلا إنهم عن رهم يومئذ حجبون﴾ * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كتم به تكذبون ﴿ [المطففين : ١٥-١٧] . انظر للتفصيل : كتاب صفات الله عز وجل للشيخ صالح المسند (ص : ١٣٦-١٤٠) .

(٤) هذا ما زعمه ابن عربي في كتابه : الفتوحات المكية (٢٠٠/٢ برقم : ٢٨٦)؛ وانظر ما ذكره عنه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه : فضائح الصوفية (ص : ٥٢) .

(٥) الأعراف الآية : ١٢ وص الآية : ٧٦

خلقت بيدي ؟ ولكن سأله عن ماهية المانع، فتكلم على سر الأمر^(١)، فقال : لأني خير منه؛ يعني : لأن الحقيقة النارية، وهي الظلمة الطبيعية التي خلقتني منها خير من الحقيقة الطينية التي خلقتها منها، فلهذا السبب اقتضى الأمر أن لا أسجد لأن النار لا تقتضي بحقيقتها إلا العلو، والطين لا يقتضي بحقيقته إلا السفلى^(٢)... ولم يزد على ذلك لعلمه أن الله مطلع على سره، ولعلمه أن المقام مقام قبض، لا مقام بسط. فلو كان المقام مقام بسط لقال بعد ذلك : واعتمدت على ما أمرتني أن لا أعبد غيرك ولكن لما رأى المحل محل عتاب تأدب، وعلم من ذلك العتاب أن الأمر قد التبس عليه في الأصل؛ لأن الحق دعاه بإبليس وهو مشتق من الالتباس، ولم يكن يدعى قبل ذلك بهذا الاسم، فتحقق أن الأمر مفروغ عنه، ولم يجزع، ولم يندم، ولم يتب، ولم يطلب المغفرة لعلمه أن الله لا يفعل إلا ما يريد، وأن ما يريده الله تعالى هو الذي تقتضيه الحقائق فلا سبيل إلى تغييرها، ولا إلى تبديلها... وقوله : ﴿إن عليك لعنتي إلى يوم

الدين﴾^(٣) حصر، فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية في يوم الدين... فلا يلعن إبليس؛ أي : لا يطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين؛ لأجل ما يقتضيه أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية. وأما بعد ذلك فإن الطباع تكون لها من جملة الكمالات؛ فلا لعنة بل قرب محض! فحينئذ يرجع إبليس إلى ما

(١) القول بأن الله تعالى سأل إبليس عن ماهية المانع، ولم يسأله عن سبب المانع، فإنه تعالى قال له : ما منعك؟ ولم يقل له : لم امتنعت ؟ ولذلك أجاب إبليس بجواب صحيح يدل على ماهية المانع، لا على سبب المانع، فهذا كله من التكلف والتعسف والتنتطع الذي لا طائل تحته، فإن قوله تعالى الله : ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ [الأعراف : ١٢] وقوله تعالى : ﴿مالك أن لا تكون مع الساجدين﴾ [الحجر : ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص : ٧٥] فهذا كله يدل على عتاب الله تعالى لإبليس لأنه لم يسجد لآدم عليه السلام وقد أمره الله به، وحتى لو قال قائل : لم امتنعت عن السجود...؟ بدلا عن أن يقول : ما منعك عن السجود؟ فلا يختلف المقصود من الكلام، بل يؤدي نفس الغرض، ويفهم المخاطب من السؤال الأول ما فهمه من الثاني، فكلمات الصيغتين تدلان على نفس المعنى ونفس المفهوم، لأنه لا فرق هنا بين "ما" و"لم"؛ فإن "لم" أصله "لما"، وحذفت منها الإلف بعد دخول حرف الجر عليها - وهو اللام - تخفيفا، ف"ما" الذي في قول القائل : ما منعك؟ هو نفس "ما" الذي في قول القائل : لم امتنعت؟ فلا يصح التفريق بينهما كما فرق صاحب هذا القول، والله تعالى أعلم بالصواب .

(٢) قد تقدم بيان بطلان دعوى خيرية النار من الطين من وجوه كثيرة في (ص : ٣٨١-٣٨٥) .

(٣) ص الآية : ٧٨

كان عليه عند الله من القرب الإلهي! وذلك بعد زوال جهنم، لأن كل شيء خلقه الله تعالى لا بد أن يرجع إلى ما كان عليه، وهذا أصل مقطوع به فافهم . قيل : إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له : أتصنع هكذا، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هي خلعة أفردني الحبيب بما لا يلبسها ملك مقرب، ولا نبي مرسل (أهـ باختصار ^(١)).

قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق : (يعتقد عامة الصوفية ^(٢) أن إبليس أكمل العباد، وأفضل الخلق توحيدا؛ لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم، وأن الله تعالى قد غفر له ذنوبه، وأدخله الجنة) ^(٣) . ولا شك أن هذا الموقف من قبل الصوفية تجاه إبليس اللعين موقف ضال ليس له أدنى صلة من الإيمان بالله وكتبه ورسله. فهو مخالف تماما لما أخبر الله به في كتبه وعلى ألسنة رسله بل هو كفر بواح. وإن لم يكن هذا كفرا بالله تعالى فليس في الدنيا كفر ولا شرك، وقد سبق بيان بطلان هذا الاعتقاد الفاسد من وجوه كثيرة ^(٤)، وهنا أضيف بإذن الله وتوفيقه وجوها أخرى متعلقة بهذا القول، تبين بعدهم عن الحق والإيمان، وتدل على كفرهم وضلالهم وإلحادهم وزندقتههم، وهي كما يلي :

أولا : دعواهم أن إبليس ترك السجود لغير الله لأنه كان موحدا، فأبي أن يسجد إلا لله، وأنه أحسن بذلك، فهذه دعوى باطلة؛ لأن الله تعالى لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ استكبر إبليس عن السجود لآدم ﷺ وعصى ربه، وخالف أمره. وأما الملائكة لم يستكبروا عن أمره تعالى بل خروا ساجدين لمن أمروا بالسجود له، امتثالا بأمر ربهم جل وعلا. فكيف يصح أن يقال عن إبليس الذي عصى واستكبر عن أمر ربه تعالى : أنه كان موحدا، وأنه لم يخلص من هذا الشرك المزعوم إلا إبليس الموجد الأكبر في زعمهم ؟ وهل الملائكة المعصومون من العصيان لرهم كانوا كفارا ومشركين حين سجدوا لآدم ﷺ امتثالا لأمر ربهم سبحانه وتعالى ؟ وهل كان الله تعالى أمرهم بالشرك لما أمرهم بالسجود

(١) هذا ما زعمه عبد الكريم الجيلي الصوفي القائل بوحدة الوجود وقد ذكرت كلامه باختصار . واقرأ خطاياه بالتفصيل في كتابه : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (٤١/٢ - ٤٢) .

(٢) لو قال الشيخ عبد الرحمن : "غلاة الصوفية" بدل قوله : "عامة الصوفية" لكان أنسب إذ الصوفية على درجات وهذا قول غلاةهم، والله أعلم بالصواب .

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٦٠)؛ وفضائح الصوفية (ص : ٤٧ و ٥١ - ٥٢) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢٧ - ٣٢٩) .

لآدم ﷺ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم، لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل ودين، فضلا أن يقول به شخص يعرف دينه وربّه حق معرفته^(١).

ثانياً : دعواهم أن إبليس رفض السجود لآدم ﷺ لأنه رآه غير الله دعوى باطلة، وبيان ذلك بما يلي :

● أن إبليس لم يرفض السجود لآدم ﷺ لكونه غير الله بل رفض السجود استكبارا واستعلاء على آدم ﷺ، وحقدا وحسدا على ما أكرمه الله به . قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾^(٢) و قال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين^(٣) . فإله سبحانه وتعالى بين في هذه الآيات وغيرها أن الذي منعه من السجود هو إساؤه واستكباره وادعائه الخيرية والأفضلية على أبي البشر آدم ﷺ، وليس لأنه كان مستحكما ومتمكنا في التوحيد ، أو لأنه رآه مخلوقا أو رآه غير الله فقال : " لا أسجد إلا لك " ^(٤) .

● أن الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم ﷺ لم يكونوا أمروا بذلك لكون آدم ليس غير الله . وكذلك لم يكن سجودهم له لأنهم رأوه أنه ليس غير الله بل الملائكة وإبليس وآدم ﷺ كلهم كانوا يعلمون أن الله تعالى مبين لخلقهم وهم مغايرون له^(٥) . ولهذا أجابوه إجابة العبد ربه، فقالت الملائكة : ﴿ سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾^(٦) وقال آدم ﷺ : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾^(٧) وقال إبليس : ﴿ رب فأظنني إلى يوم يعثون ﴾^(٨) .

فمن زعم أن إبليس لم يسجد لآدم ﷺ لأنه رآه غير الله فقد افترى على الله كما افترى على إبليس كذبا وزورا . وبرهن على نفسه بأنه أضل من إبليس لأن إبليس أقر بالمغايرة والمباينة

(١) انظر : ردود على أباطيل (ص : ٣٣٧) .

(٢) البقرة الآية : ٣٤

(٣) الأعراف الآيتان : ١١-١٢

(٤) انظر : القضاء والقدر في الإسلام للدكتور فاروق أحمد الدسوقي (٢٠/١) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٢٨-٣٢٩) .

(٦) البقرة الآية : ٣٢

(٧) الأعراف الآية : ٢٣

(٨) الحجر الآية : ٣٦

بين الخالق والمخلوق، ولم يفتر على ربه كما افترى هؤلاء على ربهم بالقول بوحدة الوجود .
ثالثا : دعوى أن إبليس رأى أن الأمر بالسجود لآدم يتعارض مع توحيد الله فالتبس عليه الأمر فلم يسجد باطلة لما يلي :

● أن إبليس لم يذكر أن الذي منعه من السجود هو التباس الأمر عليه، أو أنه رأى التعارض والتناقض بين الأمرين؛ أي : الأمر العام الذي أمر الله فيه إبليس بالتوحيد وإفراده بالعبادة مع سائر الملائكة، والأمر الخاص الذي أمرهم الله فيه بالسجود لآدم عليه السلام . فلو كان المانع من السجود هو معارضة الأمر بالسجود لآدم عليه السلام مع توحيد الرب جل وعلا لذكر إبليس ذلك، وقال : " إن هذا يتناقض مع توحيد الله وأنا أمرت أن لا أسجد إلا لله تعالى " ولكنه لم يفعل ذلك ^(١) .

● أن هذا الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام لا يتعارض مع توحيد الله عز وجل لأن هذا السجود لم يكن منهم على سبيل التنسك والتعبد لآدم عليه السلام بالاتفاق . وإنما كانت سجدة تكريم وتعظيم لآدم عليه السلام . والله سبحانه وتعالى له أن يأمر عباده بما شاء، وأن يكرم منهم من شاء بما شاء . والعبد المخلوق يجب عليه الامتثال وعدم الاستكبار عن أمر الله سبحانه وتعالى، كما فعل الملائكة وهذا هو التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى .

رابعا : دعوى أن إبليس لم يكن يدعى بهذا الاسم قبل امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وأنه سمي به بعد رفضه السجود لأبي الشر لالتباس الأمر عليه، فهذه دعوى باطلة وبيان ذلك بما يلي :

● هذا القول يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة الصحيحة، وليس في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، فهو قول بلا علم ولا دليل .

● جاء في حديث المصطفى ﷺ ما يدل على خلاف هذا القول، ويبين أن إبليس كان يسمى بهذا الاسم ويعرف وينادى به قبل أن يؤمر بالسجود لأبي البشر آدم عليه السلام فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك ^(٢) .

(١) انظر : القضاء والقدر في الإسلام للدسوقي (٢٠/١) .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٩٩) .

● ثم إن دعوى اشتقاق كلمة إبليس من الالتباس غير صواب، وقد سبق الكلام عند بيان معنى كلمة إبليس في اللغة بأن كلمة إبليس مختلف فيها لدى أئمة اللغة العربية، فمنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، وهو الراجح، ومنهم من يرى أنها كلمة عربية، وأنها مشتقة من الإبلان؛ أي: الإبعاد عن الخير واليأس من رحمة الله، وهذا رأي ضعيف كما سبق ذكره بالتفصيل^(١).

فكذلك دعوى اشتقاقها من الالتباس أيضا ضعيفة بل هي أكثر ضعفا منها، لأن العلل التي ضعفت القول باشتقاقها من الإلباس موجودة هنا، وبالإضافة إلى تلك العلل ينضم إليها القول بأنها لو كانت مشتقة من الالتباس لكانت صيغته "إليس" بتقديم اللام على الباء لا "إبليس"، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربية أنها مشتقة من الالتباس، وأن أصلها "إليس" ثم حصل قلب فقيل: "إبليس".

فالقول بأن إبليس مشتق من الالتباس، وأنه التبس عليه الأمر حين أمر بالسجود لآدم؛ أي: رأى الأمر بالسجود لآدم عليه السلام متعارضا بتوحيد الرب جل وعلا، فأبى أن يسجد له، ومن ثم سمي إبليس قول ضعيف بعيد عن الصواب في ضوء ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ضوء ما قرره أئمة اللغة العربية من قواعد وأصول. والله أعلم بالصواب.

خامسا: دعوى أن هذا التعليل الذي أتى به إبليس ليبرر امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام يدل على علمه بآداب الحضرة الإلهية باطلة؛ فإن هذا التعليل منه على عدم سجوده لآدم عليه السلام مع أمر الله سبحانه وتعالى له بذلك لا يدل على علمه بآداب الحضرة الإلهية فضلا أن يدل على أنه من أعلم الخلق بما بل يدل على قلة أدبه وقلة حياته من الله تعالى، وبيان ذلك بما يلي:

● ليس من العلم والعقل والأدب أن يتمرد المخلوق الحقير الضعيف على الخالق العزيز الجبار، وهو يعلم أن ذلك يؤدي إلى غضب الجبار وسخط القهار، ومع ذلك يستمر في عناده واستكباره وتمرده! ^(٢).

● أنه عارض أمر ربه وأصر على معصيته واستكباره، وأتى بقياس فاسد وتمسك به في مقابل الأمر الإلهي وقد سبق ذكره وبيان بطلانه ^(٣).

(١) انظر: (ص: ٣٦٠-٣٦٢).

(٢) انظر: أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص: ١٤٨).

(٣) انظر: (ص: ٣٨٠-٣٨٦).

● أنه ترك القياس الأولى إذ لم يقس نفسه على الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام فيسجد معهم. والملائكة خلقوا من نور. ولا شك أن النور خير من النار. فهو لما ترك هذا القياس المؤدي إلى السعادة والفلاح بالامثال بأمر الرب جل وعلا، وأتى بقياس فاسد عقلا ونقلا- استحق غضب الله ولعنته. فكان ذلك سببا لشقاوته وخسارته في الدنيا والآخرة ^(١).

● أنه لم يدرك أن مصلحة امثال أمر ربه بسجوده لآدم عليه السلام راجحة على امتناعه من السجود له؛ لأن امثال الأمر آمن من العقاب المترتب على المخالفة ^(٢).

فهذا كله دليل صارخ على جهالته وغباوته وقلة علمه وأدبه وفساد عقله ورأيه .

سادسا : دعوى أن إبليس سيكون له قرب من الله تعالى يوم القيامة، وأنه لا لعنة عليه بعد يوم الدين، وأنه لا يكون فرق بينه وبين آدم عند الله يوم القيامة، وأنه يكون مع عباد الله الصالحين، المنعمين في الجنة، فهذه كلها دعاوى باطلة فاسدة وبيان ذلك بما يلي:

● أن الله سبحانه وتعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجد الملائكة كلهم امثالا لأمر ربهم جل وعلا. وأما إبليس فقد أنكر أمر ربه، وعصاه، واعترض عليه، وعاند واستكبر، وأصر على مخالفته ومعصيته. فكيف يعتبر موحدا لله تعالى ؟ وكيف يكون مقربا إليه سبحانه ؟ فإن القرب لا يحصل بالمعصية والاستكبار بل يحصل بالطاعة والامثال والخضوع التام .

تعصي الإله و أنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع .

● أن إبليس عصى أمر الله تعالى بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وكان له أن ينيب إلى ربه، و يتوب إليه، ويظهر الندم على ما صدر، ويستغفر منه، ولكنه لم يجزع، ولم يندم، ولم يطلب العفو والمغفرة، بل عاند واستكبر، وألح وأصر على معصية الله، وسأل النظرة ليستمر في غوايته، ويقوم بأنواع المعاصي والفساد وإضلال العباد وإبعادهم عن الصراط المستقيم، فوجد ما طلب من الله العزيز الحكيم العليم، فهو بهذا العناد والاستكبار

(١) انظر : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٣٣-٣٤)؛ وأبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٩-١٥٠) .

(٢) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص : ٦١)؛ والقياس الفاسد ... (ص : ٤٠) .

والإصرار والاستمرار أغلق على نفسه باب الرحمة الإلهية، فهو مطرود عن رحمة الله تعالى، وملعون إلى يوم الدين، ثم يكون مصيره ومن تبعه إلى نار الجحيم .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنْ عَلَيْكَ لعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبَعِكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّاتٌ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ وَمِمْ بَصُرَخِي إِنِّي كَفُرتُ بِمَا أَشْرَكُمُ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢) وغيرها من الآيات .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار ^(٣) .

فهذه النصوص الجليلة من الكتاب والسنة الصحيحة تبين أن إبليس يكون في النار، وإنما أنظره الله تعالى وأمهله إلى وقت محدود ويوم معلوم، ثم بعد ذلك يسجبه ومن تبعه إلى عذاب أليم مقيم، فيكون هو وجنوده في نار الجحيم .

● قال أبو السعود ^(٤) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكَ لعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٥) : (. وفيه إشعار بتأخير عقابه جزائه إليه، وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله، وإنما يتحقق

(١) ص الآيات : ٧١-٨٥

(٢) إبراهيم الآية : ٢٢

(٣) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٣٣٧) .

(٤) أبو السعود هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، فقيه أصولي مفسر شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، توفي سنة ٩٨٢ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣٠١/١١ - ٣٠٢) .

(٥) الحجر الآية : ٣٥

ذلك يومئذ، وفيه من التهويل مالا يوصف. وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من أفانين العذاب فتصير هي كالزائل (١).

● إن الله تعالى كريم عدل فهو سبحانه وتعالى لا يجعل المصلحين كالمفسدين، ولا يجعل المطيعين كالعاصين، ولا يجعل المقسطين كالقاسطين، ولا يجعل التوايين كالمستكبرين، ولا يجعل المسلمين كالكافرين، ولا يجعل الموحددين كالمشركين. قال تعالى: ﴿ وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (٢) وقال تعالى: ﴿ أفجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ * ما لكم كيف تحكمون (٣) وقال تعالى: ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٤) فهو سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا من عباده بل يعامل كل واحد منهم بما يليق به رحمة منه وعدلا. فالذين آمنوا وأصلحوا ولم يفسدوا ولم يشركوا وخافوه واتقوه يكرمهم في دار كرامته بأنواع كثيرة من النعيم المقيم رحمة منه وفضلا. وأما الكفار والفجار والمنافقون والمشركون فيعذبهم الله بأنواع كثيرة من العذاب الأليم جزاء منه وعدلا. وإبليس هو أول من كفر بالله تعالى وهو أكبر داعية إلى الكفر والفسق والفجور والفساد والإلحاد والزندقة... فكيف يكون هذا اللعين عند الله كعبد من عباده الصالحين فضلا أن يكون مثل آدم عليه السلام عبد الله وحييه وكليمه وصفيه ونبيه؟.

● أن الله تعالى يكرم الصالحين من عباده في دار كرامته بأنواع كثيرة من النعيم المقيم رحمة منه وفضلا، ويعذب الكافرين منهم بأنواع كثيرة من العذاب الأليم جزاء منه وعدلا، وقد ذكر الله تعالى بعض تلك النعم التي أعدها لعباده الصالحين، وبعض تلك النقم التي أعدها للكافرين، فقال تعالى مخبرا عما أعده لعباده الصالحين: ﴿ والسابقون السابقون ﴾ * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلثة من الأولين * وقليل من الآخرين * على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٦/٥) .

(٢) ص الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) القلم الآيتان : ٣٥-٣٦

(٤) البقرة الآية : ٢٨١

يشتهون * وحوور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا قليلا
 سلاما سلاما * وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود * وطلع منضود * وظل ممدود * وماء
 مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * إنا أنشأناهم إنشاء * فجعلناهم أبنكارا *
 عربا أترابا * لأصحاب اليمين * ثلثة من الأولين * وثلثة من الآخرين ^(١) وغيرها من الآيات .

فهذه بعض تلك النعم التي يكرم الله بها عباده الصالحين في دار كرامته وبينها لهم في الدنيا
 ليسعوا إلى الفوز بها . وما أخفى عنهم فهي أكثر وأكثر بل فيها ((ما لا عين رأت، ولا أذن
 سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) كما روى الصادق المصدوق عليه السلام عن ربه عز وجل ^(٢) .

وأما دار البوار التي هي مستقر إبليس وجنوده قد أخبر الله تعالى عما فيها من أنواع
 النكال والعذاب فقال عز من قائل : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم *
 وظل من يحميم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا
 يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أوءابونا الأولون * قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى
 ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون *
 فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين ^(٣) وغيرها من الآيات .

فهذه بعض النقم التي يعذب الله بها من استحقها منهم من الكفار والفجار
 والمنافقين، وذلك بعدله جزاء بما كانوا يعملون، وتلك بعض النعم التي يكرم الله بها من
 شاء من عباده من الأنبياء والصالحين في دار كرامته برحمته وفضله .

ولا شك أن آدم عليه السلام سيكرمه الله بإدخاله في الجنة، وأن إبليس سيعذبه الله بإدخاله في
 النار . فكيف يكون إبليس ومن سجد له سيان ؟ لا يقول عاقل يدرك ما يقول أن المعذب
 في النار بأنواع العذاب كالمنعم في الجنة بأنواع النعيم، والله المستعان على هذا الضلال

(١) الواقعة الآيات : ١٠-٤٠

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبوهريرة رضي الله عنه، أخرجه الشيخان، وقد سبق تحريجه في (ص : ٤٠١) .

(٣) الواقعة الآيات : ٤١-٥٦

والخذلان، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾^(١).

● أن النار التي سيدخل فيها إبليس وجنوده هي نار حامية ليس لها انطفاء ولا خمود، وليس لها فناء ولا زوال بل هي دائمة باقية بإبقاء الله تعالى لها. وقد تقدمت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة الصحيحة^(٢)، فإبليس وجنوده من أولئك الذين سيقون خالدين مخلدين في النار، وليس لهم خروج منها أبدا. قال تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين^(٣) ولذلك يتبرأ اللعين من أصحابه في النار و يقول لهم كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾^(٤) فإبليس يكون في النار خالدا مخلدا فيها، ويقول فيها لأصحابه بأنه لا يستطيع أن يخلصهم من هذا العذاب كما أنهم لا يستطيعون أن يخلصوه منه، فلا يستطيع أن يخلص بعضهم بعضا، فيقون فيها معذبين، ولا يكون لهم نجاة منها^(٥).

فلا تصح دعوى من زعم أن إبليس قد غفر الله له ذنوبه، وأنه لا لعنة عليه بعد يوم الدين، وأنه سيكون يوم القيامة في عداد عباد الله الصالحين المقربين المنعمين في الجنة. تعالى الله عما يقول الظالمون .

يتبين مما سبق أن القول بأن إبليس كان مجبورا في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وأن الله تعالى هو الذي منعه من ذلك وحال بينه وبين السجود أو أن إبليس رأى آدم عليه السلام غير الله، فأبى أن يسجد إلا لله، وأنه أحسن بذلك إذ لم يسجد لغير خالقه، وأنه مؤمن وموحد عند الله تعالى، وأنه سيكون يوم القيامة من عباد الله المقربين الذين يكرمهم الله تعالى

(١) النور الآية : ٤٠

(٢) انظر (ص : ٤٠٢) .

(٣) الحشر الآيتان : ١٦-١٧

(٤) إبراهيم الآية : ٢٢

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٥٢٩/٢)؛ وفصائح الصوفية (ص : ٥١) .

بإدخالهم في دار كرامته، وينعم عليهم بإحلال رحمته ورضوانه، وأنه لا فرق بينه وبين آدم
عليه السلام عند الله تعالى ، فهذه كلها عقائد فاسدة وآراء ضالة وأقوال باطلة وهي في غاية
البطلان والفساد والضلال بل هي أبعد وأبعد عن الحق والصواب وعن الإيمان بالله وكتبه
ورسله، وأقرب وأقرب إلى الكفر والشرك والضلال والإباحية والزندقة والإلحاد، نسأل الله
سبحانه وتعالى السلامة منها، فهو أعلم بالصواب، وأهادي إلى سبيل الحق والرشاد .

الباب الثالث : دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة وخروجهما منها وهبوطهما إلى الأرض. وفيه فصلان .

الفصل الأول : آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

الفصل الثاني : هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض .

الفصل الأول : آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام .

المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام

الجنة. وفيه مطلبان .

المطلب الأول : وقت دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة .

إن الله سبحانه وتعالى أكرم أبا البشر آدم ﷺ بأن أسكنه وزوجه في الجنة . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنت لا تطعمها فيها ولا تضحى ﴾ ^(٣) .

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله تعالى فبينت ثبوت هذا التكرم من الله جل وعلا لأبي البشر آدم ﷺ ، وزادت في البيان والإيضاح بأن اليوم الذي أكرم الله عز وجل آدم ﷺ بإسكانه الجنة كان ذلك يوم الجمعة، فمن تلك الأحاديث الدالة على دخول آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة ما يلي :

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ^(٤) .

(١) البقرة الآية : ٣٥

(٢) الأعراف الآية : ١٩

(٣) طه الآيات : ١١٦-١١٩

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه (ص : ٨٦) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي، فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه ... الحديث (١).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة (٢).

فيتين من هذه الأحاديث النبوية أن آدم ﷺ أدخل (٣) الجنة يوم الجمعة، والله أعلم بالصواب .

(١) أخرجه ت (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٣٦٢/٢ ح : ٤٩١)، وهو حديث

صحيح، وقد سبق تخريجه من غير هذا اللفظ في (ص : ٨٧) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(٣) المراد بالدخول هنا يحتمل أن طينة آدم ﷺ أدخلت الجنة يوم الجمعة وصور فيها ثم نفخ فيه الروح ويحتمل أنه

أدخل الجنة بعد نفخ الروح، فإن كان الصحيح هو الأول فلا علم لنا متى أدخلت حواء الجنة وإن كان الثاني

فهو أيضا أدخلت مع آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة لقوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ والله أعلم

بالصواب . انظر : (ص : ١٠٠-١٠١ و ٢٠٥-٢٠٦) .

المطلب الثاني : الجنة التي سكنها آدم وزوجه عليهما السلام .

الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام قبل الهبوط إلى الأرض اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فمنهم من يرى أنها كانت جنة معنوية ولم تكن جنة حقيقية، ومنهم من يرى التوقف في المسألة وعدم القطع بشيء فيها، ومنهم من يرى أنها كانت في مكان مرتفع من الأرض، ومنهم من يرى أنها جنة كانت في السماء دون جنة الخلد، ومنهم من يرى أنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وما احتج به أصحابها، وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القول الأول : الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام لم تكن جنة حقيقية، وإنما كانت جنة معنوية، وهي جنة العلم . قالت به الباطنية ^(١) .

ومن هذا الجنس ما قاله مصطفى محمود بأنها (جنة الطاعة والإسلام للناموس الإلهي) ^(٢) . وهذا القول في غاية البطلان والفساد، فإنه تحريف لكتاب الله تعالى، وصرف لألفاظه من ظواهرها إلى غيرها من غير دليل ولا حاجة بل فيه حمل لألفاظ القرآن إلى ما هو مخالف لصريح دلالة القرآن مخالفة واضحة؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف لنا جنة آدم عليه السلام في كتابه فقال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى *

(١) ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦١/١٤ - ١٦٢) .

(٢) القرآن محاولة لفهم عصري (ص : ٦٢) .

(٣) البقرة الآية : ٣٥

(٤) الأعراف الآية : ٢٢

(٥) الأعراف الآية : ٢٧

وأنت لا تظلماً فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى *
فأكل منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ^(١).

فمن أوصاف هذه الجنة التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام أنه كان فيها أشجار، وفي تلك الأشجار أوراق وثمار، وأنه كان فيها ما يأكلان ويشربان حتى لا يصيبهما جوع ولا عطش، وأنه كان فيها لباس لهما يستر عورتكما، وأنه كان فيها ما يحفظهما من حرارة الشمس، وأنها كانت واسعة يمشي فيها الأبوان ويأكلان منها ما شاءا ويشربان... فهذه كلها من أوصاف الجنة الحقيقية، ولا يصح أن يوصف بهذه الصفات شيء معنوي الذي لا يقوم إلا بغيره كالعلم والطاعة، وبه يتبين خطأ من حمل الجنة التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام على جنة معنوية كالعلم أو الطاعة والاستسلام لله تعالى، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : التوقف عن تعيين تلك الجنة التي سكنها الأبوان قبل أن يهبطا إلى الأرض، وعدم الخوض في بحثها والكف عنه، وأنه هو الأسلم .

فقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه يمكن أن تكون الجنة التي سكنها الأبوان هي جنة الخلد، ويمكن أن تكون غيرها في السماء أو في بقعة من بقاع الأرض، فالأحوط والأسلم الكف عن تعيينها وعن القطع بها، وهذا القول عزاه غير واحد من المفسرين إلى الإمام أبي حنيفة ^(٢)، وإليه ذهب أبو منصور الماتريدي ^(٣)، وبه قالت جماعة من المتأخرين والمعاصرين منهم محمد سيد طنطاوي وعبد الحميد كشك وحسين محمد مخلوف وعبد الجليل عيسى ومصطفى خرم دل وأحمد بهجت والشيخ محمد متولي الشعراوي وعبد الوهاب النجار إلا أنه مال في الأخير إلى القول بأنها كانت في الأرض ^(٤) .

(١) طه الآيات : ١١٧-١٢١

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠٠/١)؛ وصفوة البيان لمعاني القرآن (ص : ١٣)؛ والتفسير المقتطف (ص : ١٨) .

(٣) انظر : تأويلات أهل السنة (١٠٦/١)، والماتريدي هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي الحنفي، إليه

نسب الطائفة الماتريدية الكلامية، توفي سنة ٣٣٣هـ . انظر : الأعلام (١٩/٧)؛ ومعجم المؤلفين (٣٠٠/١١) .

(٤) انظر بالترتيب : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠٠/١)؛ وفي رحاب التفسير (١٤٦/١)؛ وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسين

محمد (ص : ١٣)؛ وتيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم للمستقيم لعبد الجليل (ص : ٨)؛ والتفسير المقتطف لمحمد خرم دل (ص :

١٨)؛ وأنبياء الله لأحمد بهجت (ص : ٤٠)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٢١-٢٣)؛ وقصص الأنبياء للنجار (ص : ٩) .

القول الثالث : الجنة التي سكنها آدم ﷺ مع زوجته حواء عليها السلام هي غير جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

وهذا القول يتضمن قولين :

أ - إن هذه الجنة كانت في السماء، وهي غير جنة الخلد . هذا القول عزاه الفخر الرازي إلى أبي علي الجبائي^(١)، وعزاه بعض المفسرين إلى الحسن البصري^(٢).

ولكن تعقب هذا القول بأنه هل توجد بساتين في السماء غير بساتين الجنة المعروفة، فوجود هذه البساتين في السماء أولا يحتاج إلى الإثبات بالأدلة اليقينية، ولا يعلم أن في السماء بساتين غير بساتين الجنة المعروفة. وأما احتمال أنها خلقت إذ ذاك ثم اضمحلت فمما لا يقدم عليه منصف إلا بدليل صحيح يعتمد عليه ولا دليل على ذلك^(٣).

ب - إن هذه الجنة كانت في الأرض، وذكر ابن كثير أن هذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة^(٤)، وأنه اختاره ابن قتيبة، وأن القاضي منذر بن سعيد البلوطي^(٥) أفرد مصنفًا خاصًا بهذه المسألة واختاره وحكاه عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه^(٦). وذكر الرازي في تفسيره^(٧) أن هذا القول ذهب إليه أبو القاسم البلخي^(٨) وأبو مسلم الأصفهاني^(٩).

(١) انظر : التفسير الكبير (٤٠٣/٣)، والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب، من أئمة المعتزلة بالبصرة، توفي سنة ٣٠٣ هـ . انظر : فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (٨٥/١ - ٩٠)؛ سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٤) .

(٢) انظر : حادي الأرواح (ص : ١٩)؛ والبداية والنهاية (٧٥/١) .

(٣) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٨/١)؛ وروح المعاني (٢٣٣/١) .

(٤) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، من أثبت الناس في عمرو بن دينار، قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، توفي في رجب سنة ١٩٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٣٥٧/٢ - ٣٦٠) برقم : (٢٨٦٩) .

(٥) هو القاضي منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي، فقيه محقق، عالم باختلاف العلماء، شاعر أديب، وكان على مذهب داود بن علي الظاهري، توفي سنة ٣٥٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧٣/١٦ - ١٧٨) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (٧٥/١) ولكن سيأتي عن أبي بن كعب وابن عباس وابن منبه ما يدل على أن الجنة التي أخرج منها الأيوان هي جنة الخلد .

(٧) انظر : التفسير الكبير (٣/٣) .

(٨) لعله هو نصر بن الصباح البلخي، أبو القاسم، من أعلام الشيعة، من أهل القرن الرابع الهجري . انظر : معجم المؤلفين (٨٩/١٣) .

(٩) هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، كاتب متكلم مفسر نحوي شاعر، وله تفسير على مذهب المعتزلة، توفي سنة ٣٢٢ هـ . انظر : لسان الميزان (٨٩/٥)؛ ومعجم المؤلفين (٩٧/٩) .

وحكى الراغب هذا القول عن بعض المتكلمين ^(١) . وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا من قول المتفلسفة والملحدين أو إخوانهم من المتكلمين المبتدعين من المعتزلة وغيرهم ^(٢) مع أنه صحح مرة أخرى القول بأن الأيوين كانا في غير جنة الخلد، وذكر أيضا أنه قول بعض السلف، وأنه أصح القولين ^(٣)، وعزاه الآلوسي إلى الصوفية ^(٤) . ونسبه غير واحد من المفسرين إلى المعتزلة والقدرية ^(٥)، وذكر الشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد أن هذا القول ذهب إليه بعض السلف ^(٦) . وبه قالت جماعة من المتأخرين والمعاصرين منهم الشيخ ابن بدران ^(٧) وعبد الرحمن بن محمد الدوسري وعبد الكريم الخطيب ومحمد رشيد رضا وعفيف عبد الفتاح طيارة وعبد الصبور شاهين وعبد الجليل عيسى وغيرهم ^(٨) . فالظاهر أن هذا القول ذهب إليه كثير من المعتزلة، وهو أيضا محكى عن بعض السلف . وإذا كانت الجنة التي سكنها الأيوون في بقعة من بقاع الأرض، فهل هي موجودة إلى الآن ؟ وأين مكانها في الأرض ؟ في ذلك عدة أقوال، وهي كما يلي :

قيل : إن الجنة التي سكنها الأيوون قبل الهبوط إلى الأرض كانت بستانا من بساتين

-
- (١) انظر : ذكر ذلك عنه ابن القيم في حادي الأرواح (ص : ١٩) .
- (٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤) لا شك أن هذا القول ذهب إليه بعض أهل السنة من السلف والخلف، فإطلاق شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه من قول المتفلسفة والملحدين ... فيه نظر، وأيضا مثل هذا الأسلوب في المسائل التي حصل فيها خلاف بين أهل العلم من السلف والخلف لم يعهد في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فالحمد لله أعلم بالصواب .
- (٣) انظر : النبوات (٧٠٥-٧٠٧) .
- (٤) انظر : روح المعاني (٢٣٣/١) .
- (٥) انظر : الغنية في أصول الدين (ص : ١٦٧)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١)؛ وشرح النووي لصحيح مسلم (٣١/١٣)؛ ومبارك التريل (٨١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٣/١)؛ ونهر الخير على أيسر التفاسير (٤٧/١)؛ وتفسير سورة البقرة للدكتور / أمير عبد العزيز (ص : ٧٢) .
- (٦) انظر : تهذيب التفسير وتجرید التأويل (١٠٤/١)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٣٨) .
- (٧) هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى السعدي الدمشقي، المشهور بابن بدران، من دعاة السلفية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، له رسائل ومؤلفات في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٤٦ هـ . انظر : ترجمته في مقدمة الكتاب المذكور من أحد معاصريه ومن قبل المحقق (ص : ١٤-٢٤) .
- (٨) انظر بالترتيب : جواهر الأفكار ومعدن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص : ١٧٧)؛ وصفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للدوسري (٩٢/١)؛ وقصص آدم ويوسف للخطيب (ص : ٤١-٤٥)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٢٧٧/١)؛ ومع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣٩-٤٠)؛ وأبي آدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٥٩-١٦١)؛ والمصحف الميسر (ص : ٨) .

اليمن، وقيل : إنها كانت بأرض عدن^(١). وقيل : إنها كانت بأرض فلسطين. وقيل : إنها كانت بين فارس وكرمان^(٢).

وهذه الأقوال حكاهما غير واحد من المفسرين^(٣).

وقيل : إن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام كانت في قارة غير هذه القارات المعروفة الآن، بل هي قارة في جوف المحيط الآن، ويسمونها قارة " مو "، وإنها غرقت بحوادث زلزالية، واستقرت بسهولها وجبالها وما كان عليها من حيوان وشجر وزرع في أعماق المحيط الهندي، وكان قد مات بسبب غرقها نحو ستين مليوناً من الناس . هذا القول حكاه عبد الوهاب النجار عن بعض الباحثين في شأن البحار وأعماقها وما فيها من وهاد وجبال^(٤).

وقيل : إن هذه الجنة موجودة في الأرض إلى الآن، واسمها جنة البرزخ، وهي عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء، ويدخلها العارفون اليوم بأرواحهم لا بأجسامهم. وهذا القول ذكره الآلوسي عن الصوفية^(٥).

ولعل أغلب هذه الأقوال في تعيين مكان جنة الأبوين في الأرض جاءت متأثرة من الإسرائيليات بما جاء في التوراة المحرفة من أن تلك الجنة اسمها عدن ففيها : (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها و يحفظها ... فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها)^(٦) فجاءت هذه الأقوال بحثاً عن المكان المذكور في التوراة المحرفة باسم عدن، فقالوا بهذه الأقوال، مع أن جنة عدن اسم من أسماء جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وأيضاً العبارة المذكورة من التوراة المحرفة لا تدل على أن تلك الجنة كانت في الأرض^(٧)، وعلى احتمال دلالة ما فيها على أنها

(١) مدينة في اليمن على خليج عدن قرب باب المندب، كانت عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية منذ عام ١٩٧٠م حتى ١٩٩٠م . انظر : المنجد (الأعلام، ص : ٣٧٢) .

(٢) فارس : إقليم في إيران على الخليج، وكرمان أيضاً مدينة من مدن إيران . المنجد (ص : ٤٠٢ و ٤٦١) .

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤٢/١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤)؛ وروح المعاني (٢٣٣/١ و ٩٠/٨) .

(٤) انظر : قصص الأنبياء (ص : ١٠) .

(٥) انظر : روح المعاني (٢٣٣/١) .

(٦) سفر التكوين (١٥/٢ ، ٢٣/٣) .

(٧) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٤٣٠/١) .

كانت في الأرض لا يعتبر بها، لأنها لم تنقل إلينا نقلاً صحيحاً، فقد دخلها شيء كثير من الغش والتحريف والتبديل، وما لم يستند إلى نقل صحيح ونص صريح لا تقوم به حجة^(١).

وأما ما ذهب إليه الصوفية من أن تلك الجنة اسمها جنة البرزخ، وأنها عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء، وأنهم لا زالوا يدخلونها إلى الآن بأرواحهم، فهذا لا يعدو أن يكون هراء صوفياً قائماً على التخيلات الفاسدة والأوهام الكاذبة الباطلة.

وكذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين في أعماق البحار من أن تلك الجنة كانت في غير هذه القارات المعروفة في الأرض، وأنها غرقت بسبب حوادث زلزالية، وأنها في جوف المحيط في قارة اسمها "مو" فهذا القول كالذي قبله، ولا يعدو أن يكون رأياً قائماً على الظنون والأوهام والهوى، فهو قول ساقط مجرد عن الدليل والبرهان بل هو زعم بحت وليس له أي دليل.

أدلة القائلين بأن الأبوين كانا في غير جنة الخلد : وقد استدل أصحاب

هذا القول لما ذهبوا إليه بما يلي :

دليلهم الأول : قالوا : من المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من الأرض في الأرض للأرض، ويبان ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام في هذه الأرض من تربتها، وجعله خليفة فيها، ولم يذكر عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم : أن آدم عليه السلام نقل من الأرض إلى السماء، لا قبل الخلق ولا بعده، ولو كان تعالى قد نقله إلى السماء لكان ذلك أولى بالذكر، لأن نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم عليه، فدل ذلك على أنه لم يحصل، فعلم من ذلك أنه خلق في الأرض، وأن الجنة التي أسكن فيها كانت في الأرض ولم تكن في السماء^(٢). ولكن الأساس الذي بنوا عليه هذا الاستدلال غير ثابت إذ مداره على صحة القول بأن آدم عليه السلام خلق في الأرض، وقد ادعوا على ذلك الإجماع، وحكوا عدم الخلاف فيه، وهو لا يسلم لهم، فإن المكان الذي خلق فيه آدم عليه السلام مختلف فيه عند أهل العلم، وفيه عدة أقوال، وقد ذهب جماعة كبيرة من السلف والخلف إلى أن آدم عليه السلام لم يخلق في الأرض، وإنما خلق في السماء أو في الجنة، وقد سبق الكلام عن ذلك بالتفصيل مع بيان أن القول

(١) انظر : جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ... (ص : ١٧٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (٣/٣)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦)؛ ومفتاح دار السعادة (٢٦/١-٢٧) .

الراجع في المسألة هو القول بأن الله تعالى خلق آدم ﷺ في الجنة^(١).

وأما كونه خلق من مادة الأرض وتراهما فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض، وأنه أسكن في جنة كانت في الأرض، وكذلك كونه جعل خليفة في الأرض أيضا لا يدل على أنه خلق في الأرض، وأنه أسكن في جنة كانت في الأرض، فإن قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ إنما هو بمعنى إني سأجعله في الأرض خليفة ؛ لأن " جاعل " اسم فاعل، وهو هنا بمعنى الاستقبال، ولهذا انتصب عنه المفعول، قد سبق بيان أن اسم الفاعل إذ كان عاملا فيما بعده بالنصب تعين كونه بمعنى الاستقبال^(٢)، فالآية تدل على أن الأرض هي محل خلافته، وهذا لا ينافي أن يكون الله تعالى قد خلقه في غير الأرض وأسكنه في جنة الخلد فوق السماوات أولا ثم أنزله إلى الأرض التي جعله فيها خليفة^(٣).

وأما القول بأنه لم يرد نص صحيح برفعه إلى السماء، فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض أو أنه أسكن في جنة كانت في بقعة من بقاع الأرض، فإن عدم الدليل المعين لا يلزم منه عدم المدلول المعين، وكما أنه يجب على من يقول بأن آدم ﷺ لم يخلق في الأرض أن يثبت ذلك بالدليل، فكذلك يجب على من يقول بأنه خلق في الأرض أن يثبت ذلك بالدليل، وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام عن مكان خلق آدم ﷺ في الباب الأول^(٤).

دليلهم الثاني : قالوا : إنه لا يجوز في حكمة الله تعالى أن يتدنى الخلق في جنة يخلدهم فيها و لا تكليف؛ لأنه تعالى لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل، ولأنه لا يهمل عباده بل لا بد من ترغيب وترهيب، ووعد ووعد^(٥).

ولكن هذا الكلام غير صحيح فضلا أن يدل على صحة ما زعموا؛ فإن نعم الله وأياديه على عباده ليست بسبب منهم بل كلها فضل وكرم وعطاء وإحسان منه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه تعالى له المشيئة المطلقة، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد

(١) انظر : (ص : ٩١ - ١٠٢) .

(٢) انظر : (ص : ٢٨٠ - ٢٨٢) .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة (٢٦/١ - ٢٧) .

(٤) انظر : (ص : ٩٢) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٣/٣)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٢١) .

لقضائه، ولا يخلو فعل من أفعاله ولا أمر من أوامره عن حكمه وغاية حميدة، وقد نذكر بعضها وقد تحفى علينا فلا نذكرها، ولعل الحكمة في إسكان الأبوين في الجنة قبل أن يعملوا شيئا هو الابتلاء والاختبار والامتحان، لتكون هذه الصورة ماثلة أمام أعين ذريته دائما في الدنيا، ليكونوا دائما حريصين على فعل ما يقرهم من رضوان الله ورحمته حتى يفوزوا بالعودة إلى جنته، والدخول في دار كرامته، والتنعيم بما أعد الله لهم فيها رحمة منه وفضلا، وليكونوا دائما على حذر من الشيطان الذي أخرج أبويهم من الجنة، فإن أجابوا نداءه وقبلوا دعوته واتبعوا سبيله يكون مصيرهم مصيره وهو النار جزاء منه سبحانه وعدلا، وفي ذلك أعظم ترغيب وترهيب، وأكبر وعد ووعد، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ^(١).

دليلهم الثالث : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول فيها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، وأن من دخلها يكون من الخالدين فيها ولا يخرج منها، فلو كانت الجنة التي دخلها آدم عليه السلام جنة الخلد لأقام فيها ولم يخرج منها ^(٢).

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن القول : إن جنة الخلد إنما يقع الدخول فيها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار وخلود ودوام، وأما الدخول العارض فلا مانع من وقوعه قبل يوم القيامة بإذن الله تعالى ومشئته، وقد أجمع أهل التأويل أن الملائكة يدخلون الجنة ويخرجون منها، وثبت أن إبليس كان يدخل الجنة قبل معصيته ثم أخرج منها ^(٣)، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة المعراج ثم خرج منها وأخبر بما رأي فيها، وأرواح الشهداء في البرزخ في الجنة، وهذا كله دخول عارض من غير خلود فيها قبل يوم القيامة، فكذلك ليس هناك ما يمنع من دخول آدم وزوجه عليهما السلام فيها دخولا غير خالد فيها قبل يوم القيامة ^(٤).

دليلهم الرابع : قالوا : إن جنة الخلد هي دار القدس؛ قدست عن الخطايا والمعاصي كلها، وأنها مقعد صدق، فليس فيها كذب ولا لغو ولا تأثيم، وأهلها منعمون فيها، فلا يحسبهم فيها نصب، ولا يصيبهم فيها خوف ولا حزن، لأنها ليست دار حزن وخوف

(١) انظر : مفتاح دار السعادة (٩/١)؛ ومقديب التفسير... (١٠٥/١)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر الحمد (ص : ٣٨) .

(٢) انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص : ٢٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١١/١) .

(٣) انظر : حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم في صحيحه، وقد سبق ذكره وتخريجه في (ص : ٩٩) .

(٤) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢٠/١٠) .

ونصب، وليست دار تكليف وتحذير بل هي دار أمن وراحة و سلام، ودار جزاء وإنعام وإكرام، ويكون من دخلها منعما فيها دائما، ولا يخرج منها أبدا... وهذه الصفات لا تصدق على الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام؛ فقد لغا فيها إبليس حين كذب على آدم ﷺ وأثم في كذبه، ولم يسلم فيها الأيوان من الفتنة والابتلاء، فأكلا من الشجرة المحرمة، فأصابهما فيها حزن وخوف ونصب، وفي الأخير أخرجا منها، وهذا كله يدل على أن آدم ﷺ لم يكن في جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة^(١).

و لكن تعقب هذا الاستدلال من وجهين : أحدهما إجمالي، والآخر تفصيلي .

أما التعقب الإجمالي فذلك أنه لا شك أن الله تعالى خلق الجنة لا لغو فيها ولا تأثيم، ولا كذب، ولا يخرج منها من دخلها... ولكن إنما يكون ذلك كله يوم القيامة إذا دخلها أهلها جزاء عملهم بعد ما قضوا عمرهم في الدنيا في طاعة الله تعالى، وماتوا على دين الأنبياء والمرسلين، وتفضل الله عليهم بدخول الجنة، فهؤلاء هم الذين لا يخرجون منها، ولا يتحولون عنها، ويكونون فيها منعمين بجميع أنواع النعم التي لا يمكن أن نتصورها ونحن في دار الدنيا الفانية .

قال تعالى : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار

الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾^(٢) .

فطاعة الله وتقواه والإحسان في عبادته والإحسان إلى عباده في هذه الدنيا هو الذي يوصل إلى جنة النعيم المقيم التي يدخلها المتقون يوم القيامة، فيحصل لهم الأمن العام والسلام التام ويتحقق لهم فيها كل ما يشاءون .

فسائر الوجوه التي ذكرت في الجنة وأنها منتفية في الجنة التي سكنها آدم ﷺ من اللغو والكذب والنصب والعري وغير ذلك فهذا كله حق لا ينكره أحد من المسلمين ولكن إنما يكون ذلك إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فلا مانع أن يحصل فيها ما حكاه الله تعالى عن آدم ﷺ وإبليس ابتلاء واختبارا، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين فيها إلى ما أخبر الله

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٣١٩/١٠) وحادي الأرواح (ص : ٢٥ - ٢٦) ؛ ومفتاح دار السعادة (١١/١ - ١٢) .

(٢) النحل الآيات : ٣٠ - ٣٢

عز وجل، فلا تنافي بين الأمرين ^(١).

أما التعقب المفصل فذلك بما يلي :

أولاً : قولهم : إن الجنة دار جزاء وثواب، وليست دار تكليف وتحذير ، وقد كلف الله فيها آدم عليه السلام بالسني عن الشجرة فيمكن أن يقال في جوابه : إن ذلك إنما يمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف، وأما امتناع وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل عليه البتة، كيف وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت : لمن هذا القصر؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ...)) الحديث ^(٢).

فیدل هذا الحديث على أنه لا يمتنع أن يكون في الجنة من يعمل بأمر الله، ويعبد الله تعالى قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع، فإن من فيها الآن مؤمنون بأوامر من قبل ربهم، وسواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يسم ^(٣).

ثم إن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ونحوها، وإنما كان حجراً عليه في شجرة من جملة أشجارها، وهذا لا يمتنع وقوعه في جنة الخلد؛ كما أن كل أحد منهم محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ^(٤).

وأما القول بأن الجنة دار القدس، وقد طهرها الله من الخطايا...، فيمكن أن يقال في جوابه : إنه لا شك أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة، وهي بالشام، وقد أجمع أهل الشرائع السماوية على أن الله تعالى قدسها، وقد شاهدوا فيها المعاصي والكفر والكذب، ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي، ولا يقال : إنها غير مقدسة لما وقعت فيها من المعاصي، ولا يسلب لأجلها هذا الاسم المقدس المبارك منها، فكذلك ما حصل في الجنة من كذب إبليس اللعين، ومن

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٣٢٠/١٠)؛ وحادي الأرواح (ص : ٣٢-٣٣)؛ ومفتاح دار السعادة

(١٨/١٩)؛ وتهذيب التفسير وتحريريد التأويل (١٠٤/١-١٠٥)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٣٨)،

المصدران الأخيران للشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد - حفظه الله - .

(٢) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : ما جاء في صفة الجنة وأهل مخلوقة ١١٨٥/٣ ح : ٣٠٧٠) .

(٣) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣)؛ ومفتاح دار السعادة (١٩/١) .

(٤) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

أكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة المحرمة لا يجعل أن تلك الجنة غير مقدسة، ولا يمنع أن تكون هي جنة الخلد، وحصل فيها ما حصل بتقدير الله سبحانه وتعالى ابتلاء منه . ثم هي تكون مقدسة عن اللغو والمعاصي كلها إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ^(١).

وأما القول بأن من دخلها لا يخرج منها فقد سبق الجواب عن ذلك بأن النبي ﷺ دخلها ثم خرج منها، وأن الملائكة يدخلون فيها ويخرجون منها، وأن إبليس كان يدخل فيها ثم أخرج منها، فكذلك دخلها آدم ﷺ وخرج منها، وأما الذي لا يخرج منها فهو من تفضل الله عليه بالدخول يوم القيامة .

دليلهم الخامس : ما جاء في حديث أبي بن كعب ؓ أنه قال : إن آدم ﷺ لما حضره الموت قال لبنيه : أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم : يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ أو ما تريدون وأين تذهبون ؟ قالوا : أبونا مريض، فاشتهدى من ثمار الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضى قضاء أبيكم ... الحديث ^(٢) .

قالوا : فلو لا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهدى منها القطف ممكنًا لما ذهبوا يطلبون ذلك ، فدل على أنها في الأرض لا في السماء ^(٣).

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٣٢١-٣٢٠/١٠) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٣/١) موقوفاً؛ وابن أبي شيبة في المصنف (الجنائز ، ما أول ما يلزم به غسل الميت ٢٤٣/٣) موقوفاً بالاختصار؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد للسند (١٦٢/٣٥-١٦٣ ح : ٢١٢٤٠) موقوفاً، واللفظ له؛ والبيهقي في الكبرى (الجنائز، ب : الحنوط للميت ٤٠٤/٣) مرفوعاً وموقوفاً؛ والدارقطني في السنن مرفوعاً وموقوفاً بالاختصار (الجنائز، ب : مكان قبر آدم والتكبير عليه أربعاً ٧١/٢)؛ وكم (الجنائز، قصة وفاة آدم ٣٤٤/١-٣٤٥) مرفوعاً، وقال : (هنا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من النوع الذي لا يوجد للتابعي إلا الراوي الواحد، فإن عتي بن ضمرة السعدي ليس له راو غير الحسن، وعندي أن الشيخين علاه بعله أخرى، وهو أنه روي عن الحسن عن أبي دون ذكر عتي)، وتعبه الذهبي فقال : (لم يخرجاه لأن عتي بن ضمرة لم يرو عنه غير الحسن وله علة)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩٨/١) عن رواية عبد الله بن الإمام أحمد : (إسناده صحيح إليه)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٩/٨) : (رواه عبد الله بن الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عتي بن ضمرة وهو ثقة)، وقال الشيخ عمر سليمان الأشقر في (صحيح القصص النبوي ص : ٢٦) : (هنا الحديث وإن كان موقوفاً على أبي بن كعب، فإن له حكم الرفع، فإنه مما لا يقال بالرأي) . وقال الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٠٦/٦ ضمن كلامه على حديث : ٢٨٧٢) : (جملة القول إن الحديث عن أبي صحيح مرفوعاً وموقوفاً) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (٧٦/١) .

قال الحافظ ابن حجر : (والجواب إن الحديث في الأصل فيه ضعف، وإن صح فيحتمل أن يكونوا ذهبوا يحضرون القطف من شجرة أخرج أصلها معه من الجنة لما أهبط فغرسها في الأرض)^(١).

وهذا التوجيه أقرب إلى الصواب، ويتأكد ذلك بما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير^(٢).

وكذلك قول الملائكة لبني آدم : ((ارجعوا فقد قضى قضاء أبيكم)) يدل على أن الجنة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد إذ فيها دلالة على أن آدم عليه السلام قد حان وقت موته فهو الآن سيتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة فيكرم فيها بما يشتهي من ثمار الجنة، ولا شك أن تلك الجنة ليست في الأرض، والله أعلم بالصواب .

دليلهم السابع : قالوا : لا شك أن إبليس لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام طرد من الحضرة الإلهية، وأمر بالخروج عنها والمهبط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته، وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع، وسياق الآيات القرآنية يدل على أن إبليس خاطب آدم وحواء عليهما السلام في الجنة شفاها، فلو كانت الجنة التي أسكنها فيها هي جنة الخلد التي فوق السماوات ما كان لإبليس أن يصل إليها بعد هذا الطرد والرحم والإبعاد^(٣).

وهذا الاستدلال لا شك أنه قوي ولكن يمكن أن يقال في جوابه ما ذهب إليه جماعة من المفسرين^(٤) من أن هبوط إبليس من السماء لم يكن فور امتناعه من السجود بل أخرج إبليس من الجنة بعد الاستكبار، وأسكن فيها الأبوان فأكلا من الشجرة، ثم أهبطوا جميعا، وقد استأنس هؤلاء لما ذهبوا إليه بقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * ﴾ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث

(١) تحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١١٣) .

(٢) حديث ورد مرفوعا وموقوفا، وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد سبق تخريجه في (ص : ٢٩٩) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١/ ٧٦)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦-٢٨)؛ ومفتاح دار السعادة (١/ ١٢ و ٢٣) .

(٤) وهم ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي عليه السلام كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٩) .

بإسناده من طريق السدي إليهم ولكن هذا الإسناد فيه كلام كما تقدم بيان ذلك في (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٦٨) ، وبه

قال الثعالبي أيضا في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١٢/٣) .

شتمًا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ^(١) .

قال أبو جعفر الطبري : (وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال : إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم ﷺ ، وأسكنها آدم ﷺ قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض ، ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا فيها رغدا حيث شئنا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر ؛ لأن سجود الملائكة لآدم ﷺ كان بعد أن نفخ فيه الروح وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له ، وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة) ^(٢) .

فإن صح هذا التفسير يكون إبليس قد أغوى الأيوين في الجنة قبل أن يهبط من السماء إلى الأرض ، ثم أهبط الأيوين وإبليس كلهم إلى الأرض ، وهذا توجيه قريب من النظم القرآني ، والله أعلم بالصواب .

وعلى تقدير أن إبليس أهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم ﷺ ، وبقي الأيوين في الجنة فلا يتمتع أن يصعد إبليس إلى هنالك صعودا عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه ، وإن لم يكن ذلك المكان مقعدا له ومستقرا كما كان من قبل .

وقد أخبر الله سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي قال تعالى : ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ ^(٣) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خير السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ،

(١) البقرة الآيات : ٣٤-٣٦

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٩/١) .

(٣) الجن الآية : ٩

فرجعت الشياطين، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب . قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ؟ فانطلقوا، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو قهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأما به، ولن نشرك بربنا أحدا . وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع مقرن الجن ﴾ ^(١)، وإنما أوحى إليه قول الجن ^(٢).

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زاد فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث في أرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة ، فأتوه فأخبروه، فقال : هذا الذي حدث في الأرض ^(٣) . وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض، لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه، وقد قال الله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ^(٤) فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فكذلك يحتمل أن يكون إبليس قد صعد إلى السماء صعودا عارضا لإغواء الأبوين بتقدير الله سبحانه وتعالى للامتحان والاختبار لهما، والله أعلم بالصواب ^(٥).

(١) الجن الآية : ١

(٢) أخرجه خ (التفسير، سورة الجن ١٨٧٣/٤ ح : ٤٦٣٧)، واللفظ له؛ وم (الأذان، ب : الجهر بالقراءة في الصباح والقراءة على الجن ٣٣١/١ ح : ٤٤٩) .

(٣) أخرجه حم (٢٨٣-٢٨٤ ح : ٢٤٨٢)؛ وت (التفسير، ب : ومن سورة الجن ٤٢٧/٥ ح : ٣٣٢٤)، واللفظ له؛ وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦-٣٧/٢٣)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح)، وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٣/٣٦١ ح : ٣٣٢٤) .

(٤) البقرة الآية : ٣٦ و الأعراف الآية : ٢٤

(٥) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣) .

وهناك توجيه آخر وهو محكي عن وهب بن منبه إذ قال : (... كان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا ؟)، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات حتى رفع الله عيسى ابن مريم فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمدا ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب، ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا ﴾ إلى قوله : ﴿ شهابا رصدا ﴾^(١) ... (٢) .

دليلهم الثامن : قالوا : قد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم ﷺ : ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾^(٣) فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم ﷺ جنة الخلد والملك الذي لا يبلى، فكيف غره إبليس بالطمع في الخلود ؟ ولماذا لم يرد عليه آدم ﷺ وقال له : كيف تدلني على شيء أنا فيه، وقد أعطيته ؟ فلو كانت الجنة التي سكنها آدم ﷺ هي جنة الخلد لما ركن إلى قول إبليس، ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره اللعين بما أطعمه فيه من الخلد^(٤).

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن أكل آدم من الشجرة المحرمة رجاء الخلد في الجنة لا يصح به الاستدلال على أنهما كان في بستان من بساتين الدنيا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما أسكنهما في الجنة لم يخبرهما بأنهما سيكونان فيها من الخالدين بل كان في علم الله سبحانه وتعالى أنهما سيخرجان منها، وأكلهما من الشجرة المحرمة رجاء الخلد كان ظنا منهما وغرورا بمقالة اللعين، ولذلك لم يحصل لهما ما أرادا، فلم يكن أكلهما من الشجرة صوابا،

(١) الجن الآيتان : ٨-٩

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧/١٧)، بإسناده إليه، وهو لا يقل عن درجة الحسن؛ فإن رجاله ما بين ثقة وصدوق ولكن هذا الأثر المحكي عنه طويل، وفيه قسط كبير من الإسرائيليات التي لا يمكن الاعتماد عليها، إلا أن محل الشاهد منه لا بأس به؛ لما ثبت عندنا من أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء لاستماع الأخبار قبل بعثة النبي ﷺ ثم حجوا عنها، والله أعلم بالصواب .

(٣) طه الآية : ١٢٠

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦)؛ ومفتاح دار السعادة (١٢/١) .

كما لم يكن ظنهما في الأكل منها بأنه يسبب لهما الخلود في جنة الخلد صواباً، وإنما كان ذلك ظناً منهما، وما كان هذه صفته لا يصح الاحتجاج به ^(١).

ولسو كان الأبوان في غير جنة الخلد وقال لهما إبليس : هل أدلك على شجرة الخلد لقالا له : لا يمكن أن تكون شجرة الخلد في دار الفناء والزوال، فكيف تكذب علينا يا لعين ؟ ولكنه لما كانا في جنة الخلد غرهما إبليس بكلامه الكاذب المعسول المسموم ^(٢).

دليلهم التاسع : قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم ﷺ لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن عمره أجلاً ينتهي إليه، وأنه لم يخلقه للبقاء كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ﷺ ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله، فحمد الله بأذنه فقال ربه : يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس قفل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ، ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له - ويداه مقبوضتان - : اختر أيهما شئت . فقال : اخترت يمين ربي وكلنا يديه يمين مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال : يا رب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك . فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتب له عمراً أربعين سنة . قال : يا رب زده في عمره . قال : ذلك الذي كتب له . قال : أي رب، فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال أنت وذلك . قال : ثم اسكن الجنة ما شاء الله ثم اهبط منها ، فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه . قال : فأتاه ملك الموت . فقال له آدم : قد عجلت قد كتبت لي ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لأبنك داود ستين سنة . فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته . قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود ^(٣).

قالوا : فهذا صريح في أن آدم ﷺ لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلوماً، فذلك يشعر أن آدم ﷺ كان أسكن في دار الفناء التي خلق فيها ^(٤).

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن هذا الحديث ليس فيه دلالة على أن آدم ﷺ خلق في

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٤) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١) .

(٣) حديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .

(٤) انظر : حادي الأرواح (ص : ٢٨)؛ ومفتاح دار السعادة (٢٦-٢٥/١) .

بقعة من بقاع الأرض في هذه الدنيا، كما أنه ليس فيه دلالة على أنه أسكن في بستان من بساتين الدنيا بل غاية ما فيه أن الله أخبر أبا البشر بأنه تعالى جعل له أجلا محدودا ينتهي إليه، وهذا لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها لمدة معينة ووقت محدود^(١).

القول الرابع : إن هذه الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام هي جنة الخلد التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة . وهذا القول ذهب إليه أبو العالية^(٢) وعبد الله بن وهب بن مسلم^(٣) وأبو نصر فتح الموصلي^(٤) وأبو عيسى الرماني^(٥) وابن أبي زيد القيرواني^(٦) وأبو الفتح سليم الرازي^(٧) وابن بطلال^(٨) وابن حزم^(٩) والبزدي^(١٠) والكرماني^(١١).

-
- (١) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣) .
(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤/١ - ١٢٥ برقم : ٣٧٥) بإسناده إليه أنه قال : (خلق الله آدم يوم الجمعة ، وأدخله الجنة يوم الجمعة ، فجعله في جنات الفردوس) وهذا الإسناد فيه كلام ، وقد سبق تفصيله في (ص : ٣٤١ - ٣٤٢) إلا أن قوله هذا موافق لما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة ولأقوال الأئمة الآخرين ، وسيأتي ذكرها .
(٣) انظر : سبق توثيق قوله في (ص : ٩٥ - ٩٦) .
(٤) ذكر الرازي في تفسيره (١٨/٣) عنه أنه قال : (كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا ، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها) ، والموصلي هو أبو نصر فتح بن سعيد الموصلي ، كان من الزهاد الأشراف ، توفي سنة ٢٢٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٨٣/١٠ - ٤٨٤) .
(٥) ذكر عنه ابن القيم في حادي الأرواح (ص : ١٩) ، والرماني لعله أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي ، صنف في التفسير واللغة والنحو والكلام ، وكان من أوعية العلم على بدعته ، توفي سنة ٣٨٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٣٣/١٦ - ٥٣٤) .
(٦) انظر : الرسالة (ص : ٩) ، والقيرواني هو عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، شيخ المالكية بالمغرب ، يقال له مالك الصغير ، له مواقف مشهورة ضد أهل البدع ، توفي سنة ٣٨٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/١٠) .
(٧) انظر : تفسير ضياء القلوب (ص : ١٢٤) ، وأبو الفتح هو سليم بن أيوب بن سليم الرازي ، الشافعي ، فقيه أصولي مفسر محدث ، وعالم بالنحو واللغة والمعاني ، توفي سنة ٤٤٧ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٤٣/٤) .
(٨) انظر : شرح صحيح البخاري (٣١٩/١٠ - ٣٢١) ، وابن بطلال هو علي بن خلف بن عبد الملك البكري ، من كبار المالكية ، كان من أهل العلم والمعرفة ، وعني بالحديث عناية خاصة ، توفي سنة ٤٤٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨) .
(٩) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٤) .
(١٠) انظر : أصول الدين (ص : ١٦٥ - ١٦٦) ، و البزدي هو محمد بن محمد بن الحسين البزدي ، من كبار الحنفية ، فقيه أصولي ، توفي سنة ٤٩٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٩/١٩) ؛ ومعجم المؤلفين (٢١٠/١١) .
(١١) انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١٣٤/١) ؛ وأسرار التكرار في القرآن (ص : ٢٦) ، والكرماني هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، المعروف بتاج القراء ، مفسر مقرئ فقيه نحوي ، توفي في حدود سنة ٥٣٥ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٦١/١٢) ، وله ترجمة واسعة من قبل المحقق في بداية تفسيره المذكور .

والقاضي عياض^(١) وابن عطية^(٢) ومحمود بن أبي الحسن الغزنوي^(٣) وصالح بن الحسين الهاشمي^(٤) والقرطبي^(٥) والنووي^(٦) والبيضاوي^(٧) والنسفي^(٨) والخازن^(٩) وشيخ الإسلام ابن تيمية في أحد قوليه^(١٠)، وعمر الفاكهاني^(١١) وابن جزى الكلبي^(١٢) وابن القيم^(١٣)

(١) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٣٨/٨)، ونقله ابن حجر في فتح الباري (٥١٢/١١)، والقاضي هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، من كبار المالكية، إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلمه، كان شديدا في الحق، توفي سنة ٥٤٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٢/١)، وابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، من كبار المالكية، كان عارفا بالأحكام والحديث والتفسير واللغة العربية، توفي سنة ٥٤٦هـ . انظر : التفسير والمفسرون (٢٣٨-٢٣٩) .

(٣) انظر : باهر البرهان في مشكلات القرآن (الجزء الأول من التحقيق ص : ٦٦)؛ والغزنوي هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، مفسر فقيه أديب لغوي شاعر، توفي بعد سنة ٥٥٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٧/١٢)، وله ترجمة واسعة من قبل المحقق للكتاب المذكور .

(٤) انظر : فتح من حرف التوراة والإنجيل (٢١٦-٢١٧)، والهاشمي هو صالح بن الحسين بن طلحة الهاشمي الجعفري، أديب لغوي، فقيه أصولي، متأثر بالأشعرية، توفي سنة ٦٦٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (٦/٥)؛ ومقدمة محقق الكتاب .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢-٣٠٣) .

(٦) انظر : شرح صحيح مسلم (٣١/١٣)، والنووي هو يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي، فقيه محدث حافظ لغوي، توفي سنة ٦٧٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٠٢/١٣) .

(٧) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤٢/١)، والبيضاوي هو القاضي عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، عالم بالفقه والتفسير والعربية، من المتكلمين، توفي سنة ٦٨٥هـ، قبل : سنة ٦٩١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٩٨-٩٧/٦)؛ والتفسير والمفسرون (٢٩٦-٢٩٧) .

(٨) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٨١/١)، والنسفي هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الحنفي، أحد الزهاد وصاحب التصانيف، توفي سنة ٧٠١هـ . انظر : التفسير والمفسرون (٣٠٤/١) .

(٩) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل (٦٥/١)، والخازن هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، البغدادي الشافعي الصوفي، المعروف بالخازن، كان من أهل العلم، توفي سنة ٧٤١هـ . انظر : التفسير والمفسرون (٣١٠/١) .

(١٠) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧-٣٤٩) .

(١١) انظر : التحرير والتجوير (لوحة : ٥٥ ب)، والفاكهاني هو عمر بن علي بن سالم اللخمي الفاكهاني، عالم بالفقه والحديث والأصول والعربية، توفي سنة ٧٣١هـ وقيل بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٩/٧) .

(١٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/١)، والكلبي هو محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، المعروف بابن جزى، عالم بالتفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول، توفي سنة ٧٤١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٨٥/٨) .

(١٣) العلامة ابن القيم - رحمه الله - هو أكثر من توسع في هذه المسألة، وذلك في كتابه : (حادي الأرواح ص : ١٩-٣٤)؛ و(مفتاح دار السعادة ١١/١-٣٢)، فذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة، وبما احتج به كل واحد منهم من

ويوسف بن عمر الأنفاسي^(١) وابن رجب^(٢) والأبي^(٣) وقاسم بن ناجي^(٤) والحافظ ابن حجر^(٥)

الأدلة، ومالها وما عليها، ولكنه لم يرجح هنا قولاً على قول، وتبعه في ذلك كثيرون ممن جاء بعده إلا أن ابن القيم جاء عنه في كتابيه المذكورين وغيرهما من كتبه ما يدل على أنه يرى أن الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، فقال في قصيدته النونية : (فصل في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالحن ومهورهن ص : ٣٧١-٣٧٢ برقم : ٥٢٣٧-٥٢٣٩) ثم قال : (فيظل بالجمرات يسعى قلبه :: هذي مناسكه وكل زمان . والناس قد قضوا مناسكهم وقد :: حثوا ركاتهم إلى الأوطان . وحدت بهم همهم لهم وعزائم :: نحو المنازل أول الأزمان) . قال ابن عيسى في شرح هذه الأبيات (٥٤٣/٢) : (يعني : إلى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليهما السلام) ، وقال ابن القيم في (حادي الأرواح ص : ٧) : (فحي على جنات عدن فإنها :: منازل الأولى وفيها المخيم . ولكننا سبي العدو فهل ترى :: نعود على أوطاننا ونسلم) ، وهذه الأبيات أيضاً موجودة في القصيدة الميمية كما في شرحها (ص : ٨٦-٨٧ برقم : ١٩٥-١٩٦) . وقال في مفتاح دار السعادة (١٥٠/١-١٥١) : (وإذا كانت الروح نحن أبداً إلى وطنها من الأرض، مع قيام غيره مقامه في السكنى، وكثيراً ما يكون غير وطنها أحسن وأطيب منه، وهي دائماً نحن إليه مع أنه لا ضرر عليها ولا عذاب في مفارقتها إلى مثله، فكيف بخينها إلى الوطن الذي في فراقها له عذابها وآلامها وحسرتها التي لا تنقضي، فالعبد المؤمن في هذه الدار سبي من الجنة إلى دار التعب والعناء ثم ضرب عليه الرق فيها، فكيف يلام على حينه إلى داره التي سبي منها، وفرق بينه وبين من يحب، وجمع بينه وبين عدوه ؟ فروحه دائماً معلقة بذلك الوطن وبدنه في الدنيا، ولي من أبيات في ذلك) ، وذكر البيتين المذكورين من الميمية، وذكر ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات الخنابلة (٤٤٨/٢-٤٥٢) في ترجمة ابن القيم : أنه لازم مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وأنه سمع عليه القصيدة النونية الطويلة، وكذلك القصيدة الميمية، وذكر الأبيات المذكورة من القصيدة الميمية فيما سمعه من شيخه ابن القيم . فيظهر من هذه العبارات المنقولة من كتب ابن القيم أنه يرى أن الجنة التي أسكن فيها الأيوون قبل الهبوط إلى الأرض هي جنة الخلد التي يدخلها المتقون من عباد الله يوم القيامة، ولا سيما القصيدتان الميمية والنونية كلتاها مما قرئت عليه في السنة الأخيرة من عمره أو قبلها بقليل، فالظاهر أن هذا هو القول الراجح في المسألة عنده، وأنه هو المختار لديه، وأنه هو الذي كان عليه إلى آخر حياته - رحمه الله رحمة واسعة - ، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (لوحة : ٢٠ ب) ؛ والأنفاسي هو يوسف بن عمر الأنفاسي، كان صالحاً متفقهاً بالمالكية، توفي سنة ٧٦١هـ . انظر : الأعلام (٢٤٤/٨) ؛ ومعجم المؤلفين (٣٢٠/١٣) .

(٢) انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص : ٦٧-٧٢) ، وابن رجب هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب، من تلامذة الإمام ابن القيم، علامة محدث فقيه أصولي مؤرخ، عالم بعلوم الحديث، توفي سنة ٧٩٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١٨/٥) .

(٣) انظر : إكمال إكمال المعلم (٨٥/٧) .

(٤) انظر : شرح العلامة قاسم على متن الرسالة لابن أبي زيد (٥٣/١) ، وابن ناجي هو قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، فقيه حافظ، ولي القضاء في عدة أماكن، توفي سنة ٨٣٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١٠/٨) .

(٥) انظر : فتح الباري (٤٣٣/١١ ، ٥١٢) .

والعيني^(١) وأبو العباس القلشاني^(٢) وأحمد زروق الفاسي^(٣) والقسنطاني^(٤) وابن كمال باشا^(٥) وعلي المنوفي^(٦) ومحمد التتائي^(٧) وملا علي القاري^(٨) والخفاجي^(٩) والزرقاني^(١٠) وأحمد النفراوي^(١١) وعلي الصعيدي العدوي^(١٢) وابن عاشور^(١٣)، وجماعة من المتأخرين والمعاصرين منهم الشيخ محمد بن أحمد المورتاني^(١٤) ومصطفى الحصن المنصوري^(١٥) وأبو الحسن عبيد الله المباركفوري^(١٦)

- (١) انظر : عمدة القاري (٦٠/١٩)، والعيني هو محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، فقيه أصولي مفسر محدث مؤرخ لغوي، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٠/١٢) .
- (٢) انظر : شرح القلشاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٨٢/١ - ٢٨٣) بتحقيق : عبد الوهاب بن محمد جامع إيلشن، ووافقه المحقق، والقلشاني هو أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي، فقيه خطيب مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨٦٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢٣/٢) .
- (٣) انظر : شرح العلامة أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد (٥٢/١)، والفاسي هو أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي، الشهير بزروق، فقيه محدث، توفي سنة ٨٩٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٥/١) .
- (٤) انظر : إرشاد الساري (٢٧/١٤) .
- (٥) انظر : تفسير ابن كمال باشا (ص : ١٢٤)، وابن كمال هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الشهير بابن كمال باشا، عالم مشارك في كثير من العلوم، توفي سنة ٩٤٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣٨/١) .
- (٦) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥-٣٤/١) .
- (٧) انظر : تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٨٩/١) .
- (٨) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٢٣/١) .
- (٩) انظر : عناية القاضي وكفاية الرازي (٢١١-٢١٠/٢)، والخفاجي هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، لغوي أديب مفسر، توفي سنة ١٠٦٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٣٨/٢) .
- (١٠) انظر : شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك (٢٤٣/٤) .
- (١١) انظر : الفواكة الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٣-٨٢/١) .
- (١٢) انظر : حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)، والعدوي هو علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدي العدوي المالكي الأزهري الشهير بالصعيدي، فقيه محدث أصولي متكلم منطقي، توفي بالقاهرة سنة ١١٨٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣٠-٢٩/٧) .
- (١٣) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٤٣١-٤٣٠/١) .
- (١٤) انظر : الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٩-٢٧/١)، والمورتاني هو محمد بن أحمد الشنقيطي المورتاني الملقب بالدهاء، كان حيا عام ١٣٧٩هـ . عندما طبع كتابه هذا لأول مرة .
- (١٥) انظر : المقطف من عيون التفاسير (٦٨/١)، والمنصوري هو مصطفى بن ميمش بن الحسين الخيري الحصني المنصوري، كان عالما فاضلا، شارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٩٠هـ . انظر : ترجمته بقلم أحد معاصريه الأستاذ إبراهيم طانير في مقدمة كتابه المذكور (٨-٧/١) .
- (١٦) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦١/١)، المباركفوري هو أبو الحسن عبيد الله بن العلامة

ومحمد بن صالح العثيمين^(١) وعبد المحسن بن حماد العباد البدر^(٢) وعبد القادر شيبه الحمد^(٣) وأبو بكر جابر الجزائري^(٤) ومحمد الطيب النجار^(٥) ومحمد علي الصابوني^(٦) وأمير عبد العزيز^(٧) والأمين الحاج محمد أحمد^(٨) وغيرهم ، وهذا هو القول المشهور، وعليه عامة أهل السنة والجماعة^(٩) .

وكذلك هناك جماعة من أهل العلم لم ينصوا على أن الجنة التي كان فيها الأبوان هي جنة الخلد ولكن يفهم من كلامهم أنها هي عندهم؛ لأنهم استدلوا بإسكان الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام في الجنة على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، في ردهم على من زعم من الجهمية ومن وافقهم على أنها غير مخلوقة وغير موجودة الآن، وأن الله تعالى سيخلقها يوم القيامة .

وممن استدل من أهل العلم بقصة الأبوين على كون الجنة مخلوقة وموجودة الآن الآجري^(١٠) وابن أبي زمنين^(١١) والسيهقي^(١٢) والجويني^(١٣)

بـ

- محمد عبد السلام بن خان محمد الرحمان، من أخص تلاميذ أبي العلاء محمد عبد الرحمن المباركفوري، توفي أبو الحسن سنة ١٤١٤هـ . انظر ترجمته في مقدمة كتابه المذكور من قبل أحد المعاصرين له (ص : ٩-١٠) .
- (١) انظر : أحكام من القرآن الكريم [الفاتحة والبقرة] (ص : ١٦٨) .
- (٢) انظر : قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص : ١٢٩) .
- (٣) انظر : تهذيب التفسير و تجريد التأويل (١٠٤/١-١٠٥)؛ وقصص الأنبياء له (ص : ٣٧-٣٨) .
- (٤) انظر : نهر الخير على أيسر التفاسير [مطبوع مع أيسر التفاسير] (٤٧/١) .
- (٥) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٨-٦١) .
- (٦) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٢٩-١٣٠)؛ وصفوة التفاسير (٣٧/١)؛ وفي تحقيقه لكتاب (المقتطف من عيون التفاسير ٦٨/١) لمؤلفه : مصطفى الحصن المنصوري المتوفى ١٣٩٠هـ (٦٨/١-٦٩) .
- (٧) انظر : تفسير سورة البقرة (ص : ٧٢) .
- (٨) انظر : شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة (ص : ٣٥٧-٣٥٨) .
- (٩) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢١/١٠)؛ وغرائب التفسير و عجائب التأويل (١٣٤/١)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/١)؛ وعمدة القاري (٦٠/١٩)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٨/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٣٠/١) .
- (١٠) انظر : الشريعة (١٣٤٣-١٣٤٦) .
- (١١) انظر : أصول السنة (ص : ١٣٤) .
- (١٢) انظر : البعث والنشور (ص : ١٣٩-١٤١) .
- (١٣) انظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد (ص : ٣١٩)، والجويني هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف، كانت عنده هفوة الاعتزال والاشتغال بعلم الكلام، ثم رجع عنها، توفي سنة ٤٧٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨-٤٧٧) .

وابن الجوزي^(١) وعبد الرحمن الإيجي^(٢) والبابري^(٣) وسعد الدين التفتازاني^(٤) وعبد الوهاب الشعراني^(٥) والكافي البوسنوي^(٦) وحافظ الحكمي^(٧).

ولا شك أن الخلاف بين الجهمية ومن وافقهم وبين أهل السنة دائر عن جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ؛ أعني في كونها مخلوقة أو غير مخلوقة الآن، وليس عن جنة من جنات الدنيا وحديقة من حدائقها. فيمكن أن يقال أن هؤلاء العلماء الذين استدلووا بقصة الأبوين على كون الجنة مخلوقة موجودة هم أيضا يرون أن الجنة التي كان فيها الأبوان هي جنة الخلد؛ إذ لو كانت غيرها عندهم لم يستدلوا بهذه القصة والله أعلم.

أدلة القائلين بأن الأبوين كانا في جنة الخلد :

استدل أصحاب هذا القول بما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(٨) قالوا : الجنة جاءت معرفة بلام التعريف، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد

- (١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٩٦/١) .
- (٢) انظر : المواقف في علم الكلام (٤٨٥/٣) ، والإيجي هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١٩/٥) .
- (٣) انظر : شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (ص : ١٣٣) ، والبابري هو محمد بن محمد بن محمود الباطني، الرومي الحنفي، فقيه أصولي فرضي مفسر محدث نحوي باني، توفي سنة ٧٨٦هـ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٩٥-١٩٩) ؛ ومعجم المؤلفين (٢٩٨-٢٩٩/١١) .
- (٤) انظر : شرح العقائد النسفية (ص : ١٦٩) ، والتفتازاني هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٩١هـ وقيل بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (٢٢٨/١٢) .
- (٥) انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (١٧٢/٢) ، والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري، فقيه أصولي صوفي، توفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢١٨/٦) .
- (٦) انظر : نور اليقين في أصول الدين (ص : ٢٢٠) ، والكافي هو حسن بن طور خان بن داود الأقحصاري، المشهور بالكافي البوسنوي، من كبار علماء العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوربية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، توفي سنة ١٠٢٤هـ . انظر ترجمته في مقدمة الكتاب المذكور من قبل محققه .
- (٧) انظر : أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص : ٧٠-٧١) ، والحكمي هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب عالم بالحديث، من كبار علماء جيزان، ألف عدة كتب نافعة، توفي بمكة سنة ١٣٧٧هـ . انظر : الأعلام (١٥٩/٢) .
- (٨) البقرة الآية : ٣٥ والأعراف الآية : ١٩

الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسم علما عليها بالغلبة كالمدينة والبيت والكتاب ونظائرها، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة في قلوب المؤمنين.

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾^(١).

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض لأن لفظ «اهبطوا» يدل على النزول من علو إلى أسفل، ولا يصح أن يقال : إن هذا هبوط من مكان في الأرض إلى مكان أخرى منها كما في قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ اهبطوا مصرا ﴾^(٢) لأن قوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ عقب قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، وإنما نزلوا إليها من غيرها، وقد أكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾^(٣).

فهذا يؤكد على أنهم لم يكونوا قبل الهبوط بمكان فيه يحيون ويموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة، فلو كانت الجنة التي سكنها آدم وزوجه عليهما السلام في الأرض، وانتقلوا منها إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده، وكذلك لكانت حياتهم ومماتهم وإخراجهم من الأرض في الأرض قبل الهبوط وبعده^(٤).

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ قلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة

فتشتى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنت لا تظما فيها ولا تضجى ﴾^(٥) فهذه الجنة وصفها الله تعالى بأنه ليس فيها جوع، ولا عطش، ولا عري، ولا حر، ولا نصب. وهذه الصفات لا تصدق إلا على جنة الخلد، فإن الإنسان مهما كان منعما في الدنيا لا بد أن يصيبه التعب من الجوع والعطش والعري والحرارة وغيرها من المشاق^(٦).

(١) البقرة الآية : ٣٦

(٢) البقرة الآية : ٦١

(٣) الأعراف الآية : ٢٥

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤ - ٣٤٨) .

(٥) طه الآيات : ١١٧ - ١١٩

(٦) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٤) .

الدليل الرابع : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثا ^(١) .

فهذا موسى عليه السلام قال لآدم عليه السلام : أنت الذي أشقيت ذريتك و أخرجتهم من الجنة، فأدخل الألف واللام ليدل على أنها الجنة المعروفة؛ جنة الخلد التي وعد الله المؤمنين بها، التي لا عوض لها في الدنيا، فلم ينكر ذلك آدم عليه السلام، ولو كانت غير جنة الخلد لرد آدم على موسى، وقال : إني أخرجتهم من دار فناء وشقاء وزوال وعري إلى مثلها و لم أخرجهم من دار النعيم المقيم ، فلما سكنت آدم عليه السلام على ما قرره موسى عليه السلام، صح أن الدار التي أخرج الله منها بخلاف الدار التي أخرجوا إليها، ولو كان بستانا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض الكثيرة يعوض عنه ^(٢).

الدليل الخامس : عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قالا : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك ... الحديث ^(٣)

فهذا الحديث يدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام هي بعينها التي يطلب منه المؤمنون أن يستفتحها لهم من رهم تبارك وتعالى، ولا شك أنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، ولو كانت الجنة التي سكنها آدم عليه السلام في الأرض لكان هذا الجواب من أبي البشر في غير محله إذ خطيئته لم تخرجهم من جنة الدنيا ، فتعين أنه كان في جنة الخلد ^(٤). وهذا هو القول الراجح في المسألة، ولا يعترض بأن الجنة هي البستان، وأن آدم عليه السلام كان

(١) أخرجه خ (القدر، ب : تحتاج آدم وموسى عند الله ٢٤٣٩/٦ ح : ٦٢٤٠)، واللفظ له؛ وم (القدر، ب :

حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٢/٤ ح : ٢٦٥٢)، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٠) من غير هذا اللفظ .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢٠/١٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٩/٤).

(٣) أخرجه م (الإيمان، ب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٦/١-١٨٧ ح : ١٩٥) .

(٤) انظر : انظر : حادي الأرواح (ص : ٢١)؛ ومفتاح دار السعادة (١٤/١-١٥)؛ والبداية والنهاية (٧٥/١)؛

وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١١١) .

في بستان من بساتين الأرض في هذه الدنيا ولكن لما وردت الجنة في النصوص المذكورة مطلقة ووافقت اسم الجنة التي أعدها الله لعباده في إطلاقها ظن بعض الناس أن الجنة التي سكنها الأيوون هي جنة الخلد بعينها ؛ فإنها شبهة واهية، ويبان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١ - الأصل أنه إذا كان للفظ معنى و مفهوم عند الإطلاق فإنه يحمل عليه إلا بدليل يوجب المصير إلى خلاف ذلك ^(١) .

٢ - الجنة إذا أطلقت وكان المراد بها غير جنة الخلد فإنها تجيء إما منكورة مثل قوله تعالى : ﴿أبودأحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ ^(٣) أو مقيدة بالإضافة مثل قوله تعالى : ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله﴾ ^(٤) أو مقيدة بالسياق مثل قوله تعالى : ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ ^(٥) أي : تجيء ومعها قرينة تدل على أن المراد بها غير جنة الخلد ولكن ورودها معرفة في جميع المواضع من الكتاب والسنة كلما ذكرت في قصة آدم ﷺ يشعر إشعاراً قوياً بأن جنة الخلد هي التي سكن فيها آدم ﷺ، واحتمال كون المراد بها جنة الخلد أقوى وأقرب من احتمال كون المراد بها بستان من بساتين الأرض ^(٦) .

٣ - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ ^(٧) : قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي

(١) انظر : أحكام من القرآن الكريم (ص : ١٦٨) .

(٢) البقرة الآية : ٢٦٦

(٣) الكهف الآية : ٣٢

(٤) الكهف الآية : ٣٩

(٥) القلم الآية : ١٧

(٦) انظر : حادي الأرواح (ص : ٢٤) .

(٧) البقرة الآية : ٣٧

أنت إلى الجنة؟ قال : بلى . قال : فهو قوله : ﴿ فتلقي آدم من ربه كلمات ﴾ ^(١) .

وهذا الأثر وإن كان موقوفا على ابن عباس - رضي الله عنهما - لكنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ ^(٢)، وهو يدل على أن الله تعالى وعد أبا البشر آدم ﷺ بأنه سيدخله الجنة مرة أخرى، ويرجعه إليها إذا تاب وأناب، ولا شك أن آدم ﷺ قد اعترف بذنبه وأناب إلى ربه، فتأب الله عليه، فهو سبحانه سيدخله جنته التي أخرجه منها، ولا شك أن العودة لا تكون إلى بستان من بساتين الدنيا بل الجنة التي سيعود إليها آدم ﷺ وكل من سلك سبيله هي جنة الخلد التي أعدها الله تعالى للمتقين من عباده، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين المتقين الفائزين بجنة النعيم، وبرضوانه الكريم .

٤- وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ^(٣)... الحديث ^(٤) .

وهذا الأثر عن ابن عباس - رضي الله عنه - كالذي قبله، ويدل على أن الجنة التي أخرج منها الأبوان ليست جنة من جنات الدنيا أو بستانا من بساتينها بل هي جنة الخلد التي يرغب المؤمنون في دخولها ويسعون لها، والتي سيدخلونها يوم القيامة بفضل الله وعفوه ورحمته .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣/١) بإسناده إليه من ثلاثة طرق؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥/١ برقم : ٤١١) بإسناده؛ والآجري في (الشريعة ١١٨١/٣ - ١١٨٢ برقم : ٧٥٥)، هو يلتقي في الطريق بالطريق الأول عند الطبري؛ وأخرجه كم (التاريخ، ذكر كلمات تلقي آدم من ربه فتأب عليه ٥٤٥/٢) بإسناده، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في (التوسل وأنواعه ص : ١٢٦)، واللفظ للحاكم، والأسانيد المذكورة كلها لا تخلو من كلام في رجالها أو في اتصال سندها ما عدا إسناد الحاكم فإنه متصل وليس فيه هم راو ضعيف بل هم ما بين ثقة وصدوق فهو إسناد حسن لذاته ولكن الطرق الأخرى ترفعه إلى مرتبة الصحيح لغيره، ولعله لأجل هذا حكم عليه الحاكم والذهبي والألباني بالصحة، والله أعلم بالصواب . وأيضاً قد ورد حديث مرفوع عن أبي بن كعب بهذا المعنى ولكن إسناده ضعيف، وسيأتي الكلام عنه في (ص : ٥٠٣) .

(٢) قال الإمام الحاكم في (المستدرک ٢٥٨/٢) : (ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتزيل عند الشيخين حديث مسند) . وقال الألباني - رحمه الله تعالى - : (قول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين : الأول : أنه أمر غيبي لا يقال من مجرد الرأي . الثاني : أنه ورد في تفسير الآية، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله) . [التوسل أنواعه وأحكامه ص : ١٢٦] .

(٣) البقرة الآية : ٣٠

(٤) صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠) .

٥- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير ^(١).

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام لم يكن في بستان من بساتين الأرض لأن ثمار بساتين الأرض تفسد وتتغير، وإنما كان الأبوان في جنة الخلد التي لا تفسد ثمارها ولا يتسنه طعمها .

٦- ذكر الحافظ ابن حجر ^(٢) والعيني ^(٣) أن من الروايات الكثيرة التي وردت بها حديث الشفاعة ما جاء فيه بلفظ الفردوس . قالوا : (وفي رواية ثابت ^(٤) عند سعيد بن منصور ^(٥) : إني أخطأت وأنا في الفردوس، فإن يغفر لي اليوم حسبي) ^(٦).

فهذه الرواية صريحة في دلالتها بأن الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام هي جنة الخلد بل هي بينت المكان الذي كان فيه من الجنة وهي جنة الفردوس التي هي أعلى الجنة، لذلك قد صرح غير واحد من أئمة العلم بأن تلك الجنة التي سكنها الأبوان هي جنة الفردوس ^(٧)، ولا يمكن تأويل هذه الرواية وحملها على بستان من بساتين الأرض في الدنيا، فهذه الرواية لا تدع لتلك الشبهة مجالا وترفع جميع الشكوك المتعلقة به بل هي نص قاطع في محل النزاع، فيجب المصير إليها .

٧- عدم وجود بستان من بساتين الدنيا الذي ينطبق عليه تلك الصفات التي وصفت بها الجنة التي سكنها آدم عليه السلام بل تلك الصفات ألصق بجنة الخلد، ولا شك في ذلك، وقد تقدم .

٨- تخصيص بعض أهل العلم على إجماع أهل السنة على أن الجنة التي سكنها آدم وزوجه

(١) ورد مرفوعا وموقوفا، وإسناده صحيح، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٢٩٩) .

(٢) انظر : فتح الباري (٤٣٣/١١) .

(٣) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٧/٢٣) .

(٤) هو ثابت بن أسلم البنانى، أثبت أصحاب أنس بعد الزهري، توفي سنة بضع وعشرين بعد المائة من الهجرة النبوية . انظر : تهذيب التهذيب (٣٢٧/١) برقم : ٩٦٣ .

(٥) هو سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، أبو عثمان المروزي، ممن جمع و صنف وهو أحد أئمة الحديث، توفي سنة ٢٢٧هـ و قيل بعدها . انظر : تهذيب التهذيب (٣٣٨/٢ - ٣٣٩ برقم : ٢٨١١) .

(٦) طبع جزء من سنن سعيد بن منصور، وأكثره مفقود، وقد بحثت عن الرواية المذكورة في المطبوع الموجود منه، كما بذلت قصارى جهدي في البحث عنها في غيرها من المظان ولكنني لم أجدها إلا عند الحافظ ابن حجر والعيني . ومن شرط الحافظ ابن حجر في فتح الباري أنه لا يذكر الروايات الأخرى لألفاظ الحديث إلا إذا كانت على شرط الصحة أو الحسن، كما نص على ذلك الحافظ في مقدمته (هدي الساري ص : ٤)، فهي لا تقل عن درجة الحسن عنده، والله أعلم بالصواب .

(٧) وممن صرح بذلك أبو العالية، وابن وهب، والقاضي عياض، وابن حجر، والعيني - رحمة الله عليهم جميعا - وقد سبق توثيق أقوالهم في (ص : ٤٣٩-٤٤٣) .

حواء عليهما السلام هي جنة الخلد . فقد حكى غير واحد من أهل العلم إجماع أهل السنة والجماعة على أن الجنة التي كان فيها الأبوان ثم أخرج منها بعد الأكل من الشجرة هي جنة الخلد، وهو لا يسلم لهم لوجود الخلاف بينهم في المسألة إلا أن هذه الحكايات للإجماع تعطي القول قوة، وتزيد في ثقله ووزنه، فممن حكى الإجماع على ذلك ابن بطال إذ قال : (أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم، فلا معنى لقول من خالفهم، قاله بعض شيوخنا)^(١) .

وقال النووي في شرح حديث الشهداء بأن ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ...))^(٢) : (فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة، هذا إجماع أهل السنة. وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم : إنها ليست موجودة، وإنما توجد بعد البعث في القيامة. قالوا : والجنة التي أخرج منها آدم غيرها. وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق)^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال : إنها جنة في الأرض بأرض الهند، أو بأرض جدّة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدّين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول)^(٤) .

وكذلك ممن حكى الإجماع على ذلك قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي^(٥) وأحمد بن أحمد الفاسي الشهير بزروق المالكي^(٦) .

الحاصل : إن الجنة التي أسكن فيها الأبوان قبل الهبوط على الأرض من الأمور الخيرية وهي ليست من المسائل التي يتوقف عليها أمر تعبدية؛ فالخلاف فيها يسير ولكن الذي يتبين لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الرابع، وأن الأبوين كانا في جنة الخلد قبل هبوطهما إلى الأرض، والله أعلم بالصواب .

(١) شرح صحيح البخاري (٣٢١/١٠)، ونقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره (٣٠٣/١) .

(٢) جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١٨) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٣١/١٣) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤) .

(٥) انظر : شرح العلامة قاسم على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (٥٣/١) .

(٦) انظر : شرح العلامة أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (٥٢/١) .

المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في

الجنة . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : وسوسة إبليس لآدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

لا شك أن إبليس هو الذي تولى إغواء الأبوين، وسبب لهما الخروج من جنة النعيم إلى أرض الشقاء، من غير خلاف بين العلماء في ذلك ^(١) ولكن اختلفت أقوالهم وآراؤهم في بيان كيفية إغواء إبليس لآدم وزوجه - عليهما السلام -، وهل كان ذلك مشافهة، أو وسوسة، أو عن طريق بعض أتباعه، أو أن ذلك كان بكيفية مخفية عن العباد، وأنها مما استأثر الله بعلمها، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وبيان الراجح منها، وبالله التوفيق .

القول الأول : الذي يعلم من نصوص القرآن المجيد هو أن الله عز وجل قد مكن إبليس من وسائل دعوة آدم وزوجه لمعصية ربهما حتى أكلا من الشجرة المحرمة؛ أما كيف وسوس إبليس للأبوين في الجنة فهذه قضية من القضايا الغيبية ولم يرد في النصوص الإسلامية الصحيحة بيانها . هذا القول نسبته الآلوسي إلى أبي منصور الماتريدي، واستحسنه ^(٢)، وإليه ذهب جماعة من المتأخرين المعاصرين منهم سيد قطب، وعبد الرحمن حسن حنكة الميداني، وأحمد فائز الحمصي ^(٣).

نعم ! لم يرد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بيان كيفية إغواء الشيطان للأبوين في الجنة بكل تفصيل بالتعيين والتحديد ولكن قد حاول العلماء استنباط كيفية ذلك من خلال آيات القرآن الكريم، ويدل على ذلك الأقوال الأخرى في المسألة .

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٧/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١)؛ والجواهر

الحسان في تفسير القرآن (٢١٨-٢١٩)؛ والإجماع في التفسير (ص : ١٦٤-١٦٥) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢٣٥/١) .

(٣) انظر بالترتيب : في ظلال القرآن (١٢٦٨/٨)؛ ومعارج التفكير ودقائق التدبر (١٣٣/٤) وقصص الرحمن

في ظلال القرآن (٤٠١/١-٤٠٢) .

القول الثاني : إن إبليس لم يذهب إلى آدم وحواء عليها السلام لإغوائهما، وإنما وسوس لهما من غير مشاهدة ولا مخاطبة منه لأنهما كان يعرفانه ويعرفان ما عنده من الحسد والعداوة والبغضاء لهما؛ فيستحيل في العادة أن يقبلا قوله، وأن يلتفتا إليه إذا خاطبهما بنفسه ^(١)، وإنما أغواهما بأحد وجهين :

أ- إنه أرسل بعض أتباعه إليهما؛ فحثهما على الأكل من الشجرة المحرمة، وزينها لهما حتى غرهما فأكلا منها . هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين ^(٢).

ب - إنه أغوى الأبوين من خارج الجنة، ولم يدخل عليهما في جنتهما هو ولا أحد من أتباعه، بل هو الذي وسوس لهما، ورغبهما في الأكل من الشجرة المنهية ولكن من غير مشاهدة ولا مخاطبة، وذلك بما مكنه الله تعالى من القدرة على إيصال وسوسته إلى من يريد إغواءه وإن كان بعيدا عنه بعد السماء من الأرض، فهو فتن الأبوين بوسوسته كما يفتن بها ذريتهما من غير أن يروونه ويشاهدونه . هذا الوجه محكي عن ابن إسحاق ^(٣)، وهو الذي اختاره الآلوسي ^(٤)، وإليه ذهب محمد بن محمد أبو شهبه ^(٥) و الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - حفظه الله - ^(٦).

ولكن القول بأن إبليس أغوى الأبوين عن طريق الوسوسة من غير مشافهة ولا مخاطبة فيه نظر؛ فإن الوسوسة هي الكلام الخفي . يقال لهمس الصائد والكلاب وصوت الحلي وسواس ^(٧)، والكلام الخفي أو الصوت الخفي لا يمكن إيصاله من الأرض إلى السماء ^(٨)،

(١) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣)؛ وتفسير ابن كمال باشا (ص : ٢٧٠)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٥/١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٨/١-٢٣٩) بإسناده فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، قال : قال ابن إسحاق : إنه خلص إلى آدم وزوجته بسلطانه الذي جعل الله له ليتلى به آدم وذريته ... ولكن إسناده إليه ضعيف، فإن شيخ الطبري ضعيف متهم بالكذب وسرقة الحديث، وشيخه شيخه صلوق كثير الخطأ، سيأتي الكلام عنهما في (ص : ٤٥٩)؛ وكذلك عزى إليه هذا القول للاردري في (النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم ١٠٧/١)؛ وابن الجوزي في (زار المسير ٦٧/١-٦٨) .

(٤) انظر : روح المعاني (٢٣٥/١) .

(٥) انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٢) .

(٦) انظر : نهر الخير على أيسر التفاسير (١٥٨/٢)؛ وكشف الستار عما يظن أنه عار (ص : ٢) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (١٣٦/١٣)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٨٦٩)؛ ولسان العرب (٢٩٣/١٥) .

(٨) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣) .

ثم إن ما وسوس به إبليس للأبوين كان كلاما واضحا مسموعا ومفهوما، ولم يكن مجرد همس، وسيأتي بيان ذلك في الاستدلال للقول الآتي .

القول الثالث : إن إبليس خاطب الأبوين مشافهة، وحثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه، وغرهما بكلامه المعسول المسموم حتى أكلتا منها . هذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين ^(١)، وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري والزجاج والماوردي ^(٢) وابن الجوزي ومحمد الأمين الشنقيطي ^(٣).

وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بقوله تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوأتها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلّاهما بغرور ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ ^(٥).

فالوسوسة التي نال بها إبليس من الأبوين وغرهما بها هي قوله لهما : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، وأنه ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ^(٦) أو تكونا من الخالدين . وهذا يدل على أن وسوسة إبليس للأبوين كان عن

(١) انظر : النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١٠٧/١)؛ والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٧/١)؛ الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣١٣/١)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٩/١)؛ وفتح القدير (٦٨/١)؛ وفتح البيان (١٣٦/١) .

(٢) علي بن محمد بن حبيب البصري، للعروف بالماوردي، فقيه أصولي مفسر، توفي سنة ٤٥٠ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٨٩/٧) .
(٣) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٨-٢٣٩)؛ ومعاني القرآن للزجاج (٣٢٦-٣٢٧)؛ والنكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١٠٧/١)؛ وزاد المسير (٦٨/١)؛ وأضواء البيان (٣٩٩/٤) .

(٤) الأعراف الآيات : ٢٠-٢٢

(٥) طه الآية : ١٢٠

(٦) وقد يقال هنا : كيف أطمع عدو الله آدم عليه السلام أن يكون يأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وكان آدم عليه السلام أعلم بالله وببلائكة من أن يطمع أن يكون منهم يأكله، ولا سيما مما نهاه الله عز وجل عنه ؟
فالجواب : أن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلا، وإنما كذبهما عدو الله وغرهما وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، فلما سماها شجرة الخلد قال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلتا منها فتخلدا في الجنة، ولا تموتا فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عليه السلام قد

طريق كلام خفي مسموع ومفهوم؛ لأن الله سبحانه وتعالى فسرهما بالقول، وذلك لا يكون إلا عن طريق المخاطبة والمشافهة^(١).

وكذلك في مقاسمته لهما دليل آخر على مخاطبته إياهما ومثوله بنفسه أمامهما؛ فإنه لا يتصور في أداء القسم النيابة عن الغير^(٢).

قال ابن جرير الطبري : وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليدي لهما ما وورى عنهما من سو آتھما، وأنه قال لهما : ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ ، وأنه قاسمهما إني لكما لمن الناصحين، مدليا لهما بغرور، ففي إخباره جل ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقبله لهما : ﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾ الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه .

وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال : قاسم فلان فلانا في كذا وكذا إذا سبب له سببا وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكون بتسبب السبب، فكذلك قوله : ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ لو كان ذلك كان منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريته من تزوين أكل ما نهي الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما استتره به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ .

علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعد القدر، فأخذتهما سنة الغفلة، واستيقظ لهما العدو، كما قيل : واستيقظوا وأراد الله غفلتهم :: لينفذ القدر المحتوم في الأزل

إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله : ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ [الأعراف: ٢٠] فيقال : الماكر المخادع لا بد أن يكون فيما يكر به، ويكيد من التناقض والباطل ما يدل على مكروه وكيد، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملكين، وإنما ردد الأمر بين أمرين : أحدهما تمتع، والآخر ممكن. وهذا من أبلغ أنواع الكيد والمكر، ولهذا لما أطمعه في الأمر الممكن جزم له به ولم يردده. فقال : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه: ١٢٠] فلم يدخل أداة الشك ههنا كما أدخلها في قوله : ﴿ إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ [الأعراف: ٢٠] أھ مختصرا من كلام ابن القيم . انظر : إغاثة اللهفان (١١٢/١-١١٣) .

(١) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤ ، طه : ١٢٠) .

(٢) انظر : الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم (ص : ١٠٤) .

كما لا يجوز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية : قاسمني إبليس أنه لي ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها، فكذلك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ أهـ بتصرف ^(١).

فيتبين مما سبق أن إبليس خاطب الأبوين مشافهة، أنه حثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه، بكلامه المسموم المعسول حتى أغواهما وهذا هو الراجح فيما يظهر لي لكونه أقرب إلى ظاهر الكتاب، وألصق بآياتها، وأبعد عن التكلف والتصنع في تفسيرها.

مسألة : كيف تمكن إبليس من الوصول إلى آدم وزوجه عليهما

السلام في الجنة : يشكل على القول بأن إبليس أغوى الأبوين بخطابه إياهما مشافهة - أن اللعين بعد امتناعه من السجود لآدم ﷺ كان قد طرد من الجنة، فكيف تمكن من الوصول إليهما وهما في الجنة ؟

لقد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال، ففي كيفية وصوله إلى الأبوين في الجنة لهم أقوال، وفيما يلي ذكرها وبيانها والله موفق للصواب .

١- إنه لما أراد إبليس أن يدخل الجنة منعه الخزنة، فأتى الحية - وهي دابة لها أربع قوائم كأحسن الدواب - بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها، فابتلعت الحية، وأدخلته الجنة خفية من الخزنة. فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس من فمها، واشتغل بالوسوسة؛ فلعت الحية، وسقطت قوائمها، وصارت تمشي على بطنها، وجعل رزقها في التراب، وصارت عدوا لبني آدم . هذا ما ذكره القصاص عن ابن عباس وابن مسعود ووهب بن منبه وغيرهم ^(٢).

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٨/١) .

(٢) انظر : جملة من هذه الآثار في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٥-٢٣٦ ، البقرة : ٣٦)؛ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٤٥٠/٥ ، الأعراف : ٢٠)؛ والعظمة (١٥٦٧/٥-١٥٧٢ برقم : ١٠٣٦) وهذه الآثار أغلبها في أسانيدنا إلى أصحابنا نظر؛ فإن في إسناد أبي الشيخ راويا اسمه نحل بن سعيد وهو متروك، كما يوجد انقطاع بين الضحاك وابن عباس ، وقد نبه على ذلك المحقق، وأيضا سبق الكلام عن الانقطاع بين الضحاك وبين ابن

ولكن هذا القول لا يمكن الاعتماد عليه لأسباب، منها :

أ - هذه الآثار لا تصح أسانيدھا إلى من حكيت عنه غالباً، ولا سيما لم يصح منها شيء عن أحد من الصحابة كما تبين لي بعد النظر في الآثار المحكية عنهم .

ب - وإن صح شيء من أسانيدھا إلى من حكيت عنه ، فلا يخلو منها من نكارة شديدة . وهذا الوجهان قد سبق تقريرهما في الهامش السابق .

ج - إن إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ^(١) .

د - لما فعل ذلك إبليس بالحية لم عوقبت الحية مع أنها ليست بعاقلة، ولا مكلفة ؟ ^(٢) .

هـ - إنما من خرافات أهل الكتاب وأكاذيبهم، وقد نص على ذلك جماعة من أهل العلم منهم ابن كثير - رحمه الله - إذ قال : (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيدھ، وأبي العالقة ووهب بن منبه، وغيرهم، ههنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية، وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته ...) ^(٣)

وقال الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران : (ولأكثر المفسرين في هذا المقام مقالات اقتبسوها عن أهل الكتاب، وأكثرها من كلام وهب بن منبه اليماني والسدي وأضرابهما، والغالب أنها تأتي مرفوعة إلى ابن عباس ؓ على أن روايتها لا تصح أصلاً، ولا تنطبق على معاني كتاب الله تعالى؛ فيجب إخراجها

عباس في (ص : ٣٤٠-٣٤١)، وفي إسناد ابن أبي حاتم راو مجهول، وهو الذي بين السدي وبين ابن عباس، وراو آخر شعبي محرق لا يقبل من حديثه ما تفرد، وهو عبيد الله بن موسى وقد نبه على ذلك المحقق، وعند ابن جرير ثلاثة أسانيد : الأول منها إلى وهب بن منبه وسنده إليه حسن، والثاني : من طريق السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو ضعيف وقد سبق الكلام على ذلك بالتفصيل في (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٦٨)، والثالث : فيه رجلان مبهمان : أحدهما : شيخ الطبري إذ قال : حدثت. والآخر : شيخ الربيع إذ قال : حدثني محدث. فهذه الآثار لم تصح أسانيدھا إلى من حكيت عنه إلا ما حكى عن وهب بن منبه إذ إسناد ابن جرير إليه حسن، ولكن في هذا الأثر أشياء غريبة و منكورة من أهمها أنه ذكر أن لهذه الشجرة ثمراً تأكله الملائكة، مع أنه ليس من طبيعة الملائكة الأكل والشرب كما هو معلوم من نصوص الشريعة... انظر : النقد المفصل لذلك في كتاب : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٠-٢٥٢)؛ والروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص : ١٥١-١٥٤) .

(١) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨٠/١) .

وعلم اعتبارها. ولنذكر نموذجاً منها ليعلم الباقي، وهو أن القصاص يروون عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس وغيره: أنه لما أراد إبليس أن يدخل الجنة منعتة الخزنة فأقي الحية^(١)

وكذلك ممن أنكر هذه الروايات وعدّها من الإسرائيليات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٢) والشيخ أبو بكر جابر الجزائري^(٣) وغيرهم.

الحاصل: القول بأن إبليس توسط بالحية لدخول الجنة لإغواء الأبوين من أحاديث الخرافة وأكاذيب أهل الكتاب^(٤)، فهو قول ساقط لا يصح الاعتماد عليه في تفسير آيات القرآن الكريم.

٢- إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم ﷺ، وأسكنها آدم ﷺ قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض، وإبليس كان قد أغوى الأبوين في الجنة قبل أن يهبط من السماء إلى الأرض، ثم أهبط الأبوّان وإبليس كلهم إلى الأرض، وهذا القول حكاه ابن جرير الطبري بإسناده عن طريق السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ وأيد قولهم هذا، وبين أن النظم القرآني يدل على ذلك^(٥)، وبه قال الثعالبي أيضاً^(٦).

٣- كان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة. قاله ابن وهب^(٧).

٤- إنه وسوس لهما وخاطبهما، وهو على باب الجنة، فاستجابا له. وهو لم يدخل عليهما في الجنة بعد ما أخرج منها. هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين^(٨)، وارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٩).

(١) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص: ١٧٩).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤، طه: ١٢٠).

(٣) انظر: كشف الستار عما يظن أنه عار (ص: ٢).

(٤) انظر: قصة الحية التي ذكروها بالتفصيل في (سفر التكوين ١٢/١٩).

(٥) قد سبق ذكر نص كلامه والإشارة إلى الكلام في السند. انظر: (ص: ٤٣٤-٤٣٥).

(٦) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٢/٣)، والثعالبي هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي

المالكي، مفسر فقيه صوفي متكلم، توفي سنة ٨٧٥هـ. انظر: معجم المؤلفين (١٩٢/٥).

(٧) قد سبق ذكر قوله والكلام حوله في (ص: ٤٣٧).

(٨) انظر: الكشف (٢٥٥/١)؛ وزاد المسير (٦٧/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣١٣/١)؛ والجواهر الحسان في

تفسير القرآن (١٢/٣)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٥/١).

(٩) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤، طه: ١٢٠).

٥ - إن إبليس أهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم ﷺ، وبقي الأبوان في الجنة ولكنه صعد إليهما صعوداً عارضاً، فكان دخوله عليهما في الجنة على سبيل المرور كما يدخل اللص، ولم يكن دخوله فيها على سبيل الاستقرار بها، وذلك لتمام الابتلاء والاختبار الذي قدره الله وقدر أسبابه، وهذا الوجه كذلك ذكره غير واحد من المفسرين^(١)، وهذا أيضاً مما ارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٢) وإليه مال عبد الوهاب النجار^(٣) ومحمد الطيب النجار^(٤).

مسألة : كيف أصغى آدم وزوجه عليهما السلام إلى مقالة إبليس اللعين

مع تحذير الله الشديد لهما منه ؟

القول بأن إبليس خاطب الأبوين بنفسه، وأنه كلمهما مشافهة حتى أغواهما يظهر عليه سؤال يحتاج إلى جواب، وهو أن الله سبحانه وتعالى لما أمر الأبوين بالسكن في الجنة كان حذرهما من عدوهما إبليس تحذيراً شديداً إذ قال لهما : ﴿ إن هذا عدوك ولزورك فلا يخرجنك من الجنة فتشقى ﴾^(٥) فكيف أقبل آدم على الأكل من الشجرة المحرمة ؟ وكيف أصغى إلى مقالة إبليس اللعين ؟ وكيف قبل منه ذلك مع هذا التحذير الشديد والنهي الأكيد ؟. وللإجابة عن هذا السؤال عدة أقوال وتوجيهات، وفيما يلي ذكرها وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القول الأول : إن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة المحرمة لم يكن في كامل عقله، وذلك لأن حواء عليها السلام سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة إليها فأكلتا منها . وهذا القول منسوب إلى سعيد بن المسيب^(٦).

(١) انظر : الكشف (٢٥٥/١)؛ ومدارك التزويل (٨١/١-٨٢)؛ وتفسير البحر المحيط (٣١٣/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٥/١)؛ وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٥) .

(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء له (ص : ٨) .

(٤) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٥) .

(٥) طه الآية : ١١٧

(٦) أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٤/١) فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد

ولكن هذا القول فيه نظر من حيث السند والمتن .

أما السند فالكلام فيه من وجوه وهي كما يلي :

أولاً : ابن حميد هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، كان ابن معين حسن الرأي فيه ولكن أكثر الأئمة على تضعيفه، حتى أقمه غير واحد من الأئمة بالكذب وسرقة الأحاديث^(١).

ثانياً : سلمة هو سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ^(٢).

ثالثاً : محمد بن إسحاق من كبار المدلسين فهو من أهل الطبقة الرابعة^(٣) من المدلسين الذين قد اتفق الأئمة على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لغلبة تدليسهم، وكثرته عن الضعفاء والمجهولين^(٤) وقد عنعن ابن إسحاق في هذه الرواية، ولم يصرح فيها بالتحديث، فلا تقبل منه هذه الرواية .

فهذا الإسناد إلى سعيد بن المسيب ضعيف جداً، ولا عبرة بقول لم يصح إسناده إلى قائله، ولم يثبت عن المحكي عنه، والله أعلم بالصواب .

وأما المتن فبطلانه ظاهر لأن آدم عليه السلام كان كامل العقل سليم الفطرة فيمتنع منه السكر؛ ثم إن نعم اللجنة الموجود جنسها في الدنيا تكون في الجنة خالية من الآفات التي

بن عبد الله بن قسيط عن سعيد بن المسيب من قوله .

(١) انظر : ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠-٥٣١ برقم : ٧٤٥٣)؛ وتهذيب التهذيب (٥/ ٨٤-٨٦ برقم : ٦٧٧٢)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٤٧٥ برقم : ٥٨٣٤)؛ وسيأتي مزيد تفصيل عنه في (ص : ٥١٨-٥٢٠) .

(٢) انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤٨ برقم : ٢٥٠٥) .

(٣) انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص : ١١٣)؛ وطبقات المدلسين (ص : ٥١ برقم : ١٢٥)، وقد اختلف اجتهاد الحافظ ابن حجر في بيان الطبقة التي يكون فيها ابن إسحاق، فذكره في طبقات المدلسين في الطبقة الرابعة في حين ذكره في (النكت على كتاب ابن الصلاح ٢/ ٦٤٢ برقم : ٥٤) في الطبقة الثالثة، وكتابه النكت متأخر في التأليف من كتابه طبقات المدلسين، كما أشار إلى ذلك في النكت (٢/ ٦٥٠)، والاعتبار في الغالب بآخر الأقوال عند الاختلاف عن أحد ولكن يبدو لي أن كون ابن إسحاق في الطبقة الرابعة أرجح لموافقة الحافظ العلائي له على ذلك، والله أعلم بالصواب . وسواء عد ابن إسحاق من الطبقة الثالثة أو الرابعة الحكم هنا لا يختلف؛ لأنه إذا عد من الطبقة الثالثة فالراجح من أقوال العلماء أنه لا تقبل رواية أهل هذه الطبقة إلا إذا صرحوا بالسماع، وأما إذا عد من الطبقة الرابعة فلا تقبل رواية أهلها بالاتفاق إلا بالتصريح، فالنتيجة لا تختلف في كلتا الحالتين إذ لا تقبل الرواية إلا بعد التصريح . [من إفادات شيخنا عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف - غفر الله ورحمه رحمة واسعة -]، وابن إسحاق هنا قد عنعن، ولم يصرح بالسماع أو التحديث فهي غير مقبولة منه، والله أعلم بالصواب .

(٤) انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص : ١١٣)؛ وطبقات المدلسين (ص : ١٤) .

كانت فيها في الدنيا . قال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ ^(١) فكذلك الخمر التي في الدنيا مليئة بالآفات والمضرات ولكن الخمر التي في الجنة تكون خالية من جميع تلك المفسدات والمضرات . قال تعالى في وصفها : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ ^(٣) فالخمر التي في الجنة لا تصدع الرؤوس ، ولا تترف العقول ، ولا تفسد الأذهان ، ولا تُذهب الأحلام بل كل آفة في خمر الدنيا منتفية عن خمر الآخرة ^(٤) .

فلا يصح القول أن آدم ﷺ شرب من خمر الجنة فسكر ، وغاب عقله ووعيه حتى أكل من الشجرة المحرمة ، فإنه مخالف لما وصف الله به خمر الجنة ، ومخالف لكمال عقل آدم وسلامة فطرته ، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن آدم ﷺ كان ممنوعاً عن الأكل من الشجرة في الظاهر ، ولم يكن ممنوعاً عن الأكل منها في الباطن بل كان في الباطن مأموراً بالأكل منها ، لأن توحيده كان ظاهراً وباطناً ، فكان قوله تعالى له : ﴿ لا تقرب ﴾ ظاهراً ، وكان أمره بـ (كل) باطناً ، ولذلك أكل منها آدم ﷺ . هذا ما ذهب إليه علي الحريري ^(٥)

(١) محمد الآية : ١٥

(٢) الصفات الآيات : ٤٥-٤٧

(٣) الواقعة الآيات : ١٧-١٩

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن عربي (١٩/١) ؛ والمتنظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٠٦/١) ؛ والكامل في التاريخ (٢١/١) ؛ وتفسير البحر المحيط (٣١٣/١) .

(٥) نقل ذلك عنه تلميذه ابن اسرائيل كما هو مذكور في (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨٩/٢) ، والحريري هو علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري الحوزاني ، كان يتردد إلى طائفة من الفقهاء ، وهم المعروفون بأصحاب الحريري ، أصحاب المناقب للشرعية ، وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان الحريري هذا من أفن شيء وأضره على الإسلام ، وكان عنده من الاستهزاء بأمر الشرعية والتهاون فيها شيء كثير ، شهد عليه خلق كثير بما يوجب قتله ، انفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، توفي سنة ٦٤٥ هـ . انظر : العبر في خبر من غير (١٨٥/٥-١٨٦) ؛ وسير أعلام النبلاء (٢٢٤/٢٣-٢٢٧) ؛ والبداية والنهاية (١٧٣/١٣-١٧٤) .

وعبد الوهاب الشعراني^(١) وأمثالهما من الصوفية الإباحية^(٢).

وهذا القول في غاية البطلان والفساد فمن المحال أن ينهاه الله عن الأكل من الشجرة ظاهرا، ويأمره بالأكل منها باطنا في نفس الوقت؛ لأن الأمر والنهي لا يردان جميعا في وقت واحد على شيء بعينه، ثم إن الأبوين قد اعترفا بالخطيئة، وطلبا من الله الإقالة منها بالمغفرة لهما والرحمة عليهما، والله سبحانه وتعالى قبل توبتهما، فلو كان آدم عليه السلام مأمورا بالأكل من الشجرة لما خاف هو وزوجه على أنفسهما الخسارة والشقاوة، ولم يكن هناك ما يدعوهما للاعتراف بظلم النفس ثم الاستغفار والاسترحام؛ لأنه لم يحصل منهما معصية بل فعلا ما أمرا بفعله، وأتيا بما طلب منهما، وعلى أي شيء تاب الله عليهما إن لم يكن هناك مخالفة للأمر؟ وكيف تعد مخالفة ومعصية مادام أنه كان مأمورا بالأكل في الباطن؟ وهل أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بأنه عصي خبر كذب وزور؟ فهذا القول إلى يؤدي إلى وقوع الكذب والغلط والتعارض والاختلاف في كلام الله وأوامره، وما كان كذلك فهو باطل بلا شك^(٣)، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومثل هذه الأقوال تفتح بابا عظيما من الشر والفساد؛ إذ يلزم منها أن النصوص الشرعية ليس المقصود منها ما يتبادر إلى الذهن من المعاني والمفاهيم بالنظر إلى ألفاظها وعباراتها وتراكيبها وما تقتضي اللغة العربية وأصولها وقواعدها بل هذه النصوص مصروفة عن مدلولاتها الظاهرة ومعانيها الواضحة إلى معان أخرى باطنية خفية، وفي ذلك دعوة خفية قوية إلى إبطال التكاليف الشرعية والابتعاد عن دين الله والانفلات من أوامره والتحلل من حدوده وقيوده بل دعوة إلى الكفر والفسوق والعصيان والإلحاد والزندقة، لو كانوا يعلمون.

القول الثالث: إن آدم عليه السلام لم يقصد بالأكل معصية ربه، ولكنه أكل من الشجرة المحرمة متأولا، وفي وجه تأويله أقوال وهي كما يلي:

قالت طائفة: إنه تأول بحمله النهي المطلق على شجرة معينة فتركها، وتناول من

(١) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (٩/٢-١٠).

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه؛ وما ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨٩/٢)؛ والشيخ

محمد الحامد في (ردود على أباطيل ص: ٣٢١-٣٢٢).

(٣) انظر: ردود على أباطيل (ص: ٣١٠-٣١٨).

شجرة أخرى من نوعها ^(١)، وقال ابن العربي عن هذا التوجيه بأنه أظهر الأقوال ^(٢).
ولكن في هذا القول نظر؛ فإن الله سبحانه أخبر أن إبليس قال له : ﴿ مَاتَهَا كَارِكَمَا
عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكون من الخالدين ﴾ ^(٣) فإبليس ذكر لهما الشجرة التي نهي
عنها إما بعينها وإما بجنسها، وصرح لهما بأنها هي التي نهي عنها، ولو كان عند آدم ﷺ
أن المنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصيا بأكله من غيرها، ولا
أخرجه الله من الجنة ونزع عنه لباسه ^(٤).

وقالت طائفة أخرى : إن آدم ﷺ أقدم على الأكل من الشجرة المحرمة لأنه تأول
النهي بأنه نهي تنزيه، لا نهي تحريم ^(٥).
وهذا أيضا باطل من وجوه منها :

١- قال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(٦) فهذا يدل على أن النهي
لم يكن للتنزيه، وإنما كان للتحريم؛ لأنه قرن هذا النهي بالوعيد، ولذلك لما تابا قالا :
﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ ^(٧) ^(٨).

٢- إن هذا النهي لو كان للتنزيه لما استحق آدم ﷺ بفعله الإخراج من الجنة، ولما
وجبت التوبة عليه، وما قيل : إنه عصى ربه ^(٩).

٣- إن الله سبحانه لما نهاهما عن الأكل من الشجرة بالغ في النهي حتى نهاهما عن قربها، فقال
تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ فهو سبحانه وتعالى علق النهي بالقرب منها؛ مبالغة في تحريم الأكل،

(١) انظر : التفسير الكبير (١٣/٣)؛ والصواعق المتزلة (٢١٢/١) .

(٢) انظر : أحكام القرآن (١٩-١٨/١) .

(٣) الأعراف الآية : ٢٠ .

(٤) انظر : الصواعق المتزلة (٢١٢/١) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (١٣ ، ٥-٤)؛ والصواعق المتزلة (٢١٣/١) .

(٦) البقرة الآية : ٣٥ و الأعراف الآية : ١٩ .

(٧) الأعراف الآية : ٢٣ .

(٨) انظر : التفسير الكبير (٥/٣)؛ والصواعق المتزلة (٢١٣/١) .

(٩) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

ووجوب الاجتناب بالكلية . وهذا يدل على أن النهي لم يكن نهي تتره بل كان للتحريم^(١) .

٤ - قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾^(٤) .

فإن الله سبحانه و تعالى حرم هذه الأشياء، ونهى عن ملاستها، وبالع في النهي والتحريم حتى نهي عن قربانها، فكما أن هذا للتحريم فكذلك الأول للتحريم^(٥) .

وقالت طائفة : إنما تأولا النهي عن قربانها وأكلهما معا، لا عن أكل كل منهما على انفراد؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا ﴾ نهي لهما على الجمع، ولا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد^(٦) .

وهذا التأويل في غاية البطلان والفساد، بل يمكن أن يقال أن هذا التأويل لم يخطر بقلب آدم وحواء - عليهما السلام - قطعا؛ فهما كانا أعلم بالله من ذلك، وأكثر معرفة وفهما لأوامر الله سبحانه وتعالى .

وهل يصح أن يقال في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ ونظائره من الآيات أن المقصود بها إنما هو النهي عن الاجتماع على ذلك دون النهي عن فعلها على الانفراد ؟^(٧) .

وقالت طائفة : إن آدم عليه السلام لما قاسمه عدو الله أنه ناصح، وأخرج الكلام على أنواع متعددة من التأكيد، كما أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾^(٨) .

(١) انظر : المقتطف من عيون التفاسير (٦٩/١) .

(٢) الإسراء الآية : ٣٢

(٣) الأنعام الآية : ١٥١

(٤) الأنعام الآية : ١٥٢ و الإسراء الآية : ٣٤

(٥) انظر : التفسير الكبير (٥/٣)؛ والصواعق المرسلة (٢١٣/١) .

(٦) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣)؛ والصواعق المزلّة (٢١٣/١) .

(٧) انظر : الصواعق المزلّة (٢١٣/١ - ٢١٤) .

(٨) الأعراف الآية : ٢١

فهذا الخبر منه سبحانه وتعالى متضمن أنواعا من التأكيد^(١)، ولم يكن آدم ﷺ يظن أن أحدا يقسم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة، فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة فظن آدم صدقه، وأنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة، ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة النهي أثناء ذلك إما باعتذار وإما بتوبة وإما بغير ذلك، كما تجد هذا التأويل قائما في نفس كل من يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا لا شك فيه إذا أقدم على المعصية^(٢).

القول الرابع : أنه أكل منها وهو ناس للنهي، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾^(٣) وهذا القول ذكره غير واحد من المفسرين منهم أبو الحسن الماوردي والفخر الرازي أبو حيان وعبد القادر بن أحمد بدران وعبد الوهاب النجار ومحمد الطيب النجار^(٤)، ورجحه القرطبي^(٥) ووهبة الزحيلي^(٦) .

و إذا كان حصل ما حصل من آدم ﷺ على وجه النسيان ، فلماذا عد أكله من الشجرة معصية منه لربه، ولماذا أخرج من الجنة، وأهبط إلى الأرض ؟

فذكر بعض أهل العلم توجيه ذلك أن آدم ﷺ كان من عباد الله المخلصين النبيين المقربين، ويلزمهم من التحفظ واليقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم،

(١) وهي كما يلي : ١- القسم . ٢- تصديرها بأداة التأكيد . ٣- الإتيان بلام التأكيد في الخبر . ٤- تصديره بالجملة الاسمية وإتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام، دون الفعل الدال على التجدد؛ أي : النصيح صفتي وسحيتي، ليس أمرا عارضا لي . ٥- تقدم المعمول على العامل فيه، إنيانا بالاختصاص؛ أي : نصيحتي مختصة بكما، وفائدتها غائبة إليكما، لا إلي . ٦- أنه صور نفسه لهما ناصحا من جملة الناصحين، فكأنه قال لهما : الناصحون لكما في ذلك كثير، وأنا واحد منهم ، كما تقول لمن تأمره بشيء : كل أحد معي على هذا وأنا من جملة من يشير عليك به . انظر : إغاثة اللهفان (١١٣/١ - ١١٤)؛ والصواعق المتزلة (٢١٤/١) .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١١٣/١ - ١١٤)؛ والصواعق المتزلة (٢١٤/١) .

(٣) طه الآية : ١١٥

(٤) انظر : التكت والعيون في تفسير القرآن الكريم للماوردي (١٠٦/١)؛ والتفسير الكبير للرازي (١٥/٣)؛

وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣١٣/١)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار لابن بدران (ص : ١٧٨)؛

وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١١)؛ وتاريخ الأنبياء لمحمد الطيب النجار (ص : ٥٦) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١) .

(٦) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٤٢/١) .

ولذلك عد تشاغله عن تذكر النهي تضييعا، وبه صار عاصيا، والله أعلم بالصواب ^(١).
وأما إخراجهم من الجنة، وإهباطه إلى الأرض ففيها فوائد كثيرة وحكم جليلة ومصالح
عظيمة، وسيأتي ذكر بعضها قريبا إن شاء الله تعالى .

وخلاصة القول فيما يظهر لي : أن إبليس أغوى الأبوين في الجنة مشافهة، وأن
دخوله فيها كان دخولا عارضا من غير استقرار ولا كرامة؛ ابتلاء من الله سبحانه وتعالى،
أو أنه وقف خارج الجنة قريبا من طرفها بحيث سمع آدم وزوجه كلامه وهما في الجنة، وأن
معصيتهما لله عز وجل كانت بسبب أنهما سمعا كلام إبليس المسموم المعسول، المؤكد
بأنواع من التأكيدات، المتصل بالحلف بالله تعالى، على نصحه لهما فاغترا به ورغبا في
الخلود في الجنة، ونسيا أمر الله وتحذيره لهما وما كان بين إبليس وبينهما من العداوة
والحسد، وساعد على ذلك القدر السابق من الله تعالى، فأكلا من الشجرة المنهي عنها،
وحصل ما حصل، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١٠٥/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١)؛ وتاريخ
الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٦)؛ وقصص الأنبياء للنجار (ص : ١١) .

المطلب الثاني : الشجرة المحرمة التي أكل منها في الجنة.

إن الله سبحانه وتعالى لما أسكن آدم وزوجه عليهما السلام الجنة أباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا إلا شجرة حرما عليهما ونهاهما عن الاقتراب منها . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا هنا رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ^(١) . وقد اختلف الناس في بيان المراد بالشجرة التي نهي عنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام على أقوال كثيرة، وفيما يلي ذكرها، من خلال تقسيمها في أربع مجموعات، مع بيان ما لها وما عليها .

المجموعة الأولى : أقوال السلف الصالح في بيان الشجرة المحرمة

التي أكل منها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة : الشجرة التي نهي الله سبحانه وتعالى آدم و زوجته حواء عليهما السلام عن الأكل منها في الجنة اختلفت أقوال السلف في بيانها وتحديد المراد منها، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال :

القول الأول : الشجرة التي نهي عن الأكل منها الأبوان هي السنبلة. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(٢) وأبي الجلد ^(٣) وأبي مالك ^(٤) وعطية

(١) البقرة الآيتان : ٣٥-٣٦

(٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريقين ضعيفين جدا : أحدهما : أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦/١ برقم : ٣٨١)، وفيه النظر بن عبد الرحمن، أبو عمر الخزاز : متروك.. والآخر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وفيه الحسن بن عمار الكوفي وهو أيضا متروك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٤ و ١٦٢ برقم : ١٢٦٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) بإسناد ضعيف لوجود رجل مبهم فيه، وأبو الجلد هو جيلان بن فروة الأسدي البصري، صاحب كتاب التوراة ونحوها، وثقه الإمام أحمد، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : الجرح والتعديل (٥٤٧/٢)؛ والثقات (١١٩/٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) من أربعة طرق : إحداها ضعيفة لأجل سفيان بن وكيع بن الجراح؛ فإنه كان ابتلي بوراقه إذ أدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤٥ برقم : ٢٤٥٦) . وأما الطرق الأخرى فهي صحيحة الأسانيد . وأبو مالك هو غزوان الغفاري الكوفي، مشهور بكنيته، من ثقات التابعين . انظر : تهذيب الكمال (١٠٠/٢٣) برقم : ٤٦٨٦ .

العوفي ^(١) و قتادة ^(٢) ومحارب بن دثار ^(٣) والحسن البصري ^(٤).

القول الثاني : الشجرة التي نهي عنها الأبوان هي البر. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - في رواية عنه ^(٥) ووهب بن منبه اليماني، وزاد ابن منبه : أن الحبة منها في الجنة كانت ككلى البقر، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، وأن أهل التوراة كذلك يقولون بأنها البر ^(٦).

القول الثالث : الشجرة التي نهي عنها الأبوان هي الكرمة. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس في رواية عنه ^(٧) وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ^(٨) والسدي ^(٩)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) من طريقين، في أحدهما ابن وكيع وهو ضعيف، والآخر رجاله ثقات. والعوفي هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي؛ صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا، مات سنة ١١١هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٣ برقم : ٤٦١٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣١/١) وإسناده حسن .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده ضعيف لأن فيه سفيان بن وكيع . ومُحارب بن دثار هو السدوسي الكوفي، ثقة إمام زاهد، توفي سنة ١١٦هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٢١ برقم : ٦٤٩٢) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) بإسناد ضعيف لأن فيه ابن وكيع .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وفي الإسناد عدة علل : ١- فيه ابن وكيع وهو ضعيف . ٢- ابن إسحاق وهو مدلس من الطبقة الرابعة وقد عنعن . ٣- شيخ ابن إسحاق مبهم . وبالإضافة إلى ذلك فيه سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ . انظر : (ص : ٤٥٩) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٢) وكلاهما يجتمعان في الرواية عن سلمة بن الفضل الأبرش... إلى آخر الإسناد، ففي إسناد ابن جرير العلل المتقدمة من قبل كلها، وفي إسناد ابن أبي حاتم توجد العلل الثلاث الأخيرة .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من طريقين ضعيفين؛ ففي الأول منهما ابن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف، وكذلك الراوي عن ابن عباس مبهم. والثاني عن طريق السدي إلى جماعة من الصحابة بالجملة وهو أيضا إسناد غير جيد، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٦٨) .

(٨) سبقت الإشارة إلى ذلك في الهامش السابق .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من طريقين : أحدهما ضعيف لأجل سفيان بن وكيع . والثاني رجاله ما بين ثقة وصدوق إلا أنه يخشى فيه من قبل أبي أحمد الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير فهو وإن كان ثقة ولكنه كان يخطئ في حديثه عن الثوري كما حكى الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٦٦/٥) عن الإمام أحمد، ورواية الزبيري هذه من طريق الثوري، وقد تصل مجموع الطريقين إلى درجة الحسن لغيره، والله أعلم بالصواب .

وجعدة بن هبيرة^(١) وسعيد بن جبير^(٢) ومحمد بن قيس^(٣).

القول الرابع : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي التينة وهذا القول منسوب إلى

بعض أصحاب النبي ﷺ^(٤) ومجاهد^(٥).

القول الخامس : الشجرة التي نهي من الأكل منها هي النخلة. وهذا القول منسوب

إلى أبي مالك في رواية عنه^(٦).

القول السادس : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي شجرة الكافور. وهذا القول

منسوب إلى علي بن أبي طالب ﷺ^(٧).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من أربعة طرق، وفي الأول منها هشيم بن بشير السلمي وشيخه مغيرة بن مقسم الضبي، وكلاهما من الطبقة الثالثة من أهل التدليس، الذين لا يقبل منهم إلا إذا صرحوا بالسماع، وقد عنعنا في هذه الرواية. وفي الثاني ابن وكيع شيخ الطبري ضعيف. والطريق الثالث رجاله كلهم ثقات. وفي الرابع شيخان للطبري أحدهما : ابن حميد وهو ضعيف متهم بالكذب وسرقة الأحاديث، والآخر : ابن وكيع وهو ضعيف، وأيضا فيه عنعة مغيرة بن مقسم، المدلس من الطبقة الثالثة. الحاصل : الطريق الثالث إسناده إليه صحيح، وبقية الطرق لا تخلو من النظر والكلام فيها، وجعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، صحابي صغير له رؤية، وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب، وقال العجلي : تابعي ثقة. انظر : تهذيب الكمال (٥٦٣-٥٦٦)؛ وتقریب التهذيب (ص : ١٣٩ برقم : ٩٢٧) .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المصيصي، وقد ضعف مع إمامته ومعرفة لكونه كان يلقن شيخه حجاج بن محمد. ولذلك قال أبو بكر الحلال كما في تهذيب الكمال (١٦٣/١٢) : (نرى أن أحاديث الناس عن حجاج صحاح صالحة إلا ما روى سنيد من هذه الأحاديث)، وهذه الرواية قد رواها سنيد من شيخه الحجاج الذي كان يلقنه. انظر : تقریب التهذيب (ص : ٢٥٧ برقم : ٢٦٤٦) ومحمد بن قيس هو المدني القاص، ثقة وحديثه عن الصحابة مرسل. انظر : تقریب التهذيب (ص : ٥٠٣ برقم : ٦٢٤٥) .

(٤) هكذا أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) بإسناده إليهم، وفيه عدة علل : ١- العلة المذكورة في الهامش قبل هذا . ٢- فيه ابن جريج وهو من الطبقة الثالثة من الموصوفين بالتدليس، كما ذكره الحافظ ابن حجر في طبقات التدليس (ص : ٤١ برقم : ٨٣)، وقد عنعن . ٣- فيه انقطاع بعد ابن جريج فإنه قال : عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وهو لم يدرك أحدا من الصحابة، فالإسناد ضعيف جدا .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٣)، قال محققه : (إسناده صحيح إليه إلا أن فيه ابن جريج متهم بالتدليس القبيح ولكنه سمع من مجاهد فزال التدليس) قلت : ثبوت السماع وحده لا يكفي بل لا بد من التصريح بالسماع عند تحديث الرواية على الراجح من أقوال أهل العلم عن الموصوفين بالتدليس من الطبقة الثالثة وهو منهم .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٤) بإسناده إليه . قال المحقق : (رجال إسناده ثقات لكن حدث لبعضهم تغير في آخر حياته وبعضهم أوهام) .

(٧) نسبه إليه البغوي في (معالم التنزيل ٦٣/١)؛ وابن الجوزي في (زاد المسير ٦٦/١)؛ والآلوسي في (روح المعاني ٢٣٤/١) .

القول السابع : كانت الشجرة التي نهي عنها الأبوان من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث . وهذا القول منسوب إلى أبي العالية في رواية عنه ^(١).

القول الثامن : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي اللوز . وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهم - ^(٢).

القول التاسع : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي الأترج . وهذا القول منسوب إلى يزيد بن عبد الله بن قسيط ^(٣).

القول العاشر : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي شجرة العلم وفيها من كل شيء . وهذا القول منسوب إلى قتادة ^(٤)، وإليه ذهب إليه ابن قتيبة ^(٥)، وهو مأخوذ من أهل الكتاب، وسيأتي الكلام عنه وبيان بطلانه .

القول الحادي عشر : الشجرة التي نهي عنها الأبوان في الجنة كانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهي الله آدم وزوجته فأكلتا منها. هذا القول ذهب إليه وهب بن منبه في رواية عنه ^(٦) .

وقريب من هذا القول ما حكى منسوباً إلى يعقوب بن عتبة بأنه قال : هي الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد ^(٧).

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨/١ برقم : ٣٨٥) بإسناد ضعيف . انظر : (ص : ٣٤١-٣٤٢) .
(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير (٧٠/١) إلى ابن مسعود رضي الله عنه، وأحال إلى أبي الشيخ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/١) إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وأحال إلى ابن جرير الطبري، وقد بحث في كتاب "العظمة" لأبي الشيخ، وفي تفسير الطبري ولكن لم أقف عليه .

(٣) نسبه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/١)؛ والشوكاني في فتح القدير (٧٠/١)، وكلاهما أحال إلى أبي الشيخ، وبحث في كتابه "العظمة" ولكن لم أقف عليه . ويزيد بن عبد الله بن قسيط هو ابن أسامة الليثي، الأعرج، ثقة، توفي سنة ١٢٢هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٢ برقم : ٧٤٤١) .

(٤) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٦٣/١) .

(٥) انظر : التفسير الواضح (٢٩/١) .

(٦) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/١) في حديث طويل؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨/١ برقم : ٣٨٥) مختصراً، وكلاهما يجتمعان في الرواية عن عبد الرزاق ... إلى آخر السند، وهو إسناد حسن، كما نبه على ذلك محقق تفسير ابن أبي حاتم وصاحب كتاب : الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص : ١٥٢ برقم : ٨٠) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) بإسناد ضعيف جداً؛ وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٥٩)، ويعقوب بن عتبة هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي، ثقة، توفي سنة ١٢٨هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٨ برقم : ٧٨٢٥) .

ولكن هذا القول معلوم بطلانه بالضرورة لأنه يلزم منه أن الملائكة يأكلون، وهذا خلاف لما دل عليه كتاب الله تعالى . قال تعالى : ﴿ ولقد جاء رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴿^(١) فالذي عليه عقيدة المسلمين أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون. فهذا القول غير صحيح يقينا لكونه مخالفا لما دل عليه كتاب الله تعالى ولما عليه عقيدة المسلمين^(٢).

القول الثاني عشر : التوقف عن تعيين تلك الشجرة . إن الله سبحانه وتعالى أهم ذكر هذه الشجرة ولم يعينها . ولو كان في ذكرها مصلحة وفائدة تعود على العباد لعينها الله تعالى لنا، كما هو الحال في غيرها من المواضع التي أجهت أولا ثم بينه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فالأولى التوقف عن تعيينها.

قال ابن جرير الطبري : (والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي هما ربحما عن الأكل منها، فأتيا الخطيئة التي هما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي هما عن الأكل منها، وأشار لهما إليها بقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهي آدم أن يقرها بنص عليها باسمها، ولا بدلالة عليها. ولو كان الله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا. فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهي آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما هما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأني يأتي ذلك من أتى ؟! وقد قيل : كانت شجرة البر. وقيل : كانت شجرة الغناب . وقيل : كانت شجرة التين . وجائز أن تكون واحدة

(١) هود الآيات : ٦٩ - ٧٠

(٢) انظر : (ص : ٣١٠) .

منها. وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به (١).
وقد رجح القول بإيهام هذه الشجرة وعدم تعيينها جماعة كبيرة من المفسرين من
السلف والخلف (٢)، وبه أقول لعدم وجود دليل من الكتاب والسنة يدل ويعين ويحدد
تلك الشجرة التي أكل منها آدم ﷺ، والله أعلم بالصواب .

المجموعة الثانية : أقوال أهل الكتاب في بيان الشجرة المحرمة التي

أكل منها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة : الروايات المنقولة عن أهل
الكتاب في بيان الشجرة التي فُهي عن الأكل منها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة
مختلفة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال المنسوبة إليهم .

١ - إنها شجرة الحنظل . ذكره الآلوسي (٣)، وعزاه أبو حيان إلى بعض أهل
الكتاب (٤).

٢ - إنها الحنطة . حكاه عنهم وهب بن منبه (٥) والسدي (٦).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٣/١) .

(٢) ممن رجح القول بعدم تعيين هذه الشجرة من المفسرين ابن عطية في (المحرر الوجيز ١٨٥/١)؛ والفخر الرازي في (التفسير
الكبير ٥/٣)؛ وأبو حيان في (البحر المحيط ٣١٠/١)؛ وابن كثير في (تفسير القرآن العظيم ٧٩/١-٨٠)، وفي (البداية
والنهاية ٧٥/١)؛ وحسن الأعرج النيسابوري في (غرائب القرآن ٢٧٧/١)؛ وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم ٩١/١)؛
والآلوسي في (روح المعاني ٢٣٤-٢٣٥)؛ وصديق حسن خان في (فتح البيان ١٣٥/١)؛ والقاسمي في (محاسن
التأويل ١٠٨/٢)؛ وابن بدران في (جواهر الأفكار ص : ١٧٣)؛ ومصطفى الحصن المنصوري في (المقتطف من عيون
التفاسير ٦٩/١)؛ ومحمد بن صالح العثيمين في (أحكام من القرآن الكريم ص : ١٦٨-١٦٩)؛ وعبد الحميد كشك في
(في رحاب التفسير ١٤٦/١)؛ ومحمد رشيد رضا في (تفسير القرآن الحكيم ٢٧٨/١)؛ ومحمد سيد طنطاوي في (التفسير
الوسيط ١٠١-١٠٠/١)؛ وطنطاوي جوهري في (الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٥٣/١)؛ وعبد القادر بن شيبه الحمد
في (تهذيب التفسير ١٠٣-١٠٤)؛ وفي (قصص الأنبياء ص : ٣٥)؛ وأبو بكر جابر الجزائري في (أيسر التفاسير ٤٥/١)؛
ووهبة الزحيلي في (التفسير المنير ١٤١/١)؛ وأمير عبد العزيز في (تفسير سورة البقرة ص : ١٧٣)؛ وعبد الجليل عيسى في
(المصحف الميسر ص : ٨)؛ ومصطفى حرم دل في (التفسير المقتطف ص : ١٨)؛ ومصطفى محمود في آخر أقواله في
(القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٧) .

(٣) انظر : روح المعاني (٢٣٤/١) .

(٤) انظر : البحر المحيط (٣١٠/١) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وإسناده ضعيف . انظر : (ص : ٤٦٩) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) وإسناده ضعيف وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٩٧-٩٨ و٣٦٨) .

٣- إنما التين . قال ابن حزم : (وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم، وهو يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية ^(١) في كتاب له معروف عندهم : أن الشجرة التي أكل منها آدم وبسببها أخرج من الجنة كانت شجرة تين، وأن الله تعالى أنزل تلك الشجرة بعينها إلى الأرض، وهي التي دعا المسيح عليها فيبست إذ طلب فيها تينا يأكله فلم يجده، وهي نفسها الخشبة التي صلب عليها . قال : وبرهان ذلك أنك لا تجد غارا إلا وعلى فمه شجرة تين نابتة . فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والجون والبرهان البديع !) ^(٢) .

٤- إنما شجرة معرفة الخير والشر . جاء في التوراة المحرفة الموجودة بين يدي اليهود الآن عن الشجرة التي نهي الأبوان عن الأكل منها في الجنة ما نصه : (وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) ^(٣) . وفيه أيضا : (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضا، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها) ^(٤) .

ولاشك أن هذا القول في بيان الشجرة التي منع من الأكل منها الأبوان في الجنة قول باطل، ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى محض افتراء واختلاق، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- إن آدم ﷺ كان يعرف كل شيء، على الأقل ما له علاقة بوجوده آنذاك، وما كان يقع منها تحت حسه ويده من الأشياء بدليل قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ ^(٥) . وكان هذا بعد سجود الملائكة له وقبل أن يأكل من الشجرة فلا يمكن أن تكون الشجرة التي نهي

(١) هو من آباء الكنيسة ومعلميها ولد في أنطاكية، بطريرك القسطنطينية ما بين ٣٩٨ - ٤٠٨ م، لقب بالذهبي

الفم لبلاغته، وإليه تنتسب الكنيسة اليونانية . توفي سنة ٤٠٧ م . انظر : المنجد (الأعلام ص : ٦٢٣) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦١/٢) .

(٣) سفر التكوين ١٦/٢-١٧ .

(٤) سفر التكوين ٢٢/٣-٢٣ .

(٥) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

عن الأكل منها الأبوان هي شجرة المعرفة أو العلم لأن المعرفة كانت حاصلة له قبل الأكل منها^(١).
٢ - إن الله سبحانه وتعالى لم ينه الإنسان عن طلب العلم والمعرفة بل إنه سبحانه وتعالى حض العباد على طلب العلم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فمع حث الله عباده على طلب العلم وحصول المعرفة، وترغيبهم فيه، ورفع درجات أهلها يبعد أن تكون شجرة العلم و المعرفة هي التي نهي عن الأكل منها الأبوان في الجنة^(٢).

٣ - إن الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان ملكة معرفة الخير والشر فقال تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ وهديناهم للتجدين ﴾^(٤) فمعرفة الخير والشر هبة إلهية للإنسان، وذلك فضل ورحمة منه سبحانه وتعالى على عباده .

ومع كون معرفة الخير والشر هبة إلهية فطرية للإنسان أسبغ الله عليهم نعمه المتزايدة فأرسل إليهم أنبياءه ورسله، وكل واحد منهم دعا من أرسل إليهم إلى كل خير يعلمه، وحذرهم من كل شر يعلمه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فزلنا متزلاً، فمنا من يصلح خبائه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشّره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ . فقال : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ... الحديث^(٥).

وكذلك كان النبي ﷺ يعلم الناس الخير ويدعوهم إليه، وكان يبين لهم الشر ويحذرهم منه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونه عن الخير ليزدادوا به خيراً على خير، كما كانوا يسألونه عن الشر حتى لا يقعوا فيه .

قال حذيفة بن اليمان ﷺ : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله

(١) انظر : ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (ص : ٢١٦) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢١٥)؛ والقرآن محاولة لفهم عصري (ص : ٦٦) .

(٣) الإنسان الآية : ٣

(٤) البلد الآية : ١٠

(٥) أخرجه م (الإمامة، ب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٤٧٢/٣ ح : ١٨٤٤) .

عن الشر مخافة أن يدركني ^(١) .

فمعرفة الخير والشر أمر مطلوب ومحمود فيبعد أن تكون معرفة الخير والشر هي الشجرة التي نهي عن الأكل منها الأبوان في الجنة .

٤- العلم هبة إلهية، وملكة تحصيلية تحصل بالجد والطلب والاكتساب، وليس شيء يؤكل ويشرب كالفاكهة والطعام والشراب . قال تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ ^(٢) .

٥ - إن ما عللوا به النهي عن الأكل من الشجرة المحرمة بأنه يوم يأكل منها يموت، ونسبوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهذا باطل قطعاً لأنهما أكلا من تلك الشجرة المحرمة، ولم يصبهما الموت في ذلك اليوم الذي أكلا فيه لأجل أكلهما من تلك الشجرة بل عاش بعد ذلك أكثر من تسعمائة سنة، ولا يمكن أن يقع شيء على خلاف ما أخبر الله به . فهذا دليل على اضطراب هذا القول وبطلانه وفساده، ولا يصح أن ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ^(٣) .

٦ - وأما حكايتهم عن الله تعالى بأنه قال عن آدم ﷺ : (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد؛ ...) فهذا واضح بطلانه، وأنه مكذوب على الله سبحانه، ولا يمكن أن يكون كلامه لأنه يوجب وجود آلهة كثيرة قبل آدم ﷺ أكلوا من شجرة المعرفة، فعرفوا الخير والشر، ثم أكلوا من شجرة الحياة، فأصبحوا من جملة الآلهة الذين يعرفون كل شيء، ولا يطرأ عليهم الموت أبداً، ويقيمون خالدين إلى أبد الآباد ^(٤) . وقد سبق بيان بطلان القول بتعدد الآلهة وفساده من وجوه كثيرة فهي كلها تدل على بطلان هذا القول أيضاً ^(٥) .

٦- إن هذا القول يلزم منه أن آدم ﷺ بأكله من شجرة معرفة الخير والشر كان قد

(١) أخرجه خ (المناقب، ب : علامات النبوة في الإسلام ١٣١٩/٣ ح : ٣٤١١)؛ وم (الإمارة، ب :

وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ... ١٤٧٥/٣ ح : ١٨٤٧) .

(٢) الرحمن الآيات : ١-٤

(٣) انظر : إظهار الحق (ص : ١٤٠) .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩٧/١) .

(٥) انظر : (ص : ٢١٨-٢٢٢) .

وصل إلى درجة الإله في معرفة الخير والشر، وأن علمه كان مثل علم الله تعالى. ولا شك أن هذا باطل لأن آدم عليه السلام لم يكن إلا إنسانا مخلوقا وعبدا مربوبا ولا يمكن أن يصل إلى درجة الإله في شيء من علمه ومعرفته ... أو في أي صفة من صفاته وفعل من أفعاله .

المجموعة الثالثة : تفسير الرافضة للشجرة المحرمة التي أكل منها آدم

وزوجه عليهما السلام في الجنة . جاء في التفسير المنسوب إلى أبي محمد الحسن

العسكري^(١) أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ : (... لا تقربا هذه الشجرة : شجرة العلم، شجرة علم محمد وآل محمد، الذين آثرهم الله عز وجل به دون سائر خلقه فقال الله تعالى : ﴿ لا تقربا هذه الشجرة ﴾، شجرة العلم، فإنما لمحمد وآله خاصة دون غيرهم. ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم ... ومنها ما كان يتناوله النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب. وهي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة. إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة. فلذلك اختلف الحاكون لتلك الشجرة، فقال بعضهم : هي برة. وقال آخرون : هي عنب. وقال آخرون : هي عنب. قال الله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ تلتمسان بذلك دوحة محمد وآل محمد في فضلهم؛ فإن الله تعالى خصهم بهذه دون غيرهم، وهي الشجرة التي من يتناول منها بإذن الله عز وجل ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم! ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه. ﴿ فتكوا من الظالمين ﴾ بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوتر بها غيركما، كما إذا أردتما بغير حكم الله^(٢) .

وهذا القول كله مبني على تأويل باطني، لا تدل عليه النصوص من قريب ولا بعيد، وإنما هو قول في كتاب الله بلا علم ولا حجة ولا برهان بل هو كذب وافتراء واختلاق

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، الإمام الحادي عشر ووالد الإمام

الثاني عشر المنتظر - صاحب السرداب - عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، معروف بالحسن العسكري، توفي

سنة ٢٦٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان (٢ / ٩٤ - ٩٥) ؛ والتفسير والمفسرون (٢ / ٧٩) .

(٢) تفسير الحسن العسكري (ص : ٨٩) نقلا من كتاب : التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي (٢ / ٩٢ - ٩٣) .

محض على الله وعلى رسوله وعلى آل بيت النبي ﷺ، وأصله مأخوذ من اليهود والنصارى في دعواهم أن الشجرة التي أكل منها الأبنون هي شجرة معرفة الخير والشر، ثم زيد عليها بأن ذلك العلم كان مختصاً بمحمد وآل محمد ﷺ، ثم حاولوا أن يجرؤوا إلى ذلك أقوال السلف فأتوا بهذا القول الملفق الباطل الفاسد المشتمل على ضلالات كثيرة ومتنوعة، وقد سبق أن ذكرت بعض الوجوه الدالة على خطأ من زعم أن تلك الشجرة كانت شجرة معرفة الخير والشر، وهي تدل كذلك على بطلان هذا القول، والله أعلم بالصواب.

المجموعة الرابعة : أقوال أخرى باطلة لبعض العصريين وغيرهم :

وكذلك من الأقوال الباطلة عن الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وزوجه حواء عليهما السلام ما قيل من أن تلك الشجرة كان فيها شوك يمزق ثيابهما، ويخدش أيديهما عند تناولها من ثمرها. ولذلك منعهما من القرب إليها وهو شجرة العليق " علكة " ^(١) أو أن تلك الشجرة لم تكن على حقيقتها، وإنما كانت رمزا للجنس، وأن الأكل منها يعنى الالتقاء الذي يتم بين الرجل وزوجته ^(٢) أو أن الشجرة قد تكون على حقيقتها، وإنما كانت تؤكل بالفعل إلا أنها كانت تؤدي إلى إطلاق الهرمونات، وكانت مثيرة للرغبة الجنسية، حتى ألفت بآدم ﷺ إلى المخالطة الجنسية ^(٣) أو كان ما تم بينهما من الالتقاء والمخالطة الجسدية كان تحتها وفي ظلها ^(٤) أو أن تلك الشجرة هي شجرة الحبة أو هي شجرة الطبيعة والهوى ^(٥) أو أن الشجرة هي محمد، وأكل آدم منها إعلان سر كان استكنم آدم فعصى وباح بالسر ولم يستطع كتمانها ^(٦).

(١) هذا القول ذهب إليه محمد علي حسن الخلي في (المتشابه من القرآن ص : ٣٣) .

(٢) قال به مصطفى محمود في (القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٦) . وانظر الرد المفصل عليه في (شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ص : ١٢١-١٢٦) ؛ وكذلك ذكر هذا القول عبد الحميد كشك في (في رحاب التفسير (١٤٦/١) ورد عليه ردا مختصرا جميلا .

(٣) هذا أيضا قاله مصطفى محمود بعد القول المذكور في (القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٧) . انظر الرد عليه في (شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ص : ١٣١) .

(٤) ذكره محمد بن محمد بن عبد اللطيف عن بعض من لقيه من المتكلمين واستنكره . انظر : أوضح التفاسير (ص : ١٨٠) .

(٥) ذكره الآلوسي في (روح المعاني ٢٣٤/١) .

(٦) ذكره الكرمانى عن بعض الأغبياء . انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١٣٥/١) .

فهذه كلها من الأقوال الباطلة التي لا يدل عليها دليل من الكتاب أو السنة، ولم يقل بها أحد من السلف الصالح، ولا يدل عليها اللفظ العربي والنظم القرآني؛ فهي ليست من تفسير القرآن الكريم في شيء بل إنها من القول في كتاب الله بلا علم، وإنها لتلاعب بالدين، وتمويه للحق، وترويج للباطل، وتشكيك للناس في دينهم، وتلبيس عليهم، والله المستعان ^(١).

الخاصل : إن الأقوال في بيان الشجرة المحرمة التي أكل منها الأيوان في الجنة كثيرة ومختلفة وبعضها محتملة وبعضها واضحة البطلان فالأقوال التي حددت نوع الشجرة إنما هي أقوال مجردة عن دليل صالح موثوق من نص من كتاب الله أو خير صادق عن رسول الله ﷺ فلا يمكن الجزم بصحة واحد منها. وأما الأقوال التي فسرت الشجرة بتفسير لا يتفق مع معنى الشجرة في اللغة العربية فإنها باطلة مستقاة من كلام اليهود والنصارى، وليس عليها دليل من شرع ولا من لغة . فالأجدر بنا أن لا نخوض في مثل هذه المسألة الغيبية خوض المتكلف فيها حتى لا نقع في موارد الزلل بل نقف في ذلك عند مفهوم العبارة المأخوذة من الآيات القرآنية وهو أن آدم وزوجه ﷺ كانا قد نهما عن الأكل من شجرة معينة في الجنة، ولا نعلم عن حقيقتها وتحديداتها شيئاً، وكل الذي نعرفه أنها شجرة يؤكل ثمرها، والله أعلم بها .

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

المطلب الثالث : الرد على النصارى في دعوى انتقال الخطيئة إلى الأبناء وموت المسيح مصلوباً فداءً للخليقة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام.

تزعّم النصارى أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وقع جميع نسله في عثرة العصيان والفساد؛ إذ انتقلت تلك الخطيئة من بعده إلى الأبناء . فلما سقط الإنسان في المعصية والفساد اقتضى العدل الإلهي أنه لا بد من العقاب وتنفيذ الحكم عليه في حين اقتضت الرحمة الإلهية الصفح عنه من غير حساب ولا عقاب، فنشأت من هذا الموقف مشكلة اقتضت خلا بتقدم فدية ينال بها الإنسان الصفح والغفران، ويستوفي بها العدل الإلهي حقوقه كاملة . ولما لم تكن فدية ما تتم مطلب العدل والرحمة إلا الفدية من جانب الله نفسه؛ لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة مقدسة من كل عيب ولوم ودنس، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر قدوس وبلا عيب سوى الله جل جلاله؛ فنشأت مشكلة أخرى، وهي أن الله لا جسد له يقدمه فدية عن العالم، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسداً يتحد فيه اللاهوت والناسوت. فاختار لنفسه أن يولد بشكل المسيح من بطن مريم، ولم يشأ أن يولد بالنطفة حتى لا يكون عليه الخطأ المتوارث القلبي فولد بدون اتصال الرجل بالمرأة، فصار معصوماً ثم اختار الموت على الصليب فداءً للبشر^(١) . فلما مات ودفن نزل إلى الجحيم فأخرج منها أرواح آدم وذريته التي كانت تتعذب في نار جهنم^(٢)، وبذلك رضي الله عن بني آدم، وارتفعت عنهم تلك الخطيئة الأولى .

(١) انظر : رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (٢/ ١-٢٢)؛ وتنجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٧١-٣٧٢)؛ والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ص : ٤١٠/٤ و ٤٥٣-٤٥٤)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢)؛ والمسيح والمسيحية والإسلام (ص : ١٠٣-١٠٥)؛ ومحاضرات في النصرانية (ص : ٢٧ و ١١٧)؛ واليهودية والمسيحية للأعظمي (ص : ٤٣١-٤٣٢)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية لشيخنا سعود الخلف (ص : ٢٢٥-٢٢٦)؛ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر الحمد (ص : ٥٤-٥٣)؛ ومقال بعنوان : العلمانية وموقف الإسلام منها للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد : ١١٥ ، السنة ١٤٢٢-٣٤ هـ (ص : ٣٤٢-٣٤٣) .

(٢) انظر : تنجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٧٥)؛ والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٤١٧/٤)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢) .

إن النصارى بقولهم هذا ما قدروا الله حق قدره، كما لم يقدرُوا رسوله عيسى عليه السلام حق قدره؛ فإن في هذا القول من سوء الأدب مع الله ومع رسوله عيسى عليه السلام ما لا يتفوه به من له أدنى مسكة من عقل فضلا أن يجعل ذلك ديناً له يبتغي به نجاة وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة، فاعتقادهم هذا دليل على قلة علمهم وفساد عقلهم وذهاب بصيرتهم وعمى قلوبهم فهي عقيدة كفرية جنونية، وباطلة من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن هذه العقيدة مستحيل قبولها عقلاً لأنها تعني أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه قد تقمص في هيئة النطفة أو هيئة الجنين، ودخل في بطن مريم، وعاش تلك الأحوال والأقذار فترة من الزمن، يتغذى بالدم ثم باللبن، وتقر عليه أطوار الجنين ثم تأتي مرحلة الولادة والطفولة ومستلزماتها... ثم يصلب فيموت وبعد ذلك يُكفَّن، ويحمل نعشه ويلحد في قبره، ويحشى عليه التراب... فعجبا من هذا الإله ! ومن الذي كان يدير العالم ويدبر شؤونه في هذه الفترة التي كان فيها رب العالم وسيد ومديره - كما تزعم النصارى - في بطن امرأة يتقلب بين الفرث والدم ؟ وكيف ثبت العالم على نظام وربه مصلوب ميت مدفون في القبر؟ فهل هناك قول أشد بطلانا وأقبح تصورا من هذه العقيدة ومن هذه المقولة بل هذا القول وهذا الاعتقاد فيه من الفساد والبطالان ما يعجز الإنسان عن بيان قباحته وفساده، فلا يمكنه التعبير والبيان عما يلزم من المفاصد والقبايح بهذا القول والاعتقاد الذي جاء به النصارى^(١).

٢ - إن جميع النصوص^(٢) التي يذكرونها في الدلالة على أن الصلب وقع فداء للبشر

(١) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٤٨/١-٣٤٩)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢١٩) .
(٢) مثل ما حكى عن المسيح من قوله : (أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف) [يوحنا : ١١/١٠]، وقوله : (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) [يوحنا ٣/١٦]، وقوله : (و من أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبداً لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليخدم بل ليعمل وليبذل نفسه فدية عن كثيرين) [مرقس ١٠/٤٤-٤٥] . وقال بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس [٣/١٥] : (أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب)، وقال أيضا في رسالته إلى أهل غلاطية [٤/١] : (ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبيننا)، وقال في رسالته إلى أهل رومية [٢٣/٣-٢٦] : (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برة من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله) (وغيرها من الأقوال . وهي كما ترى غير صريحة في تعيين الخطيئة التي كان الفداء من أجلها بأنها هي خطيئة آدم عليه السلام التي انتقلت إلى أبنائه كما تزعم النصارى .

ليس فيه نص واحد يعين الخطيئة التي يزعم النصارى أن الفداء كان لأجلها، وهي خطيئة أبينا آدم عليه السلام التي انتقلت في زعمهم إلى أبنائه بالوراثة؛ فجميع النصوص لا تعين هذا الأمر ولا تحدده. وهذا يدل على أنهما من مخترعات النصارى المتأخرين الذين حاولوا أن يرقعوا بها فساد القول بالفداء كفارة عن الخطايا ^(١).

٣ - إن كلام النصارى في الخطيئة التي رفعها المسيح عليه السلام بموته المزعوم على الصليب كلام مضطرب جدا. ولذلك لا ينصون في كلامهم على الخطيئة التي كفرها المسيح في زعمهم، وإنما يعممون مثل قولهم : لأجل خطايانا ، لأجل الصفح عن الخطايا السالفة، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير، بذل نفسه عن الخراف، فدية عن كثيرين، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، لنصير نحن بر الله فيه، وغيرها من الألفاظ الجملة المبهمة ^(٢).

٤ - إن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين : أولهما : تكفير خطايا الناس التي اقترفوها في الماضي أو التي سيقترفونها في المستقبل ولا يمكن للنصارى أن يدعوا أن صلب المسيح مكفر لجميع خطايا الناس الماضية والآتية لأن ذلك يعني إباحتها وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم. وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا، وفتح لباب الإباحية والفجور والكفر والزندقة .

مع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام وهي الخطايا الماضية إذ التكفير من كفر؛ أي : ستر وغطى ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث ^(٣). والثاني : ما يذكره عامة النصارى وهو تكفير خطيئة آدم عليه السلام التي انتقلت إلى أبنائه . وهو ادعاء باطل، وإنما اخترعوا هذه الفرية وادعوا بدون دليل من عقل أو شرع حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه على القول بالصلب وبيان بطلانه من وجوه وهي كما يلي :

١- إن إبراهيم عليه السلام كان أبوه كافرا مشركا بالله تعالى، وكان ينحت الأصنام ويبيعها،

(١) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٣٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٣) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٣٦) .

وليس هناك ذنب أكبر من الكفر والشرك بالله تعالى، والله سبحانه وتعالى لم يؤاخذ إبراهيم عليه السلام ولم يعاتبه على كفر أبيه وشركه بالله تعالى . فهل يؤاخذ الله سبحانه وتعالى بذنب آدم عليه السلام وهو أبوه الأبعد ولا يؤاخذ بذنب أبيه الأقرب الذي كان مشركاً بالله وعابداً لغير الله تعالى ؟ ^(١) .

٢- هذا إذا قدر أن آدم عليه السلام لم يتضرع إلى الله تعالى، ولم يطلب منه المغفرة والرحمة، وأن الله تعالى لم يسمع دعاءه، ولم يقبل توبته، ولم يغفر له خطيئته، فكيف وقد أخبر الله أن آدم عليه السلام أناب إلى ربه وتاب إليه، وأن الله تعالى غفر له وتاب عليه . قال تعالى : ﴿ قَتَلَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ ^(٣) وإذا تبين أن آدم عليه السلام تاب إلى الله، وأن الله تعالى تاب عليه، فليس من المعقول أن يقال أن الناس كلهم كانوا مثقلين بحمل تلك الخطيئة التي حصلت من آدم عليه السلام حتى جاء المسيح عليه السلام وتحمل عنهم بموته مصلوباً وخلصهم من تلك الخطيئة ^(٤) .

٣- إن خطيئة آدم عليه السلام كانت خطيئة فردية شخصية والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة، وكذلك خطيئة كل ولد من أولاده خطيئة فردية شخصية والطريق للخلاص منها مفتوح لكل أحد منهم بالتوبة إلى الله تعالى، فمن أخطأ هو الذي يتحمل وزره، ولا يؤاخذ عنه غيره، وهذا هو مقتضى العدل ^(٥) وقد نص الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى : ﴿ أَلَا تَرَوْا زُرَّةَ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ كُلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً ﴾ ^(٧) .

٤- تزعم النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأى عدل وأي رحمة في تعذيب غير المذنب وصلبه ؟ ^(٨) .

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢ - ١٠٨) .

(٢) البقرة الآية : ٣٧

(٣) طه الآية : ١٢٢

(٤) انظر : تحجیل من حرف التوراة والإنجیل (٣٦٩/١ - ٣٧٠ - ٣٧٢)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢ - ١٠٨) .

(٥) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٦) النجم الآية : ٣٨

(٧) المدثر الآية : ٣٨

(٨) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٠) .

٥ - تزعم النصارى أن المسيح ابن الله فهو ليس من جنس بني آدم عندهم . فكيف يعاقب بدلا عن آدم وذريته وهو ليس من جنسهم في زعم النصارى مع أن العدل يقتضي أن لا يعاقب غير المذنب ولو كان من بني جنسه ^(١) .

٦ - إن جميع الشرائع السماوية قررت أن تكون العقوبة مناسبة مع الذنب، وبه تشهد العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولكن لا توازن بين صلب المسيح ﷺ على النحو الذي زعمت النصارى صلبه وبين الخطيئة التي وقعت من آدم ﷺ بالأكل من الشجرة المحرمة . فالقول أن المسيح مات مصلوبا فداء للبشر من خطيئة آدم ﷺ قول مخالف لما قررتة الشرائع السماوية، ولما شهدت به العقول السليمة والفطر المستقيمة ^(٢) .

٧ - إن ما وقع من آدم ﷺ هو أكله من الشجرة المحرمة بإغواء الشيطان له، وهذا ذنب منه في حق الله عز وجل الذي نهاه عن الأكل منها، فالذنب بهذا لم يكن يلزم للتكفير عنه أن يترل الرب جل وعلا ليصلب على الصليب بعد أن يهان ويذل من أجل أن يرضي نفسه بل الأمر يكفي فيه قبول التوبة ومغفرة الذنب فقط ^(٣) . وهذا الذي وقع كما نص على ذلك القرآن الكريم .

٨ - المسيح في زعم النصارى ابن الله، فأين الرحمة التي جعلته في زعمهم يشفق على عبيده وخلقه، ويترك ابنه الوحيد يلاقي من غير ذنب منه - ألوانا من العذاب والبلاء والإهانة والسخرية، وينتهي بالموت على الصليب مع دق المسامير في يديه ؟ ولن يرضى عاقل أو جاهل أن يفعل ذلك بولده لينجو بعض خدامه من عذاب استحققه لذنب فعله ؟ فكيف يصح أن تنسب مثل هذه الخرافات إلى الله سبحانه وتعالى ؟ ^(٤) .

٩ - إن المسيح في زعم النصارى هو ابن الله وهو الله وأن المصلوب المهان - تعالى الله عن قولهم وتقدس - هو الله جل جلاله وتقدس أسمائه ^(٥)، فهل يوجد كفر أعظم من هذا الكفر؟ وهل يوجد افتراء على الله أكبر من هذا الافتراء الذي جاءت به

(١) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

(٣) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٠) .

(٤) انظر : تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١ / ٣٧٤)؛ ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٠)؛

والفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٥٤)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٥) انظر : تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١ / ٣٦٥) .

النصارى ؟ ^(١) « سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم » ^(٢).

١٠ - إن إبراهيم عليه السلام لما رأى في المنام أنه أمر بذبح ابنه وأراد أن يذبحه تحقيقاً وامثالاً لأمر الله

سبحانه وتعالى فداه الله سبحانه وتعالى بذبح عظيم قال تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ ^(٣).

فإبراهيم الخليل عليه السلام ليس إلا عبداً من عباد الله تعالى، وقد فدى الله سبحانه وتعالى ابنه إسماعيل بذبح عظيم . والنصارى تزعم أن عيسى عليه السلام ابن الله . فهل كان ولد عبده إبراهيم ؛ أي : إسماعيل عليه السلام أزكى لديه وأعز عليه وأحب إليه من ولده عيسى عليه السلام إذ فدى عن ولد عبده ونجّاه من الذبح ولم يفد عن ولده فتركه يهان ويصلب ؟ والنصارى تزعم أيضاً أن المسيح هو الله فهل فدى الله سبحانه عن ولد عبده من عبادته، ولم يستطع أن يفدي عن نفسه ؟ ^(٤).

١١ - إن ما وقع من آدم عليه السلام يعتبر يسيراً بالنسبة لما فعله ولما يفعله كثير من أبنائه من سب الله عز وجل والاستهزاء به، وعبادة غيره جل وعلا، وقتل الأبرياء، وانتهاك الأعراض، وأكل أموال الناس بالباطل، ونشر الفساد والفتن في الأرض، ومحاربة أولياء الله وقتل أنبيائه إلى غير ذلك من أنواع المحرمات والجرائم التي هي أشنع وأعظم بكثير من تلك الخطيئة التي وقعت من آدم عليه السلام؛ فعلى كلام هؤلاء النصارى يجب أن يترل الله تعالى كل وقت ليصلب حتى يجمع بين عدله ورحمته في زعمهم ^(٥).

١٢ - الخطيئة التي وقعت من آدم عليه السلام لا تهم بنيه؛ فهي لا تقلقهم، ولا تشغل بهم، ولا تقض مضاجعهم لأنها خطيئة حصلت ومحيت بالتوبة وانتهى أمرها . وإنما الذي يقلقهم ويخيفهم هو ما اقترفوه من المعاصي والذنوب ولكن هذه الذنوب والمعاصي لا تدخل في كفارة المسيح في زعم النصارى . ومعنى هذا أن هناك ملايين الخطايا باقية في أعناق الناس التي سيحاسبون عليها يوم القيامة ويجازون بها، وأن خطيئة واحدة - والتي في الحقيقة كانت مغفورة من قبل هي التي

(١) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٢) الأنعام الآية : ١٣٩

(٣) الصافات الآية : ١٠٧

(٤) انظر : تخرّيج من حرف التوراة والإنجيل (٣٧٦/١) .

(٥) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٠-٢٤١) .

محيت بصلب المسيح في زعمهم، وعلى هذا يكون قد تم صلب المسيح بدون فائدة تذكر^(١).
١٣- ليس في الأنبياء السابقين من ذكر خطيئة آدم ﷺ وطلب من الله تعالى المغفرة من أجلها. فلو كانت هذه الخطيئة انتقلت إليهم لطلبوا من الله تعالى أن يغفرها لهم، بل ليسوا لمن أرسلوا إليهم أن خطيئة آدم ﷺ انتقلت إليهم أيضا بالوراثة، ولأمروهم أن يستغفروا الله تعالى منها . فهل خطيئة آدم ﷺ وغضب الله على الناس كلهم بقي مكتوما عن جميع الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب ؟

بل هذا يدل على أن القول بانتقال خطيئة آدم ﷺ إلى الأبناء وتحمل المسيح ﷺ لها عن الناس كلهم بموته على الصليب من مخترعات النصارى وأوهامهم^(٢).

١٤- وبناء على كلام النصارى هذا يلزم أن الأنبياء والمرسلين والدعاة الصالحين قبل المسيح كلهم كانوا تائهين في ضلالة متخبطين فيها؛ لأنهم أخطئوا الطريق، ولم يرشدوا الناس إلى طريق الرشd وحقيقة تلك الخطيئة، ولم ينبهوهم على خطورتها كما فهمها النصارى^(٣).

١٥- ويلزم من قولهم أن كل من مات قبل موت المسيح على الصليب له فهو هالك ولو كان من الأنبياء والصالحين إذ لم تكفر عنهم تلك الخطيئة ولا يتم تكفيرها إلا عن طريق المسيح المصلوب في زعم النصارى^(٤).

١٦- إن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة المحرمة أخرج من الجنة وأُنزل على أرض الكد والتعب والمشقة. والخروج إلى الكدح والنصب والعناء والتعب بعد أن كان منعما في الجنة يتمتع فيها بجميع أنواع النعيم والسرور - ليس بالأمر الهين، ولم يكن هناك ما يمنع من أن يفعل الله سبحانه وتعالى بآدم ﷺ أكثر من ذلك ولكنه سبحانه وتعالى اكتفى بذلك واختاره برضاه سبحانه . وأما على ما زعمت النصارى فيلزم منه أن الله سبحانه وتعالى ظل غاضبا في نفسه ألوف السنين على الناس كلهم لأجل خطيئة آدم ﷺ حتى وقت صلب

(١) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ٢٢)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١)؛

ومباحث بريئة في الإنجيل (ص : ١٠٣-١٠٤) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١) .

(٣) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

المسيح ﷺ، فأبي عقل يستسيغ أن ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ؟ (١).

١٧- إن بين آدم وعيسى عليهما السلام زمنا طويلا، فمعنى ذلك أن الله بقي متحيرا بين العدل والرحمة كل هذه المدة الطويلة إلى أن اهتدى قبل ألفي عام وعامين إلى هذه الوسيلة : وسيلة الفداء عن طريق التجسد والموت على الصليب - وبها توافقت رحمته مع عدله ! وتمت المصالحة بينه وبين الناس ! (٢).

١٨- إذا كان صلب المسيح عملا مقصودا من الله تعالى فيكون اليهود والرومان والواشي بالمسيح أكثر الناس عبادة لله، وأعظم الناس برا وفضلا على النصارى خصوصا وعلى البشرية عموما؛ لأنهم بذلك نفذوا إرادة الله التي قضت بصلب ابنه، فقاموا هم بتنفيذ ذلك العمل، وبموته على الصليب تحقق الهدف الأسمى الذي جاء المسيح من أجله كما تزعم النصارى (٣).

١٩- تزعم النصارى أن المسيح فدى البشر بدمه، فمعنى ذلك أنه لا حاجة إلى الإيمان به واعتقاد صلبه وألوهيته وما إلى ذلك؛ لأن الخطيئة قد ارتفعت عن جميع البشر ببذله نفسه، مثل من كان عليه دين فجاء شخص وقضى ذلك الدين عنه، فالمطالبة تسقط عنه بمجرد القضاء . وهذا ما لا يقول به النصارى مخالفين في ذلك دليل العقل (٤).

٢٠- قد مرت بالبشر منذ عهد آدم ﷺ إلى عهد عيسى ﷺ أحداث ونكبات هلك فيها كثير من الطغاة، وخاصة في عهد نوح ﷺ إذ لم ينج من الغرق إلا الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوه، فكانوا معه في السفينة . فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم ونجاهم، وأهلك من عداهم . فكيف يصح أن يقال بأن الناس كلهم ما زالوا في غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه وكراهيته منذ خطيئة آدم ﷺ حتى جاء المسيح وضحى بنفسه فداء للبشرية مع أنه لم يكن في الأرض بعد الطوفان إلا من رضي الله عنهم وأحبهم (٥) إلى أن حدث فيهم الشرك .

٢١- تزعم النصارى أن الشفيع لا بد أن يكون مطهرا من خطيئة آدم ﷺ؛ ولذلك ولد

(١) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١) .

(٣) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والمسيحية (ص : ٢٤٢-٢٤٣) .

(٤) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٣) .

(٥) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

عيسى عليه السلام من أم بغير أب لينجو من انحذار الخطيئة إليه من أبيه حتى يكون صالحا للشفاعة . ولكن السؤال : ألم يأخذ عيسى عليه السلام نصيبا من الخطيئة عن طريق أمه ؟ فإن آدم عليه السلام لم يأكل وحده من الشجرة الممنوعة بل حواء أيضا أكلت من تلك الشجرة . وإن زعمت النصارى أن الله تعالى كان قد طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الابن رحمها . فيقال : إذا كان الله طهر مريم بهذه السهولة فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب ؟ (١)

٢٢- وأما زعمهم أن أرواح آدم عليه السلام وذريته كانت في حبس إبليس، وكان من مات منهم روحه تعذب في الجحيم، وأن عيسى عليه السلام نزل بعد موته على الصليب ودفنه في القبر فأخرجهم من نار جهنم فهذا الجزء وحده يكفي للدلالة على بطلان قولهم : إن المسيح عليه السلام اختار الموت على الصليب ليكون كفارة عن خطيئة الناس التي اقترفوها أو التي توارثوها من خطيئة آدم عليه السلام . وفيما يلي ذكر بعض الوجوه التي تبين بطلان هذا الجزء من قولهم عن الصلب والكفارة والفداء (٢) :

أ - يقال لهم : إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره . وإن كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم وهم قالوا إنما أخذهم بذنب أبيهم .
ب - من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله . فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين وكلهم بالنسبة آدم عليه السلام سواء ؟ .

ج - المتأخرون من ذرية آدم عليه السلام يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين . فكيف جاز تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح عليه السلام ؟ .

د- هب أن آدم عليه السلام أذنب وكذلك أذنب بنوه بتزيين الشيطان له، فعقوبة بني آدم على ذنوبهم هي إلى الله أو إلى إبليس ؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله تعالى ؟ .

(١) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٤) ؛ واليهودية والمسيحية للأعظمي (ص : ٤٣٣) .

(٢) هذه بعض الوجوه في الرد على هذا الجزء من قول النصارى . وقد أبطلها شيخ الإسلام ابن تيمية من اثني عشر وجها . وذلك في كتابه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٨/٢ - ١١٦) والوجوه المذكورة هنا أغلبها مستفادة من كتابه المذكور آنفا .

هـ - هذا القول مأخوذ من قول الثنوية المجوس الذين يقولون : إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس، وأن الله سبحانه وتعالى لم يفعل شيئا من ذلك ولا عاقب أحدا على ذنب .

فلا ريب أن هذا القول انتقل إلى النصارى من المجوس؛ ولذلك لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل، ولا عن أحد من الحواريين. والنسب بين النصارى والمجوس وسائر المشركين نسب معروف .

و - لا شك أن القول بتزول المسيح ﷺ إلى جهنم وتخليص أرواح الناس والأنبياء والرسل السابقين منها إنما هو زيغ وضلال وكفر؛ فإنه لا يعقل أن يكون الأنبياء والصالحون في نار جهنم وإلا فما الفائدة أن يسعى الناس ليكونوا صالحين إذا كانت نهايتهم سواء مع الظالمين والفاستدين في نار جهنم ؟! قال تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ أفجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ ^(٣) .

ز- ذكر لوقا في إنجيله أن المسيح ﷺ قال : (كان إنسان غني ... وهو يتنعم كل يوم مترفها، وكان مسكين اسمه لعازر الذي طرح عند بابه مضروبا بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه، فمات المسكين، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم . ومات الغني أيضا ودفن فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه فنادى وقال : يا أبي إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليل طرف إصبعه بماء، ويرد لساني لأني معذب في هذا اللهب) ^(٤) .

فهذا الحكاية التي ذكرها لوقا على لسان المسيح ﷺ تدل على أن الموتى من الصالحين ينتقلون فوراً إلى النعيم بينما يتلظى الأشقياء في نار الجحيم . فكيف يصح أن يقال أن كل من مات قبل صلب المسيح ﷺ كان معذبا في نار الجحيم فلما صلب المسيح ﷺ ودفن أخرجهم منها ؟!

(١) السجدة الآية : ١٨

(٢) القلم الآيتان : ٣٥-٣٦

(٣) المائدة الآية : ١٠٠

(٤) إنجيل لوقا (١٦/١٩-٢٥) .

الرد على النصارى من خلال كتابهم المقدس في دعواهم أن خطيئة آدم ^(١) انتقلت إلى أبنائه، وأن عيسى ^(٢) مات مصلوبا فدية عنهم كفارة لخطاياهم :

إن عيسى ^(٣) رسول من الرسل . وكان أرسل إلى بني إسرائيل . وكان يدعوهم كما دعا غيره من الأنبياء والمرسلين أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له . هذه هي غاية نبوة الأنبياء ورسالاتهم . وعيسى ^(٤) لم يكن بدعا من الرسل؛ فهو أيضا جاء ليدعو بني إسرائيل ^(٥) إلى عبادة الله وحده ^(٦)، ولم يأت ليكون فدية عن خطيئة آدم ^(٧) أو خطايا البشر . ولذلك كان ينكر على من أراد قتله واغتاليه، وكان يأخذ كل الحذر وكل التدابير لإحباط المحاولات التي كانت تبذل من قبل اليهود لقتله . وفيما يلي نماذج من ذلك .

١ - المسيح يرفض فكرة قتله ويستنكرها تماما : في إنجيل يوحنا : (أجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني ... لماذا تطلبون أن تقتلوني ؟) ^(٨).

وفيه أيضا أن المسيح قال لليهود : (أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلوني؛ لأن كلامي لا موضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . أجابوا وقالوا له : أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني . وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله . هذا لم يعمله إبراهيم) ^(٩).

فلو أن عيسى ^(١٠) كان قد جاء ليضحى نفسه فداء للبشر عن الخطيئة لما أنكر على اليهود الذين كانوا يحاولون قتله بل لشجعهم على ذلك حتى يصل إلى الهدف المنشود الذي جاء من أجله كما زعمت النصارى .

٢ - المسيح يأخذ حذره حتى لا يقع في براثن أعدائه من اليهود : جاء في إنجيل يوحنا : (فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه، فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود علانية بل يمضي من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرام ومكث هناك مع تلاميذه) ^(١١).

(١) انظر أقواله الدالة على أنه كان أرسل إلى بني إسرائيل في (إنجيل متى ٢٤/١٥ - ٢٦) . وقد بين الله تعالى أنه كان مرسلا إلى بني إسرائيل فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف : ٦] وغيرها من الآيات .

(٢) انظر أقوال عيسى ^(٣) الدالة على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له في (سفر التثنية ٣٥/٤ و ٤/٦) و (إنجيل متى ١٠/٤) و (إنجيل مرقس ٢٩/١٢) و (إنجيل لوقا ٨/٤) و (إنجيل يوحنا ٣/١٧)؛ وانظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٦٤ - ١٦٦) .

(٣) إنجيل يوحنا (١٦/٧ - ١٩) .

(٤) إنجيل يوحنا (٣٧/٨ - ٤٠) .

(٥) إنجيل يوحنا (٥٣/١١ - ٥٤) .

وفيه أيضا : (كان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه) (١) .

ولذلك لما طلب منه تلاميذه أن يذهب إلى اليهودية في عيد اليهود : عيد المظال؛ لكي يرى تلاميذه أعماله التي يعملها لم يقبل ذلك منهم . وأمرهم بالذهاب إلى العيد، وهو مكث بنفسه في الجليل. وأخيرا لما صعد أولئك إلى العيد صعد هو أيضا ولكنه لم يكن لم يظهر ذلك بل كان متخفيا عنهم (٢) .

فلو أن عيسى عليه السلام كان قد جاء ليموت عن الناس تخليصا لهم من الخطيئة لما أخذ هذه التدابير، ولم يخف من اليهود الذين كانوا يريدون قتله، ولم يخف عنهم، ولم يحجم من الذهاب إليهم علنا، ولم يذهب إليهم خفية كما تذكر كتبهم .

٣- عيسى عليه السلام يدعو ربه أن ينجيه من مكيدة اليهود له : جاء في إنجيل مرقس : (وجاءوا إلى ضيعة اسمها جَشِيمَانِي، فقال لتلاميذه : " اجلسوا ههنا حتى أصلي " . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : " نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا " . ثم تقدم قليلا، وخر على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال : " يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت " . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس : " يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . أما الروح فتشيط؛ وأما الجسد فضعيف " . ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه، ثم رجع ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه، ثم جاء ثالثة وقال لهم : " ناموا الآن واستريحوا، يكفي قد أتت الساعة . هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . قوموا لنذهب . هو ذا الذي يسلمني قد اقترب) (٣) .

فهذه العبارة تدل على إن عيسى عليه السلام كان يدهش ويكتئب ويحزن ويخاف مما كان يدبر له اليهود . ولذلك كان يصلي كثيرا، ويدعو ربه ويتضرع إليه؛ لتعبر عنه هذه الساعة . فهذا يدل على أنه لم يأت لبذل نفسه فدية عن خطية آدم عليه السلام أو خطايا البشر كما تدعي النصارى وإلا فما معنى أخذ هذه التدابير والاحتياطات، والالتجاء إلى الله والدعاء للنجاة من أيدي الأعداء الذين كانوا يريدون قتله ؟ .

٤و٥ - كان المسيح عليه السلام على يقين كامل أن الله معه دائما وأنه لا يخذله، ولذلك كان تنبأ بنجاته من القتل : كان عيسى عليه السلام على يقين كامل من الله سبحانه وتعالى بأنه ينصره على أعدائه، ولا يخذله لهم ولا يشمتهم به . ولذلك قال لتلاميذه في آخر تلك اللحظات التي سبقت عملية القبض : (هو ذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي، لأن الآب معي،

(١) إنجيل يوحنا (١/٧) .

(٢) انظر : إنجيل يوحنا (١٠-٣/٧) .

(٣) إنجيل مرقس (١٤/٣٢-٤٢) .

قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم (١).

وعيسى عليه السلام لم يكف بإخبارهم عن نصره الله وتأيد الرب إياه بل تنبأ بنجاته من القتل الذي كان يدبر له اليهود مكائدهم فقد جاء في إنجيل يوحنا : (فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبوني، ولا تجدلوني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزعج أن يذهب حتى لا نسجده نحن ؟ أعله مزعج أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين . ما هذا القول الذي قال : ستطلبوني، ولا تجدلوني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ؟) (٢).

وفيه أيضا : (قال لهم يسوع أيضا : أنا أمضي وستطلبوني وتموتون في خطيئتكم . حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : أعله يقتل نفسه حتى يقول : حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال لهم : أنتم من أسفل وأنا من فوق ... فقال لهم يسوع : متى رفعت ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو، و لست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلّم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه) (٣).

وفي إنجيل برنابا أن عيسى عليه السلام قال : (ولكن الأكثر من هذا : أني سوف يبيعي ويغدر بي واحد من حوارى كما بيع يوسف في مصر، لكن الله العادل سيدفعه إلى الهاوية كما يقول النبي داود : إنه سوف يدفع للسقوط في الهاوية من نصب شركا لجاره إذ أن الله سوف ينقذي من أيديهم، وسوف يأخذني خارجا من الدنيا) (٤).

فلو كان عيسى عليه السلام جاء لينذل نفسه بموته على الصليب وليكون فدية عن الناس من خطاياهم لم يقل بأنه سيغلبهم جميعا، وأن أعداءه لا يستطيعون أن يصلوا إليه، وأنه ينجو منهم، وأن الله سوف يأخذه خارجا من الدنيا. لأنه مخالف للهدف الذي من أجله جاء المسيح كما تزعم النصارى . وإذا كان قد مات مصلوبا فدية عن الناس وكفارة لهم عن خطاياهم؛ فيكون إخباره بنجاته وبنصر الله له إخبارا باطلا وقولا كذبا. وما أدى إلى تكذيب المسيح وإخباره بخلاف الحق والواقع فهو باطل بلا ريب .

٦ - إن الله قبل دعاء عيسى عليه السلام ونجاه من أيدي اليهود : إن عيسى عليه السلام لما علم بمؤامرات اليهود وما كانوا يكيّدون له ليتمكنوا من سفك دمه وقلته أخذ كل الأسباب اللازمة التي قد تكون سببا لحفظه ونجاته من أعدائه . ومن أهم تلك الأسباب وأكبرها أنه التجأ إلى من أرسله، وتضرع إليه، وطلب منه أن يحفظه من عبث اليهود ودسائسهم ومكرهم . فاستجاب له ربه، وقبل دعاءه، ونجاه من كيد

(١) إنجيل يوحنا (١٦/٣٢-٣٣) .

(٢) إنجيل يوحنا (٧/٣٣-٣٦) .

(٣) إنجيل يوحنا (٨/٢٩-٣١) .

(٤) إنجيل برنابا (الفصل التاسع و الثلاثون بعد المائة ص : ٣١٤) .

أعدائه. وقد نصت على ذلك كتبهم المقدسة لديهم ففي الزمور الحادي والتسعين يقول : (لأنك قلت : أنت يا رب ملجئي : جعلت العليّ مسكنك . لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل تطأ، الشبل والثعبان تدوس، لأنه تعلق بي أنجيّه . أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي) (١) .

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين المنسوبة إلى بوليس أنه قال فيها عن عيسى عليه السلام : (قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه) (٢) .

٧ - الذي صلب هو شبيه بالمسيح وليس هو المسيح : جاء في كيفية نجاته من كيد الأعداء أن الله سبحانه وتعالى رفع عيسى عليه السلام إليه، وألقي شبه عيسى عليه السلام على غيره، فأمسك ذلك الغير وصلب، وظن الظانون أنهم تمكنوا من إلقاء القبض على عيسى عليه السلام وتعليقه على الصليب حتى مات. فقد جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال : (وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان) (٣) ولا شك أن الحية التي كان رفعها موسى عليه السلام لم تكن حية حقيقية، وإنما كانت عصا ولكنها كانت جعلت شبيهة بالحية الحقيقية. ولذلك قال الله تعالى عنها : ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ (٤). فالذي صلب ليس هو المسيح نفسه بل ألقى على غيره شبهه فصلب فظنوا أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وصلبوه .

وجاء في إنجيل برنابا أن عيسى عليه السلام قال : (وبالرغم من أنني قد كنت بريئا في الدنيا، لكن بما أن أناسا قد دعوني إلها وابن إله؛ فإن الله - لكيلا تسخر مني الشياطين في يوم الحساب - قد شاء أن يسخر الناس مني في هذه الدنيا بموت " يهوذا " جاعلا سائر الناس يعتقدون أنني مت على الصليب، ولسوف تستمر هذه السخرية إلى أن يجيء محمد رسول الله الذي سوف يكشف - عندما يأتي - هذا الخداع للذين يؤمنون بشرية الله) (٥) .

وفيه أيضا أن عيسى عليه السلام قال : (فإنني على يقين أن الذي سيبيعي سوف يقتل باسمي، لأن الله سوف يرفعني من الدنيا، وسوف يغير مظهر الخائن حتى إن كل واحد سوف يعتقد أنه هو أنا، وبرغم ذلك فإنه عندما يموت ميتة شنعاء، سوف ألبث في ذلك العار إلى زمن طويل في الدنيا، لكن عندما سيأتي محمد الرسول

(١) سفر الزمير (٩١/٩-١٦) .

(٢) الرسالة إلى العبرانيين (٥/٧) .

(٣) إنجيل يوحنا (٣/١٤) .

(٤) النمل الآية : ١٠

(٥) إنجيل برنابا (الفصل العشرون بعد المائتين ، ص : ٤٦٥) .

المطهر من الله فإن هذا العار سوف يزال بعيدا، وسوف يفعل الله هذا لأنني اعترفت بحقيقة (المسيح)، الذي سوف يعطيني هذا الجزاء، وهو : أنني سوف يُعَرَّفُ عني أنني لست في شيء من هذه الميتة الشنعاء (١).
وهذه السخرية وهذا العار الذي جاء ذكره في إنجيل برنابا والذي سيرفعه محمد رسول الله ﷺ ، فقد بين الله تعالى في القرآن الكريم الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ بأن عيسى ﷺ لم يقتل، ولم يصلب، وإنما رفعه الله إليه . وأما الذين يزعمون أنه قتل وصلب ليس لديهم علم مؤكد وخبر يقيني عن ذلك، وإنهم لفي شك منه، وإنما يتبعون الظن فيما يقولون ويزعمون . فانظروا واستمعوا إلى دقة كلام الله تعالى في تعبيره عن الواقعة ورواها وناقليها ومدعيها حيث قال الله عز وجل :
﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (٢) .

فتبين مما سبق من النصوص أن المسيح طلب النجاة من الأعداء حتى لا يقتلوه، وأن الله سمع دعاءه فنجاه . فلو كان المسيح ﷺ قد جاء ليكون فدية عن الناس ويتحمل خطاياهم ببذل نفسه كما تزعم النصارى لم يكن ليدعو ربه أن ينجيه من قتل اليهود له لأنه يتعارض مع الغاية التي جاء من أجلها .

٨ - عيسى ﷺ كان يدعو إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى النجاة والفوز يوم القيامة، ويحذر

من الأعمال السيئة التي تؤدي إلى العذاب والشقاء، ويحذر الناس من عذاب جهنم : إن موت المسيح على الصليب لا يكون كفارة لخطايا الناس ونجاة لهم يوم القيامة كما تزعم النصارى بل يكون الحساب والجزاء في ذلك اليوم حسب أعمال الناس، بعيدا كل البعد عن خرافات صلب المسيح ﷺ . فمن كانت أعماله حسنة فله النعم، ومن كانت أعماله سيئة فله النقم . فالنجاة الحقيقية يوم القيامة لا علاقة لها بصلب المسيح ﷺ وسفك دمه . فقد جاء في إنجيل متى : (يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا ... رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأنني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فأوطينتموني، عريانا فكسوتكموني، مريضا فزرعتموني، محبوسا فأتيتم إلي .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشنا فسقيناك ؟ ومتى رأيناك

غريبا فأوطيناك أو عريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك ؟ .

فيجيب الملك ويقول لهم الحق : أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخواني الأصغر في فعلتم .

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته

لأنني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبا فلم تأوؤني، عريانا فلم تكسوني، مريضا

(١) إنجيل برنابا (الفصل الثاني عشر بعد المائة ص : ٢٥٣-٢٥٤) .

(٢) النساء الآيات : ١٥٧-١٥٨

ومحبوسا فلم تزوروني .

حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فيني لم تفعلوا . فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية (١) .

فالحلاص والنجاة يوم القيامة لا علاقة له بصلب المسيح بل يكون الحساب والجزاء حسب أعمال الناس . ولذلك لما سئل عيسى عليه السلام عن الأعمال التي تكون سببا للنجاة والحياة الأبدية أرشده إلى الأعمال الصالحة ، وحذره من الأعمال السيئة فقد جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه السلام بينما كان يسير خارجا : (وإذا واحد تقدم ، وقال له : أيها المعلم الصالح ! أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له : أية الوصايا ؟ فقال يسوع : لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك . قال له الشاب : هذه كلها حفظتها منذ حدثت فماذا يعوزني بعد ؟ قال له يسوع : إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ، وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني (٢) .

وأبضا جاء في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام خاطب تلاميذه وجماعة من الناس فقال لهم : (... وبل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراعون لأنكم تنون قبور الأنبياء ، وترنون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملثوا أنتم مكيا آباءكم . أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ؟) (٣) .

فهذا عيسى ابن مريم يؤدي رسالته ، ويمنع قومه عن البناء على قبور الأنبياء والصالحين ، ويعرفهم بما فعله آباؤهم من الجرائم الشنيعة كقتل الأنبياء ، ويحذرهم عن فعل ما اقترفه آباؤهم ، ويخوفهم من عذاب جهنم . وفي ذلك دلالة على بطلان ما تزعمه النصارى من أن المسيح عليه السلام كان جاء ليبدل نفسه فدية عن الناس وكفارة لهم من خطاياهم التي اقترفوها أو ورثوها من خطيئة آدم عليه السلام ؛ إذ لو كان جاء ليتحمل عن الناس خطاياهم بموته على الصليب لما خوفهم من عذاب جهنم ، ولم يمنعهم من البناء على قبور الأنبياء والصالحين وقتلهم وغيرها من الأعمال التي تؤدي إلى عذاب جهنم (٤) .

وفي رسالة يعقوب : (الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته ... أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم ... ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان

(١) إنجيل متى (٢٥ / ٣٣ - ٤٦) .

(٢) إنجيل متى (١٩ / ١٦ - ٢١) .

(٣) إنجيل متى (٢٣ / ٢٩ - ٣٣) .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٢٩٥) .

عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان... ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت (١).

فهذه النصوص المنقولة من الكتب المقدسة لدى النصارى تبين أن النجاة يوم القيامة يكون حسب أعمال الناس وإيمانهم. وفي ذلك دلالة على بطلان ما تزعمه النصارى من أن المسيح عليه السلام كان جاء ليتحمل عن الناس خطاياهم؛ إذ لو كان المسيح عليه السلام جاء لتكفير خطايا الناس التي هم اقترفوها أو وجدوها ورثة من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام كما تزعم النصارى لما أحاطهم إلى الإيمان والعمل الصالح ولم يخوفهم من عذاب جهنم بل لذكر لهم أنه لا داعي للاضطراب والقلق، ولا حاجة إلى العمل والإيمان، كونوا في راحة وطمأنينة، أنا أكفيكم المثونة، وأتحمل عنكم خطاياكم؛ لأني ما جئت إلا لكفارة خطايا الناس. فهل المسيح عليه السلام لم يصدق الناس ولم ينصح لهم؟

٩- زعمت النصارى أن الناس كلهم كانوا في غضب الله وعذابه منذ أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة المحرمة إلى أن جاء المسيح عليه السلام وقدم نفسه فدية عن الناس جميعا يناقض ذلك ما جاء في أناجيلهم من وجود أناس قبل عيسى عليه السلام مشهود لهم بالخير والبر، والعصمة من الخطيئة والمعصية، والعظمة والقرب لدى الرب جل وعلا، فقد جاء في رسالة يعقوب: (فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا ودعي تحليل الله) (٢). فهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان محبوبا عند الله بل كان في أعلى درجات المحبة عند الله فقد اتخذه الله سبحانه وتعالى خليلا.

وجاء في إنجيل لوقا عن زكريا وزوجه عليهما السلام: (وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم) (٣).

وهذه شهادة من الإنجيل برضا الله عن زكريا عليه السلام وزوجه، وأنها كانا بعيدين عن غضب الله وعقابه لكونهما يطبقان جميع وصايا الرب وأحكامه فلا لوم عليهما بأي وجه من الوجوه.

وجاء في إنجيل لوقا عن يحيى عليه السلام: (إنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعبا مستعدا) (٤).

وجاء في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام قال عن يحيى عليه السلام: (نعم أقول لكم وأفضل من نبي. فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك أمامك. الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان) (٥).

(١) رسالة يعقوب (٢/١٧-٢٦).

(٢) رسالة يعقوب (٢/٢٣).

(٣) إنجيل لوقا (١/٦).

(٤) إنجيل لوقا عن يحيى عليه السلام (١/١٥-١٧).

(٥) إنجيل متى (١١/٩-١١).

فهذه نصوص من أناجيلهم تدل على أن إبراهيم عليه السلام وزكريا عليه السلام وزوجه وابنهما يحيى عليه السلام لم يكونوا في غضب الله وعقابه بل كانوا بعيدين عن كل ما يغضب الله جل وعلا، لأنهم كانوا يطبقون جميع وصايا الرب وأحكامه فكانت لهم منزلة وقربة عند الله تعالى فلا تصح دعوى النصارى أن الناس كلهم كانوا في غضب الله وعذابه وبالتالي لا يصح ما بنوا عليه من أن عيسى عليه السلام قدم نفسه فدية عن الناس حتى أخرج الناس كلهم من غضب الله وعذابه.

١٠ - لا تزرر وازرة وزرة أخرى : الذي يفعل الخير يسعد به؛ والذي يفعل الشر يشقى به . وليس من العدل أن يخطئ شخص ويعاقب غيره . فقد جاء في كتاب حزقيال : (النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن . بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها وحفظ كل فرائضي، وفعل حقا وعدلا فحياة يحيى . هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . ألا يرجوعه عن طريقه فيحيا . وإذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا . كل بره الذي عمله لا يذكر . في خيانه التي خاها وفي خطيئته التي أخطأ بها يموت) (١).

وفي سفر التثنية : (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيئته يقتل) (٢). وإذا كانت تعليمات الكتاب المقدس لدى النصارى تمنع أن يحمل شخص إثم غيره، وتمنع أن يقتل أحد عن أحد. فكيف يصح لهم أن يعتقدوا بأن عيسى عليه السلام بذل نفسه عن الناس، وتحمل عنهم آثامهم، ومات مصلوبا ليكون كفارة لخطاياهم التي ورثوها من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ؟ وكيف يمكن أن يتوارث الناس تلك الخطيئة من عهد آدم عليه السلام إلى وقت صلب المسيح عليه السلام وكتابهم المقدس ينص على أن : " النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن . بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون " ؟ .

١١ - يلزم من قولهم هذا عدم تسليم نبوات الأنبياء الذين جاءوا قبل المسيح عليه السلام لأنه لم تكفر عنهم تلك الخطيئة، وجميع الناس كانوا متلبسين بها إلى وقت الصلب كما تزعم النصارى . فكيف اتخذ الله سبحانه وتعالى منهم الأنبياء والمرسلين وقد ورد في التوراة المحرفة في سفر المزامير منها : (لا تقوم الأشرار في الدين، ولا الخطاة في جماعة الأبرار) (٣) فإذا كان إبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء من أهل الخطيئة، على زعم النصرانية، فكيف دخلوا في جماعة الرب ؟ (٤).

١٢ - ويلزم من القول بصلب المسيح فدية عن البشر أن عيسى عليه السلام كان من الأشرار لأنه جاء في سفر أمثال : (الشرير فدية الصديق، ومكان المستقيمين الغادر) (٥). ومن تأمل في هذا النص من

(١) سفر حزقيال (١٨/٢٠-٢٤) .

(٢) سفر التثنية (١٦/٢٤) .

(٣) سفر المزامير (٥/١) .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٧٨)؛ ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٥) .

(٥) سفر الأمثال (٢١/١٨) .

التوراة حزم قطعاً بأن المصلوب غير المسيح وإلا لزم كون المسيح من الأشرار - وحاشاه - لأنهم قالوا عنه : إنه فدية عن الناس، وهذا لا يستسيغه عقل ولا يقره شرع حتى النصارى لا يرضون به ^(١).

١٣- زعمت النصارى أن الفدية لا بد أن تكون طاهرة خالية من كل عيب ولوم وندس

حتى تكون مقبولة ولكنهم وصفوا فديتهم المزعومة بما يسلب منها الطهارة والقداسة، وبيان ذلك من وجوه وهي كما يلي :

أ- جاء في إنجيل متى : (جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشرب خمر . محب للعشارين والخطاة) ^(٢) . فهم وصفوا عيسى عليه السلام بأنه كان يكثر من الإدمان وشرب الخمر .

ب- جاء في إنجيل يوحنا أنه قال لأمه في وسط جمع من الناس : (مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد) ^(٣).

وجاء في إنجيل لوقا : (وجاء إليه أمه وإخوته . ولم يقدرُوا أن يصلوا إليه لسبب الجمع . فأخبروه قائلين أمك وإخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يروك . فأجاب وقال لهم : أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها) ^(٤).

فهم وصفوا عيسى عليه السلام بأنه لم يكن باراً بأمه وأنه لم يكن يحترمها بل كان يزجرها وينهرها ويقسو في الكلام معها أمام الناس بل كان يخاطبها بكلام شديد كأنها غير مؤمنة، ولو سلم أن الذين جاءوا مع أمه لم يكونوا مؤمنين ولكن هل كانت أمه كذلك ؟ وهل كانت تستحق أم المسيح التي اصطفاها الله وطهرها وفضلها على نساء العالمين - من ابنها البار هذا الجزاء ؟ لا شك أن الغلظة والقسوة مع الأم وإهانتها ذنب عظيم في جميع الشرائع والآداب والأعراف البشرية .

ج- جاء في إنجيل متى : (ثم أوصد يسوع إلى البرية من الروح ليحرب من إبليس فبعد ما صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً فتقدم إليه المجرى وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبثاً ... ثم أخذته إبليس إلى المدينة الفاضلة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ... ثم أخذته أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خدرت وسجدت لي ...) ^(٥).

فهم زعموا أن عيسى عليه السلام بقي أكثر من أربعين ليلة تحت تجربة إبليس، وأنه كان يأخذ به إلى

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٧٨) .

(٢) إنجيل متى (١٩-١٨/١١) .

(٣) إنجيل يوحنا (٤/٢) .

(٤) إنجيل لوقا (٢١-١٩/٨) .

(٥) إنجيل متى (٩-١/٤) .

حيث شاء، ويجربه ويفتنه، ويدعوه إلى عبادته والسجود له .

فقد وصفت النصارى عيسى عليه السلام بأنه كان يكثر من الإدمان وشرب الخمر ، وأنه لم يكن باراً بأمه بل كان يزجرها وينهرها ويقسو في الكلام معها أمام الناس بل قال لها كلاماً شديداً كأنها لا تؤمن بنبوته ورسالته، وأنه بقي أكثر من أربعين ليلة تحت تجربة إبليس، فكان يأخذه إلى حيث شاء، ويجربه ويفتنه ويدعوه إلى عبادته والسجود له.

فإذا كان هذا هو عيسى عليه السلام كما زعمت النصارى فهو غير صالح لأن يكون فدية عن الناس لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة مقدسة من كل عيب ولوم وذنس . وأما نحن معشر المسلمين فنبرئه من كل ذلك .

١٤- طوائف من النصارى تنكر القول بصلب المسيح عليه السلام : ولما كان القول بصلب المسيح

عليه السلام على النحو الذي تزعمه النصارى بعيداً عن الحق والصواب، ومخالفاً للعقل السليم والفطرة المستقيمة، وبعيداً لما دل عليه أقوال المسيح عليه السلام - رفض كثير من طوائف النصارى الاعتقاد به ^(١)، فمنهم من رفضه استناداً إلى الأدلة التاريخية ^(٢) ومنهم من أنكرها لأن في ذلك إهانة ونقضا لشرف المسيح، وهذه الإهانة لا يصح أن تنسب إلى المسيح عليه السلام إذا قلنا أنه نبي فكيف يصح أن تنتسب إليه على ما تعتقد فيه النصارى من أنه ابن الله وأنه هو الله ؟!

الحاصل : إن ما تزعم النصارى من أن خطيئة آدم عليه السلام كانت قد انتقلت إلى أبنائه فهم كانوا

مدنسين مثقلين بتلك الخطيئة، بعيدين عن الله سبحانه وتعالى بسببها، حتى جاء المسيح عليه السلام فقدم نفسه فدية عنهم، واختار موته على الصليب لأجلهم، وبذلك فك عن الناس أغلالهم ووضع عنهم إصرهم وتحمل عنهم خطاياهم وأرضى عنهم ربهم، فتمت المصالحة بينه وبين عباده عن طريق موته على الصليب فهذا قول باطل وزعم فاسد بعيد عن الصواب كل البعد، عار عن الأدلة والبراهين، لا تستسيغه العقول السليمة، وتأباه الفطر المستقيمة، ويتعارض مع الأقوال المحكية عن عيسى عليه السلام، ويتعارض مع ما أنزله الله تعالى في القرآن الكريم من الحق الواضح . فعقيدة النصارى بأن عيسى عليه السلام مات لأجل خطايا الناس عقيدة مرفوضة قطعاً، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر أسماء هذه الطوائف النصرانية التي أنكرت القول بصلب عيسى عليه السلام وشهادات من كبار علماء النصارى على ذلك في كتاب " الفارق بين المخلوق والخالق " (ص : ٤٦٤-٤٦٦)، وانظر ما ذكره الشيخ محمود قدح من أسماء هذه الفرق في تحقيقه لكتاب : تحليل من حرف التوراة والإنجيل (ص : ٣٣٨) وقد ذكر اثني عشرة فرقة التي أنكرت قصة صلب المسيح كحادثة وقعت أو كعقيدة تكفيرا عن الخطيئة . وهذه الفرق تعتبر عند معظم النصارى من الفرق المارقة من دينهم والفرق الثلاث الكبار : الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت كلها متفقة في هذا القول . انظر : الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص : ٥٣-٥٤) .

(٢) انظر لذلك ما ذكره عبد الرحمن باجه جي زاده في كتابه : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٦٣-٤٧٠) من الأدلة التاريخية في رد دعوى صلب ذات المسيح عليه السلام .

المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام ، وفيه

أربعة مطالب .

المطلب الأول : معنى التوبة .

أولا : معنى التوبة في اللغة .

(توب) التاء والواو والياء كلمة واحدة تدل على الرجوع ^(١) . يقال : تاب فلان إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا وتابة وتوبة ^(٢) ؛ أي : رجع عن معصية الله تعالى إلى طاعته ، وأتاب إليه سبحانه .

ويقال : تاب الله عليه ؛ أي : عاد عليه بالمغفرة ووقفه للتوبة وقبلها منه أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع عليه بفضله وكرمه وقبوله ^(٣) . وهذه كلها معان صحيحة واردة ^(٤) . قال ابن جرير الطبري : (إن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته وأوبته إلى ما يرضيه ، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه ؛ فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه) ^(٥) .

فالتوبة لفظ يشترك فيها العبد والرب سبحانه وتعالى .

فيقال للعبد تاب يتوب تائب وتواب قال تعالى : ﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى

الله متابا ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (٣٣٢/١٤) ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٥٧/١) ؛ وتاج العروس من جواهر القاموس (٧٨/٢) ؛ وروح المعاني (٢٣٧/١) .

(٢) توبة على وزن تفعلة شاذ قليل الاستعمال . انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٧٧/٢) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٣٣٢/١٤) ؛ والصاحح تاج اللغة وصحاح العربية (٩١/١ - ٩٢) ؛ وتاج العروس من جواهر القاموس (٧٨ - ٧٧/٢) ؛ ومعجم متن اللغة (٤١٢/١) .

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٧٨/٢) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٦/١) .

(٦) الفرقان الآية : ٧١

(٧) البقرة الآية : ٢٢٢

ويقال للرب تاب يتوب تواب قال تعالى : ﴿ ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى ﴾ ^(١) وقال

تعالى : ﴿ فلتقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ^(٢) .

فالتوبة إذا أضيفت إلى العبد فمعناه أنه أناب إلى الله سبحانه وتعالى، ورجع عن معصيته إلى طاعته . وإذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى فيكون معناه أن الله سبحانه وتعالى وفقه للتوبة، وهداه إليها، وقبلها منه، وعاد إليه بالمغفرة والرحمة . فمعنى العبد التواب : كثير الرجوع و التوبة والإنابة إلى الله تعالى . ومعنى الرب التواب سبحانه وتعالى : الذي يقبل توبة عباده كثيرا، ويوفقهم لها كلما تابوا وأنابوا إليه سبحانه وتعالى رحمة منه وفضلا ^(٣) .

ثانيا : معنى التوبة في الشرع .

وأما التوبة في الشرع فقد عرفها أهل العلم بتعريفات كثيرة وهي متقاربة في المعنى متحدة في الدلالة ^(٤) ولذا أكتفي بذكر تعريف واحد منها .

قال الحافظ ابن كثير في تعريف التوبة الشرعية : (قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه) ^(٥) .

فالتوبة الشرعية الصحيحة لها أربعة شروط، وهي التي ورد ذكرها في كلام الحافظ ابن كثير، ويمكن أن يضاف إليها شرط خامس، وهو أن تكون التوبة في وقتها؛ أي : قبل إغلاق باب التوبة ^(٦)، وهو نوعان :

(١) طه الآية : ١٢٢

(٢) البقرة الآية : ٣٧

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٣٣٣/١٤)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٩٦)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٣٩/١)؛ والتوبة في ضوء القرآن الكريم (ص : ١٨) .

(٤) انظر : تعريفات التوبة الشرعية في الكتب التالية : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٦/١)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٦٩)؛ والجامع لأحكام القرآن (٩١/٥)؛ ومدارج السالكين (٣٠٦-٣٠٥/١)؛ وفتح الباري (١٠٣/١١)؛ وروح المعاني (٢٣٧/١)؛ وأضواء البيان (١٣٨/٦)؛ والتوبة في ضوء القرآن الكريم (ص : ٢١) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٩٢/٤) .

(٦) انظر : أحكام من القرآن الكريم للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص : ١٧٩-١٨٠) .

أحدهما خاص بكل شخص، وهو أن تكون توبته قبل الغرغرة واحتضار الموت .
قال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا
الذين يموتون وهم كفار أولئك أعدنا لهم عذابا أليما ﴾ (١) .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر (٢).
والآخر عام، وهو أن تكون التوبة قبل ظهور أمارات الساعة الكبرى. فعن أبي
موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ قال : إن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار .
وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (٣).

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من
مغربها. فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ (٤) (٥).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض (٦).
فالتوبة لا بد أن تكون قبل فوات الأوان؛ أي : قبل غرغرة التائب، وقبل ظهور علامة
من علامات الساعة الكبرى. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتوبة ويقبلها منا بفضله
ورحمته؛ فإنه هو التواب الرحيم .

(١) النساء الآية : ١٨

(٢) أخرجه حم (٤٦١/١٠ ح : ٦٤٠٨) ؛ وت (أبواب الدعوات، ب : في فضل التوبة والاستغفار ٥٤٧/٥ ح :
٣٥٣٧) ؛ وقال : هذا حديث حسن غريب؛ وحب كما في الإحسان (٣٩٥/٢ ح : ٦٢٨) وكم (٢٥٧/٤)،
وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي
(٤٥٣/٣ ح : ٣٥٣٧) .

(٣) أخرجه م (التوبة، ب : قبول التوبة من الذنوب ٢١١٣/٤ ح : ٢٧٥٩) .

(٤) الأنعام الآية : ١٥٨

(٥) أخرجه م (الإيمان، ب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٧/١ ح : ١٥٧) .

(٦) أخرجه م (الإيمان، ب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٨/١ ح : ١٥٨) .

المطلب الثاني : الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه .

إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة ندم على أكله منها، فأتاب إلى ربه وتاب إليه. قال تعالى : ﴿ فَأَكَلَمْنَهَا فَبَدَتْ لَهَا سَوَاتِمُهَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ قَتَلْنَا آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٢) ولذلك يعتقد جميع المسلمين^(٣) أن آدم عليه السلام تاب إلى الله تعالى من تلك المعصية، وأن الله تعالى لقنه تعالى كلمات التوبة وتاب عليه، ولكن اختلفت أقوال أهل العلم في بيان تلك الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب الله عليه، وفيما يلي ذكرها :

القول الأول : الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه هي الوارد ذكرها في قوله تعالى : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٤). قال به أبو العوالي^(٥) وسعيد بن جبير^(٦)

(١) طه الآيات : ١٢١-١٢٢

(٢) البقرة الآية : ٣٧

(٣) إن اليهود والنصارى ذكروا خطيئة آدم عليه السلام بأنه أكل من الشجرة المحرمة ولكنهم لم يذكروا في كتبهم شيئا عن توبة آدم عليه السلام واستغفاره ربه من مخالفته ومغفرة الله له، مع أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه عن توبة آدم عليه السلام إلى الله وتوبته سبحانه عليه. وعدم اعتقاد النصارى توبة آدم عليه السلام إلى الله وتوبة الله سبحانه عليه جعلهم يعتقدون انتقال خطيئة آدم إلى أبنائه وجعلهم يفترون عقيدة الصلب والفداء والخلاص، وقد سبق الرد عليها مفصلا في (ص : ٤٧٨-٤٩٧) .

(٤) الأعراف الآية : ٢٣

(٥) ذكره البخاري (الأنبياء، ب : خلق آدم صلوات الله عليه و ذريته ١٢٠٩/٣) تعليقا بصيغة الجزم، ووصله الحافظ ابن حجر في (تغليق التعليق ٥/٤)، وقال : في (فتح الباري ٣٦٦/٦) : (وصله الطبري بإسناد حسن) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣/١-٢٤٤) بإسناد آخر غير الإسناد الذي ذكره الحافظ في تغليق التعليق، وكلا الإسنادين فيهما ضعف ولكن يتقوى أحدهما بالآخر فيكون حسنا والله أعلم بالصواب .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦/١ برقم : ٤١٤) وفي الإسناد خصيف بن عبد الرحمن الجزري، وهو صدوق سيء الحفظ خلط بآخره، إلا أن الراوي عنه هنا أحد السفيانيين، وقد قال ابن عدي (إذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه وروايته) فالظاهر أن هذا الأثر ثابت عن سعيد بن جبير والله أعلم . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٩٣ برقم : ١٧١٨)؛ وتهذيب التهذيب (٨٧/٢) .

ومجاهد^(١) وقتادة^(٢) والحسن^(٣) وابن زيد^(٤)، وهو محكي عن الضحاك^(٥). وذكر ابن أبي حاتم^(٦) وابن كثير^(٧) أنه قد روي نحو هذا القول عن محمد بن كعب القرظي^(٨) وخالد بن معدان^(٩) وعطاء الخراساني^(١٠) والربيع بن أنس. وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري^(١١)، وابن الجوزي^(١٢) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(١٣) لموافقة ظاهر القرآن له.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٤/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦/١ برقم : ٤١٤) بإسنادهما إليه، وفيه خفيف بن عبد الرحمن الجزري وقد سبق الكلام عنه في الهامش السابق ولكن تابعه هنا النضر بن عري الباهلي وهو صدوق لا بأس به، كما ذكر الحافظ في التقریب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٥) وروايته عند ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٥/١) إلا أن ابن وكيع وهو شيخ الطبري في هذا الإسناد ضعيف، ثم إن هذا الأثر رواه عن خفيف ثلاث ثقات : أولهما : أحمد السفيناني وروايته عند الطبري في تفسيره (٢٤٤/١). والثاني : قيس بن سليم العنبري وهو أيضا ثقة، وروايته عند الطبري في تفسيره (٢٤٤/١)، وفي تاريخه (٨٥/١). والثالث : زهير بن معاوية الجعفي وهو أيضا ثقة ثبت، وروايته عند ابن الجوزي في (المنتظم ٢١٣-٢١٤)، وقد سبق ذكر قول ابن عدي في الهامش السابق أنه إذا حدث عن خفيف ثقة فلا بأس بحديثه وروايته، فنظرا إلى رواية ثلاثة من الثقات عنه و متابعة الصدوق له يبين أن هذا الأثر صحيح ثابت إلى مجاهد والله أعلم بالصواب .

(٢) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٤٤/١)، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٥/١)، وإسناده صحيح، كما في التفسير الصحيح (١٤٣/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٥/١)، وإسناده صحيح، كما في التفسير الصحيح (١٤٣/١).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٥/١)، ورجال إسناده كلهم ثقات .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٦/٨)، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه هشيم بن بشير الواسطي، من مدلسي الطبقة الثالثة، كما في (طبقات المدلسين ص : ٤٧ برقم : ١١١)، وقد عنعن في هذه الرواية، وكذلك شيخه جوير بن سعيد الأزدي ضعيف جدا . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٣ برقم : ٩٨٧).

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٣٦-١٣٧).

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨١/١)؛ والبداية والنهاية (٨٠/١-٨١).

(٨) محمد بن كعب بن سليم، القرظي، المدني، ثقة عالم، مات سنة ١٢٠هـ على الصحيح . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٤ برقم : ٦٢٥٧).

(٩) خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، ثقة عابد يرسل كثيرا، توفي سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٩٠ برقم : ١٦٧٨).

(١٠) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس، توفي ١٣٥هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٢ برقم : ٤٦٠٠).

(١١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٥/١).

(١٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢١٣-٢١٤).

(١٣) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٦٨/١).

القول الثاني : ما رُوِيَ عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال آدم عليه السلام : أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم . قال : فذلك قوله : ﴿ فلتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ ^(١) ، ونحوه قال الحسن ^(٢) وقتادة ^(٣) .

القول الثالث : إن آدم عليه السلام قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعني أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى . قال : فهو قوله : ﴿ فلتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ . قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(٤) ، ونحوه حُكي عن السدي ^(٥) .

القول الرابع : إن آدم عليه السلام قال : أي رب أرأيت ما أتيت شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني ؟ قال : لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك . قال : يا رب فكما قدرته علي فاغفره لي . فذلك قوله تعالى : ﴿ فلتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ . قاله عبيد بن عمير رضي الله عنه ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥/١ برقم : ٤١٠) ، وإسناده ضعيف . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨١/١) ؛ وفي البداية والنهاية (٨١/١) : (هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع) ، وقد ذكر محقق تفسير ابن أبي حاتم أن في هذا الإسناد أربع علل .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣/١) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه الطبري في المصدر السابق ، وإسناده صحيح .

(٤) إسناده صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص : ٤٤٨) .

(٥) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٤/١) بإسناد ضعيف . انظر : (ص : ٩٧-٩٨ و٣٦٨) .

(٦) أخرجه الدارمي في (الرد على الجهمية ص : ١٢٣-١٣٣ برقم : ٢٧٧-٢٧٨) بإسناده ، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٤/١) من أربعة طرق ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦/١ برقم : ٤١٣) ؛ وأبو الشيخ في (العظمة ١٥٤٩/٥ برقم : ١٠١١) ؛ وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٢/٢٧٣) ؛ والآجري في (الشريعة ٢/٧٣٥-٧٣٦ برقم : ٣٢٢) بأسانيدهم وكلهم يجتمعون في الرواية عن عبد العزيز بن رفيع عن عمن سمع عبيد بن عمير . وهذا الإسناد ظاهره يدل على أن الذي روى عنه عبد العزيز مبهم . ولعل هذا الراوي المبهم هو مجاهد فقد ذكر ابن كثير في تفسيره (٨١/١) أنه قال في رواية : أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير . أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٤/١) ؛ والآجري في (الشريعة ٢/٧٣٦-٧٣٧ برقم : ٣٢٣) من طريق عبد الرزاق ثنا الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير . وعبد العزيز يروي عن عبيد بن عمير . فيمكن أن يكون عبد العزيز سمعه بواسطة مجاهد وبدون واسطة . الحاصل أن هذا الأثر إسناده متصل صحيح إلى عبيد بن عمير . وألفاظ الروايات متقاربة إلا أن الجملة الأخيرة من قوله : أي رب فكما قدرته علي فاغفره لي " لم يذكرها أبو نعيم والآجري في روايته الأولى ، وأما عبيد بن عمير فهو الليثي ، ولد في عهد النبي ﷺ كما قال مسلم وعده غيره من كبار التابعين ، مجمع على ثقته . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٧٧ برقم : ٤٣٨٥) .

القول الخامس : إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة فرع إلى كلمة الإخلاص فقال : لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي أنت خير الغافرين. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمي إنك أرحم الراحمين . لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم . هذا القول محكي عن ابن عباس ^(١) سعيد بن جبير ^(٢) ومجاهد ^(٣) وعن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية مختصرا ^(٤).

القول السادس : الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه أنه سبحانه علمه شأن الحج. هذا القول منسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(٥).

القول السابع : هي الحياء والدعاء والبكاء . ذكره البغوي والقرطبي ^(٦).

القول الثامن : هي الندم والاستغفار والحزن . ذكره القرطبي ^(٧).

(١) أخرجه أبو الشيخ في (العظمة ١٥٤٩/٥ برقم : ١٠١٠) وإسناده ضعيف جدا لأن فيه أبان بن أبي عياش العبدى وهو متروك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٧ برقم : ١٤٢) .

(٢) أخرجه هنادي في (الزهد ٤٦١/٢ برقم : ٩١٨) وهو كالإسناد السابق للعلّة نفسها .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٤/١ - ٢٤٥) ، وفي الإسناد أبو حذيفة موسى بن مسعود الشّهدى ، وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحّف . (تقريب التهذيب ص : ٥٥٤) . وكذلك فيه عبد الله ابن أبي نجیح وهو مع ثقته موصوف بالتدليس عن مجاهد ، ذكره الحافظ في (طبقات المدلسين ص : ٣٩ برقم : ٧٧) في المرتبة الثالثة ، وهذه الرواية عن مجاهد وقد عنعن فيها ولكن تابعه هنا عبد الله بن كثير الداري وهو ثقة . (تهذيب الكمال ٤٦٨/١٥) ، وروايته عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧/١ برقم : ٤١٥) باختصار ، إلا أن إسناد ابن أبي حاتم أيضا معلول بالعلّة الأولى التي في إسناد الطبري فالإسناد لا يخلو من الضعف ، والله أعلم .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٤/١) ، ورجال الإسناد كلهم ما بين ثقة وصدوق ماعدا رجلا واحدا ، لم أتمكن من معرفته وهو حميد بن نيهان الراوي عن عبد الرحمن بن يزيد وقد بحثت عنه كثيرا فلم أظفر به ، وكذلك لم يعرفه الشيخ أحمد محمد شاكر إذ قال في تعليقه على تفسير الطبري (٥٤٥/١ ، الهامش رقم : ١) : (حميد بن نيهان لم أجد له ترجمة ولا ذكرا وأخشى أن يكون محرفا عن شيء لا أعرفه) . وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، صدوق ، مات على رأس المائة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٥٣) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥/١ - ١٣٦ برقم : ٤١٢) ، وذكر المحقق أن الإسناد ضعيف لإمام شيخ أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي ، ولأن زهير بن معاوية الجعفي أخذ من شيخه أبي إسحاق بعد اختلاطه . و الأمر كما قال .

(٦) انظر بالترتيب : معالم التنزيل (٦٥/١) ؛ و الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/١) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/١) .

هذه الأقوال وإن كانت مختلفة في ألفاظها وعباراتها لكنها مجتمعة في معناها ومفهومها ومتفقة في الدلالة على أن آدم عليه السلام ندم على فعله واعترف بذنبه وأناب إلى ربه، وأنه طلب المغفرة والرحمة من ربه سبحانه وتعالى ، فلقاه الله كلمات من عنده سبحانه فقبلها آدم عليه السلام وعمل بها وتاب بقوله إياها وعمله بها إلى الله من خطيئته، فتاب الله عليه وغفر له ما صدر منه ^(١) ومع ذلك يمكن أن يقال أولى هذه الأقوال هو القول الأول لموافقة ظاهر القرآن الكريم له، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٥/١)؛ والتوسل وأنواعه وأحكامه (ص : ١٢٦) .

المطلب الثالث : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ أو أنه توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - والرد عليها، وبيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة .

أولاً : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ وجاهه وبيان بطلانها .

هناك من يزعم أن آدم عليه السلام لما أخطأ في الجنة بأكله من الشجرة المحرمة توسل بحق النبي ﷺ، فلما توسل بحق النبي ﷺ وجاهه قبل الله توبته وغفر له .

وقد استدل هؤلاء بما روي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة، قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله : يا آدم! وكيف عرفت محمدًا، ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحي رفعت رأسي؛ فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا : لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم! إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك ^(١).

فهم يزعمون أن آدم عليه السلام توسل بالنبي ﷺ قبل وجوده، لا يمكن أن يكون قد توسل بدعائه، وإنما ذلك توسل منه بحق النبي ﷺ وجاهه عند الله تعالى ^(٢).

(١) أخرجه كم (التاريخ، ب : استغفار آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ ٦١٥/٢) فقال : ثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعاً؛ والبيهقي في (دلائل النبوة ٤٨٨/٥ - ٤٨٩)، وهو يلتقي في إسناده مع شيخ الحاكم؛ والطبراني في (المعجم الأوسط ٣١٣/٦ - ٣١٤ ح : ٦٥٠٢)؛ وفي (المعجم الصغير ١٨٢/٢ ح : ٩٩٢)، وهو يلتقي في إسناده عند عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به، واللفظ للحاكم، وسيأتي بيان درجة الحديث والحكم عليه إن شاء الله .

(٢) ممن قال بذلك استدلالاً بهذا الحديث : البكري كما في (تلخيص كتاب الاستغاثة ٥٢/١ - ٥٣)؛ والسبكي في (شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص : ١٦١ - ١٦٢)؛ ونور الدين السمهودي في (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٣٧١/٤)؛ وفي (خلاصة الوفاء ص : ٧٣)؛ وأحمد بن زيني دحلان في (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص : ٢٤٢)؛ وإبراهيم السمودي في (سعادة الدارين في الرد على الفرقين الوهابية ومقلدة الظاهرية ص : ١٥٦ - ١٥٧)؛ ويوسف بن إسماعيل النبهاني في (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص : ١٥٦)؛ وفي

ولكن هذه الدعوى باطلة من وجوه كثيرة، ويمكن تلخيصها في وجهين :

الوجه الأول : بيان بطلان دعوى توسل آدم عليه السلام بحق النبي ﷺ رواية .

هذا الحديث الذي استدل به من زعم أن آدم عليه السلام كان توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة لا يصح الاستدلال به لكونه لم يثبت عن النبي ﷺ، وفي إسناده إليه علل وآفات، وهي كما يلي :

العلة الأولى : إن في إسناده هذا الحديث راويا اسمه عبد الله بن مسلم الفهري، وهو إما مجهول الحال، وإما متهم بالكذب والوضع عن الثقات . قال عنه الذهبي : (رواه عبد الله بن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه) ^(١) . وقال الحافظ ابن حجر : لا أستبعد أن يكون هو عبد الله بن مسلم بن رشيد فإنه من طبقته ^(٢) . وعبد الله بن مسلم بن رشيد قال عنه ابن حبان : (يروي عن الليث بن سعد ^(٣) وابن لهيعة ^(٤) ومالك، ويضع عليهم الحديث . أخبرنا عنه جماعة بنيسابور، لا يحل كتابة حديثه ولا ذكره، وهذا شيخ أصحابنا، وإنما ذكرته لثلا يحتج به واحد من أصحاب الرأي على من لم يتبحر في

الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص : ١٤)؛ ومحمد زاهد الكوثري في (محق القول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣)؛ وسلامة القضاء العزامي الشافعي في (البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة ص : ٣٩٤-٣٩٥)؛ وابن جرجيس كما في (منهاج التأسيس والتقديس ص : ٣٩١)؛ والغماري في (إتحاف الأذكياء بما ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء ص : ٥-٧)؛ وحسين حلمي إيشيق إستانبولي في (علماء المسلمين والوهابيون ص : ١٣٧ و١٥٦)؛ ومحمد بن علوي المالكي في (مفاهيم يجب أن تصحح ص : ١١٩-١٢٨)؛ ومحمد زكريا الكاندهلوي الديوبندي التبليغي في (فضائل أعمال، فضائل ذكر ص : ٣٩٨-٤٠٠ ح : ٢٨)؛ ومحمد نعيم مراد آبادي الهندي البريلوي في تفسيره للقرآن بالأردية (ص : ١٢)؛ وغلان نبي بن عنایت الله كمرئي في (خلاصة الأنبياء ص : ٢٠٣) وغيرهم .

(١) تلخيص المستدرك (٦١٥/٢) .

(٢) انظر : لسان الميزان (٣٥٩/٣-٣٦٠ برقم : ١٤٥١) بتصرف واختصار .

(٣) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، توفي في شعبان سنة ١٧٥هـ .

انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦٤ برقم : ٥٦٨٤) .

(٤) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي المصري، القاضي، صدوق، اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن

وهب عنه أعدل من غيرهما، توفي سنة ١٧٤هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣١٩ برقم : ٣٥٦٣) .

العلم من أصحابنا فيوهمه أنه كان ثقة، وهو الذي روى عن أبي هذبة ^(١) نسخة كلها معمولية ^(٢). قال ابن الجوزي : (قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكره) ^(٣). وقال الذهبي : (متهم بوضع الحديث) ^(٤) ووافقه الحافظ ابن حجر ^(٥).

العلة الثانية : هذا الحديث لا يعرف إلا من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . قال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن ... لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد) ^(٦). وقال البيهقي : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف) ^(٧). وذكر الحافظان ابن كثير وابن حجر كلام البيهقي السابق فأقراه، ولم يعقبا عليه بشيء ^(٨).

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي تفرد برواية هذا الحديث عن أبيه، وعليه مدار الإسناد قد تكلم فيه النقاد، فقال فيه الإمام أحمد وأبو زرعة وأبو داود ^(٩) والنسائي والبيهقي والحافظ ابن حجر : (ضعيف) ^(١٠). وقال الساجي : (منكر الحديث) ^(١١). وكذلك ضعفه العقيلي والدارقطني وابن الجوزي فذكروه في كتبهم الخاصة بالضعفاء والمتروكين ^(١٢). فهو ضعيف عند هؤلاء الأئمة .

(١) إبراهيم بن هذبة الفارسي ثم البصري، كذاب، كان رقاصا بالبصرة، ولما شاخ كان يروي عن أنس رضي الله عنه عجائب، وأحاديث كلها بواطيل وأكاذيب . انظر : المجروحين (١١٤/١ - ١١٥ : برقم : ٢٩)؛ ولسان الميزان (١١٩/١ - ١٢١ : برقم : ٣٧٠) .

(٢) المجروحين (٤٤/٢ : برقم : ٥٧٥) .

(٣) الضعفاء والمتروكين (١٤١/٢ : برقم : ٢١٢١) .

(٤) المغني في الضعفاء (ص : ٣٥٨ : برقم : ٣٣٦٩)؛ وميزان الاعتدال (٥٠٣/٢ : برقم : ٤٦٠٤) .

(٥) انظر : لسان الميزان (٣٥٩/٣) .

(٦) للمعجم الأوسط (٣١٤/٦)، وانظر : للمعجم الصغير (١٨٢/٢)، والطبراني هو سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، الإمام الحافظ الثقة محدث الإسلام، توفي سنة ٣٦٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١١٩/١٦ - ١٢٨) .

(٧) دلائل النبوة (٤٨٩/٥) .

(٨) انظر بالترتيب : البداية والنهاية (٨١/١ و ٣٢٢/٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٢١) .

(٩) سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن، الإمام شيخ السنة، توفي سنة ٢٧٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣ - ٢٢١) .

(١٠) انظر أقوال هؤلاء الأئمة بالترتيب في : بحر الدم (ص : ٢٦٠ : برقم : ٥٩٨)؛ وتهذيب الكمال (١١٦/١٧ - ١١٨)؛ والضعفاء والمتروكون للنسائي (ص : ١٤٩ : برقم : ٣٦٠)؛ ودلائل النبوة (٤٨٩/٥)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ : برقم : ٣٨٦٥) .

(١١) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣٦٤/٣ : برقم : ٤٤٠٨) .

(١٢) انظر بالترتيب : كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي (٣٣١/٢ : برقم : ٩٢٦)؛ و"الضعفاء والمتروكون" للدارقطني (ص : ٣٣٦ : برقم : ٣٣١)؛ والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٩٥/٢ : برقم : ١٨٧١) .

وقال خالد بن خدّاش^(١) : (قال لي الدراوردي^(٢) ومعن^(٣) وعامة أهل المدينة : لا نريد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنه كان لا يدري ما يقول)^(٤). وقال الطحاوي : (حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف)^(٥) . وقال ابن سعد : (كان كثير الحديث ضعيفا جدا)^(٦) . وقال ابن معين : (ليس حديثه بشيء)^(٧) . وقال البخاري^(٨) : (ضعفه علي^(٩) جدا)^(١٠) . وقال أبو حاتم : (ليس بقوي الحديث ، كان في نفسه صالحا ، وفي الحديث واهيا ، ضعفه علي بن المديني جدا)^(١١) . وقال الترمذي : (ضعيف في الحديث ضعفه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما من أهل الحديث ، وهو كثير الغلط)^(١٢) .

-
- (١) خالد بن خدّاش بن عجلان الأزدي المهلب مولاهم ، من تلامذة الإمام مالك ، ومن شيوخ الإمام مسلم والإمام أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهم ، وهو ثقة صدوق ، وتوفي سنة ٢٢٣هـ . انظر : تهذيب الكمال (٤٥/٨ - ٥٠ برقم : ١٦٠٢) .
- (٢) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي ، المدني ، صدوق ، كان يحدث من كتب غيره فيخطئ ، توفي سنة ست أو سبع وثمانين بعد المائة الهجرية . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٥٨ برقم : ٤١٠٨) .
- (٣) معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي ، الحافظ الثبت الثقة ، أثبت أصحاب مالك وأوثقهم ، توفي سنة ١٩٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٠٤/٩ - ٣٠٦) .
- (٤) ذكره عنه المزني في (تهذيب الكمال ١٧/١١٨) .
- (٥) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤) ، والطحاوي هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري ، الإمام الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفتيها ، توفي سنة ٣٢١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥ - ٣٣) .
- (٦) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤) ، وابن سعد هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم ، البصري ، كاتب الواقدي ، صدوق فاضل ، توفي سنة ٢٣٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٠ برقم : ٥٩٠٣) .
- (٧) ذكره عنه المزني في (تهذيب الكمال ١٧/١١٧) ، وابن معين هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم ، إمام الجرح والتعديل ، ثقة حافظ ، توفي بالمدينة النبوية سنة ٢٤٣هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٩٧ برقم : ٧٦٥١) .
- (٨) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي مولاهم ، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ ، أمير المؤمنين في الحديث ، صاحب الجامع الصحيح وغيره من المصنفات الكثيرة ، توفي سنة ٢٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩١ وما بعدها) .
- (٩) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم ، أبو الحسن بن المديني ، ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه ، عيب عليه إجابته في الحنة ، لكنه تنصل وتاب ، واعتذر بأنه خاف على نفسه ، توفي سنة ٢٣٤هـ على الصحيح . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٠٣ برقم : ٤٧٦٠) .
- (١٠) التاريخ الكبير (٢٨٤/٥ برقم : ٩٢٢) ؛ والضعفاء الصغير (ص : ٤٥٦ برقم : ٢٠٨) .
- (١١) الجرح والتعديل (٥/٢٣٣ برقم : ١١٠٧) .
- (١٢) سنن الترمذي (٢٦/٣) ، والترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى ، صاحب الجامع ، أحد الأئمة الحفاظ النقاد ، توفي سنة ٢٧٩هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٠ برقم : ٦٢٠٦) .

وقال البزار ^(١): (عبد الرحمن منكر الحديث جدا) ^(٢)، وقال أيضا: (عبد الرحمن بن زيد قد أجمع أهل العلم بالنقل على تضعيف أخباره، وليس هو بحجة فيما ينفرد به) ^(٣). وقال ابن خزيمة: (ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجل صناعته العبادة والتشفي، ليس من أحلاس الحديث) ^(٤). وقال ابن حبان: (كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف فاستحق الترك) ^(٥). وقال ابن الجوزي: (أجمعوا على ضعفه) ^(٦). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا) ^(٧). وقال الذهبي: (واه) ^(٨)، وقال أيضا: (ضعفوه) ^(٩). فهو ضعيف جدا عند هؤلاء الأئمة بل هناك من اتهمه بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه كما سيأتي.

العلة الثالثة: مرويات عبد الرحمن بن زيد ضعيفة جدا، ولا سيما رواياته عن أبيه في غاية الضعف وأشدّها بل هو متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه. قال أبو نعيم ^(١٠): (حدث عن أبيه، لا شيء) ^(١١). وقال الإمام الشافعي: (ذكر رجل لملك حديثا فقال: من حدثك؟ فذكر إسنادا له منقطعا. فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح) ^(١٢). وقال الحاكم ^(١٣):

(١) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري البزار، الإمام الحافظ الكبير، صاحب المسند، توفي سنة ٢٩٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٥٥٤-٥٥٧).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٢/٤٤٥ ح: ٢٠٧١).

(٣) المصدر السابق (١/١٠٩ ح: ١٩٤).

(٤) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤ برقم: ٤٤٠٨).

(٥) المجرّوحين (٢/٥٧ برقم: ٥٩٨).

(٦) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤ برقم: ٤٤٠٨).

(٧) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص: ١٣٧).

(٨) تلخيص المستدرك (٢/٦١٥).

(٩) الكاشف (١/٦٢٨ برقم: ٣١٩٤).

(١٠) أحمد بن عبد الله بن أحمد، الأصبهاني، الصوفي، الإمام العلامة الحافظ الثقة، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٤٣٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٤٥٣-٤٦٣).

(١١) كتاب الضعفاء (ص: ١٠٢ برقم: ١٢٢).

(١٢) ذكره عنه المزي في (تهذيب الكمال ١٧/١١٨).

(١٣) محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن البيع الحاكم، النيسابوري الشافعي، الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين، صاحب المستدرك على الصحيحين، توفي سنة ٤٠٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢-١٧٧).

(روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه) (١).
 وقال الحافظ ابن حجر : (قال الحاكم وأبو نعيم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة) (٢).
 فهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكلها دالة على توهينه وتضعيفه وأخف الأقوال في تضعيفه - فيما وقفت عليه - ما جاء عن ابن عدي حيث قال : (له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه) (٣).
 ولكن هذا لا يعنى أنه صدوق، وأن ما رواه يكون في درجة الحسن عنده بل هو أشار بقوله : (هو ممن يكتب حديثه) إلى أنه من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم ليعتبر به وينظر فيه.
 وهذه الكلمة من أدنى مراتب التوثيق وأنزلها عند أئمة الجرح والتعديل (٤) فلا تأثير لها في مقابل ما تقدم ذكره من كونه ضعيفا بالإجماع، وكونه ضعيفا جدا عند أكثرهم، ولا سيما فيما رواه عن أبيه لكونه متهما بوضع الأحاديث وروايتها عنه أبيه .

العلة الرابعة : وللحديث علة غير ما سبق نبه عليها العلامة الألباني (٥)، وهي اضطراب عبد الرحمن أو من دونه في إسناده، فتارة كان يرفعه كما مضى، وتارة كان يرويه موقوفاً على عمر رضي الله عنه ، من غير أن يرفعه إلى النبي ﷺ كما رواه الآجري (٦) من طريق عبد الله بن إسماعيل بن بنت أبي مريم عن عبد الرحمن بن زيد به نحوه، مع أن هذا الأثر الموقوف أيضاً غير صحيح إلى عمر رضي الله عنه .
 قال الشيخ الألباني : (وعبد الله هذا لم أعرفه أيضاً؛ فلا يصح عن عمر لا مرفوعاً ولا موقوفاً) (٧).

أقوال أئمة الحديث في الحكم على هذا الحديث :

هذا الحديث قد تكلم فيه أهل العلم بالحديث واختلفت أقوالهم في بيان درجته فقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن

(١) المدخل إلى الصحيح (ص : ١٥٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (٣ / ٣٦٤ برقم : ٤٤٠٨) .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٤ / ٢٧٣ برقم : ١١٠٥) .

(٤) انظر : الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل (ص : ١٥٨)؛ وضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٧١) .

(٥) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

(٦) انظر : الشريعة (٣ / ١٤١٥ برقم : ٩٥٦) .

(٧) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

أسلم في هذا الكتاب (^(١))، وصححه السبكي اعتمادا على تصحيح الحاكم إذ قال : (قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم) (^(٢)).

وقال البيهقي : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف، والله أعلم) (^(٣))، وأقره الحافظان ابن كثير وابن حجر (^(٤))، وكذلك ضعفه الشهاب الخفاجي وملا علي القاري (^(٥)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس له أصل؛ وهو من جنس ما يرويه بعض العامة من الموضوعات، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها، ولا اعتمد عليها (^(٦)).

وقال ابن عبد الهادي (^(٧)) : (إنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدا، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمن... ولو كان صحيحا إلى عبد الرحمن لكان ضعيفا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه... حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث موضوع) (^(٨)).

وقال الذهبي : (موضوع، وعبد الرحمن واه) (^(٩)). وقال أيضا في ترجمة عبد الله بن مسلم أبي الحارث الفهري : (روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن

(١) المستدرك على الصحيحين (التاريخ، ب : استغفار آدم ﷺ بحق محمد ﷺ ٦١٥/٢) .

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص : ١٦٣) ، والسبكي هو علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، الأشعري الصوفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، وفي بعضها ما يمس جانب العقيدة يجب الحذر منها مثل كتابه المذكور آنفا، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٠/١٣٩-٣٣٨)؛ ومعجم المؤلفين (١٢٧/٧) .

(٣) دلائل النبوة (٤٨٩) .

(٤) انظر بالترتيب : البداية والنهاية (٨١/١ و ٣٢٢/٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٢١) .

(٥) انظر بالترتيب : نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض (٢٢٤/٢)؛ وشرح الشفاء (٢٢٤/٢) .

(٦) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٦٧/١ - ٧٠)؛ وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٣٦-١٤٢)، وفي كلام شيخ الإسلام إشارة واضحة بأن الاستدلال بهذا الحديث على جواز التوسل بحق النبي ﷺ متأخر جدا وإنما هو من إحداث أهل البدع كالبكري والسبكي وأمثالهما ثم من تبعهم في بدعتهم .

(٧) محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، فقيه أصولي نحوي محدث حافظ مفسر لغوي عارف بالرجال، تفقه بشيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة ٧٤٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٨٧/٨) .

(٨) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص : ٦٠ - ٦٣) .

(٩) تلخيص المستدرك (٦١٥/٢) .

زيد بن أسلم خبرا باطلا، فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك (١) ؛ ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر (٢) ، ووافقهما ابن عراق الكنتاني (٣) في كون الخبر باطلا (٤). وقال الشيخ سليمان النجدي (٥) : (حديث ضعيف بل موضوع؛ لأنه مخالف للقرآن) (٦)، وسيأتي بيان وجه مخالفته للقرآن الكريم عند الكلام على الحديث من ناحية متنه . وقال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري : (عبد الرحمن بن زيد يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وهذا الحديث من جملتها) (٧). قال العلامة الألباني : (لا يصح عن عمر لا مرفوعا ولا موقوفا) (٨) وقال أيضا : (جملة القول؛ أن الحديث لا أصل له عنه - صلى الله عليه وسلم - فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني) (٩). وذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله - أقوال أهل العلم في بيان الحكم على الحديث، وبين اعتذار أهل العلم للحاكم على تصحيحه لمثل هذا الحديث (١٠)، واختار أنه حديث موضوع (١١). وبالنظر في العلل والآفات الموجودة في إسناد الحديث ورجالها، وبالنظر في أقوال الأئمة في الحكم على الحديث وبيانهم لدرجته يترجح لدي كون الحديث موضوعا لكون مدار الحديث على عبد الرحمن بن زيد وهو ضعيف كثير الغلط بالإجماع، ومتهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه

-
- (١) ميزان الاعتدال (٥٠٤/٢ : ترجمة رقم : ٤٦٠٤) .
(٢) انظر : لسان الميزان (٣٥٩/٣ - ٣٦٠ : ترجمة رقم : ١٤٥١) .
(٣) علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكنتاني الشافعي، فقيه مقرئ محدث مؤرخ، توفي بالمدينة سنة ٩٦٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢١٨/٧) .
(٤) انظر : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٧٦/١) .
(٥) سليمان بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، فقيه مفسر محدث، توفي سنة ١٢٣٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٦٨/٤) .
(٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص : ٢٤٦) .
(٧) تحفة القاري في الرد على الغماري (ص : ٤٤) [مطبوع ضمن سلسلة الأنصارية الأولى] .
(٨) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .
(٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٩١/١ ح : ٢٥)؛ وانظر أيضا : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١١٥ - ١٢٨) .
(١٠) انظر : هذه مفاهيمنا (ص : ٢٥ - ٢٨) .
(١١) انظر : المصدر السابق (ص : ٣١) .

وهذا مما رواه عن أبيه، ولكون هذه الرواية مخالفة للقرآن الكريم من وجهين كما سيأتي بيانه .

انتقاد الأئمة تصحيح الإمام الحاكم لهذا الحديث .

أما إخراج الإمام الحاكم هذا الحديث في المستدرك على الصحيحين وقوله عقب إخراجه : (هذا حديث صحيح الإسناد) ^(١) فهذا مما انتقد عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث ... ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه وإن كان الضواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه) ^(٢) .

فتصحيح الإمام الحاكم لهذا الحديث مخالف لما ذهب إليه أهل العلم بالحديث وغلله بل هو مناقض ومخالف لما قرره هو إذ قال : (أنا مبين بعون الله وتوفيقه أسامي قوم من المجروحين ممن ظهر لي جرحهم، اجتهدا ومعرفة بجرحهم، لا تقليدا فيه لأحد من الأئمة، وأتوهم أن رواية أحاديث هؤلاء لا تحل إلا بعد بيان حالهم لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديثه : ((من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)) ^(٣) فمنهم ^(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه) ^(٥) .

فالإمام الحاكم يتهم عبد الرحمن بن زيد بالوضع، ومن تأمل كلامه السابق يتبين له بوضوح أن حديث عبد الرحمن بن زيد هذا موضوع عند الحاكم نفسه، وأن من يرويه بعد العلم بحاله فهو أحد الكاذبين .

ولذلك لما حكم الإمام الحاكم على حديث عبد الرحمن بن زيد بصحة الإسناد عد ذلك من

(١) المستدرك على الصحيحين (التاريخ ، ب : استغفار آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ ٦١٥/٢) .

(٢) قاعدة جلية في التوصل والوسيلة (ص : ١٣٨-١٣٩) .

(٣) أخرجه م من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة في (المقدمة ، ب : وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين ... ٨/١) ، وقال عنه : (الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ) ؛ وأخرجه حب كما في الإحسان من

حديث سمرة بن جندب في (٢١١/١ ح : ٢٩) باختلاف يسير في لفظهما عن اللفظ المذكور .

(٤) المدخل إلى الصحيح (ص : ١١٤) .

(٥) المصدر السابق (ص : ١٥٤) .

تساهله وغفلته حتى تعجب من صنيعه الحافظ ابن حجر فقال : (و من عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال - بعد روايته : هذا صحيح الإسناد ... مع أنه قال - في كتابه الذي جمعه في الضعفاء : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه ... فكان هذا من عجائب ما وقع له من التساهل والغفلة) ^(١) . وقال معتذرا عنه : (لكن قيل في الاعتذار عنه أنه عند تصنيفه للمستدرک كان في أواخر عمره، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره . ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له، وقطع بترك الرواية عنهم، ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدرکه وصححها. من ذلك أنه أخرج حديثا لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكان قد ذكره في الضعفاء) ^(٢) وذكر مثل كلامه السابق .

يتبين مما سبق أن الإمام الحاكم حصل منه تساهل وغفلة في حكمه على الحديث بصحة إسناده، وهو قول مخالف لأقوال الأئمة النقاد الآخرين بل هو مخالف ومتناقض مع قوله هو كما سبق بيانه، فلا يصح الاستدلال بهذا الحديث والتمسك به اعتمادا على تصحيحه. وإذا تبين وهن تصحيح الحاكم للحديث تبين خطأ من صححه تقليدا له واعتمادا عليه .

محاولات فاشلة لتقوية حديث توسل آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ.

● دعوى أن الحديث له طريق آخر عند الطبراني ومحاولة تقوية الحديث به .

هناك من زعم ^(٣) أن حديث عمر بن الخطاب في توسل آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ له طريق آخر، لم يقف عليه الذهبي وإلا لم يحكم عليه بالوضع؛ فقد أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير فقال : حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصديقي المصري حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به نحوه، فهذه متابعة قاصرة لرواية أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري عند الحاكم. ولكن هذه الدعوى مبنية على المغالطة أو الجهل بقواعد علم الحديث وأصوله؛ إذ هذا الإسناد

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح (٣١٨/١ - ٣١٩) .

(٢) لسان الميزان (٢٣٣/٥) في ترجمة الحاكم .

(٣) ذكر ذلك العلامة الألباني عن بعض المعاصرين . انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٣ - ١٢٤) .

أيضا مداره على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولا يعرف الحديث من غير طريقه كما سبق بيانه من خلال أقوال الأئمة منهم الطبراني والبيهقي وابن كثير وابن حجر. وأما متابعة عبد الله بن إسماعيل المدني لرواية عبد الله بن مسلم الفهري فإنها متابعة لا يفرح بها إذ جميع رواتها قبل عبد الرحمن بن زيد مجاهيل. أشار إلى جهالتهم الحافظ الهيثمي^(١) إشارة بمحالة فقال: (رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم)^(٢) وفصل ذلك العلامة الألباني فقال: (هذا سند مظلم فإن كل من دون عبد الرحمن لا يعرفون)^(٣) وقال أيضا: (طريق الطبراني فيه علاوة على عبد الرحمن هذا ثلاثة رجال آخرون لا يعرفون)^(٤). فهذا الإسناد أشد ظلمة وأكثر آفة من إسناد الحاكم؛ ولا يمكن تقوية الضعيف جدا على أقل تقدير بما هو أشد ضعفا منه. و به يعلم بطلان دعوى أن الحديث له طريق آخر، وأنه لو اطلع عليه الذهبي لم يحكم عليه بالبطلان والوضع^(٥).

● محاولة تقوية عبد الرحمن بن زيد وتقوية روايته عن أبيه .

وهناك من حاول تقوية عبد الرحمن بن زيد بدعوى أنه لم يتهمه أحد من الأئمة بالكذب^(٦)، وكذلك بدعوى أنه روى هذا الحديث عن أبيه، والابن يكون من أقرب الأشخاص إلى والده فيكون أعرف الناس بحديثه فتكون روايته عن أبيه أدعى للحفظ والقبول^(٧). ولكن هذه دعوى باطلة ومحاولة فاشلة لأن دعوى أنه لم يتهمه أحد من الأئمة بالكذب يردّها كلام الأئمة مثل الإمام مالك والحاكم وأبي نعيم من أنه كان يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وأنه هو المتهم بوضعها وروايتها عن أبيه . وأما دعوى أنه روى هذه الرواية عن أبيه، وهذا أدعى لقبول روايته فهذه دعوى بعيدة عن المنهج العلمي، ولا وزن لها في ميزان العلم؛ فإن العبرة بعدالة الناقل وثقته

(١) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي، محدث حافظ، توفي سنة ٨٠٧ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٤٥/٧) .

(٢) مجمع الزوائد (٢٥٣/٨) .

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١١٦) .

(٤) المصدر السابق (ص : ١٢٤) .

(٥) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

(٦) انظر : هذه المحاولة عند الكوثري في (حق القول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣)؛ وسلامة

العزامي في (البراهين الساطعة ص : ٣٩٤-٣٩٥) .

(٧) انظر : هذه المحاولة عند سلامة العزامي في (البراهين الساطعة ص : ٣٩٤-٣٩٥) .

وحفظه وضبطه وإتقانه . وليس ضروريا أن يكون الابن حافظا لعلم أبيه ضابطا له، ولا سيما عبد الرحمن بن زيد قد نص الأئمة على ضعفه وسوء حفظه وكثرة غلطه، كما نصوا على أنه متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه .

● محاولة تقوية الحديث بالحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور :

هناك من يزعم أن الإمام مالك أيضا ممن يرى أن آدم عليه السلام كان توسل بنينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن قصة توسل آدم عليه السلام بنينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابت عنده. وهم يستندون في ذلك إلى حكاية مكذوبة نسبت إليه، وهي التي رويت من طريق يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر ^(١) أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدب قوما فقال : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ ^(٢). ومدح قوما فقال : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ ^(٣). وذم قوما فقال : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ ^(٤). وإن حرمة ميتا كحرمة حيا .

فاستكان لها أبو جعفر، وقال : يا أبا عبد الله، أ أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله . قال الله تعالى : ﴿ ولأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا ﴾ ^(٥) ^(٦).

فبهذه الحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك يحاولون بها الرفع من شأن حديث الرحمن بن

(١) عبد الله بن محمد بن علي القرشي الهاشمي العباسي، أبو جعفر المنصور، من خلفاء بني عباس، تولى الخلافة في بداية عام ١٣٧هـ وتوفي سنة ١٥٨هـ بمكة . انظر : موسوعة خلفاء المسلمين (١٠/٢ - ١٦) .

(٢) الحجرات الآية : ٢

(٣) الحجرات الآية : ٣

(٤) الحجرات الآية : ٤

(٥) النساء الآية : ٦٤

(٦) أخرجه بإسناده القاضي عياض في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ٥٩٥/٢ - ٥٩٦) .

زيد بن أسلم الذي سبق ذكره، ويرعمون أن تلك القصة ثابتة عند الإمام مالك ثم يستدلون بمثل هذه الأحاديث والحكايات على جواز التوسل بالذوات الفاضلة عند الله تعالى ^(١).

ولكن هذه الحكاية لم تثبت عن الإمام مالك بل هي مكذوبة عليه ومنسوبة إليه كذبا وزورا، وبيان ذلك من وجهين :

الوجه الأول : الكلام فيها من ناحية سندها .

هذه الحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك في سندها إليه عدة علل، وهي كما يلي :

العلة الأولى : في إسناده محمد بن حميد الرازي : روي الحكاية عن الإمام مالك. وقد تكلم فيه الأئمة النقاد فقال البخاري : (فيه نظر) . وقال النسائي : (ليس بثقة) . وقال الجوزجاني ^(٢) : (كان رديء المذهب، غير ثقة) . وقال يعقوب بن شيبه السدوسي ^(٣) : (كثير المناكير) . وقال الكوسج ^(٤) : (أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان) . وقال صالح الجزرة ^(٥) : (كل شيء يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه) . وقال أبو زرعة وابن واره ^(٦) : (صح عندنا أنه يكذب) . وقال أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي بن أخي أبي زرعة : سألت

(١) من الذين زعموا ذلك البكري كما في (كتاب تلخيص الاستغاثة ٨٥/١)؛ والسبكي في (شفاء السقام ص : ٦٩ - ٧٠ و ١٥٤ - ١٥٥)؛ والسمهودي في (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٣٧٦/٤)، وفي (خلاصة الوفاء ص : ٧٥ - ٧٦)؛ وأحمد بن زيني دحلان في (خلاصة الكلام ص : ٢٤٢ - ٢٤٣)؛ والسمودي في (سعادة الدارين ص : ١٥٩)؛ ويوسف النبهاني في (شواهد الحق ص : ١٠٦ و ١٠٧)؛ وفي (الأنوار المحمدية ص : ٥٩٨)؛ والكوثري في (محقق القول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣ - ٤٨٥)؛ والغماري في (إتحاف الأذكياء ص : ١١ - ١٢)؛ وحسين حلمي إيشيق إستانبولي في (علماء المسلمين والوهابيون ص : ١٥٦ و ١٨٥ و ١٨٧)؛ ومحمد بن علوي المالكي في (إمام دار الهجرة مالك بن أنس ص : ٣٦٢) .

(٢) إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني، ثقة حافظ، رمي بالنصب، توفي سنة ٢٥٩ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٩٥ رقم : ٢٧٣) .

(٣) يعقوب بن شيبه الصلت السدوسي، الحافظ الكبير العلامة الثقة، توفي سنة ٢٦٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٧٦/١٢ - ٤٧٩) .

(٤) إسحاق بن منصور بن براهيم الكوسج، ثقة ثبت، توفي سنة ٢٥١ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٠٣ رقم : ٣٨٤) .

(٥) صالح بن محمد بن عمرو البغدادي الأسدي مولاها، الملقب بالجزرة، الإمام الحافظ الكبير الحجة محدث المشرق، توفي سنة ٢٩٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣/١٤ - ٣٣) .

(٦) محمد بن مسلم بن عثمان، الحافظ الإمام الجود أبو عبد الله بن واره الرازي، ثقة صاحب حديث، توفي سنة ٢٧٠ هـ على الصحيح . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨/١٣ - ٣٢) .

أبا زرعة عن محمد بن حميد، فأوماً بأصبغه إلى فمه، فقلت له : كان يكذب ؟ فقال برأسه : نعم . فقلت له : كان قد شاخ لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه . فقال : لا يا بني كان يتعمد . وقال أبو علي النيسابوري ^(١) : قلت لابن خزيمة : لو حدث الأستاذ عن محمد بن حميد؛ فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه ؟ قال : إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثني عليه أصلاً . وقال ابن حبان : (كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده) ^(٢) .

وقد سئل يحيى بن معين عن محمد بن حميد الرازي فقال : (ثقة ليس به بأس رازي كيس) ^(٣) . فابن حميد وإن كان أثني عليه ابن معين والإمام أحمد بن حنبل ووثقاه في رواية عنهما لكن جرح الأئمة الآخرين له مقدم على توثيقهما، وذلك للأمور التالية :

- ١- إن الذين جرحوه أتوا بجرح مفسر والجرح المفسر يقدم على التعديل غالباً عند تعارضهما ^(٤) .
- ٢- إن الذين جرحوه بعضهم من أهل بلده، وبلدي الرجل يكون أعرف بالرجل وأخبر بحاله و هذه قرينة قوية تؤيد جانب الجرح على تعديله .
- ٣- إن الذين وثقوه عذرهم أنهم لم يعرفوه عن حقيقة حاله كما قال ابن خزيمة، ولذلك عندما أخبروا عن حقيقة حاله رجعوا عن توثيقه .

قال أبو حاتم الرازي : سألت يحيى بن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهر، فقال : أي شيء تنقمون عليه ؟ فقلت : يكون في كتابه الشيء، فنقول ليس هذا هكذا إنما هو كذا وكذا فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول . قال : بثس هذه الخصلة ^(٥) . وقال صالح بن الإمام أحمد ^(٦) : قال محمد بن مسلم بن واره لأبي : يا أبا عبد الله رأيت محمد

(١) الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري، الحافظ الإمام الناقد العلامة الثبت، من أخص شيوخ الحاكم ، توفي سنة ٣٤٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٩-٥١/١٦) .

(٢) انظر أقوال هؤلاء الأئمة في : التاريخ الكبير (٦٩/١ برقم : ١٦٧)؛ والتاريخ الصغير (٣٨٦/٢ برقم : ٢٩٧١)؛ وأحوال الرجال للحوزجاني (ص : ٢٠٧ برقم : ٣٨٢)؛ والمجروحين (٣٠٣/٢ - ٣٠٤)؛ وتهذيب الكمال (٢٥/١٠٢-١٠٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٥٠٤/١١) .

(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ٢٣٢/٧) .

(٤) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ٤٤ - ٤٧) .

(٥) ذكره عنه ابنه في (الجرح والتعديل ٢٣٢/٧)؛ والمزي في (تهذيب الكمال ١٠١/٢٥) .

(٦) صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، محدث فقيه، توفي سنة ٢٦٥هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٢ - ٥٣٠) .

ابن حميد ؟ قال : نعم . قال : كيف رأيت حديثه ؟ قال : إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة، وإذا حدث عن أهل بلده أتى بأشياء لا تعرف، لا تدري ما هي ؟ قال : فقال أبو زرعة وابن وارة : صح عندنا أنه يكذب . قال : فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر بن حميد نفى يده ^(١) .
فيتين مما سبق ويترجح أن محمد بن حميد الرازي كان يكذب في الأحاديث فلا تقبل روايته أبداً، والله أعلم بالصواب .

العلة الثانية : الانقطاع بين ابن حميد هذا وبين الإمام مالك بن أنس فإنه لم يسمع من مالك ولم يلقه، ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور ^(٢) ويدل على ذلك أمور، وهي كما يلي :
١ - ذكر الذهبي أن ابن حميد كانت ولادته في حدود الستين ومئة ^(٣)، والإمام مالك توفي سنة ١٧٩هـ ^(٤) .

٢ - وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن حميد لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه ^(٥) .

٣ - أبو جعفر المنصور حج عدة مرات : في عام ١٤٠هـ و ١٤٤هـ و ١٤٧هـ و ١٥٢هـ وهذه الأعوام هي التي يمكن أن يجتمع بالإمام مالك في المدينة . وأما حجته الأخيرة التي كانت سنة ١٥٨هـ فهو لم يصل فيها إلى المدينة بل كان قد توفي في الحج قبل أن يأتي إلى المدينة ^(٦) .
فآخر قدمة قدمها أبو جعفر المنصور المدينة كانت سنة ١٥٢هـ . ولا يمكن لابن حميد أن يحضر المناظرة في هذا السنة الأخيرة؛ لأنه لم يولد إلا في حدود الستين ومئة كما قال الذهبي، فهي على ذلك تكون قبل ولادته، ولو فرضنا أن ولادته كانت قبل ذلك الوقت فإنه لا يمكنه حضور تلك المناظرة لأنه لم يرحل من بلده إلا وهو كبير، وكان في خراسان والقصة كانت في المدينة النبوية .
فيتبين من ذلك أن ابن حميد هو الذي اختلق هذه الحكاية ونسبها إلى الإمام مالك أو أنه أخذها من غيره ولكنه لم يبينه ورواها منقطعة، فبينه وبين الإمام مالك مجهول لا يعرف .

(١) ذكره عنه ابن حبان في (المجروحين ٣٠٤/٢) .

(٢) انظر : قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢)؛ والصارم المنكي (ص : ٣٤٥) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٥٠٣/١١) .

(٤) انظر : قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢)؛ وسير أعلام النبلاء (١٣٠/٨) .

(٥) انظر : قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٢٧/١٠ - ١٢٨) .

العلة الثالثة : إن في الطريق إلى ابن حميد من يجهل حاله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
(وفي الإسناد أيضا من لا يعرف حاله) ^(١) . وقال ابن عبد الهادي : (إسناد ليس بجيد بل
هو إسناد مظلم منقطع وهو مشتمل على من يتهم بالكذب ، وعلى من يجهل حاله) ^(٢) .

العلة الرابعة : إن الإمام مالك لم يسندها إلى النبي ﷺ ، فهي حكاية مقطوعة على الإمام مالك
على فرض ثبوتها عنه ، وليس فيها حجة بل الحجة فيما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ^(٣) .

العلة الخامسة : إن محمد بن حميد تفرد برواية هذه الحكاية عن الإمام مالك ، ولم
يذكرها أحد من أصحابه المعروفين بالأخذ عنه وهو ضعيف متهم بالكذب عند أهل العلم
بالحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته ؟

وأصحاب مالك متفقون على أنه يمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة
في الفقه ، بل إذا روى عنه الشاميون ضعفوا روايتهم ، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين
والمصريين فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه كثيرة رواها واحد من
الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث ؟ ^(٤) .

هذا ما يتعلق بإسناد هذه الحكاية ، وبه يتبين أنها حكاية مكذوبة على الإمام مالك ،
ويتأكد ذلك بالنظر في متنه ؛ فإنه يخالف منهج الإمام مالك ، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك .
الوجه الثاني : الكلام عن متن هذه الحكاية .

و أما متن هذه الحكاية ففيه نظر من وجوه وهي كما يلي :

١ - ثبت عن الإمام مالك رحمه الله أنه كره الوقوف عند قبر النبي ﷺ للدعاء له أو
الدعاء عنده ^(٥) بل كان يرى أنه يسلم عليه ويمضي ولا يطيل الوقوف عند القبر ، فكيف يأمر
أحدا باستقبال قبر النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه وهو لا يرى الوقوف عند قبره وينهى عنه .

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢) .

(٢) الصارم المنكي (ص : ٣٤٥) .

(٣) انظر : الدعاء ومزله في العقيدة (٨٣٢/٢) .

(٤) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢-١١٣) .

(٥) انظر : الشفا (٦٧١/٢) ، والمتنقى شرح موطأ الإمام مالك للباجي (٢٩٦/١) ؛ والرد على الأختائي (ص : ٤٦ ، ١٠٤) ؛

والجواب الباهر (ص : ٥٥) ؛ والصارم المنكي (ص : ٣٤٩-٣٥٠) .

٢ - إن الإمام مالكا رحمه الله كان من أبعد الناس عن البدع، وقد كره قول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ^(١)، وكره تتبع الآثار التي بالمدينة حتى كره بحجاء قبور الشهداء ومسجد قباء مع وروده. وكل ذلك خوفا من أن يتخذها الناس عادة لهم^(٢) فإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يأمر بما لم يثبت بالسنة من الدعاء عند القبر .

٣ - إن هذه الرواية تخالف ما ثبت عن السلف، فالآثار الواردة عنهم تدل على أن هذا ليس من عملهم ولا عاداتهم فقد سئل الإمام مالك عن أقوام يطيلون القيام مستقبلي الحجرة يدعون لأنفسهم، فأنكر ذلك عليهم وبين أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فلو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعاً لكان الصحابة والتابعون أعلم الناس بذلك، وأسبقهم إليه لشدة حرصهم على الخير والمساواة إليه^(٣).

٤ - إن لفظ الحكاية فيها ركابة من الناحية اللغوية إذ جاء فيها : " استشفع به فيشفعك الله " والاستشفاع به معناه في اللغة : أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة، وإذا كان المراد به الاستشفاع منه؛ أي : طلب شفاعته فإنما يقال في ذلك : " استشفع به فيشفعه الله فيك " ولا يقال فيشفعك الله فيه .

وهذا اللفظ الذي في الحكاية يشبه لفظ كثير من العامة الذين يستعملون لفظ الشفاعة في معنى التوسل، فيقول أحدهم : اللهم أنا نستشفع إليك بفلان؛ أي : نتوسل به، وهذا ليس لغة السلف ولا لغة العرب، وهذا مما يبين أن هذه الحكاية وضعها جاهل بالشرع واللغة، ولا يمكن أن يقول به الإمام مالك^(٤).

٥ - وهذه ليست مناظرة وإنما هي إنكار لمنكر من الإمام مالك أو استفتاء من أبي جعفر المنصور من الإمام مالك، ثم إن عقد المناظرة بين العلماء والخلفاء غير معروف في التاريخ غالباً؛ لأن المناظرة إنما تعقد بين العلماء، وقد تكون في بعض الأحيان القليلة بحضور بعض الخلفاء وإشرافهم^(٥).

(١) انظر : الشفا (٦٦٧/٢)؛ والجواب الباهر (ص : ٥٥)؛ والصارم المنكي (ص : ٢٠٤) .

(٢) ذكره ابن وضاح في (ما جاء في البدع ص : ٩٤-٩٥ برقم : ١١٤ و ١١٦) .

(٣) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ١١٣-١١٥ و ٢٢٨-٢٢٩) .

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ١٢٤-١٢٦) .

(٥) انظر : الدعاء ومزله من العقيدة الإسلامية (٨٣٥/٢) .

٦ - قد يكون أصل هذه الحكاية صحيحاً، و يكون الإمام مالك قد نهي عن رفع الصوت في مسجد الرسول ﷺ اتباعاً للسنة ، فهو أمر بما أمر الله به من تعزيره وتوقيره مما يليق بمالك أن يأمر به ولكن وقع تحريف في ألفاظ الحكاية ؛ فإن من نشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ إذا وجد تلك الألفاظ في كلام الله ورسوله أو الصحابة يظن أن مراد الله ورسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريد به بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك^(١).

٧ - وعلى فرض صحتها ليس فيها دليل على أن آدم ﷺ توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة بأكله من الشجرة المحرمة؛ فإن قوله : (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ﷺ إلى الله يوم القيامة) يدل على توسل آدم وذريته بشفاعته يوم القيامة، وذلك حين يأتي الناس يوم القيامة آدم ﷺ ليشفع لهم، فيردهم إلى نوح ﷺ، ثم يردهم نوح ﷺ إلى إبراهيم ﷺ... إلى أن يردهم عيسى ﷺ إلى محمد ﷺ، وهذا حق وثابت بالأحاديث الصحيحة ولكنه لا يدل على أن آدم ﷺ توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة، وكذلك ليس فيها دليل على جواز التوسل منه بعد وفاته في الدنيا^(٢).

الحاصل : إن هذه الحكاية على هذا الوجه إما أنها مكذوبة على الإمام مالك ومنحولة عليه، وإما أنها صارت عرضة للتغيير والتحريف والتبديل من قبل الناقلين والحاكين، وإما أن تفسر على وجه يوافق مذهب الإمام مالك^(٣)، وعلى كل حال ليس فيها دليل على أن آدم ﷺ توسل بحق النبي ﷺ وكذلك ليس فيها حجة لما زعموا من القول بجواز التوسل بذات النبي ﷺ أو حقه وكرامته وجاهه عند الله تعالى والله أعلم بالصواب .

● محاولة تقوية الحديث المذكور بما حكى عن محمد بن علي وعبد الله بن ذكوان في توسل آدم ﷺ بحق النبي ﷺ ودعوى أنهما يشهدان لمعنى الحديث .
وهناك من حاول^(٤) تقوية الحديث المذكور بما حكى عن محمد بن علي^(٥) أنه قال :

(١) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ١٢٦) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ١١٠ و ١١٣) ؛ والصارم المنكي (ص : ٣٥١) .

(٣) انظر : الصارم المنكي (ص : ٣٥٠) .

(٤) انظر : هذه المحاولة عند محمد بن علوي المالكي في (مفاهيم يجب أن تصحح ص : ١٢٤ - ١٢٥) .

(٥) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، توفي سنة بضع عشر بعد المائة

من الهجرة النبوية . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٧٩ برقم : ٦١٥١) .

إن آدم عليه السلام قال : (اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي)، وكذلك بما حكى عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ^(١) أنه قال : (من الكلمات التي تاب الله بها على آدم قال : اللهم إني أسألك بحق محمد عليك ...) ^(٢).

ولكن هذه أيضا محاولة فاشلة؛ بل هي أشد فسادا مما قبلها لأن قول محمد بن علي لا يعرف له خطام ولا زمام، ولم يذكر صاحب هذه المحاولة الفاشلة له إسنادا، ولا أحال إلى من ذكره بالإسناد، وإنما أحال إلى " الدر المنثور " للسيوطي، وهو أحال إلى ابن المنذر ^(٣) في تفسيره، وهو تفسير غير موجود بين أيدينا حتى ننظر في إسناده .

وأما قول أبي الزناد فإنه مع كونه مرسلا وموقوفا، إسناده إليه ضعيف جدا ^(٤) لأن فيه عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله الأموي، والد أبي مروان وهو متروك الحديث ^(٥) . وعلى فرض ثبوت القولين عمن حكيا عنه فلا حجة في قولهما بل الحجة فيما جاء في الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ .

ثم إن الضعيف الذي تتقوى روايته لها شروط منها ^(٦):

- أن لا يكون ضعفه شديدا وعبد الرحمن بن زيد ضعيف جدا بل متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه كما تقدم .
- وأن يكون ضعف الراوي في ضبطه دون عدالته وعبد الرحمن هذا متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه، وهذا جرح شديد له في عدالته .
- وأن يكون له متابع مثله أو أقوى منه، وقد سبق أن الحديث مداره على عبد الرحمن،

(١) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، توفي سنة ١٣٠ هـ وقيل بعدها .

انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٠٢ برقم : ٣٣٠٢) .

(٢) أخرجه الآجري في (الشريعة ١٤١٠/٣ برقم : ٩٥٠) .

(٣) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإمام الحافظ العلامة الفقيه المفسر، توفي سنة ٣٠٩ هـ وقيل بعدها .

انظر : سير أعلام النبلاء (١٤ / ٤٩٢-٥٠٠) .

(٤) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤-١٢٥) .

(٥) انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٣ برقم : ٤٤٦٤) .

(٦) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٣٠) .

وأنة المتفرد بهذه الرواية عن أبيه؛ فهذه الرواية ليس لها متابعة من طريق آخر .

● أو أن يكون لروايته شاهد مثلها أو أقوى منها، وما ذكرت لها كالشواهد فإنها إما لا يعلم لها إسناد وإما أنها ضعيفة جدا أو أنها جاءت من نفس الإسناد فلا تصلح أن تكون شاهدة له .

فالشروط التي لا بد منها لتقوية حديث ضعيف وترقيته من الضعف إلى الحسن لغيره معدومة في هذا الحديث فلا يمكن تقويته بأي وجه من الوجوه، هذا إذا قيل على سبيل الفرض أنه ضعيف فقط فكيف وفيه عبد الرحمن بن زيد، وهو متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه ؟ ولا شك أن هذا يجعله قريبا من الموضوع وتناقضه مع القرآن الكريم يؤكد أنه موضوع، والله أعلم بالصواب .

الوجه الثاني : بيان بطلان دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي محمد ﷺ

دراية : إن دعوى توسل آدم عليه السلام بحق النبي ﷺ وجاهه عند الله تعالى منقوضة من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب الله عليه قد سبق أقوال السلف في بيان المراد منها ^(١)، ولم يثبت عن أحد منهم أنه قال أن آدم عليه السلام توسل بالنبي ﷺ فتاب الله عليه، فلو كان هذا الحديث ثابتا إلى النبي ﷺ لذكره عامة السلف في تفسيراتهم ولم يعدلوا إلى غيره .

٢ - إن أولى ما يمكن أن يقال في بيان تلك الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه ما ورد ذكره في آية أخرى، وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) . وهذا الذي ذهب إليه أكثر السلف ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي عليه مدار هذا الحديث الذي استدلوا به، فلو كان عبد الرحمن بن زيد عنده حديث مرفوع في تفسير الآية لما عدل عنه إلى غيره ^(٣) .

٣ - إن التوبة تكون بالاعتراف بالذنب والإقرار له والاستغفار منه، ويتضمن ذلك

(١) انظر : (ص : ٥٠١-٥٠٥) .

(٢) الأعراف الآية : ٢٣

(٣) انظر : (ص : ٥٠١-٥٠٢) .

قوله تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) وإذا حصلت المغفرة بالتوبة حصل المقصود بها، ولا حاجة إلى غيره ^(٢).

٤ - لو كان آدم عليه السلام قد قال هذا وبه حصلت له التوبة لكانت أمة محمد ﷺ أحق به منه، ولأمرهم النبي ﷺ أن يدعوا بهذا الدعاء وشرعه لهم ولكنه لم يأمر أمته به، ولم يشترعه لهم، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة الأخيار، ولم ينقله أحد من العلماء الأبرار، فهذا كله يدل على فساد هذا القول وبطلانه ^(٣).

٥ - إنه من المعلوم بالاضطرار أن من هو دون آدم عليه السلام من الكفار والفساق إذا تاب أحدهم إلى الله تاب الله عليه وإن لم يقسم عليه بأحد . فكيف يحتاج آدم عليه السلام في توبته إلى ما لا يحتاج إليه أحد من المذنبين لا مؤمن ولا كافر ؟ ^(٤)

٦ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ^(٥).

فالحلف بمخلوق على مخلوق حرام وكفر وشرك، والنبي ﷺ مخلوق بل هو أشرف المخلوقين فلا يجوز الحلف به على الله تعالى لأنه حلف بغير الله تعالى .

وآدم عليه السلام نبي من الأنبياء، والنبي يكون معصوماً من الشرك قبل نبوته وبعدها ؟ ^(٦) وهل من المعقول أن يتقرب آدم عليه السلام إلى الله تعالى بخطيئة أعظم من الخطيئة التي يود غفرانها ؟ وهل يمكن التخلص من خطيئة بخطيئة أخرى أعظم منها ؟ وهل يصح أن ينسب إلى الله تعالى أنه أقر آدم عليه السلام على هذه الوسيلة المحرمة وقبلها منه وهو القائل سبحانه : ﴿ لَا يَرْضَى

(١) الأعراف الآية : ٢٣

(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٦٩/١ - ٧٠) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٧٠/١) ؛ و منهاج السنة النبوية (١٣٢/٧) .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية (١٣١/٧) .

(٥) أخرجه د (الإيمان والنذور ، ب : كراهية الحلف بالآباء ٢٢٣/٣ ح : ٣٢٥١) ؛ وت (النور والإيمان عن

رسول ﷺ ، ب : ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ١١٠/٤ ح : ١٥٣٥) ، وقال : (هذا حديث حسن)

واللفظ له ؛ و كم (الإيمان ١/١٨) ، وصحح الحديث على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الإلباني في

(إرواء الغليل ١٨٩/٨ - ١٩١ ح : ٢٥٦١) .

(٦) انظر : (ص : ٧٣٢ - ٧٤٨) .

لعبادته الكفر^(١). فهذا القول باطل لا يمكن أن يصدر عن آدم عليه السلام لأنه معصوم منه، ولأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الذنوب والمعاصي والكفر والشرك^(٢).

٨ - لعل هذا القول مستمد من أهل الكتاب؛ لأن النصارى تزعم أن من فضائل عيسى عليه السلام أنه بواسطته غفرت خطيئة آدم عليه السلام^(٣)، فنافسهم بعض جهلة المسلمين على ذلك، فادعوا للنبي ﷺ ما ادعته النصارى لعيسى عليه السلام، فزعموا أن الله غفر خطيئة آدم عليه السلام بتوسله بالنبي ﷺ، وأضاف الرافضة إلى ذلك أسماء أخرى من آل بيت النبي ﷺ فرعمت أن آدم عليه السلام لم يحصل له التوبة، ولم تغفر له خطيئته إلا بعدما توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - كما هو دأب القوم في نسبة كل ما يظنونهم فضيلة إليهم وسيأتي بيانه، فالظاهر أن هذا من اعتقاد النصارى الذي تبعهم فيه من تبعهم جهلاً وسفهاً بغير علم ولا هدى^(٤).

٩ - إن هذه الرواية تخالف القرآن الكريم من وجهين :

أ - هذه الرواية تدل على أن آدم عليه السلام هو الذي اطلع بنفسه على اسم النبي ﷺ ولكن قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٥) يدل على أن آدم عليه السلام تلقى هذه الكلمات من ربه تبارك وتعالى، فهذه الرواية فيها مخالفة واضحة للقرآن الكريم^(٦).

ب - جاء في هذه الرواية ((لولا محمد لما خلقتك))؛ أي : أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام وبنيه لأجل محمد ﷺ؛ فلولا له لما خلقهم الله تعالى. وهذا يخالف الغاية والحكمة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٧) وقد سبق ذكر أقوال أهل العلم في تفسير الآية^(٨)، ولم أقف بحد علمي على

(١) الزمر الآية : ٧

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التوسل (ص : ٢١٧-٢١٨) .

(٣) انظر : (ص : ٤٧٨) .

(٤) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٥)؛ وهذه مفاهيمنا (ص : ٢٩-٣٠) .

(٥) البقرة الآية : ٣٧

(٦) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص : ٢٤٦)؛ والتوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٧) الذاريات الآية : ٥٦

(٨) انظر : (ص : ٢٧-٤٠) .

من فسرهما بحديث : ((لولا محمد ما خلقتك)) ، ولو بقول مرجوح ، فلو كان هذا الحديث معتمدا لديهم لفسروها به ، فإن الحديث النبوي أولى ما يفسر به القرآن الكريم .
ثم إن هذا الحديث مع كونه مخالفا لنص الآية معناه مستنكر من وجه آخر وهو أنه ينص على أن آدم وبنيه خلقوا من أجل النبي ﷺ ، ومن المعلوم بالضرورة والتواتر القطعي أن النبي ﷺ بعث في آخر الزمان ، وقد سبقه أنبياء وأمم لا يعلم عددهم إلا الله ، فكيف يمكن أن يقال أنهم خلقوا لأجل محمد ﷺ ؟ .

فهذا الحديث ليس من كلام النبي ﷺ ولم يصدر من مشكاة النبوة لأنه يخالف ما جاء في كتاب الله تعالى ، ولا يمكن أن يكون حديث رسول الله ﷺ مخالفا لكتاب الله تعالى لأن الكتاب والسنة كلاهما من الله تعالى ، فمن البديهي أن يكونا متطابقين غير متناقضين لصدورهما من مصدر واحد .
والتناقض يوجب اختلاف المصادر وتعددتها ^(١) ، ولذلك عد جهابذة نقاد الحديث كون الحديث مخالفا للقرآن من أمارات الوضع وعلاماته ^(٢) فإذا علم أنه مكذوب على رسول الله ﷺ ومختلق عليه ومنسوب إليه كذبا وزورا تبين أنه لا يصح الاستدلال به والاعتماد عليه لتقرير مثل هذه المسائل المتعلقة بالعقائد والعبادات التي لا تثبت إلا بنص صحيح على الراجح ، وبنص متواتر قطعي بالإجماع ^(٣) .

ثانيا : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وبيان بطلانها .

وهناك من يزعم أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة لم يكن توسل بحق محمد ﷺ وحده بل كان قد توسل في زعمهم بحق النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - فلما توسل أبو البشر بمؤلاء الخمسة من آل البيت عفا الله تعالى عنه وغفر له .
وقد استدل أصحاب هذا القول بما روي من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - قال : سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتأب عنه فقال : قال بحق

(١) انظر : الوضع في الحديث (٣٠٠/١) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه ؛ والنكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (٦٨/٢) ؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٨٤٦/٢) ؛ وتدريب الراوي (٢٧٧/١) ؛ وألفية السيوطي (ص : ٨٤) .

(٣) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٦-١٢٨) .

محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت عليّ فتاب عليه^(١).
هذا الحديث المكذوب أخذت به الرافضة، وادعت علي أن آدم عليه السلام كان قد توسل بحق محمد
ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما ارتكب الخطيئة في الجنة^(٢).

ولكن هذه دعوى باطلة وبيان بطلانها من وجهين :

الوجه الأول : عدم ثبوت الحديث عن النبي ﷺ بل هو حديث موضوع باتفاق أهل العلم.
هذا الحديث المنسوب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي استدل به من زعم أن
آدم عليه السلام بعد خطيئته في الجنة بالأكل من الشجرة المحرمة كان قد توسل بحق محمد ﷺ وعلي
وفاطمة والحسن والحسين حديث مكذوب مختلق على رسول الله ﷺ من غير خلاف بين أهل
العلم فيما وقفت عليه من أقوالهم ، فقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي والذهبي والسيوطي وابن
عراق الكناي ومحمد طاهر الفتني^(٣) والشوكاني والشيخ حماد الأنصاري^(٤) وغيرهم . وقال
شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم)^(٥).
ومما يؤكد كون هذا الحديث موضوعا أن في إسناده راويا اسمه عمرو بن ثابت وقد تفرد

(١) أخرجه ابن الجوزي في (الموضوعات ٣/٢) بإسناده إلى الدارقطني قال : قال ثنا أبو ذر أحمد بن محمد بن
أبي بكر الواسطي، ثنا محمد بن علي بن خلف العطار ثنا حسين الأشقر، ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس مرفوعا، وذكره السيوطي في (الآلآي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٤٠٤/١) وابن
عراق في (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ٣٩٥/١ ، ٤١٣) .

(٢) انظر : وجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (٨٩/١)؛ وتفسير الحسن العسكري (ص : ٩٠-٩١) نقلا
بواسطة كتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٩٤-٩٣/٢)، وانظر أيضا ما ذكره عنهم شيخ
الإسلام ابن تيمية ردا عليهم في (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ١٣٠/٧) .

(٣) محمد طاهر بن علي الفتني الكجراتي الهندي الصديقي، محدث مفسر لغوي عارف بالرجال، كان شديدا في
الرد على بدع البواهير فقتلوه عام ٩٨٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٠٠/١٠) .

(٤) انظر بالترتيب : الموضوعات لابن الجوزي (٣/٢)؛ وتلخيصه للذهبي (ص : ١٥٢ ح : ٣٣١)؛ والآلآي المصنوعة
في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (٤٠٤/١)؛ وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق
(٣٩٥/١ ، ٤١٣)؛ وتذكرة الموضوعات للفتني (ص : ٩٨)؛ والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني
(ص : ٣٩٤ ح : ١١٦٣)؛ وتحفة القاري في الرد على الغماري للأنصاري (ص : ٣٩-٤٠) .

(٥) منهاج السنة النبوية (١٣١/٧) .

برواية هذا الحديث، وهو رافضي بحيث متروك يروي الموضوعات وكان يسب السلف^(١). وهذا الحديث يوافق ويؤيد مذهبه في الغلو بآل بيت النبي ﷺ ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله تعالى عليها. فقد يكون هوى الرفض والغلو هو الذي حملة على وضع هذا الحديث وإصاقه بهم. ويؤيد ذلك أنه جاء في رواية أخرى - وهي أيضا موضوعة - : أن آدم ﷺ كان توسل بحرمة محمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - وبجاههم وكرامتهم عند الله تعالى^(٢). فلعل نصرة المذهب واتباع الهوى هو الذي حمل من وضعهما على مقابلة الكذب بالكذب ووضعهما ومحاولة إصاقيهما بالنبي ﷺ، ومما لا شك أن نصرة المذاهب والأهواء من أهم العوامل التي حملت الوضاعين بالوضع والكذب على رسول الله ﷺ^(٣). فهذا الحديث مما وضعه الوضاعون اتباعا لهواهم ونصرة لآرائهم الفاسدة الضالة، والله تعالى أعلم.

الوجه الثاني : بيان بطلان دعوى توسل آدم ﷺ بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم دراية .

وجميع الوجوه التي تقدم ذكرها عند الكلام عن متن الحديث المنسوب إلى عمر بن الخطاب مرفوعا كلها تدل على بطلان هذه الدعوى وهذا الحديث . وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يقال في بيان بطلانه أنه لا ريب أن محمدا ﷺ أفضل من آدم ﷺ ولكن علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - ليسوا بأفضل من آدم ﷺ لأنه نبي، هؤلاء ليسوا بأنبياء. ولا شك أن النبي يكون أفضل ممن هو ليس نبي، فلا يستساغ عقلا أن يقسم آدم ﷺ على الله تعالى بمن هو أكرم عليه منهم، ولا يمكن أن يصدر ذلك من آدم ﷺ فإنه نبي كريم أعز عند الله تعالى منهم^(٤).

ثالثا : بيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة أو حقهم وجاههم عند الله تعالى .

لا شك أن التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة أو حقهم وجاههم عند الله تعالى أمر محدث مبتدع في الدين ومما يدل على ذلك ما يلي :

(١) انظر : أقوال أئمة الجرح والتعديل عنه في : الموضوعات (٣/٢)؛ وتهذيب الكمال (٥٥٣/٢١) - ٥٥٨ برقم : (٤٣٣٣)؛

وميزان الاعتدال (٢٤٩/٣ - ٢٥٠ برقم : ٦٣٤٠)؛ وتهذيب التهذيب (٣٢٣/٤ - ٣٢٤ برقم : ٥٧٦٥) .

(٢) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (٤٤/١ ح : ٨٨) .

(٣) انظر للتفصيل : الوضع في الحديث (٢٢٣/١ - ٢٦٠) .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية (١٣٢/٧) .

١ - دين الإسلام بناؤه على أصلين عظيمين وهما : إخلاص العبادة لله تعالى، وإخلاص المتابعة لرسوله محمد ﷺ. ولا شك أن الدعاء من أهم العبادات، والعبادات مبناهما على التوقيف، والتوسل بالذوات لم يرد تشريعه في كتاب الله، ولا في سنة صحيحة صريحة عن رسول الله ﷺ ؛ فهو بدعة لا يجوز التعبد به في الدعاء الذي هو من أهم العبادات ^(١) وقد قال النبي ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)) ^(٢).

٢ - المتوسل بذات المخلوق يعتقد أن التوسل بها مشروع في الدعاء، وينوي به التعبد والتقرب والطاعة، وأنه مما يستجاب به دعاؤه. وما كان هذا شأنه فإنه إما أن يكون واجبا وإما أن يكون مستحبا؛ فإن العبادات لا تكون إلا واجبة أو مستحبة ، وما ليس بواجب ولا مستحب فليس بعبادة. ودعاء الله تعالى عبادة، والتوسل بالذوات ليس بواجب ولا مستحب، فثبت بهذا كون التوسل بالذوات المخلوقة غير عبادة، فهو إذن بدعة ^(٣).

٣ - إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه الكريم جملة كبيرة من أدعية الأنبياء مثل دعاء آدم ^(٤) ودعاء إبراهيم وإسماعيل ^(٥) ودعاء يوسف ^(٦) وسليمان ^(٧) وأيوب ^(٨) وموسى ^(٩) عليهم السلام ولكن لم يذكر الله تعالى عن أحد منهم أنه توسل في دعائه بذات فاضلة عند الله ، ولو كان ذلك صحيحا ومشروعا لكانوا أسبق إليه .

وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الكريم جملة كبيرة من أدعية أتباع الأنبياء مثل ما ذكره الله تعالى من دعاء قوم موسى ^(١٠) ، ومن دعاء الخواريين الذين كانوا مع عيسى ^(١١) ، ومن دعاء

(١) انظر : الدعاء ومثله من العقيدة (٦٣٦/٢) .

(٢) أخرجه خ من حديث عائشة رضي الله عنها (الصلح، ب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٩٥٩/٢ ح :

٢٥٥٠)، واللفظ له؛ وم (الأفضية، ب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ ح : ١٧١٨) .

(٣) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ٨٣) .

(٤) ذكره الله تعالى في سورة الأعراف الآية : ٢٣

(٥) ذكره الله تعالى في سورة البقرة الآيات : ١٢٧-١٢٩

(٦) ذكره الله تعالى في سورة يوسف الآية : ١٠١

(٧) ذكره الله تعالى في سورة النمل الآية : ١٩

(٨) ذكره الله تعالى في سورة الأنبياء الآية : ٨٣

(٩) ذكره الله تعالى في سورة القصص الآية : ٢٤

(١٠) ذكره الله تعالى في سورة يونس الآيات : ٨٤-٨٦

(١١) ذكره الله في سورة آل عمران الآيتان : ٥٢-٥٣

الذين كانوا يقاتلون مع نبي من أنبياء بني إسرائيل ^(١) ، وما ذكره الله تعالى من أدعية صحابة رسول الله ﷺ مثل دعاء المستضعفين ^(٢) ودعاء النصارى الذين آمنوا بالنبي ﷺ ففاضت أعينهم من الدمع ^(٣) إلى غير ذلك من أدعية الأنبياء وأتباعهم ولكنه سبحانه وتعالى لم يذكر عن واحد منهم من نبي أو تابع له أنه توسل في دعائه بذات فاضلة عند الله تعالى، فلو كان ذلك مشروعاً لذكره الله تعالى في كتابه ولتمسك به أنبياءه ولعلموا أتباعهم أن يتوسلوا في دعائهم بذوات فاضلة عند الله تعالى ^(٤).

٤- كان رسول الله ﷺ أتقى الناس لربه وأكثرهم عبادة وطاعة له سبحانه، وأحرصهم تقرباً إليه جل جلاله، وكان يدعو سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار، ولكنه لم تثبت كلمة واحدة عن النبي ﷺ تدل على أنه توسل في دعائه إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من الأنبياء السابقين، ولو كان التوسل بالذات مشروعاً لكان النبي ﷺ أسبق إليه ^(٥).

٥ - لا شك أن الرسول ﷺ كان أفصح الناس كلاماً وبياناً، كما كان أنصح الخلق لأمته، وأحرصهم لهدايتهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ فقد علمهم أدعية كثيرة مباركة نافعة ولكنه لم يثبت عنه ﷺ بطريق صحيح صريح أنه علم أحداً من أصحابه أن يتوسلوا إلى الله سبحانه وتعالى بذوات المخلوقين وجاههم عند الله تعالى، فلو كان التوسل بالذات مشروعاً لعلمه النبي ﷺ أمته ودلهم عليه ^(٦).

٦ - الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا أكثر الناس حبا وتعظيماً للنبي والتزاماً بسنته ﷺ، كما كانوا ممن أعبد الناس لربهم وتقربوا إليه سبحانه وتعالى، وكانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ لما كان بين أظهرهم ولكنه لما انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يتوسلوا بذاته ﷺ أو بحقه وجاهه وكرامته عند الله تعالى بل توسلوا بدعاء بعضهم فكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا قحطوا توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب ﷺ ^(٧)، وقد توسل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - وأهل دمشق لما قحطوا بدعاء يزيد بن الأسود

(١) ذكره الله تعالى في سورة البقرة الآية : ٢٥٠

(٢) ذكره الله تعالى في سورة النساء الآية : ٧٥

(٣) ذكره الله تعالى في سورة المائدة الآية : ٨٣

(٤) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص: ٤٣-٤٤)؛ والدعاء ومترلته من العقيدة (٢/٦٣٧-٦٣٩).

(٥) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة (٢/٦٣٩) .

(٦) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٧) أخرجه خ (الاستسقاء ، ب : سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ١/٣٤٢ ح : ٩٦٤) .

الجرشي^(١) كما توسل أيضا بدعائه الضحاك بن قيس رضي الله عنه^(٢) ومن معه لما حبس عنهم المطر^(٣).
 فلو كان التوسل بذوات المخلوقين أو جاههم مشروعا لتوسل هؤلاء الصحابة الكرام بذات
 أشرف المخلوقات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجاهه عند الله تعالى ولم يعدلوا جميعا عنه إلى غيره، من غير
 إنكار عن أحد منهم . فمن هنا نتيقن أنهم ما عدلوا عن التوسل بالنبى بعد وفاته إلى التوسل بغيره
 إلا لعدم مشروعيته، ولا سيما هم كانوا في وقت الحاجة والشدة، وفي مثل هذه الحالات الحرجة
 والظروف الصعبة الناس يأخذون بأقوى ما عندهم من الأسباب والإمكانات. ولا أحد أعظم
 عند الله من سيد ولد آدم محمد بن عبد الله خاتم النبيين وأشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم^(٤) .

٧ - كذلك إذا نظرنا في أدعية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناجاتهم لربهم لا نجد فيها
 ما يدل على أنهم توسلوا بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو بذات أحد من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر
 وعثمان - رضي الله عنهم - مع أنهم قد تعرضوا في حياتهم لأنواع من المشاكل والمصائب
 كالخوف من الأعداء ونقص الثمرات وشدة الجوع وانتشار الطاعون وغيرها من الآلام
 والمصائب، فلو كان التوسل بذات أحد من المخلوقين أو جاهه مشروعا لتوسلوا بذات
 النبي صلى الله عليه وسلم وجاهه أو بذات أحد من الصحابة وجاهه، ولكانوا أسبق إليه منا لشدة محبتهم
 وتعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولتراحمهم وتوادهم وتعاضدهم فيما بينهم، ولشدة حرصهم على
 كل خير، ولشدة حاجتهم إلى كشف ما بهم من الآلام ورفعها عنهم^(٥).

وما يروى في ذلك من الحكايات فإنها لا تصح عن أحد منهم وإن صحت فهي لا تدل على
 ما زعموا . قال الشيخ علي محفوظ وهو من كبار علماء الأحناف المتأخرين : (التوسل به صلى الله عليه وسلم
 بمعنى الإقسام على الله بذاته فهذا لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم في الاستسقاء ونحوه لا في

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١١١/٦٥ - ١١٢)، وصححه الحافظ ابن حجر في (الإصابة ٦٧٣/٣، ترجمة : يزيد
 الجرشي)؛ والألباني في (التوسل ص : ٤٥)، والجرشي هو يزيد بن الأسود، ذكره بعضهم من الصحابة إلا أن الصحبة لم
 تثبت له وكان من سادات التابعين بالشام . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣٦-١٣٧)؛ والإصابة (٦٧٣/٣) .

(٢) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، الأمير المشهور، صحابي صغير، توفي سنة ٦٤ هـ . انظر : تقريب
 التهذيب (ص : ٢٧٩ برقم : ٢٩٧٦) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١١١/٦٥ - ١١٣)، وصححه الألباني في (التوسل ص : ٤٥) .

(٤) انظر : جلاء العينين (ص : ٥٥٣-٥٥٤)؛ وأنواع وأحكام التوسل (ص : ٨٩-٩٠) .

(٥) انظر : الدعاء ومترلته في العقيدة (٦٤٠/٢) .

حياته ولا بعد موته، لا عند القبر الشريف، ولا غير القبر، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة المأثورة عنهم، وما يروى في ذلك فضعيف لا يصلح حجة في باب العقائد (١).

٨ - إن السؤال بالذوات سؤال بسبب لا يقتضي المطلوب، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل السؤال بالذوات سببا لحصول المطلوب لأنه سؤال بذات لا رابط بينها وبين ذات السائل، لأن السائل إذا توسل بإيمانه وأعماله الصالحة فقد توسل بسبب له علاقة به لأن ثواب أعماله وأجرها له ومن ذلك إجابة الدعاء، وأما ذات مخلوق آخر فأى وسيلة بينهما وأي علاقة تربطهما (٢).

٩ - إن التوسل بالذوات مثل الإقسام بالذوات وقد ورد النهي عن القسم بمخلوق إذ قال النبي ﷺ : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك (٣).

فكما أنه لا يجوز أن يحلف بمخلوق فكذلك لا يجوز أن يقسم على الله بمخلوق ولا يسأل بنفس مخلوق فالسؤال بالمخلوق والإقسام به كلاهما من باب واحد (٤).

١٠ - إن كثيرا من العلماء السابقين واللاحقين ذهبوا إلى منع التوسل بالذوات، ونص غير واحد منهم على أنه حرام لا يجوز .

جاء عن أبي يوسف (٥) عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾) (٦).

وقال ابن أبي العز الحنفي : (قال أبو حنيفة وصاحبه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر

(١) الإبداع في مضار الابتداع (ص : ١٩٤-١٩٥) .

(٢) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ٩٥-٩٦) ؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (١١٩/١-١٢٠) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٢٦) .

(٤) انظر : الدعاء ومزله من العقيدة (٦٤٥/٢) .

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، فقيه أصولي مجتهد محدث حافظ عالم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، تفقه على أبي حنيفة، وولي القضاء مدة طويلة في عهد الخلفاء العباسيين، توفي في بغداد سنة ١٨٢ هـ .

انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ٢٥) ؛ ومعجم المؤلفين (٢٤٠/١٣) .

(٦) الأعراف الآية : ١٨٠

(٧) ذكره صاحب الدر المختار [مع شرحه رد المحتار] (٣٩٦/٦) ؛ وكذلك ذكر الشطر الأول شيخ الإسلام ابن تيمية في

(قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص : ٨٦ و ٢٢٠) ؛ وابن الأوسى في (جلاء العينين ص : ٥١٦ و ٥٥١) .

الحرام ونحو ذلك (١). ومثله حكى عنهم ملا علي القاري (٢) ومرتضى الزبيدي (٣) من الأحناف، وكذلك حكى عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٤).

وهذا القول المحكي عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه هو الذي قرره وقال به كبار علماء الأحناف منهم أبو الحسن المرغيناني (٥) إذ قال : (يكره أن يقول الرجل في دعائه : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك) (٦) ومثله قال ابن مودود الموصلي (٧) والزيلعي (٨) والعيني (٩) وملا خسرو (١٠) وملا مسكين (١١) وأحمد الشلبي (١٢) وجلال الدين الخوارزمي (١٣).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٢٩٧) .

(٢) انظر : شرح الفقه الأكبر (ص : ١٩٨) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/٢٨٥)، والزبيدي هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، لغوي نحوي محدث أصولي أديب مؤرخ نسابة، توفي سنة ١٢٠٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/٢٨٢) .

(٤) انظر : قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص : ٨٦ و ٢٢٠) .

(٥) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني الحنفي، فقيه فرضي محدث مفسر، توفي سنة ٥٩٣هـ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٤١-١٤٤)؛ ومعجم المؤلفين (٧/٤٥) .

(٦) الهداية شرح بداية المبتدي (كتاب الكراهية ٤/٩٦) .

(٧) انظر : المختار للفتوى وشرحه " الاختيار لتعليل المختار " (٤/١٦٤)، والموصلي هو عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، كتابه المختار من الكتب التي كثر عليها اعتماد المتأخرين من الأحناف، توفي سنة ٦٨٣هـ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٠٦-١٠٧)؛ ومعجم المؤلفين (٦/١٤٧) .

(٨) انظر : تبين الحقائق شرح كثر الدقائق (٦/٣١)، والزيلعي هو عثمان بن علي بن محسن الزيلعي الحنفي، فقيه فرضي نحوي صوفي، توفي سنة ٧٤٣هـ . انظر : الفوائد البهية (ص : ١١٥-١١٦)؛ ومعجم المؤلفين (٨/١٣) .

(٩) انظر : البناء في شرح الهداية (٩/٣٨٤) .

(١٠) انظر : درر الحكماء في شرح غرر الأحكام (١/٣٢١)، وملا خسرو هو محمد بن فراموز بن علي الرومي الأصل المعروف بملا خسرو، وقيل ملا، وقيل مولى، الحنفي، فقيه أصولي مفسر، توفي سنة ٨٨٥هـ . انظر : الفوائد البهية (ص : ١٨٤)؛ ومعجم المؤلفين (١١/١٢٢-١٢٣) .

(١١) انظر : شرح كثر الدقائق في فروع الحنفية (ص : ٢٨٢)، وملا مسكين هو محمد الفراهي الهروي الحنفي، المعروف بملا مسكين، مفسر واعظ فقيه، توفي سنة ٩٥٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/١٢٣) .

(١٢) انظر : تجريد الفوائد الرقائق في شرح كثر الدقائق في فروع الحنفية (مطبوع في هامش تبين الحقائق للزيلعي) (٦/٣١)، والشلبي هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس المصري المعروف بالشلبي، فقيه نحوي، توفي سنة ١٠٢١هـ وقيل قبلها . انظر : معجم المؤلفين (٢/٧٨) .

(١٣) انظر : الكفاية في شرح الهداية (٤/٤٦)، والخوارزمي هو جلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني، هذا ما ذكر عنه في (معجم المطبوعات العربية والعربية ٨٣٩/١-٨٤٠)، ولم أستطع معرفته أكثر من هذا وقد قال عنه صاحب كتاب " أسماء الكتب، المتمم لكشف الظنون " في (ص : ٢٨٣) نقلا عن صاحب المفتاح : (ولم أقف له على ترجمة) .

وابن عابدين^(١) وعبد الحكيم الأفغاني^(٢) ونحوه جاء في الفتاوى الهندية التي جمعها مجموعة من علماء الأحناف الكبار بأمر الملك العادل أورنك زيب عالمكير^(٣).

والمقصود بالكراهة هنا التحريم . قال قاضي خان : (اختلف المشايخ في تفسير الكراهية في قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى، الصحيح أنه أراد به التحريم)^(٤) . وقال أبو الحسن المرغيناني الحنفي : (تكلموا في معنى المكروه، والمروي عن محمد^(٥) - رحمه الله - نصا : أن كل مكروه حرام إلا أنه لما لم يجد نصا قاطعا لم يطلق عليه لفظ الحرام، وعن أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله أنه إلى الحرام أقرب)^(٦) . وقال ابن عابدين الحنفي : (وتحمل الكراهة المذكورة على التحريم)^(٧) . فينبغي حمل كلامهم على التحريم^(٨).

وهذا الذي ذكره عن معنى الكراهة عندهم هو الذي فهمه علماء الحنفية، ولذلك عبروا عنها بالستحريم وعدم الجواز . قال الطوري الحنفي^(٩) (لا يجوز أن يقول : بحق فلان عليك، وكذا بحق

(١) انظر : رد المختار على الدر المختار (٣٩٧/٦)، وابن عابدين هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي، المعروف بابن عابدين، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، توفي سنة ١٢٥٢هـ . انظر : الأعلام (٦/٢٦٦-٢٦٨)؛ ومعجم المؤلفين (٧٧/٩) .

(٢) انظر : كشف الحقائق شرح كثر الدقائق (٢٤٠/٢)، والأفغاني هو عبد الحكيم الأفغاني القندهاري، فقيه مقرئ مفسر، سكن دمشق وتوفي بها سنة ١٣٢٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (٩٤/٥) .

(٣) انظر : الفتاوى الهندية المعروف بالفتاوى العالمية (٣١٨/٥)، وعالمكير هو أبو المظفر محي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بن خرم شاه جهان بن جهان كير بن شاه أكبر، من كبار سلاطين الهند، كان ذا معرفة بالعلوم الشرعية والطرق الصوفية، توفي سنة ١١١٨هـ . انظر : سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر (١١٣/٤-١١٤) .

(٤) فتاوى قاضي خان (٣٥٨/٣) [مطبوع مع الفتاوى الهندية]، وقاضي خان هو الحسن بن منصور بن محمود الأوزجندي الفرغاني الحنفي، المعروف بقاضي خان، فقيه مجتهد في المسائل، توفي سنة ٥٩٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٧/٣) .

(٥) محمد بن الحسن الشيباني مولاهم، أبو عبد الله، الحنفي، فقيه مجتهد محدث، جالس الإمام أبا حنيفة سنين، ثم تفقه على أبي يوسف، توفي سنة ١٨٩هـ . انظر : الفوائد البهية (ص : ١٦٣)؛ ومعجم المؤلفين (٢٠٧/٦-٢٠٨) .

(٦) الهداية شرح بداية المبتدي (٧٨/٤) .

(٧) رد المختار على الدر المختار (٣٩٦/٦) .

(٨) انظر : ما ذكره ابن القيم في (إعلام الموقعين ٤١/١-٤٥) عن غلط المتأخرين على الأئمة بسبب عدم مراعاتهم لمراد الأئمة من إطلاق لفظ الكراهة على المحرم ونحوه من العبارات .

(٩) عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي، الشهير بالطوري، فقيه أديب، ولي إفتاء الحنفية بمصر، توفي سنة ١٠٢٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٣/٥) .

أنبيائك وأوليائك ورسلك والبيت والمشرع الحرام^(١). وقال القدوري : (المسألة بخلقه لا تجوز)^(٢).
وقال خير الدين الآكوسي الحنفي : (في جميع متونهم : أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء،
وبحق البيت والمشرع الحرام - مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد)^(٣)
فهذه حكاية إجماع عن الأحناف على أن التوسل بذات المخلوق أو بحقه حرام لا يجوز .

وكذلك الحنابلة في أصح القولين عنهم أن التوسل بالذوات المخلوقة المنيعة والأماكن
والأوقات الشريفة مكروه كراهة تحريم^(٤). وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية
والإفتاء أن التوسل بجاه الأنبياء والأولياء حرام لا يجوز^(٥) .

وهذا إذا كان الداعي متوجها إلى ربه متوسلا إليه بغيره مثل أن يقول : أسألك بجاه فلان
عبدك أو بجرمته أو بحقه. وإما إذا توجه إلى ذلك الغير ودعاه وطلب منه واستغاث به في قضاء
حاجته كقول أحدهم : يا رسول الله ! فرج كربتي أو اشفني أو يقول : مدد مدد يا رسول الله
أو يا حسين... فهذا ونحوه شرك أكبر يخرج قائله من الإسلام، والعياذ بالله تعالى^(٦) .

١١ - إن الله سبحانه وتعالى قد أغنانا عما حرم علينا من التوسلات الشركية والبدعية
بما شرع لنا من التوسل المشروع الذي تدل عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة وهو الذي
عليه أجمع السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وعند التأمل يظهر أنه على ثلاثة أنواع
وفيما يلي ذكرها مع ذكر دليل واحد من الكتاب والسنة لكل نوع منها :

النوع الأول : التوسل باسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته العليا : كأن
يقول المسلم في دعائه : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن

(١) البحر الرائق شرح كثر الدقائق [التكملة] (٣٧٩/٨) .

(٢) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (القاعدة الجلية في التوسل والوسيلة) (ص : ٨٦ و ٢٢٠) ، والقدوري هو أحمد
ابن محمد بن أحمد البغدادي، شيخ الحنفية بالعراق، توفي سنة ٤٢٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٤/١٧ - ٥٧٥) .

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٥١٦ - ٥١٧) .

(٤) انظر : جلاء العينين (ص : ٥١٦ و ٥٢١) .

(٥) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤٩٩ - ٥٣٠) وانظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ

محمد العثيمين (٢/ ٣٤٠ و ٣٤٣ - ٣٥٥) ؛ والمتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان (١/ ٤٩ - ٥٠) ؛
ونظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان ... من المفوات (ص : ٥٢) له أيضا .

(٦) انظر : جلاء العينين (ص : ٥١٦) ؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٠٦ - ٥٠٧) .

تعافيني . أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني و تغفر لي .
 مما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(١) فالله سبحانه وتعالى أمرنا في هذه الآية الكريمة أن ندعوه سبحانه وتعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا داخلة في هذا الأمر لأن أسمائه تعالى دالة على صفاته الخاصة به ومتضمنة لها ^(٢) .
 وذكر الله تعالى لنا ما دعا به سليمان عليه السلام فقال : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ ^(٣) .
 وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال : يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث ^(٤) .

النوع الثاني : التوسل بعمل صالح قام به الداعي : مثل التوسل بالإيمان بالله تعالى وعبادته ومحبته وتقواه، والإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وتعظيمه والصلاة والسلام عليه .
 ومما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى : ﴿ ربنا ءامننا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ ^(٥) وقوله تعالى : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن ءامنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ ^(٦) .

وكذلك يدل على ذلك حديث أصحاب الغار المشهور ^(٧) حيث توسل أحدهم بربه لوالديه، والثاني بعفته عن الزنا بامرأة كان يهواها منذ مدة طويلة، والثالث بأدائه للحقوق كاملة .
النوع الثالث : التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي . كأن يقع المسلم في ضيق شديد،

(١) الأعراف الآية : ١٨٠ .

(٢) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص : ٤١٩) ؛ والتوسل أنواعه وأحكامه (ص : ٣٢-٣٣) .

(٣) النمل الآية : ١٩ .

(٤) أخرجه ت (الدعوات ، في الباب الثالث قبل باب : ما جاء في فضل التوبة ٥/٥٣٩ ح : ٣٥٢٤) ؛ وكم (الدعاء ، ب :

دعاء رفع الهم و الغم ١/٥٠٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وحسنه الألباني في (التوسل ص : ٣٤) .

(٥) المؤمنون الآية : ١٠٩ .

(٦) آل عمران الآية : ١٩٣ .

(٧) أخرجه خ (البيوع ، ب : إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي ٢/٧٧١ ح : ٢١٠٢) ؛ وم (الذكر والدعاء ... ب : قصة

أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ٤/٢٠٩٩ ح : ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا .

ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله تعالى فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربته.

ومما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى حكاية عن عباده المؤمنين أنهم يقولون: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾^(١). قال صفوان بن عبد الله القرشي^(٢): قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء رضي الله عنه في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء - رضي الله عنها - فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادع الله لنا بخير؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: دعوة المرء المسلم لأخيه، بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل. قال: فخرجت إلى السوق، فلقيت أبا الدرداء رضي الله عنه، فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي ﷺ^(٣).

فهذه النصوص من الكتاب والسنة النبوية وغيرها كثيرة، وهي كلها تدل على مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو بعمل صالح قام به الداعي، أو بدعاء الرجل الصالح الحي الذي ترجى إجابة دعائه عند الله تعالى، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه. ولذلك كان يستعمله رسول الله ﷺ فهذه هي الوسيلة التي تقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتجعل المتوسل به من المحبوبين عند الله سبحانه وتعالى باتفاق الأمة.

وأما التوسل بالذوات المخلوقة فلو قلنا بجوازه على سبيل الفرض لا يخلو إما أن يكون التوسل المشروع أفضل منه أو هو أفضل ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه هو الأفضل، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نترك الأفضل ونبحث عن المفضول؟ وهل هذا إلا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ثم إن التوسل بذوات الصالحين قد اختلف فيه أهل العلم ما بين مجيز ومحرم^(٤)، أفلا يكون

(١) الحشر الآية: ١٠.

(٢) صفوان بن عبد الله بن صفوان القرشي، زوج الدرداء بنت أبي الدرداء الصحابي الجليل رضي الله عنه، وصفوان ثقة.

انظر: صحيح مسلم (٢٠٩٤/٤)؛ وتقريب التهذيب (ص: ٢٧٧ برقم: ٢٩٣٦).

(٣) أخرجه م (الذكر والدعاء ...، ب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٢٠٩٤/٤ ح: ٢٧٣٣).

(٤) انظر: جلاء العينين (ص: ٥٤٦).

منعه من باب اجتناب الشبهات التي أمرنا بالاجتناب عنها في مثل قوله ﷺ : ((دع ما يريك إلى ما لا يريك))^(١). فإذا كان الفقهاء يراعون الخلاف حتى في المسائل التي أدلتها ضعيفة فلماذا لا نراعي هنا الخلاف مع قوة الأدلة المانعة ؟ بل مقتضى الإنصاف أن تكون المراعاة هنا أكثر وأكثر لعلاقة المسألة بإخلاص العبادة لله تعالى، الذي ضده الشرك والكفر، والعياذ بالله تعالى^(٢).

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، وبإيماننا بك واتباعنا لنبيك أن ترينا وجميع إخواننا المسلمين - الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأن ترينا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وأن تدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

(١) جزء من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، أخرجه حم (٢٤٨/٣-٢٤٩ ح : ١٧٢٣)؛ وت (صفة القيامة، الباب الأخير ٦٦٨/٤ ح : ٢٥١٨) وقال : (هذا حديث حسن صحيح)؛ ون (الأشربة، ب : الحث على ترك الشبهات ٨/ ٣٢٧ ح : ٥٧١٠)؛ وخز (الزكاة، جماع أبواب قسم المصنفات، ب : ذكر تحريم الصلقة المفروضة على النبي المصطفى ٥٩/٤ ح : ٢٣٤٧)؛ وحب كما في الإحسان (الرقاق، الورع والتوكل، ب : ذكر الزجر عما يريب المرء من أسباب هذه الدنيا الفانية الزائلة ٤٩٨/٢ ح : ٧٢٢)؛ وكم (اليوع، ب : دع ما يريك ... ١٣/٢ والأحكام، ب : الصلقة طمانينة ٩٩/٤) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي وقال مرة أخرى : (سنده قوي)، وكذلك صححه الألباني في (إرواء الغليل ٤٤/١ ح : ١٢)، وبين أنه مروي أيضا عن أنس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم .

(٢) انظر : الدعاء ومقرئته من العقيدة (٦٤٦-٦٤٧) .

المطلب الرابع : الحكمة في ابتلاء الأنبياء بالذنوب .

الأنبياء عليهم السلام هم صفوة الخلق وخيرتهم عند الله تعالى، ومع ذلك وقعت منهم بعض المعاصي والذنوب، وقعوا فيها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى. وهذا من حكمته سبحانه وتعالى أنه قد يتلي عبده المؤمن بما يتوب منه فيحصل له فوائد عظيمة ومنافع جليلة، وفيما يلي ذكر بعضها .

١- الإحساس بالذنب والشعور بالتقصير والندم عليه ثم المبادرة إلى التوبة والاستغفار من أعظم نعم الله تعالى على العبد. والأنبياء عليهم السلام عندما صدر عن أحد منهم شيء من المعصية بادر بالتوبة والاستغفار. والله سبحانه وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم ذنبا عن نبي إلا ذكر معه توبته منه وأوبته إلى ربه. قال تعالى عن آدم عليه السلام : ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ * قالارينا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ^(٢) . وقال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتسبم بما كانوا يفعلون ﴾ * واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ^(٣) الآيات إلى أن قال : ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾ * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفري وترحمي أكن من الخاسرين ^(٤) . وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل

(١) الأعراف الآيات : ٢٢-٢٣

(٢) طه الآيات ١٢١-١٢٢

(٣) هود الآيات : ٣٦-٣٧

(٤) هود الآيات : ٤٥-٤٧

الشيطان إنه عدو مضل مبين* قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴿١﴾ .

فهؤلاء الأنبياء حين صدر عن أحد منهم شيء من المعصية بادر بالتوبة والاستغفار. والذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة. وأما ما حصل منه توبة فهو لا يضر صاحبه ﴿٢﴾ . والله سبحانه وتعالى قد أخبر عنهم أنهم تابوا إليه وطلبوا المغفرة منه، وأيضا أخبر أنه تاب عليهم وغفر لهم . ولا شك أن حصول مغفرة الله تعالى ورحمته ورضوانه من أكبر نعم الله على عبده .

٢ - الأنبياء عليهم السلام إن وقع منهم شيء من معصية الله تعالى فهم غسلوها وتخلصوا من أدرانها بالتوبة والاستغفار، وأصبحوا على حذر تام في المستقبل من العودة عما تابوا عنه، وباتوا أكثر حرصا واجتهادا في عبادة الله تعالى والمداومة عليها، فازدادوا بتوبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله وتضرعهم إليه وخشيتهم له قربة ومترلة عند الله تعالى، وحصل لهم بذلك من كمال الافتقار والعبودية لله تعالى ما لم يكن ليحصل من غير توبة، كمن ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف ثم ذاق الشيع والري والعافية والغنى والأمن فإنه يحصل له من المحبة لذلك وحلاوته ولذته والرغبة فيه وشكر نعمة الله عليه والحذر أن يقع فيما حصل أولا ما لم يحصل بدون ذلك ﴿٣﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعا لدرجاتهم بالتوبة وتبليغا لهم إلى محبته وفرحه بهم؛ فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد فرح فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية فإن العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء) ﴿٤﴾ .

وقال العلامة ابن القيم : وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الشرف والكرامة في حقهم، فصورته صورة

(١) القصص الآيتان : ١٥-١٦

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٤/١٥) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٥٥/١٥) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٩/٢٠) .

ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة . فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجني من قطوف الابتلاء والامتحان فتأمل حال أينما آدم عليه السلام وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المترلة ولولا تلك المحنة التي جرت عليه لما وصل إلى ما وصل إليه فكم بين حالته الأولى وحالته الثانية في نهايته ^(١) . انتهى المقصود من كلامه بتصرف يسير .

٣- الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة لمن أرسلوا إليهم وفي توبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله تعالى وتضرعهم إليه وخشيتهم منه وعبوديتهم له دعوة لأتباعهم إلى عدم القنوط من رحمة الله ومغفرته، ودعوة إلى المبادرة للتوبة والإنابة إليه سبحانه وطلب المغفرة منه وإفراد العبودية له كلها .
٤ - فيه ظهور لمقتضى أسماء الله تعالى وصفاته من عظيم فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته بعباده، وفرحه بتوبة التائب إليه، وقبول توبته، وبيان ذلك من وجوه :

أ- إن الله سبحانه وتعالى يحب التوبة والاستغفار و يحب أهلها : قال تعالى : ﴿ إن الله يحب المتطهرين ﴾ ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ! لو لم تذبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم ^(٣) .

ب - إن الله رحيم بعباده فهو سبحانه وتعالى يغفر من تاب إليه رحمة منه وفضلا قال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ ثم إن ربك للذین عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ ^(٥) .

ج - إن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عنهم ويفرح بتوبتهم إليه . قال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ ^(٦) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كيف تقولون بفرح رجل انفلت

(١) انظر : مفتاح دار السعادة (٢٩٩/١) وانظر بعد ذلك كلاما نفيسا له عن غيره من الأنبياء عليهم السلام في هذا الصدد .

(٢) البقرة الآية : ٢٢٢

(٣) أخرجه م (التوبة ، ب : سقوط الذنب بالاستغفار ١٢٠٦/٤ ح : ٢٧٤٩) .

(٤) الأنعام الآية : ٥٤

(٥) النحل الآية : ١١٩

(٦) الشورى الآية : ٢٥

منه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها حتى شق عليه ثم مرت بجذل شجرة فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به ؟ قلنا : شديدا يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : أما والله ! لله أشد فرحا بتوبة عبده من الرجل براحلته ^(١).

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة . فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم ! أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح ^(٢).

د - إن الله سبحانه وتعالى يبذل سيئات التائبين إليه حسنات فضلا وكرما منه سبحانه وتعالى وإحسانا إلى عباده ورحمة بهم . قال الله تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ ^(٣) .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة. وآخر أهل النار خروجا منها. رجل يؤتى به يوم القيامة. فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال : عملت يوم كذا وكذا، وكذا وكذا. وعملت يوم كذا وكذا، وكذا وكذا. فيقول : نعم. لا يستطيع أن ينكر. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول : رب ! قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ^(٤).

فالعبد إذا أذنب ثم ندم على فعله وأناب إلى ربه وطلب منه الإقالة والمغفرة يفرح الله به ويتوب عليه ويقبل توبته ويعفو عنه ويبدل سيئاته حسنات وهذا كله مظهر من مظاهر مقتضى أسماء الله وصفاته من رحمته وفضله وإحسانه وكرمه ومغفرته وعفوه ورضاه بتوبة التائبين إليه وفرحه بهم ومحبه لهم سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه م (التوبة، ب : في الحث على التوبة والفرح بها ٢١٠٤/٤ ح : ٢٧٤٦) .

(٢) أخرجه خ (الدعوات، ب : التوبة ٢٣٢٥/٥ ح : ٥٩٥٠)؛ وم (التوبة، ب : في الحث على التوبة والفرح بها ٢١٠٤/٤ ح : ٢٧٤٧)، واللفظ له .

(٣) الفرقان الآية : ٧٠

(٤) أخرجه م (الإيمان، ب : أدن أهل الجنة منزلة ١٧٧/١ ح : ١٩٠) .

الفصل الثاني : هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض . وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة وهبوطهما إلى الأرض .

المبحث الثاني : تحذير الله تعالى آدم ﷺ وذريته من إبليس ومكائده .

المبحث الثالث : استخراج ذرية آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم .

المبحث الرابع : مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

المبحث الخامس : خلافة آدم ﷺ في الأرض .

المبحث الأول : خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة

وهبوطهما إلى الأرض. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : وقت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة ومدة بقائهما فيها.

أولا : وقت خروج آدم ﷺ من الجنة .

إن آدم ﷺ لما أسكن الجنة مع زوجته حواء عليها السلام كان من نعم الله تعالى عليهما أن أباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدا إلا شجرة حرهما عليهما، ولهما عن الاقتراب منها، وحذرهما من كيد الشيطان لهما ولكن سبق القضاء عليهما، فوقعا في كيد الشيطان عدوهما، وأكلا من الشجرة المنوعة، فلما أكلا منها أمرا بالخروج من الجنة. وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله تعالى تحذيرا لبني آدم عن إغوائه لهم كما أغوى أبويهم من قبل فأخرجهما من الجنة . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ * فأرطما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ^(١) وقال تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما ﴾ ^(٢).

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله تعالى فبينت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وزادت في البيان والإيضاح بأن ذلك اليوم الذي أخرج فيه الأبوان من الجنة كان ذلك يوم الجمعة. فمن الأحاديث النبوية التي جاء فيها بيان خروج آدم ﷺ من الجنة يوم الجمعة ما يلي :

عن أبي هريرة ؓ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم

(١) البقرة الآيتان : ٣٥-٣٦ وانظر : الأعراف الآيات : ١٩-٢٤ و طه الآيات : ١١٧-١٢٣

(٢) الأعراف الآية : ٢٧

الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ^(١).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة ^(٢).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُصِيخةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه... الحديث ^(٣).

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر ؓ قال : قال النبي ﷺ : إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرب، ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر، إلا وهن يشققن من يوم الجمعة ^(٤).

وعن سعد بن عباد ؓ أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن يوم الجمعة : ماذا فيه من الخير؟ قال : " فيه خمس خلال : فيه خلق آدم، وفيه أهبط آدم، وفيه توفي آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل مأثما أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو يشقق من يوم الجمعة ^(٥) .

يتبين مما سبق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الأبوين أخرجا من الجنة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وأن ذلك كان يوم الجمعة، والله أعلم بالصواب .

(١) حديث صحيح، وهو عند مسلم وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(٤) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٨٨) .

(٥) إسناده أقرب إلى الحسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٨٧) .

ثانيا : مدة بقاء آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة :

لقد تبين من النصوص المتقدمة أن الأبوين كانا أمرا بدخول الجنة والسكن فيها يوم الجمعة، وأن خروجهما منها كذلك كان يوم الجمعة. فكم بقي فيها الأبوان، في هذه المسألة لم أجد من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ ما يبين ذلك بالتحديد إلا أن لأهل العلم في بيان المدة التي بقي فيها الأبوان في الجنة أقوالا، وهي كما يلي :

القول الأول : ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. قاله عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ^(١).

القول الثاني : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين صلاة الظهر وصلاة العصر، فأنزل إلى الأرض، وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثني عشرة ساعة، واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا . هذا القول محكي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في رواية أخرى عنه ^(٢) وبه قال الكلبي ^(٣)، ومثله ما حكى عن وهب بن منبه بأن آدم ﷺ مكث في الجنة ست ساعات ^(٤)، وإليه مال الزرقاني ^(٥).

القول الثالث : ما مكث آدم ﷺ إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه

-
- (١) أخرجه كم (التاريخ، ذكر آدم ﷺ ٥٤٢/٢) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ، وكذلك وافقه على تصحيحه الحافظ ابن حجر في (تحفة النبلاء من قصص الأنبياء ص : ١١٨) .
- (٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣٥-٣٤/١)؛ ومن طريقه ابن جرير في تاريخه (٧٨/١)، والإسناد مظلم جدا، وذلك لما يلي:
- ١- فيه هشام بن محمد وهو ضعيف متروك الحديث . انظر أقوال الأئمة عنه في سير أعلام النبلاء (١٠٣-١٠١/١٠)؛
- ولسان الميزان (١٩٧-١٩٦/٦) . ٢- وأبوه محمد بن السائب بن بشر الكلبي وهو أيضا متروك متهم بالكذب . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٤٩-٢٤٨/٦)، وتهذيب التهذيب (١١٨-١١٦/٥) . ٣- وفيه أبو صالح وهو باذام مولى أم هاني، وقد ذكر ابن حبان في المحروحين (٢٥٥/٢) : (أن أبا صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه) فتكون روايته عن ابن عباس منقطعة، وذكر ابن معين كما في تهذيب الكمال (٧/٤) : أنه إذا روي عنه الكلبي فليس بشيء، والراوي عنه هنا هو الكلبي، وبالإضافة إلى ما سبق أبو صالح هذا ضعيف يرسل، وقد اتهمه أيضا بعض الأئمة بالكذب . انظر : تهذيب التهذيب (٢٦٤-٢٦٣/١) ؛ و تقريب التهذيب (ص : ١٢٠ برقم : ٦٣٤) .
- (٣) ذكر ذلك عنه الزرقاني في (الأجوبة المصرية على الأسئلة المغرية ص : ١٣)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ٢٥٥/٢) .
- (٤) ذكر عنه الكاندهلوي في أوجز المسالك (٢٥٥/٢) .
- (٥) انظر : الأجوبة المصرية على الأسئلة المغرية (ص : ٩١ و ١٣) .

إبليس لعنه الله من الجنة . هذا القول ذهب إليه سعيد بن المسيب ^(١) وسعيد بن جبير ^(٢) ومجاهد ^(٣) وكذلك حُكي القول به عن الضحاك ^(٤).

القول الرابع : مكث في الجنة خمس ساعات . هذا القول محكي عن أبي العالية ^(٥).

القول الخامس : لبث آدم ﷺ في الجنة ساعة من نهار، وتلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا . هذا القول ذهب إليه الحسن البصري ^(٦).

القولان السادس والسابع : مكث آدم في الجنة مائة عام، وفي رواية : ستين عاما . حكاهما الأوزاعي ^(٧) عن شيخه حسان بن عطية ^(٨).

القول الثامن : مكث آدم في الجنة ربع النهار، وذلك ساعتان ونصف، وذلك مائتا سنة وخمسون سنة . هذا القول محكي عن موسى بن عقبة ^(٩).

-
- (١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص : ٨١ برقم : ٢٦١)، وإسناده لا يقل عن درجة الحسن .
(٢) ذكره البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة ٥١٥/١٠ - ٥١٦)، وقال : " رواه مسدد مقطوعا ورواته ثقات " .
(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة ٤٧٧/١ - ٤٧٨ برقم : ٥٠٣ و ٥٠٥) بإسنادين وكلاهما حسن، كما بين ذلك محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي .
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤/٢٢ - ٥٥)، وإسناده ضعيف لكون شيخ الطبري مبهما إذ قال : " حدثت عن الحسين " ولأن شيخه الحسين هو الحسين بن الفرج الخياط البغدادي تكلم فيه الأئمة بجرح شديد حتى وصمه بعضهم بالكذب وسرقة الحديث فهو على أقل أحواله ضعيف لا يحتج به ولا سيما إذا تفرد . انظر : الجرح والتعديل (٦٢/٣)؛ وتاريخ بغداد (٨٤/٨)؛ وميزان الاعتدال (٥٤٥/١)؛ ولسان الميزان (٣٠٧/٢) .
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٧٨/١)، وفي الإسناد نظر، وقد تقدم الكلام على ذلك في (ص : ٣٤١ - ٣٤٢) .
(٦) أخرجه الإمام أحمد في (الزهد ص : ٨١ برقم : ٢٥٩)؛ ومحمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة ٤٧٨/١ برقم : ٥٠٦)؛ وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٢٧٢/٦)؛ وابن كثير في تفسيره (٨٠/١) بإسناد عبد بن حميد نقلا من تفسيره، وكلهم عن طريق هشام بن حسان الأزدي ، ورجال الإسناد ثقات إلا أن هشام بن حسان الأزدي القُرْطُوسي وهو ثقة ولكن في روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنه قيل كان يرسل عنهما . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٧٢ برقم : ٧٢٨٩) .
(٧) الأوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو، ثقة جليل فقيه صاحب سنة واتباع، توفي سنة ١٥٨ هـ وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب (٤٠٠/٣ - ٤٠٢ برقم : ٤٥٣٤) .
(٨) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧٩/١ - ٨٠)، وحسان بن عطية هو أبو بكر الدمشقي، الحارثي مولاهم، ثقة فقيه عابد، توفي بعد ١٢٠ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٥٨ برقم : ١٢٠٤) .
(٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/١) وأحال إلى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده ولم أجده، وموسى بن عقبة ابن أبي عيش الأسدي، مول آل الزبير، ثقة فقيه إمام في اللغاري، توفي سنة ١٤١ هـ وقيل بعلمها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٥٢ برقم : ٦٩٩٢) .

القول التاسع : مكث آدم ﷺ في الجنة جزءاً من الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة من أيام الآخرة، مقداره ثلاثة وأربعون عاماً وأربعة أشهر من أعوام الدنيا . هذا القول ذهب إليه ابن جرير الطبري وتبعه ابن الجوزي والأدكاوي المؤذن ^(١).

القول العاشر : سكن آدم في الجنة ثلاث ساعات . هذا القول ذكره ابن جرير الطبري وابن الأثير ^(٢) والكاندهلوي ^(٣).

القول الحادي عشر : سكن آدم ﷺ في الجنة بعض يوم من أيام الدنيا ، لأنه جاء في حديث أبي هريرة ؓ : ((وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ^(٤)))، وهذا القول ذكره الزرقاني ^(٥).

القول الثاني عشر : إن آدم ﷺ لبث في الجنة مدة طويلة من غير تحديد. قال الحافظ ابن كثير : واختلفوا في مقدار مقامه في الجنة فقليل بعض يوم من أيام الدنيا، فإن كان اليوم الذي خلق فيه فيه أخرج - وقلنا إن الأيام الستة كهذه الأيام - فقد لبث بعض يوم من هذه الأيام؛ وفي هذا نظر. وإن كان إخراجهم في غير اليوم الذي خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة، فقد لبث هناك مدة طويلة ^(٦). أهـ بتصرف.

القول الثالث عشر : التوقف المطلق عن الكلام في مقدار لبث آدم ﷺ في الجنة . قال الشيخ عبد القادر بن شببة الحمد - حفظه الله تعالى - : (أما مقدار لبث آدم في الجنة : فلم يعينه الله، ولم يعينه رسول الله ﷺ، والقول فيه قول على الله بلا علم. وقد بين الله تعالى أنه أهبط آدم من الجنة) ^(٧).

وبالنظر في هذه الأقوال يظهر أن القائلين بأن مدة بقاء آدم ﷺ في الجنة جزء من نهار

(١) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (٧٨/١)؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٠٧/١)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المهمة في القرآن الكريم (٦١/١) .

(٢) علي بن محمد بن محمد الشيباني، الإمام العلامة الأديب المحدث النسابة، توفي سنة ٦٣٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢) .

(٣) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (٧٨/١)؛ والكامل في التاريخ (٢٢/١)؛ وأوجز المسالك (٢٥٥/٢) .

(٤) جزء من حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه مسلم، وتكلم فيه بعض النقاد، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٨٨-٩٠) .

(٥) انظر : الأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية (ص : ١٤) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (٩١/١) .

(٧) قصص الأنبياء (ص : ٣٨) له .

لاحظوا قول النبي ﷺ عن آدم عليه السلام أنه خلق في آخر ساعة من يوم الجمعة مع الرواية الأخرى التي تنص على أنه أخرج من الجنة يوم الجمعة، فجعلوا ذلك كله في يوم واحد، واعتبروا ذلك اليوم من الأيام التي قال الله فيها : ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾^(١)، فعلى قول هؤلاء العلماء تكون مدة لبث آدم عليه السلام في الجنة مدة طويلة بالنسبة لحساب أهل الدنيا للزمان ولكن لا يمكن القطع بمدة محددة لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك، وإن كان الأظهر أن مدة بقاء آدم عليه السلام في الجنة كانت طويلة، أمكن من خلالها أن ينسى آدم عليه السلام ما عهد به إليه ربه، وأن يوسوس له الشيطان، ويحاول المحاولة تلو الأخرى حتى وقع منه عليه السلام ما وقع، والله أعلم بالصواب .

(١) الحج الآية : ٤٧

المطلب الثاني : مكان هبوط آدم وزوجه عليهما السلام.

إن آدم وزوجه عليهما السلام لما أكلا من الشجرة المحرمة أخرجوا من الجنة، وأمرأ بالهبوط إلى الأرض. وقد اختلفت أقوال أهل العلم في تعيين مكان هبوطهما في الأرض، وفيما يلي ذكرها باختصار:

القول الأول : كان هبوط آدم عليه السلام في مكة المكرمة وما جاورها .

وهذا القول يتضمن أقوالا، وهي كما يلي :

أ - أهبط آدم عليه السلام إلى موضع البيت الحرام بين الركن والمقام . وهذا القول منسوب إلى ابن عباس ^(١) - رضي الله عنهما - .

ب - أهبط آدم عليه السلام بالصفاء وحواء - عليها السلام - بالمروة . هذا القول محكي عن ابن عمر ^(٢) - رضي الله عنهما - .

ج - أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا ^(٣) بين مكة والطائف . هذا القول أيضا محكي عن ابن عباس ^(٤) - رضي الله عنهما - .

القول الثاني : أهبط آدم عليه السلام في الهند. وهو قول عامة المفسرين والمؤرخين .

هذا القول أثّر عن علي بن أبي طالب ^(٥)

(١) أخرجه عنه الأزرقي في (أخبار مكة ١/٣٩) بإسناده إليه، وهو إسناده ضعيف جدا لأن فيه عبد الله بن أبي ليبد وهو ثقة لكنه من الطبقة السادسة الذين لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة وهو يقول في هذه الرواية : " بلغني أن ابن عباس قال " ، فالإسناده منقطع من غير شك ثم إن الراوي عنه هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، وهو متروك . انظر أقوال الأئمة عن ابن أبي ليبد في : (تهذيب الكمال ١٥/٤٨٣-٤٨٤ برقم : ٣٥١٠)، وعن إبراهيم بن محمد الأسلمي في المصدر السابق (٢/١٨٤-١٨٩ برقم : ٢٣٦)، وفي (تقريب التهذيب ص : ٩٣ برقم : ٢٤١) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣١ برقم : ٣٩٦)، ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا؛ لأن الزبير بن عدي لا يعلم له رواية عن ابن عمر، وقد نبه على ذلك المحقق، وهو كما قال .

(٣) انظر تعليقا نفيسا للشيخ أحمد شاکر حول هذه الكلمة ومكان وقوعها في تفسير الطبري بتحقيقه (١٣/٢٢٥-٢٢٦) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٢ برقم : ٣٩٨)، وإسناده ضعيف لأن فيه عطاء بن السائب وكان قد اختلط، ولم يسمع منه جرير بن عبد الحميد الضبي إلا بعد الاختلاط، وقد نبه على ذلك المحقق وهو كما قال . انظر أقوال الأئمة عن عطاء بن السائب في (تهذيب الكمال ٢٠/٨٦-٩٣) .

(٥) هذا القول مروي عنه بإسنادين : أحدهما : من طريق فرات الفزاز عن أبي الطفيل عن علي عليه السلام وهو عند عبد الرزاق في المصنف (الناسك، ب : زمزم وذكرها ٥/١١٦ برقم : ٩١١٨)؛ والأزرقي في (أخبار مكة ٢/٥٠ ب : ذكر فضل

وابن عباس^(١) وابن عمر^(٢) وجابر بن عبد الله^(٣) وأبي سعيد الخدري^(٤) - رضي الله عنهم -، وكذلك هو محكي عن أبي العالية^(٥) وخالد بن معدان^(٦) والحسن^(٧)

زمزم وما جاء في ذلك) وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات. والثاني: من طريق حميد الطويل عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال علي: ... الخ، وهو عند كم في المستدرک (التاريخ، ب: أطيح ریح في الأرض الهند ٥٤٢/٢)؛ ومن طريقه عند البيهقي في (البعث والنشور ص: ١٤١ برقم: ١٧٩). وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) وسكت عليه الذهبي. ولعل له طريقا ثالثا، وهو ما جاء من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال علي: ... الخ عند الطبري في تاريخه (٧٩/١)، وهذا الإسناد ضعيف لأن يوسف بن مهران تكلم فيه وفي حديثه لين، وأيضاً قيل: إنه لم يرو عنه غير علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما سبق الكلام عنه في (ص: ١٦١) ولكن تابعه حميد الطويل في الرواية عن يوسف بن مهران كما في رواية الحاكم السابق ذكرها، ولا شك أنها متبعة تامة قوية، وكذلك الطريق الأول: طريق فوات القزاز يعتبر متبعة قاصرة له.

(١) هذا القول مروى عنه من ثلاثة طرق: إحداها: من أبي يحيى القتات عن مجاهد ثنا ابن عباس، وهو عند الطبري في تاريخه (٧٩/١)، وهذا الإسناد فيه أبو يحيى القتات وفيه ضعف يسير وهو أقرب إلى درجة الصدوق وما عده من رجال الإسناد أحسن منه فهم ما بين ثقة وصدوق. والثاني: من طريق عمران بن عينة، أبنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو عند الطبري في تفسيره (١١١/٩) في حديث طويل، وهو باختصار عند الطبري في تاريخه (٧٩/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١/١ برقم: ٣٩٧)؛ وكم (التاريخ، ٥٤٢/٢) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي ولكن في هذا الحكم نظر لأن عطاء بن السائب كان قد اختلط في آخره، والراوي عنه عمران لا يعلم متى أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده، مع كلام لأهل العلم في عمران. والثالث: من طريق هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس وهو عند ابن سعد في (الطبقات ٣٥-٣٤/١) ومن طريقه عند ابن جرير في تاريخه (٧٩/١)، وهو إسناد مظلم جدا، وقد سبق الكلام عنه في (ص: ٥٤٨).

(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ١٣٦/١) في حديث طويل وأحال إلى الطبراني، وبحث عنه فلم أجده، وفي المتن نكارة شديدة مثل: كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ... وما إلى ذلك.

(٣) أخرجه عنه ابن عساكر في تاريخه (٨٣٤/٧) في ترجمة آدم أبي البشر الطيّل برقم: ٥٧٨)، في حديث طويل ورجال الإسناد ما بين ثقة وصدوق، ما عدا محمد بن عبيد الله بن أبي رجاء فإنه لم يتمكن من معرفته. وذكره ابن أبي الدنيا في (مكائد الشيطان ص: ٩٥ برقم: ٧٣) من غير إسناد، بنفس اللفظ، وفي المتن نكارة شديدة مثل: أن رأسه كان ينال السماء، وأن الأرض شكت ثقل آدم إلى ربها ... وما إلى ذلك.

(٤) ذكر الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب ١٣٧/١ ح: ٤٨٢) من غير إسناد.

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٧٩/١)، وفي الإسناد نظر، وقد سبق الكلام عنه في (ص: ٣٤١-٣٤٢).

(٦) أخرجه أبو الشيخ في (العظمة ١٥٥٢/٥ برقم: ١٠١٣) في حديث طويل، وفي الإسناد أكثر من راو لم يتمكن من معرفته، وكذلك في متنه نكارة شديدة مثل أن طول له كان ثلاثون ميلا، وأنه حمله بعد وفاته مائة وخمسون رجلا ... وما إلى ذلك.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢/١ برقم: ٣٩٩) بإسناده إليه في حديث طويل، وذكره ابن عساكر في (تاريخ دمشق الكبير ١١٧/٦٧-١١٨ برقم: ٨٣٠٨ تحقيق: علي الجنوي ط. دار إحياء التراث العربي) والحافظ ابن كثير في تفسيره (٧٦/٣)، وهذا الأثر ضعيف لأن عباد بن ميسرة لين الحديث، وتلميذه صدقة بن عمرو الغساني مجهول. وقد نبه على ذلك محقق تفسير ابن أبي حاتم، وهو كما قال. انظر ترجمة صدقة في (تقريب التهذيب ص: ٢٧٥ برقم: ٢٩١٤)، و ترجمة عباد في المصدر السابق (ص: ٢٩١ برقم: ٣١٤٩).

وقتادة^(١) وعطاء بن أبي رباح^(٢) والسدي^(٣) والضحاك^(٤)، وكذلك ذكره غير واحد من أهل العلم^(٥).

قال ابن جرير الطبري : (وأنزل آدم - فيما قال علماء سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم - بالهند)^(٦) ، وقال أيضا : (وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة ، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك ؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء)^(٧) . وقال الشوكاني : (وقد روي عن جماعة من الصحابة أن آدم أهبط إلى أرض الهند)^(٨) . وقال صديق حسن خان القنوجي : (الروايات تعاضدت في أن آدم نزل بالهند من السماء ، وتوطن بعد ذلك بهذه الغبراء)^(٩) . وقال محمد زكريا الكاندهلوي : (روايات كثيرة متضاربة على أن هبوط آدم كان في أرض الهند)^(١٠).

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٣/٣٤)؛ وفي المصنف (المناسك ، ب : ببيان الكعبة ٩٣/٥-٩٤ برقم : ٩٠٩٦) ، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (١/٥٤٧) في حديث طويل؛ وفي تاريخه (١/٧٩) مختصرا ، وكذلك أخرجه من غير طريقه في تفسيره (١٧/١٤٢) في حديث طويل أيضا ، والطريق الأول إسناده حسن والثاني صحيح ولكن في المتن نكارة شديدة مثلا : كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ... وما إلى ذلك ، ما عدا ما ذكره الطبري مختصرا فإنه لم ترد فيه هذه الأشياء المنكرة .

(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ١/١٣٦) ، وأحال إلى سعيد بن منصور ، وبحثت في الجزء المطبوع منه ، ولم أجده فيه ، وعطاء بن أبي رباح هو القرشي مولا هم المكي ، ثقة فقيه فاضل ، توفي سنة ١١٤ هـ على المشهور . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩١ برقم : ٤٥٩١) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٣ برقم : ٤٠١ و ١/١٣٨-١٣٩ برقم : ٤٢٢) من طريق أسباط عن السدي ، وفي هذا الإسناد مقال وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص : ٩٧-٩٨ و ٣٦٨) .

(٤) ذكره البغوي في (معالم التنزيل ١/١٧٤) .

(٥) انظر : أعلام النبوة (ص : ٨٠)؛ الملل والنحل (٢/٢٣٣)؛ ومعجم ما استعجم (١/٢٧٧ و ٢/٦٣٠ و ٤/١٣٦٤)؛ ومعالم التنزيل (١/٦٤)؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٠٨)؛ ومعجم البلدان (٣/٢١٦ و ٥/٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧)؛ والكامل في التاريخ (١/٢٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١/٣١٩ و ٢/٤١٥)؛ ولسان العرب (٥/٣٤٩-٣٥٠ ، مادة : رهن)؛ والروح (ص : ١٩٧-١٩٨) .

(٦) تاريخ الأمم والملوك (١/٧٩) .

(٧) المصدر السابق (١/٨٠) .

(٨) فتح القدير (١/٧١) .

(٩) أبعاد العلوم (١/٣٤٣) .

(١٠) أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢/٢٥٦) .

وقد ورد في نزول آدم عليه السلام في الهند حديث ضعيف مرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه ابن عساكر ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : نزل آدم بالهند واستوحش ... الحديث ^(٢) .
أما مكان نزول حواء عليها السلام فقيل أنها كانت نزلت في المكان الذي نزل فيه آدم عليه السلام في الهند . ذكره عبد الله البكري ^(٣) وياقوت الحموي ^(٤) .
وقيل أنها لم تكن نزلت في مكان هبوط آدم عليه السلام في الهند بل هي نزلت بمجدة . هذا القول منسوب إلى ابن عبل ^(٥) والحسن ^(٦) والضحاك ^(٧) ، وكذلك ذكره غير واحد من أهل العلم ^(٨) .
وقيل نزلت بالمروة . وهو محكي عن ابن عمر كما سبق ذكره قريباً .
قال الحافظ ابن كثير : (وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود إلى المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم) ^(٩) . وقال محمد رشيد رضا : (وكل ما ورد في هبوط آدم وحواء من تعيين الأمكنة فهو من الإسرائيليات الباطلة) ^(١٠) .

-
- (١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، المعروف بابن عساكر، الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الشام، توفي سنة ٥٧١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٢٠ - ٥٧١) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٣٧/٧) في ترجمة آدم أبي البشر برقم : ٥٧٨ ، وضعفه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٧٩/١ - ٥٨٠ ح : ٤٠٣) . وكذلك ورد حديث آخر وهو موضوع ، ذكره ابن عراق في (تزيه الشريعة ٢٤٦/١) ؛ والفتني في (تذكرة الموضوعات ص : ١٦١) .
(٣) انظر : معجم ما استعجم (١٣٦٤/٤) والبكري هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، لغوي مؤرخ نسابة جغرافي، توفي سنة ٤٨٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٧٥/٧) .
(٤) انظر : معجم البلدان (٣٥٣/٥) ، والحموي هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، مؤرخ أديب شاعر ناثر لغوي عالم بتقويم البلدان، توفي سنة ٦٢٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٧٨/١٣ - ١٧٩) .
(٥) أخرجه ابن سعد في (الطبقات ٣٤/١ - ٣٥) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٩/١) وهو إسناد مظلم جداً وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥٤٨) .
(٦) انظر ما سبق ذكره في (ص : ٥٥٣ ، الهامش رقم : ٧) .
(٧) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (١٧٤/١) .
(٨) انظر : أعلام النبوة (ص : ٨٠) ؛ ومعالم التنزيل (٦٤/١) ؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٠٨/١) ؛ والكمال في التاريخ (٢٢/١) ؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٢٠/١ و ٤١٥/٢) .
(٩) تفسير القرآن العظيم (٢٠٦/٢ - ٢٠٧ ، الأعراف : ٢٢) .
(١٠) تفسير القرآن الحكيم (٢٧٩/١) .

خلاصة القول : إنه لا شك أن بيان مكان هبوط آدم وحواء عليهما السلام في الأرض وتحديدده وتعيينه من الأمور الغيبية التي لا يمكن الخوض فيها على وجه الجزم واليقين والصواب إلا بدليل واضح صحيح : من كتاب الله تعالى أو من سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ . ولم يرد تعيين ذلك في شيء من آيات الكتاب العزيز، ولا في أحاديث الرسول الصحيحة، وإنما ورد ذكر ذلك في حديث ضعيف أو موضوع .

وكذلك أثرت في ذلك أقوال عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكن أغلب هذه الآثار غير صحيحة الأسانيد إلى من حكيت عنهم، مع نكارة شديدة في متونها ومخالفتها لما هو ثابت في الأحاديث الأخرى الصحيحة، وبعضها صحيحة الأسانيد عنهم ولكنها منكرة المتن كالتى قبلها، والقليل منها صحيحة ومتونها سالمة من النكارة . ومن المحتمل أن تكون هذه الأقوال مأخوذة من الإسرائيليات إلا أن تضافر هذه الروايات في نزول آدم عليه السلام في الهند يعطي القول بتروله فيها قوة، فلا يبعد أن تكون الهند هي مهبط أبي البشر آدم عليه السلام ولكن لا يمكن الجزم به، والله أعلم بالصواب .

المطلب الثالث : الحكمة في إهباط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة .

إن الله سبحانه وتعالى أكرم الأبوين بإسكانهما في الجنة، وأباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا إلا شجرة واحدة عينها لهما، ونهاهما عنها ولكن أكلا منها، فكان ذلك سببا لإهباطهما وخروجهما - وخروج ذريتهما تبعاً لهما - من الجنة إلى الأرض. ولم يكن إهباطهما إلى الأرض عبثاً ولغو بل فيها من الحكم الجليلة الكثيرة العظيمة التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفتها، وفيما يلي الإشارة إلى بعضها ^(١).

١ - إنه سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته، وهي الغاية العظمى والحكمة الكبرى من خلقهم وإيجادهم . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(٢). ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل في دار النعيم والبقاء ، إنما يحصل في دار المحنة والابتلاء لأن دار البقاء إنما هي دار لذة ونعيم، لا دار ابتلاء وامتحان وتكليف .

٢ - إنه سبحانه لا شيء أحب إليه من تذلل العبد بين يديه وخضوعه وافتقاره وانكساره وتضرعه إليه. وهذا إنما يتم بأسبابه التي تتوقف عليها، وحصول هذه الأسباب في دار النعيم المطلق والعافية الكاملة يمتنع إذ هو مستلزم للجمع بين الضدين .

٣ - إنه سبحانه وتعالى أراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم بذلك، وليست الجنة دار تكليف، بل دار إنعام وإكرام؛ فأهبطهم منها إلى الأرض، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وبذلك عرضهم للثواب العظيم الجزيل الذي لا يوصل إليه إلا بعد عبور جسر الامتحان والابتلاء . ولا يمكن عبور هذا الجسر إلا بامثال ما أمر الله به وترك ما نهى عنه .

٤ - إنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلاً وصديقين وشهداء وأولياء وعبيدا يحبهم ويحبونه، فخلق بينهم وبين أعدائهم، وامتحانهم بهم . فلما آثروه وبذلوا نفوسهم

(١) هذه الحكم مستفادة من كتاب : مفتاح دار السعادة (١١ - ٣ / ١) ؛ ومن كتاب : شفاء العليل في مسائل

القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص : ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٢) الذاريات الآيات : ٥٦ - ٥٨

وأموالهم في مرضاته ومحابه نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينال بدون ذلك أصلا . فدرجة الخلّة، والرسالة ، والنبوة، والصديقية، والشهادة، والولاية، والعبودية الخاصة، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاته أوليائه، ومعاداة أعدائه عنده من أفضل درجات المخلوقين وأشرف مقاماتهم بل هي نهاية كمالهم. ولم تكن لتحصل لهم إلا على الوجه الذي قدره وقضاه من إهباط آدم عليه السلام إلى الأرض، وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها، فكان إنزالهم إلى الأرض من كمال الإحسان وتمام الإنعام عليهم .

٥ - إنه سبحانه أنزلهم إلى دار يكون إيمانهم فيها بالغيب. والإيمان بالغيب هو الإيمان النافع . وأما الإيمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع نفسا إلا إيمانها في الدنيا. فلو خلقوا في دار النعيم لكان لهم فيها لذة وكرامة ولكن لم يكونوا لينالوا اللذة والكرامة والمتلة الرفيعة التي تحصل لهم لإيمانهم بالغيب .

٦ - إنه تعالى له الأسماء الحسنى فهو الغفور الرحيم، العفو الحليم، الخافض الرافع، المعز المذل، المحيي المميت . ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء. فاقتضت حكمته سبحانه أن يسكن آدم وذريته دار الابتلاء، لتظهر آثار أسمائه الحسنى، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء إلى غير ذلك مما فيه ظهور آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

٧ - إنه سبحانه له الخلق والأمر . والأمر هو شرعه ودينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه. وليست الجنة دار تكليف تجري عليهم فيها أحكام التكليف ولوازمها، وإنما هي دار نعيم ولذة وراحة، فاقتضت حكمته سبحانه إخراج آدم عليه السلام وذريته منها إلى دار تجري عليهم فيها أحكام دينه وأمره ليظهر فيهم مقتضى الأمر ولوازمه . وكما أن أفعال الله وخلقه من لوازم كمال أسمائه الحسنى وصفاته العلى فكذلك أمره وشرعه وما يترتب عليه من الثواب والعقاب من لوازم كمال ربو بيته وحكمته وعزته وغيرها من أسمائه الحسنى وصفاته العلى .

٨ - إنه سبحانه جلت حكمته خلق أبا البشر آدم عليه السلام من قبضة من طين قبضها من جميع الأرض، طيبها وخبيثها، سهلها وحزنها، فعلم الله أن في ظهره من الذرية من لا يصلح للإقامة في دار كرامته فأنزله إلى الأرض التي هي ميدان للصراع بين الخير والشر، واستخرج ذريته من صلبه، ويسر كلا منهم لما خلق له .

ثم ميزهم بعد ذلك في دارين : دار الطيبين وهي الجنة التي لا تصلح مقرا إلا للطيبين ، ودار الخبيثين وهي النار التي لا تصلح مقرا إلا للخبيثين . كما بين ذلك في كتابه فقال عز من قائل : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ ^(١).

٩ - إن الله سبحانه يحب الصابرين، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الشاكرين، ويحب المجاهدين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص لتكون كلمة الله هي العليا . فاقتضت حكمته أن يسكن آدم وذريته دارا يأتون فيها بهذه الصفات فينالون بذلك أعلى الكرامات، وهي محبته لهم، فكان إسكانهم الأرض من أعظم النعم عليهم. ﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ^(٢).

١٠ - أراد الله عز وجل أن يظهر لملائكته كمال علمه وحكمته، فإنه حين أخبر الملائكة بقوله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ يعني آدم وذريته، قال الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فأجابهم بقوله : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ ^(٣).

فأظهر لهم ذلك العلم بأن جعل في الأرض من خواص خلقه من أوليائه وأحبائه وأنبيائه ورسله الذين يباهي بهم الملائكة لتقربهم إليه بالعبادات، وبذل نفوسهم في محبته ورضاه، وتسبيحهم له آناء الليل وأطراف النهار، وذكرهم له قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وشكرهم له في كل أحوالهم : في السراء والضراء، والعافية والبلاء، والشدة والرخاء . مع معارضات الهوى والشهوة والشیطان، بخلاف الملائكة فإنهم يعبدون الله من غير معارض ولا ممانع ولا شهوة تعثرهم . فأظهر الله بذلك لملائكته علمه وحكمته في جعل آدم وذريته خلفاء في الأرض .

١١ - لقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى خلق آدم وذريته من تركيب مستلزم لداعي الشهوة والفتنة، وداعي الإيمان والعقل والعلم، إذ كونه من تراب ونفخ فيه من روحه، فخلق فيه العقل والشهوة، وكل منهما داع إلى مقتضاه، ليتم بذلك مراده سبحانه، ويظهر لعباده عزته في جبروته، وحكمته في رحمته، ولطفه في سلطانه، فكان لا بد من

(١) الأنفال الآية : ٣٧

(٢) البقرة الآية : ١٠٥

(٣) البقرة الآية : ٣٠

إسكانهم في دار الابتلاء، ليلوهم أيهم أحسن عملا .

ولو شاء سبحانه لخلقهم كالملائكة بلا شهوات، وأبقاهم في دار كرامته لكنهم حينئذ يكونون خلقا آخر غير بني آدم، الذين جمع لهم بين العقل الذي تمتاز به الملائكة، وبين الشهوة التي هي طبيعة الأرض التي خلقوا منها .

١٢ - إنه سبحانه أراد أن يعرف عباده الذين أنعم عليهم تمام نعمته عليهم ليكونوا أعظم محبة وأكثر شكرا وأعظم التذاذ بما أعطاهم من النعيم . فأنزل الجميع الصالحين وغيرهم إلى الأرض ثم امتحنهم واختبرهم، ووفق من شاء منهم، وخصهم بأنواع النعيم واللذات والرحمات والكرامات رحمة منه وفضلا، وخذل من شاء منهم وأذاقهم أنواع الآلام والشدائد حكمة وعدلا . ولا شك أن المؤمن إذا رأى عدو الله وعدوه في أنواع العذاب والآلام وهو يتقلب في أنواع النعيم واللذة ازداد بذلك سرورا وعظمت لذته وكملت نعمته .

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها . قالوا: يا رسول الله ! أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله . كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض . فإذا سألت الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة ^(١) .

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وجعل فيها مراتب ودرجات كما اقتضت حكمته، وأيضا حكمته سبحانه مقتضية عمارة هذه الدرجات كلها ، فأنزلهم إلى دار العمل والمجاهدة والمسابقة ليقسمها بين أهلها - بعد عفوه ورحمته - على قدر بذلهم وجهدهم وأعمالهم .

١٤ - إنه سبحانه خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض كما أخبر سبحانه في كتابه بقوله :

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ ^(٤) . فأراد سبحانه أن ينقله وذريته من هذا الاستخلاف في الأرض إلى

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ [هود : ٧] ... ٦ / ٢٧٠٠ : ح : ٦٩٨٧) .

(٢) البقرة الآية : ٣٠

(٣) الأنعام الآية : ١٦٥

(٤) الأعراف الآية : ١٢٩

توريثه جنة الخلد، فاقتضت حكمته أن أدخل الأبوين الجنة، وأسكنهما فيها مدة معينة فعرفا ما أعد الله فيها من النعيم لعباده الصالحين ثم قص قصتهما على بنيه كأنهم مشاهدون لها حاضرون فيها مع أبيهم ليكونوا إليها أشوق وعليها أحرص ويكون طلبهم لها أكثر وأشد .

١٥ - إنه سبحانه وتعالى سبق في حكمه وحكمته أن الغايات المطلوبة لا تنال إلا بأسبابها التي جعلها الله أسبابا مفضية إليها، ومن تلك الغايات أعلى أنواع النعيم وأفضلها وأجلها، فلا تنال إلا بأسباب نصبها مفضية إليها، وإذا كانت الغايات التي هي دون ذلك لا تنال إلا بأسبابها مع ضعفها وانقطاعها كتحصيل المأكل والمشروب والملبس والولد والمال والجاه في الدنيا فكيف يتوهم حصول أعلى الغايات وأشرف المقامات بلا سبب يفضي إليه، ولم يكن تحصيل تلك الأسباب إلا في دار المجاهدة والحرث فكان إسكان الله آدم وذريته هذه الدار التي ينالون فيها الأسباب الموصلة إلى أعلى المقامات من إتمام إنعامه عليهم .

المبحث الثاني : تحذير الله تعالى آدم عليه السلام وذريته من

إبليس ومكائده . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : تحذير الله تعالى لآدم عليه السلام وذريته من إبليس .

إن الله سبحانه وتعالى لما أمر آدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض : محل الشقاء والتعب ، والكد والنصب ، والسعي والنكد ، والابتلاء والاختبار والامتحان ، أخبرهما بأنهما سيقيمان في هذه الأرض هما وذريتهما ، يعمرونها ويتمتعون فيها تمتعا موقوتا إلى حين انتهاء آجالهم ، وحذرهما من الشيطان الرجيم ، وبين لهما أن العداوة بينهما وبين إبليس شديدة ، وأنها ستظل قائمة مستمرة بين ذريتهما وذرية إبليس ، فعليهم أن يكونوا على حذر من فتنة إبليس وذريته وجنوده ، وأن لا يصغوا إلى إغوائهم وإضلالهم .

قال تعالى : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون * يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سواكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون * يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ ^(٣) .

فالله سبحانه وتعالى نهي بني آدم أن يفتنوا بفتنة الشيطان بمعصية الله وطاعة الشيطان في خلاف أمر الله ونهيه وترك تقواه ، وبين أنه كما فتن إبليس أبويهم من قبل ونزع عنهما لباسهما فكذلك قد يتزع عنهم لباسهم ، وأنه يحاول أن يجعلهم عراة عن لباس التقوى

(١) البقرة الآية : ٣٦

(٢) طه الآية : ١٢٣

(٣) الأعراف الآيات : ٢٤-٢٧

ولباس البدن، وما ذلك إلا لشدة بغضه وحسده وعداوته لهم^(١).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٢)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلُّهُمْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣) وقال تعالى :

﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ

عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْنَهُ لِيَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي

آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾^(٨) وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَصِدْنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٩) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾^(١٠).

فالله سبحانه وتعالى بين في هذه الآيات لبني آدم أن الشيطان لهم عدو مضل مبين، وأنه

يريد أن يضلهم ويغويهم ويترغ بينهم، فنهاهم أن اتباع خطواته واقتفاء آثاره حتى لا يجرحهم

شيئاً فشيئاً إلى النار، وأمرهم أن يتخذوه عدواً لهم ؛ لأنه وحزبه من دعاة جهنم وأصحاب

السعير، يريدون أن يقع بنو آدم فيما وقعوا هم فيه من الغضب الإلهي والشقاء الأبدي .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾^(١١) .

(١) انظر : الاستقامة (١٧٠/٢) .

(٢) البقرة الآية : ١٦٨

(٣) البقرة الآية : ٢٠٨

(٤) الأنعام الآية : ١٤٢

(٥) يوسف الآية : ٥

(٦) القصص الآية : ١٥

(٧) فاطر الآية : ٦

(٨) يس الآيات : ٦٠-٦٤

(٩) الزخرف الآية : ٦٢

(١٠) الإسراء الآية : ٥٣

(١١) الكهف الآية : ٥٠

فإن الله سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية الكريمة مخاطبا بني آدم إني أكرمت أباكم آدم عليه السلام، ورفعت قدره، وأسجدت له ملائكتي، تكريما له وتشريفا، ولكن عدوي وعدوه إبليس لم يسجد لأبيكم، وعصى أمري، وخرج عن طاعتي . فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني؛ فتطيعوه في معصيتي، وتوالوه في خلاف مرضاتي، مع أنهم من ألد أعدائكم، وأيضا قد أمرتكم بمعاداتهم ^(١).

والله تعالى مالك الملك والملوك . وقد بين لنا أن إبليس عدو له وعدو لنا، وأمرنا أن نعاديه، وأن نتخذة عدوا لنا، ونحن نرى في الدنيا - والله المثل الأعلى - أن من وإلى أعداء ملك كان هو وأعداؤه عنده سواء، فإن المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه . وأما أن يوالي شخص أعداء الملك، ويدعي أنه موال له، وأنه يحبه ويطيعه . فذاك بعيد عن العقل الصحيح والمنطق السليم، ونوع من الخيال، وضرب من المحال .

هذا إذا لم يكن عدو الملك عدوا له فكيف إذا كان عدوا له وللملك، وكانت عداوته لهما على الحقيقة، عداوة شديدة من كل وجه، أشد من العداوة بين الشاة والذئب، فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوه وعدو ربه ومليكه ومولاه الذي لا مولى له سواه ولا غنى له عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ^(٢).

الحاصل : إن إبليس اللعين عدو لله تعالى وعدو لنا . وإنه حسدنا على ما أكرم الله به أبانا آدم عليه السلام وعلى ما أنعم به علينا من نعمه الكثيرة الوفيرة من أهمها أنه وفقنا لهدها ولما فيه رضاه . فيجب علينا أن نعاديه ولا نواليه، وأن نبتعد ونحذر من المسالك التي يدعونا إليها حتى لا نقع في مكائده التي فيها هلاكنا، وسيأتي ذكر بعض تلك المكائد التي يكيدها إبليس لبني آدم وبيان الطريق التي بها النجاة من شره في المطلبين القادمين بإذن الله سبحانه وتعالى، وبه التوفيق .

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص : ٨٧-٨٨)؛ وطريق المهجرتين (ص : ٢٤٢) .

(٢) انظر : الجواب الكافي (ص : ٨٧-٨٨) .

المطلب الثاني: مكائد إبليس وأساليبه في الإفساد.

إن إبليس لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وخالف أمر ربه وعصاه، ولم يستدرك ما صدر منه بالتوبة إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه سبحانه بل أصر اللعين على فعله، مستكبرا عن أمر ربه - طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته، وأخرجه من جنته، وباعده من قربه، وأمره أن يترل إلى الأرض، ملوما مدحورا صاغرا ذليلا .

فلما رأى إبليس عاقبته الوخيمة ومصيره السيئ طلب من الله سبحانه وتعالى النظرة إلى يوم القيامة، ليقوم بإغواء بني آدم وإضلالهم؛ حتى يكونوا معه من أصحاب السعير، فأنظره الحكيم العليم إلى يوم الوقت المعلوم .

فمنذ ذلك الحين لم يزل إبليس اللعين يمارس كل أسباب الغواية وأساليب الإضلال لإغواء بني آدم، وصدهم عن الحق، وإبعادهم عن الله تعالى، وقطع صلتهم به سبحانه، وقد أبان عن شدة حرصه على إغوائهم وإهلاكهم، كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لأبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * الإعبادك منهم المخلصين ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ قال أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذرية إلا قليلا * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستقرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ولا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولا تضلنهم ولا تمنينهم ولا أمرنهم فليستكنوا إذا نالهم ولا أمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ ^(٤) .

عن سيرة ابن أبي فاكه رحمته الله ^(٥) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الشيطان قعد

(١) الأعراف الآيتان : ١٦-١٧

(٢) الحجر الآيتان : ٣٩-٤٠

(٣) الإسراء الآيات : ٦٢-٦٤

(٤) النساء الآيتان : ١١٧-١١٨

(٥) سيرة ابن أبي فاكه، صحابي، له عن النبي ﷺ حديث واحد . انظر : معجم الصحابة لابن قانع (٣٠٣/١) ؛
وتحذير التهذيب (٢٦٦/٢) برقم : ٢٥٩٧ .

لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتذر دينك، ودين آبائك، وآباء أبيك؟ قال : فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أهاجر وتذر أرضك وسماؤك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول^(١). قال : فعصاه فهاجر. قال : ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال : هو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتكبح المرأة، ويقسم المال. قال: فعصاه فجاهد. فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم، فمات، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة^(٢).

فهو يحاول إضلال بني آدم كل المحاولة بجميع صورها وأشكالها، ويذل كل جهده ليتكبروا عن الصراط المستقيم الموصل إلى رضى الله ومحبه، وإلى جنة الله ودار كرامته. والوسائل والمكايد والحيل والأسباب والأساليب التي يستخدمها لإضلالهم وإغوائهم كثيرة جدا^(٣)، وفي هذه الحالة يلي ذكر بعضها والإشارة إليها .

١ - تسمية الأشياء بغير اسمها : إن إبليس دائما يحاول إغواء بني آدم وإبعادهم عن الحق بكل صوره، وتقريبهم من الباطل وترويجهم عليهم بكل صوره وأشكاله، ومن صور تلك المحاولة الخبيثة تسميته الأشياء بغير اسمها تنفيرا من الحق وترويجا للباطل، وهي إحدى تلك الحيل الخبيثة التي كاد بها الأيوين في الجنة . قال تعالى حكاية عنه : ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾^(٤) فهو سمي تلك الشجرة المحظورة شجرة الخلد، وهو غير اسمها.

(١) الطَّوْلُ والطَّيْلُ : الحبل الطويل الشديد يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه . انظر : النهاية في غريب الحديث (١٤٥/٣ ، طول) .
(٢) أخرجه حم (٣١٥/٢٥ - ٣١٦ ح : ١٥٩٥٨) ، واللفظ له ؛ ون (الجهاد، ب : ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (٢١/٦ ح : ٣١٣٤) ؛ وحب كما في الإحسان (السير، ب : فضل الجهاد، ذكر إيجاب الجنة للمجاهد ١٠ / ٤٥٣ ح : ٤٥٩٣) وغيرهم، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في (الإصابة ١٤/٢ برقم : ٣٠٨٦) ، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي ٣٨٠/٢ - ٣٨١ ح : ٣١٣٤) .

(٣) مكاييد إبليس في إغواء بني آدم كثيرة جدا، يصعب حصرها، وقد أفردنا بعض أهل العلم بتصنيفات مستقلة حتى لا يقع المسلم فريسة إغواء اللعين وإضلاله، ومن الكتب المصنفة في ذلك : مكاييد الشيطان لابن أبي الدنيا، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، ومختصره " المنتقى النفيس " لعلي حسن الأثري، وإغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان لابن القيم، ومصائب الإنسان من مكائد الشيطان لابن مفلح المقدسي، والبيان في مداخل الشيطان لمحمد أحمد الراشد، ومقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة لسليم الهلالي، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان لوحيد عبد السلام بالي وغيرها من الكتب .

(٤) طه الآية : ١٢٠

ويمكن أن تقسم مكائده بتسميته الشيء بغير اسمه إلى قسمين .

أ - تسمية الحق بأسماء منفرة : ومن صور صده عن الحق أنه سمي ما هو حق وصلاح وطاعة بأسماء منفرة لأن الحق عليه مسحة من نور، وتعلوه إشراقة وضاءة، فلو ظل كما هو دون تشويه لتهافتت إليه النفوس، وصغت إليه الأسماع، وركنت إليه القلوب، ولذا كان تقييح صورة الحق وتشويهها وتسميته بأسماء منفرة من أهم مكائده، فهو الذي أوحى إلى أوليائه من الكفار أن سموا الأنبياء بالسحر، وعدوا أتباعهم من الصابئين والخاسرين، وجعلوا الإيمان بهم واتباعهم سفاهة وضلالة^(١).

كما أوحى إلى من ينفي أسماء الله وصفاته أن سموا إثبات أسمائه الحسنی وصفاته العليا تشبيها وتجسيما وتمثيلا، فسموا إثبات الوجه واليدين له تركيبا، وسموا إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سماواته تحيزا وتجسيما، وسموا العرش حيزا وجهة، وسموا صفات الله تعالى أعراضا، وأفعاله حوادث، والحكم التي في أمره وشرعه أعراضا ... وما إلى ذلك^(٢). وكذلك أوحى إلى الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات خلقه أن سموا تشبيه صفات الباري

تعالى بصفات المخلوق إثباتا، وسموا عدم تشبيه صفاته تعالى بصفات مخلوقه نفيا وتعطيلا^(٣). وهو مازال يسير بنفس الخطة وبتلك الوسائل حتى في زماننا هذا، فهو الذي أوحى إلى أوليائه بتسمية المتمسكين بهدي النبي ﷺ والمستتين بسنته ظاهرا وباطنا بالمطرفين والمتعصيين، فهم يسمون البعد عن المعاصي ودور الفجور والفسق انغلاقا، وقد يسمون ترك المعاصي والمنكرات والتخوف منها إساءة ظن برحمة الله وجرأة على سعة عفوه ومغفرته، ويسمون الحجاب الشرعي خيمة، ويسمون المرأة التي التزمت بأمر ربها وجلست في بيتها رجعية ومتخلفة، ويسمون التدين ثقالة، ويسمون عدم الانبساط إلى السفهاء والفساق والباطالين سوء خلق، ويسمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله والحمية لدينه فتنة وشرا وفضولا، وكل ذلك من وحي الشيطان إليهم^(٤).

ب - تسمية الباطل بأسماء محبة : إن الباطل له صورة قبيحة فيعمد الشيطان إلى

(١) انظر : وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص : ١٧٨) .

(٢) انظر : الصواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعتلة (٢٦٣-٢٦٦)

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : الصواعق المترلة (٢٦٣/١)؛ وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص : ١٧٨-١٧٩) .

هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل ويلبسه رداء حسنا ثم يزينه ويحسنه ثم يبدأ في إغواء العبد به ويدل على ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن اللعين أنه قال : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾ * إلا عبادك منهم المخلصين ﴿ ^(١) . فالتزين أولا ثم الإغواء .

ومن صور هذا التزين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محبة إلى النفوس لكي يخفي خبثها وفحشها، فهو الذي سمى الشجرة المحرمة شجرة الخلد ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ ^(٢) .

قال العلامة ابن القيم : ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر أم الأفراح، وسموا اللقمة الكفرية التي هي الحشيشة بلقيمة الذكر والفكر، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر وهو جحد صفات الرب تزيها، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة . أهـ بتصرف ^(٣) .

وهذه المكيدة الخبيثة ما زالت سارية المفعول لدى أتباعه حتى الآن فهم يسمون الخمور بمشروبات روحية، ويسمون الربا بالفائدة، ويسمون السفور الفاتن والتبرج الفاضح بحرية المرأة، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن ، ويسمون المغنية الفاسقة الفاجرة فنانة ، ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفن، كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلى فحشهم وخبثهم ^(٤) .

٢ - التدرج في الإضلال : إن الشيطان لا يأتي إلى الإنسان ويقول له : افعل هذه المعصية، وإنما يقربه منها خطوة خطوة، فهو يأتي مثلا إلى من يريد أن يصيده ويفتنه بعبادة القبور، فيحاول أن يقرر عنده أن الإقسام على الله تعالى والدعاء به أبلغ في تعظيم المقبور واحترامه، وأن ذلك أنجح في قضاء حاجته . فإذا اقتنع به الشخص نقله إلى درجة أخرى، وهي دعاؤه من دون الله تعالى وسؤاله إياه . ثم ينقله بعد ذلك درجة فدرجة إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له،

(١) الحجر الآية : ٣٩-٤٠

(٢) طه الآية : ١٢٠

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (١١٢/١ - ١١٣) ؛ والصواعق المنزلة (٢٦٢/١) .

(٤) انظر : وقاية الإنسان (ص : ١٧٨) .

والطواف به، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده . ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذ عيدا ومنسكا، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم^(١).

٣ - الإتيان في صورة الناصح : إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له : افعل كذا من المعاصي لكي تنال العذاب الأليم، وإنما يأتيه في صورة الناصح الأمين، وهذه الحيلة تمكن من إغواء أبوين وإخراجهما من الجنة ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾^(٢).

٤ - إيقاع الناس في الإفراط أو التفريط : ومن كيده العجيب أنه يشام النفس حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها : قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟ فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تشييطه وإضعاف همته عن المأمور به، فيهن عليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به . وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول ويتجاوز الثاني. كما قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه ترغتان : إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وعلو، ولا يبالي بأيهما ظفر .

وهذه المكيدة الشيطانية : مكيدة الإفراط والتفريط من أعظم مكائده التي ما نجا منها إلا القليل . فقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته، وعطلوه منها. وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوله بهم .

وقصر بقوم حتى قالوا : إن الله سبحانه لا يقدر على أفعال عبادته، ولا شاءها منهم ولكنهم يعملونها بدون مشيئة الله تعالى وقدرته، وتجاوز بآخرين حتى قالوا : إنهم لا يفعلون شيئا البتة، وإنما الله سبحانه هو فاعل تلك الأفعال حقيقة، فهي نفس فعله لا أفعالهم والعبيد ليس لهم قدرة، ولا فعل ألبتة.

وقصر بقوم حتى قالوا : إن رب العالمين ليس داخلا في خلقه ولا باثنا عنهم، ولا هو فوقهم، ولا تحتهم، ولا خلفهم، ولا أمامهم، ولا عن أيامهم، ولا عن شمائلهم. وتجاوز بآخرين حتى قالوا : هو في كل مكان بذاته كالهواء الذي هو داخل في كل مكان .
وقصر بقوم حتى قالوا : إن الله سبحانه لا يشفع أحدا في أحد البتة ولا يرحم أحدا

(١) انظر : إغاثة اللهفان (٢١٧/١)؛ ووقاية الإنسان (ص : ١٨٠) .

(٢) الأعراف الآية : ٢١

بشفاعة أحد، وتجاوز بآخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم .

وقصر بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم .
وقصر باليهود في المسيح حتى كذبوه، ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه. وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله وجعلوه إلها يعبد مع الله .

وقصر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله وقاتلوهم، واستحلوا حرمتهم. وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة من العصمة وغيرها، وربما ادعوا فيهم الإلهية.
وقصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله الصحيحة الصريحة .

وقصر بقوم حتى قالوا : إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل فضلا عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - . وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا المسلم من الإسلام بالكبيرة الواحدة .

وقصر بقوم عن إخراج الواجب من المال، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم، وقعدوا كلا على الناس مستشرفين إلى ما بأيديهم .
وقصر بقوم عن الإنفاق في سبيل الله وما هو واجب عليهم . وتجاوز بآخرين حتى أسرفوا أموالهم وبذروها في أنواع المحرمات تبذيرا .

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله من النكاح فرغبوا عنه بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام .

وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم .
وقصر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص^(١) .

٥- التحريش بين المسلمين : لا شك أن في الجمع قوة وشوكة، وفي الخلاف

(١) انظر : إغاثة اللهفان (١١٥/١ - ١١٨) .

ضعفا ومهانة، والشيطان لا يريد أن يعيش الناس في وفاق ووحدانية ؛ ولذلك دائما يحاول إثارة الخلاف والتراعات بينهم . قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ ^(٢) .

فالشيطان يتلمس السقطات من فم الإنسان والعثرات من لسانه، ويغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، فيتكدر جو الأخوة والمحبة والصفاء والصدق والوفاق، ويحل محله ظلمات الخلاف والتراع والجفوة والبغض والشحناء والعداء وما إلى ذلك ^(٣) .

كما أنه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر، فإن الخمر تفقد الوعي وتثير الترات والشهوات . والميسر يوقد في نفس المغمور نار الحقد والثأر على القامر الذي استولى على ماله أمام عينيه . والشيطان لا يزال وراءهم يوجب هذه النار ويثير تلك الشهوات حتى يجرهم إلى أماكن الردى ويوقعهم في المزالق والمهالك التي يصعب الخروج منها ^(٤) .

ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه المكيدة الشيطانية فقال : ((إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)) ^(٥) .

٦ - تفكيك الأسرة : الشيطان لا يروق له أن يكون المجتمع قائما على الوحدة والمحبة، ولا شك أن الأسرة المتماسكة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع على أساس الوحدة والوفاق، ولذلك دائما يحاول اللعين إثارة الخلاف في أفراد الأسرة، ولا سيما بين الزوجين لأنه يعلم يقينا أنه إذا تمكن من حطم هذه البنية الطيبة والخلية الناصلة المعمرة سوف يتحطم المجتمع كله تلقائيا، فيسهل عليه كيدهم وصيدهم، ويكون المجتمع كله فريسة لإغوائه وإضلاله . لذلك كان تفكيك الأسرة وإحداث الفرقة بين المرء وزوجه من أعظم مقاصد إبليس وأحب الأعمال عنده وأرغبها لديه ^(٦) .

(١) الإسراء الآية : ٥٣

(٢) المائدة الآية : ٩١

(٣) انظر : مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٢٢ - ٢٣) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٥) أخرجه م من حديث جابر رضي الله عنه (صفة القيامة والجنة والنار، ب : تحريش الشيطان ... ٢١٦٦/٤ ح : ٢٨١٢) .

(٦) انظر : الصحيح الجامع لأخبار الجن والشياطين من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم (ص : ٤٤) ؛ والبيان في

مداخل الشيطان (ص : ١٠١ - ١٠٢) .

وهذه المكيدة الشيطانية أخبر عنها يوسف عليه السلام بأن إبليس هو الذي كان يترغ بينه وبين أخوته حتى جرى ما جرى بينه وبين إخوته ^(١). قال تعالى حكاية عنه : ﴿ وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ ^(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ أن التفرقة بين المرء وزوجه من أعظم الأعمال عند إبليس. عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا. فيقول : ما صنعت شيئاً . قال : ثم يجيء أحدهم، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال : فيدنيه منه، ويقول : نعم أنت . قال الأعمش ^(٣) : أراه قال : فيلتزمه ^(٤).

فالذين يدعون اليوم إلى تفكيك الأسرة باسم الحرية والتقدم والتمدن والتطور أو يسببون إحداث الخلاف وإثارة الفرقة بين أفراد الأسرة هم من أتباع إبليس وجنوده وسراياه، يقومون بتنفيذ خطته وتحقيق رغبته، يضمنون صوئهم إلى صوته ويدعون بدعوته، كما يدل عليه ^(٥) قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تفلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ ^(٦).

٧- الغناء وسماع الأصوات المحرمة : قال تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك

وأجلب عليهم مجنك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الإغورا ﴾ ^(٧).

(١) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٠١) .

(٢) يوسف الآية : ١٠٠

(٣) الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع ولكنه يدلّس، توفي سنة

١٤٧هـ أو بعدها بسنة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٥٤ برقم : ٢٦١٥) .

(٤) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه ... ٢١٦٧/٤ ح : ٢٨١٣) .

(٥) انظر : الصحيح الجامع لأخبار الجن والشياطين (ص : ٤٤) .

(٦) البقرة الآية : ١٠٢

(٧) الإسراء الآية : ٦٤

إن صوت الشيطان هو الصوت المحرم ومنه الغناء، ومزامير الشيطان التي هي المعازف وآلات الموسيقى....، وقد احتال بها على خلق كثير^(١).

قال العلامة ابن القيم : (ومن مكاييد عدو الله ومصايدته التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء، والتصديّة، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المني، كاد به الشيطان النفوس المبطلّة، وحسنه لها مكرا منه وغرورا، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجورا.

فلو رأيتهم عند ذياك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم تكسر المخانيث والنسوان، ويحق لهم ذلك، وقد خالط خماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَيَّا الكؤوس، فَلَعِيزَ اللهُ بِلِ الشيطان قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السُّكْر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزههم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وحيله، وخز في صدورهم وخزا، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدباب ترقص وسط الديار .

فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سواتنا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطربا، واتخذوا دينهم لهما ولعبا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكنا، ولا أزعج له قاطنا، ولا أثار فيه وجدا... حتى إذا تلي عليه قرآن الشيطان، وولج زموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه، على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهترت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فترايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون،

(١) انظر : مقامع الشيطان (ص : ٢٦) .

هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن ؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات عند تلاوة السور والآيات؟

ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكلة، والجنسية علة الضم قدرا وشرعا، والمشاكلة سبب الميل عقلا وطبعاً، فمن أين هذا الإخاء والنسب لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب؟ ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللا ؟ ﴿ أفتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ ^(١) (٢).

٨- الاستعانة بشياطين الإنس، والإيحاء إليهم بالمجادلة : إن إبليس ليس وحيدا في معركة إغواء بني آدم بل له أعوان وأنصار من جنسه، كما أن له أذنانا وأتباعا من غير جنسه من بني آدم، الذين كاد بهم أولا فأحكم قيدهم حتى أصبحوا عوناً له على باطله وشره وفساده، فهو يوحى إليهم بمكايده وأباطيله وشبهاته، وهم يقومون بإكمال مهمته وتنفيذ خطته ونشره شبهاته وساوسه بين الناس . قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك وإن أطمعتوهم إنكم لمشركون ﴾ ^(٣).

فكم نرى لو أن شخصا هداه الله تعالى لدين الإسلام والالتزام به كاملاً، والسير على نهج خير الأنعام ﷺ جاءته الفتن من كل جانب تكشر أنيابها، فإذا استعصم بحبل الله المتين، وتغلب على شياطين الجن جاءه شياطين الإنس من أصدقاء السوء وأتراب الفسوق يجادلونه عن الباطل، ويشيطون من عزيمته، ويوهنون من قوته في الحق ، وما ذلك إلا من إيحاء الشيطان إليهم وتزيينه لهم ^(٤).

٩- تشييط المؤمنين بتخويفهم تارة من الفقر والحاجة، وأخرى بضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم ونحو ذلك . قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ ^(٥) . وقال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا

(١) الكهف الآية : ٥٠

(٢) إغاثة اللفهان (٢٢٤/١ - ٢٢٥) .

(٣) الأنعام الآية : ١٢١

(٤) انظر : وقاية الشيطان (ص : ١٨٨) .

(٥) البقرة الآية : ٢٦٨

تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴿١﴾ .

فهو يخوف الناس عموماً والمؤمنين خصوصاً من الفقر والفاقة، ويأمرهم بالبخل وعدم الإنفاق في سبيل الله تعالى، ويحثهم على جمع الأموال بغض النظر عن كونها من الحلال أو الحرام، ثم يزين لهم المعاصي والذنوب والمحرمات فينفقونها فيها، فيكون شراً على شر . كما يخوف المؤمنين من قوة العدو وكثرته، ويوهم إليهم أن أولياء الشيطان أولو بأس وشدة وعدة وعدد، ويخيل للمؤمنين أنهم في محل الضعف والقلّة حتى لا يقوم أولياء الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمة الله تعالى، وإرغام أنوف المشركين والكافرين، ودحض باطلهم وكسر شوكتهم .

١٠ - المواعيد الكاذبة والأمانى الباطلة : أن الشيطان يعد أولياءه وعوداً كاذبة،

ويعنيهم أمانى باطلة حتى يسهل عليهم قبول غوايته وإضلاله ، فإذا تمكن من صيدهم وكيدهم قادهم إلى المهالك وأماكن الردى وساقهم إلى المصادر التي فيها عذابهم وهلاكهم وعذابهم ثم يتخلى عنهم ويقف يتشتم بهم ﴿٢﴾ . قال تعالى : ﴿ ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ ﴿٣﴾ . وقال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ﴾ ﴿٤﴾ وقال تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كُفرت بما أشركتمون من قبل ﴾ ﴿٥﴾ وقال تعالى : ﴿ يعدهم ووعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ ﴿٦﴾ وقال تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني

(١) آل عمران الآية : ١٧٥

(٢) إغاثة اللهفان (١٠٨/١) ؛ والبيان في مداخل الشيطان (ص : ٩٠ - ٩١) .

(٣) الفرقان الآيات : ٢٧ - ٢٩

(٤) الأنفال الآية : ٤٨

(٥) إبراهيم الآية : ٢٢

(٦) النساء الآية : ١٢٠

بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين»^(١).

مراتب إضلال الشيطان للإنسان .

الوسائل والمكايد والحيل والأسباب والأساليب التي يستخدمها إبليس لإضلال بني آدم وإغوائهم كثيرة جدا، لا يمكن حصر أجزائها وأفرادها؛ إذ ما من شر في العالم إلا وهو السبب فيه ولكن ذكر أهل العلم أن شره ينحصر في ستة أجناس، وأن إضلاله لبني آدم على ست درجات^(٢). فلا يزال اللعين بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر . وفيما يلي ذكر مراتب شره في إضلاله بني آدم .

المرتبة الأولى : شر الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله . وهذا أول ما يريده اللعين من ابن آدم ، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا ظفر بذلك منه برد أنينه، واستراح من تعبته، وصيره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فيصير من دعاة إبليس ونوابه .

المرتبة الثانية : فإن يؤس اللعين من إدخال ابن آدم في مرتبة الشرك والكفر نقله إلى المرتبة الثانية، وهي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به، فهي باب الكفر والشرك . فإذا نال منه بهذه المرتبة وتمكن من إدخاله فيها وجعله من أهلها بقي أيضا من نوابه وداعية من دعائه .

المرتبة الثالثة : فإن لم يتمكن من إدخال ابن آدم في مرتبة البدعة، وكان العبد ممن سبقت له من الله تعالى موهبة السنة ومعاداة البدعة وأهلها نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولا سيما إن كان عالما متبوعا فهو حريص على إيقاعه فيها ، ليشيع عنه تلك المعاصي والذنوب بين الناس، وينفر الناس عنه، وعن الانتفاع بعلومه .

المرتبة الرابعة : فإن عجز عن إدخاله في مرتبة الكبائر نقله إلى المرتبة الرابعة وهي :

(١) الحشر الآيتان : ١٦-١٧

(٢) ذكر ذلك ابن القيم في (تفسير الموعودتين ص : ٧٣-٧٦)، وهو في (بدائع الفوائد ٢/ ٨٤٣-٨٤٥)؛ وذكره القاضي بدر الدين الشبلي في (آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجنان ص : ١٦٧)؛ وابن مفلح المقدسي في (مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ص : ٨٢) وغيرهم نقلا عن العلامة ابن القيم .

الصغائر التي إذا اجتمعت فرما أهلكت صاحبها ، كما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه ^(١) .

المرتبة الخامسة : فإن عجز عن إدخاله في مرتبة الصغائر نقله إلى المرتبة الخامسة : وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها حرمان الثواب الجزيل والأرباح العظيمة والمكاسب الجليلة والمنازل العالية لفواته كثيرا من القربات التي ضاعت عليه لاشتغاله بالمباحات .

المرتبة السادسة : فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظا لوقته شحيحا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى المرتبة السادسة، وهي إشغاله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة، ويحرمه ثواب العمل الفاضل .

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست سلط عليه حربه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه والتشويش عليه؛ ويبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الجن والإنس عليه . فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت - ومتى وضعها أسر أو أصيب - فلا يزال في جهاد حتى يلقي الله سبحانه وتعالى ^(٢) .

أسأل الله تعالى أن يجيرنا جميعا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يعيذنا من كيد الشيطان وشره؛ فإنه عفو كريم قوي عزيز، لا يرد من لاذ إليه واستعاذ به؛ فهو المستعان وعليه التكلان .

(١) أخرجه حم (٤٦٦/٣٧-٤٦٧ ح : ٢٢٨٠٨)؛ والروائي في مسنده (٢١٦/٢ ح : ١٠٦٥)؛ والطبراني في (الكبير ٦/ ١٦٥ ح : ٥٨٧٢ والأوسط ٧/ ٢١٩-٢٢٠ ح : ٧٣٢٣ والصغير ٢/ ١٢٩ ح : ٩٠٤) والرامهرمزي في (أمثال الحديث ص : ١٠٥ ح : ٦٧) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٠) : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم، وهو ثقة)؛ وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٢٢-٥٢٣ ح : ٢٦٨٦)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٤-٧٤٥ ح : ٣٨٩) .

(٢) انظر : تفسير الموعودتين (ص : ٧٣-٧٦)، وهو في (بدائع الفوائد ٢/ ٨٤٣-٨٤٥)، وفي (مدارج السالكين ١/ ٢٢٢-٢٢٧) .

المطلب الثالث: بيان الطريق التي بها النجاة من شره .

إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبوين من الجنة، وأنزلهما إلى الأرض، وعرضهما لأنواع من المحن والبلاء والامتحان والابتلاء حصل لهما خوف وحزن وشقاء، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيعطيهما وذريتهما عهداً من تمسك به واتبعه انتفى عنه الخوف والحزن والضلال والشقاء، وصار إلى رضوانه ودار كرامته، ومن لم يتمسك به هو الذي تتوالى عليه أنواع الخوف والحزن والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، ويكون مصيره الهلاك الأبدي والعذاب سرمدي . قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ ^(٢) .

فإن الله سبحانه وتعالى تكفل لمن حفظ عهده، وتمسك بهداه أنه يكون في مأمن عن جميع أنواع الحزن والخوف والضلال والشقاء، وأنه سيحظى بجميع أنواع النعم والكرامات في الدنيا والآخرة، وأنه لا تصل إليه يد أحد من المضلين، ولا تنجح فيه مكيدة من مكائد الكائدين . فالتمسك بهدى الله المتزل هو الطريق الوحيد للنجاة من الشرور كلها أعلاها وأدناها ومنها مكائد الشيطان ومضلاته ولكن هناك تحصينات خاصة بينها الله تعالى في كتابه والنبى ﷺ في أحاديثه لطرد الشيطان الرجيم وإبعاده والتخلص من مكائده ومضلاته وفيما يلي ذكر بعضها .

١ - الإخلاص : قال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن

(١) البقرة الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) طه الآيات : ١٢٣-١٢٧

لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴿١﴾ . وقال تعالى : ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿٢﴾ .

فقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات على لسان إبليس إطار عمله في الغواية والإضلال، وهو أنه يحاول أن يغوي جميع الناس إلا من ليس له سلطان عليهم، وهم عباد الله المخلصون، وليس ذلك تطوعاً منه، وإنما عجزاً وقصوراً عن بلوغ غايته فيهم وإدراك حاجته منهم؛ لأنه يعلم أن من يخلص نفسه لله تعالى من عباده ويجردها له يستخلصه الله سبحانه لنفسه، فيرعه، ويحميه. كما قال تعالى مخاطباً إياه : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ ﴿٣﴾ . وهذا استثناء منقطع؛ فالغاوون ليسوا من عباد الله المخلصين؛ فهم الذين تنجح فيهم مكاييد إبليس. وأما عباد الله المخلصون فلا نفوذ لسلطانه عليهم، ولا تأثير لمكايده فيهم . فإخلاص العبودية لله تعالى هو جبل الحياة وطوق النجاة للتخلص من شر إبليس ومكايده ﴿٤﴾ .

٢ - اتباع السنة الصحيحة : إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته، وأمرهم أن يخلصوا جميع عباداتهم له سبحانه ويفردوه بها . وأرسل رسله تترى يبينون للناس كيفية عبادة الله وطرقها، وما يحب الله منها وما يكره، حتى يقوموا بعبادة الله تعالى على ما يحبه ويرضاه منهم، وأرسل في الأخير أفضلهم وخاتمهم عبده ورسوله محمداً ﷺ ونسخ به الشرائع التي كانت قبلها . فمن أراد أن تكون عبادته مقبولة عند الله، وأن يكون من عباده المخلصين، الذين ليس للشيطان عليهم سبيل، يجب عليه أن يعبد الله سبحانه على الوجه الذي بينه في كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وعلى الوجه الذي بينه رسوله محمد ﷺ في أحاديثه بقوله وفعله وتقريره - وهو شرح عملي تطبيقي لما أمره الله تعالى في كتابه - ، ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على وجه صحيح يرضى به ربه إلا باتباعه طريقة النبي ﷺ والتمسك بسنته الصحيحة . ومن يتمسك بها تمسكاً صحيحاً يجعله الله من عباده المخلصين؛ فيكون مأموناً

(١) الحجر الآيتان : ٣٩-٤٠

(٢) ص الآيتان : ٨٢-٨٣

(٣) الحجر الآية : ٤٢

(٤) انظر : مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة (ص : ٢٩-٣١) .

من الشيطان الرجيم ووساوسه وشبهاته ومكايدته بحفظ الله وتأيدته ونصرته له .

قال العلامة ابن القيم وهو يصف علاج الموسوسين الذين بلغ بهم الشيطان إلى حد العذاب في الدنيا قبل الآخرة بعد أن ذكر جملة كبيرة من مكائد الشيطان ووساوسه بهم- :

(فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته، عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له، لا يدعوه إلى خير، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وليترك التعريج على كل ما خالف طريقة رسول الله كأنه ما كان، فإنه لا يشك أن رسول الله كان على الصراط المستقيم، ومن شك في هذا فليس بمسلم، ومن علمه في أي الدول من سنته؟ وأي شيء يتبغي العبد غير طريقته؟ ... وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟ وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار؟ وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان؟ فإن اتبعت سبيله كنت قرينه، وستقول : ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ^(١)، ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله فليقتد بهم وليختر طريقهم ... وليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته، وهم خير الخلق وأفضلهم) ^(٢).

فالشيطان لم يكن له سبيل على رسول الله ﷺ وكذلك الصحابة لم يكن للشيطان على أحد منهم سبيل لأنهم كانوا يهتدون بهديه ﷺ فمن يلزم طريقته، ويسلك سبيله، ويهتدي بهديه، ويتمسك بسنته، كذلك لا يكون للشيطان له عليه سبيل، ويكون مأمونا من الشيطان ووساوسه ومكايدته بإذن الله وتوفيقه .

٣ - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم : الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بحبائه سبحانه من كل ذي شر . والشيطان عدو مضل مبين للإنسان، وهو شرير بالطبع، لا يقبل مصانعة، ولا يؤثر فيه معروف، بخلاف شياطين الإنس، فلا يكفه عن شره وإيذائه للإنسان إلا الله سبحانه وتعالى الذي خلقه ^(٣) . ولهذا أرشد الله عباده في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين

(١) الزخرف الآية : ٣٨

(٢) إغاثة اللهفان (١٣٥/١ - ١٣٦) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٥/١)؛ ومقامع الشيطان (ص : ٣٥) .

إلى الاستعاذة به سبحانه من الشيطان الرجيم في مقامات كثيرة لشدة حاجتنا إلى ذلك .
 قال تعالى : ﴿ وإما ينزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ^(٦) .

قال أبو سلمة ^(٧) : لقد كنت أرى الرؤيا، فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة ؓ يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي ﷺ يقول : الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفلث ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره ^(٨) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول : إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ^(٩) .

وعن سليمان بن صرد ؓ قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس،

(١) الأعراف الآية : ٢٠٠

(٢) النحل الآية : ٩٨

(٣) فصلت الآية : ٣٦

(٤) المؤمنون الآيات : ٩٧-٩٨

(٥) الفلق الآيات : ١-٥

(٦) الناس الآيات : ١-٦

(٧) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، ثقة مكثّر، مات سنة ٩٤ هـ وقيل سنة ١٠٤ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٤٥ برقم : ٨١٤٢) .

(٨) أخرجه خ (التعبير، ب : إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها ٢٥٨٢/٦ ح : ٦٦٣٧) ، واللفظ له، وم (الرؤيا ١٧٧١/٤ ح : ٢٢٦١) .

(٩) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء ١٢٣٣/٣ ح : ٣١٩١) .

وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ ؟ قال : إني لست بمجنون ^(١) .

وعن أبي العلاء ^(٢) أن عثمان بن أبي العاص ﷺ أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ. فقال رسول الله ﷺ : ذاك شيطان يقال له : "خزب"، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا. قال : ففعلت ذلك، فأذهب الله عني ^(٣) .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نقيق الحمام فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطانا ^(٤) .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذ دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم " قال : فإذا قلت ذلك، قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم ^(٥) . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى صفة جليلة ومنقبة عظيمة للعبد؛ فإنه لا يتحلى بها إلا المتقون من عباد الله، وإن حصلت منهم غفلة ونسيان، وأصيبوا بشيء من هذه الوسواس الشيطانية يتنبهون بعد الغفلة والنسيان، فيذكرون الله سبحانه وتعالى، ويستعيذون به من الشيطان الرجيم، فيطير ذلك الغطاء الذي كان يغطي قلوبهم بسبب الغفلة والنسيان ومس الشيطان لهم، فإذا هم يرون الحق ويصرون ^(٦) . قال تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ ^(٧) .

(١) أخرجه خ (الأدب، ب : الحذر من الغضب ٢٢٦٧/٥ ح : ٥٧٦٤)، واللفظ له؛ وم (البر والصلة والآداب، ب : فضل من يملك نفسه عند الغضب ... ٢٠١٥/٤ ح : ٢٦١٠) .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير العامري، ولد في خلافة عمر ﷺ وكان ثقة، توفي سنة ١١١هـ أو قبلها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٢ برقم : ٧٧٤٠) .

(٣) أخرجه م (السلام، ب : التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ١٧٢٨/٤ ح : ٢٢٠٣) .

(٤) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ١٢٠٢/٣ ح : ٣١٢٧)؛ وم (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب : استحباب الدعاء عند صياح الديك ٢٠٩٢/٤ ح : ٢٧٢٩) .

(٥) أخرجه د (الصلاة، ب : فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد ١٢٧/١ ح : ٤٦٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٣٦/١-١٣٧ ح : ٤٦٦) .

(٦) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٤٧-١٤٨) .

(٧) الأعراف الآية : ٢٠١

فلاستعادة بالله سبحانه وتعالى حصن حصين ودواء نافع لكل نزغات الشيطان؛ لأن الله سبحانه وتعالى قوي عزيز كريم رحيم، لا يرد من لجأ إليه، واستعاذ به. فمن يلتجأ إليه ويستجير منه ويستعيز به من الشيطان الرحيم يكون في حمى الله وحفظه من الشيطان الرحيم .

٤ - البسملة : البدء بـ "بسم الله" هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه ﷺ في أول ما نزل من القرآن الكريم باتفاق المسلمين، وهو قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾^(١). فباسم الله سبحانه وتعالى يكون كل ابتداء، وباسمه يكون كل اتجاه وكل حركة.

وهذا الأدب الرفيع يتفق مع قاعدة الدين الحنيف، من التعلق بالله وحده، والترك باسمه عمن سواه، وحصر التعظيم والتبجيل لجناحه جل جلاله، دون التفات إلى ما سواه بشيء من ذلك^(٢).

ولذلك من تعلق بالله وحده في أموره كلها، ولم يتجه إلى غيره سبحانه وتعالى في أمر من الأمور، وكانت جميع شؤونه وحركاته وأعماله مبدوءة باسمه تبارك وتعالى ، منبثقة بالتوكل عليه وحده سبحانه تنحى عنه الشيطان صاغرا ذليلا، ولم يكن له سبيل عليه؛ ومن هنا حث الشارع الحكيم على البسملة في عدة أمور لقهر الشيطان وإهاتته^(٣)، وفيما يلي ذكر بعضها :

• عند الجماع : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يبلغ به النبي ﷺ قال : لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا، فقضي بينهما ولد لم يضره^(٤).

• عند الخروج من البيت : عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من قال يعني إذا خرج من بيته : "بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله" يقال له : "كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان"^(٥) . وزاد ابن حبان في روايته أنه يقال له :

(١) العلق الآية : ١

(٢) انظر : مقام الشيطان (ص : ٤٧-٤٨) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٨) .

(٤) أخرجه خ (الوضوء ، ب : التسمية على كل حال، وعند الجماع ٦٥/١ ح : ١٤١) .

(٥) أخرجه د (الأدب، ب : ما يقول إذا خرج من بيته ٣٢٥/٤ ح : ٥٠٩٥)؛ و ت (الدعوات، ب : ما يقول الرجل إذا

خرج من بيته ٤٩٠/٥ ح : ٣٤٢٦)، واللفظ له ؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : الأذكار، ذكر الشيء الذي

يهدى القائل به ويكفى ويوقى إذا قاله عند الخروج من منزله ١٠٤/٣ ح : ٨٢٢) . قال الترمذي : (هذا حديث حسن

صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذه الوجه)، و صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٢٥٢/٣ ح : ٥٠٩٥) .

حسبك، قد كفيت، وهديت، ووقيت. فيلقى الشيطان شيطانا آخر، فيقول له : كيف لك برجل قد كفي وهدى ووقي؟ .

• إذا عثرت الدابة : عن أبي المليح ^(١) عن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان. فقال: لا تقل تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت ذلك تعظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك، تصاغر حتى يكون مثل الذباب ^(٢).

فالبسمة سلاح قوي، زود الله تبارك وتعالى به أولياء المؤمنين ضد عدوه وعدوهم الشيطان الرجيم، فإن تسلح به المؤمن، وعمل بمقتضاه لا تنجح فيه مكاييد الشيطان، ولم يكن بإمكانه أن يطغى عليه ويعلو بل يكون مقهورا عاجزا صاغرا ذليلا بإذن الله تبارك وتعالى .

٥ - قراءة القرآن : إن قراءة كتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار يطرد الشيطان الرجيم .

عن أبي قتادة ؓ أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر ؓ يصلي، يخفض من صوته. قال: ومر بعمر بن الخطاب ؓ، وهو يصلي رافعا صوته. قال: فلما اجتماعا عند النبي ﷺ قال النبي ﷺ : يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي، تخفض صوتك. قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله. قال: وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك. قال: فقال : يا رسول الله أوقف الوسنان، وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا. وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئا ^(٣).

(١) أبو المليح بن أسامة بن عمير الهذلي، اختلف في اسمه فقيل عامر، وقيل زيد، وقيل زياد، ثقة، توفي سنة ٩٨هـ - وقيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٧٥ : برقم : ٨٣٩٠).

(٢) أخرجه د (الأدب، الباب الذي قبل : باب في صلاة العتمة ٢٩٦/٤ ح : ٤٩٨٢)؛ والنسائي في (عمل اليوم والليلة ص : ٣٧٣ ح : ٥٥٤)؛ وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٢٢٤/٣ ح : ٤٩٨٢) .

(٣) أخرجه د (الصلاة، ب : في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٣٧/٢ ح : ١٣٢٧)، واللفظ له؛ ت (أبواب الصلاة، ب : ما جاء في قراءة الليل ٣٠٩/٢ ح : ٤٤٧)؛ وخز (جامع أبواب صلاة التطوع بالليل، ب : ذكر صفة الجهر بالقراءة في صلاة الليل ١٨٩/٢ ح : ١١٦١)؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : قراءة القرآن، ذكر البيان بأن قراءة المرء بين القرائتين كان أحب إلى رسول الله ﷺ من الجهر والمخافتة جميعا بما ٧-٦/٣ ح : ٧٣٣)؛ و كم (صلاة التطوع ٣١٠/١)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٣٦٣-٣٦٤ ح : ١٣٢٩) .

فعمر بن الخطاب ؓ قال للنبي ﷺ أنه يطرد الشيطان بقراءته القرآن بصوت مرتفع،
والنبي ﷺ لم ينكر عليه، فدل ذلك أن قراءة القرآن مما يطرد الشيطان ويرغمه .
هذا، وقد خص الشارع الحكيم بعض السور والآيات في هذا الباب، فيفر منها
الشيطان خاصة إذا تليت. منها :

• قراءة سورة البقرة : عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم
مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ^(١).

• قراءة آية الكرسي : عن أبي هريرة ؓ قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة
رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله
ﷺ . قال : إني محتاج، وعليّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال : فخليت عنه، فأصبحت، فقال
النبي ﷺ : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال : قلت : يا رسول الله شكّا حاجة
شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال : أما إنه قد كذبتك، وسيعود، فعرفت أنه سيعود
لقول رسول الله ﷺ : " إنه سيعود"، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت:
لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . قال: دعني؛ فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود. فرحمته، فخليت
سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت : يا رسول الله
شكّا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال: " أما إنه كذبتك، وسيعود"،
فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا
آخر ثلاث مرات أنك تزعم : لا تعود ثم تعود . قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.
قلت: ما هو؟ قال : إذا أويت إلى فراشك، فاقراء آية الكرسي : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ ^(٢)
حتى تحتم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت
سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت : يا رسول الله
زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله. قال : ما هي؟ قلت : قال لي : إذا
أويت إلى فراشك، فاقراء آية الكرسي من أولها حتى تحتم: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ ، وقال
لي : لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء

(١) أخرجه م (صلاة المسافرين وقصرها، ب : استحباب صلاة النافلة في بيته ... ٥٣٩/١ ح : ٧٨٠) .

(٢) البقرة الآية : ٢٥٥

على الخير- فقال النبي ﷺ : أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا. قال : ذاك شيطان ^(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنه كانت له سهوة ^(٢) فيها تمر، فكانت تجيء الغول ^(٣)، فتأخذ منه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال : فاذهب إذا رأيته، فقل: بسم الله أجيي رسول الله ﷺ . قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال: حلفت أن لا تعود . قال : كذبت وهي معاودة للكذب. قال : فأخذها مرة أخرى، فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال: حلفت أن لا تعود. فقال: كذبت، وهي معاودة للكذب. فأخذها، فقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ. فقالت: إني ذاكرة لك شيئا : آية الكرسي اقرأها في بيتك. فلا يقربك شيطان، ولا غيره. قال: فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال: فأخبره بما قالت. قال : صدقت وهي كذوب ^(٤).

• قراءة آيتين من آخر سورة البقرة : عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقرها شيطان ^(٥).
فقراءة القرآن ومنه سورة البقرة ولاسيما منها آية الكرسي والآيتان في آخرها هذه

-
- (١) أخرجه خ تعليقا بصيغة الجزم (الوكالة، ب : إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل ... ٨١٢/٢ ح : ٢١٨٧) ؛ و وصله غيره من عدة طرق . أنظر لذلك فتح الباري (٤ / ٤٨٨) ؛ وتعليق التعليق (٣ / ٢٩٥-٢٩٧) .
(٢) السهوة هي الأرض اللينة التربة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢ / ٤٣٠ ، مادة : سهو) .
(٣) الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تراءى للناس، وتتلون في صور شتى، و تضلهم عن الطريق وتهلكهم . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣ / ٣٩٦ ، مادة : غول) .
(٤) أخرجه ت (أبواب فضائل القرآن، ب : ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي ١٥٨/٥ ح : ٢٨٨٠) وقال : (هذا حديث حسن غريب)، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ١٥٢/٣-١٥٣ ح : ٢٨٨٠) .
(٥) أخرجه ت (فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، ب : ما جاء في آخر سورة البقرة ١٥٩/٥ ح : ٢٨٨٢) وقال : (هذا حديث حسن غريب)، واللفظ له؛ والدارمي في مسنده (فضائل القرآن، ب : فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢١٣٢/٤ ح : ٣٤٣٠) ؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : قراءة القرآن، ذكر البيان بأن آخر سورة البقرة إذا قري في دار ثلاث ليال أمن أهل الدار دخول الشيطان عليه ٦١/٣ ح : ٧٨٢) ؛ وكم (فضائل القرآن، ١ / ٥٦٢)، وقال : (هذه حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأيضا (التفسير، ٢ / ٢٦٠)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ١٥٣/٣-١٥٤ ح : ٢٨٨٢) .

كلها حصون منيعة للإنسان ضد عدوه الشيطان .

٦ - المحافظة على الأذكار الشرعية : إن الشيطان يريد أن يصدنا عن ذكر الله

فيجب علينا أن نداوم على ذكر الله، ولا نغفل عنه سبحانه، وبه نستطيع أن نصرع الشيطان كما يصرع هو أهل الغفلة والنسيان منا فيستحوذ عليهم، ولا شك أن قراءة القرآن من أعظم الذكر، وقد سبق الحديث عنه بأنه طارد للشيطان، وهناك أذكار نبوية بها يُحفظ الإنسان من عدوه الشيطان الرجيم فمنها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك ^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجله قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي، ويميت، وهو على كل شيء قدير. عشر مرات كتب له عشر حسنات، ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله ^(٢).

فمن داوم على مثل هذه الأذكار النبوية كما وصفها النبي ﷺ يكون مأمونا من كل مكروه، ويكون محفوظا من الشيطان الرجيم، فلا يستطيع الشيطان أن ينال منه، فله الحمد والمنة على ما أنعم به علينا بمثل هذه الأذكار النافعة العظيمة .

(١) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : صفة إبليس وجنوده ١١٩٨/٣ ح : ٣١١٩)، واللفظ له؛ وم (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٠٧١/٤ ح : ٢٦٩١) وعنده زيادة يسيرة .

(٢) أخرجه ت (أبواب الدعوات، الباب الذي قبل : ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٥١٥/٥ ح : ٣٤٧٤)، وقال : (هذا حديث حسن غريب صحيح)، وحسنه الحافظ ابن حجر في (نتائج الأفكار ٣٠٨-٣٠٤/١) بشواهد، والحديث في سنده شهر بن حوشب الأشعري الشامي، وهو صدوق كثير الإرسال كما قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب (ص : ٢٦٩ برقم : ٢٨٣٠) . ولعله من أجل هذا ضعفه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص : ٨٢٧ ح : ٥٧٣٨) وفي (ضعيف سنن الترمذي ص : ٤٥١ ح : ٦٨٨) إلا أن الحديث له شواهد لجميع فقراته دون ثني الرجلين كما ذكر الحافظ ابن حجر فيكون حسنا، والله أعلم .

٧ - صون الأذن والعين واللسان من الباطل : نرى أن أهل الباطل يتمسكون بما هم عليه من الباطل، ويصرون عليه، وإذا عرض عليهم الحق يعرضون عنه أشد الإعراض، ويستكبرون عنه أشد الاستكبار، فيجعلون أصابعهم في آذانهم و يستغشون ثيابهم ويرفعون الأصوات ويحدثون الغوغاء حتى لا يقرع الحق أسماعهم وأبصارهم فيصل إلى قلوبهم^(١). قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ﴾^(٢) وقال تعالى عن المشركين : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾^(٣).

وإذا كان هذا حال أهل الباطل مع باطلهم وضلالهم وظلمتهم وجهالتهم فأولى وأحرى بأهل الحق أن يعرضوا عن الباطل إعراضا كلياً، وأن يصونوا أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم عن الباطل بشتى أنواعه من غناء ولز وغيبة ونغمة وسخرية واستهزاء وسب وشتم وما إلى ذلك . فلا ينصتون للباطل، ولا ينظرون إليه، ولا يأتون به على ألسنتهم، ويصونون أفواههم من هذه الخرافات والنجاسات حتى لا تكون قلوبهم عشا للشيطان بيض ويفرخ فيها فيهلكهم كما هلك^(٤).

ولاشك أن الأذن والعين هما وسيلتا النقل إلى القلب، فإن كان ما يسمعه الشخص بأذنه، ويراه بعينه باطلاً تأثر به القلب وتردد به اللسان، وإن استمر إصغائه للحرام وإنصاته للباطل أصبح مولعاً به، متعوداً له، فيستحوذ عليه الشيطان شيئاً فشيئاً حتى يجعله يصعب عليه مفارقتها، فلا يستطيع أن يصبر عنه، ويضطرب اضطراباً شديداً إذا ما لم يجده، ثم يستدرجه إلى ما هو أشد وأنكى من أنواع المحرمات والمعاصي والمنكرات والموبقات .

ولذلك حذرنا الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾^(٥). فهذا نداء شفقة ورحمة من الرؤوف الرحيم إلى عباده

(١) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٥٨) .

(٢) نوح الآية : ٧

(٣) فصلت الآية : ٢٦

(٤) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٥٨) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٦٨-١٦٩

محذرا لهم من اتباع طرق الشيطان ومسالكه، ومنبها على أنه يجب على العبد أن يفلت باب الطريق من أوله كي لا يتدرج معه في الغواية والضلال^(١).

فمن أراد أن يصون نفسه من ذل المعصية واستحواذ الشيطان عليه يجب عليه أن يترك طرق الشيطان كلها من أول السير ومن أول خطوة، ويجب عليه أن يتمسك بالصراط المستقيم من أول السير ويمضي عليه .

٨- الكلام الحسن : إن الكلام الحسن هو الدواء لما يلقيه الشيطان من نزغات في النفوس.

قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾^(٢).
فالله سبحانه وتعالى أمر عباده بإحسان الكلام على الإطلاق، وأنه يجب عليهم أن يتبادلوا بالكلام الحسن والكلمة الطيبة فيما بينهم في جميع شؤونهم وجميع مجالاتهم ... بين المرء وزوجه، وبين التلميذ وشيخه، وبين الولد ووالده، بين القريب وقريبه ... وبذلك يستطيعون أن يصونوا أنفسهم من نزغات الشيطان فلا يستطيع اللعين أن يفسد ما بينهم من مودة وتراحم وتعاضد وتعاون^(٣).

٩ - المبادرة إلى الله تعالى بالتوبة وعدم اليأس من رحمته سبحانه : الإنسان يحصل منه غفلة ونسيان، فيقع فيما لا ينبغي أن يقع فيه من المخذورات، والشيطان لا يزال وراءه يستدرجه من معصية إلى معصية، ومن سيئة إلى سيئة، ويسوف له التوبة، فتراكم المعاصي، فيأتي إليه بوجه آخر، فيدخل في القلب الهية من هذه المعاصي، ويوهم أنها كبيرة وكثيرة، وأنه بأي وجه يتمثل بين يدي الله للتوبة وقد فعل هذه الذنوب الكثيرة العظيمة ؟ فيموت الشخص إما من غير توبة، وإما يذهب به الشيطان إلى الوسائل المحرمة والواسطات الشركية، فيكون الإنسان خاسرا في كلتا الحالتين .

فيجب على الإنسان أن يتعد عن المعاصي وأسبابها والطرق المؤدية إليها، وإن حصل منه شيء منها فليبادر بالتوبة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى، قبل فوات الأوان ، ولا يئس من رحمة الله سبحانه وتعالى مهما كثرت الذنوب . قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾^(٤)

(١) انظر : وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص : ١٨٠) .

(٢) الإسراء الآية : ٥٣

(٣) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٦٣) .

(٤) البقرة الآية : ٢٢٢

وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ * وأنبياء إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ ^(٤) .

فهذه نبذة يسيرة من التحصينات الإيمانية من المكاييد الشيطانية، وهناك كثير من المقامع الشرعية للوساوس والحيل الشيطانية إلا أني أكتفي بذكر ما سبق طلبا للاختصار، ويرجع للتفصيل إلى الكتب التي ألفها علماءنا في هذا الشأن، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها في المطلب السابق. وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحفظنا من مكاييد الشيطان ووساوسه وشبهاته وإغوائه وإضلاله، وأن ينصرنا على هذا العدو الخبيث وعلى غيره من الأعداء في الدين والدنيا، وأن لا يسلطهم علينا بذنوبنا وتقصيرنا، وأن يدخلنا في عباده المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا سبيل.

(١) الشورى الآية : ٢٥

(٢) آل عمران الآية : ١٣٥

(٣) البقرة الآية : ١٨٦

(٤) الزمر الآيتان : ٥٣-٥٤

المبحث الثالث : استخراج ذرية آدم عليه السلام وأخذ الميثاق

منهم . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الكلام عن الإشهاد وأخذ الميثاق .

قال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ * أو تقولوا إنما أشركنا أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ * وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ﴿ ^(١) . لقد اختلفت أقوال أهل العلم في تفسير هذه الآيات وبيان المراد منها . فمنهم من يرى أنها تشير إلى ما نصب الله تعالى لبني آدم من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته . ومنهم من يرى أن فيها بيانا لفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي هادية إلى معرفة الله وعبادته إن سلمت من المعوقات والآفات التي تغير الفطرة وتفسدها . ومنهم من يرى أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام في عالم الغيب قبل عالم الشهادة، وأعطاهم القدرة على الفهم والكلام، فأقروا بواحدانية الله وربوبيته، وبذلك أخذ الله عليهم العهد والميثاق، وأن عليهم أن يستمروا على ذلك إلى يوم القيامة . ومنهم يرى عدم الخوض والبحث في هذه المسألة، تفاديا من الوقوع في الخطأ والمحذور؛ فإن الأمر أمر غيبي، ولا مجال فيه للخوض والبحث بالعقل الإنساني القاصر . وكل قائل له وجهته وأدلتها التي ساقته إلى ما ذهب إليه، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال وبيان الراجح منها والله الموفق .

القول الأول : إن هذا من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وعلى هذا لا يبقى فيه إشكال، ولا للبحث عنه مجال . هذا القول ذكره القنوجي ^(٢) .

لا شك أن هذا من أمور الغيب ولكنه من الغيب الذي بين الله سبحانه وتعالى لنا بعض جوانبه، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، كما سيأتي ذلك، فلا بأس في البحث عنها

(١) الأعراف الآيات : ١٧٢-١٧٤

(٢) انظر : فتح البيان (٧٢/٥) .

في ضوء ما أخبر الله تعالى عنه .

القول الثاني : إن معنى هذه الآيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى أخرج الأولاد من أصلاب الآباء، إلى أرحام الأمهات، وجعلهم نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم بشرا سويا وخلقا كاملا. ونصب لهم الأدلة في الكون على ربوبيته ووحدانيته، تشهد بها عقولهم، وبصائرهم التي ركبها فيهم، ومكنهم بها من معرفة ربهم والإقرار به والتسليم له، فهو سبحانه جعل تمكينه لهم من معرفة ربهم بمثلة الإقرار والإشهاد، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم : ألسن بربكم؟ وكأنهم قالوا : بلى، أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك . فهذه الآيات من باب التمثيل والتخييل، وليس هناك إخراج في عالم الغيب، ولا إشهاد حقيقي، ولا إقرار قولي من بني آدم^(١). هذا القول ذهب إليه القاضي عبد الجبار^(٢) والزمخشري والبيضاوي والنسفي^(٣)، وذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا قول الخلف من أهل الاعتزال والتأويل^(٤).

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة وفيما يلي الإشارة إلى بعضها :

١- لا يصح أن يقال عن هذه الآيات القرآنية أنها خرجت مخرج التمثيل والتخييل؛ فإنها من كلام الله سبحانه وتعالى، وكلامه سبحانه كله حقيقة، وكل كلمة منه بغاية الكمال، وأخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل، والله سبحانه وتعالى أنزله للتعبد والإعجاز^(٥)، فهو كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنه لقول فصل * وما هو بالهزل ﴾^(٦). فكل ما فيه حق وعدل وصدق وصواب، وليس فيه شيء خلاف الحقيقة والواقع . قال تعالى :

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢٠٧/٢) .

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الحمذاني، كان من غلاة المعتزلة والدعاة إليها، صنف عدة كتب على مذهبه في الذب عنه والدعوة إليه، توفي سنة ٤١٥ هـ . انظر : لسان الميزان (٣٨٦-٣٨٧) .

(٣) انظر بالترتيب : تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي (ص : ١٥٣)؛ والكشاف (٥٢٩-٥٣١)؛ أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٩-٢٥٠)؛ ومدارك التنزيل للنسفي (٦١٦-٦١٧) .

(٤) انظر : التفسير الكبير (٤٧/١٥)؛ واللباب في علوم الكتاب (٣٧٩/٩)؛ ومرقاة المفاتيح (١٤٠/١)؛ والفتوحات الإلهية (٢٠٧/٢)؛ والتعليق الصريح على مشكاة المصابيح (٨٩/١)؛ وأوجز المسالك (٩٧/١٤)؛ ومرعاة المفاتيح (١٨٣/١) .

(٥) انظر : منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز { مطبوع في آخر أضواء البيان } (٢٣٧ / ١٠) .

(٦) الطارق الآيتان : ١٣-١٤

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾^(١).

٢ - هذه الآيات بين الله فيها لبني آدم ما أخذه عليهم من العهد والميثاق لوحدانته وربوبيته، ليوفوا به، فيعبدوه سبحانه وتعالى، ولا يشركوا به شيئا، وليس في الآية تشبيه شيء بشيء أو تمثيل صورة بصورة، لأن التشبيه له أربعة أركان وهي : المشبه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه^(٢) كقول القائل : أنت كاللث في الشجاعة . ويسوغ أن يحذف وجه الشبه، وأداة التشبيه، أو أحدهما فيقال : أنت كالأسد، أو أنت أسد في الشجاعة، أو أنت أسد. وأما المشبه، والمشبّه به، فلا بد من ذكرهما، ولا يجوز حذف أحدهما^(٣).

والآيات المذكورة ليس فيها شيء من هذه الأشياء الأربعة فلا يصح أن يقال إن فيها تشبيها لشيء بشيء. وإذا علم أنه ليس فيها تشبيه تبين بطلان دعوى أنها خرجت مخرج التمثيل؛ لأن التمثيل أخص من التشبيه؛ فإنه يحتاج بالإضافة إلى ما سبق ذكره في التشبيه إلى شرط آخر، وهو أن يكون وجه الشبه مأخوذاً من مركب لا مفرد؛ أي : يكون فيه تشبيه منظر بمنظر^(٤)، وهذه الآيات القرآنية ليس فيها تشبيه أصلاً فضلاً أن يكون فيها تشبيه تمثيل .

٣ - وأما دعوى التخييل في هذه الآيات القرآنية فهي جراءة عظيمة وجناية كبيرة على كلام الله سبحانه وتعالى؛ فإن التخييل عند البلغاء نوع من أنواع الغلو في الكلام، ويكون ذلك فيما يستبعد العقل وقوعه، ولا يرى له نظير في الخارج، وإنما هو خيال في ذهن تخيله القائل، ولا يمكن للقائل أو المخاطب تحقيقه وتطبيقه^(٥).

والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وقادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في

(١) فصلت الآية : ٤٢

(٢) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١٤/٣)؛ والبلاغة الواضحة (ص : ٢٠)؛ وعلوم

البلاغة (ص : ٢١٨)؛ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد (١٧/٢ وما بعدها) .

(٣) انظر : البلاغة الواضحة (ص : ٢٥)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٢٤٠-٢٤١) .

(٤) مثلاً قول المتنبي (ديوانه ٧٦/١)، وهو يصف سيف الدولة : يهز الجيش حولك جانبيه :: كما نفضت جناحيها العقاب .

فوجه الشبه هنا ليس مفرداً كما كان في المثال المذكور بل هو مترع من متعدد وهو وجود جانبيين لشيء في حال حركة

وموج لأنه شبه جانبي الجيش : الميمنة والميسرة، وسيف الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض

جناحيها وتحركهما . انظر : شرح ديوانه (٧٦/١)؛ والبلاغة الواضحة (ص : ٣٥)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٢٣٣) .

(٥) انظر : بغية الإيضاح (٤١/٤-٤٢)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٣٤٩-٣٥٠)؛ ومعجم البلاغة العربية (ص : ٢١٦-٢١٧) .

الأرض ولا في السماء، فلا ينبغي أن يقال لكلامه جل جلاله وعز سلطانه أنه خرج مخرج التخييل بل كل ما أخبرنا عنه يجب علينا الإيمان به، وليس لنا أن نستبعد وقوعه تبعاً لما عهدناه وألفناه، وما لم تصل أفهامنا إليه نكله إليه سبحانه وتعالى^(١).

٤ - إن علماء اللغة لا يقبلون هذا النوع من الغلو في الكلام إلا إذا كان مقترناً بما يدل أنه خرج مخرج التخييل مثل : كاد، ولولا ، ولو، ونحو ذلك . وهذه الآيات القرآنية ليس فيها شيء من ذلك^(٢).

٥ - إن هذا القول يلزم منه إنكار النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على إخراج ذرية آدم ﷺ من ظهره وإشهادهم على أنفسهم واستنطاقهم وأخذ العهد والميثاق منهم على وحدانية الله وربوبيته وعبادته سبحانه وتعالى، وسيأتي ذكرها .

وسيأتي ذكر ما تعلقوا به لما ذهبوا إليه، وبيان بطلانها، مع القول الثالث .

القول الثالث : إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره في عالم الغيب وميز بين أهل السعادة والشقاوة، والآثار بذلك متظاهرة مرفوعة وموقوفة ، وفيها دلالة على إثبات القدر السابق لهم ، وأما مخاطبة الله لهم واستنطاقه إياهم وإقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية فلم يقع ذلك في عالم الذر، ولا تدل عليه الآية، ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺ، وإنما المراد بهذا الإشهاد وأخذ الميثاق هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وهذا القول ذهب إليه بعض كبار أهل السنة والجماعة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) وابن القيم^(٤) وابن كثير^(٥) وابن أبي العز الحنفى^(٦) والقاسمي^(٧) وعبد الرحمن بن ناصر السعدي^(٨).

(١) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (٧٢/٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ وبغية الإيضاح (٤١/٤ - ٤٢)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٣٤٩ - ٣٥٠) .

(٣) انظر : رسالة في قنوت الأشياء (ص : ١١ - ١٢)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٨ - ٨٣ وما بعده) .

(٤) انظر : الروح (ص : ٣٠٢ - ٣٠٥)؛ وأحكام أهل الذمة (٩٤٨/٢ - ٩٥٠) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٦١/٢ و ٢٦٤) .

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣٠٨ - ٣١٤) .

(٧) انظر : محاسن التأويل (٢٩٣/٧ - ٢٩٥) .

(٨) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٣٩٨) .

الفرق بين القولين الثاني والثالث :

ينفرد القول الثاني عن القول الثالث بدعوى أنه ليس هناك إخراج للذرية من ظهر آدم ﷺ في عالم الغيب، ويستبعدون وقوع ذلك، ويرونه من المحال، فينكرون الأحاديث الواردة في ذلك، اعتماداً على عقلهم القاصر. وينفرد القول الثالث عن القول الثاني بإقرار وتسليم أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره لدلالة الأحاديث النبوية على ذلك .

ويجتمع القولان في دعوى أنه ليس هناك إشهاد حقيقي، ولا إقرار قولي من بني آدم في عالم الذر بأن الله ربهم، وأنهم عرفوه سبحانه وتعالى، وأن عليهم أن يعيشوا على مقتضى هذه المعرفة وهذا العهد والميثاق فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً. وإنما هو ميثاق حالي في صورة الأدلة المنصوبة لهم في الكون، الدالة على وحدانية الله واستحقاق عبادته عند أصحاب القول الثاني، وفي صورة الفطرة الهادية إلى معرفة الله وعبادته، التي يخلق عليها كل إنسان، عند أصحاب القول الثالث .

وقد استدل أصحاب القولين الثاني والثالث الذين يرون أن الإشهاد وأخذ الميثاق من بني آدم لم يكن بالقول والمخاطبة والسؤال والجواب بوجوه كثيرة ، ومنها ما يلي :

أولاً : الاستدلال من لفظ الآية : وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ فهو سبحانه وتعالى قال : ﴿ من بني آدم ﴾ ، ولم يقل : { من آدم } . وقال : ﴿ من ظهورهم ﴾ ، ولم يقل : { من ظهره } . وقال : ﴿ ذريتهم ﴾ ، ولم يقل : { ذريته } . فلو كان المراد أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره لقال : { من ظهر آدم ذريته } ، ولم يقل : ﴿ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ ^(١) .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن الله تبارك وتعالى أخرج بني آدم لصلبه من ظهره، وأخرج بني بنيه من أصلاب آبائهم، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، ولذلك جاء في الأحاديث النبوية أنه سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره، واستغنى في الآية عن ذكر

(١) انظر هذه الاستدلالات في المصادر الآتية : تعريه القرآن عن المطاعن (ص : ١٥٣) ؛ والتفسير الكبير (٤٧/١٥) ؛ ومشارك التزيل (٦١٧/١) ؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤٨٤/٨) ؛ والروح (ص : ٣٠٢) ؛ وأحكام أهل الذمة (٩٤٩/٢) ؛ والكلام على مسألة السماع (ص : ٣٨٤) ؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٦٤/٢) ؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٢) .

ظهر آدم، فاكفى بذكر ظهور بنيه لما علم من أنه أبوهم جميعا، وأنه أصلهم الذي خرجوا عنه وتفرعوا منه، فلا منافاة بين الآية القرآنية والأحاديث النبوية^(١).

ومثال ذلك : كمن أودع جوهرة في صدفة، ثم أودع الصدفة في خرقة، ثم أودع الخرقة في حقة، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق...، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه ومن أخبر بجزء من هذه السلسلة لم يكن متناقضا مع من أخبر بجزء آخر منها إذ يصدق خروج تلك الأشياء كلها من الصندوق الذي وضعت فيه بعضها تلو البعض^(٢).

وقد تكون في التعبير بصيغة الجمع في المواضع الثلاثة المذكورة إشارة لطيفة إلى أن الله سبحانه وتعالى كما أخرجهم جميعا من ظهر آدم بالتدرج؛ أي : أبناء آدم ثم أبناءهم ثم أبناءهم...، فكذلك أعادهم إلى ظهر آدم بالتدرج، فأعاد الذرية الأخيرة إلى أصولها، وأعاد أصولها إلى من قبلهم...، حتى انحصر الأمر في ذرية آدم لصلبه، فأعادها إلى ظهره، والله أعلم بالصواب^(٣).

ثانيا : استحالة إمكان الإشهاد والاستنطاق في زعمهم ممن حاله كحال الذر^(٤)، وتأكيدها عندهم من عدم تذكر الناس له^(٥) : زعموا أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك الذر - الذين لا حياة لهم ولا عقل - لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء، وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لكانوا ذاكرين أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم؛ لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة، وهو عاقل لا ينساها نسيانا كلياً، وهو لا يذكر شهادة قبل خروجه إلى هذه الدار، وإنما يذكر شهادته في هذه الدار .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن هذه الذرية التي أخرجها الله تعالى كالذر، لا يبعد أن

(١) انظر : عارضة الأحوزي (١٩٦/١١)؛ وزاد المسير (٢٨٤/٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣١٧/٧)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٢٤٥/١)؛ والاعتصام (٣١٤/٢)؛ والفتوحات الإلهية (٢٠٨/١ - ٢٠٩)؛ وبذل الجهود في حل أبي داود (٢٣٣/١٨)؛ والكوكب الدرر على جامع الترمذي (١٤٢/١)؛ ومرعاة المفاتيح (١ / ١٨٣)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦١/٤)؛ ونهر الخير على أيسر التفاسير (٢٦٠/٢) .

(٢) انظر : الفتوحات الإلهية (٢٠٩/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٢٠٨/٢)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٥٥) .

(٤) انظر هذا الاستدلال في : تنزيه القرآن عن المطاعن (ص : ١٥٣)؛ والتفسير الكبير (٤٧/١٥) .

(٥) انظر هذا الاستدلال بالإضافة إلى المصدرين السابقين في : مدارك التزيل (٦١٧/١)؛ والروح (ص : ٣٠٣)؛ والكلام على مسألة السماع (ص : ٣٨٤ - ٣٨٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٢) .

يكون الله سبحانه وتعالى قد منحهم حياة وعقلا وجسما يليق بهم، ويناسب أحوالهم، يعقلون ما يعرض عليهم، يفهمون الخطاب، ويردون الجواب، والله سبحانه وتعالى الذي خلقهم في عالم الذر، وخلق كل شيء في عالم الغيب والشهادة، وأخبرنا عنهم بذلك قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء عن شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى عن نملة، وهي من أصغر مخلوقاته، وأضعفها جسما، وأقلها حجما: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾^(١) فهو سبحانه أعطى النملة مع صغرها قوة في التعبير والمنطق والعقل والفهم، حتى إنها أدركت الخطر المقبل على قومها قبل وقوعه، ونصحت لهم، وحذرتهم منه، وبينت لهم التدبير السليم للوقاية من هذا الخطر المحقق، ورسمت لهم طريق السلامة والنجاة منه بكل دقة، واعتذرت لربي الله سليمان وجنوده بأنه إن حصل ذلك منهم، فإنما يكون ذلك من غير قصد منهم ولا عمد^(٢).

وهذا مثال واحد مما أودع الله تعالى في مخلوقاته الكثيرة بل كل ما في الكون يسبح بحمد الله تعالى، ويقوم بعبادته وصلاته لربه سبحانه. قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾^(٣) فكل ما في الكون من حيوان وجماد، صغير أو كبير، دقيق أو جلي عليه صلاة وعبادة وتسبيح لربه سبحانه، بحسب حاله اللاتقة به، ولكن نحن معشر الإنسان لا نفقه صلاتهم وتسبيحهم، كما قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾^(٤).

فيجب علينا الإيمان والتسليم بما أخبر الله تعالى به، وبما ثبت مجيئه عن النبي ﷺ، ولا يجوز رده أو استبعاد وقوعه تبعاً لما ألفناه وعهدناه؛ فقد استطاع الإنسان بما أوتي من عقل وحكمة وفهم وعلم أن يخترع أشياء كانت في حكم المستحيل سابقاً، وهي لو حكيت لأحد الأقدمين رمى من يحكيها بالجنون، فكيف بقدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟^(٥).

(١) النمل الآية : ١٨

(٢) انظر : معاني القرآن... للزجاج (٣٩٠/٢)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٨٢٧) .

(٣) النور الآية : ٤١

(٤) الإسراء الآية : ٤٤

(٥) انظر : السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص : ١٨٧-١٨٨) .

وأما الاستدلال بعدم تذكر الناس ما شهدوا به يوم الميثاق وهم في عالم النذر فيمكن أن يقال في الجواب عنه بأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها، في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها من النطفة والعلقه والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان^(١)، وفي ذلك حكمة إلهية بالغة .

فإنه سبحانه أخرج الذرية من صلب آدم، وركب فيهم العقول، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أعادهم إلى صلب آدم ﷺ، فلما أعيدوا إلى صلب أبيهم آدم بطل ما ركب فيهم من العقول، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق، ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة الرسل عليهم السلام، فقام ذلك مقام الذكر؛ إذ الدار دار تكليف وامتحان، ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والاختبار والتكليف^(٢)، فقامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لإخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق في الدنيا، فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد، ولزمتهم الحجة ولم تسقط عنهم بنسيانهم، وعدم حفظهم بعد إخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات^(٣).

• والإنسان في الدنيا قد تصدر منه أفعال ثم ينساها ولكنه لا يعذر بالنسيان والغفلة وعدم التذكر والحفظ بل يتحمل ما يترتب على ما صدر منه إذا وجد شهود عدل يشهدون عليه بأن ذلك صدر منه وأنه فعله. فمن طلق زوجته ثم نسي أنه طلقها ولكن وجد شهود عدل يشهدون عليه بأنه طلقها يعد ذلك طلاقا منه لزوجه، وتترتب عليه الأحكام الأخرى من الرجعة أو العدة أو الفراق أو الميراث أو النكاح من أختها أو عمتها أو خالتها أو نكاح الخامسة وما إلى ذلك من الأحكام المترتبة على ذلك .

قال أبو بكر الطرطوشي : (إن هذا العهد يلزم البشر، وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاق من شهد عليه به، وقد نسيه)^(٤).

فإذا كان الإنسان يتحمل ما صدر منه لشهادة الشاهدين له، ولا يعذر بنسيانه وعدم تذكره لها في مثل هذه الأمور الدنيوية فكيف يعذر بنسيانه في أمر من أمور الدين، وأصل من أصوله، وحق

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢٠٩/٢)؛ و التعليق الصبيح (٩٠/١)؛ ومرعاة المفاتيح (١٨٣/١ - ١٨٤) .

(٢) انظر : أخذ الميثاق (ص : ٥٥) .

(٣) انظر : معالم التنزيل (٢١٣/٢) .

(٤) ذكره عنه ابن عطية في (المحرر الوجيز ١٣٨/٦)؛ والقرطبي في تفسيره (٣١٧/٧)؛ والطرطوشي هو محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي، الفقيه العلامة من كبار علماء المالكية، توفي سنة ٥٢٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٩ - ٩٦) .

من أعظم حقوق الله تعالى عليه، مع شهادة الأنبياء والمرسلين على ذلك الذين هم صفوة الخلق وأشرف المخلوقات، وأفضل البرية وأزكى البشرية عند الله سبحانه وتعالى، والله أعلم بالصواب .

• لا شك أن بني آدم جميعاً ولدوا من بطون أمهاتهم، وكل واحد منا مر بهذا الحادث العظيم، ومع ذلك لا يذكره أحد منا إلا أنه لما استفاض به الخير، وتواترت به الأنباء، وتناقلته الألسن آمن كل واحد به، ولم يشك أحد منا في أمه أمها أمه، وأنه ابنها، فهو لا يعدل عنها أبداً، ولا ينبغي لها بديلاً. ومن عق أمه، ولم ير بها، واتخذ له أما أخرى كثرت القالة فيه، وأصبح شامة في الناس، فإن تعلل بأنه لا يذكر هذا الحادث، وأنه لا يعتمد على مجرد الإشاعة، اعتبره الناس قليل الحياء والأدب، وضعفوا عقله، وسفهوا حلمه، بل لعدوه من المجانين . فإذا كان الناس يعتمدون على حديث العامة، ويؤمنون به، ويسلمون له، مع أنهم لا يتذكرونه، فما أخبرت به الأنبياء والمرسلون أخرى بالاعتماد، وأولى بالثقة، وأجدر بالاحتجاج، والإيمان، والعمل بمقتضاه، والله أعلم بالصواب ^(١).

• إن يوم الميثاق الذي أخرج الله فيه بني آدم من صلب أبيهم آدم ﷺ غيب من الغيوب الكثيرة الماضية التي أخبرنا الله بها، وقد انتهى ذلك اليوم، والناس الآن في عالم الشهادة، ولا يذكرون ذلك الميثاق الذي كان في عالم الغيب لاختلاف الأحوال في عالم الشهادة عن عالم الغيب، فإذا جاء يوم القيامة ينتهي عالم الشهادة الذي نحن فيه، ويبقى عالم الغيب مرة أخرى فليس بعيداً أن يتذكر الناس هذا الميثاق الذي أخذ منهم في عالم الغيب الماضي إذا عادوا إلى عالم الغيب مرة أخرى يوم القيامة، وقوله تعالى : ﴿ شهدنا أن نقول يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ فيه نوع من الإشارة إلى ذلك ^(٢)، والله أعلم بالصواب.

ثالثاً : كون هذا الميثاق ليس حجة على الناس، وإنما تقوم الحجة عليهم بالرسول، ولذلك أهلك الله الأقوام التي خالفت رسلها بعد قيام الحجة عليها ^(٣). قالوا : إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وعدم الشعور، أو

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٥١ - ٥٣) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٩/٤) ؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢١/١) .

(٣) انظر هذا الاستدلال في : التفسير الكبير (٤٨/١٥) ؛ والروح (ص : ٣٠٢ - ٣٠٣) ؛ وشرح العقيدة

الطحاوية (ص : ٣١٢ - ٣١٣) .

تقليد الآباء والأجداد، كما قال تعالى : ﴿ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ . ومعلوم أنهم جميعا غافلون عن الإخراج من صلب آدم وإشهادهم وأخذ الميثاق منهم في ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم، فكيف يكون حجة عليهم بل الحجة إنما قامت عليهم بالرسول والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(١).

والله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ الناس إلا بعد إقامة الحجة عليهم بإرسال رسله إليهم، وقد توعدهم سبحانه بالهلاك إن جحدوا وأشركوا به بعد هذا الميثاق الذي أخذه منهم، فلو أخذهم بهذا الميثاق على جحودهم وإشراكهم من غير أن يرسل الرسل إليهم لكان قد أخذهم وهم في غفلة عنه، والله سبحانه وتعالى لم يكن ليهلك أهل القرى بظلم وأهلها غافلون، ولذلك لم يهلك الله الأقوام السابقة إلا لمخالفتهم رسلكم بعد قيام الحجة عليهم بهم .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن اعتراضكم هذا - وتفسيركم أخذ الميثاق من بني آدم وإشهادهم على أنفسهم بالأدلة المنصوبة لهم في الآفاق والأنفس الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته أو بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ومكنهم بها من معرفة ربهم وعبادته - مقتضاه أن الأدلة المنصوبة في الآفاق والأنفس أو الفطرة الهادية إلى معرفة الله وعبادته سبحانه هي وحدها كافية لإقامة الحجة على الناس حتى لو لم يأثم نذير . وهذا خلاف ما صرحت به كثير من الآيات القرآنية بأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا حتى يقيم الحجة بإنذار الرسل ^(٢).

● قال تعالى : ﴿ وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا ﴾ ^(٣). فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ حتى

نبعث رسولا ﴾ ، ولم يقل : حتى نخلق عقولا، وننصب أدلة، ونركز فطرة ^(٤).

● وقال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(٥).

(١) النساء الآية : ١٦٥

(٢) انظر : أضواء البيان (٢٥١/٢ - ٢٥٢) .

(٣) الإسراء الآية : ١٥

(٤) انظر : أضواء البيان (٢٥١/٢) .

(٥) النساء الآية : ١٦٥

فالله سبحانه وتعالى صرح بأن الذي تقوم به الحجة على الناس، وينقطع به عذرهم : هو إنذار الرسل، لا نصب الأدلة أو الخلق على الفطرة ^(١).

● وقال تعالى : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ ^(٣).

فالله سبحانه وتعالى صرح في هذه الآيات وغيرها كثيرة بأنه سبحانه قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرسل، ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة في الآفاق والأنفس، أو بخلقهم على الفطرة. فهذا كله دليل على عدم الاكتفاء بما نصب لهم من الأدلة، وما ركز فيهم من الفطرة، وأنما لا تكفي لإقامة الحجة على الناس، وأنه لا بد من إرسال الرسل للتذكير والتنبيه، لتقوم عليهم الحجة، وينقطع عذرهم، فلا يقولوا يوم القيامة : ﴿ ربنا لو لأرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ ^(٤).

● إن الحجة لم تقم بذلك الميثاق وحده كما قلتم، فكذلك لم تقم الحجة على الناس بالآيات الكونية وحدها أو الفطرة وحدها بل لا بد من إرسال الرسل في جميع الأحوال، لتقوم الحجة على الناس، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا العدول عن القول بأن المراد بذلك هو أخذ الميثاق والإشهاد القولي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة إلى ما سواه من غير دليل موجب لذلك، سوى الاستناد إلى العقل الذي لا مجال له مع النصوص ؟

وأما كونهم غافلين عن هذا الميثاق ، مع أن الله سبحانه وتعالى أخذه منهم لتقوم عليهم الحجة حتى لا يدعوا الغفلة، فذلك لحكمة إلهية اقتضت نسيانهم وغفلتهم، فإن إخراج الذرية من الظهور في عالم الغيب قبل خلقهم وإيجادهم في عالم الشهادة، وأخذ

(١) أضواء البيان (٢٥١/٢) .

(٢) الملك الآيتان : ٨-٩

(٣) الزمر الآية : ٧١

(٤) القصص الآية : ٤٧

المواثيق والعهود مما يقتضي الترغيب والترهيب^(١) ، ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكرهم به على ألسنة رسله فقامت عليهم الحجة، كما سبق ذكره .

رابعا : إشهاد الله الناس جميعا في هذه الدنيا على أنه ربهم، واحتجاجة سبحانه به عليهم^(٢) . قالوا : إن الله سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَسْأَلُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولَ اللَّهُ فَأَنَّى يُفَكِّرُونَ ﴾^(٣) ، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرهم بها رسله كما قال تعالى : ﴿ قالت رسليهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾^(٤) . فإذا كان الله سبحانه وتعالى أشهد الناس في هذه الدنيا على معرفته، واحتج به عليهم فلا يبقى اختصاص لتلك المعرفة التي حصلت لهم يوم الميثاق يوم أقرأوا بمعرفة الله تعالى ووحدانيته وربوبيته على أنفسهم وأشهدوا به .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن معرفة العباد لرهم وخالقهم التي احتج الله بها عليهم هي امتداد للمعرفة الحاصلة لهم من يوم الميثاق لما أخرجوا من ظهر آدم ﷺ ، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ فهم يعرفون رهم وخالقهم منذ أخذ عليهم الميثاق، والفطرة مذكرة لذلك الميثاق وأدلة الكون مؤكدة لمادلت عليه الفطرة^(٥) ، وهذا التوجيه أحسن من توجيه من يرى أن الناس عرفوا رهم بالأدلة المنصوبة لهم في الآفاق والأنفس أو بالفطرة الهادية إلى معرفة الله تعالى، زاعما أنه ليس هناك عهد قولي ولا ميثاق قولي ولا إشهاد حقيقي، وسيأتي بيان ذلك .

خامسا : قالوا : إن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الإشهاد آية، وهي الدلالة الواضحة البيّنة المستلزمة لدلولها، وهذا شأن آيات الرب تعالى . قال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ﴾ ، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها، لا بتبديل لخلق الله^(٦) .

(١) انظر : فتح البيان (٧١/٥) .

(٢) انظر هذا الاستدلال في : الروح (ص : ٣٠٣-٣٠٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٣) .

(٣) الزخرف الآية : ٨٧

(٤) إبراهيم الآية : ١٠

(٥) انظر : الفقه الأكبر مع الشرح الميسر (٤٨-٥٠)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٥٨)؛ والسلسلة الصحيحة (١٦٣/٤) .

(٦) انظر : الروح (ص : ٣٠٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٤) .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن ما وقع لبني آدم يوم الميثاق آية؛ لأن الله تعالى عقب ذلك بقوله : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ ولكن المطلوب معرفته هل هو آية دالة على الفطرة أم آية دالة على الميثاق ؟ والذي يظهر من سياق الآية أن ذلك منصب على الميثاق الأول؛ لأن أخذ الميثاق من ذرية آدم ﷺ كان في عالم الغيب، وكانوا حينئذ في صورة الذر، ومع ذلك شهدوا بوحداية الله وربوبيته سبحانه، وأعطوا العهد والميثاق، وأنهم سيستمرون على ذلك إلى يوم القيامة، وما كان هذا شأنه فلا شك أنه أمر عجيب وغريب يحتاج إلى بيان وتفصيل، والله سبحانه وتعالى فصله وبينه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ (١).

وأما الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهي معلومة مفهومة حتى إن لفظها يدل على معناها بأن الإنسان مخلوق مريب، وأنه يجب عليه أن يعبد من خلقه ورباه . وعلى كل حال الفطرة لا تحتاج إلى التفصيل كما يحتاج إليه الميثاق الأول فحمل الآية في قوله تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ على أنها آية دالة على الميثاق الأول أليق وألصق، والله أعلم بالصواب (٢).

القول الرابع : إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه رهم، وأنهم عبيده، فأقروا بذلك، وشهدوا به على أنفسهم . أثر هذا القول عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود (٣) وسعيد بن جبير (٤) وعطاء بن أبي رباح (٥) ونضر بن عري الباهلي (٦) والسلمي (٧).

(١) انظر : أخذ الميثاق (ص : ٥٨) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) سيأتي ذكر أقوالهم قريبا إن شاء الله .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٥/٩ - ١١٦) من ثلاثة طرق، وأصحها الأولى فإن جميع رجالها ثقات وأما الثانية ففيها محمد بن حميد الرازي وهو متهم بالكذب، والثالثة فيها سفيان بن وكيع هو ضعيف، وقد سبق الكلام عن ابن حميد في (ص : ٥١٨ - ٥٢٠) وعن ابن وكيع في (ص : ٤٦٦) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩) بإسناده حسن .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩)، وفي الإسناد شيخ الطبري سفيان بن وكيع بن الجراح ضعيف، وبقي رجاله ثقات، والباهلي هو نضر بن عري الباهلي مولا هم الحرائي، لا بأس به، توفي سنة ١٦٨ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٥) .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩ - ١١٧)، ورجال إسناده صدوقون ما عدا سفيان بن وكيع فإنه ضعيف .

والكلبي^(١) ومحمد بن كعب^(٢) والضحاك بن مزاحم^(٣) ومقاتل بن حيان^(٤)، ومجاهد^(٥) وعكرمة^(٦) وقتادة^(٧) وفاطمة بنت الحسين^(٨) وأبي جعفر الباقر^(٩) والإمام أبي حنيفة^(١٠) وغيرهم، وإليه ذهب عامة المفسرين^(١١) وشرح الأحاديث النبوية^(١٢)، وهو مذهب أهل السنة والجماعة^(١٣).

- (١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧/٩)، ورجال إسناده كلهم ثقات ما عدا قائله؛ فإنه متهم بالكذب.
- (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧/٩)، وإسناده ضعيف لأن فيه محمد بن حميد الرازي وهو متكلم فيه كلما شديدا من قبل الأئمة، كما سبق ذكره في (ص: ٥١٨-٥٢٠)، وكذلك فيه موسى بن عبيدة بن نسيط وهو أيضا ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب (ص: ٥٥٢ برقم: ٦٩٨٩).
- (٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩)، بإسناد ضعيف للانقطاع بين الطبري وشيخه لأن الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ كما ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤) وشيخه في هذه الرواية محمد بن عبيد إن كان هو الطنافسي كما رجح الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٤١/١٣) فهو توفي سنة ٢٠٤هـ فلا يمكن له السماع منه وإن كان غيره فتكون فيه علة أخرى وهي عدم معرفة شيخ الطبري. ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٥/٥ برقم: ٨٥٣٨) بإسناده إليه وهو أصح من إسناده الطبري فإن رجال إسناده كلهم ثقات والله أعلم.
- (٤) ذكره عنه البغوي في (معالم التنزيل ١٨/٢) من غير إسناد.
- (٥) ذكره عنه البغوي في (معالم التنزيل ١٨/٢)؛ وابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢) من غير إسناد.
- (٦) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢) من غير إسناد.
- (٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢)؛ والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩/٤) من غير إسناد.
- (٨) ذكره عنها السيوطي في (الدر المنثور ٦٠٥/٣)، وأحال إلى عبد الرزاق في المصنف وأبي الشيخ في العظمة وهي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية، زوج الحسن بن الحسن بن علي، ثقة، مات بعد المائة وقد أسنت. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٧٥١ برقم: ٨٦٥٢).
- (٩) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥/٣)، وأحال إلى أبي الشيخ ولم أجده في كتابه: "العظمة".
- (١٠) انظر: الفقه الأكبر [مع الشرح الميسر] (ص: ٤٨).
- (١١) لم يذكر ابن جرير الطبري والبغوي والثعالبي في تفاسيرهم غير هذا القول، وهو الذي اختاره ابن الجوزي في (زاد المسير ٢٨٦/٣)، وفي (تذكرة الأريب في تفسير الغريب ١٩٢/١)؛ والرازي في تفسيره (٥٢-٥٠/١٥)؛ وابن جزى الكلبي في (التسهيل لعلوم التنزيل ٣٢٨/١)؛ والشوكاني في (فتح القدير ٢٦٣/٢)؛ والقنوجي في (فتح البيان ٧٠/٥)؛ والشنقيطي في (أضواء البيان ٢٥١/٢-٢٥٢) وغيرهم.
- (١٢) انظر: المعلم بفوائد مسلم (٣٥٠/٣)؛ وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣٧/٨-٣٣٨)؛ وعارضة الأحوذى (١٩٦/١١)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٢٤٤/١-٢٤٧)؛ ومرقاة المفاتيح (١٤٠/١-١٤١)؛ وبلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني (١٤٥/١٨-١٤٧)؛ وإرشاد الساري (٢٤٣/٧ و ٥٥٦/١٣)؛ والتبيان بشرح ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم (٦٩٥/٣)؛ وبذل المجهود في حل أبي داود (٢٣٣-٢٣٢/١٨)؛ شرح الزرقاني على موطأ مالك (٢٤٤/٤-٢٤٦)؛ والكوكب الدرر على جامع الترمذي (١٤٢/٤)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ مالك (٩٨-٩٦/١٤)؛ ومرعاة المفاتيح (١٨٢/١-١٨٤)؛ والسنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص: ١٨٦-١٨٨).
- (١٣) انظر: التفسير الكبير (٤٧/١٥)؛ والفتوحات الإلهية (٢٠٧/٢)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ مالك (٩٧/١٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٠٩)؛ وفتح البيان (٧٤/٥).

قال ابن الأنباري ^(١): (مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده، وهم في صور الذر، فأخذ عليهم الميثاق: أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون. فاعترفوا بذلك وقبلوا. وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب، وكما فعل ذلك للبعير لما سجد، والنحلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت) ^(٢).

وقال إسحاق بن راهويه : وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ^(٣).

وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بالأحاديث النبوية والآثار السنية السلفية المأثورة عن أصحاب القرون المفضلة من الصحابة و التابعين فمن بعدهم ، ومن الأحاديث الدالة على ما ذهبوا إليه ما يلي ^(٤):

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال : نعم. قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك ^(٥).

فهذا الحديث النبوي يدل على أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على ربوبيته و وحدانيته قبل أن يخرجهم إلى هذا العالم، وأن ذلك الميثاق كان بالقول والسؤال والجواب إذ قوله : ((فقد سألتك ما هو أهون من هذا ...)) لا يفهم منه غير ذلك .

قال القاضي عياض : (هذا تنبيه على ما جاء في قوله : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من

(١) لعله أبو بكر محمد بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري، أديب نحوي لغوي مفسر محدث، روى عنه الدارقطني وغيره، من تصانيفه : المشكل في معاني القرآن ، وغريب الحديث، والماءات في كتاب الله عز وجل ، وغيرها ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٤٣/١١) .

(٢) ذكره ابن القيم في (الروح ص : ٢٩٥)؛ والقنوجي في (فتح البيان ٧٤/٥)؛ وبواسطة ابن القيم ذكره الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦١/٤) .

(٣) ذكره ابن عبد البر في (التمهيد ٨٤/١٨)؛ وفي (الاستذكار ٣٨٨/٨ برقم : ١٢٠٤٠)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في (حرة تعارض العقل والنقل ٤١٤/٨)، وابن القيم في (الروح ص : ٢٩٦)، وبواسطته ذكر الألباني في (سلسلة الصحيح ١٦١/٤) .

(٤) هذه الأدلة على نوعين : ١- بعضها فيه تصريح بإخراج الذرية فقط وهي أدلة أيضا لأصحاب القول الثالث، القائلين بالأخراج دون الإشهاد. ٢- بعضها فيه تصريح بالإخراج والإشهاد وهي أدلة لأصحاب القول الرابع فقط ورد على أصحاب القول الثالث.

(٥) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري، وقد سبق تحريجه في (ص : ١٥٠) .

ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴿ فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يف به فهو الكافر. ومراد الحديث - والله أعلم ونبيه - : قد أردت منك هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك بي حين أخذت ذلك الميثاق عليك، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك (١).

وقال الحافظ ابن حجر : (قوله : " وأنت في صلب آدم " إن فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ الآية (٢). وعن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب ؓ سئل عن هذه الآية : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (٣). فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل : يا رسول الله! فقيم العمل؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة. وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار (٤).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣٧/٨) .

(٢) فتح الباري (٣٦٩/٦) .

(٣) الأعراف الآية : ١٧٢

(٤) أخرجه ط (القدر، ب : النهي عن القول بالقدر ٨٩٨/٢ ح : ١٥٩٣)؛ بإسناده إلى مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب مرفوعاً . و من طريقه أخرجه حم (٣٩٩/١ ح : ٣١١)؛ و د (السنة ، ب : في القدر ٢٢٦/٤ ح : ٤٧٠٣)؛ و ت (أبواب التفسير، الأعراف ٢٦٦/٥ ح : ٣٠٧٥)، وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته ... ٣٧/١٤ ح : ٦١٦٦)؛ و كم (الإيمان، ب : تفسير ﴿ وإذ أخذ ربك ... ﴾ ٢٧/١ والتفسير، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعاً ... ٣٢٤/٢-٣٢٥ والتاريخ، ب : إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ٥٤٤-٥٤٥)؛ والبيهقي في (الأسماء والصفات ١٤٣/٢-١٤٥ ح : ٧١٠) وغيرهم. وهذا الحديث أعل بعثتين : ١- في إسناده مسلم بن يسار قال عنه الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص : ٥٣١ برقم : ٦٦٥٤) : " مقبول " وقال عنه أبو زرعة بأنه مجهول لا يعرف كما في التمهيد (٤/٦) وبه قال ابن عبد البر إلا أن هناك من الأئمة من وثقه، منهم ابن حبان فقد ذكره في الثقات (٣٩٠-٣٩١ برقم : ٥٣٤٩) وقال العجلي في (معرفة الثقات ٢٧٩/٢ برقم : ١٧٢٤) : " تابعي ثقة " وقال الذهبي في (الكاشف ٢/٢٦١ برقم : ٢٦١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وببصا من نور، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وببص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فحسد آدم فحصدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته ^(١) .

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : خلق الله تعالى آدم حين خلقه، فضرب كفه اليمنى، فأخرج ذرية يبضاء، كأفهم الذر، وضرب كفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء، كأفهم الحمم،

٥٤٣٦) : " وثق " وكذلك تحسین الترمذي، وتصحيح ابن حبان والحاكم لحديثه مع موافقة الذهبي عليه يعطي جانب التوثيق نوعاً من القوة . ٢- الانقطاع بين مسلم بن يسار وعمر بن الخطاب فقد ذكر الترمذي في سننه (٢٦٦/٥) ؛ والبيهقي (في الأسماء والصفات ١٤٥/٢) ؛ والذهبي (في تلخيص المستدرک ٢٧/١) وغيرهم : أن مسلم بن يسار لم يسمع من عمر بن الخطاب وأن بين مسلم وبين عمر رجلا . وتندفع هذه العلة بمعرفة الواسطة بينهما وهو نعيم بن ربيعة كما ذكره كثير من الأئمة منهم أبو حاتم كما ذكره ابن كثير عنه في تفسيره (٢٦٣/٢) ، الأعراف : (١٧٢) ، وابن عبد البر في (التمهيد ٤/٦) ، والمزي في (تهذيب الكمال ٤٨٤/٢٩ برقم : ٦٤٥٤) ، وابن حجر في (تهذيب التهذيب ٦٣٨/٥ برقم : ٨٣١٣) وغيرهم، وروايته في (سنن أبي داود ٢٢٧/٤ ح : ٤٧٠٤) وتفسير الطبري (١١٣/٩) وغيرهما . ونعيم بن ربيعة الأزدي ذكره ابن حبان في (الثقات ٤٧٧/٥ برقم : ٥٨٠٨) وقال عنه الذهبي في (ميزان الاعتدال ٢٧٠/٤ برقم : ٩١٠٤) : " لا يعرف " . وقال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص : ٥٦٥ برقم : ٧١٦٩) : " مقبول " وعلى هذا يكون الحديث كما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (رسالة في فنون الأشياء ص : ١٢) " هو يصلح للاعتضاد " ، فهو يحتاج إلى نوع من التقوية، إلا أن مجيئه من وجهين ؛ أي : منقطعا ثم موصولا، ووجود شواهد كثيرة له كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في (التمهيد ٦/٦) بقوله : " ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة " ، وكما سيأتي ذكرها يشفع له وقويته، ولعله من أجل هذا أحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، وكذلك صححه الحاكم في المواضع الثلاثة المذكورة، في الأول والثالث على شرط الشيخين، وفي الثاني على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ما عدا الموضع الأول إذ تعقبه بالإرسال ؛ أي : الانقطاع، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٥٠/٣ ح : ٤٧٠٣) وحسنه الشيخ عبد العزيز العثيمين بعد دراسة تفصيلية في (أخذ الميثاق ص : ٧-١٤ ح : ١) .

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه (في ص : ١٤٤-١٤٥) .

فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي. وقال للذي في كفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي^(١).
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عن العزل، فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا، إن تكن مما أخذ الله منها الميثاق، فكانت على صخرة لنفخ فيها الروح^(٢).
وعن عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، فقال : هؤلاء في الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء في النار، ولا أبالي. قال قائل : يا رسول الله! فعلى ماذا نعمل؟ قال : على مواقع القدر^(٣).
وعن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله! أبتديء الأعمال أو قد قضى القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفسهم : ألسن بربكم؟ قالوا: بلى . ثم أفاض في كفيه، فقال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. أما أهل الجنة فميسرون لعمل أهل الجنة. وأما أهل النار فميسرون لعمل أهل النار^(٤).

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٥) .

(٢) أخرجه ط (الطلاق، ب : ما جاء في العزل ٥٩٤/٢ ح : ١٢٣٩)؛ وسعيد بن منصور في سننه (الأعراف الآية : ١٧٢، ١٦٧/٥ ح : ٩٦٩)، واللفظ له؛ وحسن (١٨٨/١٨ ح : ١١٦٤٥)؛ النسائي في السنن الكبرى (العق، ب : ذكر ما يستدل به على منع بيع أمهات الأولاد ٢٠٠/٣ ح : ٥٠٤٥)؛ وحب كما في الإحسان (النكاح، ب : العزل ٥٠٤/٩ ح : ٥٠٥-٤١٩٣) وغيرهم من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة . انظر : التخریج المفصل للحديث من قبل الدكتور سعد آل حميد في تحقيقه لكتاب سنن سعيد بن منصور (١٦٧/٥-١٧٠) وقد حكم على الحديث المذكور بقوله : (سنده حسن لذاته والحديث صحيح لغيره)، وهو كما قال .

(٣) أخرجه حم (٢٠٦/٢٩ ح : ١٧٦٦٠)؛ وحب كما في الإحسان (البر والإحسان، ب : ما جاء في الطاعات ونواها، ذكر البيان بأن قوله ﷺ : " فكل ميسر " أراد به ميسر لما قدر له ... ٥٠/٢ ح : ٣٣٨)، واللفظ له؛ وكم (الإيمان ٣١/١)، وقال : (هذا حديث صحيح ...) ووافقه الذهبي على شرطهما إلى الصحابي . قال الهيثمي في مجمع الزائد (١٨٦/٧) : (رواه أحمد ورجاله ثقات) وقال محققوا المسند : (صحيح لغيره وإسناده مضطرب) وهو لعله الحديث الآتي وهو حديث هشام بن حكيم، وقد فصل الكلام عن اضطرابه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٤٨-٢٤٤/١٣ ح : ١٥٣٧٧)؛ والشيخ عبد العزيز العثيمين في (أخذ الميثاق ص : ٢١-٢٤ ح : ٣) .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٤-٧٣/١ ح : ١٦٨-١٦٩)؛ والبخاري (٢٠/٣ ح : ٢١٤٠)؛ والطبري في تفسيره (١١٧/٩)؛ والطبراني في (الكبير ١٦٨/٢٢ ح : ٤٣٤-٤٣٥)، واللفظ له؛ والآجري في (الشرعة ٧٤٨-٧٥٠ ح : ٣٣٠)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٥/٢ ح : ٧١١-٧١٢) وغيرهم . قال البوصيري في (إتحاف المهرة ٢١٣/١ ح : ٣١٣) : (هذا إسناده ضعيف غريب)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٨٧/٧) : (رواه البزار والطبراني، وفيه بقية بن الوليد، وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا . قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكما ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ ^(١) .

الشواهد، وإسناد الطبراني حسن). وتعقب بأن بقية بن الوليد ليس ضعيفا على الإطلاق بل هو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، من أهل الطبقة الرابعة الذين لا يقبل حديثهم باتفاق الأئمة إلا إذا صرحوا بالسماع كما سبق ذكره في (ص : ٤٦١) إلا أنه قد صرح هنا بالسماع عن الزبيدي. وذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٢٩٨/١-٢٩٩ برقم : ٨٧٨) عن أبي زرعة وابن معين وابن سعد والعجلي والجوزجاني وأبي أحمد الحاكم أنهم قالوا : إن بقية إذا روى عن المعروفين الثقات فهو ثقة لا بأس به . وذكر عن ابن المديني أنه قال عنه : إذا روى عن أهل الشام فهو صالح، وإذا روى عن أهل الحجاز والعراق فهو ضعيف جدا . وقد روى بقية هذا الحديث عن الزبيدي وهو ثقة ثبت وأيضاً هو من أهل الشام فيالنظر فيما تقدم يتبين أن الأمر ليس كما قال البوصيري والهيثمي . والحديث حسنه لذاته عبد العزيز العثيمين في (أخذ الميثاق ... ص : ٢٦-٢٨ ح : ٥)؛ ووصحه الألباني في (ظلال الجنة في تخريج السنة ٧٣/١-٧٤ ح : ١٦٨-١٦٩)، وقال أيضاً في المصدر المذكور : (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وقد صرح فيه بقية بالتحديث) .

(١) هذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً فقد أخرجه مرفوعاً حم (٢٦٧/٤ ح : ٢٤٥٥)، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في (السنة ٨٩/١ ح : ٢٠٢)؛ والنسائي في الكبرى (التفسير، الأعراف ٣٤٧/٦ ح : ١١١٩١)؛ وابن جرير في تفسيره (١١٠/٩-١١١)؛ وتاريخه (٨٦/١)؛ وابن مندة في (الرد على الجهمية ص : ٥٧-٥٨ ح : ٢٩)؛ وكس (الإيمان، ب : تفسير آية ﴿وإذا أخذ ربك ... ٢٧/١-٢٨ والتاريخ، ب : أخذ الميثاق من ظهر آدم بعرفة ٥٤٤/٢)؛ و البهقي في (الأسماء والصفات ٥١٨/١ ح : ٤٤١ و ١٤٩/٢ ح : ٧١٤) وغيرهم من طريق جرير بن حازم الأردني عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبر عن ابن عباس مرفوعاً . والحديث صحيح إسناده الحاكم في الموضعين وكذلك وافقه الذهبي . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٥/٧، ١٨٨، ١٨٩) : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) . وقال الشوكاني في (فتح القدير ٢٦٣/٢) والقنوجي في (فتح البيان ٧٣/٥) : (إسناده لا مطعن فيه) . وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٨/٤ ح : ١٦٢٣) بعد أن ذكر قول الحاكم والذهبي : (وحقهما أن يقيداه بأنه على شرط مسلم، فإن كلثوم بن جبر من رجاله، وسائرهم من رجال الشيخين) وقال في (ظلال الجنة في تخريج السنة ٨٩/١ ح : ٢٠٢) : (إسناده حسن) .

قال ابن مندة في (الرد على الجهمية ص : ٥٨) : (هذا حديث تفرد به حسين المروزي عن جرير بن حازم، وهو أخذ الثقات، ورواه حماد بن زيد وعبد الوارث وابن علية، وربيعة بن كلثوم كلهم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبر عن ابن عباس موقوفاً، وكذلك رواه حبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة وعطاء بن السائب كلهم عن سعيد بن جبر عن ابن عباس مثله) وزاد عليه ابن كثير فقال في تفسيره (٢٦٢/٢) : (وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت) وقال في (البداية والنهاية ٩٠/١) : (إسناد جيد قوي على شرط مسلم ... إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً ... وهذا [أي : الموقوف] أكثر وأثبت والله أعلم) . قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد بعد

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . . . ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى . قالت الملائكة : شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ^(١) .

وعن علقمة ^(٢) قال : سئل عبد الله بن مسعود عن العزل ، فقال : لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب آدم ، ثم أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا . فاعزل ، وإن شئت فلا تعزل ^(٣) .

هم

تصحيحه له (١٥١/٤ ح : ٢٤٥٥) : (وكان ابن كثير يريد تعليل المرفوع بالموقوف ، وما هذه بعلة ، والرفع زيادة من ثقة فهي مقبولة صحيحة) وتعقب بأن الأمر ليس على إطلاقه بل الأمر مختلف فيه عند أهل العلم بالحديث فمنهم من يرجح زيادة الثقة كما ذكر ومنهم من يرجح الأكثر كما ذهب إليه ابن كثير والصواب أن الحكم في ذلك يدور مع القرائن حيث دارت . ولو سلم أن الحديث لم يثبت عن ابن عباس إلا موقوفاً كان له حكم الرفع إلى النبي ﷺ لما يلي : ١- إن هذا من الأمور الغيبية التي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد ولا يعرف إلا عن طريق الوحي . ٢- هنا تفسير صحابي وتفسير الصحابي له حكم الرفع ، وقد سبق بيانه في (ص : ٤٤٨) من هذا البحث . ٣- روي مرفوعاً من طريقين : أحدهما : طريق جرير بن حازم ، وقد سبق الكلام عنه . والثاني : طريق علي بن زيد وهو عند حم (١٢٧/٤ - ١٢٨ ح : ٢٢٧٠) وغيره ، باختلاف في اللفظ مع الاتفاق في مسح الظاهر وإخراج الذرية ، وقد حسن هذه الرواية محقق المسند لغيره ، وهي أيضاً يستأنس بها في كون حديث ابن عباس المذكور مرفوعاً : ٤- ورود أحاديث أخرى عن جمع من الصحابة تشهد لبعض هذا الحديث بالرفع ، وهي الأحاديث التي سبق ذكرها والتي تأتي بعده . انظر : أخذ الميثاق (ص : ٣٣) .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٣/٩) مرفوعاً وهذا لفظه ، وأخرجه موقوفاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥ برقم : ٨٥٣٢) وابن جرير في تفسيره (١١٣/٩) وغيرهما . قال الطبري في تفسيره (١١٨/٩) : (إن الشقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه) وكذلك رجح ابن كثير في تفسيره (٢٦٢/٢) وقفه على عبد الله بن عمرو وقال : " هذا أصح " ، والأثر الموقوف صححه الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٣٣/١٣ برقم : ١٥٣٥٥ - ١٥٣٥٦) وهذا الحديث وإن كان موقوفاً لكن له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ كما تقدم بيان ذلك .

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ، الكوفي ثقة ثبت فقيه عابد ، من أخص أصحاب ابن مسعود وأعلم الناس به ، توفي بعد سنة ٦٠ هـ وقيل بعد ٧٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب (١٧٤/٤ - ١٧٦ برقم : ٥٣٨٦) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٤٤/٧ برقم : ١٢٥٦٩) ، واللفظ له ؛ وأبو يوسف في (الآثار ص : ١٥٤ برقم : ٧١٠) ؛ ومحمد بن الحسن الشيباني في (الآثار ، ب : العزل وما نهي عنه من إتيان النساء ص : ٩٦ ح : ٤٤٩) ؛ ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣٥/٩ برقم : ٩٦٦٤) ؛ كلهم من طريق أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود إلا أن عبد الرزاق والطبراني قالوا : (عن إبراهيم عن علقمة قال سئل ابن مسعود) فذكرنا علقمة بن إبراهيم وابن

←

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ قال جمعه له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحا ثم صورهم، ثم استنطقهم وتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ قال : فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئا، وإني سأرسل إليكم رسلا ينذرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتيب. قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يا رب لو سويت بين عبادك . قال : إني أحببت أن أشكر. وأري فيهم الأنبياء عليهم السلام

مسعود، وهذا أصح؛ لأن الأئمة ذكروا أن إبراهيم النخعي لم يسمع عن أحد من الصحابة كما في تهذيب التهذيب (١١٥/١) ١١٦- بسرقيم (٣٢٥) ولأن النخعي نفسه قال : " إذا حدثكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله " كما ذكر ذلك عنه المزني في تهذيب الكمال (٢٣٩/٢) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٩٧/٤) : (رواه الطبراني وفيه رجل ضعيف لم أسمه وبقية رجاله رجال الصحيح) ولعله يقصد به الإمام أبا حنيفة - رحمه الله - فقد تكلم فيه من قبل حفظه جماعة من الأئمة منهم الإمام البخاري ومسلم والنسائي وابن عدي وابن سعد وابن أبي حاتم وابن شاهين وابن حبان والدارقطني والحاكم وعبد الحق الإشبيلي وابن الجوزي والذهبي . نقل أقوالهم نصا العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٦٦١-٦٦٧ ضمن كلامه على حديث رقم : ٤٥٨) وكذلك نقل عن شعبة وابن معين وابن المديني توثيقه. ذكر أقوالهم محمد عوامة في تحقيقه لتقريب التهذيب (ص : ٥٦٣ في ترجمة النعمان بن ثابت ، أبي حنيفة برقم : ٧١٥٣) إلا أن الحديث له إسناد آخر فقد أخرجه سعيد بن منصور في سننه [بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي] (الطلاق، ب : جامع الطلاق ١٢٧/٢ ح : ٢٢٢١) فقال : نا هشيم نا منصور عن الحارث العكلي عن إبراهيم قال سئل ابن مسعود فذكر الحديث مثله . وهشيم هو ابن بشير الواسطي ، ومنصور هو ابن زاذان الواسطي و الحارث هو ابن يزيد العكلي وكلهم ثقات أثبات، بدور وأقمار إلا ما يخشى من تدليس هشيم بن بشير ولكنه صرح بالتحديث هنا، فزال احتمال تدليسه ، الحاصل أن الحديث بمجموع الطرق الثلاثة لا يقل عن درجة الحسن والله أعلم بالصواب .

مثل السرج عليهم النور، وخصوصاً بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى :
﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾^(١)
وهو الذي يقول : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾^(٢) وفي
ذلك قال : ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾^(٣) وفي ذلك قال : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن
وجدنا أكثرهم لفاستقن ﴾^{(٤) (٥)}.

وقد نص جماعة من أهل العلم منهم أبو جعفر النحاس^(٦) وابن عطية^(٧) وابن جزى الكلبي^(٨)
والثعالبي^(٩) وصالح المقبلي^(١٠) كما حكاه عنه صديق حسن خان^(١١) : على أن الأحاديث الواردة
في إخراج الذرية من ظهر آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم متواترة؛ أي : تواترا معنوياً.

(١) الأحزاب الآية : ٧

(٢) الروم الآية : ٣٠

(٣) النجم الآية : ٥٦

(٤) الأعراف الآية : ١٠٢

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على مسند أبيه (١٥٥/٣٥ - ١٥٦ ح : ٢١٢٣٢)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره
(١٦١٣/٥ برقم : ٨٥٣٣) مختصراً ، و في (١٦١٥/٥ برقم : ٨٥٣٧) مطولاً، وهذا لفظه؛ والطبري في تفسيره
(١١٥/٩)؛ وكـم (التفسير ، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعاً ومن الأنبياء خصوصاً ٣٢٣/٢) كلهم من طريق أبي
جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب من قوله ما عدا عبد الله بن الإمام أحمد فإنه رواه من طريق
عيسى بن عبيد بن مالك الكندي عن الربيع بن أنس به، وقد سبق الكلام في (ص : ٣٤١ - ٣٤٢) عن هذا الإسناد بأن
ربيع بن أنس صدوق له أوهام ، وخاصة فيما رواه عنه أبو جعفر الرازي وهذا منه، وأن أبا جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ
إلا أنه توبع هنا متابعه تامة إذ رواه عيسى بن عبيد بن مالك الكندي وهو صدوق كما في (تقريب التهذيب ص : ٤٣٩
برقم : ٥٣٠٩). قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وكذلك صحيح إسناده الشيخ أحمد
شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٣٨ - ٢٣٩ / ١٣ ح : ١٥٣٦٣)، والأقرب أنه حسن والله أعلم بالصواب .

(٦) انظر : معاني القرآن (١٠١/٣) .

(٧) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٤/٦) .

(٨) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٢٨/١) .

(٩) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٩٢/٣) .

(١٠) صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبلي اليميني الزيدي، عالم مشارك في التفسير وعلوم القرآن والحديث
وعلوم اللغة العربية وغيرها، توفي بمكة عام ١١٠٨ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٤/٥) .

(١١) انظر : فتح البيان (٧١/٥)، وعنه ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٩/٤) .

وقال ابن عبد البر بعد أن ذكر حديث عمر بن الخطاب السابق : (معنى هذا الحديث قد صرح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة) ^(١) وقال بعد أن أشار إلى روايات أخرى في الأخذ والإشهاد : (قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها، وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق) ^(٢) .

وقال الألباني بعد ما ذكر حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : (إن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة - وأبو أمامة ^(٣) وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما - ومعاوية بن أبي سفيان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري ^(٤)، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيداً من مقال، فإن بعضها يقوي بعضاً ... وجملة القول أن الحديث صحيح بل هو متواتر المعنى، وأنه لا تعارض بينه وبين آية أخذ الميثاق، فالواجب ضمه إليها وأخذ الحقيقة من مجموعهما) ^(٥) .

فهذه الأحاديث المذكورة فيها دلالة واضحة على أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، وأخذ منهم العهد والميثاق، وأنهم اعترفوا بوحداية الله تعالى وربوبيته، وأقروا بذلك بقولهم : بلى . وبه يتبين بطلان دعوى من زعم أنه ليس هناك إخراج للذرية من ظهر آدم ﷺ في عالم الغيب أو أن هذا الإشهاد والميثاق كان من باب التمثيل ولم يكن من باب الواقع والحقيقة، وأنه إقرار حالي دون القالي حسب زعمهم، أو أنه لم يثبت عن النبي ﷺ حديث يدل على أخذ الميثاق من بني آدم في عالم الذر بالإشهاد والاستنطاق ^(٦) .

(١) التمهيد (٦/٦) .

(٢) المصدر السابق (١٢/٦) .

(٣) حديثه عند الطبراني في (الكبير ٢٤١/٨ ح : ٧٩٤٠)؛ وفي (٣٢٥/٧ ح : ٧٦٣١)، وفيه ذكر الإخراج والإشهاد والاستنطاق، والحديث إسناده ضعيف جداً . انظر للتفصيل : أخذ الميثاق (ص : ٣٤-٣٥ ح : ٨) .

(٤) حديثه عند ابن أبي عاصم في (السنة ٨٩/١-٩٠ ح : ٢٠٣) وغيره، وإسناده ضعيف جداً . انظر للاطلاع على تخريجه والحكم عليه بالتفصيل : ظلال الحنة في تخريج السنة (٩٠/١ ح : ٢٠٣) .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٩/٤-١٦٢) .

(٦) انظر هذه الدعوى عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (رسالة في قنوت الأشياء ص : ١١-١٢)؛ وفي (درء تعارض العقل والنقل ٤٨٤/٨)، وابن القيم في (الروح ص : ٢٩١)؛ وفي (أحكام أهل النعمة ١٠٠٤/٢-١٠٠٦)؛ وابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢)؛ وفي (البداية والنهاية ٩٠/١)؛ وابن أبي العز في (شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٨) .

والذي يظهر لي أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الرابع وذلك لما يلي :

١- إن ما ذهبوا إليه موافق لما جاء عن النبي ﷺ في تفسير الآية وبيان المراد منها، ولا شك أن خير ما يفسر به القرآن هو الحديث النبوي .

٢- إن ما ذهبوا إليه موافق لما فهمه أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا شك أن فهمهم لنصوص الكتاب والسنة أحسن وأولى من فهم من جاء بعدهم لكونهم راعوا الأحداث وشاهدوا التزليل وعاصروا الرسول ﷺ ، ولفصاحة لغتهم وسلامة فطرتهم أكثر من غيرهم.

٣- إن هذا القول لا يلزم منه إنكار أحاديث رسول الله ﷺ كما هو الحال عند أصحاب القول الثاني الذين أنكروا أحاديث إخراج الذرية اعتمادا على عقلهم، وزعموا أن الرواة أخطؤوا في رواية هذه الأحاديث وفهمها، وأن العقل يستبعد وقوع ذلك ويستحيله^(١).

٤- إن هذا القول لا يلزم منه تأويل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الواردة في هذه المسألة تأويلا يصرفها عن ظاهرها وحقيقتها إلى ما يبعد المقصود منها بل يبطل مرادها ومعناها، كما هو الحال عند كل من زعم أن الميثاق لم يكن بالمقال في عالم الغيب بل هو ميثاق بالحال في عالم الشهادة، أي : بعد ولادة الناس في هذه الدنيا عن طريق الآباء والأمهات بالأدلة الكونية أو بالفطرة .

٥- إن الأدلة الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته كانت موجودة قبل أن يتزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات القرآنية على نبينا محمد ﷺ ، وهي باقية إلى الآن، وستكون باقية إلى يوم القيامة، ولذلك نبه الله عن دلالة هذه الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى، تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة دالة على الاستمرار في الحال والاستقبال. مثلا الليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية، وقال تعالى عنهما : ﴿ هو الذي جعل لكم الليل تسكوا فيه والنهار مبصر إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾^(٢) وقال أيضا : ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خير ﴾^(٣) وقال أيضا : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا

(١) انظر هذا الوجه والذي بعده في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٦٢) .

(٢) يونس الآية : ٦٧

(٣) لقمان الآية : ٢٩

إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿^(١)﴾ . فالتعبير عن هاتين الآيتين العظيمتين جاء بصيغة الماضي الدالة على وقوعهما بإذنه وقدرته فيما مضى من الزمان، وبصيغة المضارع الدالة على وقوع ذلك في الحاضر والمستقبل، وبصيغة الاستفهام والتقدير والتعجيز الدالة على أن ذلك لا يكون أبداً إلا بإذن الله وقدرته، وأنه إن أمسكه لا يستطيع أحد غيره أن يأتي به في أي حال من الأحوال . وكذلك خلق الله تعالى الناس على الفطرة التي تسوقهم إلى معرفة الله سبحانه وعبادته مستمر من خلق أول الناس إلى آخرهم؛ ولذلك جاء عنه التعبير في كلام الله وكلام رسوله ﷺ بما يدل على حدوث ذلك في الماضي، وبما يدل على استمراره في الحال والاستقبال . قال الله تعالى : ﴿ فَطَرْتُ اللهَ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ^(٢) وقال النبي ﷺ : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة)) ^(٣) .

وأما أخذ الميثاق والإشهاد الذي كان في عالم الذر فهو حدث حصل في الزمن الماضي وانتهى، وهو لم يتكرر منذ ذلك اليوم إلى الآن، ولا يتكرر إلى يوم القيامة، هذا الذي يتفق مع نصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك وبيان ذلك بما يلي ^(٤) :

أ - قال تعالى عن هذا الأمر العظيم والحدث الجليل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ الْبَيْعَ ﴾ وكلمة " إذ " تدل على الزمن الماضي المبهم، وهذا هو المشهور والغالب عند جمهور النحاة، وقد ترد للمستقبل إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك ^(٥) .

(١) القصص الآيات : ٧١-٧٣

(٢) الروم الآية : ٣٠

(٣) أخرجه خ (الجنائز، ب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ... ٤٥٦/١ : ١٢٩٣)؛ وم (القدر، ب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... ٢٠٤٧/٤ : ح : ٢٦٥٨) .

(٤) انظر الإشارة إلى بعض الوجوه التالية في (أخذ الميثاق ص : ٥٩) .

(٥) انظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص : ٥٩)؛ ومغني اللبيب عن كتب الأعراب (٨٠/١ - ٨٤)؛

والمساعد على تسهيل الفوائد (١٦/١ - ٤٩٩ - ٥٠٠)؛ ومصاييح المعاني في حروف المعاني (ص : ٧٩ - ٨٣)؛

وضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣١٢/٢) .

ب _ إن كلمة " إذ " لا تستعمل إلا مضافة إلى جملة. فإن أضيفت إلى جملة فعلية لا بد أن يكون فعلها ماض لفظاً ومعنى نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ ^(٣) .

أو يكون فعلها ماض معنى لا لفظاً ^(٤) نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ ^(٥) ؛ أي : وإذ رفع . وقوله تعالى : ﴿ وإذ يكررك الذين كهروا ﴾ ^(٦) ؛ أي : إذ مكر . وقوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ ^(٧) ؛ أي : إذ قلت ؛ لأنها أخبار كانت في الماضي حدثت قبل زمن التكلم والإعلام بها، مع أن صيغتها صيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال . فكلما " إذ " إذا دخلت على الفعل لا بد أن يكون فعله متعلقا بالماضي ولو لم يكن صيغته صيغة الماضي، فكيف وقد دخلت في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك ... ﴾ على الفعل الماضي بصيغة الماضي ؟

فيتين من استعمال كلمة " إذ " أن هذا الإخراج والإشهاد كان في الماضي، وأنه لا يصح تفسير أخذ الميثاق والإشهاد بالأدلة الكونية أو الفطرة لعدم اختصاصها بالزمن الماضي بل هي مستمرة موجودة، وستبقى إلى يوم القيامة ، والله أعلم بالصواب .

ج - جاء في حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال : ((لما خلق الله آدم مسح ظهره ...)) ولما في كلام العرب على ثلاثة أنواع ^(٨) :

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) البقرة الآية : ٣٤

(٣) ص الآية : ٧١

(٤) انظر : مغني اللبيب (٨٤/١) .

(٥) البقرة الآية : ١٢٧

(٦) الأنفال الآية : ٣٠

(٧) الأحزاب الآية : ٣٧

(٨) انظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص : ٢٨٤/٢٨١) ؛ ومغني اللبيب عن كتب الأعراب

(٢٧٨-٢٨١) ؛ ومصباح المغاني في حروف المعاني (ص : ٣٩٨-٤٠١) ؛ وضياء السالك إلى أوضح

المسالك (٣١٤/٢) ؛ ومعجم القواعد العربية في النحو والصرف (ص : ٣٨٩-٣٩٠) .

١- لما الجازمة : وهي تختص بالمضارع فتحزمه و تصرف دلالة إلى الماضي المنفي . نحو قوله تعالى : ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ ^(١) ؛ أي : ما دخل الإيمان في قلوبكم إلى الآن .

٢- لما الاستثنائية : تكون بمعنى إلا نحو قوله تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ ^(٢) ؛ أي : إلا عليها حافظ .

٣- لما الظرفية وتسمى أيضا لما الحينية : وهي مختصة بالماضي ولا تدخل على المضارع أصلا نحو قول تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ ^(٣) .

و"لما" الوارد في قول النبي ﷺ : ((لما خلق الله آدم ...)) لا يمكن أن تكون جازمة نافية، كما لا يمكن أن تكون استثنائية، وإنما هي ظرفية فتكون خاصة بالماضي، ويؤكد كونها حينية ما ورد في حديث أبي الدرداء ؓ مرفوعا إلى النبي ﷺ بلفظ : ((خلق الله آدم حين خلقه ...)) فهذا يدل على أن أخذ الميثاق من بني آدم وإشهادهم على أنفسهم كان في الماضي، فلا يصح تفسيره بما هو مستمر إلى الآن، وبما سيستمر إلى يوم القيامة مثل الأدلة الكونية أو الفطرة التي تكون مستمرة إلى يوم القيامة، والله أعلم بالصواب .

د - قال الله تعالى : ﴿ أخطر بك ﴾ ... ﴿ وأشهدهم ﴾ ... ﴿ ألسنت بربكم ﴾ ... ﴿ قالوا بلى شهدنا ﴾ ، وهذه كلها من صيغ الفعل الماضي الدالة على وقوع هذا الحدث العظيم قبل زمان التكلم والإعلام به والإخبار عنه .

هـ — وجاء الإخبار عن الأمر العظيم على لسان المصطفى ﷺ بقوله : ((فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)) وبقوله : ((إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه، فاستخرج منه ذرية ...)) وبقوله : ((لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ، ثم عرضهم على آدم ...)) وبقوله : ((خلق الله تعالى آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء، كأثم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء، كأثم

(١) الحجرات الآية : ١٤

(٢) الطارق الآية : ٤

(٣) الأعراف الآية : ١٤٣

الحمم ...)) ويقول: ((إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفسهم : أأست بربكم؟ قالوا: بلى . ثم أفاض في كفيه، فقال : هؤلاء في الجنة هؤلاء في النار...)) ويقول: ((أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا . قال : «أأست بربكم قالوا بلى ...»)) ويقول: ((أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم : أأست بربكم؟ قالوا : بلى ...)). فهذه كلها من صيغ الفعل الماضي الدالة على حدوث هذا الأمر العظيم في زمن مضى وانتهى قبل زمان التكلم والإخبار به بخلاف خلق الله الناس على الفطرة أو الأدلة الكونية فهي موجودة قبل زمان الإخبار وبعده، وستكون مستمرة إلى يوم القيامة. فلو كان المقصود بها الأدلة الكونية أو الفطرة لم يرد دائما في كلام الله وكلام رسوله ﷺ بصيغة الماضي، الدالة على وقوعه قبل زمان التكلم بل لأتى به على وجوه مختلفة ليفهم منه الدلالة على الماضي والحال والاستقبال كما هو الحال عند ذكر الأدلة الكونية أو الفطرة، كما قد سبق بيانه وتقريره، وبذلك يتبين أن حمل هذه الآيات بالميثاق الأول في عالم الغيب أولى وألصق بدلالة نصوص الكتاب والسنة وألفاظها، والله أعلم بالصواب .

٦ - إن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق من بنى آدم في ذلك الوقت وخاطبهم قائلا : «أأست بربكم». فلو كان المراد به الفطرة أو الأدلة الكونية دون أخذ الله عنهم الميثاق القولي لكانت الفطرة أو الأدلة الكونية هي القائلة : «أأست بربكم» وهذا باطل إذ لا يليق ذلك إلا بالله سبحانه وتعالى .

٧ - لو كان المراد بهذه الآيات التعريف والإخبار عن وحدانية الله تعالى وربوبيته عن طريق الفطرة أو الأدلة الكونية دون أخذ الله عنهم الميثاق القولي لجاء الخطاب على لسان الفطرة أو الأدلة الكونية { أليس الله هو ربكم } بدل أن يقول الباري جل وعلا : «أأست بربكم» .

٨ - قد نص جماعة من أهل العلم على أن الأحاديث الواردة في إخراج الذرية من ظهر آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم متواترة؛ أي : تواترا معنويا ، ولا شك أن ذلك يعطي القول قوة وثقلا على الأقوال الأخرى .

٩ - وكذلك حكى إسحاق بن راهويه إجماع أهل العلم على الإشهاد والاستنطاق، وهذا أيضا يرجح جانب الإشهاد والاستنطاق وأخذ الميثاق القالي .

يتبين مما سبق أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الرابع وهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم ﷺ من ظهره في عالم الغيب قبل عالم الشهادة الذي نحن فيه، وأنه سبحانه وتعالى أخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، وأنهم جميعاً اعترفوا بذلك وأقرّوا به قولاً، وقد يمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال بالإشهاد، والاستنطاق، وأخذ الميثاق في عالم الدر، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية بالتفصيل، وأن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي تشهد بأن الله هو الرب وحده، لا شريك له، فهي من آثار ذلك الميثاق^(١)، وأن الأدلة التي نصبها الله تعالى في الكون من سماء وأرض وجبال وبحار ... وما إلى ذلك من المخلوقات الكثيرة العجيبة الدالة على كونها مخلوقة مربوبة، والدالة على وحدانية الله وربوبيته واستحقاقه وحده العبادة كلها، فهذا مما يؤكد ما دلت عليه الفطرة، وبهذا تنسجم الأقوال^(٢) إلا أنه لا يصح أن يقال أن المقصود بها الأدلة الكونية فقط أو الفطرة فقط أوهما معا دون القول بأخذ الميثاق والإقرار والاستنطاق، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٣/٤) .

(٢) انظر : معارج القبول (٩٢/١ - ٩٤) .

دعوى الرافضة أن الله أخذ الميثاق من بني آدم في عالم الذر لإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وإمارته وبيان بطلانها :

تزعّم الرافضة أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، وسمّاه أمير المؤمنين لما أخذ الميثاق منهم على وحدانيته وربوبيته في عالم الذر، وأن ذلك دليل على كونه أولى بالخلافة دون غيره^(١)، وقد يضيفون أئمتهم الآخرين مع علي عليه السلام فيزعمون أن الميثاق أخذ من بني آدم لجميع أئمتهم^(٢).

وقد استدلووا على زعمهم في دعوى^(٣) أن علي بن أبي طالب عليه السلام سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق بما نسب إلى حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد. قال الله عز وجل : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ﴾ قالت الملائكة: بلى . قال تبارك وتعالى : أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم^(٤).

ولا شك أن ما ادعت به الرافضة دعوى باطلة، وبيان بطلانها وفسادها من وجوه، وهي كما يلي^(٥):

أولاً : يطالب منهم أن يبينوا صحة هذا الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ؛ فإن مجرد

(١) انظر : تفسير القمي (٢٤٧/١ ، الأعراف : ١٧٢)؛ وانظر : منهاج السنة النبوية (٢٨٨/٧ - ٢٨٩)؛
والشيعية والقرآن (ص : ٢٢٣ - ٢٢٦) وقد ذكر بضعة عشر رواية من مختلف كتب الشيعة على ذلك منسوبة
إلى أبي عبد الله الصادق وأبي جعفر الباقر وهما بريتان منها . وكسر الصنم للبرقي - وكان منهم ثم وفقه الله
للهداية إلى السنة - (ص : ٢٨٤)، وبين بطلانها باختصار .

(٢) انظر : تفسير القمي (٢٤٧/١) .

(٣) لم يذكروا دليلاً على دعواهم أن الميثاق كان أخذ من بني آدم في عالم الذر للإيمان بإمامة أئمتهم، والطاعة لهم، وإنما
ذكروا دليلاً وأهياً على دعواهم أن علياً عليه السلام سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق، وأن ذلك دليل على كونه أولى بالخلافة من
غيره، ولذلك أركز في الرد عليهم على دعواهم أن علياً عليه السلام سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق لأنه إذا علم بطلان دعوى أخذ
الميثاق لإمامة علي أو تسميته أمير المؤمنين يوم الميثاق علم بطلان دعوى أخذ الميثاق لغيره من أئمة الشيعة من باب أولى .

(٤) ذكره الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب ٣/٣٥٤ ح : ٥٠٦٦) من غير إسناد .

(٥) هذه الوجوه كلها مستفادة مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة ٢٨٩/٧ - ٢٩٢) .

ذكر الديلمي ^(١) لهذا الحديث في كتابه لا يدل على أن الحديث صحيح، وإن كان هو من أهل العلم والدين ولم يكن يكذب ولكنه لما نقل ما في كتب الناس والكتب فيها الصدق والكذب وقع في كتابه شيء كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

ثانيا : إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

ثالثا : إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن الميثاق في كتابه الكريم بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . فالقرآن الكريم ليس فيه ذكر النبي، ولا الأمير، بل هو ميثاق على التوحيد خاصة، ويؤيد ذلك ما يأتي ذكره في الوجه التالي .

رابعا : قال تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فهذا يدل على أنه ميثاق التوحيد خاصة وليس فيه ميثاق النبوة، فكيف يصح دعوى أخذ الميثاق لما هو دون النبوة من الإمامة والإمامة .

خامسا : لم يرد في شيء من الأحاديث الواردة في تفسير آية أخذ الميثاق من بني آدم التي ذكرها أصحاب الكتب المعتمدة المسندة المشهورة من التفسير والحديث وغيرها ما يدل على أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق، أو أنه أخذ الميثاق من بني آدم في ذلك اليوم على إمارة علي عليه السلام أو إمامة أحد غيره من أئمة الشيعة الرافضة . فلو كان هناك أصل لهذا القول من الحديث لذكره أصحاب الكتب المشهورة المسندة المعتمدة ولم يهمله كلهم ، فهذا يدل أن هذه دعوى كاذبة ليس لها أصل من الشريعة ^(٢) .

سادسا : لا شك أن الميثاق أخذ على جميع ذرية آدم فيلزم من دعوى الرافضة الباطلة أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام أميرا على جميع بني آدم، ولا شك أن هذا باطل، وبيان ذلك بما يلي : أ - إنه يلزم منه أن بني آدم الذين كانوا قبل علي عليه السلام أنهم كانوا داخلين في إمامته وإمارته، وهذا كلام غير معقول إذ كيف يكون علي عليه السلام - وقد وُلدَ بعد آلاف كثيرة من السنين - إماما على من مات قبله من ملايين البشر منذ عهد آدم عليه السلام ؟

(١) هو شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمداني، محدث عالم حافظ مؤرخ، توفي سنة ٥٠٩ هـ . انظر :

سير أعلام النبلاء (٢٩٤/١٩ - ٢٩٥) .

(٢) قد سبق ذكر مجموعة من الأحاديث النبوية التي وردت في تفسير آية الميثاق في (ص : ٦٠٥ - ٦١٢) .

ب - إنه يلزم منه أن الأنبياء والمرسلين من عهد آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ كلهم كانوا داخلين في إمامته وإمارته وهذا غير معقول - كالوجه السابق - لأنهم متقدمون عليه في الزمن والمرتبة ، فهذا ممتنع شرعا وعقلا .

وغاية ما يمكن أن يكون علي عليه السلام إماما لأهل زمانه، أميرا عليهم وأما إمامته على من خلق قبله ومن يخلق بعده فهذه دعوى من لا يعقل ما يقول، ولا يستحي فيما يقول .
هذه الوجوه المتقدمة تدل على بطلان دعوى الرافضة أن علي بن أبي طالب عليه السلام سمي أمير المؤمنين يوم أخذ الله تعالى الميثاق من بني آدم علي وحدانيته وربوبيته ، كما أنها تدل على بطلان دعواهم أن الميثاق أيضا كان أخذ من بني آدم لإمامة أئمتهم ، فهذه كلها دعوى باطلة كاذبة، لا يقرها الدين، ولا العقل السليم، وإنما يقول بها من لا يدري ما يقول، ولا يستحي مما يقول .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ ^(١) .

(١) آل عمران الآية : ٨

المطلب الثاني : مكان أخذ الميثاق .

المكان الذي أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره وأخذ منهم الميثاق على وحدانيته وربوبيته اختلفت أقوال أهل العلم في بيانه، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، مع بيان الراجح منها والله الموفق.

القول الأول : أخرج الله ذرية آدم من ظهره عليه السلام في الجنة . هذا القول منسوب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

القول الثاني : كان ذلك في السماء الدنيا بعد أن أخرج الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة . هذا القول محكي عن السدي ^(٢).

القول الثالث : كان إخراج الذرية وأخذ الميثاق منهم بالوادي الذي هبط فيه آدم من السماء إلى الأرض في الهند . وهذا القول محكي عن ابن عباس ^(٣).

القول الرابع : كان ذلك بين مكة والطائف . هذا القول محكي عن الكلبي ^(٤).

القول الخامس : كان ذلك في بطن نعمان - واد بجانب عرفة - . وهذا القول ذهب إليه ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(٥).

(١) نسبه إليه الجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)، وذكره ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١) من غير تعيين قائله .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩) بإسناد فيه انقطاع؛ ونسبه إليه البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ والقرطبي في تفسيره (٣١٦/٧) وحافظ بن أحمد حكى في (معارج القبول ١/٩٠)، وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٦) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١١/٩) وإسناده فيه نظر، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥٥٣) من هذا البحث .

وقد ذكر هذا القول منسوباً إلى ابن عباس البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ والقرطبي في (الجامع لأحكام

القرآن ٧/٣١٦)؛ وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٧٨)؛ وحافظ بن أحمد حكى في

(معارج القبول ١/٩٠)؛ وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٥)، وذكره من غير تعيين قائله الجمل في

(الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧) .

(٤) ذكره منسوباً إليه البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب

٩/٣٧٨)؛ والجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ وحافظ بن أحمد حكى في (معارج القبول ١/٩٠)؛

والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)؛ وذكره مع إهام قائله ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١)؛

وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٥) .

(٥) هذا القول مروى عنه من عدة طرق وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص : ٦٠٩ - ٦١٠)، وذكره عنه غير واحد من

المفسرين وشرح الحديث منهم البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ والقرطبي في (الجامع في أحكام القرآن ٧/٣١٦)؛

وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٧٨)؛ والجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ وحافظ

الحككي في (معارج القبول ١/٩٠)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)؛ وعبد العزيز العثيم في (أخذ

الميثاق ص : ٤٥)؛ وذكره من غير تعيين قائله ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١) .

وأرجح هذه الأقوال هو القول الخامس لأنه مأخوذ من الحديث النبوي، وإن كان الجهل بمكان إخراج الذرية، وإشهادهم، وأخذ الميثاق منهم، لا يضر بعد صحة الاعتقاد بإخراجهم وأخذ العهد منهم^(١) والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢٠٨/٢)؛ وأوجز المسالك (٩٧/١)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٤٦) .

المطلب الثالث : رؤية النبي ﷺ نسّم بني آدم في المعراج

عن يمين آدم عليه السلام وشماله.

لما عرج برسول الله ﷺ إلى السماء التقى في السماء الدنيا بأبي البشر آدم عليه السلام، ورأى أسودة عن يمينه، وأسودة عن يساره، ورآه إذا نظر عن يمينه استبشر وضحك، وإذا نظر إلى شماله حزن وبكى، فسأل جبريل، فأخبره أن هذه الأسودة عن يمينه وشماله نسّم بنيّه، فأهل اليمين أهل الجنة، وأهل الشمال أهل النار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث : أن رسول الله ﷺ قال : فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فتزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لحازن السماء : افتح. قال : من هذا؟ قال : هذا جبريل. قال : هل معك أحد؟ قال : نعم معي محمد ﷺ. فقال : أرسل إليه؟ قال : نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، وإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال : مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح. قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسّم بنيّه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. حتى عرج بي إلى السماء الثانية ... الحديث (١).

وهذه الأسودة جاء بياها في الحديث نفسه أنها نسّم بني آدم، والنسّم هي الأرواح، فظاهر الحديث يدل على أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام وشماله وهو مشكل . قال القاضي عياض : (قد جاء أن أرواح الكفار في سجين، ... وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة) (٢)، يعني فكيف تكون مجتمعة عن يمين

(١) أخرجه خ (الصلاة) ب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/ ١٣٥ ح : ٣٤٢)، واللفظ له؛ وم (الإيمان)

ب : الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات ١/ ١٤٨ ح : ١٦٣ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٠٣) .

آدم وشماله في سماء الدنيا ؟

ثم أجاب عنه بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم ﷺ في أوقات دون أوقات، فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ، أو أنها تكون في الجنة أو النار في أوقات دون أوقات^(١)، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾^(٢)، وكذلك ما جاء في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة^(٣).

ولكن اعترض على هذا القول بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾^(٤). ومصدق هذا ما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : ((... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه... ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ". قال : " فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ... فيصعدون بها؛ فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى،

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) غافر الآية : ٤٦

(٣) أخرجه خ (الجناز، ب : الميت يعرض عليه بالغداة والعشي ٤٦٤/١ ح : ١٣١٣)، واللفظ له؛ وم (الجنة

وصفة نعيمها وأهلها، ب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ... ٢١٩٩/٤ ح : ٢٨٦٦) .

(٤) الأعراف الآية : ٤٠

فتطرح روحه طرحاً "، ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ ^(١) ... الحديث ^(٢) فهذا يدل على أن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء فكيف تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء ^(٣) ؟

وأجيب عن هذا الاعتراض والإشكال بأنه يحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم، والنار في جهة شماله، فكانت أرواح السعداء عن يمينه في الجنة في جهة العلو، وكانت أرواح الأشقياء في النار في جهة السفلى وكان يكشف له عنهما حتى ينظر إلى أهلهما، ولا يمتنع عرض تلك الأرواح على آدم عليه السلام وإن كانت بعيدة عنه، فقد عرض على النبي ﷺ الجنة والنار هو يصلي بالناس صلاة الكسوف في مسجده ^(٤). وهذا التوجيه ذكره جماعة كبيرة من شراح الأحاديث ^(٥).

ويمكن أن تكون النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد، وهي مخلوقة قبل الأجساد، ومبتقرةها عن يمين آدم وشماله، وقد أعلم بما سيصيرون إليه؛ فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه، ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره. قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني ^(٦)، وذكره غير واحد من شراح الحديث ^(٧).

ويمكن أن تكون هي الأرواح التي خرجت من الأجساد حين خروجها، قبل أن تكون مستقرة، ولا يلزم من رؤية آدم عليه السلام لها، وهو في السماء الدنيا أن يفتح لها أبواب السماء،

(١) الحج الآية : ٣١

(٢) هذا حديث صحيح مشهور وقد سبق تحريجه في (ص : ١٣٥) .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢١٩)؛ وفتح الباري (١/٤٦١)؛ وعمدة القاري (٢/٤٣-٤٤)؛ والتوشيح شرح الجامع الصحيح (٢/٤٥٢)؛ والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (١/٢٠٢)؛ وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٦/٣٠٩)؛ وفتح الملهم شرح صحيح مسلم (١/٢١٧) .

(٤) انظر الأحاديث المروية في ذلك عن عدد من الصحابة منهم : أم المؤمنين عائشة، وأسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله، وابن عباس - رضي الله عنهم - عند الإمام مسلم في صحيحه (ك : الكسوف ٢/٦١٨-٦٢٧ ح : ٩٠١-٩٠٧) .

(٥) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٠٣)؛ والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٤/٥)؛ وإكمال إكمال المعلم (١/٣١٦-٣١٧)؛ ومكمل إكمال الإكمال (١/٣١٦)؛ وإرشاد الساري (٢/٦)؛

وروج المعاني (١٥/١٦٢)؛ والمصادر المذكورة في الهامش رقم : (٣) .

(٦) انظر : فتح الباري (١/٤٦١) .

(٧) انظر : عمدة القاري (٢/٤٤)؛ وفتح الملهم (١/٢١٧)؛ وكوثر المعاني الدراري (٦/٣١٠) .

وهذا آخر القولين للحافظ ابن حجر في المسألة ^(١)، وذكره غير واحد من شراح الحديث ^(٢).
وهذا القول يؤيده حديثان ضعيفان وهما :

١ - ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : ((... فإذا هو بشيخ جالس تام الخلق لم ينقص من خلقه شيئا، كما ينقص من خلق البشر، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن. فقال : يا جبريل من هذا الشيخ ؟ وما هذان البابان؟ فقال : هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، وإذا رأى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله باب جهنم، فإذا رأى من يدخله من ذريته بكى وحزن ... الحديث ^(٣).

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((... فإذا أنا بآدم كهيفة يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة، ونفس طيبة، اجعلوها في عليين . ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول : روح خبيثة، ونفس خبيثة، اجعلوها في سجين ... الحديث ^(٤).
وهذا التوجيه كان أحسن من جميع ما تقدم من الوجوه، وكان المصير إليه أولى وأوجب لو صح الحديث، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر : فتح الباري (٢٠٩/٧ - ٢١٠) .

(٢) انظر : فتح الملهم (٢١٧/١)؛ وكوثر المعاني (٣٠٩/٦ - ٣١٠) .

(٣) أخرجه البزار كما في (كشف الأستار ٣٨/١ - ٤٥ : ح ٥٥) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة مرفوعا . قال البزار : (وهذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧٢/١) : (رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعه مجهول)، وبالإضافة إلى جهالة التابعي التي أشار إليه الهيثمي في هذا الإسناد كلام من وجه آخر؛ لأن فيه الربيع بن أنس البكري، وهو صدوق له أوهام، ولا سيما إذا روى عنه أبو جعفر الرازي، وهذا منه وأيضا أبو جعفر صدوق سيء الحفظ يهمل كثيرا لا يحتج بما تفرد به، وأيضا في متن هذه الرواية في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، كما أشار إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢١/٣)؛ وقد سبق الكلام عن هذا الإسناد في (ص : ٣٤١ - ٣٤٢) .

(٤) أخرجه السهقي في دلائل النبوة (٣٩٠/٢ - ٣٩٦) وفي إسناده أبو هارون العبيدي وهو عمارة بن جُوَيْن، شيعي متروك، وكذبه غير واحد من الأئمة كما ذكر الحافظ ابن حجر عنهم في (تهذيب التهذيب ٢٥٩/٤ برقم : ٥٥٧٢)، وضعف سنده في (فتح الباري ٤٦٢/١) .

المبحث الرابع : مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

فيه تمهيد وثلاثة مطالب .

التمهيد : بيان أهمية الإيمان بالقدر وذكر مراتبه .

أولا : أهمية الإيمان بالقدر : الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان؛ فلا يكون الشخص مؤمنا إلا بالإيمان به . قال النبي ﷺ - حين سأله جبريل عن الإيمان - : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))^(١).

ثانيا : درجات القدر ومرتبه : القدر له أربع مراتب :

١ - العلم، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم أزلا وأبدا، فلا يتحدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾^(٢). فهذه الآية تبين أن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وحده لا شريك له الذي من صفاته أنه قد أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه شيء كائن ما كان^(٣).

٢ - الكتابة، فنؤمن أن الله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ عَلَى اللَّهِ سِيرٌ ﴾^(٤). فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى علمه محيط بكل ما في السماء والأرض، وأنه لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، مستقدمها ومتأخرها. وذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبتته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالآية جمعت في الدلالة على المرتبتين : العلم والكتابة^(٥).

(١) جزء من حديث جبريل عليه السلام، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦) .

(٢) طه الآية : ٩٨

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٦٩٢، طه : ١٩٨) .

(٤) الحج الآية : ٧٠

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٧٤٢، الحج : ٧٠) .

٣- المشيئة، فنؤمن بأن الله قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾ ^(١) فلو شاء الله لجعلكم تبعا لشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، ابتلاء واختبارا لكم، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاءه - سبحانه - فهذا دليل على مرتبة المشيئة ^(٢) .

٤ - الخلق، فنؤمن بأن الله خالق كل شيء . قال تعالى : ﴿ قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون ﴾ ^(٣) ؛ أي خلقكم وعملكم ^(٤) .

المراتب الأربعة شاملة لما يكون من الله تعالى ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال وأفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى ومكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها والله أعلم بالصواب ^(٥) .

(١) المائدة الآية : ٤٨

(٢) انظر : فتح القدير (٤٨/٢ ، المائدة : ٤٨) ؛ و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢٨٥-٢٨٦) .

(٣) الصافات الآيتان : ٩٥-٩٦

(٤) انظر : زاد المسير (٧٠/٧ ، الصافات : ٩٥-٩٦) ؛ و تفسير القرآن العظيم (١٣/٤) .

(٥) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (ص : ٥٤) ، [ضمن المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجلد

الأول من المجموعة الأولى] ؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٢٠٦/٣-٢٠٨) .

المطلب الأول : دلالة مناظرة موسى وآدم - عليهما السلام - على كتابة مقادير الخلاق قبل خلقهم .

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، والقدر له مراتب ودرجات، كما سبق ذكره قريبا، ومن أهم تلك المراتب : الإيمان بكتابة الله مقادير الخلاق قبل خلقهم في اللوح المحفوظ، ومما يدل على أن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير الخلاق قبل خلقهم المناظرة التي جرت بين آدم وموسى - عليهما السلام - كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ^(١) .

٢ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي ﷺ أن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم ، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك قال نعم . قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال : نعم . قال : أ فمما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال : فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي . قال رسول الله ﷺ عند ذلك : فحج آدم موسى، فحج آدم موسى عليهما السلام ^(٢) .

(١) حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٢) إسناده حسن، وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص : ١٨٩) .

٣-٥ : وكذلك هذا الحديث رواه عن النبي ﷺ أبو موسى الأشعري وجندب بن عبد الله البجلي وأبو سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم - بألفاظ متقاربة ^(١).
 هذه الأحاديث النبوية الكريمة تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم قبل أن يخلق آدم ﷺ أنه سيأكل من الشجرة المحرمة فكتب ذلك وقدره عليه ... ولذلك لما عاتبه كليم الله موسى ﷺ على إخراج نفسه وذريته من الجنة بأكله من الشجرة المحرمة أجابه أبو البشر آدم ﷺ قائلا : أنت عبد من عباد الله المقربين، وني من أنبيائه، وقد أعطيت التوراة، وتعلم جيدا أن ذلك كان مقدورا علي، مكتوبا في كتاب الله، ومع ذلك تلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني ؟ فقال النبي ﷺ : فحج آدم موسى؛ أي غلبه في إقامة الحجة عليه، والإجابة على معاتبته له .

والتقدير الذي أشار إليه آدم ﷺ بقوله لموسى ﷺ : ((أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟)) فهذا تقدير بعد التقدير الأول العام ^(٢) السابق بخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لقول النبي ﷺ : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) ^(٣).

(١) حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٦/١ ح : ١٤٤)، والخطيب في تاريخه (ترجمة أحمد بن محمد بن مؤمل أبي بكر الصوري ، ١٠٣/٥ برقم : ٢٥٠٣) . قال الألباني في تعليقه على السنة : (حديث صحيح، إسناده لا بأس به في الشواهد، رجاله ثقات غير أبي الحباب خالد بن الحباب البصري. قال ابن أبي حاتم الرازي عن أبيه " شيخ يكتب حديثه " وقال غيره : ليس بذلك) .

وحديث جندب بن عبد الله البجلي ﷺ أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩٨/٣ ح : ١٥٢٨) وابن أبي عاصم في السنة (٦٦/١ ح : ١٤) وغيرهما. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩١/٧) : (رواه أبو يعلى وأحمد بنحore والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح) . وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صحيح إن كان الحسن سمعه من جندب) وذكره مفصلا في السلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٧٧/٢ - ٥٧٨ ح : ٩٠٩) .

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤١٤/٢ ح : ١٢٠٤) موقوفا، وكذلك أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٥/١ ح : ١٤٢) موقوفا ولكن قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩١/٧) : (رواه أبو يعلى والبخاري ومرفوعا ورجالهما رجال الصحيح) . وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو موقوف في حكم المرفوع) .

(٢) انظر : شفاء العليل (ص : ١٣) .

(٣) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، أخرجه م (القدر، ب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - ٢٠٤٤/٤ ح : ٢٦٥٣) .

المطلب الثاني : معنى قول النبي ﷺ : ((فحج آدم موسى)) عليهما السلام .

أخبر النبي ﷺ أن المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام حول أكل الأبوين من الشجرة المحرمة في الجنة، وما ترتب على ذلك من خروجهما من الجنة، وحصول التعب والمشقة لهما، ولذريتهما كانت الحجة فيها لآدم عليه السلام، وقد اختلفت آراء أهل العلم في توجيه حجة آدم على موسى على أقوال^(١)، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

● قيل : إنما حج آدم موسى عليهما السلام ؛ لأنه أكبر منه وأقدم أو لأنه أبوه، فحجه كما يحج الرجل ابنه .

وهذا التوجيه غير صحيح؛ لأن الحق يجب الأخذ به والمصير إليه والتعويل عليه سواء كان مع الكبير أو الصغير ، مع الأب أو الابن، مع العبد أو السيد ... وهو الذي به الفوز والفلاح والنجاة^(٢) .

● وقيل : إن آدم حج موسى ؛ لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة أخرى .

وهذا التوجيه كالذي قبله ؛ لأن أمة محمد ﷺ تلوم الأمم التي قبلها المخالفة لرسالتها وإن كانت لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادة هذه الأمة على من قبلها من الأمم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم^(٣) .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب . فتسأل أمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته . فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾^{(٤) (٥)} .

(١) انظر الأقوال الآتية مع الإشارة إلى بطلانها ما عدا آخرها - في : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٥/٨) ؛ ومنهاج السنة (٨٠-٧٩/٣) ؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٨/٨-٤١٩) ؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٦-٧٥٧/٢) ؛ وشفاء العليل (ص : ١٤) ؛ ودفع الشبهة والغرر عن المحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٧-٧٩) ؛ والبداية والنهاية (٨٤/١) ؛ والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٢٠-٤٢٣) .

(٢) انظر : شفاء العليل (ص : ١٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) البقرة الآية : ١٤٣ .

(٥) أخرجه خ (الاعتصام بالكتاب والسنة، ب : قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ ٢٦٧٥/٦ ح : ٦٩١٧) .

● وقيل : إنما حج آدم موسى - عليهما السلام - لأنه لأمه في غير دار التكليف، ولو لأمه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه .

وهذا التوجيه فاسد لأمرين :

١ - أن آدم عليه السلام لم يقل له : إنك لمتني في غير دار التكليف، وإنما قال : ((أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟)) .

٢ - أن الله سبحانه وتعالى يلوم الملوّمين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت، ويلومهم يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ ^(١) وقال تعالى عن أهل النار أنهم يقولون يوم القيامة : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ^(٢) وقال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود ﴾ * وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ^(٣) والآيات الدالة على لوم الملوّمين في الآخرة وتنكيلهم كثيرة .

● وقيل : إنما حج آدم موسى لأنه كان قد تاب مما حصل منه، والتائب من الذنب كما لا ذنب له، فلا يجوز لومه .

وهذا التوجيه وإن كان أقرب مما قبله إلا أنه أيضاً غير صحيح لما يلي ^(٤) :

١ - أن آدم عليه السلام لم يذكر ذلك في جوابه، ولا جعله حجة على موسى عليه السلام ، ولم يقل : أتلومني على ذنب قد تبت منه .

٢ - أن موسى عليه السلام أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد تاب على فاعله وهداه واجتباها؛ فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعلوه فضلاً عن كليم الله موسى عليه السلام .

٣ - أن هذا يستلزم منه إلغاء ما علق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه .

(١) الأعراف الآية : ٤٤

(٢) المؤمنون الآيتان : ١٠٧-١٠٨

(٣) هود الآيتان : ٩٨-٩٩

(٤) انظر : شفاء العليل (ص : ١٤ و ١٧) .

● وقيل : إنما حجه؛ لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليفة، وتفرّد الرب سبحانه وتعالى بربوبيته، وقالوا : إن مشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة؛ لأنه شهد نفسه عدماً محضاً، قالوا : ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم، وهذا قول بعض الصوفية^(١).

وهذا التوجيه من أفسد التوجيهات للحديث قال ابن القيم : (وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث ... فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جان على جنايته، ولا ظالم على ظلمه، ولا ينكر منكراً أبداً...)^(٢) وسيأتي ذكر وجوه أخرى تدل على بطلان هذا المسلك .

● والصواب : إن موسى عليه السلام لام أبا البشر آدم عليه السلام من أجل المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والحنة بسبب خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، ولهذا قال : ((أخرجتنا ونفسك من الجنة))، وآدم عليه السلام احتج بالقدر على المصيبة وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة في القدر قبل خلقي، فكان احتجاجه بالقدر على المصيبة دون المعصية، والعبد المؤمن مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، لا عند الذنوب والمعاصي، ومأمور بالصبر على المصائب والاستغفار من المعاصي. قال تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾^(٤).

وآدم عليه السلام لما وقع في مخالفة الأمر الإلهي ندم وتاب إلى الله من ذنبه واستغفر، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره، فصبر على ما أصابه ورضي بما قضى له؛ لذلك قال النبي ﷺ : ((فحج آدم موسى))؛ لأن الإيمان بالقدر والرضا بما قدر له غاية الإيمان وكماله، والله أعلم بالصواب^(٥).

(١) انظر : المصدر السابق نفسه؛ ومنهاج السنة النبوية (٢٤/٣)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٤٠/٢) .

(٢) شفاء العليل (ص : ١٤) .

(٣) غافر الآية : ٥٥

(٤) التغابن الآية : ١١

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٢ - ١٠٩ ، ٣٢٦ - ٣٢٥ ، ١٠٨/٨ ، ١٧٨ ، و ٩٦/١٧ - ٩٧)؛ ومنهاج السنة (٨٣ ، ٨٠/٣)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٩/٨)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٨/٢ - ٧٥٩)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٣٨٩/٢ - ٣٩٠)؛ وشفاء العليل (ص : ١٧ - ١٨)؛ والبداءة والنهاية (٨٤/١ - ٨٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦)؛ ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص : ٦٨)؛ وإثار الحق على الخلق (ص : ٢٨٠ - ٢٨١)؛ ودفع الشبهة والغرر عن محتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٨ - ٨٠)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧ - ١٨٨) .

المطلب الثالث : موقف الطوائف من مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

إن المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام حول أكل الأبوين من الشجرة المحرمة وخروجهما من الجنة اختلفت أقوال الناس فيها ووقفوا منها مواقف متباينة، وفيما يلي ذكر تلك المواقف والأقوال مع بيان الراجح منها والله الموفق .

أولاً : موقف الصوفية الإباحية الجبرية ^(١) : فهم جعلوا هذه المناظرة عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله ورسوله، فيحتجون بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات، ويزعمون أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على ما وقع منه من مخالفة الأمر الإلهي بالأكل من الشجرة المحرمة في الجنة .

وهذا الموقف من أفسد مواقف الناس تجاه هذا الحديث النبوي العظيم؛ فإن هذه المناظرة تدل على إثبات القدر ولكنها لا تمنح العاصي حجة على فعل المعاصي وترك الواجبات، كما توهمه القوم؛ إذ لا شك أن الاحتجاج بالقدر على مقارفة المعاصي والمنكرات والاستمرار عليها من أبطل الباطل، وبيان ذلك بما يلي :

١ - إن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على المعصية، وإنما احتج به على المصيبة التي أصابته وذريته، فهو أجل من أن يحتج بالقدر على المعاصي ^(٢).

٢ - إن آدم عليه السلام لما وقع في مخالفة الأمر الإلهي بأكله من الشجرة المحرمة ندم على فعله، وتاب إلى ربه وطلب المغفرة والرحمة منه سبحانه وتعالى. فهذا يدل على أن القدر ليس بحجة على المعصية عند آدم عليه السلام؛ إذ لو كان الأمر كذلك لم يكن هناك حاجة تدعوه إلى الندم

(١) ذكره عنهم غير واحد من أهل العلم . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٩/٨)؛ ومنهاج السنة النبوية (٢٤/٣)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٤٠/٢)؛ وشفاء العليل (ص : ١٤)؛ والبدية والنهاية (٨٤/١)؛ ودفع الشبهة والغرر عن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٦)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٨ ، ٣٢١ ، ٤٥٤ و ١٦٠/١٠ و ٩٨/١٧)؛ ومنهاج السنة النبوية (٨١-٨٠/٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٩/٨)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٣٩٠/٢) وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٧/٢-٧٥٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦) .

والبكاء^(١) والتضرع والدعاء والتوبة والاسترحام والاستغفار بل كان يكفيه القدر حجة وعذرا^(٢).

٣ - إن موسى عليه السلام ما لا م آدم عليه السلام على المعصية؛ وإنما لآدم عليه السلام على المصيبة التي وقع فيها بنوه؛ لأن آدم عليه السلام كان قد تاب إلى الله سبحانه وتعالى مما صدر منه، والله سبحانه وتعالى كان قد غفر له . قال تعالى : ﴿ ثم اجتبهاه به فتآب عليه وهدي ﴾^(٣).

وموسى عليه السلام أجل من أن يلوم أحدا على معصية تاب منها فاعلها، فضلا أن يلوم أبا البشر آدم عليه السلام ، مع علمه أن الله تعالى قد تاب عليه، وغفر له، واختاره نبيا^(٤).

٤ - لو أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على المعصية لأجابه آدم عليه السلام : إني أذنبت فبنت وتساب الله علي، وأنت أيضا يا موسى ! قتلت رجلا لم تؤمر بقتله ولكن آدم عليه السلام لم يجب بذلك فدل على أن لوم موسى عليه السلام لم يكن لأجل المعصية، وإنما كان لأجل المصيبة^(٥).

٥ - إن موسى عليه السلام نفسه قتل رجلا غير مأمور بقتله، ثم تاب إلى الله سبحانه وتعالى وتاب الله عليه. قال تعالى مخبرا عن ذلك : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقتل عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾^(٦).

(١) أخرج الطبراني في (الأوسط ٥١/١ ح : ١٤٣) من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لو أن بكاء داود رضي الله عنه وبكساء جميع أهل الأرض يعدل ببكاء آدم ما عدله . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩٨/٨) : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٥/٢ و ٣٢٢/٨ و ٢٥٩/١١ و ٩٨/١٧) ؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٨-٧٥٧/٢) ؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١٠٤/١) ؛ وإيثار الحق على الخلق (ص : ٢٨٠-٢٨١) .

(٣) طه الآية : ١٢٢

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٨ ، ٣٢١ ، ٤٥٤) ؛ ومنهاج السنة النبوية (٨١/٣) ؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٨-٧٥٧/٢) ؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١٠٤/١) ؛ والبداية والنهاية (٨٥/١) ؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦) .

(٥) انظر : منهاج السنة النبوية (٨١/٣) .

(٦) القصص الآيات : ١٥-١٧

فمن المستبعد أن يلوم موسى عليه السلام أبا البشر آدم عليه السلام على معصية حصلت منه، وهو نفسه قد ذاق مرارة المعصية، وحلاوة التوبة إلى الله سبحانه، وعلم بسعة رحمة الله سبحانه وتعالى ومغفرته له^(١).

٦ - إن الذين حصلت منهم الذنوب والمعاصي من بني آدم في زمن موسى عليه السلام وقبله كثيرون جداً، بل منهم من هو جرمه أشد وأغلظ وأنكى بدرجات كثيرة مما حصل من آدم عليه السلام من المعصية بالأكل من الشجرة، فتخصيص موسى عليه السلام آدم عليه السلام باللوم دون غيره من الناس يدل على أن اللوم لم يكن لذنبيه، وإنما كان لأجل المصيبة التي حصلت لهم بذنبيه، وإلا لا يبقى وجه لتخصيصه آدم عليه السلام باللوم دون الآخرين^(٢).

٧ - جاء في الحديث أن موسى عليه السلام قال : ((يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ... وقال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟)) فهذا يدل على أنه لم يكن لام أبا البشر آدم عليه السلام على أكله من الشجرة المحرمة؛ إذ لو كان الأمر كذلك لقال له : لماذا خالفت أمر الله ؟ ولماذا عصيت الله بالأكل من الشجرة، ولماذا أكلت من الشجرة وقد نهاك الله عنها؟ ونحو ذلك من الألفاظ، ولكنه لأمه على المصيبة التي حصلت لبني آدم بعد خروجه من الجنة بسبب أكله من الشجرة؛ ولذلك قال : ((ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟))^(٣).

٨ - إن آدم عليه السلام لما ذكر لموسى عليه السلام أن هذه المصيبة التي ابتلينا بها كانت مقدرة علينا، والله سبحانه وتعالى قضى بها علينا قبل أن يخلقنا، وأن ذلك حصل بقضاء من الله وقدره استسلم له موسى عليه السلام وسكت ولم يتكلم، فلو كان آدم عليه السلام احتج بالقدر على ذنبه لم يكن موسى عليه السلام ليسلم له هذا الباطل، ويقبل منه، ويقره عليه، ويسكت عنه^(٤).

٩ - وكذلك النبي ﷺ قضى أن الحجّة والغلبة في المناظرة كانت لآدم عليه السلام على

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢١/٨ ، ٤٥٤ و ٩٨/١٧)؛ ومنهاج السنة (٨١/٣)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٧/٢)؛ والبداية والنهاية (٨٥/١) .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٨١/٣) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٥/٢ و ١٧٨/٨ ، ٣١٩ و ١٦٠/١٠ و ٢٥٩/١١)؛ ومنهاج السنة النبوية (٨٠/٣)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٨/٢)؛ وابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح العقيدة (٦٤٤/٢)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧-١٨٨) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٨ و ٩٨/١٧)؛ ومنهاج السنة النبوية (٨١/٣)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١٠٤/١) .

موسى عليه السلام؛ فلو كان آدم عليه السلام احتج بالقدر على ذنبه، لم يكن النبي ﷺ ليقضي له بالحجة والغلبة في هذه المناظرة .

١٠ - إن هؤلاء نظروا إلى قصة آدم عليه السلام من طرف واحد بعين عوراء، فإنهم رأوا أن آدم عليه السلام قد وقع في المعصية، وأن ذلك كان بقضاء من الله وقدره عليه، وهذا حق وصواب، ولكنهم لم ينظروا إلى أن آدم عليه السلام تاب إلى الله تعالى بعد وقوعه في المعصية مباشرة، وطلب منه سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة، وأن الله سبحانه وتعالى عفا عنه، واختاره نبيا، فهذا كله أيضا كان بقضاء من الله وقدره سبحانه وتعالى . فلماذا الاحتجاج بقصة آدم عليه السلام على المعصية مع الإصرار عليها؟ ولماذا لا يقلعون عنها ويتوبون منها كما فعل آدم عليه السلام؟^(١)

١١ - إن القدر سر مكتوم لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، فدعوى أن الله قدر عليه كذا وكذا باطل؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله؛ فإصراره على المعاصي واحتجاجه بالقدر إنما هو اتباع للهوى من غير علم ولا هدى^(٢).

١٢ - إن هذا القول يلزم منه لوازم باطلة شرعا وعقلا^(٣)، منها :

- إن هذا القول يلزم منه تعطيل الشريعة وإبطال أوامرها ونواهيها .
- إن هذا القول يلزم منه التسوية بين العصاة والمطيعين، وبين الكفار والمؤمنين، وبين الجبارة والفراغة وبين الأنبياء والمرسلين .

● إن هذا القول يلزم منه حصول الشر والفساد، ويلزم منه تعطيل مصالح الناس ومنافعهم لأنه لا يمكن على هذا القول منع ظالم من ظلمه أو سارق من سرقة، أو معتد من عدوانه، أو مسيء من إساءته؛ لأنه كلما أخذنا واحدا منهم، وأردنا تعزيره وإقامة الحد عليه؛ ليكون رادعا له، وعبرة لغيره، سيحتج بالقدر، فلو ترك لذلك حصل من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

(١) انظر : منهاج السنة النبوية (٢٦/٣ - ٢٧) .

(٢) انظر : الإيمان بالقضاء والقدر (ص : ٨٢) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٢ ، ٣٢٢-٣٢٥ ، ١٠٨/٨ ، ١٧٩-١٨٠)؛ واقتضاء

الصراط المستقيم (٣٩٠/٢ - ٣٩١)؛ ومنهاج السنة (٢٣/٣ - ٢٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٨/٢)؛

ومجموعة الرسائل والمسائل (١٠٤/١)؛ والبداءة والنهاية (٨٥/١)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص :

١٨٠-١٨٢)؛ والإيمان بالقضاء والقدر (ص : ٨٢-٨٣) .

١٣ - إن هذا القول باطل عقلا وشرعا وفطرة : وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فما أحسن بيانه! وذلك في معرض رده على الذين يحتجون بالقدر على هواهم فقال : (ليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر، بل القدر يؤمن به، ولا يحتج به، واحتج بالقدر فاسد العقل والدين، متناقض؛ فإن القدر إن كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد؛ ولا يعاقب، ولا يقتص منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمة - أن لا ينتصر من الظالم، ولا يغضب عليه، ولا يذمه؛ وهذا أمر ممتنع في الطبيعة، لا يمكن أحد أن يفعله، فهو ممتنع طبعاً، محرم شرعاً.

ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن إبليس ملوماً، ولا معاقباً، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار، ولا كان جهاد الكفار جائزاً، ولا إقامة الحدود جائزاً، ولا قطع السارق، ولا جلد الزاني، ولا رجمه، ولا قتل القاتل، ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه (١).

١٤ - ولو سلم على سبيل الفرض أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على المعصية، فهذه حالة خاصة، لا يمكن تعميمها لجميع الأحوال؛ فإن هذه المناظرة وقعت بين آدم وموسى عليهما السلام بعد أن تاب آدم عليه السلام إلى الله تعالى، وبعد أن تاب الله عليه، فحسن منه أن يقول ذلك في هذه الحالة الخاصة. فلو وقع شخص في معصية ما، ثم تاب منها إلى الله توبة نصوحاً، واستغفر منها، وأقلع عنها، وأصلح ما أفسد، وعزم على عدم العودة إليها، وإن كانت تلك المعصية ذات عقوبة عاجلة تحملها، وبعد ذلك كله إن عيره أحد بتلك المعصية فله في هذه الحالة الخاصة أن يحتج بالقدر ويقول : كان ذلك بقضاء الله وقدره. وأما تعميم هذه الحالة الخاصة مع الإصرار على المخالفات الشرعية، وعدم التوبة منها، وعدم الإقلاع عنها، والاحتجاج عليها بالقدر فإنه باطل باطل، ولا يفعله إلا جاهل أو معاند متبع لهواه (٢).

قال العلامة ابن القيم : (إذا أذنب الرجل ذنباً، ثم تاب منه توبة، وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأنبه مؤنب عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول : هذا أمر كان قد قدر عليّ قبل أن أخلق. فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة له على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٢٣) .

(٢) انظر : التمهيد (١٨/ ١٢)؛ وفتح الباري (١١/ ٥١٠) .

أو يترك واجبا، فيلومه عليه لاثم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقا، ويرتكب باطلا، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله (١).

يتبين مما سبق أن دعوى من زعم أن موسى عليه السلام لا م آدم عليه السلام على معصيته أو أن آدم عليه السلام احتج على معصيته بالقدر باطلا، فمن احتج بهذه المناظرة أو غيرها من النصوص الشرعية الدالة على القدر، على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها فهو إما جاهل وإما معاند متبع لهواه، ودعواه باطلا، وحجته داحضة، لأنها تتناقض مع مقتضى الفطرة، وبداهة العقول، وتعارض مع مقاصد الشريعة، ومصالح الناس في دينهم ودنياهم، والله أعلم بالصواب.

ثانيا : موقف المعتزلة القدرية (٢) : ذهب أبو علي الجبائي وغيره من المعتزلة إلى إنكار هذا الحديث ورده، وزعموا أنه حديث باطل مكذوب مختلق على رسول الله ﷺ؛ لأن فيه دعوة إلى الإباحية المطلقة والتحلل العام عن طريق الاحتجاج بالقدر السابق؛ لأن القدر إذا كان عذرا وحجة لآدم يكون عذرا وحجة لكل كافر وفاسق وعاص من ذريته، ومن لامة وأنكر عليه يكون محجوجا بالقدر، كما حج آدم عليه السلام موسى عليه السلام، وهذا خلاف ما جاءت به الرسل، فيجب تزيه النبي ﷺ وتزيه جميع الأنبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله، فمثل هذا الحديث لا يمكن أن يخرج من مشكاة النبوة، ولا يمكن أن يقول به النبي ﷺ الذي هوى عن كل باطل وشر وفساد، ودعا إلى كل هدى وخير ونور.

ولا شك أن الاستدلال بالقدر على المعاصي والذنوب باطل، وأنه يجب تزيه جميع الأنبياء من أن يجعلوا القدر حجة للمعاصي ولكن هذا الحديث لا يدل على جعل القدر حجة للمعاصي، كما فهمه فريق الاعتزال فردوه، زاعمين عدم صحته إلى النبي ﷺ، بل هو حديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ، فما ذهب إليه هؤلاء باطل، وبيان ذلك بما يلي من الوجوه :

(١) شفاء العليل (ص : ١٨) .

(٢) انظر : فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (١/٨٧)؛ وانظر أيضا : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٤/٨)؛ ومنهاج السنة النبوية (٣/٧٩)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٨/٤١٨)؛ وتلخيص كتاب الاستغانة (٢/٧٣٩)؛ شفاء العليل (ص : ١٣)؛ والبداية والنهاية (١/٨٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦)؛ وفتح الساري (١١/٥١٠)؛ ودفع الشبهة والغرر عن محتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٧)؛ وأوجز المسالك (١٤/٩٥-٩٥)؛ والمعتزلة (ص : ٩٨)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٦) .

١ - إن هذا الحديث لم ينتقده أحد من أئمة هذا الشأن بل اتفق كبار أئمة الحديث وجهابذة النقاد على قبوله والتسليم له، منهم الشيخان : البخاري ومسلم، فقد أخرجاه في صحيحيهما، وقد أجمع علماء المسلمين على صحتهما؛ لجلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول^(١).

٢ - إن هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة؛ فقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة وعمر بن الخطاب وأبو سعيد الخدري وجندب بن عبد الله وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنهم - كما سبق ذكرها، وكذلك روي مثله عن ابن عمر مرفوعاً^(٢) وعن ابن عباس موقوفاً^(٣).

٣ - إن هذا الحديث رواه عن الصحابة جماعة كبيرة من التابعين فمن بعدهم حتى قال ابن كثير عن حديث أبي هريرة ﷺ : (إنه متواتر عن أبي هريرة ﷺ)^(٤) فكيف به إذا ضمت إليه الطرق الأخرى المروية عن غيره من الصحابة، التي ذكرها المحدثون الكبار في كتبهم المصنفة في الحديث والتفسير وشروح الأحاديث وغيرها^(٥).

٤ - إن الذين حاولوا الطعن في هذا الحديث النبوي العظيم ليسوا من أهله، والمختصين به بل هم من أجهل الناس بالسنة النبوية ومكانتها ومزلتها، المعروفون بعداوتهم لها ولأهلها. قال الإمام ابن القيم : (هذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته، فإن هذا حديث صحيح، متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها، قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته، فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها ... وهذا الشأن)^(٦).

(١) انظر : تدريب الراوي (١٣١/١ - ١٣٣) .

(٢) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (١٣٤/١) وأحال إلى ابن النجار .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧/٩) بإسناده إليه وهو إسناد ضعيف جداً، وسيأتي الكلام عليه

بالتفصيل في (ص : ٧٩٤) .

(٤) البداية والنهاية (٨٥/١) .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠١/١٦ - ٢٠٢) .

(٦) شفاء العليل (ص : ١٣) .

فمن كان هذا شأنه لا يقبل كلامه في الحديث النبوي، ولا سيما في مقابل كلام الأئمة النقاد وجهابذة الحديث المختصين به، وفي مقابل إجماع الأمة على قبوله منذ قرونها الأولى وعصورها الذهبية .

٥ - إن ما عللوا به لردهم هذا الحديث النبوي يدل على قصور عقلهم وسوء فهمهم له؛ إذ ليس فيه دلالة على الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب؛ فإن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على ذنبه، وكذلك موسى عليه السلام ما لامه على أكله من الشجرة المحرمة، وإنما احتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وموسى عليه السلام أيضا كان لامه لأجل المصيبة التي لحقت بني آدم بسبب خروج أبيهم آدم عليه السلام من الجنة بعد أكله من الشجرة، وقد تقدم تقرير ذلك من عدة وجوه فيما مضى من السطور قريبا .

٦ - هذا الحديث فيه إثبات للقدر، والمعتزلة لا يقولون به فإنكارهم لهذا الحديث من باب إنكار القدر، بناء على مذهبهم الفاسد .

وقد تبين مما سبق أن هذا الحديث النبوي الكريم صحيح ثابت عن النبي ﷺ، وأن الأمة قد اتفقت على قبوله والإيمان به والتسليم له منذ عصر الصحابة والقرون الفضيلة؛ وأنه لا يدل على الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب والاستمرار عليه؛ فلا يصح رده والطعن فيه بل يجب قبوله، والإيمان به، والعمل بمقتضاه، والله أعلم بالصواب .

ثالثا : موقف السلف الصالح : لقد سلك السلف الصالح تجاه هذا الحديث كما هو معلوم من منهجهم مع النصوص الشرعية الصحيحة من الإيمان والتصديق ... فهم آمنوا بهذا الحديث، وبما دل عليه من غير إفراط أو تفريط، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك .

● اتفاقهم على صحة هذا الحديث عن النبي ﷺ وإيمانهم به وتصديقهم له : قال الإمام ابن القيم : (إن هذا حديث صحيح، متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها، قرنا بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته) ^(١) .

● إيمانهم بدلالة الحديث : لقد اتفق السلف الصالح على إيمانهم وتصديقهم بما دل

(١) شفاء العليل (ص : ١٣) .

عليه هذا الحديث من أن الله سبحانه وتعالى قدر بعلمه وحكمته مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، ويسرهم جميعاً لما خلقوا له، وجعلها مخفية عنهم. قال الإمام ابن عبد البر عن هذا الحديث : (وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق، وهو أن الله عز وجل قد فرغ من أعمال العباد فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه) (١).

فهم يرون أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة المحرمة، وخروجه من الجنة، ووقوعه وذريته في المشقة، وتوفيق الله له بالتوبة والاستغفار، وتوبته عليه، وهدايته له، واختياره نبياً كل ذلك كان بقضاء من الله وقدره، كما سبق به علمه سبحانه وتعالى، وكتبه في اللوح المحفوظ (٢).

● التوسط وعدم الإفراط والتفريط : إنهم لا ينكرون هذا الحديث وغيره من النصوص الشرعية الدالة على القدر، كما فعلت القدرية النفاة، ولا يرون النصوص الدالة على القدر عذراً وحجة للاستمرار على فعل المعاصي وترك الواجبات، ولا ينفون عن العبد إرادته وقدرته واختياره للفعل، كما فعلت الإباحية الجبرية ولكنهم وقفوا موقفاً وسطاً من هذه النصوص من غير إفراط ولا تفريط، فأمنوا بالقدر، وأثبتوا للعبد إرادة وقدرة واختياراً على فعله، إلا أن قدرة العبد وإرادته واختياره لا يخرج عما قدره الله وأرادته إرادة عامة فلا يقع في ملكه تعالى إلا ما يشاء سبحانه (٣).

● وكذلك يرون الرجوع إلى القدر عند المصائب لا على فعل المعاصي والذنوب، فهم يرون أن آدم عليه السلام كان احتج بالقدر على المصيبة، لا على المعصية، وكذلك لوم موسى عليه السلام كان من أجل المصيبة دون المعصية، وأن الحديث ليس فيه ما يدل على فعل المعاصي والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات احتجاجاً بالقدر، بل فيه حث على الصبر عند المصائب والرضا بالقدر، ودعوة إلى الإقلاع عن المعاصي، والاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه، ودعوة إلى المحافظة على أداء الواجبات وفعل الطاعات (٤).

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف أنه قال : (اثنان أذنبَا ذنباً؛ آدم

(١) التمهيد (١٥/١٨) .

(٢) انظر : الإبانة عن شريعة الفرق الناجية [المختار من الإبانة : القدر] (١٩٥/١) .

(٣) انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق (ص : ٣٧٣-٣٧٦) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٢ و ١٠٧/٨ و ١٠٨-١٠٩) .

وإبليس فآدم تاب فتاب الله عليه واجتبه، وإبليس أصر على معصيته واحتج بالقدر فلعن وطرده، فمن تاب من ذنبه أشبه أباه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس (١).

فالرجوع إلى القدر عند المصائب من سنن الأنبياء والمرسلين، وأما الاستمرار على المعاصي والاحتجاج لها بالقدر فمن سنة إبليس اللعين ومن هو على طريقته وشاكلته، والله أعلم بالصواب .

● ردهم بالحديث على من جانب الصواب في المسألة : قال ابن عبد البر : (هذا الحديث من أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر، ودفع قول القدرية، وبالله التوفيق والعصمة) (٢).

● عدم الخوض في كيفية حصول هذه المناظرة بين آدم وموسى عليهما السلام : لا شك أن هذه المناظرة التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أمر من أمور الغيب لنا، ولا يمكن للعقول البشرية الخوض فيها على وجه الصواب، ولذلك وقف السلف من هذه المناظرة، كما هو دأبهم من جميع الأمور المغيبة الوارد ذكرها في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ - موقف التسليم والتصديق والإيمان، فلم يخوضوا في بيان كيفية حصول المناظرة وتحديد صفتها .

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي : (والله إنا لعاجزون كألّون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا... وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله؟ وكيف حياة النبيين الآن؟ وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره قائما؟ ثم رآه في السماء السادسة وحاوره...؟ وكيف ناظر موسى أباه آدم، وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه) (٣).

وقال ابن عبد البر عن هذه المناظرة : إن ذلك عندي لا يحتمل تكييفاً، وإنما فيه التسليم، لأننا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلاً (٤) . أهـ بتصرف يسير .

وقال ابن الجوزي : (وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خير الصادق، وإن لم يُطلع على كيفية الحال، وليس هو بأول ما يجب الإيمان به، وإن لم نقف على حقيقة معناه،

(١) انظر : منهاج السنة النبوية (٢٧/٣) .

(٢) التمهيد (١٧/١٨) .

(٣) ذكره عنه الذهبي . انظر : مختصر العلو (ص : ٢٧٠-٢٧١)؛ والقاضي هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي ، الإمام العلامة شيخ الحنابلة ، وكان أبوه من أعيان الحنفية، توفي سنة ٤٥٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨ - ٩١) .

(٤) التمهيد (١٦/١٨) .

كعذاب القبر ونعيمه، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم (١).
وقال الذهبي : (اجتماع آدم وموسى لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق كان اجتماعهما حقاً، وهما في عالم البرزخ... وهذا شيء سبيله التوقيف) (٢).
الحاصل : إن هذه المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام أمر من أمور الغيب، وقد أخبر النبي ﷺ عنها، فيجب الإيمان بها، وهي تدل على ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر، فمن أنكره يكون كافراً، وأنه لا يصح الاحتجاج بهذه المناظرة على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها؛ فإن آدم ﷺ لما وقع في المعصية تاب إلى الله تعالى وطلب الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى، وصبر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وأرجع الأمر في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فكذلك يجب على من وقع في شيء من معصية الله تعالى عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله وطلب المغفرة منه سبحانه وعدم الاتكال على القدر والاحتجاج به فإنه حجة باطلة عقلاً وشرعاً والله أعلم بالصواب.

(١) ذكره عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري ٥٠٧/١١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦١/٩ - ١٦٢)، في ترجمة وكيع بن الجراح .

المبحث الخامس : خلافة أهم العلماء في الأرض . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : معنى الخلافة في اللغة :

{ الخلافة } أصلها (خ ل ف) ، وهذه المادة ترجع دلالتها في الأصل إلى ثلاثة معان ^(١) :
أحدها : خَلَفَ يَخْلُفُ خَلْفًا وَخَلْفًا وَخَلْفَةً وَخِلَافَةً ، وهو أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه . ومنه يقال : خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه ، وخَلَفُ سوء من أبيه ، فإذا لم يذكرُوا صدقا ولا سوءا قالوا للجد : خَلَفَ ، وللرديء خَلَفَ . قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ ^(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ ^(٣) ؛ أي : يذهب هذا ويجيء هذا وهكذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رضا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ ^(٤) ؛ أي : مع النساء لأن الرجال يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم وتجاراتهم ، وهن يخلفنهم في البيوت والمنازل ^(٥) .
وكذلك الخلافة سميت خلافة لأن الخليفة الثاني يجيء بعد الأول فيقوم مقامه ^(٦) .
والثاني : خلف يَخْلُفُ خُلُوفًا ، وأخلف يَخْلِفُ إخلافا إذا تغير ، يقال : أخلف فلان وعده إذا تغير عن وعده ، ولم يوف به ، ويقال خلف اللبن وغيره خلُوفًا إذا تغير طعمه وريحه ^(٧) ومنه قول النبي ﷺ : ((والذي نفس محمد بيده ! خلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) ^(٨) .
والثالث : { خَلَفٌ } وهو خلاف قدام ، يقال : هذا خلفي وهذا قدامي ، وهذا مشهور ^(٩) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١٠ ، مادة : خلف) .

(٢) مريم الآية : ٥٩

(٣) الفرقان الآية : ٦٢

(٤) التوبة الآية : ٨٧ والآية : ٩٣

(٥) انظر : تهذيب اللغة (٢ / ٣٩٨ - ٤٠٠) ؛ والصحاح (٤ / ١٣٥٤ - ١٣٥٦) ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١٠ - ٢١١) .

(٦) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١١) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (٧ / ٤٠١) ؛ والصحاح (٤ / ١٣٥٦) ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١٢) .

(٨) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه خ (الصوم ، ب : هل يقول إن صائم إذا شتم ٦٧٣/٢ ح : ١٨٠٥) ، واللفظ له ؛ وم (الصيام ، ب : فضل الصيام ٨٠٧/٢ ح : ١١٥١) .

(٩) انظر : الصحاح (٤ / ١٣٥٤) ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١٢) ؛ ولسان العرب (٤ / ١٨١) .

ومن الشاذ عن الأصول الثلاثة : الخليف، وهو الطريق بين الجبلين ^(١).

معنى الخليفة : ذكر أهل اللغة أن كلمة " خليفة " لا تطلق إلا على مذكر، وأن أصلها " خَلِيفٌ " على وزن فاعيل ^(٢).

وأما التاء الملحقة في آخرها فذكر جماعة منهم أنها للدلالة على المبالغة في الوصف ^(٣) مثل : علامة ونسابة وراوية وداعية وطاغية وغيرها .

ولكن لم يرض ابن القيم هذا التوجيه فهو يرى أنه لا معنى للمبالغة في خليفة حتى تلحقها تاء المبالغة، كما في نسابة وعلامة وداعية ، وإنما دخلت التاء فيها للعدل عن الوصف إلى الاسم؛ فإن الكلمة صفة في الأصل، ثم أجريت مجرى الأسماء، فألحقت التاء لذلك، كما قالوا : نطيحة بالتاء، فإذا أجروها صفة قالوا : شاة نطيح، والله أعلم ^(٤).

ثم اختلفوا في بيان معناها في أنها بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول؛ أي هو يخلف غيره أو غيره يخلفه . فذهب أكثر أهل اللغة إلى أنه فاعيل بمعنى فاعل؛ أي: خليفة بمعنى خالف ^(٥). وقيل : إنه فاعيل بمعنى مفعول؛ أي: استخلفه غيره ^(٦).

والخليفة جمعها خلفاء وخلائف. فمن جمعها على خلفاء على وزن فعلاء ، فذلك نظرا إلى أصلها؛ أي : خليف وخلفاء مثل حكيم وحكماء، وظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، وحليف وحلفاء، وشريف وشرفاء؛ لأن فاعلة بالهاء لا تجمع على فعلاء ^(٧).

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢١٣ ، مادة : خلف) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (٧ / ٤٠٨)؛ والصحاح (٤ / ١٣٥٦)؛ وتفسير غريب القرآن العظيم للرازي (ص : ٣٢٤)؛ ولسان العرب (٤ / ١٨٣)؛ والمصباح المنير (ص : ٦٨) .

(٣) ذكره ابن الجوزي في (زار المسير ١ / ٦٠) عن ابن الأباري ، وقال به النسفي في تفسيره (١ / ٧٧)؛ والبيضاوي في تفسيره (١ / ١٣٥)؛ وذكر ابن القيم في (مفتاح دار السعادة ١ / ١٥٣) أنه قال به جماعة من النحاة .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة (١ / ١٥٣) .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس (١ / ٢٠٧)؛ وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٣ / ١٨٩٢)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١ / ٥٢٣) .

(٦) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (٧ / ٤٠٨)؛ والصحاح (٤ / ١٣٥٦)؛ والنهاية في غريب الحديث (٢ / ٦٩)؛ وتفسير غريب القرآن الكريم للرازي (ص : ٣٢٤)؛ ولسان العرب (٤ / ١٨٣)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (١ / ٥٢٣)؛ ومفتاح دار السعادة (١ / ١٥٣)؛ والمصباح المنير (ص : ٦٨) .

ومن راعى اللفظ بعد دخول التاء عليها جمعها على فعائل فقال : خليفة وخلائف، مثل :
كريمة وكرائم، وظريفة وظرائف، وعقيلة وعقائل، وجريدة وجرائد، وصحيفة وصحائف^(١).
وكلاهما ورد به القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾^(٢)
وقال تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾^(٣).

(١) انظر : المصادر السابق ذكرها في الهامش الذي قبله .

(٢) الأنعام الآية : ١٦٥

(٣) النمل الآية : ٦٢

المطلب الثاني: معنى خلافة آدم عليه السلام عند السلف.

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق أبا البشر آدم عليه السلام أسكنه الجنة، وكان إسمكانه فيها لوقت محدود، وليس للأبد، لأن الله سبحانه وتعالى كان قد أخبر ملائكته قبل أن يخلقه بأنه سيحعله خليفة في الأرض. قال تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾^(١). قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد. قال الله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾... الحديث^(٢).

وقال خالد الحذاء^(٣): خرجت أو غبت غيبة لي - والحسن لا يتكلم في القدر- فقدمت، وإذا هم يقولون: قال الحسن، وقال الحسن! فأتيته، ودخلت عليه منزله، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن آدم ألسماء خلق أو للأرض خلق؟ قال: ما هذا يا أبا منازل؟ فقلت: يا أبا سعيد! إني أحب أن أعلم. قال: بل للأرض خلق. قلت: أرائت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له بد من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خلق^(٤). فالله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام، وأسكنه الجنة، ثم أخرجها منها، وجعله خليفة في الأرض، وقد اختلف أهل العلم في بيان المراد من الخليفة وبيان معنى الخلافة وتفسيرها، ويمكن تلخيص كلامهم من خلال نقطتين:

(١) البقرة الآية: ٣٠.

(٢) صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه في (ص: ٩٠).

(٣) هو خالد بن مهران، أبو المنازل البصري، المعروف بالحذاء إلا أنه لم يكن حذاء ولكنه كان يجلس عند الحذاءين، فقليل له ذلك، ثقة يرسل. انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٩١ برقم: ١٦٨٠).

(٤) أخرجه د (السنة، ب: لزوم السنة ٢٠٤/٤ برقم: ٤٦١٤)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد - مختصراً - في (السنة ٤٢٨/٢ برقم: ٩٤٥)؛ والآجري في الشريعة (٨٨٤/٢-٨٨٥ برقم: ٤٦٦-٤٦٧)، واللفظ له؛ واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٦٦/٣-٥٦٧ برقم: ١٠٠٦) كلهم بأسانيدهم ويجمعون في الطريق عند خالد الحذاء عن الحسن. قال الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٢٣/٣ برقم: ٤٦١٤): (حسن الإسناد مقطوع).

النقطة الأولى : بيان المراد بالخليفة في الآية .

اختلف العلماء في بيان المراد بالخليفة في الآية على أقوال، هي كما يلي :

القول الأول : المراد بالخليفة آدم عليه السلام . وهذا هو الظاهر المتبادر من سياق الآية لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ولم يقل : ﴿ إني جاعل في الأرض خلّائف ﴾، وثم ذكر آدم عليه السلام في الآيات التالية بقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ... ﴾ فهذا السياق أيضا يقوي القول أن المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام، وأن آدم اسم لذلك الخليفة ^(١). وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين منهم الواحدي والسمعاني ^(٢) والبغوي وابن جزري الكلبي والسيوطي وابن عاشور ^(٣)، وعزاه القرطبي إلى جميع المفسرين فقال : (والمعني بالخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام) ^(٤).

القول الثاني : المراد بالخليفة أولاد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله . وهذا القول ذهب إليه الحسن البصري ^(٥) وابن سابط ^(٦).

-
- (١) انظر : فتح القدير (٦٢/١)؛ وروح المعاني (٢٢٠/١)؛ وفتح البيان (١٢٥/١)؛ وأضواء البيان (٤٦/١) .
- (٢) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني الحنفي ثم الشافعي، قال عنه الذهبي : الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة وكان شوكا في أعين المخالفين وحنة لأهل السنة، توفي سنة ٤٨٩هـ - انظر : سير أعلام النبلاء (١١٩-١١٤/١٩) .
- (٣) انظر بالترتيب : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٨/١)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (١١٣/١)، وكلاهما للواحدي؛ وتفسير القرآن للسمعاني (٦٣/١)؛ ومعالم التنزيل للبغوي (٦٠/١)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٦١/١)؛ وتفسير الجلالين (ص : ٦)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١) .
- (٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) .
- (٥) ذكره عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٠/١) بغير إسناد .
- (٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١/١ برقم : ٣٢٧) وكلاهما يلتقيان في شيخ شيخهما أبي أحمد الزيري، ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن سابط . ورجال الإسناد كلهم ثقات إلا أن عطاء بن السائب الثقفي كان قد اختلط في آخره ولكنه لا يضر هنا لأن الحافظ ابن حجر ذكر في تهذيب التهذيب (١٣١/٤-١٣٣ برقم : ٥٢٨٧) عن جماعة من الأئمة أن مرويات الثوري عنه صحيحة لأنه سمع منه قبل الاختلاط، والراوي عنه هنا الثوري، إلا أنه يخشى فيه أمر آخر وهو أن الذي روى عن الثوري هذه الرواية هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الزيري وهو ثقة ثبت ولكنه قد يخطئ في حديث الثوري . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٧ برقم : ٦٠١٧) وابن سابط هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، تابعي ثقة، توفي سنة ١١٨هـ - انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ برقم : ٣٨٦٧) .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ لأن آدم عليه السلام لم يكن ممن يفسد في الأرض ولا ممن يسفك فيها الدماء، وإنما حصل ذلك من بني آدم^(١)، فدل على أن المراد بالخليفة أولاد آدم عليه السلام وليس هو .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾^(٣) . ففي هذه الآيات دلالة على أن الخليفة هم الخلائف من بني آدم .

القول الثالث : المراد بالخليفة آدم عليه السلام وبنيه، وليس آدم عليه السلام وحده، ولا بنوه دون أبيهم . ولكنه لم يذكر بني آدم هنا، واكتفى بذكر أبيهم استغناء بذكر الأب عن ذكر الأبناء، كما قد يستغنى بذكر أبي القبيلة عن ذكر أبنائها وأفرادها، فيقال مثلا : هاشم ومضر، ويكون المقصود بنو هاشم وبنو مضر كلهم^(٤) .

وهذا القول ذكره غير واحد من المفسرين منهم النسفي وأبو السعود والشوكاني وصديق حسن خان^(٥)، وإليه ذهب الزمخشري^(٦)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٧) والعلامة ابن القيم وقال : (لا خلاف أن المراد به آدم وذريته)^(٨) ، وعليه يدل كلام الحافظ ابن كثير إذ قال : (وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط، كما يقوله طائفة من المفسرين... والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾؛ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك)^(٩) .

وقال أيضا : (أخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٠/١ - ٢٠١)؛ وأضواء البيان (٤٧/١) .

(٢) الأنعام الآية : ١٦٥

(٣) النمل الآية : ٦٢

(٤) انظر : مدارك التنزيل (٧٨/١)؛ وإرشاد العقل السليم (٨١/١)؛ وفتح القدير (٦٢/١)؛ وفتح البيان (١٢٥/١ - ١٢٦) .

(٥) انظر : المصادر السابقة نفسها بالترتيب السابق .

(٦) انظر : الكشف (٢٥١/١) .

(٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢/٣٥) .

(٨) مفتاح دار السعادة (١٥٢/١)، وانظر أيضا (٩/١)؛ وشفاء العليل ص : ٢٤٢ .

(٩) تفسير القرآن العظيم (٦٩/١) .

أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ فأخبر بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر الأمر العظيم قبل كونه ^(١) .

والذي يظهر لي أن الآية الكريمة تحتمل الأقوال الثلاثة المذكورة إلا أنه يمكن أن يقال أن أرجح هذه الأقوال هو القول الثالث ؛ أي : المراد بالخليفة جنس الخليفة وهم آدم عليه السلام وبنوه، وذلك لما يلي :
١ - أن هذا القول أعم وأشمل؛ إذ القول الأول خاص بآدم عليه السلام ، والثاني خاص ببني آدم، وأما القول الثالث فهو عام شامل لآدم وبنيه فحمله على ما هو أعم وأشمل أولى وأحسن ^(٢) .

٢ - أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من الطين، ونفخ فيه من روحه، وتوارث ذلك منه بنوه، فلهم حظ عظيم من خلق أبيهم وتصويره، ومما أكرم به أبوهم؛ لأنه أصلهم الذي تفرعوا عنه ^(٣) فلا يبعد أن يكون لهم شرف من الخلافة مع أبيهم ^(٤)، والله أعلم بالصواب .

٣ - إن الحكمة من الخلق والغاية من الوجود، وعمارة الأرض والاستفادة مما فيها عام لآدم وبنيه، وليس خاصا بآدم عليه السلام دون بنيه أو بنيه دون آدم عليه السلام ^(٥) . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ^(٦)، وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمرينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ ^(٧)، وقال تعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي

(١) البداية والنهاية (٧٠/١) .

(٢) انظر : آدم عليه السلام (ص : ١٢٢) .

(٣) انظر : (ص : ٢٨٨) .

(٤) انظر : آدم عليه السلام (ص : ١٢٢-١٢٣)؛ والإنسان وجوده وخلافته في الأرض (ص : ٢٣٦) .

(٥) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض (ص : ٣٢٧)؛ وترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره (١٧٠/١) .

(٦) الذاريات الآية : ٥٦

(٧) الطلاق الآية : ١٢

(٨) هود الآية : ٦١

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴿١﴾ .

فهذه الوجوه تؤيد القول بأن المراد بالخليفة في آية البقرة هو جنس الخليفة فهو بمعنى الخلائف، والمراد به آدم ﷺ وبنوه.

وأما ورود لفظ الخليفة في قوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ بالإفراد دون الجمع فهذا يمكن توجيهه بأن يقال : هذا مفرد ولكن أريد به الجمع، أي : خليفة بمعنى خلائف، يدل على ذلك قول الملاحكة : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فإن آدم ﷺ لم يكن ممن يفسد في الأرض .

ثم إن إطلاق المفرد وإرادة الجمع وارد في اللغة العربية بكثرة ^(٢)، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ ^(٣)؛ أي : أئمة. وقوله تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ ^(٤)؛ أي : أنفسا . وقوله تعالى : ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ ^(٥)؛ يعني : في جنات وأنهار، بدليل قوله تعالى : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ ^(٦).

فكذلك هنا أطلقت كلمة : «خليفة» ، وأريد بها خلائف؛ فلا يكون مقصورا على آدم ﷺ بل يكون شاملا له ولبنيه، والله أعلم بالصواب .

النقطة الثانية : بيان المراد من الخلافة وتفسيرها .

إذا عُلِمَ أن المراد بالخليفة عند أكثر أهل العلم هو جنس الخليفة، وأنه ليس مقصورا على آدم ﷺ فقط بل أبناؤه وذريته داخلون فيها، فما معنى هذه الخلافة، وما تفسيرها ؟

(١) البقرة الآيتان : ٢١-٢٢

(٢) انظر : أضواء البيان (٤٦/١) .

(٣) الفرقان الآية : ٧٤

(٤) النساء الآية : ٤

(٥) القمر الآية : ٥٤

(٦) محمد الآية : ١٥

وهل هي شاملة لجميع بني آدم أم لبعضهم دون بعض ؟ فقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال، ويمكن تلخيصها في ثلاثة أقوال، وهي كما يلي :

القول الأول : إن هذه الأرض كانت معمورة قبل أن يترل عليها آدم ﷺ وجاء آدم ﷺ بعدهم فكان هو وبنوه خليفة لمن سبقهم من المخلوقات .

قال العلامة ابن القيم : (وجمهور أهل التفسير من السلف والخلف على أنه جعله خليفة عمن كان قبله في الأرض)^(١).

وعلى هذا، فالخلافة هنا عبارة عن ذهاب مخلوق ومجيء آدم ﷺ وبنوه بعدهم في مكانهم، وتكون عامة لجميع بني آدم من غير تفريق بين المسلمين منهم والكفار أو الصالحين منهم والفجار .

ويدل على هذا القول كلمة « خليفة »؛ لأن الخلافة فيه معنى الدلالة على ذهاب قوم ومجيء آخرين، ولذلك سمي الخليفة خليفة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول فيقوم مقامه .

وهذا القول يندرج تحته أربعة أقوال :

أ- كانت هذه الأرض يسكن فيها قبل أن يخلق آدم ﷺ الجن بنو الجان، ثم جاء آدم ﷺ بعدهم، فكان هو وبنوه خليفة عنهم .

ويمكن الاستدلال لهذا القول بما يلي :

١- قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾^(٢). فهذه الآية تدل على أن خلق الجان متقدم على خلق الإنسان فهم سبقوا آدم ﷺ وبنوه في الخلق، وجاء آدم ﷺ وبنوه بعدهم فكان هو وذريته خليفة عنهم^(٣) والله أعلم بالصواب .

٢- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾، وقد كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض،

(١) مفتاح دار السعادة (١٥٢/١) .

(٢) حجر الآيتان : ٢٦-٢٧ .

(٣) انظر : أحكام من القرآن (ص : ١٥٢-١٥٣ و١٥٥) .

وسفكوا الدماء، فلما قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ؛ يعنون : الجن بني الجان، فلما أفسدوا في الأرض بعث عليهم جنودا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور . قال : فقالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل أولئك الجن بنو الجان ؟ قال : فقال الله : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾^(١).

٣- وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة . فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور، فقال الله للملائكة : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾^(٢).

ومثل قول ابن عباس وعبد الله بن عمرو روي عن الربيع بن أنس^(٣)، وهذا القول ذكره جماعة كبيرة من المفسرين منهم السمعاني والماوردي والبغوي وابن عطية والرازي وابن القيم والثعالبي وابن عادل الدمشقي ومحمد الأمين الشنقيطي، ولم يذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين غيره^(٤).
ب - إن هذه الأرض كان فيها الملائكة، وجاء آدم ﷺ وبنوه بعدهم فكانوا فيها خليفة عنهم . وهذا القول ذهب إليه ابن زيد^(٥)، وذكره غير واحد من المفسرين منهم أبو جعفر النحاس والواحدي والكرماني وابن القيم والشوكاني وصديق حسن خان^(٦).

(١) صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠).

(٢) صحيح إلى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٩/١ - ٢٠٠)، وإسناده فيه كلام وقد سبق تفصيله في (ص : ٣٤٢-٣٤١).

(٤) انظر بالترتيب : تفسير القرآن (٦٤/١)؛ والنكت والعيون (٩٥/١)؛ ومعالم التنزيل (٦٠/١)؛ والمحرم الوجيز (١٦٤/١)؛ والتفسير الكبير (١٦٥/١)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٠٥/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٠٠/١ - ٥٠١)؛ أضواء البيان (٤٦/١)؛ وأحكام من القرآن (ص : ١٥٢-١٥٣ و ١٥٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٩/١)، ورجال إسناده كلهم ثقات .

(٦) انظر بالترتيب : إعراب القرآن للنحاس (٢٠٧/١)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٨/١)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (١١٣/١)، كلاهما للواحدي؛ وغرائب التفسير للكرماني (١٣١/١)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)؛ فتح القدير (٦٢/١)؛ وفتح البيان (١٢٥/١).

ج - أنه كان في الأرض مخلوق يقال لهم : "الحن والبن" - بجاء مهلمة مكسورة في الأول، وبموحدة مكسورة ونون في الثاني - أو يقال لهم : "الطم والرّم" وجاء آدم عليه السلام بعدهم فكان خليفة عنهم . ذكره ابن عاشور ولم يرضه ولذلك تعقبه بقوله : كل هذا ينفيه سياق الآية، وأحسبه من المزاعم، ولعله من خرافات الفرس أو اليونان ^(١) .

د - كان قبل آدم عليه السلام أوادم كثيرون أو كان قبله أجناس بشرية فجاء أبو البشر آدم عليه السلام بعدهم، فكان هو وبنوه خليفة عنهم .

حكى الرازي في تفسيره عن الإمام محمد بن علي الباقر أنه قال : لقد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر " ثم عقب على هذا القول بما يشعر باستساغته له حيث قال : (أقول هذا أي وجود أنواع من الإنسان قبل أدينا آدم لا يقدح في حدوث العالم بل الأمر كيف كان فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الإنسان، وأما أن ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع) ^(٢) .

وقال أبو العلاء المعري ^(٣) :

وما آدم في مذهب العقل واحدا ولكنه عند القياس أوادم
جائز أن يكون آدم هاذا قبله آدم على أثر آدم ^(٤)

وذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه " قصص الأنبياء " : (أنه قد وجد من البشر في الأزمان الغابرة والحاضرة من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند - وقد كانوا في الزمان السابق يدعون أن آدم كان عبدا من عبيدهم هرب إلى الغرب وجاء بأولاده، وإلى ذلك أشار المعري بقوله :

تقول الهند آدم كان قنا لنا فسعى إليه محبوه ^(٥) .

(١) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١) .

(٢) التفسير الكبير (١٧٩/١٩) .

(٣) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر عقلاني ملحد زنديق، كان يهجو الأنبياء عليهم السلام، هلك سنة ٤٤٩هـ . انظر : في سبيل موسوعة فلسفية (أبو العلاء المعري ، ص : ٤٩-٥٠ و ١٥٠) ؛ و تراث الإنسانية (٥٧/٢ و ٤٢١-٤٢٢) .

(٤) في سبيل موسوعة فلسفية (أبو العلاء المعري ، ص : ١٥٢) .

(٥) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١١) .

وقال عفيف عبد الفتاح طيارة في كتابه " مع الأنبياء في القرآن الكريم " : (خلق الله بشرا قبل آدم فأفسدوا في الأرض) ^(١) وقال : (آدم ليس أول من سكن الأرض ... و القرآن يشير إلى أن هناك بشرا قبل آدم في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾) ^(٢) .

وزعم الدكتور عبد الصبور شاهين أن آدم ﷺ كان قبله مخلوقات حيوانية السلوك اسمها البشر ، وكان آدم ﷺ جاء بعدهم بعد التطور في الجنس البشري الذي بلغ أوجه في آدم ﷺ من الرجال و في حواء من النساء وقد سبق ذكر ذلك مع الرد عليه ^(٣) .

فأصحاب هذه الأقوال يزعمون أن آدم ﷺ قد سبقه آوادم كثيرون وأنواع من البشر ثم جاء آدم ﷺ وبنوه فحلوا محلهم وكانوا خليفة عنهم .

ولكن كل هذه الدعاوى لا تعدو أن تكون مزاعم وخيالات، لأنه إذا كان القرآن الكريم و الأحاديث النبوية لم تذكر لنا سوى آدم الذي نعرفه بأبي البشر ، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان ^(٤) ، ومخالف لما جاء عن الله ورسوله، فقد سبق أن ذكرت في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة أن تاريخ البشرية على هذه المعمورة بدأ منذ وجود أينا آدم ﷺ عليها؛ وأنه أبو البشر وأبو الناس كلهم أولهم وآخرهم، فالواجب أن نقف عند نصوص الكتاب والسنة، فهي صريحة واضحة، ثم نكل علم ما لم يبينه الله تعالى ولا رسوله ﷺ أو ما لا يتضح لنا إلى الله تعالى، والله أعلم بالصواب ^(٥) .

فهذه الوجوه الأربعة المذكورة ضمن القول الأول يظهر لي أن أقواها هو الوجه الأول؛ أي: كونهم خليفة عن الجن؛ لكونه أقرب من قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ * والجان خلقناه من قبل من نار السموم ^(٦) ؛ ولكونه مأثورا عن ابن عباس وابن عمرو - رضي الله عنهم - بسند صحيح، وأما ما عدها من الوجوه فليس معها ما يستأنس به بل منها ما هو مخالف لنصوص الكتاب والسنة، كما هو الحال في الوجه الرابع، والله أعلم بالصواب .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣١) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٤٥-٤٦) ؛ وانظر : قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١٢) .

(٣) انظر : أبي آدم (ص : ١٠١ و ١٣٣) وانظر : (ص : ٢٦٨-٢٩٣) من هذا البحث .

(٤) انظر : كتاب آدم ﷺ (ص : ١٢٤) ؛ وقصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار (ص : ١١) .

(٥) انظر : تاريخ الدعوة (٥٦/١) .

(٦) حجر الآيات : ٢٦-٢٧

القول الثاني : إن هذا الخليفة يكون له نسل وذرية، فيخلف كل قرن وجيل منهم من قبله، فقد خلف بنو آدم أباهم، وخلفهم بنوهم وهكذا، فالخلافة على هذا القول عبارة عن ذهاب أجيال من بني آدم ومجيء آخرين منهم مكانهم، فتكون عامة كالقول الذي قبله لجميع بني آدم من غير تفريق بين الكافرين والمؤمنين منهم .

وحكي عن ابن عباس وابن مسعود وغيره من الصحابة: أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضا . حكاه عنهم السدي^(١)، وإليه ذهب الحسن البصري^(٢) وابن سابط^(٣)، وذكره الماوردي والرازي^(٤)، واختاره ابن كثير والقاسمي^(٥) .

القول الثالث : المقصود بالخلافة هو الخلافة في إجراء أحكام الله، وتنفيذ قضاياه وإقامة شرعه، ودلائل توحيدة، والحكم بين عباده في الأرض بالحق . وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين منهم الماوردي وابن الجوزي وابن عطية والرازي والنسفي، وابن عادل والثعالبي وأبو السعود والقاسمي ومحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم وأكثرهم عزاه إلى ابن مسعود وبعضهم عزاه إلى ابن عباس ومجاهد والسدي^(٦) . وهو الذي اختاره أبو المظفر السمعاني والراغب الأصبهاني والبغوي والقرطبي والسمين الحلبي والسيوطي ومحمد التتائي وعلي المنوفي وأحمد النفراوي وعلي الصعيدي العدوي والجمل^(٧) وابن عاشور وصديق حسن خان القنوجي وعبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف^(٨) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١) وهذا الإسناد فيه كلام وقد سبق تفصيله في (٩٧-٩٨-٣٦٨) .

(٢) سبق توثيقه في (ص : ٦٥١) .

(٣) سبق الكلام عنه في (ص : ٦٥١) .

(٤) انظر بالترتيب : النكت والعيون (٩٥/١) ؛ والتفسير الكبير (١٦٥/٢-١٦٦) .

(٥) انظر بالترتيب : تفسير القرآن العظيم (٧٠/١-٧١) ؛ ومحاسن التأويل (٩٤-٩٥) .

(٦) انظر بالترتيب : النكت والعيون (٩٥/١) ؛ وزاد المسير (٦٠/١) ؛ والخرر الوجيز (١٦٤/١) ؛ والتفسير الكبير

(١٦٥/٢) ؛ ومدارك التنزيل (٧٨/١) ؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٠١/١) ؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن

(٢٠٥/١) ؛ وإرشاد العقل السليم (٨١/١) ؛ ومحاسن التأويل (٩٥/٢) ؛ وأضواء البيان (٤٦/١-٤٧) .

(٧) سليمان بن عمر بن منصور العجلي المصري الشافعي، المعروف بالجمل، مفسر فقيه مشارك في بعض العلوم،

توفي سنة ١٢٠٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٧١/٤) .

(٨) انظر بالترتيب : تفسير القرآن (٦٤/١) ؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٩٤) ؛ معالم التنزيل (٦٠/١) ؛

والجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) ؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١) ؛ وتفسير الجلالين

وعلى هذا القول لا تكون الخلافة عامة لجميع بني آدم المسلمين منهم والمشركون كالقولين السابقين بل تكون خاصة لبعضهم دون بعض، وقد اختلف أهل العلم في بيان من تشملهم هذه الخلافة، ومن لا يكون داخلًا فيها على أقوال وهي كما يلي :

أ - منهم من اقتصر على القول بأن آدم ﷺ خليفة الله في أرضه وسكت عن غيره . قال السمعاني : (قيل إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في الأرض لإقامة أحكامه وتنفيذ قضائاه، وهذا هو الأصح)^(١). ونحوه قال البغوي، والقرطبي - وقد عزاه إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل - ، وابن عاشور، وصديق حسن خان القنوجي^(٢) .

ب - ومنهم من اقتصر على القول بأن آدم ﷺ جعله الله تعالى خليفة في أرضه، وكذلك داود ﷺ، فلا يقال لأحد غيرهما أنه خليفة الله . قال البغوي : (لا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما السلام، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقال : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾^(٣))^(٤) .

ج - ومنهم من ذهب إلى أن آدم ﷺ وداود ﷺ وجميع الأنبياء، وكذلك الصالحون من بني آدم الذين يقومون بإقامة شرع الله في أرضه هؤلاء جميعًا استخلفهم الله، وجعلهم خلائف في أرضه؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾^(٥)، وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾^(٦)، وقال تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾^(٧) .

(ص : ٦)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ وكفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١)؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٣/١)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٣٨/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وفتح البيان (١٢٦/١)؛ وآفاق الهداية (١٠٤/٦ - ١١٠ - ١٢٦) .

(١) انظر : تفسير القرآن (٦٤/١) .

(٢) انظر بالترتيب : معالم التنزيل (٦٠/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١)؛ التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وفتح البيان (١٢٦/١) .

(٣) ص الآية : ٢٦

(٤) شرح السنة (٧٥/١٤) . وانظر : المصباح المنير (ص : ٦٨)؛ والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٣/٧) .

(٥) الأنعام الآية : ١٦٥

(٦) فاطر الآية : ٣٩

(٧) النمل الآية : ٦٢

وذهب إلى هذا القول الراغب الأصبهاني والسمين الحلبي والبيضاوي ومحمد التائي وعلي المنوفي وأحمد النفراوي وعلي الصعيدي العدوي وعبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف^(١).

أقوى هذه الوجوه فيما يظهر لي هو الوجه الأخير لكونه أعم وأشمل، ولأنه أوفق لما ذهب إليه أكثر أهل العلم من حمل الخليفة في الآية على الجنس؛ أي: الخلائف، ولأنه إذا كان آدم وداود عليهما السلام خليفة في الأرض فغيرهما من الأنبياء والمرسلين، ولا سيما أولو العزم منهم وخاصة أفضلهم وسيدهم محمد ﷺ أولى بذلك.

ولكن هذا القول يرد عليه إشكال، وهو هل يصح أن يقال لأحد أنه خليفة الله في أرضه؛ فقد منعه جماعة من أهل العلم، لما يلي باختصار^(٢):

- ١ - أن الخليفة يكون كفؤاً للمستخلف مشابهاً له لأنه يقوم مقامه، والله سبحانه وتعالى لا كفؤ له ولا مثيل له ولا نظير له سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يكون أحد خليفة الله تعالى.
- ٢ - الأصل أن الخلافة هي النيابة عن الغير لغيبته أو عجزه أو موته وهذه المعاني كلها منتفية عن الله سبحانه وتعالى.

- ٣ - أن الخليفة يكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، والله سبحانه غني بذاته عما سواه بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره كما جاء في دعاء السفر فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾^(٣) اللهم! إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم! هون علينا سفرنا هذا،

(١) انظر بالترتيب: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٢٩٤)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٥/١)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ وكفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١)؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٣/١)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ وآفاق الهداية (١٠٤/٦-١١٠ و ١٢٦).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية (ص: ١٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥/٣٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٣٣٣-٣٢٦/١)؛ ومنهاج السنة النبوية (٥٠٩/١ و ٥٢٥/٥)؛ وزاد المعاد (٤٧٤/٢-٤٧٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)؛ ومقدمة ابن خلدون (١٥٩/١-١٦٠)؛ والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٢/٧-٨٣)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٩٧/١-١٩٨)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٠٠/٤)؛ وتيسير العلي القدير (٣٩/١)؛ ومعجم للنهائي اللفظية (ص: ٢٥٢-٢٥٥)؛ وألقاب الولاة الواردة في النصوص ودراسة دلالاتها الاعتقادية (ص: ١٥-٢٠).

(٣) الزخرف الآيتان: ١٣-١٤

واطو عنا بعده، اللهم! أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل... الحديث ^(١).

٤ - كراهة السلف هذا الإطلاق : فقد كره السلف أن يقال لأحد أنه خليفة الله .

فعن ابن أبي مليكة قال : قال رجل لأبي بكر : يا خليفة الله ! قال : لست بخليفة الله ولكنني خليفة رسول الله، أنا راض بذلك ^(٢).

وقال البغوي : (قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله ! فقال : ويحك لقد تناولت متناولا بعيدا، إن أُمِّي سَمَتْنِي عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم كبرت فتكثرت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذلك كفاك) ^(٣).

٥ - وكذلك عدل الصحابة عن تسمية أبي بكر خليفة الله، وإنما سموه خليفة رسول الله ^(٤)، وأيضا لا يعلم أن الأمة الإسلامية سمّت أحدا من العلماء أو الأمراء أو الحكّام أنه خليفة الله في أرضه ^(٥).

فهذه الوجوه المذكورة تدل على أنه لا يصح أن يقال لأحد أنه خليفة الله، وقد نسب الماوردي ^(٦) و ابن خلدون ^(٧) منع هذا الإطلاق إلى جمهور أهل العلم، وكذلك منعه شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٨) وتلميذه ابن القيم ^(٩) وغيرهم .

ولا شك أن هذه الوجوه المذكورة في غاية القوة والحجة إلا أنّها مبنية على حمل الخلافة، على الخلافة عن الله والنيابة عنه سبحانه وتعالى وهذا كفر وشرك من غير شك.

(١) أخرجه م (الحج ، ب : ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٩٧٨/٢ ح : ١٣٤٢) .

(٢) أخرجه ابن سعد في (الطبقات ١٨٣/٣)، واللفظ له؛ وحّم (٢٢٥/١ ح : ٥٩ و ٢٢٧/١ ح : ٦٤)؛ والخلال في (السنة ٢٧٤/١ ح : ٣٣٤)؛ وابن عبد البر في (الاستيعاب ٩٧٢-٩٧١/٣) وكلهم يلتقون في الإسناد عند نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي ملكية قال قال رجل لأبي بكر . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٨٤/٥ و ١٩٨) : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن ابن أبي ملكية لم يدرك أبا بكر الصديق) فالأثر إسناده إلى أبي بكر ﷺ ضعيف لكونه منقطعا إلا أن إجماع الصحابة تسميته خليفة رسول الله يقوي دلالة الأثر ويؤكد كدها .

(٣) شرح السنة (٧٦/١٤) .

(٤) انظر : المستدرک علی الصحیحین (٧٩/٣)؛ وألقاب الولاة الواردة في النصوص... (ص : ١٦ و ٢٤) .

(٥) انظر : ألقاب الولاة الواردة في النصوص... (ص : ٢٤) .

(٦) انظر : الأحكام السلطانية (ص : ١٦) .

(٧) انظر : مقدمة ابن خلدون (١٦٠/١) .

(٨) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥/٣٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٣٢٦/١-٣٢٣)؛

ومنهاج السنة النبوية (٥٠٩/١ و ٥٢٥/٥)، وسيأتي عنه وجه آخر يدل على الجواز .

(٩) انظر : زاد المعاد (٤٧٤-٤٧٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)، وسيأتي عنه وجه آخر يدل على الجواز .

ولكن يمكن توجيهها بحيث لا محذور فيه، وهو أن يقال : إن الخلافة في إقامة شرع الله وتنفيذ أحكامه والحكم بين عباده بالحق لا يعنى أنها خلافة عن الله تعالى؛ أي الخلافة التي تكون لموت المستخلف والمنوب عنه أو لغيابه أو لعجزه واحتياجه أو عزله أو اعتزاله، وإنما هي خلافة تشريف وتكريم، والله سبحانه وتعالى يكرم من شاء من عباده باختيارهم خليفة له وتوفيقهم لإقامة شرعه وتنفيذ أحكامه بين عباده في الأرض، فهم لا يحكمون إلا بما حكم الله به، ولا يكونون خليفة إلا باستخلاف الله تعالى إياهم، فهم خلفاء الله بمعنى أنهم خلفاء الله تشريفاً وتكريماً، وليسوا خلفاء عن الله أو نائبين عنه سبحانه وتعالى .

قال الراغب الأصفهاني : (الخلافة : النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض. قال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ يستخلف ربي قوماً غيركم ﴾ ^(١) (^(٢)). ونحوه قال السمين الحلبي ^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن قال عن نفسه أو غيره إني نائب الله أو خليفة عن الله ولم يكن أمراً بما أمر الله به على لسان رسله، فقد كذب على الله، واستكبر في الأرض بغير الحق، كما يذكر ذلك عن طائفة من الملوك الجاهلين الظالمين بل المنافقين المشركين. وإن كان إنما أمر بما أمر الله به فهو مصيب في إيجاب طاعته إذا أمر بما أمر الله به، ومصيب في مخالفة من عصى الله وإكram من أطاعه .

وقوله : نائب إن كان بمعنى المبلغ والرسول والمنفذ فصحيح، وإن كان بمعنى أني أنوب عنه ما لا يفعله هو ولا يقدر عليه فهو كذب) ^(٤) .

وقال العلامة ابن القيم : (إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة منها . وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة؛ وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفاً عن غيره ... فالإضافة هنا للتشريف والتخصيص، كما

(١) هود الآية : ٥٧

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٩٤) .

(٣) انظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/٥٢٣) .

(٤) نقض التأسيس ... (١/٨٦ ب)؛ و عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم ... (ص : ١٢١) .

يضاف إليه عباده، كقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾^(١)، ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾^(٢)، ونظائرها . ومعلوم أن كل الخلق عباد له، فخلفاء الأرض كالعباد في قوله : ﴿ والله بصير بالعباد ﴾^(٣) ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾^(٤)، وخلفاء الله كعباد الله في قوله : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ ونظائره^(٥) .

وقال ابن علان : وعلى ثبوت مستند إطلاق خليفة الله على كل منهما؛ أي : آدم وداود عليهما السلام؛ فالإضافة للتعظيم، ويكون المراد بالخليفة أن الله جعله قائما في تنفيذ أحكامه في عباده^(٦) . وقال الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي - حفظه الله - بعد ذكر حديث ثوبان ؓ : (والإضافة في قوله : " خليفة الله " إضافة تشريف مثل بيت الله وناقة الله وأهل الله، وليست بمعنى النائب عن الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس له نائب)^(٧) وقال بعد ذكر حديث حذيفة ؓ : (فاستخدمت كلمة الخليفة هنا لأمر المؤمنين، وأضيف إلى الله سبحانه وتعالى تشريفا وتكريما)^(٨) .

وقال شيخنا محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي - حفظه الله - : (وعلى القول بضحة هذا الحديث [أي : حديث ثوبان ؓ] وهو الأظهر فهو نص في جواز هذا الإطلاق، ويكون معنى قولنا : " خليفة الله " ؛ أي : خليفة لله استخلفه الله ومكن له، ويكون هذا الإطلاق نظير قوله ؓ : ((من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله)^(٩))، والسلطان هو الخليفة . والمراد

(١) الحجر الآية : ٤٢ و الإسراء الآية : ٦٥

(٢) الفرقان الآية : ٦٣

(٣) آل عمران الآية : ١٥ و الآية : ٢٠

(٤) غافر الآية : ٣١

(٥) مفتاح دار السعادة (١٥٢/١ - ١٥٣) .

(٦) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٣/٧)، وابن علان هو محمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي، مفسر محدث مشارك في عدة علوم، توفي بمكة سنة ١٠٥٧ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/٥٤) .

(٧) المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ... (ص : ١٩٣) .

(٨) المصدر السابق نفسه وسيأتي ذكر حديث ثوبان وحذيفة - رضي الله عنهما - في (ص : ٦٦٦) .

(٩) جزء من حديث أبي بكرة ؓ، أخرجه حم (٧٩/٣٤ ح : ٢٠٤٣٣ و ١٧٥/٣٤ ح : ٢٠٤٩٥)؛ وت (الفتن، قبل باب : ما جاء في الخلافة ٥٠٢/٤ ح : ٢٢٢٤)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٩/٢ ح : ١٠١٧ - ١٠١٨)؛ والبيهقي في الكرى (قتال أهل البغي، ب : النصيحة لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين ١٦٣/٨) وغيرهم . قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢١٥) : (رواه أحمد والطبراني باختصار ... ورجال أحمد ثقات)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٣٧٦ ح : ٢٢٧٩) .

أن هذا الإطلاق جائز في أصل الشرع على المعنى المذكور للأدلة المذكورة، إلا أن استعماله وتداول إطلاقه يوقع في اعتقاد باطل مذموم، ولا يمنع جوازه في أصل الشرع من أن يفهم منه مع الاستعمال اعتقاد باطل، فيكره لذلك إطلاقه، ويترك استعماله كما تركه الصحابة رضي الله عنهم، وكما تركه الأمة من بعدهم إلى يومنا هذا إذ لا يعرف فيما أعلم استعمال هذا الإطلاق على أحد من ولاة الأمر في زمن من الأزمنة . وتتأكد هذه الكراهة، ويشد المنع والنكير مع ما أحدثته المبتدعة من التصريح باعتقاد باطل محرم واصطلاح إطلاق هذا اللفظ عليه عندهم ورواج قلة الفهم وكثرة الشبه وفساد المقاصد في الناس اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله (١).

ويمكن الاستدلال لهذا التوجيه من الكتاب والسنة وأقوال السلف وفيما يلي بيان ذلك :
أ- من الكتاب .

● قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقال تعالى : ﴿ ياداعود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ (٢). فالله سبحانه وتعالى نسب الاستخلاف إلى نفسه، وبين أنه هو الذي جعلهم خلائف في الأرض، وأن عليهم أن يحكموا بين عباده بالحق من غير اتباع الهوى، فالذي يستخلفه ويجعله خليفة، ويوفقه للقيام بتنفيذ أوامر الله وإقامة شرعه، ويمكنه من ذلك هو الله سبحانه وتعالى لا غيره (٣).

● وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ (٤) وقال موسى ﷺ لقومه كما حكى الله تعالى عنه فقال : ﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (٥).

فالله سبحانه وتعالى وعد باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض كما

(١) ألقاب الولاية الواردة في النصوص ودراصة دلالاتها الاعتقادية (ص : ٢٤-٢٥) .

(٢) فاطر الآية : ٣٩

(٣) انظر : ألقاب الولاية الواردة في النصوص ... (ص : ٢١) .

(٤) النور الآية : ٥٥

(٥) الأعراف الآية : ١٢٩

استخلف الذين من قبلهم ونسب الاستخلاف إلى نفسه، وكذلك نبيه موسى ﷺ قال لقومه راجعاً هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، ونسب الاستخلاف إلى ربه عز وجل فالأرض كلها لله وهو يجعل فيها خليفة من شاء من عباده^(١).

ب - من السنة .

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، قلت : يا رسول الله ! أرايت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله؟ قال : نعم. قلت : فما العصمة من ذلك ؟ قال : السيف . قلت : يا رسول الله ثم ماذا يكون ؟ قال : إن كان لله خليفة في الأرض فضرِبَ ظهرك وأخذ مالك فأطعته... الحديث^(٢).

● وهو في رواية بلفظ : فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه وإن نكح جسمك وأخذ مالك ... الحديث^(٣).

فقوله ﷺ في الحديث : ((إن كان لله خليفة في الأرض)) وقوله ﷺ : ((إن رأيت خليفة الله في الأرض)) بمعنى واحد، كما يقال : غلام زيد وغلام لزيد أو لزيد غلام فهذه كلها عبارات متقاربة المعنى، والله أعلم بالصواب .

● وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يقتل عند كتركم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ". ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال : " فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج؛ فإنه خليفة الله، المهدي "^(٤).

(١) انظر : ألقاب الولاة الواردة في النصوص ... (ص : ٢١) .

(٢) أخرجه حم (٤٢٤/٣٨ - ٤٢٥ ح : ٢٣٤٢٤)؛ و د (الفتن والملاحم، ب : ذكر الفتن ودلائلها ٩٥/٤ ح : ٤٢٤٤)، واللفظ له؛ وكم (الفتن والملاحم ٤٣٢/٤ - ٤٣٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وواقفه الذهبي، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦/٣ ح : ٤٢٤٤) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٠٠/٤، ضمن كلامه على حديث : ١٧٩١) وكذلك حسنه محقق المسند ما عدا جملة أخيرة في الحديث .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٢١/٣٨ - ٤٢٢ ح : ٢٣٤٢٤)، والحديث حسنه محقق المسند كالرواية التي قبلها.

(٤) أخرجه جه (الفتن، ب : خروج المهدي ١٣٦٧/٢ ح : ٤٠٨٤)، واللفظ له؛ وأبو بكر الروياني في مسنده (١٧/١ ح : ٦٣٧)؛ وكم (الفتن والملاحم ٤٦٣/٤ - ٤٦٤ و ٥٠٢/٤)؛ والبيهقي في دلائل النبوة (٥١٥/٦) كلهم بأسانيدهم ويلتقون عند خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان مرفوعاً . والحديث قد ضعف إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٩٥/١ - ١٩٧ ح : ٨٥)، وقبله الذهبي في ميزان الاعتدال (١٢٨/٣) في ترجمة علي بن زيد بن جدعان (إذ قال : (أراه منكراً، وقد رواه الثوري وعبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء عن أبي قلابة

فقال عن أسماء [الصواب : أبي أسماء] عن ثوبان ، وكذلك انتقد إسناده ابن خلدون في مقدمة تاريخه (٢٦٨/١) .
وتتخلص أسباب تضعيفهم للحديث فيما يلي : ١- في إسناده عبد الرزاق بن همام الصنعاني وكان عمي في آخره
فخلط وحدث بأحاديث لم يوافق عليها . ٢- فيه سفيان الثوري وهو موصوف بالتدليس وقد عنعن . ٣- كذلك فيه
أبو قلابة الجرهمي وهو أيضا موصوف بالتدليس وقد عنعن . أعله بالوجه الثلاثة ابن خلدون وبالأخير منها الألباني . وقد
أجاب أهل العلم عنها بما يلي ملخصا : أولا : إن اختلاط عبد الرزاق بن همام الصنعاني لا يضر هنا لأن عبد الرزاق بن
همام الصنعاني ثقة حافظ شهير وكان اختلاطه في آخره بعد المائتين ، فمن سمع منه قبل اختلاطه فروايته صحيحة . والظاهر
أن الذهلي وأحمد بن يوسف السلمي اللذان روايا عنه هذا الحديث قد سمعاه منه قبل الاختلاط لأن الإمام البخاري أخرج
للذهلي عن عبد الرزاق والإمام مسلم أخرج لأحمد بن يوسف عن عبد الرزاق . وقد قال الحافظ ابن حجر في هدي
الساري (ص : ٤١٩) : (احتج به الشيخان في جملة من حديث من سمع منه قبل الاختلاط) ؛ ولأن الذهلي قال عن
شيخه عبد الرزاق كما ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤٤٦/٣) : (كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث ، وكان
يحفظ) فهذا يدل على أن الذهلي سمع من عبد الرزاق قبل اختلاطه وإلا لما وصفه بهذا الوصف من الحفظ واليقظة في
الحديث . به أجاب البستوي . قلت : ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن عبد الرزاق لم ينفرد برواية هذا الحديث عن الثوري
فقد تابعه على ذلك متابعة تامة الحسين بن حفص بن الفضل الأصبهاني في رواية هذا الحديث عن الثوري ، والحسين هذا
صدوق كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ١٦٦ برقم : ١٣١٩) ، وروايته عند الحاكم (٤٦٤/٤) ،
وكذلك تابعه متابعة قاصرة يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ثنا خالد الحذاء به ، ويحيى بن أبي طالب
هو يحيى بن جعفر الزبيرقان . تكلم فيه موسى بن هارون بأنه كان يكذب في كلامه ، ودافع عنه الدارقطني فقال : لم يطعن
فيه أحد بحجة ، لا بأس به عندي نقله الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٦٧/٤) وزاد في (٣٨٦-٣٨٧/٤) : (محدث
مشهور وثقه الدارقطني وغيره وهو من آخر الناس به) ، وذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢٦٣/٦) عن مسلمة
بن القاسم أنه قال : ليس به بأس تكلم الناس فيه فهو أيضا أقرب إلى درجة الصدوق . وأما شيخه عبد الوهاب فهو
صدوق كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ٣٦٨ برقم : ٤٢٦٢) . وروايته أيضا عند الحاكم
(٥٤٧/٤) . وبهذا يتبين أن تحليل هذا الحديث باختلاط عبد الرزاق في غير محله والله أعلم .

ثانيا : أما كون الثوري وأبي قلابة وصفا بالتدليس وقد عنعنا فلا يضر في صحة الإسناد لأن الثوري في المرتبة الثانية من
المندلسين وأبو قلابة في المرتبة الأولى وقد احتمل الأئمة تدليس أهل هاتين المرتبتين بالاتفاق ولو عنعنوا عند الرواية وذلك
لإمامتهم وقلة تدليسهم بجانب ما رووا أو لأنهم لم يكونوا يدلسون إلا عن ثقة كابن عينة وقد سبق بيان ذلك من قبل في
(ص : ١٧٢) . ولذلك أخرج الإمام مسلم عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان انظر : مثلا : (البر والصلة
ب : فضل عيادة المريض ح : ٢٥٦٨) وهذا خلاصة ما أجاب به البستوي والشيخ أبو سيف . وثالثا : أما قول الذهبي : (أراه
منكرا) فالظاهر من كلامه أنه يريد النكارة في الإسناد لا المتن نفسه لأن علي بن زيد رواه فقال : عن أبي قلابة عن ثوبان وأما
الثوري وعبد العزيز وغيرهما خالفوه في ذلك فقالوا عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ، فذكروا أبا أسماء بين أبي قلابة وثوبان
وأما علي بن زيد مع ضعفه لم يذكر أبا أسماء بل حذفه مخالفا لجماعة من الثقات الثوري وغيره ، والضعيف إذا خالف لمن هو
أوثق مسته أو لجماعة من الثقات يكون خيره منكرا . يدل على ذلك قول الذهبي بعده : (وقد رواه الثوري وعبد العزيز بن
المختار عن خالد الحذاء عن أبي قلابة فقال : عن أسماء عن ثوبان) ، ونحوه قال البستوي ، والله أعلم بالصواب .

وقد درس شيخنا أبو سيف محمد بن عبد الرحمن الشطيبي - حفظه الله - هذا الحديث في كتابه : ألقاب الولاة
والواردة في النصوص (ص : ٢٢-٢٤) دراسة تفصيلية ، وأجاب جوابا شافيا عما أعل العلامة الألباني به الحديث ، وقال

وقال شيخنا محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي - حفظه الله - بعد أن ذكر هذا

الحديث : (وعلى القول بصحة هذا الحديث، وهو الأظهر فهو نص في جواز هذا الإطلاق)^(١).

● وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله^(٢).

والسلطان هو الخليفة، يقول المباركفوري في شرح قوله ﷺ : (و " في الأرض " متعلق

بـ " سلطان الله " تعلقها في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ والإضافة في

سلطان الله، إضافة تشريف، كبيت الله وناقاة الله)^(٣).

ج - من أقوال السلف .

● روي عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أن الله جل ثناؤه

قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال :

يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً^(٤).

قال ابن جرير الطبري : (فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن

مسعود وابن عباس إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك

تم

في الأخير : " تصحيح هذا الحديث أولى من تضعيفه "، وكذلك درسه دراسة موسعة الدكتور عبد العليم البستوي - حفظه الله - في كتابه : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (ص : ١٨٤-١٩٢)، وأجاب عن جميع ما وجه إلى الحديث من النقد من قبل الناقدين فأجاد وأفاد، وقال : (النتيجة : إسناده صحيح). وقد صحح الحديث قبلهما جماعة من أهل العلم منهم الإمام الحاكم إذا قال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي في الموضع الأول، وسكت عليه في الموضع الثاني . وقال ابن كثير في (النهاية في الفتن والملاحم ١/٤٤) : (هذا إسناده قوي صحيح) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٢٦٣ ح : ١٤٤٢) : (هذا إسناده صحيح رجاله ثقات)، وقال الشيخ حمود التويجري في (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة ٢/١٩) : (إسناده صحيح)، وبعد النظر في كلام أهل العلم في الحديث يترجح لدي صحة الحديث والله أعلم بالصواب .

(١) ألقاب الولاة الواردة في النصوص ... (ص : ٢٤) .

(٢) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٦٤) .

(٣) تحفة الأحوذى (٦/٣٩٤)؛ والمباركفوري هو أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بمادر المباركفوري، كان من كبار علماء الحديث بالهند في القرن الماضي، وهو أول من أظهر في منطقته العمل بالحديث ودعا الناس إليه، توفي سنة ١٣٥٣هـ . انظر ترجمته في مقدمة كتابه المذكور (٢/٥٣٠-٥٥٠) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٠٠) وفي الإسناد كلام، وقد سبق تفصيله في (ص : ٩٨-٩٩ و٣٦٩) .

الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه (١).
وقال الحافظ ابن حجر : (وذكر الطبري أن مقتضى ما نقله السدي عن مشايخه أنه خليفة الله في الأرض) (٢).

● وقال علي بن أبي طالب ؑ عن العلماء الربانيين في حديث طويل : (... أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعائه إلى دينه ...) (٣).

● وقال حذيفة ؑ : قبض رسول الله ﷺ فاستخلف الله أبا بكر، ثم قبض أبو بكر فاستخلف الله عمر، ثم قبض عمر فاستخلف الله عثمان (٤).

● وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - : ولينا أبو بكر، فكان خير خليفة لله، أرحمه بنا، وأحناء علينا (٥).

● وقال معمر بن راشد القرشي : كان الحسن إذا تلا : ﴿ ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (٦) قال : هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) فتح الباري (٣٦٤/٦) .

(٣) أخرجه ابن عبد ربه في (العقد الفريد ٢١١/٢ - ٢١٣)؛ والنهرواني في (المجلس الصالح ٣٣١/٣ - ٣٣٢)؛ وأبو نعيم في الحلية (٧٩/١ - ٨٠)، ترجمة علي ؑ، واللفظ له؛ والخطيب في (الفقيه والمتفقه (٤٩/١)؛ والشجري في أماليه (٦٦/١)؛ والمزي في تهذيب الكمال (٢٢٠/٢٤)، ترجمة كميل بن زياد؛ والذهبي في تذكرة الحفاظ (١١/١ - ١٢)، ترجمة علي ؑ؛ وذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٢٣/١)؛ ومحمد الرضي في نهج البلاغة (ص : ٤٩٥ - ٤٩٧) وغيرهم . قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٠/١) : (هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً) . وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٢/٢) : (هو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغني عن الإسناد، لشهرته عندهم) . وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤٧/٩) : (قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات) . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١٢/١) : (إسناده لين) .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤/٦ ح : ٥٨٠٤) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩/٥) : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات) .

(٥) أخرجه الشافعي في الأم (الصلاة، ب : صفة الأئمة ٢٩٠/١ - ٢٩١)؛ والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٤٣٩/١ ح : ٦٩٩)؛ وكم (معرفة الصحابة ٧٩/٣) كلهم بأسانيدهم، ويجمعون في الإسناد عند شيخ الشافعي يحيى بن سليم القرشي . ورجال إسناده الشافعي كلهم ما بين ثقة وصدوق وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة ٣٤٤/٢) : (سند جيد) .

(٦) فصلت الآية : ٣٣

خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال إني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله^(١).

والذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال : إن هذه الأرض كانت معمورة قبل أن ينزل عليها آدم عليه السلام فكان هو وذريته خليفة عمن كان قبلهم من المخلوقات ثم لما توفي آدم عليه السلام خلفه بنوه، واستمر ذلك جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، فهذه خلافة عامة شاملة لجميع بني آدم .

وأن آدم عليه السلام كان أكرمه الله سبحانه وتعالى بالنبوة ، التي هي اصطفاء واختيار وفضل وإنعام من الله سبحانه وتعالى يكرم بها من شاء من عباده ، فأدم عليه السلام عبد من عباد الله المقربين وني من أنبيائه المكرمين المختارين، ولا شك أن النبي يكون مأمورا بإحقاق الحق وإبطال الباطل بتطبيق ما أوحى الله إليه من شرعه وأمره ونهيه والحكم بين عباده في ضوئه والدعوة إليه وتلقيته أتباعه وأمته، فأدم عليه السلام قام لما أمر به من الله سبحانه وتعالى ولقنه ذريته فتوارث ذلك أبناؤه وعنهم أبناؤهم... الصالحون فكان الصالحون منهم خلفاء عن أبيهم في تنفيذ أحكام الله وشرعه والدعوة إليه بإذن الله وتوقيقه لهم، فحصلت لهم بذلك الخلافة العامة والخاصة^(٢).

خلاصة القول : المراد بالخلافة إما الخلافة ممن كان في الأرض قبل نزول آدم عليه السلام عليها ثم خلفه بنوه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل فتعم حينئذ الجميع، إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا الحاجة به تعالى إلى ذلك، فتختص بالخواص من بني، والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/٣)؛ وابن المبارك في الزهد (٨٤١/٢ برقم : ١١٢٠)، واللفظ له، كلاهما عن شيخهما معمر بن راشد عن الحسن من قوله، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢٨/٢٤) فقال : ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن ثور عن معمر به مثله، ومن طريق عبد الرزاق ذكره ابن كثير في تفسيره (١٠١/٣) ورجال الإسناد أئمة ثقات حفاظ فالإسناد إليه صحيح والله أعلم بالصواب .

(٢) انظر : الإشارة إلى هذا التوجيه في : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨١/١-٨٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وأضواء البيان (٦٧/١) وانظر بالتفصيل في : تاريخ الدعوة (٦٠-٥٦/١) .

المطلب الثالث: معنى الخلافة عند أهل وحدة الوجود، وبيان بطلانه.

يرى القائلون بوحدة الوجود أن الله سبحانه وتعالى عين هذه الموجودات والمخلوقات، وأن الإنسان من بين هذه الموجودات والمخلوقات نسخة مختصرة جامعة وصورة مصغرة كاملة للذات الإلهية في الأرض؛ ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يرى عينه في مرآة العالم، فخلق الإنسان على صورته، وجعل فيه من أسمائه وصفاته ما ضاهي به الحضرة الإلهية، فهو صورته الجامعة المصغرة في العالم، وبذلك استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه، ونائبه عنه في زعمهم .

قال ابن عربي ^(١):

يا صورة أنس سرها معنائي ما خلقتك للأمر ترى لولائي
شئتأك فأنشأتأك خلقا بشرا لتشهدنا في أكمل الأشياء ^(٢)

وفصل ذلك فقال : (شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله ويظهر به سره إليه ... وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة ... فافتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة ... فسمى هذا المذكور إنسانا وخليفة؛ فأما إنسانيته فلعوم نشأته وحصره الحقائق كلها، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر، وهو المعبر عنه بالبصر؛ فلهذا سمي إنسانا؛ فإنه به ينظر الحق إلى خلقه فيرحمهم، ... وقيام العالم بوجوده فهو من العالم كقص الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التي يحتم بها الملك على خزانته، وسماه خليفة من أجل هذا، لأنه تعالى الحافظ به خلقه، كما يحفظ الختم الخزان ... فاستخلفه في حفظ الملك فلا يزال

(١) ابن عربي هو محمد بن علي بن محمد الحائمي الطائفي الأندلسي، الملقب بمحيي الدين والشيخ الأكبر، وهو صوفي اتحادى شيعي باطني شيخ سوء كذاب، قدوة القائلين بوحدة الوجود، ومات سنة ٦٣٨ هـ. قال الذهبي عن كتابه " فصوص الحكم " : (من أرد أن توافيه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر " .
انظر : ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣ - ٤٩) .

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في مجموع الفتاوى (٢٨٧/٢ و ٣٠٧ - ٣٠٨) .

العالم محفوظا ما دام فيه هذا الإنسان الكامل...فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى... فقد علمت نشأة آدم أعني صورته الظاهرة، وقد علمت نشأة روح آدم أعني صورته الباطنة فهو الحق الخلق، وقد علمت نشأة رتبته وهي المجموع الذي به استحق الخلافة (أهـ باختصار^(١)).

● وكذلك تزعم المتصوفة الاتحادية أن فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى، فيكون خليفة عنه سبحانه وتعالى، وقد يقال له في الظاهر أنه خليفة الرسول مع أنه في الحقيقة خليفة الله تعالى . قال ابن عربي : (والله في الأرض خلائف عن الله، وهم الرسل، وأما الخلافة اليوم فعن الرسل، لا عن الله؛ فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول، لا يخرجون عن ذلك، غير أن هنا دقيقة لا يعلمها إلا أمثالنا، وذلك في أخذ ما يحكمون به مما هو شرع للرسول عليه السلام ، فالخليفة عن الرسول من يأخذ الحكم بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم أو بالاجتهاد الذي أصله أيضا منقول عنه صلى الله عليه وسلم، فينا من يأخذ عن الله فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم، فتكون المادة له من حيث كانت المادة لرسوله صلى الله عليه وسلم... فنقول فيه بلسان الكشف خليفة الله، وبلسان الظاهر خليفة رسول الله؛ ولهذا مات الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نص بخلافة عنه إلى أحد، ولا عينه لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن ربه، فيكون خليفة عن الله مع الموافقة في الحكم المشروع)^(٢).

خلاصة قولهم^(٣): إن الإنسان خليفة الله في أرضه لأنه في نشأته الظاهرة وصورته الجسمية إنسان، وفي نشأته الباطنة الروحية إله، فهو الخلق الحق، بذلك استحق أن يكون خليفته ونائبه عنه سبحانه وتعالى في الأرض .

وعندهم وجه آخر للخلافة وهو أنه لا زال فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى

(١) انظر : فصوص الحكم (الفصل الأول : فص حكمة إلهية في كلمة آدمية ، ص : ٤٨-٥٦) وانظر نحوه في شرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم (ص : ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٩-٣١) .

(٢) انظر : فصوص الحكم (الفصل السابع عشر : فص حكمة وجودية في كلمة داودية ص : ١٦٢-١٦٣) .

(٣) بالإضافة إلى ما ذكره عن القائلين بوحدة الوجود في بيان معنى الخليفة والخلافة انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨٨-٢٨٩ و ٤٤/٣٥)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (إبطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها ١/٧٦-٧٧) ومنهاج السنة النبوية (١/٥٠٩)؛ ونقض التأسيس... (٣/٨٢-٨٣ أ-ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٠-١١١)؛ وفيض القدير (٣/٧٣-٧٤)؛ وروح المعاني (١/٢٢٠-٢٢١) .

مباشرة، وأن الرسول ﷺ لم يعين الخليفة بعده بالنص لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى، وهذه كلها دعاوى باطلة من أولها إلى آخرها .

أما قولهم بأن الإنسان استحق أن يكون خليفة الله لكونه إنسانا في نشأته الظاهرة وإلها في نشأته الباطنة فهذا من أبطل الباطل وبيان ذلك بما يلي :

قد سبق ذكر دعوى الاتحادية بأن الله سبحانه وتعالى هو عين هذه الموجودات والمخلوقات وبيان بطلانها من وجوه كثيرة ^(١)، كما سبق ذكر دعواهم أن الله تعالى خلق آدم على صورة العالم، وأن العالم على صورة الله تعالى؛ فأدم على صورة الله، وأنهم حملوا حديث : ((خلق الله آدم على صورته)) على هذه الدعوى الباطلة ، مع بيان بطلان هذه الدعوى أيضا من وجوه كثيرة ^(٢)، وكل تلك الوجوه المتقدمة تدل على بطلان دعواهم هذه أن الإنسان استحق الخلافة لكونه صورة مصغرة ونسخة مختصرة عن الله سبحانه وتعالى في الأرض .

وهنا أضيف إلى ذلك وجوها أخر تدل على بطلان مذهبهم وفساد عقائدهم مما يتعلق بمقالتهم المذكورة هنا وبالله التوفيق :

١- لا شك أن الإنسان كما هو مخلوق بجسمه وظاهره، فكذلك هو مخلوق بروحه وباطنه، والله سبحانه وتعالى كما خلق جسم الإنسان وصورته وظاهره، فكذلك هو الذي خلق روح الإنسان وباطنه، فليس في الإنسان شيء غير مخلوق، وقد سبق ذكر الأدلة الدالة على كون الإنسان مخلوقا بجسده وروحه في ضوء الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأقوال السلف الصالح في ذلك ^(٣).

٢ - يلزم من قولهم هذا أن الإنسان جزء من ذات الخالق، وهو سبحانه وتعالى مآره أن تكون ذاته مادة خلق لغيره بل هو سبحانه بائن بذاته عن مخلوقاته، فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها ^(٤). فإذا علم أن الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته علم بطلان دعوى من زعم أن الإنسان في صورته الظاهرة

(١) انظر : (ص : ٣٢٦-٣٣٩ و ٣٩٨-٣٩٩) .

(٢) انظر : (ص : ١٨١-١٨٣) .

(٣) انظر : (ص : ١١٢-١١٧) .

(٤) انظر : (ص : ١١٢) .

إنسان وأنه في حقيقته وباطنه إله، وبالتالي يبطل ما بنوا عليه من أن الإنسان استحق أن يكون خليفة الله سبحانه وتعالى في الأرض لكونه إنساناً في الظاهر وإلهاً في الباطن.

٣- إن الله سبحانه وتعالى رد على النصاري دعواهم أن عيسى عليه السلام ذو طبيعتين : لاهوتية وناسوتية وكفرهم لذلك ^(١). فكيف يصح دعوى من يزعم أن الناس كلهم في باطنهم إله وفي ظاهرهم إنسان وأنهم استحقوا الخلافة عن الله سبحانه وتعالى لكونهم جمعوا بين الطبيعة الظاهرة الإنسانية وبين الطبيعة الباطنة الإلهية ؟.

٤- إنهم يزعمون أن الإنسان خليفة الله لكونه عين الله في الحقيقة وهذا قول لا يقول به عاقل لأنه إذا كان الإنسان هو عين الله لا يمكن أن يكون خليفة الله لأن الخليفة لا يمكن أن يكون خليفة عن نفسه .

٥- إنهم يقولون بوحدة الوجود ولكن قولهم هنا : الحق والخلق وآدم والإنسان والرائي والمرئي والمرآة والعالم والمعنى والصورة والختم والخزانة والفص والخاتم والخليفة... هذا كله يثبت التعدد ويناقض مذهبهم ويدل على بطلانه وفساده .

وأما دعواهم أن الرسول ﷺ لم ينص على خلافة أحد من الصحابة بعينه لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله تعالى مباشرة فهذا باطل وذلك لما يلي :

١- هذا قول بلا علم إذ لم يرد في أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على أنه ترك تنصيب الخليفة بعده لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله بالمعنى الذي زعمه هؤلاء الاتحادية .

٢- إن رسول الله ﷺ ترك التنصيب على خلافة أبي بكر لعلمه أن الأمة ستجتمع عليه بعده فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل : أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ^(٢). فهذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ ترك تعيين أبي بكر خليفة بعده لعلمه أن الأمة ستختار أبا بكر خليفة بعده وتتفق عليه ^(٣)، وليس كما زعم هؤلاء .

(١) انظر : ص : ١١٢-١١٣ .

(٢) أخرجه خ (الأحكام، ب : الاستخلاف ٢٦٣٨/٦ ح : ٦٧٩١)؛ وم (فضائل الصحابة، ب : من فضائل أبي بكر الصديق ١٨٥٧/٤ ح : ٢٣٨٧)، واللفظ له .

(٣) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

٣- إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل شؤونه، فإن خفي عليه شيء من ذلك استفسر من أصحاب رسول الله عن سنته في ذلك، وأخذ به وتمسك، فلو كان هو أخذ الخلافة عن الله بالمعنى الذي ذكره هؤلاء لم يكن بحاجة إلى تتبع سنن رسول الله ﷺ والاستفسار من الصحابة فيما يشكل ويخفى عليه.

٤- إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يدع قط أنه أخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى كما زعم هؤلاء^(١) بل هو كان يحب أن يقال له خليفة رسول الله وذلك لما قال له رجل : يا خليفة الله لم يرضه منه وأنكر عليه^(٢).

٥- الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم أفضل الأمة المحمدية بالإجماع وهم سادات الأولياء والأتقياء ولكن لم يدع أحد منهم عن نفسه ولا عن غيره أنه أخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى بالمعنى الذي ذكره هؤلاء^(٣).

أما زعمه أنه لا زال فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى مباشرة من غير واسطة الرسول فقد ادعى الخبيث بذلك أنه أفضل من الصحابة وأنه يوحى إليه ولكن أين الدليل على أن الذي يوحى إليه هو الله عز وجل بل الذي يوحى إليه بهذا الغرور والباطل هو الشيطان . قال الله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾^(٤).

فيتبين مما سبق من الوجوه أن ما ذهب إليه القائلون بوحدة الوجود في بيان معنى الخلافة وتفسيرها قول باطل مشتمل على الكفر والشرك والزندقة والإلحاد^(٥) والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

(٢) انظر : (ص : ٦٦٢) .

(٣) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

(٤) الأنعام الآية : ١١٢

(٥) وهناك نقاط ووجوه أخرى غير ما ذكرت ناقشهم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية وبين بها بطلان مذهبهم . انظر :

بمجموع الفتاوى (٢/١٢٢ و ١٢٧-١٢٨ و ٣١٦-٣١٨) .

الباب الرابع : نبوة آدم عليه السلام ودعوته ووفاته .

وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول : نبوة آدم عليه السلام .

الفصل الثاني : دعوة آدم عليه السلام .

الفصل الثالث : عمر آدم عليه السلام ووفاته .

الفصل الأول : نبوة آدم عليه السلام . فيه مدخل ومبحثان .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام .

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان

بها . وفيه مسألتان .

المسألة الأولى : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية .

إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبرار من الجنة، وأنزلهما إلى الأرض وعدهما بأن هدايته وإرشاده سيكون مستمرا لهما ولذريتهما في الأرض . قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو وإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ^(٢) .

فأنزل سبحانه وتعالى هداه على عباده، واختار لتبليغه إليهم رجلا منهم، وأول من اختاره منهم، واصطفاه، واجتباها، وهداه، وجعله نبيا وواسطة بينه وبين بني آدم هو أبوه آدم عليه السلام، ثم لم تزل رسالة الله سبحانه وتعالى وهدايته لعباده تنزل على رجال منهم إلى أن ختمت على سيد الأنبياء والمرسلين وأفضلهم محمد بن عبد الله الهاشمي عليه السلام برسالة عامة شاملة كاملة، خالدة باقية إلى يوم القيامة، مهيمنة على الرسالات السابقة كلها، محفوظة بحفظ الله لها .

والله سبحانه وتعالى لم يترك أمة من الأمم إلا وقد بعث فيها رسلا ونذره . قال تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(٥) . والله سبحانه وتعالى من حكمته أنه يوفر لعباده ما يحتاجون إليه بحسب حاجتهم إليه وضرورتهم له، فإرساله الرسل بهذه الكثرة والمتابعة يدل على أهمية الرسالة السماوية ومكانتها ومترلتها، ويبين شدة حاجة العباد وضرورتهم إليها.

(١) البقرة الآية : ٣٨

(٢) طه الآية : ١٢٣

(٣) يونس الآية : ٤٧

(٤) فاطر الآية : ٢٤

(٥) النحل الآية : ٣٦

والله سبحانه وتعالى أنزل هداه للعباد، وبين لهم طريق الفلاح والسعادة، عن طريق أنبيائه ورسله - وهم جم غفير - وكلهم قد بلغوا إلى الناس رسالة ربهم، وبينوا لهم ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، ودعواهم إلى كل خير وبر وفضل يعلمونه، وحذروهم من كل شر وشين وفساد يعلمونه، ونصحواهم غاية النصح، وبينوا لهم أوضح بيان، ومع ذلك نرى كثيرا من بني آدم قد تنكبوا عن الصراط المستقيم، وحادوا عن جادة الصواب، وغاصوا في بحر الشقاوة والندامة والمساوي والمهالك والقاذورات. فأمعنوا النظر وقلبوا الفكر وتصوروا وتفكروا كيف تصير الحال وما ذا يكون المآل لو لم يكن الله سبحانه وتعالى قد أرسله رسله إليهم مبشرين ومنذرين ؟ ^(١).

فهذا كله يبين شدة حاجة البشرية إلى الرسالة السماوية، ولا يمكن توضيح تلك الحاجة، وبيان تلك الضرورة كما هي، فالقلم عن بيائها قاصر، واللسان عن وصفها عاجز ولكن فيما يلي إلقاء ضوء يسير على بعض تلك الجوانب التي تؤكد حاجة البشرية إلى الرسالة السماوية وضرورتها وافتقارها إليها وبالله التوفيق .

١- حاجة الناس إلى معرفة الغاية من وجودهم وكيفية تحقيقها ^(٢): إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس سدى، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة وغاية حميدة، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(٣). والإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة العبادة، وكيفيتها، وتفصيلها، وما يحبه الله منها ويرضى، وما يكرهه منها ويأبى، إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين، فحاجة الناس إليهم ماسة، ليعلموا عن طريقهم حقيقة العبادة وطريقتها، ليأتوا بها على وجهها، ويتمكنوا من تحقيق الغاية التي خلقوا لها، وتكون عبادتهم مقبولة عند الله سبحانه وتعالى، ويكونوا من الفائزين بعبودية الله الخاصة، وبسعادة الدنيا والآخرة .

(١) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ، ٢٢/١) .

(٢) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ٢٣/١)؛ والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم (ص : ٢٤-٢٥)؛ ودراسات في

النبوة والرسالة (ص : ١٠٢)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٢٩-٣٠)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٢٥٨/٣) .

(٣) الذاريات الآيات : ٥٦-٥٨

٢- الحاجة إلى تصفية الفطرة وتجليتها وإعادتها إلى أصلها^(١) : إن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على معرفته، وجبلهم على التدين والعبودية له سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾^(٢) .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾^(٣) .

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا . كلُّ مالٍ نَحَلَّته عبدا حلال ، وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ... الحديث^(٤) .

فالله سبحانه وتعالى خلق الناس على الفطرة النقية السليمة المؤدية إلى معرفة الله والعبودية له سبحانه ولكن هذه الفطرة قد يعترض لها ما يغيرها ويفسدها مثل تربية الأولاد تربية غير إسلامية، وتقليدهم لآبائهم وأجدادهم المنحرفين، ومصاحبة الأشرار المفسدين، وسوسة الشياطين من الجن والإنس وغيرها من العوامل والأسباب التي تغير الفطرة وتفسدها، فاقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يختار من عباده أنبياء ورسلا يذكرهم بالله سبحانه وتعالى، ويأمروهم بعبادته وحده لا شريك له، ويأخذون بأيديهم من الضلال والانحراف إلى سبيل الهدى والرشاد، ويعيدونهم إلى جادة الصواب .

٣- الحاجة إلى معرفة المغيبات مع قصور العقل عن إدراكها^(٥) : الإيمان بالغيب من أهم خصائص الإيمان وميزاته؛ ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده الذين يؤمنون بالغيب،

(١) انظر : عصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص : ١٦-١٧)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٢-٣٣) ..

(٢) الروم الآيتان : ٣٠-٣١

(٣) حديث صحيح، أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري، وقد سبق نخبه في (ص : ٦١٥) .

(٤) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ... ب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ ح : ٢٨٦٥) .

(٥) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ٢٤/١)؛ والوحي المحمدي (ص : ٤٨-٥٠) .

وبين أنهم هم المفلحون. فقال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ﴾ * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ ^(١).

وأمر الغيب لا يمكن إدراكها ومعرفتها على وجه صحيح إلا عن طريق الأنبياء والرسل، فمعرفة أسماء الله وصفاته، ومعرفة الملائكة، ومعرفة أشراط الساعة، ومعرفة أحوال الآخرة، ومعرفة ما أعد الله لعباده المؤمنين في دار كرامته من النعيم المقيم، وما أعد للكافرين في النار من أنواع العذاب الأليم، هذه كلها من أمور الغيب، والإيمان بها من أصول الإيمان، والعقول البشرية قاصرة دونها، وعاجزة عن معرفتها معرفة صحيحة، فهنا تتأكد ضرورة العباد وتشتد حاجتهم إلى من يعلمهم هذه الحقائق، ويخبرهم عن هذه المغيبات على وجه صحيح حتى يصح إيمانهم ويكمل فيكونوا من أولئك الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى، وعدهم من المتقين المفلحين .

ولو أن الله سبحانه وتعالى لم يكن قد بعث رسله لما عرف الناس هذه الأمور الغيبية، ولم يؤمنوا إلا بما يدركونه بحواسهم، فكانت الخسارة والشقاوة حليفهم ونصيبهم في دنياهم وأخراهم، فسبحان الخالق العظيم الرؤوف الرحيم، الذي من على عباده ببعثة الأنبياء والمرسلين .

٤- الحاجة إلى القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ^(٢) : الناس يحتاجون إلى القدوة الصالحة، الأسوة الحسنة التي يعاينون فيها المثال الواقعي والأ نموذج التطبيقي، فيرون الفضائل والمكارم مجسدة فيها، ويرون المعاصي والردائل مهجورة منبوذة لديها، ولذلك اصطفى الله من خلقه رسلا رجالا ، وكلهم بالأخلاق الفاضلة والخصائل الحميدة، وعصمهم من الشبهات والشهوات النازلة . فكانوا نبراس الهدى، ومصابيح الدجى، وأمر الله سبحانه وتعالى الخلق بالافتداء بهم، والاهتداء عن طريقهم. قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

(١) البقرة الآيات : ٣- ٥

(٢) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ٢٤/١)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٧- ٣٨) .

(٣) الأنعام الآية : ٩٠

(٤) الممتحنة الآية : ٤٠

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»^(١) . فالرسل قدوة الأتباع، والأسوة الحسنة لمن أطاع، فمن اقتدى بهم في زمانهم، ثم اقتدى بأفضلهم وسيدهم محمد بن عبد الله ﷺ - المبعوث إلى الناس كافة، المهيمن على الأديان كلها، والناسخ لها - واتخذ من سيرته وحياته قدوة، يسير على منواله، ويستن بسنته، ويتنهج بمنهج، ويتمسك بحبله، ويمشي على صراطه المستقيم، سيصل إلى دار السلام، ويحط رحله في ساحة رب الأنام، ويفوز برضا الرحمن، ويحظى بالنظر إلى وجهه الكريم .

ولا فلاح أعظم ولا سعادة أكبر من ذلك، ولا سبيل إليها إلا عن طريق الرسل والتمسك بما أوحى إليهم، فحاجة الناس إلى الرسل ورسالتهم شديدة، إذ عليها مدار فوزهم وفلاحهم ونجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٥ - الحاجة إلى نظام عادل شامل، يحقق لهم المصالح، ويدبر عنهم المفاسد^(٢) : إن الإنسان مدني بالطبع، لأن الله سبحانه وتعالى خلقه على جبة وطبيعة لا يتمكن معها بسد حاجاته كلها، فهو يحتاج في حياته ومجتمعه إلى غذاء ولباس ومسكن وغير ذلك من سائر ما يحتاجه، ولا يمكنه القيام بتلك الأمور جميعها بمفرده، بحيث يستغني عن الناس كلهم، وإنما يكون بالمشاركة والمعاوضة والتعاون مع الآخرين .

ومصالح الناس تلتقي حيناً، وتفرق أحياناً كثيرة، فيرغب الإنسان أن يستأثر بكل خير لنفسه دون الآخرين، فيحصل التصادم المؤدي إلى الجور والظلم، فيأكل القوي الضعيف، ويعم الفساد والفوضى، وتعطل المصالح، ويختل الأمن، ويفسد النظام، ولا يندفع هذا إلا بالتزامهم قواعد وقوانين عادلة، تتناول شتى نواحي الحياة، وتكفل لكل ذي حق حقه، من غير ظلم ولا هضم .

والبشرية كلها عاجزة عن وضع مثل هذا النظام العادل الكامل الشامل الذي يخضع له الناس كلهم، وفي بحقوقهم جميعاً؛ لأن البشر مهما كانوا نابغين ناهين - لا يقفون على حقائق الأمور على وجهها الصحيح، مع مراعاة الأفراد والجماعات، في الأزمنة المختلفة والأمكنة المتعددة، ومع

(١) الأحزاب الآية : ٢١

(٢) انظر : الوحي الحمدي (ص : ٥٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٢-٢٤)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٠٢)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٣-٣٤)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد (ص : ٢٨-٢٩) .

اختلاف العادات والتقاليد وتعدد البيئات والثقافات والأحوال والظروف؛ ولذلك نراهم يختلفون ويتنازعون حتى في وضع القوانين اختلافاً يؤدي إلى الفساد والاضطراب .

فلا عاصم من ذلك إلا أن تكون هذه القوانين من وضع الخالق العليم الحكيم اللطيف الخبير، فيوحي بها إلى المصطفين الأخيار من الأنبياء والمرسلين، فيحكمون بين الناس فيما اختلفوا فيه، في ضوء ما أنزل إليهم، فتندفع المظالم، وتحفظ الحقوق، ويحل الأمن والاستقرار محل الفساد والاضطراب . فالناس في أمس الحاجة إلى النبيين والمرسلين وما أوحى إليهم من رحم جل وعلا .

٦ - الحاجة إلى تزكية النفوس، وإعلاء قوى الشر على قوى الخير فيها ^(١) : خلق الله

تعالى الإنسان، وزوده بقوى الخير والشر، ابتلاء وفتنة له منه سبحانه وتعالى . قال تعالى :

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ^(٢) . وقوى الشر لو استحكمت في الإنسان لأفسدت أمره، وجعلته

يذل ويخزي، وينحط ويشقى في عاجل أمره وآجله، كما أن قوى الخير لو حكمت تصرفات

الإنسان، وتغلبت على قوى الشر فيه لحسن حاله، وصلح أمره، وهنأ عيشه، وطاب ماله،

وكانت النجاة والسعادة والفلاح حليفه في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة

الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ ^(٣) .

وإعلاء قوة الخير على قوة الشر في الإنسان إنما يكون بما جاءت به الرسل . قال تعالى :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ هو الذي

بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ ^(٥) .

فالرسالات السماوية هي التي تسمو بها النفوس وتزكي فتعلو وتغلب على قوى

الشر فيها، فتقود الإنسان إلى كل خير وفضل، وتصدّه عن كل شر وفساد، فتكون حياته

طيبة آمنة سعيدة في الدنيا والآخرة، فما أحوج الإنسان إلى تلك السعادة والحياة الطيبة ! .

(١) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٠ - ٢١) .

(٢) الأنبياء الآية : ٣٥

(٣) النازعات الآيات : ٣٧ - ٤١

(٤) الحديد الآية : ٢٥

(٥) الجمعة الآية : ٢

٧ - الحاجة إلى تغذية الروح وتقويتها^(١) : خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين، ونفخ فيه

من روحه سبحانه وتعالى. والطين يشير إلى مادية الإنسان، والنفخة الإلهية تشير إلى روحانيته. فالإنسان ليس ماديا فقط، وليس روحانيا فقط بل هو جامع بين المادة والروح، ولكل منهما غذاؤه ومقوماته التي لا يستغني عنها، ولا يصلح شأنه إلا بها، فالجسم لصلاحه ونموه وبقائه وسلامته يحتاج إلى ما يحفظه ويغذيه من الأطعمة والأشربة والأدوية والألبسة وما إلى ذلك .

وكذلك الروح أيضا تحتاج لبقائها وصفائها وحياتها إلى ما يجليها ويصفيها ويحفظها ويغذيها من معرفة الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، والتوكل عليه، والاستعاذة به، والالتجاء إليه، وذكره، وشكره، وعبادته، ومحبته، واتباع وحيه ونوره وشرعه، وذلك لا يمكن الحصول عليه والفوز به إلا عن طريق أنبيائه ورسله.

ولذلك سمي الله سبحانه وتعالى رسالته روحا، وكذلك سمي رسوله الذي يتزل بالوحي

روحا . قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ يلقي الروح من

أمره على من يشاء من عباده لينذريوم التلاق ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من

عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما

الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإناك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾^(٥) . فسمى الله

سبحانه وتعالى جبريل ﷺ الذي يتزل بالوحي روحا، كما سمي ما أوحى إلى رسله روحا؛ لأن به

حياة القلوب والأرواح، كما أن في الطعام والشراب والدواء حياة الأجسام وسلامة الأبدان .

ولا شك أن سلامة القلوب والأرواح أولى من سلامة الأبدان والأجسام . وقد عقد

شيخ الإسلام ابن تيمية مقارنة بين حاجة العبد إلى غذاء البدن وبين حاجته إلى غذاء

الروح فقال : حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فان آخر

ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه

(١) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٦) .

(٢) الشعراء الآية : ١٩٣

(٣) غافر الآية : ١٥

(٤) النحل الآية : ٢

(٥) الشورى الآية : ٥٢

موتنا لا ترجى الحياة معه أبدا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدا، فلا فلاح إلا باتباع الرسول؛ فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم، ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله، وما أنزل من قبله، ويوقنون بالآخرة وبالهدى والفلاح، فعلم بذلك أن الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما. أهـ باختصار (١).

وقال العلامة ابن القيم : (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلهم، وعامة بني آدم - فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانا، وأقوى طبيعة ممن هو مستقيد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم.

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية؛ فمبناها على الوحي المحض، والحاجة [إلى الشريعة أشد من الحاجة] إلى التنفس - فضلا عن الطعام والشراب -؛ لأن غاية ما يُقدَّر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد. وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول، والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر (٢).

٨ - الحاجة إلى معرفة النافع من الضار ماديا ومعنويا (٣): الإنسان مخلوق عاجز ضعيف، وقوة سمعه وبصره وعقله وفكره محدودة بحد لا تجاوزه، وكذلك جسمه وعمره وحياته ووقته محدود بأمَد ينتهي إليه، والأشياء التي سخرها الله تعالى له، وجعلها في وسعه

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٧-٩٦/١٩) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٠-٩٩/١٩)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٨-٢٠) .

ومتناول يده كثيرة جدا، لكن منها ما ينفعه، ومنها ما يضره .

فكان من فضل الله ورحمته أنه لم يترك الإنسان بغير هدى ولا إرشاد بل أرسل أنبياءه ورسله، وبين عن طريقهم كل شيء يضر الإنسان من المأكول والمشرب والملابس والأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد فحرمها عليه، ولم يحرم عليه شيئا منها يقول عنه عاقل : لو ما حرمه علينا لكان أحسن لنا، كما بين كل ما ينفع الإنسان ويفيده في جسمه وروحه ودينه ودنياه فأباحه له، ولم يحل له شيئا يقول عنه عاقل : لو ما أحله لنا لكان أحسن، فهذه رحمة كبيرة ومنة عظيمة من الله سبحانه وتعالى على عباده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم : أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كُتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بممثلة الأنعام والبهائم بل أشر حالا منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم)^(١).

فبيان الله سبحانه وتعالى الحلال من الحرام، وتمييزه الطيب من الخبيث، والنافع من الضار عن طريق الأنبياء والمرسلين رحمة كبيرة ومنة عظيمة منه سبحانه وتعالى على عباده، لكونهم عاجزين عن معرفة ذلك على الوجه الصواب المطلوب مع شدة حاجتهم إلى بيانه وتوضيحه، فله الحمد والمنة على تفضله وإنعامه .

٩ - الحاجة إلى معرفة طريقة التغلب على الشهوات والشبهات^(٢) : الإنسان بما

أعطاه الله سبحانه وتعالى من العقل قد يميز به بين الحسن والقبيح، وبين النافع والضار، ولكنه كثيرا ما يتخلى عن الحسن الجميل النافع المفيد، مع إدراكه حسن ذلك الشيء وجماله ونفعه وفائدته، ويستبدله بالقبيح المشين الضار المهلك، مع إدراكه قبح ذلك الشيء وشينه وضرره، وفي مثل هذه المواقف والمهالك لا يصلح الإنسان ولا يتقذه منها إلا ركوبه سفينة النجاة بالتمسك بحبل الله المتين من الوحي السماوي والهداية الإلهية والتوجيهات الربانية والإرشادات الرحمانية، ولا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق أنبيائه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩ / ١٠٠) .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء للخديدي (ص : ١٥) .

ورسله بما أنزل عليهم من وحيه وشرعه وأمره ونهيه .

١٠ - الحاجة إلى معرفة يوم القيامة والحياة الآخرة ^(١): الإنسان عمره في الدنيا

قصير، وحياته فيها محدودة، وأنفاسه فيها معدودة، وقد يقضيها أو بعضها في متاعب وآلام، وقد يعيشها مهضوم الحق مظلوما، وآخر قد يعيشها في أمن وراحة، ومع ذلك يكون ظالما مغتصبا لحقوق الآخرين، فمتى يرفع الظلم عن الأول، وينال حقه ؟ ومتى يؤخذ على يد الظالم، ويعاقب على ظلمه وإساءته ؟

والله سبحانه وتعالى حاكم عدل، يكافئ المطيع المحسن على طاعته وإحسانه، ويعاقب العاصي الظالم المسيء على معصيته وظلمه وإساءته؛ ولذلك جعل حياة الإنسان في الدنيا مدة معينة تنتهي بنهايتها، ثم يجمع الأولين والآخرين، في صعيد واحد، في يوم واحد، ويحاسبهم على نظام واحد، فيجازي كلا منهم بما يستحقه، فيكرم المحسنين في دار كرامته، ويعذب المسيئين في دار عذابه وإهوانه.

والناس في أشد الحاجة إلى من يعرفهم بذلك اليوم الموعود حتى يرتدع المسيء ويتشجع المحسن فيكثر الخير ويعم ويقل الشر وينكمش، فيعيش الفرد والمجتمع حياة سعيدة ولكن تفصيل تلك المحاسبة وبيان أنواع النعيم والعذاب، وكيفية تلك الحياة الخالدة الدائمة لا يمكن أن يصل إليها أحد إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين .

الحاصل : الرسالة الإلهية بعقيدتها وشريعتها ضرورية للبشر، فإنها سبب معرفة الله سبحانه وتعالى حق معرفته، وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وبذلك يتمكن البشر من سلوك صراط الله المستقيم، الذي يوصله إلى دار النعيم الأبدي، وينجيه من العذاب السرمدي، كما أنها سبب رغد العيش الدنيوي وهنائه ورخائه وأمنه واستقراره، فهي شاملة لما ينفع العبد في بدنه وروحه، وترشده إلى ما هو خير لدينه ودينه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاذه، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما

(١) انظر : الرحي المحمدي (ص: ٥٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢١-٢٢)؛ ودراسات في النبوة

والرسالة (ص : ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣١-٣٢) .

ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمناً (١).

وقال العلامة ابن القيم : (لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. فأني ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفه عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة. فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي) (٢).

فحاجة البشرية إلى الرسالة السماوية فوق كل ما يحتاجون إليه لأن سعادتهم تدور عليها وجودا وعدما فكلما كان الشخص كثير الحظ منها كانت سعادته أكثر وأكبر في الدنيا والآخرة، وكلما كان قليل الحظ منها كانت سعادته أقل وشقاوته أكثر. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفهم رسالته إلى عباده فمهما سليما، وأن يوفقنا للسير في ضوئها وتطبيقها في جميع نواحي حياتنا وكل شئوننا، وأن يبارك لنا فيها . آمين .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٩/١٩) .

(٢) زاد المعاد (٦٩/١) .

المسألة الثانية : وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

إن من جليل فضل الله وعظيم رحمته تعالى على عباده أنه سبحانه وتعالى لم يتركهم وحدهم يسرون ويتخبطون في بيداء الظلام والضلال بل اختار منهم رجالا، وحسنهم خلقا وخلقا، وكملهم حسبا ونسبا، وزينهم علما وأدبا، وعصمهم من الشبهات والشهوات، فأكرمهم بالنبوة والرسالة، وجعلهم سفراء بينه وبين الناس، يبلغون إليهم رسالات ربه، ويدعونهم إليها، ويبينونها لهم بلسان حالهم وقلمهم، فكانوا نيراس الهدي، ومصابيح الدجى .

وقد أوجب الله علينا الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، من غير تفريق بين أحد منهم، وبين ذلك في كتابه الكريم في آيات كثيرة، ومواضع عديدة، بأساليب شتى، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم وجعل ذلك

من أصول الإيمان ^(١) . قال تعالى : ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربه لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ^(٢) وقال الله : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربه لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ^(٣) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر ... الحديث ^(٤) .

٢ - وعد الله سبحانه وتعالى بالأجر والثوبة لمن لم يفرق بين رسله في الإيمان بهم ^(٥) . قال

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٣١٨/٣ - ٣١٩)؛ والرسل والرسالات (ص : ١٥ - ١٦) .

(٢) آل عمران الآية : ٨٤

(٣) البقرة الآية : ١٣٦

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦) .

(٥) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

- تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ ^(١).
- ٣ - مدح الله سبحانه وتعالى من آمن بالرسول جميعاً ^(٢) : قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا وإليك المصير ﴾ ^(٣).
- ٤ - جعل الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالرسول جميعاً قدوة لغيرهم ، وأمر غير المؤمنين أن يؤمنوا بالرسول جميعاً كما آمن المؤمنون .
- ٥ - وصف الله سبحانه وتعالى من آمن بمثل ما آمن به المؤمنون بالهداية .
- ٦ - بين الله سبحانه وتعالى أن من لم يؤمن كما آمن المؤمنون بالرسول جميعاً فهو في ضلال وشقاق .
- يدل على الوجوه المذكورة ^(٤) - من الرابع إلى السادس - قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ﴾ ^(٥) .
- ٧ - ذكر الله سبحانه وتعالى أقواماً كذبوا رسلهم ولكن جاء التعبير عنه في كتاب الله تعالى بصيغة الأفراد دون صيغة الجمع ، وذلك يدل على وجوب الإيمان بجميع الرسل .
- قال تعالى : ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ﴾ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ ^(٦).

(١) النساء الآية : ١٥٢

(٢) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

(٣) البقرة الآية : ٢٨٥

(٤) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٣٦-١٣٧

(٦) الحاقة الآيات : ٤-١٠

فهذه جماعة من الأقوام الكافرة، وكان الله سبحانه وتعالى أرسل إليهم جماعة من المرسلين، وليس رسولا واحدا وهم عصوا جميع الرسل الذين أرسلوا إليهم ولم يؤمنوا بهم ولكن جاء التعبير عن ذلك في كتاب الله تعالى بصيغة الإفراد، أي : رسول ، دون صيغة الجمع ؛ أي : الرسل ، فجمع الله سبحانه وتعالى الرسل هنا في رسول، وفي ذلك دلالة على أن الإيمان بواحد منهم إيمان بجميعهم، وأن الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم فيجب الإيمان بجميعهم، ^(١) والله أعلم بالصواب .

٨ - إن الله سبحانه وتعالى قرن الإيمان بالرسل بالإيمان به وحده سبحانه كما قرن الكفر بهم بالكفر به سبحانه وتعالى ^(٢). قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ ^(٣). وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ ^(٤) .

فمعنى ذلك أنه لا يصح إيمان عبد يؤمن بالله ربا حتى يؤمن برسوله أيضا دون تفريق بينهم ومن كفر بواحد من رسله فهو كافر برسله جميعا وكافر برسله أيضا .

٩ - ذم الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب لعدم إيمانهم بجميع الرسل ووبخهم على ذلك ^(٥): قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ ^(٦) .

١٠ - إطلاق تكذيب المرسلين على من كذب رسولا واحدا ^(٧). قال تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعدنا للظالمين عذابا أليما ﴾ ^(٨) وقال تعالى : ﴿ كذبت

(١) انظر : تاريخ الدعوة (٣٩/١ - ٤٠) .

(٢) انظر : دراسات في النبوة والرسالة (ص : ١١٦ - ١١٧) .

(٣) النساء الآية : ١٥٢

(٤) النساء الآيتان : ١٥٠ - ١٥١

(٥) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

(٦) البقرة الآية : ٩١

(٧) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) ؛ وتاريخ الدعوة (٣٨/١ - ٣٩) .

(٨) الفرقان الآية : ٣٧

قوم نوح المرسلين ﴿^(١) وقال تعالى عن قوم هود عليه السلام : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ ^(٢) وقال تعالى عن قوم صالح عليه السلام : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ ^(٤) وقال تعالى عن قوم لوط عليه السلام : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ ^(٥) وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ ^(٦).

فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كل واحد منهم أرسل إلى قومه خاصة، و أقوامهم كذبوا رسولهم الذي أرسل إليهم، فقوم نوح كذبوا نوحا عليه السلام، وعاد كذبت هودا عليه السلام، و ثمود وهم أصحاب الحجر كذبوا صالحا عليه السلام، وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام كذبوا رسولهم شعيبا عليه السلام، ولكن لما كان جميع الرسل مرسلين من الله سبحانه وتعالى وكلهم يدعون إلى كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك عد تكذيبهم لرسول واحد تكذيبا لجميع المرسلين ^(٧). فهذا يدل على أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم في الإيمان بهم وتصديقهم وتكريمهم .

١٢ - بين الله سبحانه وتعالى أن من لم يؤمن بجميع الرسل فهو كافر ^(٨). قال تعالى :

﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ ^(٩).

١٣ - هدد الله سبحانه وتعالى من لم يؤمن بجميع الرسل بعذابه وغضبه وعقابه ولعنته

(١) الشعراء الآية : ١٠٥

(٢) الشعراء الآية : ١٢٣

(٣) الشعراء الآية : ١٤١

(٤) الحجر الآية : ٨٠

(٥) الشعراء الآية : ١٦٠

(٦) الشعراء الآية : ١٧٦

(٧) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٣٦٩)؛ وتفسير القرآن العظيم (٥٥٦/٢)؛ ودفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب [مع الأضواء] (١٥٣/١٠)؛ والرسل والرسالات (ص : ٢٥)؛ وتاريخ الدعوة (٣٧/١) .

(٨) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٤ - ٢٥) .

(٩) النساء الآيتان : ١٥٠ - ١٥١

في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ آيَاتُ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ سَيُجْزَوْنَ أَجْرًا كَثِيرًا بِمَا كَانُوا فِيهَا يَسْتَفِرِّقُونَ ﴾ ^(٣) .

١٤ - اتفاق المسلمين على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء، وعلى كفر من كفر بواحد منهم، وعلى وجوب قتل من سب واحدا منهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الإيمان بكل نبي، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر، ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء) ^(٤) .
يتبين مما سبق من الوجوه أن الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين من أصول الإيمان وأركانها، فيجب الإيمان بهم جميعا دون تفريق بينهم، ومن فرق بينهم، فأمن ببعضهم دون بعض، فهو كافر بجميع الأنبياء والمرسلين، وكافر بالله سبحانه وتعالى الذي أرسله إليهم، والله أعلم بالصواب .

(١) البقرة الآية : ١٣٧

(٢) النساء الآيات : ١٥٠-١٥١

(٣) هود الآيات : ٥٩-٦٠

(٤) منهاج السنة النبوية (١٨٨/٦) .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد : معنى النبي والرسول والفرق بينهما.

أولاً : معنى النبي والرسول في اللغة :

معنى النبي : ذهب أكثر أئمة اللغة العربية ^(١) إلى أن النبي مأخوذ من (ن ب أ) والنبأ هو الخبر، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عن النبأ العظيم ^(٢)، وعلى هذا يكون النبي أصله (ن ب ي ء) على وزن فاعيل، ثم تركت الهمزة ^(٣).
ويسدل على هذا الأصل أن النبي يجمع على نُبَاء، وهذا هو القياس؛ لأن ما جاء على فاعيل صحيح اللام قياسه أن يأتي على فعلاء ^(٤) مثل : كريم وكُرماء، وعليم وعُلماء، ونبي ونُبَاء، وعلى هذا قول الشاعر العباس بن مرداس ^(٥) :

يا خاتم النبأ إنك مرسل :: بالحق كل هدى السبيل هداكا ^(٦).

على هذا يكون النبي على وزن فاعيل بمعنى فاعل؛ لأنه ينبئ عن الله عز وجل، أو هو فاعيل بمعنى مفعول؛ أي : أن الله سبحانه وتعالى أنبأه وأخبره بوحيه إليه ^(٧).
وذهب جماعة من أئمة اللغة ^(٨) إلى أن النبي أصله (ن ب و)، مأخوذ من النبوة والنسابة، وهي الارتفاع عن الأرض ^(٩)، أو النبي بمعنى الطريق ^(١٠)، وعلى هذا يكون

(١) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (٣١٠/١) .

(٢) النبأ الآيتان : ٢-١

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٦/١٥)؛ والمصباح المنير (ص : ٢٢٦)؛ وتداخل الأصول ... (٣١١-٣١٠/١) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٦-٤٨٧)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١) .

(٥) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى، صحابي مشهور، أسلم بعد يوم الأحزاب . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٩٤ برقم : ٣١٣٩) .

(٦) ديوان العباس بن مرداس السلمى (ص : ١٢٢) .

(٧) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٤٦/١) .

(٨) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٥-٤٨٦)؛ ومشكلات موطأ مالك بن أنس (ص : ٧٩)؛ وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٦٤٦٨/١٠)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٨٥-٣٨٤)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١) .

(١٠) انظر : نفس المصادر السابق ذكرها .

النبي أصله (ن ب ي و)، فاجتمعت الياء والواو، وسكنت الأولى، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء (١).

ويدل على هذا الرأي أن النبي يجمع على أنبياء فهذا يدل على أن أصله معتل، لا مهموز؛ لأن تكسير ما كان على فعيل معتل اللام يأتي على أفعلاء (٢) مثل : تقي وأتقياء، وصفي وأصفياء، فكذلك نبي وأنبياء .

وعلى هذا يكون النبي على وزن فعيل بمعنى فاعل ويكون معناه: شريف المكانة ورفيع المنزلة أو الدال على الطريق والهادي إليه (٣).

الحاصل أن النبي يجوز أن يكون من أنباء؛ أي : أخير؛ ثم ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أن يكون من نبا ينبو: إذا ارتفع فيكون فعلا من الرفع، أو من النبي بمعنى الطريق، وهذه الأقوال كلها محتملة وموافقة للمفهوم الشرعي للنبوة إذ النبي أخبره الله سبحانه وتعالى بوحيه إليه ما شاء سبحانه، وهو يخبر الناس بما أوحى إليه، ولا شك أنها درجة رفيعة ومكانة منيفة لصاحبها، وأيضا هي طريق موصل إلى الله سبحانه وتعالى .

معنى الرسول : اتفق أئمة اللغة أن الرسول أصله (رس ل)، وهو أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد والتوجيه والمتابعة ، مأخوذ من قولهم : جاء القوم أرسالا يتبع بعضهم بعضا ، ويقال : أرسلت فلانا برسالة ؛ أي : بعثته برسالة فهو مرسل ورسول ، والرسول بمعنى المرسل، فهو فعول بمعنى مفعول، وهذا قليل في اللغة العربية ، ويجمع على رسل (٤).

وإنما سمي الرسول رسولا، لأنه مبعوث من الله سبحانه وتعالى، وموجه منه سبحانه، ومأمور بتبليغ أوامره ووحيه إلى خلقه، ومتابعهم في الدعوة، وكذلك الناس مأمورون بمتابعته .

(١) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٦/١٥ - ٤٨٧)؛ و تداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١ - ٣١٢) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٧/١٥)؛ وشمس العلوم (٦٤٦٥/١٠)؛ ولوامع الأنوار البهية (٤٩/١) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (٣٩١/١٢ - ٣٩٤)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٩٢/٥)؛ والمصباح المنير (ص : ٨)؛ والمعجم الوسيط (٣٤٤/١) .

ثانيا : معنى النبي والرسول في الشرع وبيان الفرق بينهما؟

اختلف أهل العلم في بيان معنى النبي والرسول في الشرع، وهل هما اسمان لمسمى واحد أو هما اسمان يختلف أحدهما عن الآخر ويمكن تلخيص أقوالهم في قولين :

القول الأول : النبي والرسول هما اسمان لمسمى واحد، ولا فرق بينهما فالنبي هو الرسول، والرسول هو النبي؛ لأن النبي والرسول كلاهما مرسل من الله، ومأمور بتبليغ ما أوحى إليه . وهذا القول ذهب إليه القاضي عبد الجبار الهمداني ^(١)، وعزاه الرازي والجرجاني ^(٢) وابن عادل الدمشقي إلى المعتزلة ^(٣)، وعزاه الدكتور محمد أبو النور الحديدي إلى المعتزلة وإلى بعض المتأخرين من الأشاعرة ^(٤)، وبه قال بعض المتأخرين المعاصرين منهم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ^(٥) ومحمد الطيب النجار ^(٦) ومحمد بن إبراهيم التويجري ^(٧) والدكتور عبد الكريم عثمان ^(٨) .

ولكن هذا القول فيه نظر وبيان ذلك لما يلي :

١- قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ ^(٩) .

فالنبي هنا معطوف على الرسول والعطف يقتضي المغايرة؛ فلا يصح أن يكون الرسول هو النبي والنبي هو الرسول بل بينهما فرق ^(١٠) .

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٥٦٧-٥٦٨) .

(٢) علي بن محمد بن علي الجرجاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨١٦ هـ. انظر : معجم المؤلفين (٢١٦/٧) .

(٣) انظر بالترتيب : التفسير الكبير (٢٣١/٢١ و ٤٩/٢٣)؛ والتعريفات (ص : ١٤٨)؛ واللباب في علوم الكتاب (٨١/١٣) .

(٤) انظر : عصمة الأنبياء (ص : ٢٦ ؛ في الهامش) .

(٥) انظر : الإيمان بالأنبياء بمجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ٣) .

(٦) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ١٥-١٦) .

(٧) انظر : أصول الدين الإسلامي (ص : ٤٣) .

(٨) انظر : معالم الثقافة الإسلامية (ص : ٤٠) وانظر ما علق عليه الشيخ عبد العزيز العسكر في (دراسات في النبوة والرسالة ص : ٨٥) .

(٩) الحج الآية : ٥٢

(١٠) انظر : التفسير الكبير (٤٩/٢٣)؛ وفتح البيان (٦٦/٩)؛ والرسائل والرسالات (ص : ١٤)؛ وتاريخ الدعوة (٥٢/١) .

٢- وقال الله تعالى عن موسى عليه السلام : «واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا» ^(١)

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام : «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا» ^(٢).

فإن الله سبحانه وتعالى وصف موسى عليه السلام في سياق واحد ومقام واحد بأنه كان رسولا نبيا، وكذلك وصف إسماعيل عليه السلام بأنه كان رسولا نبيا، فهذا يدل على الفرق بين الرسول والنبي، وأن بينهما تغايرا؛ إذ لو كان الرسول هو النبي، والنبي هو الرسول لكان في قوله : «وكان رسولا» كفاية، ولم تكن هناك حاجة إلى ذكر «نبيا» بعده، فلو سلم قولهم بعدم التفريق بين النبي والرسول لكان قوله : «نبيا» بعد قوله : «وكان رسولا» من لغو الكلام وحشوه الذي لا فائدة من ذكره، وكلام الله سبحانه وتعالى متره عن ذلك ^(٣).

٣- جاء في الأحاديث النبوية ما يدل على أن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، فلو كان الأنبياء هم الرسل، والرسل هم الأنبياء لم يكن فرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل، ولم يكن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل ^(٤).

٤- حكى بعض أهل العلم الإجماع على التفريق بين النبي والرسول، وأن الرسول أفضل من النبي ^(٥) وفي حكاية هذا الإجماع نظر لوجود الخلاف في المسألة ولكنه يعطي القول بالتفريق بين النبي والرسول نوعا من القوة .

القول الثاني : هناك فرق بين النبي والرسول، وأن الرسول أعلى منزلة وأشرف مكانة من النبي ولكن هؤلاء اختلفوا في وصف كل منهما وتحديد الفرق بينهما على أقوال، وفيما يلي ذكرها باختصار .

١ - النبي من أوحى إليه ولم يؤمر بتبليغ ما أوحى إليه. والرسول هو من أوحى إليه وأمر بتبليغ ما أوحى إليه . هذا القول ذهب إليه جماعة كبيرة من أهل العلم منهم

(١) مريم الآية : ٥١

(٢) مريم الآية : ٥٤

(٣) انظر : الرسل والرسالات (ص : ١٤) .

(٤) انظر بعض تلك الأحاديث في (ص : ٧١١-٧١٢) .

(٥) انظر : لوامع الأنوار البهية (٤٩/١ - ٥٠) .

الخطابي^(١) والحليمي^(٢) وابن حزم والبيهقي والقاضي عياض وابن عطية والقرطبي وابن القيم وابن أبي العز والحافظ ابن حجر والسفاري^(٣) وابن عاشور وعبد الرحمن السعدي ومحمد رشيد رضا والشيخ محمد بن صالح العثيمين في قول عنه وإبراهيم بن محمد البريكاني ومحمد علي الصابوني وسعد بن محمد آل عبد اللطيف وعبد العزيز محمد السلطان وغيرهم^(٤).
ولكن هذا التفريق غير سليم؛ فإن القول بأن النبي غير مأمور بتبليغ ما أوحى إليه باطل وبيان ذلك بما يلي :

- ١ - أن الله سبحانه وتعالى نهي عن كتمان الحق وذم الذين كانوا يكتُمونه وهم يعلمونه في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٥) فهذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية تدل على أن كتمان الحق مذموم، وأن من يعلم الحق يجب عليه بيانه وتوضيحه، فمن كتمه بعد معرفته فهو مذموم، فمن المستبعد جدا أن يكتُم نبي ما معه من الحق الذي أوحى إليه ولا يبينه للناس .
- ٢ - أن الله سبحانه وتعالى نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى :

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، وقيل اسمه : أحمد بن محمد، محدث لغوي فقيه أديب، توفي سنة ٣٨٨هـ .
انظر : معجم المؤلفين (٦١/٢ و ٧٤/٤) .

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي الشافعي، فقيه محدث أديب، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣/٤) .

(٣) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، محدث فقيه أصولي صوفي مؤرخ، توفي سنة ١١٨٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٦٢/٨) .

(٤) انظر بالترتيب : أعلام الحديث للخطابي (٢٩٨/١)؛ والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢٣٩/١)؛ والخلي (١/ ٥٠)؛ وشعب الإيمان للبيهقي (١٥٠/١)؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٤٧/١)؛ والمحرم الوجيز لابن عطية (٣٧/١١)؛ والمفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٤٠/٧)؛ وطريق المهجرتين (ص : ٥٧٢)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٥٥)؛ وفتح الباري (٣٧٤/١٢)؛ ولوامع الأنوار البهية (٤٩/١ - ٥٠)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (١٢٧/١٦)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٦٦٨ ، مريم : ٥١)؛ والوحي المحمدي (ص : ٤٧)؛ ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣١٣/١ - ٣١٤ و ١٦٦/٣ و ٩٣/٦)؛ والمقدمات في أصول الدين للبريكاني (ص : ٨٩)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣)؛ والتعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف (ص : ١٨٠ و ٣١٤)؛ ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص : ٧) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٥٩ - ١٦٠

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم بضرعون ﴾^(٣) فإذا كان الفارق بين النبي والرسول هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

٣ - أن الله سبحانه وتعالى وصف الأنبياء بالتبشير والإنذار وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق فقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾^(٤) فبينت هذه الآية أن التبشير والإنذار والحكم بين الناس بالحق الذي أنزل معهم من أهم صفات الأنبياء ووظائفهم، فلا يصح أن يقال أن النبي غير مأمور بالتبليغ.

٤ - قال الله تعالى عن أنبياء بني إسرائيل : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾^(٥). فالله سبحانه وتعالى أخبر عن أنبياء بني إسرائيل أنهم كانوا يحكمون بين الناس بالتوراة، ولا شك أن الحكم بالتوراة دعوة إليها وتطبيق وتبليغ لها قولاً وعملاً.

٥ - أن الله سبحانه وتعالى حكى قصة نبي من أنبياء بني إسرائيل فقال سبحانه :

﴿ ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينة

(١) الحج الآية : ٥٢

(٢) الزحرف الآية : ٦

(٣) الأعراف الآية : ٩٤

(٤) البقرة الآية : ٢١٣

(٥) المائدة الآية : ٤٤

من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة يا ذن الله والله مع الصابرين ﴿١﴾ .

فإن الله سبحانه وتعالى بين أن هذا النبي دعا قومه إلى طاعة طالوت الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ملكا عليهم، وأنه أمرهم أن يجاهدوا أعداءهم تحت راية هذا الملك، وأنه قد شاركهم بنفسه في هذا الجهاد، وأنه كان يخبرهم أثناء الطريق ما كان يوحى إليه من ربه فقال : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ . وهذا كله ينافي القول بأن النبي لا يكون مأمورا بالتبليغ .

٦ - قال تعالى بعد أن ذكر جماعة من الأنبياء والمرسلين : موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ (٢) .

فإن الله سبحانه وتعالى أمرهم بفعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وجعلهم أئمة ودعاة يدعون الناس إلى ما أوحى إليهم من ربه فلا يصح أن يقال أن النبي لم يكن يؤمر بتبليغ ما أوحى إليه .

٧ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال النبي ﷺ : عرضت علي الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت : يا جبريل، هؤلاء أممي ؟ قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ... الحديث (٣) .

فهذا الحديث يدل على أن الأنبياء مأمورون بتبليغ ما أوحى إليهم، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم وإلا فكيف استجاب لهم بعض الناس، وهم لم يقوموا بتبليغ ما أوحى

(١) البقرة الآيات : ٢٤٦-٢٥٢

(٢) الأنبياء الآية : ٧٣

(٣) أخرجه خ (الرقاق، ب : يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ٢٣٩٦/٥ ح : ٦١٧٥)، واللفظ له؛ وم (الإيمان، ب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ح : ٢٢٠) .

إليهم ولم يدعوا الناس إلى ما أوحى إليهم من ربهم جل وعلا ؟ .
٨ - وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم... الحديث ^(١).

فهذا الحديث يبين وظيفة الأنبياء وهي أن عليهم أن يبينوا لأمتهم كل خير يعلمونه لهم، وأن يحذروهم من كل شر، فهذا ينافي القول بأن النبي لا يكون مأمورا بالتبليغ والدعوة إلى ما أوحى إليه من الله سبحانه وتعالى .

٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي ... الحديث ^(٢) .

فهذا الحديث يدل على أن الأنبياء لم تكن وظيفتهم قاصرة على أنفسهم، ولم يكونوا منعزلين عن قومهم بل كانوا هم السادة القادة لأقوامهم، يأمرهم بما ينفعهم وينهونهم عما يضرهم .

١٠ - القول بأن النبي لم يكن يؤمر بتبليغ الناس ما أوحى إليه يخالف مقتضى النبوة ومقصود الوحي، لأنه كتمان لوحي الله تعالى، والله سبحانه وتعالى لا يتزل وجهه ليكنم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته، بل دعوى كتمان الأنبياء ما أوحى إليهم وعدم بيانهم ذلك للناس أمر خطير جدا ينبغي تنزيه الأنبياء عنه .

٢ - النبي من يأتيه الوحي مناما، والرسول من يأتيه الوحي يقظة . وهذا القول ذهب إليه الواحدي والبعوي والرازي ^(٣)، وذكره الآلوسي وتعقبه بقوله : (وهذا أغرب الأقوال ويقتضي أن بعض الأنبياء لم يوح إليه إلا مناما وهو بعيد ومثله لا يقال بالرأي) ^(٤).

٣ - النبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، والرسول هو من أوحى إليه بشرع جديد. هذا القول ذهب إليه الآلوسي، واختاره الدكتور جمعة علي الخولي والدكتور عمر

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٧٣) .

(٢) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : ما ذكر عن بني إسرائيل ١٢٧٣/٣ ح : ٣٢٦٨)، وم (الإمارة، ب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٤٧١/٣ ح : ١٨٤٢) .

(٣) انظر بالترتيب : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٣٧/٢)؛ ومعالم التنزيل (٢٩٣/٣)؛ والتفسير الكبير (٤٩/٢٣) .

(٤) روح المعاني (١٧٣/١٧) .

سليمان الأشقر^(١)، وقريب من هذا القول ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع إذ قال :
(النبي : هو الذي ينبت الله، وهو ينبت بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر
الله ليلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعة قبله، ولم يرسل هو
إلى أحد ييلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول)^(٢)، وهو الذي يدل عليه كلام الشيخ
محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في موضع إذ قال: (لم تخل أمة من رسول يعثه الله
تعالى بشرية مستقلة إلى قومه أو نبي يوحى إليه بشرية من قبله ليحدثها)^(٣) .

ولكن يلاحظ على هذا القول أنه لا شك أن آدم ﷺ كان نبيا، وهو أول البشر
وأبهم جميعا، ولم يكن قبله بشر في الأرض فكيف يكون أبو البشر آدم النبي مقرا لشرع
قبله ولا وجود لبشر قبله في الأرض، فضلا أن يكون هناك رسول منهم إليهم فيأتي أبو
البشر مجددًا ومقرا لهم شرع ذلك الرسول السابق عليه ! .

كما يلاحظ أن هناك رسلا لم يأتوا بشرية جديدة مثل لوط ﷺ فهو رسول ولكن
لم تكن له شرعية جديدة، وإنما كان على دين إبراهيم ﷺ، وكان رسولا، يدل على ذلك
قوله تعالى : ﴿وإن لوطا لمن المرسلين﴾^(٤) .

وكذلك إسماعيل ﷺ كان على شرعية والده، وكان رسولا . قال تعالى : ﴿واذكر
في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾^(٥) .

وكذلك يوسف ﷺ كان على شرعية إبراهيم ﷺ وكان رسولا . قال تعالى : ﴿ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا﴾^(٦) .

وكذلك يوشع بن نون وداود وسليمان عليهم السلام لم تكن معهم شرعية جديدة
وإنما كانوا على شرعية موسى ﷺ وشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنهم كانوا رسلا إذ قال

(١) انظر بالترتيب : روح المعاني (١٧٣/١٧)؛ وتاريخ الدعوة (٥٢/١)؛ والرسل والرسالات (ص : ١٥) .

(٢) النبوات (٧١٤/٢) .

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٩٣/٦) .

(٤) الصافات الآية : ١٣٣

(٥) مريم الآية : ٥٤

(٦) غافر الآية : ٣٤

في موضع آخر : (ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة)^(١).

وقال أيضا : (وقد أخبر الله تعالى أن لوطا كان من أمة إبراهيم ومن آمن معه، ثم إن الله أرسله، وكذلك يوشع كان من أمة موسى، وكان فتاه، ثم إن الله أرسله، وكذلك هارون. لكن هارون ويوشع كانا على دين بني إسرائيل ملة إبراهيم)^(٢).

فلا يصح أن يقال أن من أوحى إليه بشرع جديد فقط هو الرسول دون غيره بل قد يكون رسولا وليس معه شرع جديد، كما لا يصح أن يقال أن النبي هو من بعث لتقرير شرع من قبله .

٤ - النبي من بعث بغير كتاب، والرسول من بعث بكتاب . هذا القول ذهب إليه الزمخشري والنسفي والجرجاني، وهو أحد القولين الذي اختاره الألوسي^(٣).

وهذا التعريف قريب من التعريف السابق و يلاحظ عليه ما لوحظ على التعريف السابق من أن الكتب التي أنزلت قليلة والرسل كثيرون، فمن الرسل من لم يكن له كتاب جديد مستقل، وإنما كان يعمل بكتاب قبله ويدعو إليه .

٥ - النبي من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه أو بعثه لتقرير شرع سابق قبله والرسول من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه . وهذا القول ذهب إليه البيضاوي وأبو السعود والدكتور محمد أبو النور الحديدي والطيب بن عمر الحكيم والشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد^(٤).

وعلى هذا القول يكون النبي أخص ويكون الرسول أعم فيكون كل نبي رسولا ولا يكون كل رسول نبيا .

ويلاحظ على هذا التعريف أيضا ما لوحظ على بعض التعريفات من قبل بأن هناك رسل لم تكن معهم شريعة جديدة، فلا يكون التعريف جامعا .

(١) النبوات (٧١٨/٢) .

(٢) تفسير آيات أشكلت (٢٣١/١) .

(٣) انظر بالترتيب : الكشف (٢٧/٤ و ٢٠٣-٢٠٤)؛ ومدارك التنزيل (٣٤٠/٢)؛ والتعريفات (ص : ٣٠٧)؛ وروح المعاني (١٧٣/١٧) .

(٤) انظر بالترتيب : أنوار التنزيل (١٣٣/٤)؛ وإرشاد العقل السليم (١١٣/٦)؛ وعصمة الأنبياء (ص : ٢٦)؛ والعقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها (ص : ١٥٦)؛ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص : ٥)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٤٩ و ٢٤)؛ والمصدران الأخيران للشيخ عبد القادر الحمد .

٦- النبي من بعثه الله إلى قوم مؤمنين موافقين ويعرفون أن ما يدعوهم إليه حق، والرسول هو من أرسله الله إلى قوم كافرين يخالفونه فيما يدعوهم إليه ويكذب به بعضهم. هذا القول ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)، وارتضاه جماعة ممن جاء بعده^(٢).

والقول بأن النبي يبعث إلى قوم مؤمنين موافقين يؤيده قول النبي ﷺ : ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي...))^(٣) وكذلك قوله ﷺ : ((العلماء ورثة الأنبياء))^(٤) فإن العلماء يأمرؤن المؤمنين بما يعرفون أنه حق ويدعوهم إليه .

ولكن القول بأن الرسول إنما يبعث إلى قوم كافرين يشكل عليه أن عيسى عليه السلام كان رسولاً بالاتفاق وكان مرسلًا إلى بني إسرائيل، ولا سيما عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام كانت بعثتهم إلى بني إسرائيل في أوقات متقاربة جدا. وكذلك يوشع بن نون وداود وسليمان عليهم السلام كانوا رسلا كما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وكانوا من بني إسرائيل الذين كانت تسوسهم الأنبياء؛ فبنو إسرائيل كانوا أهل شريعة وإيمان من قبل، وكانوا يعلمون أن ما يُدْعَوْنَ إليه حق وصدق وصواب. فالظاهر لا يصح قصر الرسول على من أرسل إلى قوم كافرين فقط بل قد يكون مرسلًا إلى قوم مؤمنين والله أعلم بالصواب .

٧- من بعث ليبين للناس أصل التوحيد؛ أي : داعيا إلى التوحيد؛ فإنه يسمى رسولا ومن كان المقصود من بعثته إما نسخ الشريعة السابقة أو التشبث لها أو التجديد في بعض مسائلها فإنه يسمى نبيا، ويكون القوم الذين بعث فيهم على أصل التوحيد . قاله الدكتور يوسف بن محمد الغفيص^(٥).

وهذا التعريف قريب من تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بل هو مستفاد منه إلا أنه

(١) انظر : النبوات (٧١٧/٢ - ٧١٨) .

(٢) انظر : دراسات في النبوة والرسالة (٩٥-٩٩)؛ ومنهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري (١٢١٠/٣) .

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٠٠) .

(٤) أخرجه ت (العلم، ب : فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥ - ٤٩ ح : ٢٦٨١)؛ وجه (المقدمة، ب : فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١ ح : ٢٢٣) وغيرهما والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧١/٣ ح : ٢٦٨٢) وغيره .

(٥) شرح متن العقيدة الطحاوية [شريط رقم : ٤ ، الوجه الثاني] .

لم يخصص الرسول بكونه مرسلًا إلى قوم كافرين كما في تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بل كل من بعثه الله تعالى ليدعو الناس إلى التوحيد فهو رسول؛ فيدخل في هذا التعريف عيسى عليه السلام وغيره من الرسل الذين لا ينطبق عليهم تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للرسول .

ولكن قوله بأن النبي يبعث ناسخًا لشرعية سابقة أو مجددًا لها أو مثبتًا لما اندرس منها يشكل عليه أن آدم عليه السلام كان نبيًا، وهو أول البشر وأبوهم جميعًا، ولم يكن قبله بشر في الأرض فكيف يكون أبو البشر آدم النبي ناسخًا لشرع رسول قبله أو مجددًا له ... ولم يكن للبشر وجود قبله في الأرض، فضلًا أن يكون هناك رسول منهم إليهم فيأتي أبو البشر ناسخًا أو مجددًا ومقررًا لهم شرع ذلك الرسول السابق عليه ! .

خلاصة القول : إن الأقوال التي ذكرت في بيان الفرق بين النبي والرسول إنما هي اجتهادات من العلماء، وهي كلها من باب التقريب؛ وقد لا تجد قولًا جامعًا مانعًا يمكن الاعتماد عليه كقاعدة كلية إلا أنه في ضوء الأقوال السابقة يمكن أن يقال : النبي لا يبعث إلا إلى قوم مؤمنين، وأما الرسول فالغالب عليه أنه يرسل إلى قوم كافرين وقد يرسل إلى قوم مؤمنين كما هو الحال في آدم عليه السلام وقد يرسل إلى قوم فيهم كفار ومؤمنون كما هو الحال في عيسى عليه السلام ، والله أعلم بالصواب .

المطلب الأول : نبوة آدم عليه السلام وأدلتها .

إن من عظيم منن الله على عباده أنه أرسل أنبياءه ورسله لهداية الناس ودعوتهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأول من اختاره الله سبحانه وتعالى لهذا المنصب العظيم والعمل الجليل فأكرمه بالنبوة هو أبو البشر آدم عليه السلام، ومما يدل على نبوة آدم عليه السلام ما يلي :

أولاً : دليل جامع من الكتاب والسنة .

جاء في كثير من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ أن الله سبحانه وتعالى كلم أبا البشر آدم عليه السلام، وخاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولا، وهذا من معاني النبوة، فكلام الله إياه وخاطبه له وأمره ونهيه ووحيه إليه وحي تشريع يدل على أن آدم عليه السلام كان نبيا من الله سبحانه وتعالى، والله أعلم بالصواب ^(١).

وأما الأدلة على كلام الله تعالى آدم عليه السلام فقد سبق ذكرها في الباب الأول عند الكلام عن الأدلة على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام ^(٢).

ثانيا : الأدلة من كتاب الله تعالى :

إن الآيات القرآنية لم تذكر لفظ النبوة أو الرسالة لآدم عليه السلام كما ذكرت لغيره من الأنبياء والمرسلين كنوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ولكن هناك آيات في كتاب الله تعالى فيها إشعار وتنبيه ودلالة على نبوة آدم عليه السلام ورسالته، وهذه الآيات منها ما فيه إشعار عام ومنها ما فيه تنبيه خاص على نبوة آدم عليه السلام ورسالته، وفيما يلي ذكرها :

أ - آيات عامة :

● قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(٣) وقال

(١) انظر : قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١٠) ؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٢-١٣٣) ؛ وتاريخ الدعوة (٥٠/١).

(٢) انظر : (ص : ١٤١-١٤٧) .

(٣) النحل الآية : ٣٦

تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ^(٢) .

فهذه آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى تدل على أن الله سبحانه وتعالى أرسل في كل أمة رسولا منهم، يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن آدم ﷺ وزوجه وأولاده أمة يحتاجون إلى رسالة الله وهدايته سبحانه لهم، والله سبحانه وتعالى لا يتركهم بدون هدايته ورسالته كما لم يترك غيرهم، رحمة وفضلا منه جل وعلا ^(٣) .

● وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ * ثن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسطيدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء يا آثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ ^(٤) .

فهذه الآيات تدل على أن أولاد آدم ﷺ كانوا على رسالة وشرعة ومنهج وهداية من الله سبحانه وتعالى، فهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقدمون إليه سبحانه بالقرايين، وكانوا يعرفون أهمية الخوف من الله والإخلاص له سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة، وأنه سبحانه لا يتقبل إلا من أهل التقوى والإخلاص، وكانوا يعلمون أن هناك ثوابا وعقابا من الله سبحانه وتعالى، وأن الظالمين لهم عذاب النار . فهذا كله يشعر بنبوة آدم ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى كان أوحى ذلك كله إليه وعن طريقه علم أبنائه هذه الأمور المهمة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق الفاضلة، والله أعلم بالصواب ^(٥) .

ب - آيات خاصة بآدم ﷺ :

● قال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي

(١) يونس الآية : ٤٧

(٢) فاطر الآية : ٢٤

(٣) انظر : أنبياء الله للشيخ محمد الشعراوي (ص : ٣٣) .

(٤) المائدة الآيات : ٢٧-٣٠

(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩٤/٦) ؛ وتفسير القرآن الحكيم (٦٠٦/٧-٦٠٧) ؛ وأنبياء الله

(ص : ٣٣) ؛ وفلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة لآدم عبد الله الألوري (ص : ٩٩-١٠٠) .

فلا يضل ولا يشقى»^(١) وقال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾^(٢) .

قال أبو العالية في تفسير قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ : قال : الهدى : الأنبياء والرسل والبيان^(٣) .

وقال ابن جرير الطبري : (آدم كان هو النبي ﷺ أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده، فغير جائز أن يكون معنيا - وهو الرسول ﷺ - بقوله : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ خطابا له ولزوجته . ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ أنبياء ورسل إلا على ما وصفت من التأويل^(٤) .

فالآيتان فيهما وعد من الله سبحانه وتعالى بالهدى، وفيهما نوع من الإشعار بنبوة آدم ﷺ ورسالته^(٥) .

● وقال تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾^(٦) .
قال قتادة في تفسير هذه الآية : (رجلا نبيان اصطفاهما الله على العالمين)^(٧) .
وقال الحسن البصري في تفسيرها : (فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم)^(٨) .
وقال الواحدي : ﴿ إن الله اصطفى آدم ﴾ بالنبوة والرسالة^(٩) .

(١) طه الآية : ١٢٣

(٢) البقرة الآية : ٣٨

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٧/١)، وفي إسناده نظر، وقد سبق الكلام عليه في (ص : ٣٤١-٣٤٢) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٧/١) .

(٥) انظر : تاريخ الدعوة (٥٠/١)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

(٦) آل عمران الآية : ٣٣

(٧) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٤/٣) بإسناده إليه وهو إسناده حسن .

(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٤/٣)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨/٢ برقم : ٣٨٩) وفي

إسناده ابن أبي حاتم رجل لم يتمكن المحقق من معرفته، ولكن يقويه إسناده الطبري ورجاله كلهم ثقات .

(٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٠٧/١) .

وقال ابن عطية الأندلسي في بيان معنى اصطفاء آدم ﷺ في الآية : (آدم هو أبونا ﷺ، اصطفاه الله تعالى بالإيجاد، والرسالة إلى بنيه، والنبوة والتكليم، حسبما ورد في الحديث)^(١) .
وقال الحافظ عز الدين الحنبلي : (أي : اختارهم واجتباهم للنبوة)^(٢) .
ونحوه قال القاسمي^(٣) .

وقال البيضاوي : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ بالرسالة، والخصائص الروحانية، والجسمانية، ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم)^(٤) .
فالظاهر أن المقصود بالاصطفاء في الآية هو الاصطفاء بالنبوة والرسالة^(٥) .
● وقال الله تعالى : ﴿ ثم اجتباهم به قتاب عليه وهدى ﴾^(٦) .

وهذه الآية كالتي قبلها، فالظاهر أن اجتباء الله ﷻ لآدم ﷺ وتوبته عليه وهدايته له إنما هو اصطفاء منه سبحانه وتعالى لآدم ﷺ بالنبوة والرسالة^(٧) .

ثالثا : الأدلة من سنة رسول الله ﷺ :

جاءت أحاديث رسول الله ﷺ موافقة لكتاب الله سبحانه وتعالى، فهي أيضا أشارت إلى ما أشارت إليه الآيات القرآنية من أن الله سبحانه وتعالى اصطفى آدم ﷺ، وزادت في البيان والتوضيح، فصرحت بنبوة آدم ونصت على ذلك وفيما يلي ذكرها :

أ - حديث عام يدل على نبوة آدم ﷺ :

عن أبي بكر الصديق ؓ قال : أصبح رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ذات يوم فضلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٠/٣) .

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٩٣/١)، وعز الدين هو عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي،

محدث مفسر فقيه أديب شاعر، توفي سنة ٦٦١ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢١٧/٥ - ٢١٨) .

(٣) انظر : محاسن التأويل (٨٥/٤) .

(٤) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤/٢) .

(٥) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

(٦) طه الآية : ١٢٢

(٧) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر : ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط، قال : فسأله، فقال : نعم، عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففزع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ، والعرق يكاد يلحمهم، فقالوا : يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك، قال : لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ قال : فينطلقون إلى نوح ﷺ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول : ليس ذاكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ ... الحديث ^(١) .

فالاصطفاء في هذا الحديث مثل الاصطفاء الوارد في آية آل عمران، وقد سبق ذكرها قريبا، مقرونا بأقوال من السلف أنه اصطفاء بالرسالة والنبوة ، فكذلك الاصطفاء هنا فيه إشعار بنبوة آدم ورسالته ﷺ، والله أعلم بالصواب .

ب - أحاديث نصت على نبوة آدم ﷺ .

- ١ - عن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " ^(٢) .
- ٢ - وعن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وييدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول

(١) أخرجه حم (١٩٣/١ - ١٩٦ ح : ١٥) ، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٩/٢ ح : ٧٥١ و ٣٨١/٢ ح : ٨١٢) ؛ والبخاري في مسنده (١٤٩/١ - ١٥٢ ح : ٧٦) ؛ وأبو يعلى في مسنده (٥٦/١ - ٥٨ ح : ٥٦) ؛ وحب كما في الإحسان (٣٩٦ - ٣٩٣/١٤ ح : ٦٤٧٦) ؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (١٢١/١ - ١٢٤ ح : ٣٩) كلهم بأسانيدهم ويجمعون عند نصر بن شميل المازني ثني أبو نعمة، ثني أبو هنيذة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق . قال ابن حبان : (قال إسحاق بن راهويه : هذا من أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي ﷺ نحو هذا) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٥/١٠) : (رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ورجاهم ثقات) وقال البزار : (رواه جماعة من جلة أهل العلم بالنقل واحتملوه) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد (١٧٢/١ ح : ١٥) : (إسناده صحيح) وقال الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٣٤٩/٢ ح : ٧٥١) : (إسناده حسن) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه وذكر أقوال أئمة الحديث فيه مفصلا وانظر : (ص : ١٤٦ - ١٤٧) .

من تنشق عنه الأرض ولا فخر^(١).

- ٣ - وعن عبد الله بن سلام عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع، بيدي لواء الحمد، تحتي آدم فمن دونه^(٢).
- ٤ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ﷺ ... فسار رسول الله ﷺ ... حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء واللبن والخمر، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبرائيل عليه السلام : أصبت يا محمد الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمرهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ... الحديث^(٣).

(١) أخرجه حم (١٧/١١-١١٠٩٨٧)؛ وت (أبواب التفسير، سورة بني إسرائيل ٣٠٨/٥ ح : ٣١٤٨) والمناقب، ب : في فضل النبي ﷺ (٥٨٧/٥ ح : ٣٦١٥)، واللفظ له؛ ج (الزهد، ب : ذكر الشفاعة ١٤٤٠/٢ ح : ٤٣٠٨) كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما سبق الكلام على ذلك . قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح وقد روي بهذا الإسناد عن أبي نضرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ) . قال الألباني عن هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٠/٤) ضمن كلامه على حديث (١٥٧١) : (ابن جدعان فيه ضعف فحديثه حسن في الشواهد) ، وذكر له عدة شواهد، وصححه في صحيح سنن الترمذي (٤٨٥/٣-٤٨٦ ح : ٣٦١٥)؛ وفي صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٢/٣ ح : ٣٤٩٦) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٦٩/٢-٣٧٠ ح : ٧٩٣)؛ وأبو يعلى في مسنده (٤٨٠/١٣-٤٨١ ح : ٧٤٩٣)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : الخوض والشفاعة، ذكر الإخبار بأن الأنبياء أولهم وآخرهم يكونون في القيامة تحت لواء المصطفى ﷺ ٣٩٨/٤١ ح : ٦٤٧٨)؛ واللفظ له، كلهم من طريق عمرو بن عثمان الكلبي ثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٨) : (رواه أبو يعلى والطبراني وفيه عمرو بن عثمان الكلبي وثقه ابن حبان على ضعفه وبقية رجاله ثقات) ، وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات) ، ونحوه قال في تعليقه على (بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ ص : ٣٤)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١٠١/٤) ضمن كلامه حديث (١٥٧١) وذكر له عدة شواهد .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٥) ، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٦١/٢-٣٦٢)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (٢٥٨/٦-٢٥٩ ح : ٢٢٧٧) ورجال الإسناد كلهم ثقات إلا عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الراوي عن أنس بن مالك فإنه لم أظفر له بترجمة، ولم أتمكن من معرفة درجته في الحديث حفظا وضبطا وإتقاناً ولكن أبوه هاشم بن عتبة من الصحابة، وكان مع علي عليه السلام عنه في معركة صفين، وقتل يوم ذلك، وصلى عليه علي بن أبي طالب كما ذكره الطبراني في (المعجم الكبير ١٦٨/٢٢) وابن عبد البر في (الاستيعاب ١٥٤٦/٤ برقم : ٢٧٠٠)؛ وابن حجر في (الإصابة ، القسم الأول ، ٥٩٣/٣ برقم : ٨٩١٢) فبعد الرحمن هذا ابن صحابي وعلى أقل تقدير يكون من أوساط التابعين، وقد قال الذهبي في (ديوان الضعفاء والمتروكين (ص : ٤٧٨) : (أما المجهولون من الرواة : فإن كان الرجل من كبار التابعين أو أوساطهم احتمل حديثه، وتلقي بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأصول ومن ركافة

٥- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ في المسجد جالسا، وكانوا يظنون أنه يتزل عليه، فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر، فأقحم فأتى فجلس إليه، فأقبل عليه النبي ﷺ فقال : "يا أبا ذر هل صليت اليوم ؟" قال : لا . قال : " قم فصل ". فلما صلى أربع ركعات الضحى أقبل عليه، فقال : " يا أبا ذر تعوذ من شر شياطين الجن والأنس ". قال : يا نبي الله وهل للإنس شياطين ؟ قال : " نعم، شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا "، ثم قال : " يا أبا ذر ألا أعلمك كلمة من كثر الجنة ؟ " قال : بلى جعلني الله فداءك. قال : " قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ". قال : فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله . قال : ثم سكت عني فاستبطأت كلامه. قال : قلت : يا نبي الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فبعثك الله رحمة للعالمين، أرأيت الصلاة ماذا هي ؟ قال : " خير موضوع من شاء استقل ومن شاء استكثر "... قال : قلت : يا نبي الله فأَي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم ". قال : قلت : يا نبي الله أو بني كان آدم ؟ قال : " نعم، بني مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه روحه، ثم قال له : يا آدم قبالا ". قال : قلت : يا رسول الله كم وفي عدة الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا " ^(١).

٦- عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت : لا . قال : " قم فصل ". قال : فقمت فصليت ثم جلست فقال : " يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن ". قال : قلت : يا رسول الله وللإنس شياطين ؟ قال : " نعم ". قلت : يا رسول الله ما الصلاة ؟ قال : " خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر "... قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم ". قلت : يا رسول الله وبني كان ؟ قال : " نعم بني مكلم ". قال : قلت : يا رسول الله كم

ص

الألفاظ (وقال الحافظ ابن كثير في (اختصار علوم الحديث ص : ٦٧) : (فأما المبهمة الذي لم يسم، أو من سمي ولا تعرف عينه؛ فهذا ممن لا يقبل روايته أحد علمناه، ولكنه إذا كان في عصر التابعين والقرون المشهود لهم بالخير، فإنه يستأنس بروايته، ويستضاء بها في مواطن) ثم إن هذا الحديث يشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح عند الإمام مسلم (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ ١٥٦/١... ح : ١٧٢) وغيره بأن النبي ﷺ صلى بالأنبياء في تلك الليلة وكان إمامهم، ثم إن محل الشاهد من الحديث وهو نبوة آدم ﷺ تشهد له الأحاديث الأخرى .

(١) أخرجه حم (٦٠٨/٣٦-٦١٩ ح : ٢٢٢٨٨) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١) : (رواه أحمد والطبراني في الكبير ومدايره على علي بن يزيد وهو ضعيف)، وذكر محقق المسند أن العلامة الألباني حسنه في تخريج الترغيب (١٤٥/١)، ولعل تحسينه بالنظر إلى الأحاديث الأخرى الواردة في هذا المعنى .

المرسلون ؟ قال : " ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا " . وقال مرة : " خمسة عشرة " . قال : قلت : يا رسول الله آدم أنبي كان ؟ قال : " نعم نبي مكلم " . قلت : يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال " آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ^(١) .

رابعا : دليل الإجماع .

قد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على نبوة آدم عليه السلام ومن حكى الإجماع على ذلك سعد الدين التفتازاني فقال : (أما نبوة آدم عليه السلام فبالكتاب الدال على أنه قد أمر ونهي، مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر، فهو بالوحي لا غير، وكذا السنة والإجماع، فإنكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا) ^(٢) .

وقال ابن حمير السبتي الأموي : (نص الله تعالى في محكم كتابه على الستة والعشرين الذين أولهم آدم، وآخرهم محمد - عليهم الصلاة والسلام - فهؤلاء هم الأنبياء الذين من أنكر نبوة واحد منهم، أو قدح فيها قدحا يخل بشرط من شروط نبوتهم، فهو كافر حلال الدم والمال مخلد في نار جهنم بالإجماع المتواتر، فهؤلاء هم الأنبياء حقا) ^(٣) .

وقال الدكتور محمد علي الصابوني : (نرى علماء المسلمين متفقين على نبوته [آدم

(١) أخرجه حم (٤٣١/٣٥ - ٤٣٢ ح : ٢١٥٤٦ و ٤٣٧/٣٥ - ٤٣٨ ح : ٢١٥٥٢)؛ والطيايبي في مسنده (٦٥/١ ح : ٤٧٨) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١) : " فيه السعدي وهو ثقة لكنه اختلط " وهذه العلة لا تضر هنا؛ لأن الحديث رواه عن السعدي جماعة ومنهم وكيع بن الجراح وقد نص الإمام أحمد أنه ممن سمع من السعدي قبل الاختلاط، كما ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣/٣٨٣) في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله السعدي (ولكن في الحديث علة أخرى وهي أن في إسناده راوين لا يصح الاعتماد عليهما أحدهما أبو عمرو الشامي وهو ضعيف والآخر عبيد بن الخشخاش وهو مجهول فيبقى الحديث ضعيفا بهذا الإسناد، وقد نبه على ذلك محقق مسند الإمام أحمد لكن له طرق أخرى ضعيفة ذكرها ابن كثير في تفسيره (١٦٦/٢ ، الأنعام : ١١٢) وقال : (فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم) وكذلك ذكر للحديث عدة طرق وشواهد لكل فقرة منه الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله في تحقيقه لكتاب : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٢٠١/١٤ - ٢١٩ ح : ٣٤٤١) . وقال الأوكسي في (روح المعاني ١٧/١٧٢) : (زعم ابن الجوزي أنه موضوع وليس كذلك نعم قيل في سنده ضعف جبر بالمتابعة) والحديث ذكره الشيخ حكمت بن بشير في (التفسير الصحيح ٢/٢٦٦) وأيضا الأحاديث الأخرى تشهد له .

(٢) شرح العقائد النسفية (ص : ٢٠٩) .

(٣) تزييه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء (ص : ١٤١) ، وابن حمير هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي الأندلسي، المعروف بابن حمير، ولعله من علماء القرن السادس، من معاصري ابن العربي المالكي، كما ذكر عنه محقق الكتاب المذكور في مقدمته (ص : ١٤) .

عليه السلام [لم يخالف في ذلك أحد والله تعالى أعلم] (١).

وقال الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر : (أما نبوته [آدم عليه السلام] فاتفقوا عليها،

ولم يخالف فيها أحد أبدا، إذا فهو أول الأنبياء من غير جدال) (٢).

من أقوال السلف .

لقد ثبت أن آدم عليه السلام كان نبيا من أنبياء الله تعالى كما سبقت الأدلة على ذلك في ضوء الكتاب والسنة والإجماع، ولذلك جاءت أقوال كثيرة من السلف الصالح، منبثقة من نور الوحي، فيها إيمان وإقرار وبيان وتوضيح بأن آدم عليه السلام كان نبيا من أنبياء الله تعالى، وقد سبق ذكر مجموعة من تلك الأقوال عند ذكر الآيات التي استدلت بها أهل العلم على نبوة آدم عليه السلام، وهنا أضيف إليها أقوالا أخرى (٣) :

قال ابن عطية : (إن بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد، وبث المعتقدات في بنيهِ، مع نصب الأدلة الدالة على الصانع، مع سلامة الفطر يوجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله) (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (النبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام، فإنه كان نبيا، وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار) (٥). وقال أيضا : (فقد علم أن العالم ما زال فيه نبوة من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ) (٦).

قال ابن الجوزي : (ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسي بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام، فكان يعلمهم عن وحي الله عز وجل، فكانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيل بهواه، فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس، فشردهم في بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام) (٧).

وقال الثعالبي : (بعث الله آدم إلى ذريته، ثم لم تخل الأرض من شريعة إلى ختم الرسالة بسيدنا محمد خاتم النبيين) (٨). وقال أيضا : (إن دعوة الله تعالى قد عمت جميع

(١) النبوة والأنبياء (ص : ١٣٤) .

(٢) دراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٧٦) .

(٣) وأيضا يضاف إلى ذلك قول اللذين يرون أن آدم عليه السلام كان نبيا رسولا . انظر : (ص : ٧١٦) .

(٤) المحرر الوجيز (٢٧١/١٠ ، الإسرائ : ١٥) .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية (ص : ١٦٢) .

(٦) المصدر السابق (ص : ٢٤٣) .

(٧) تلبس إبليس (ص : ١١) .

(٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٨/٥ ، يس : ٦١) .

الخلق وإن كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته؛ لأن آدم بعث إلى بنيهِ، ثم لم تنقطع النذارة إلى زمن محمد ﷺ (١).

وبالإضافة إلى هذه الأقوال نرى أن المحدثين (٢) الذين تعرضوا للكلام عن الأنبياء وإيراد الأحاديث المتعلقة بهم - يذكرون الأحاديث المتعلقة بآدم عليه السلام بل نراهم يفتتحون هذا الباب وهذا الكتاب بذكر أبي البشر آدم عليه السلام وإيراد الأحاديث المتعلقة به، فهذا يدل على أنهم جميعاً يرون نبوة آدم عليه السلام .

وكذلك عامة من كتب من المتقدمين والمتأخرين عن الأنبياء والمرسلين : في تاريخهم، ودعوتهم، وفضائلهم، وعصمتهم، وقصصهم وما جرى بينهم وبين أقوامهم وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بهم كلهم تواطئوا على ذكر آدم عليه السلام وبداية الحديث به فهذا يدل على أن الجسم الغفير من السلف والخلف يرون أن آدم عليه السلام كان نبياً ولا خلاف عندهم في ذلك، والله أعلم بالصواب .

(١) المصدر السابق (٣٨٧/٤ ، فاطر : ٢٤) .

(٢) انظر على سبيل المثال : الجامع الصحيح للإمام البخاري (الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ١٢٠٩/٣)؛ والمستدرک على الصحيحين (تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ب : ذكر آدم عليه السلام ٥٤٢/٢) ومشكاة المصابيح (أحوال القيامة وبدء الخلق، ب : بدء الخلق وذكر الأنبياء ١١٢/٣)؛ كشف الأستار عن زوائد البزار (علامات النبوة، ذكر نبي الله آدم عليه السلام ١٠١/٣-١٠٢)؛ والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (أحاديث الأنبياء، ب : آدم وعدد الأنبياء ٢٠١/١٤-٢٢٢) .

المطلب الثاني : ذكر الخلاف في رسالته وبيان الراجح فيها.

لا شك أن آدم عليه السلام كان نبيا، وهذا الذي ذهب إليه الجهم الغفير من السلف والخلف، حتى من أهل العلم من ذكر الإجماع على ذلك، ولكن اختلفت أقوالهم في كون آدم عليه السلام رسولا، وذلك لأنه لا يعلم دليل صحيح صريح ينص على أنه رسول^(١)، فالكلام في هذه المسألة إنما هو استنباط من أهل العلم فمنهم يرى عدم رسالته، ومنهم من يرى أنه كان رسولا إلى زوجه وأولاده، ومنهم من يرى التوقف في المسألة، وفيما يلي ذكرها :

القول الأول : التوقف في المسألة وتفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى . ذهب إلى هذا القول عبد الوهاب النجار^(٢).

القول الثاني : إن آدم عليه السلام كان نبيا ولكنه لم يكن رسولا . ذهب إلى هذا القول الماوردي وابن بطال وابن العربي، وهو الذي يترشح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وإليه ذهب الشيخ محمد بن صالح العثيمين في موضع وعبد العزيز العسكر ومحمد إسحاق كندو^(٣).

وهؤلاء ذهبوا إلى هذا القول استدلالا بما ورد أن نوحا عليه السلام هو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما في حديث الشفاعة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يرشحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناك، ويذكر ذنبه فيستحي، أثوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث^(٤). فهم استشكلوا القول برسالة آدم عليه السلام لأجل هذا الحديث، ورأوا أن خير الجمع أن يقال : إن آدم عليه السلام كان نبيا فقط ولم يكن رسولا، وأن نوحا عليه السلام كان نبيا رسولا، وعلى هذا

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧٨/٣) .

(٢) انظر : قصص الأنبياء (ص : ١١) .

(٣) انظر بالترتيب : أعلام النبوة للماوردي (ص : ٨٠)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤٠/١٠ -

٤٤١)؛ وأحكام القرآن (١٦٦٦/٤ ، الشورى : ١٣)؛ والنبوات (٧١٨-٧١٤/٢)؛ ومجموع فتاوى ورسائل

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣١٤-٣١٦ و ١٦٧/٣)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٧٦ -

١٧٨)؛ ومنهج الحفاظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري (١٢١٤/٣) .

(٤) حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

ينتهي الإشكال ولا يبقى تعارض بين الأمرين ولكن هؤلاء غفلوا عن حديث آخر، وهو ما جاء فيه أن نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : يجبس المؤمنون يوم القيامة، حتى يُهْمُوا بذلك، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت آدم أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. قال : فيقول : لست هناكم . قال : ويذكر خطيئته التي أصاب : أكله من الشجرة وقد نهي عنها، ولكن اتوا نوحا، أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا... الحديث ^(١).

فهذا الحديث يدل على أن نوحا عليه السلام هو أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، ومعلوم أن آدم عليه السلام كان نبيا، وكان قبله. وعلى هذا، الإشكال الذي فر منه أصحاب هذا القول لا زال قائما، فلا بد له من حل وتوجيه آخر وهو القول الآتي .

القول الثالث : إن آدم عليه السلام كان نبيا وكان رسولا . وهذا القول ذهب إليه أكثر أهل العلم ^(٢)، منهم ابن جرير الطبري، والواحدي، والقاضي عياض، وابن عطية، وابن الأثير الجزي، والقرطبي، والنووي، والبيضاوي، ومحمد بن يوسف الكرمانى ^(٣) والحافظ ابن حجر، والعيني، ومحمد التتائي، وملا علي القاري، والمناوي وذكره عن السهيلي أيضا، وعلي العدوي، ومحمد عبد الرحمان المباركفوري، وحافظ بن أحمد الحكمي، ومحمد بن أحمد المورتاني، ومحمد الأمين الشنقيطي وآدم عبد الله الألوري ^(٤) وعبد العزيز بن عبد الله الخلف، والشيخ ابن باز، وعبد القادر بن شيبه الحمد، ومحمد علي الصابوني والشيخ محمد متولي الشعراوي وغيرهم ^(٥).

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿وجيئنا نوحا ناضرا﴾ إلى نوحا ناضرا) [القيامة : ٢٢-٢٣] ٢٧٠٨/٦ ح : ٧٠٠٢ .
(٢) انظر : قصص الأنبياء ، القصص الحق للشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد (ص : ٤٩) .
(٣) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى ثم البغدادي، فقيه أصولي محدث مفسر نحوي بياني، توفي سنة ٧٨٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢٩/١٢) .

(٤) آدم عبد الله الألوري، من علماء تيجيريا، باحث مؤرخ داعية، له تأليفات عديدة، توفي سنة ١٤١٢هـ . انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٩) .

(٥) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٧/١)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٢٠٧/١)؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٤٨/١)؛ وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٧٦/١)، وهما للقاضي عياض؛ والحرر الوجيز لابن عطية (٦٠/٣)؛ والكامل في التاريخ (٢٨/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١-٢٦٤ و ٣٢-٣١/٣ و ٦٢/٤)؛ وشرح النووي لصحيح الإمام مسلم (٥٥/٣)؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٥/٢)؛ والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرمانى (٢٣٤/١٣ و ٥/١٧)؛ وفتح الباري (٣٧٢/٦-٣٧٣)؛ وعمدة القاري للعيني (٢٢١/١٥ و ٨٣/١٨)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (نوح أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم)^(١) .
وأما ما استدلل به أصحاب هذا القول قد سبق ذكر بعضها عند ذكر الأدلة على نبوة
آدم عليه السلام^(٢) ، وأيضا سيأتي ذكر أدلة أخرى تدل على هذا القول^(٣) .
وأما حديث الشفاعة الذي استدلل به من أنكر رسالة آدم عليه السلام أجاب عنه أصحاب
القول الثالث بعدة أجوبة وتوجيهات، منها ما يلي :

١ - ذهب بعض أهل العلم إلى أن آدم عليه السلام كان جعل رسولا في الجنة قبل نزوله إلى الأرض .
ومن هؤلاء من يرى أنه كان رسولا إلى الملائكة لإنبائه إياهم عن الأسماء . ذكره
الزجاج عن قوم^(٤) ولكن ضعفه ابن عطية^(٥) .

ومنهم من يرى أنه كان رسولا إلى زوجه . قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (قوله
تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾^(٦) وأمثالها من الآيات فإنه ظاهر في أنه بغير واسطة
الملك، ويظهر من هذه الآية فهي حواء عن الشجرة على لسانه، فهو رسول إليها)^(٧) .

وقال أيضا : (أن آدم أرسل لزوجته وذريته في الجنة، ونوح أول رسول أرسل في الأرض،
ويدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ويقول : " ولكن اتوا نوحا؛ فإنه أول رسول
بعثه الله إلى أهل الأرض... الحديث، فقوله : " إلى أهل الأرض " لو لم يرد به الاحتراز عن رسول
بعث لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشوا، بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا، ويستأنس

و ١٢٧/٢٣)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ ومروحة المفاتيح للقاري (٢٥٤/٥-٢٥٥)؛ وفيض القدير
للمناوي (٩٦-٩٧/٣)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ وتحفة الأحوذى (١٠٤/٧)
- ١٠٥)؛ ومعارج القبول للحكمي (٦٧٨/٢)؛ والفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني للمورتاني
(٢٩/١)؛ وأضواء البيان (١٧٥-١٧٦)؛ وفلسفة النبوة والأنبياء للأكثوري (ص : ٩٩-١٠٠)؛ وآفاق الهداية لعبد العزيز
الخلف (١٣٣/٦)؛ ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣٢-٣١/٣)؛ وقصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٩)؛ والنبوة
والأنبياء (ص : ١٣٣)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٣٣) .

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧٧/٣) .

(٢) انظر : (ص : ٧٠٥-٧٠٨) .

(٣) انظر : (ص : ٧٤١-٧٤٠) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٩٩/١)، وكذلك انظر ما قاله علي العدوي في حاشيته على شرح أبي
الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٧٤/١) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز (٦٠/٣) .

(٦) البقرة الآية : ٣٥

(٧) أضواء البيان (١٧٥-١٧٦)؛ وانظر ما قاله علي العدوي في حاشيته على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٧٤/١) .

له بكلام ابن عطية الذي قدمنا نقل القرطبي له (١) وكلام ابن عطية الذي أشار إليه الشيخ هو قوله : (قد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى) (٢).

فإن صح القول بأن آدم ﷺ جعل رسولا في الجنة قبل أن ينزل إلى الأرض لا يبقى تعارض بين كون آدم ﷺ رسولا وبين كون نوح ﷺ أول رسول لأهل الأرض .

٢ - قيل : الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم : " إلى أهل الأرض " لأن في زمن آدم لم يكن للأرض أهل . ذكره الكرمانى (٣) والحافظ ابن حجر (٤) . وتعقبه محمد رشيد رضا بأنه باطل؛ لأن أولاد آدم وأحفاده كانوا أهل الأرض ولم يكونوا من أهل السماء (٥).

قلت : لعل المقصود من كلام الكرمانى والحافظ ابن حجر : أن آدم ﷺ لما جعل رسولا لم يكن في الأرض إلا هو وأهله، وأما نوح ﷺ لما جعل رسولا فكانت الأرض على ظهرها أناس كثيرون، وليس المقصود من كلامهما أن آدم وأولاده لم يكونوا من أهل الأرض، والله أعلم.

٣ - إن نوحا ﷺ هو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من أولي العزم من الرسل . ذكره ملا علي القاري (٦) .

٤ - ويحتمل أن يكون المراد أن نوحا ﷺ هو أول رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة . ذكره الحافظ ابن حجر (٧).

٥ - إن نوحا ﷺ هو أول رسول عذب قومه، فأهلكوا هلاكاً عاماً بحيث لم يبق أحد منهم في الأرض إلا من كان معه من المؤمنين في السفينة، فكان هو أول رسول عذب قومه في الأرض، وكان أول رسول فيها بعد الطوفان وبعد تصفيتها من الكفار . ذكره الكرمانى والعيني والصابوني (٨).

(١) المصدر السابق (١٧٦/١) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٧١/٢) .

(٣) انظر : الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (٢٣٤/١٣ و ٥/١٧) .

(٤) انظر : فتح الباري (٣٧٢/٦) .

(٥) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٦٠٤/٧) .

(٦) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٥٥/٥) .

(٧) انظر : فتح الباري (٣٧٣-٣٧٢/٦) .

(٨) انظر بالترتيب : الكواكب الدراري (٢٣٤/١٣ و ٥/١٧)؛ وعمدة القاري (٨٣/١٨)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

٦ - إن آدم ﷺ أرسل إلى بنيه وكانوا مؤمنين، باقين على فطرتهم السليمة، لم يقعوا في الكفر والشرك، وأما نوح ﷺ فهو أول نبي رسول أرسل إلى من فسدت فطرتهم واجتالتهم الشياطين وصاروا من الكفار والمشركين . فكان آدم ﷺ رسولا إلى ذريته في الأرض قبل الاختلاف، وكان نوح ﷺ رسولا إلى أهل الأرض بعد الاختلاف ووقوع الشرك . وهذا التوجيه ذكره المناوي نقلا عن السهيلي وأقره، وكذلك ذكره ملا علي القاري ومحمد عبد الرحمن المباركفوري وحافظ الحكمي ومحمد الأمين الشنقيطي والشيخ ابن باز ^(١).

ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ﴾ ^(٢) الآية وقوله

تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ ^(٣)؛ أي : كان الناس أمة واحدة على الدين الحنيف، وملة التوحيد، وشريعة الحق حتى وقع فيهم الخلاف، فوقعوا في الكفر والشرك وكان أوله في قوم نوح، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ^(٤). وهذا أولى الوجوه المذكورة، والله أعلم بالصواب.

والذي يظهر لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الثالث، وأن آدم ﷺ كان نبيا رسولا؛ وذلك لما يلي :

١ - أن ما استدل به النافون لرسالته من حديث الشفاعة يمكن توجيهه بحيث لا يتعارض مع كون نوح أول رسول إلى أهل الأرض كما تقدم ذكره .

٢ - الأقوال التي ذكرها أهل العلم في بيان الفرق بين النبي و الرسول، وما عرفوا به الرسول كلها تتفق مع القول بأن آدم ﷺ كان رسولا ما عدا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تبعه، فهو ليس برسول عنده لأنه يرى أن الرسول يكون مرسلا إلى الكفار، وأبناء آدم وزوجه لم

(١) انظر بالترتيب : فيض القدير (٩٦/٣)؛ ومراقبة المفاتيح (٢٥٥/٥)؛ وتحفة الأحوذى (١٠٤/٧ - ١٠٥)؛ ومعارج القبول (٦٧٨/٢)؛ وأضواء البيان (١٧٦/١)؛ ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣٢/٣).

(٢) البقرة الآية : ٢١٣

(٣) يونس الآية : ١٩

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤١/٣ ح : ٢١٩٠)؛ وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣٤/٢)؛

وكم (التفسير، حم عسق ٤٤٢/٢) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه)

ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٠٤/٢)؛ وابن كثير في تفسيره (٢٥٠/١) .

يكونوا كافرين مشركين بل كانوا على الإيمان والتوحيد فعلى هذا آدم ﷺ لا يكون رسولا .
وأما في ضوء تعريف غيره من أهل العلم فآدم ﷺ يكون رسولا لأنه كان مأمورا بالتبليغ،
وكان على شريعة جديدة إذ هو أبو البشر ولم يكن قبله شريعة ولا كتاب، والله سبحانه وتعالى
كلمه يقظة وخاطبه مباشرة، ولأن الله سبحانه وتعالى ذكر قصته في القرآن الكريم، ولأنه كان
مرسلا بأصل التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٣- قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(١) وقال
تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ ^(٢) .

فالله سبحانه وتعالى بين أنه أرسل في كل أمة رسولا منهم، يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى،
ولا شك أن آدم ﷺ وزوجه وأولاده أمة يحتاجون إلى رسالة الله وهدايته سبحانه لهم، والله سبحانه
وتعالى لا يتركهم بدون هدايته ورسالته كما لم يترك غيرهم، رحمة وفضلا منه جل وعلا ^(٣) .

٤- قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ ^(٤) .
قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : (كل من ذكر في القرآن من النبيين فهم رسل
لقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾) ^(٥) وقال أيضا
معلقا على الآية نفسها : (وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذكر في القرآن من الأنبياء فهو
رسول) ^(٦) ، وعلى هذا الاستنباط اللطيف الذي ذكره الشيخ يكون آدم ﷺ رسولا من الرسل
لأنه نبي، وقد قص الله سبحانه وتعالى قصته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي

(١) النحل الآية : ٣٦

(٢) يونس الآية : ٤٧

(٣) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٤) غافر الآية : ٧٨

(٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣١١/١)

(٦) المصدر السابق (٣١٤/١) هذا القول، والذي قبله، وكذلك تعريف الشيخ للرسول والنبي، وما فرق به بينهما - وقد

سبق ذكره في (ص : ٧٠١ و٦٩٧) هذا كله يدل على أن آدم ﷺ كان رسولا، وذلك يناقض ما ذهب إليه الشيخ

نفسه من أن آدم ﷺ لم يكن رسولا وإنما كان نبيا فقط، فالظاهر أن له قولان في المسألة والله أعلم بالصواب .

يأذنه ما يشاء» ^(١) وقال تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ ^(٢) فالله سبحانه وتعالى بين في الآية الأولى أن كلامه مع عباده من الأنبياء والمرسلين على ثلاثة أوجه، وبين في الآية الثانية أنه فضل بعضهم بكلامه إياهم مباشرة بغير واسطة الرسول أو الوحي، وهذا إنعام عظيم منه سبحانه وتعالى على أولئك الرسل، ومن هؤلاء الرسل الذين كلمهم الله سبحانه وشرفهم بخطابه مباشرة أبو البشر آدم عليه السلام . فهذا يدل على أنه كان رسولا، وقد سبقت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة الدالة على كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله آدم عليه السلام .

٦- جاء في حديثين ضعيفين ^(٣) سندا ما ينص على أن آدم عليه السلام كان رسولا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله! أرايت آدم أنبيا كان ؟ قال : " نعم كان نبيا رسولا كلمه الله ... الحديث.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا نبي الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم " . قلت : ونبيا كان آدم ؟ قال : نبيا مكلما أول الرسل .

فالحديثان وإن كانا ضعيفين ولا يمكن الاعتماد عليهما ولكن يمكن الاستئناس بهما في تقوية ما تقدم من الوجوه المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على أن آدم عليه السلام كان رسولا؛ فالذي يظهر لي ويترجح لدي أن آدم عليه السلام كان نبيا رسولا، والله أعلم بالصواب .

(١) الشورى الآية : ٥١

(٢) البقرة الآية : ٢٥٣

(٣) هذا اللفظ لابن عساكر . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٤٥/٧) ، ترجمة أبي البشر آدم عليه السلام (وكذلك ورد التصريح برسالة آدم عليه السلام في حديث أبي ذر رضي الله عنه عند ابن جرير الطبري في تاريخه (٩٥-٩٤/١) بإسناد غير ما سبق ولكنه أيضا إسناد ضعيف . انظر : تخريج الحديثين والكلام عليهما في (ص : ٧١١-٧١٢) .

المطلب الثالث : الرد على من أنكر نبوة آدم عليه السلام .

ذهب جماهير أهل العلم من السلف والخلف إلى أن آدم عليه السلام كان نبيا، ولم أجد قولا من أحد من السلف المتقدمين ما يدل على أن آدم عليه السلام لم يكن نبيا، وإنما أنكر نبوته بعض المتأخرين المعاصرين .

منهم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود إذ قال : (إن القرآن لا يثبت لآدم نبوة ولا رسالة، وما كان ربك نسيا، وإنما هو أبو البشر، يذنب فيتوب... إن القائلين بنبوة آدم ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين، ... إن الناس من لدن خلق آدم وهم يولدون على الفطرة التي هي معرفة الخير والشر ومحبة، فيلهمون فعل ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وقد يذنبون فيتوبون وقد لا يتوبون، كما في حادثة ابني آدم حين قتل أحدهما أخاه ولم يهتد إلى كيفية دفنه، حتى دله غراب يبحث في الأرض، ليريه كيف يوارى سوءة أخيه، وكان هذا أول قتيل دفن في الأرض، ولهذا ورد ((ما قتل قتيل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل))^(١)، كما يوجد في زماننا أمم من الناس لم تبلغهم الدعوة، ولا الشريعة، فيعيشون متعاشرين متعاملين، ويوصفون بأنهم لم تبلغهم الدعوة، كحالة زمان الفترة ، والله سبحانه بحكمته وعدله لا يعذب أمة حتى يبعث إليها رسولا فيعصون أمره) أهـ باختصار من غير تصرف في الألفاظ^(٢) .

فالشيخ عبد الله بن زيد آل محمود يرى أن آدم عليه السلام لم يكن نبيا ولا رسولا، وأن الناس من لدن آدم عليه السلام إلى عهد نوح عليه السلام كلهم كانوا من غير نبوة إلهية ولا رسالة سماوية ولا دعوة ربانية، وأنهم كانوا يولدون على الفطرة التي هي معرفة الخير والشر، وكانوا يعيشون على مقتضى تلك الفطرة . وأيضا يوجد هذا المعنى في كلام الشيخ محمد رشيد رضا^(٣) .

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : ((لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل)) ، أخرجه خ (الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ٣/١٢١٣ ح : ٣١٥٧) ؛ وم (القسامة والمحاريب ... ب : بيان إثم من سن القتل ٣/١٣٠٣ ح : ١٦٧٧) .

(٢) الإيمان بالأنبياء بمجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ١٠-١١) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٦٠٧/٧-٦٠٨) وانظر : ما ذكره عنه الأخ تامر محمد محمود المتولي في رسالته بعنوان : منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة (ص : ٦٤٨-٦٥٠) .

ولكن هذا رأي باطل وقول فاسد، وبيان ذلك بما يلي :

أولاً : إن آدم ﷺ لا شك أنه نبي قد استنبط ذلك العلماء من آيات كثيرة من القرآن الكريم، وقد جاءت أحاديث رسول الله ﷺ صريحة في ذلك فنصت أن آدم ﷺ كان نبيا. ولذلك اتفق السلف على نبوته من غير خلاف بينهم، وإنما الخلاف في رسالته، مع أن الجسم الغفير من السلف والخلف يرون أنه كان رسولا وهو الراجح كما سبق ذكره قريبا مقرونا بالأدلة والبراهين ^(١)، فإنكار نبوة آدم ﷺ قول باطل مخالف لأدلة القرآن وصريح السنة النبوية وإجماع الأمة من السلف والخلف .

ثانيا : دعوى أن الناس من لدن آدم ﷺ إلى عهد نوح ﷺ كلهم كانوا من غير نبوة ولا رسالة ولا دعوة، فهذه دعوى باطلة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ^(٤) .

والفترة التي كانت بين آدم ونوح ﷺ وهي عشرة قرون فعن أبي أمامة ؓ أن رجلا قال يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " ^(٥) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ^(٦) .

فالآيات القرآنية تدل على أن الله سبحانه وتعالى أرسل في كل أمة رسولا منهم، والحديثان يدلان على أن الفترة التي كانت بين آدم ونوح عليهما السلام هي عشرة قرون فدعوى أن الناس منذ خلق آدم إلى عهد نوح - وهي عشرة قرون - كانوا على الفطرة

(١) انظر : (ص : ٧٠٥ - ٧٢١) .

(٢) النحل الآية : ٣٦

(٣) يونس الآية : ٤٧

(٤) فاطر الآية : ٢٤

(٥) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه مع ذكر أقوال أهل العلم في تصحيحه في (ص : ١٤٦ - ١٤٧) .

(٦) صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه (ص : ٧١٩) .

من غير نبوة ولا رسالة ولا دعوة مخالف لقول الله تعالى بأنه أرسل في كل أمة رسولا ومخالف لقول الرسول ﷺ بأن آدم ﷺ كان نبيا مكلما .

ثالثا : فسر الشيخ عبد الله آل محمود الفطرة بمعرفة الخير ومحبة، ومعرفة الشر واجتنابه، وهذا تفسير قاصر غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ ^(١) فكيف يصح أن يقال أن الناس يولدون على معرفة الخير والنفع ومحبة ومعرفة الشر والضرر وبغضه والنفور منه . ثم إن معرفة الخير من الشر وتمييز الضار من النافع لا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان فإن الحيوان البهيم من الإبل والبقر وغيرها يميز بين ما يضره وبين ما ينفعه فإنه إذا قدم له الشعير أو البز أو العشب أكله، وإذا قدم له التراب لا يأكله بل معنى الفطرة أن الناس يولدون على الإسلام والتوحيد والعبودية لله جل وعلا ^(٢) .

رابعا : ذكر الشيخ عبد الله آل محمود أن ابن آدم الذي قتل أخاه عليه كفل من دم كل قتيل مظلوم؛ لأنه أول من سن القتل واستدل له بحديث رسول الله ﷺ، وهذا حق وصواب، ولكن الشيخ ناقض قوله من حيث لم يشعر، فأبطل أوله بآخره، إذ لو كان الناس منذ خلق آدم ﷺ إلى عهد نوح ﷺ من غير رسالة، ولا نبوة، ولا دعوة، فكيف يحمل ابن آدم القاتل كفلا من دم كل مقتول مظلوم ؟ والأمر كما قال الشيخ نفسه : (والله سبحانه، بحكمته وعدله، لا يعذب أمة حتى يعث إليها رسولا فيعصون أمره، قال تعالى : ﴿ وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا ﴾ ^(٣)) ^(٤) . فلا يمكن أن يحمل ابن آدم القاتل كفلا من دم كل قتيل مظلوم من غير بيان ولا إنذار، ومن غير أن توجه إليه دعوة، ومن غير أن يرسل إليه رسول من الله؛ لأن ذلك يتناقض مع عدل الله سبحانه وتعالى، فإنكار النبوة منذ خلق آدم إلى عهد نوح يلزم منه نسبة الظلم إلى الله سبحانه وتعالى وهذا من أبطل الباطل .

من أنكر نبوة آدم ﷺ ثم رجع عن ذلك .

● ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن رجلا أنكر أن يكون آدم ﷺ نبيا فرفعت عليه

(١) النحل الآية : ٧٨

(٢) انظر : (ص : ٨١٢-٨١٣) .

(٣) الإسراء الآية : ١٥

(٤) الإيمان بالأنبياء بمجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ١١) .

الدعوى في المحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الإنكار ثم ذكر أن الرجل قال بعد ذلك في محكمة الاسكندرية : " إنه لم ير لفظا في القرآن يذكر آدم عليه السلام بالنبوة، وأنه يعتقد نبوته"، فصدر حكمها بإلغاء الحكم الأول وأعيدت إليه زوجته ^(١).

● وكذلك أخبرني شيعي وأستاذه الشيخ عبد المجيد بن صاحب زاد - حفظه الله - :

أن جماعة من القرآنيين - الذين ينكرون السنة النبوية ويدعون إلى الاكتفاء بما في القرآن وحده - في جمهورية نيبال كانت لهم دعوة ونشاط فجرت بينهم وبين أهل السنة والجماعة مناظرة في عدة مسائل ومنها إنكارهم لنبوة آدم عليه السلام بحجة أن القرآن الكريم لم يذكر آدم بالنبوة، وبأن الناس كانوا على الفطرة السليمة فكانوا على التوحيد فلما حدث فيهم الشرك بعث الله أنبياءه ورسله وأما قبل حدوث الشرك فلم تكن هناك حاجة إلى الأنبياء والرسل؛ فإن المريض هو الذي يحتاج إلى الدواء وأما الصحيح فلا حاجة له إلى ذلك .

فبين لهم الوفد السني أن القرآن لا يمكن العمل به إلا بالعمل بالأحاديث النبوية، وذكروا لهم الأمثلة على ذلك ، وبينوا أن التمسك بالأحاديث النبوية هو من التمسك بالقرآن الكريم، لأن الله تعالى أمر نبيه أن يشرح كتابه وأمر المؤمنين أن يتمسكوا بهديه وسننه وذكروا الأدلة على ذلك .

ثم بينوا لهم أن آدم عليه السلام وإن لم يذكره القرآن الكريم بالنبوة فقد جاءت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تنص على أن آدم كان نبيا فيجب الأخذ به والإيمان به لأن القرآن هو الذي أمرنا بالأخذ بما آتاه الرسول والانتفاء عما نهي عنه .

ثم بينوا لهم أن الله سبحانه وتعالى جعل آدم نبيا وأرسله إلى بني يريهم ويرعاهم ويذكرهم بالله سبحانه وتعالى حتى تبقى فطرهم التي فطروا عليها صافية نقية غير مدنسة بالأوهام والشرك، هذا من عظيم فضل الله وإنعامه ورحمته على عباده .

و يمكن توضحيه بمثال، فنحن نرى أن الطفل عند الولادة يكون سليما، ولا يكون به شيء من المرض، ولكن مع ذلك يعطى أنواعا من الأدوية والتطعيمات منذ الولادة إلى أعوام من وقت لوقت بعد كل فترة معينة، وأيضا كثيرا ما نرى الناس مع صحة أبدانهم

(١) انظر : قصص الأنبياء (ص : ١٠) .

وسلامة أجسامهم يأخذون التطعيمات الوقائية قبل حلول الأمراض والأسقام المتوقع حدوثها، في أوقات مختلفة ومواسم متعددة، وما ذلك إلا من باب العناية البالغة والتحفظ الكامل والاحتياط التام والوقاية المسبقة من تلك الأمراض الخطيرة التي يخشى منها .

فالله سبحانه وتعالى جعل أبا البشر آدم ﷺ نبيا وأرسله إلى بنيهِ حتى تبقى فطرته سليمة، عابدة لله وحده، ولا يتسرب إليها مرض الأوهام والخرافات والكفر والشرك . ثم لم يزل يرسل أنبياءه ورسله من حين إلى حين حتى ختمت النبوة الإلهية والرسالة السماوية بنبوة محمد ﷺ ورسالته الخالدة الباقية إلى يوم القيامة .

فكانت نتيجة المناظرة أن تاب كثير من القرآنيين وعادوا إلى التمسك بالسنة والعمل بها وأعلن رئيسهم توبته في المسجد أمام الناس وكتب كتابة خطية اعترف فيها أن ما ذكره أهل السنة هو الفهم الصحيح للقرآن الموافق للحق وأنه لم يكن على فهم صحيح للقرآن الكريم، وترك دعوته ونشاطه السابق، وأصبح من المتمسكين بالسنة النبوية، العاملين بها، والداعين لها، والله الحمد والمنة على ذلك .

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام . وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : تعريف العصمة .

أولا : تعريف العصمة في اللغة :

{ عصم } العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة . يقال : عصمته عن الطعام ؛ أي منعه عن تناوله، وعصمته عن الكذب ؛ أي : منعه منه ^(١) .

ومنه قوله تعالى حكاية عن ابن نوح : ﴿ قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ ^(٢) ؛ أي : يمنعني من الغرق، وكذلك منه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في أمر يوسف عليه السلام لما راودته عن نفسه : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ ^(٣) ؛ أي : تأبى عليها وامتنع امتناعا شديدا ولم يجبها إلى ما طلبت ولازم العفة .

ومنه ما جاء في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله ^(٤) .

ثانيا : تعريف العصمة في الاصطلاح :

قد اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف هذه العصمة اختلافا واسعا ^(٥)، وأنا أكتفي

(١) تهذيب اللغة (٥٤/٢) ؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٣١/٤ - ٣٣٢) .

(٢) هود الآية : ٤٣

(٣) يوسف الآية : ٣٢

(٤) أخرجه خ (الإيمان ، ب : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [التوبة : ٥] ١٧/١ ح : ٢٥)

واللفظ له ؛ و م (الإيمان ، ب : الأمر بقتال حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ٥٣/١ ح : ٢٢) .

(٥) فقد عرفها الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة بتعريفات مبنية على أصولهم المبتدعة التي بنوا عليها مذهبهم، وقد ذكر الشيخ

خالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله تعريفاتهم نقلا من كتبهم، وبين ما حملهم على هذا التعريف من أصول مذهبهم

الفاسدة، وناقشهم مناقشة هادئة ورد على تعريفاتهم ردا علميا فيحسن الرجوع لمن أراد التوسع في المسألة إلى كتابه :

مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة (ص : ٣٨٨ - ٣٩٣) .

بذكر خلاصة قول أهل السنة والجماعة في المسألة ^(١)، فالعصمة هي حفظ الله لأتباعه ورسله عن كل ما يقدر في نبوتهم ورسالتهم مع بقاء قدرهم واختيارهم - سواء كان القادح حسياً ^(٢) أو معنوياً وسواء كان متعلقاً بما قبل النبوة أو بعدها فهم معصومون عن كل ما يقدر في نبوتهم ورسالتهم على الإطلاق وقد تكون أحسنها وأجزها عبارة ما يؤخذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عصمة الله لهم عن (كل ما يقدر في نبوتهم، وتبليغهم عن الله) ^(٣)، والله أعلم بالصواب .

- (١) انظر : تعريفات للعصمة في : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ص : ٥٧٠)؛ وفتح الباري (١١/٥٠١ - ٥٠٢)؛ ونسيم الرياض للشهاب الحفاجي (٣٩/٤)؛ وتاريخ الأنبياء لـ محمد الطيب النجار (ص : ٣١)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٦٣)؛ ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه ... للدكتور خالد عبد اللطيف (ص : ٣٩٢-٣٩٣)؛ ومناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد (ص : ٦٢)؛ والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٥٤) وهذه التعريفات مختلفة في عباراتها وبعضها ترداد عن بعضها في البيان والإيضاح لبعض الجوانب ولكنها متقاربة في المعنى العام .
- (٢) انظر تحقيقاً نفساً حول عصمة الأنبياء عن النقائص والآفات الجسدية في : شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/١٢٧)؛ والمفهم لما أشكل في تلخيص كتاب مسلم (١٨٩/٦ - ١٩٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٢٥-١٣١) .
- (٣) منهاج السنة النبوية (١/٤٧٢) .

المطلب الثاني : وقت العصمة ومم تكون .

إن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لحمل رسالته وجعلهم سفراء بينه وبين خلقه لهم عصمة خاصة من الله سبحانه وتعالى، ولكن ما الأمور التي يحفظون ويعصمون منها؟ ومتى تكون لهم العصمة قبل النبوة أم بعدها؟ فقد اختلفت الأقوال في ذلك كله اختلافا كثيرا، ويمكن بيان ذلك من خلال محورين وهما :

المحور الأول : الكلام عن عصمة الأنبياء قبل النبوة :

لقد اختلفت الأقوال حول عصمة الأنبياء قبل النبوة اختلافا كثيرا، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

القول الأول : ذهب الشيعة ^(١) إلى عصمة الأنبياء وأئمتهم من الذنوب مطلقا من الولادة إلى الوفاة . قال المجلسي ^(٢) : (أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأ ونسيانا، قبل النبوة والإمامة وبعدها، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل) ^(٣) .

ونقل إبراهيم الموسوي الزنجاني عن الصدوق أنه قال : (اعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان) ^(٤) .

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله عن صدور بعض المعاصي من بعض الأنبياء بعد النبوة، وأنهم تابوا إلى الله تعالى واستغفروا منه سبحانه على ما صدر منهم، وأن الله سبحانه وتعالى قد غفر لهم وعفا عنهم، فإذا علم باليقين صدور

(١) الشيعة : اسم أطلق أولا على معنى المناصرة والمتابعة ثم تميز به من فضل إمامة علي بن أبي طالب على خلافة عثمان بن عفان، ومن بعده من الأئمة، مع تفضيلهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا، ثم تطور مفهوم التشيع إلى أن أصبح الاعتقاد بإمامة علي بن أبي طالب ﷺ بالنص والوصية معيار التمييز بين الشيعة وغيرهم من فرق الإسلام مع القول بعصمة الأئمة وغير ذلك من العقائد الباطلة . انظر : الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والابتدعة (ص : ٣٩-٤٠) ؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١٠٨٤/٢-١٠٨٥) .

(٢) محمد باقر المجلسي، من كبار علماء الشيعة في إيران، مات عام ١٧٠٠م. انظر : المنجد (الأعلام ص : ٥٢١) .

(٣) بحار الأنوار للمولى محمد باقر المجلسي (٣٥٠/٢٥-٣٥١) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٤) عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

بعض المعاصي من بعضهم بعد النبوة، فكيف تصح دعوى عصمتهم من الولادة إلى الوفاة من الذنوب مطلقا، لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ ولا نسيانا !!؟ وإذا كان الأنبياء والرسل لم يسلموا من بعض المعاصي فكيف تصح دعوى عصمة أئمتهم من الذنوب مطلقا ... !!؟

٢ - قال الله تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ ^(٢) فالله سبحانه وتعالى بين أن الإنسان عندما يخرج من بطن أمه يكون ضعيفا، لا يعلم شيئا يضره أو ينفعه، فكيف يصح أن يقال إن الأنبياء أو الأئمة معصومون عن السهو والغفلة والنسيان والخطأ والجهل؟ وكيف تصح دعوى من زعم أنهم موصوفون بالتمام والكمال ... من الولادة إلى الوفاة؟.

٣ - قال تعالى حكاية عن قوم موسى ﷺ أنهم قالوا عنه ﷺ : ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ ^(٣) وقال تعالى عن موسى وفتاه عليهما السلام : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ^(٤) وقال تعالى عن يوسف ﷺ : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ ^(٥).

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تغطيها ابنتك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته ^(٦).

(١) النحل الآية : ٧٨

(٢) الروم الآية : ٥٤

(٣) طه الآية : ٨٨

(٤) الكهف الآية : ٦١

(٥) يوسف الآية : ٤٢

(٦) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤ - ١٤٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا، فقلنا : يا رسول الله! أزيد في الصلاة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا . قال : إنما أنا بشر مثلكم؛ أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدي السهو ^(١).

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تبين أن الأنبياء يقعون في النسيان والخطأ، وذلك لا ينقص من شأنهم شيئا؛ فإنهم بشر، والنسيان من لوازم البشرية، ولذلك يخبر سيد ولد آدم عن نفسه فيقول : إنه بشر، وإنه ينسى، ويقول لأصحابه أن يذكره إذا نسي، ويسجد سجدي السهو، فهل بعد هذا يصح أن يقال إن الأنبياء معصومون من السهو والنسيان ؟ وإذا كان الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان فكيف تصح دعوى عصمة غير الأنبياء من السهو والنسيان من الولادة إلى الوفاة ؟ والنصوص من الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة .

٤ - إنهم مع مبالغتهم في عصمة الأنبياء أثبتوا في حقهم ما يعود عليهم بالنقض والإبطال إذ جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر تقية ^(٢)، وهذا لا يقوله مسلم عاقل تجاه الأنبياء إذ لا يبقى على هذا القول الباطل أي ثقة واعتماد بما جاءوا به من الشرائع ^(٣).

٥ - إنهم نسبوا إلى الله من القبائح والنقائص ما لا يتفوه به عاقل، فقد نسبوا إليه سبحانه البداء ^(٤)، فزعموا أنه سبحانه وتعالى يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن يعلمه فينقض حكمه السابق لما ظهر له من خطئه - تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علوا كبيرا - فهؤلاء نسبوا الجهل والخطأ إلى الله سبحانه وتعالى ولكن زعموا أن الأئمة والأنبياء متهونون عن الخطأ والسهو والغفلة والنسيان والجهل من الولادة إلى الوفاة!! وبذلك انتقصوا الخالق جل وعلا، ورفعوا المخلوق إلى ما لا يؤيده شرع، ولا يقره عقل سليم ^(٥).

٦ - إن أئمتهم كانوا يتعلمون العلم كغيرهم من الناس، فلو كان أئمتهم موصوفين بالتمام والكمال من الولادة إلى الوفاة لم تكن بهم حاجة للتعلم كغيرهم من الناس، وستأتي

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٢١) .

(٢) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصل في علم أصول الفقه ٢٢٦/٣)؛ والتفتازاني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦) وغيرهم .

(٣) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤١-٤٤٢) .

(٤) انظر جملة كبيرة من أقوالهم في نسبة البداء إلى الله تعالى، ذكرها عنهم الدكتور عبدالرزاق أيارو في كتابه :

موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرفض وموقف الرفض منهم (ص : ٦٥-٦٨) .

(٥) انظر : منهاج السنة النبوية (٢/٣٩٤-٣٩٥) .

وجوه أخرى تدل على بطلان هذا القول في المطلب القادم إن شاء الله تعالى^(١).

القول الثاني : الأنبياء والرسل يجوز عليهم الكفر والشرك بعد النبوة، ولازم هذا القول أنه يجوز عليهم الكفر والشرك وما إلى ذلك من المعاصي والقبائح قبل النبوة من باب أولى. هذا القول ذهب إليه اليهود والنصارى والشيعة - عند التقية - وبعض الخوارج^(٢)، وهو من أبطل الأقوال وأفسدها في المسألة، وسيأتي بيان بطلانه إن شاء الله^(٣).

القول الثالث : لا يمتنع بعثة من كان كافرا أو مصيبا للكبائر قبل بعثته. هذا القول عزاه أبو بكر بن الطيب الباقلاني - في موضع - إلى كثير من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم^(٤). وقرره الباقلاني بأن الإمام يمكن أن يكون مقترفا لأنواع المنكرات والمعاصي حتى الكفر والشرك قبل توليه الإمامة ثم يتوب منها ويتولى الإمامة وينهى الناس عن ارتكاب تلك المعاصي التي كان يفعلها الإمام قبل تولي الإمامة، فكذلك يمكن أن يصدر الكفر والشرك وغيرهما من المعاصي والقبائح من الأنبياء قبل نبوتهم ثم يقلعوا عنها ويختارهم الله للنبوة^(٥). ولكن هذا القول غير صحيح، وذلك لما يلي :

١- أن هذا القول مبناه على فرض عقلي، وليس مع القائلين به أدلة سمعية صحيحة صريحة أو نماذج حقيقية واقعية تدل على ما ذهبوا إليه، ولذلك لم يقولوا بوقوعه على سبيل التحقيق والجرم واليقين، بأن فلانا وفلانا من الأنبياء والرسل كانوا كافرين مشركين ثم اختارهم الله لنبوته ورسالته. قال الشهاب الخفاجي : (اختلف في جوازه عقلا، فعلى من منعه لا يبقى شيء، وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلايين لم يقل بوقوعه كذلك، فالكل متفقون على أن الله لم يبعث فاسقا، ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الإنصاف، ولم يبعث إلا نقيًا ذكيا

(١) انظر : (ص : ٧٥٥-٧٦٠) .

(٢) الخوارج : اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتحرموا معه في معركة النهروان . قال الشهرستاني في (الملل والنحل ص : ١١٤) : (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان) وقد انقسمت الخوارج إلى عدة فرق منها الأزارقة والإباضية والفضيلية وغيرها . انظر : الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمنتدعة (ص : ٥٢) ؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢ / ١٠٥٤-١٠٥٣) ؛ و فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام (٢ / ١٠١٧-١٠٥٢) .

(٣) انظر : (ص : ٧٤٦-٧٤٩) .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١ / ١٨٦) .

(٥) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : المرجع السابق (١ / ١٩٠-١٩١) .

محبوبا للقلوب، مهيبا في عيونهم، له وقع عند كل أحد (١).

قال محب الله بن عبد الشكور البهاري : (الأكثر على أنه لا يمتنع عقلا ذنب مطلقا، خلافا للشيعية، وللمعتزلة إلا في الصغائر، وأما الواقع المتوارث أنه لم يبعث نبي قط أشرك بالله تعالى طرفة عين، ولا من نشأ فحاشاً سفيها) (٢).

٢ - إن القول ببعثة من كان كافرا خلافا لما حكاه بعض أهل العلم من الإجماع على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعدها، وممن حكى الإجماع على ذلك الرازي فقال في تفسير قوله تعالى مخاطبا للنبي ﷺ : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ (٣) : (اختلف العلماء في هذه الآية مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر) (٤). وقال سعد الدين التفتازاني : (أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع) (٥). وقال السيوطي : (الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا) (٦). وقال صديق حسن خان القنوجي : (الإجماع منعقد على أن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها) (٧). وقال الدكتور محمد أبو النور الحديدي : (وقوع الكفر من الأنبياء ممتنع باتفاق قبل النبوة وبعدها، ولم يحدث أن الله تعالى بعث نبيا قط أشرك بالله لحظة واحدة) (٨). وقال الدكتور خالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله : (إن الإجماع منعقد على عصمتهم من الكفر والشرك قبل إنبائهم إلا ما يذكر من مذهب الخوارج) (٩).

٣ - أن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله لرسالته لهم عناية خاصة من الله سبحانه وتعالى حتى قبل نبوتهم ورسالتهم وستأتي الأدلة على ذلك (١٠).

(١) نسيم الرياض (١٤٨/٤) .

(٢) مسلم الثبوت (٦٧/٢)، والبهاري هو محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي الحنفي، فقيه أصولي منطقي، لقب بـ " فاضل خان " توفي سنة ١١١٩ هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٧٩/٨) .

(٣) الشورى الآية : ٥٢

(٤) التفسير الكبير (١٩٠/٢٧) .

(٥) شرح العقائد النسفية (ص : ٢١٥) .

(٦) الإتيقان في علوم القرآن (٢٤٠/١) .

(٧) أبعاد العلوم (٤٩٤/٢) .

(٨) عصمة الأنبياء (ص : ٦٦) .

(٩) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٣٧) .

(١٠) انظر : (ص : ٧٣٩-٧٤٣) .

القول الرابع : التفصيل وهو أن أنبياء بني إسرائيل لم يكن فيهم كفر ولا شرك^(١)، والنبي ﷺ لم يكن كافرا ولا مشركا قط بل كان بعيدا عن جميع الفواحش والمنكرات الموجودة في قومه صغيرها وكبيرها، ولكن لا يلزم من اجتناب النبي ﷺ منكرات قومه كلها أن يكون جميع الأنبياء كذلك؛ لأن الأنبياء متفاضلون في الدرجات^(٢)، فلا يبعد عن بعض الأنبياء أن يكونوا قبل النبوة على دين أقوامهم من الكفر والشرك^(٣). وهذا القول ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

واستدل لما ذهب إليه بما ذكره الله عن شعيب ولوط فقال تعالى عن شعيب وقومه :

﴿ قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾^(٤) وقال تعالى عن لوط ﷺ : ﴿ فآمن له لوط ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلك الظالمين ﴾^(٦) .

وهذا القول شبيه بالقول السابق في جواز بعثة من كان مشركا وكافرا قبل النبوة، فما ذكرت من الملاحظات على القول السابق تنطبق على هذا القول أيضا، وأما الآيات التي استدلت بها شيخ الإسلام فليست صريحة في الدلالة على أن شعيبا ولوطا أو غيرهما من الرسل كانوا على الكفر والشرك قبل النبوة، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : دعوى أن شعيبا ﷺ كان على دين قومه من الكفر والشرك فهذا يحتاج إلى دليل صريح والآية ليست صريحة في الدلالة على أن شعيبا ﷺ كان على دين قومه من الشرك والكفر بل الآية تحتل عدة معان :

١ - منها أنه يمكن أن يكون معنى الآية أن شعيبا ﷺ نشأ بين قومه، ولم يظهر لهم

(١) انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١٩٣/١) .

(٢) انظر : المصدر السابق (٢٣٠-٢٣١-٢٣١) ؛ وبمجموع الفتاوى (٣١/١٥) .

(٣) انظر : تفسير آيات أشكلت ... (١٩٢-١٩٣) ؛ وبمجموع الفتاوى (٢٩-٣٠) ، وانظر أيضا : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢) .

(٤) الأعراف الآيتان : ٨٨-٨٩

(٥) العنكبوت الآية : ٢٦

(٦) إبراهيم الآية : ١٣

المخالفة قبل بعثته، فظن الكفار أنه كان على ملتهم، فطلبوا منه العودة إلى دينهم وهو في حقيقة الأمر لم يكن على دينهم من قبل^(١).

٢ - ويمكن أن يكون معنى العودة هنا العودة إلى ما كان عليه قبل الرسالة من عدم التعرض لدينهم بالطعن، ومن التوقف والسكوت عن عيبتهم وعيب دينهم وآهنتهم^(٢).

٣ - ويحتمل أن الكفار خاطبوا بهذا الخطاب وطلبوا العودة إلى ملتهم من الذين آمنوا برسول الله ﷺ، وتركوا دين قومهم، وليس المقصود به شعيبا عليه السلام نفسه، ولكنهم ذكروه في الخطاب إما تغليبا للأتباع عليه وإما لأنه هو الذي دعا الناس فترك الذين آمنوا له دين قومهم، لا أنه عليه السلام كان على دينهم من الكفر والشرك^(٣).

٤ - يحتمل أن العود في جانب شعيب عليه السلام أو غيره من الرسل ليس بمعنى الرجوع إلى الكفر المقتضي اتصافهم به أولا، بل بمعنى الصيرورة وهي وجود شيء بعد أن لم يكن^(٤)، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امْتَحَشُوا وعادوا حُمَمًا، فيلقون في نحر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... الحديث^(٥).

قال النووي : (معنى " عادوا " صاروا، وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليه قبل ذلك، بل معناه صار)^(٦).

فإذا كانت العودة لا تستلزم وجود حالة سابقة بل قد تكون بمعنى الصيرورة، فلا يلزم أن

(١) انظر : التفسير الكبير (١٩/٩٩-١٠٠)؛ وعصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص : ٦٦-٦٧) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١١١/٧ و ٧١/١٠)؛ والتفسير الكبير (١٠٠/١٩) .

(٣) انظر : المصدر السابقين نفساهما؛ ومعالم التنزيل (١٨١/٢)؛ والكشاف (٤٧٤/٢-٤٧٥ و ٣٦٨/٣)؛ وزاد المسير

(٢٣٠/٣)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٩/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣٣/٢)؛ وفتح القدير (٢٢٥/٢) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٥٥/٢-٣٥٧)؛ والمحرر الوجيز (١١١/٧)؛ والبيان في غريب إعراب

القرآن (٣٦٨/١)؛ ومعالم التنزيل (١٨١/٢)؛ والكشاف (٣٦٨/٣)؛ وزاد المسير (٢٣١/٣)؛ وعصمة

الأنبياء للرازي (ص : ٨٧-٨٨)؛ والتفسير الكبير (١٠٠/١٩)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٩/١)؛ والجواهر

الحسان في تفسير القرآن (٥٦-٥٥/٣) .

(٥) أخرجه خ (الرقاق، ب : صفة الجنة والنار ٢٤٠٠/٥ ح : ٦١٩٢)، واللفظ له؛ وم (الإيمان، ب : معرفة

طريق الرؤية ١٦٧/١-١٧٠ ح : ١٨٣) في حديث طويل .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٢/٣) .

يكون شعيب عليه السلام على الكفر والشرك، بل يمكن أن تكون العودة التي طالب بها الكفار من شعيب عليه السلام بمعنى الصيرورة ابتداء، لا بمعنى العودة إلى حالة سابقة، ويؤكد هذا المعنى الوجه التالي :

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ ^(١) فالله سبحانه وتعالى أخبر في هذه الآية بصيغة عامة أن الكفار طلبوا من المرسلين العودة إلى ملتهم، وشيخ الإسلام يرى أن هناك أنبياء ورسول لم يكن فيهم شرك ولا كفر، وأنهم لم يكونوا على ملة الكفر والشرك قبل النبوة، فالإخبار بمطالبة العودة بصيغة عامة مع عدم كون بعض الرسل على الكفر والشرك يؤكد أن معنى العود هنا ليس هو العود إلى ما كان حاصلًا من قبل، بل هو بمعنى المصير إليه ابتداء وإلا لزم كونهم جميعًا على الكفر والشرك وشيخ الإسلام لا يقول به ^(٢).

الحاصل : العود في الآية لا يلزم منه أن شعيبا عليه السلام كان قبل النبوة على الكفر والشرك، وأنه طلب منه بعد النبوة أن يعود إلى الكفر والشرك كما كان من قبل، بل يمكن حمل العود هنا على معنى السكوت وعدم التعرض بالطعن والعيب لما كان عليه الكفار أو أن المطالب بالعودة هم الأتباع دون الرسول أو أن العودة بمعنى الصيرورة؛ أي طلب منه المشركون أن يصير إلى كفرهم وشركهم، لا أنه كان عليه من قبل، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ فآمن له لوط ﴾ فهذه الآية لا تدل دلالة صريحة على أن لوطا عليه السلام كان متصفا بنقيض الإيمان وهو الكفر والشرك؛ بل تدل على أنه آمن بنبوة إبراهيم عليه السلام وبما جاء به، وذلك لا يقتضي أن لوطا عليه السلام كان قبل ذلك غير موحد، بل كان مصدقا بالبعض وهو التوحيد، وخالي الذهن عن البعض الآخر وهو نبوة إبراهيم عليه السلام، ثم صار مصدقا بالجميع ^(٣).

قال الخازن في تفسيره قوله تعالى : ﴿ فآمن له لوط ﴾ : (أي : صدق برسالته لما رأى معجزاته، وهو أول من صدق إبراهيم عليه السلام وأما في أصل التوحيد، فإنه كان مؤمنا؛ لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر) ^(٤).

(١) إبراهيم الآية : ١٣

(٢) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢) .

(٣) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٦٨-٦٩) ؛ ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢-٤٤٣) .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٧/٥) .

● وقوله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ ﴾ قريب من قوله تعالى مخاطبا لنبينا محمد

ﷺ : ﴿ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ ^(١) فالله سبحانه وتعالى أخبر في هذه الآية عن النبي ﷺ بأنه لم يكن يدري : ما الإيمان ؟ فإن كان هو لم يكن يدري ما الإيمان فهل كان على نقيض الإيمان من الكفر والشرك ؟ لا ، بل شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٢) وغيره من العلماء يرون - وهو الحق الذي لا ريب فيه - أن النبي ﷺ لم يكن على نقيض الإيمان من الكفر والشرك قط ، وهو الذي تدل عليه الأدلة ^(٣) ولكن معنى الآية كما فسرناها أهل العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يدري تفاصيل الإيمان قبل النبوة ثم علمها لما أكرمه الله تعالى بالنبوة ^(٤) ، فكذلك يمكن أن يقال أن لوطا عليه السلام لم يكن كافرا مشركا بالله تعالى بل كان مؤمنا بالله وموحدا له سبحانه من حيث الجملة ، لكنه لما آمن بنبي الله إبراهيم عليه السلام زادت تفاصيل إيمانه والله أعلم بالصواب .

القول الخامس : لا يجوز على الأنبياء الكبيرة ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، لكونه منفرا عن طاعتهم والقبول منهم . قاله القاضي عبد الجبار بن أحمد الحمذاني ^(٥) ، وعزاه القاضي أبو بكر ابن الطيب - في موضع - إلى المعتزلة ^(٦) .

ولكن الأمر ليس على إطلاقه فليس كل كبيرة موجبة للنفرة ؛ بل قد يكون الفعل من الكبائر ، ومع ذلك لا يكون منفرا للنفوس ؛ فإن العرب وغيرهم لا ينفرون عمن صدرت عنه الأفعال الدالة على علو الهمة وشهامة النفس والجرأة والشجاعة والبسالة والنجدة والغلبة والاستيلاء وإن كانت فيها مظالم على الآخرين بل قد يعدونه من الشرف ويمدحونه ويرغبون في فاعله ، وهذا له نماذج كثيرة في أفعال الملوك ومدح الشعراء وغيرهم لهم ، فليس كل معصية منفرة ، نعم تنفر النفوس عمن يرتكب خسائس الأمور ، ويتعاطى ما

(١) الشورى الآية : ٥٢

(٢) تفسير آيات أشكلت ... (٢٠٢/١ ، ٢٠٩-٢١٠) .

(٣) انظر بعض الأدلة على ذلك في المصدر السابق (٢١١/١-٢٣٠) .

(٤) انظر : معالم التنزيل (١٣٢/٤) ؛ وزاد المسير (٢٩٨/٧) ؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٧/٢) ؛ وتفسير

القرآن العظيم (١٢٢/٤) .

(٥) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٥٧٣-٥٧٥) .

(٦) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١٨٠/١) .

يتعاطاه سفلة الناس وسفهاؤهم وهذا قد صان الله الرسل قبل البعثة وبعدها^(١).

القول السادس : الأنبياء كلهم معصومون قبل النبوة من الكفر والشرك ومن جميع الرزائل والقبائح والחסائس التي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة كالزنا واللياسة وغيرها. هذا القول ذهب إليه العلامة ابن حزم^(٢).

وهو الذي أراه راجحا على غيره من الأقوال وذلك لما يلي :

أولا : المتأمل في أحوال الأنبياء والرسل يرى أنهم قبل نبوتهم على حالتين^(٣):

الأولى : أن يكون النبي قبل نبوته غير مكلف بشرع ما، فالعصمة في حقه غير ذات موضوع، لأن المعاصي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأن الذمة خالية من التكليف^(٤).

ولكن في هذه الحالة يمكن أن تقسم الذنوب والمعاصي إلى قسمين : قسم يدرك العقل السليم بأنه ذنب فينفر صاحبه من ارتكابه، كالزنا واللياسة والسرقة والخيانة والكذب والقتل عمدا ونحو ذلك، فمثل هذه المعاصي يستبعد وقوعها من الأنبياء قبل النبوة لرجاحة عقولهم وسلامة فطرتهم. والقسم الآخر الذي يتوقف معرفته أنه ذنب على مجيء الشرع، كالتعامل بالربا مثلا فهذا النوع لا يستبعد العقل وقوعه، إذ لا تشريع قبل البعثة يمنع من ذلك^(٥).

الثانية : أن يكون النبي قبل نبوته تابعا لشرع رسول سابق، متعبدا به، كما كان لوط عليه السلام تابعا - قبل نبوته - لعمه إبراهيم عليه السلام، وكأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوة. فالنبي في هذه الحالة يستبعد منه أن يعصي الله ربه، ويترك الالتزام بذلك الشرع المتعبد به^(٦). وسيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبل نبوتهم تشهد بذلك، فلم يؤثر عن أحد منهم ما يدل على عدم التزامه بشرع الرسول السابق إن كان تابعا له، كما لم يؤثر عن أحد منهم إتيان ما يدرك العقل السليم قبحه وذنبه أو ما يخجل بمروءته ويشينها.

(١) انظر : حاشية الصنعاني على هداية العقول (٤٥٩/١) بواسطة مسائل أصول الدين ... (ص : ٤٣٩) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٢٥-٢٤/٤)؛ والعقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤-٣٨٥) .

(٤) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤) .

(٥) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١١٨-١١٩) .

(٦) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

ثانيا : إن الأنبياء والرسل ليسوا كعامة الناس بل أحوالهم تختلف عن غيرهم حتى قبل النبوة ويمكن الإشارة إلى ذلك بما يلي :

١ - أن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته وجعلهم سفراء بينه وبين عباده هم صفوة البشر، وهو سبحانه قد رباهم تربية خاصة وأنبتهم نباتا حسنا، ورعاهم رعاية كريمة منذ صغرهم . قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ ^(١) وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وألقيت عليك محبة مني لتصنع علي عيني ﴾ ^(٢) وقال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه وهو في حجر أمه : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ ^(٣) وقال تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ ^(٤).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرا ^(٥).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئة، فأحسبه قال : ولا عملها ^(٦).

وجاء في الأحاديث أن النبي ﷺ كان محفوظا قبل النبوة من الشيطان، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه

(١) إبراهيم الآية : ٥١ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨١/٣) : يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل؛ أي : من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه .

(٢) طه الآية : ٣٩

(٣) مريم الآيات : ٣٠-٣٣

(٤) مريم الآيات : ١٢-١٥

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٤٣/٢٢٤ ح) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٩٣/٧) : (إسناده

جيد) ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٤٧/٤ ح : ١٨٣١) .

(٦) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٠٩/٣ ح : ٢٣٦٠) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٠٩/٨) :

(رواه البزار ورجاله ثقات) .

فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ... الحديث (١).
وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه : يا ابن أخي؛ لو حلت إزارك، فجعلت على منكبيك دون الحجارة، قال : فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رأيي بعد ذلك عريانا ﷺ (٢).
قال الحافظ ابن حجر : (وفيه أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها) (٣).

٢ - ومن هؤلاء الأنبياء من أصابته دعوة صالحة مقبولة عند الله تعالى قبل ولادته فمنهم من كان أبوه نبيا فدعا الوالد النبي لابنه بالصلاح والرضا لله قبل ولادته، والله سبحانه وتعالى أخبر أنه قبل دعاءه وبشره بما طلب، ومنهم من كانت أم أمه صالحة فدعت الله سبحانه وتعالى أن يعيد ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، والله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه قبل دعاءها، وابن بنتها كان نبيا فلا سبيل للشيطان إليه.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بسلام حلیم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ (٤).
وقال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ (٥).
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : " إن أباكما كان يعوذ بما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة " (٦).

(١) أخرجه م (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ١٤٧/١ ح : ١٦٢).

(٢) أخرجه خ (الصلاة، ب : كراهية التعري في الصلاة وغيرها ١٤٣/١ ح : ٣٥٧)، واللفظ له؛ وم (الحيض، ب : الاعتناء بحفظ العورة ٢٦٧/١ ح : ٣٤٠).

(٣) فتح الباري (٤٧٥/١).

(٤) الصفات الآيات : ٩٩-١٠٢.

(٥) إبراهيم الآية : ٣٥.

(٦) حديث صحيح، أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٨١).

فإبراهيم عليه السلام كان يعوذ ابنه إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - بكلمات الله التامة من جميع الشياطين، وكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى، وكان قبل ذلك كله لما ترك قومه المشركين وهاجر في سبيل الله دعا الله رب العالمين أن يهب له من الصالحين فهو لم يطلب الولد طلبا عاما وإنما طلب من الله أن يكون من الصالحين، فاستجاب الله دعاءه وبشره بإسماعيل عليه السلام ووصفه بالحلم الذي يتضمن حسن الصبر وحسن الخلق وسعة الصدر والعفو عمن جنى، وظهر هذا الحلم والصبر في أكمل صورة لما قال صابرا محتسبا، طالبا رضا ربه، وبارا بوالده: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

وقال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿هَذَا نَذِيرٌ لَكَ مِنْ لَدُنْكَ ذَرِيَّةٌ طَيِّبَةٌ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ * فناداته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ﴿^(١) وقال تعالى: ﴿كَهَيْعِصَ﴾ * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب أنبي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ ^(٢).

فزكريا عليه السلام دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة، وأن يهب له من لدنه وليا يكون وارثا النبوة من آل يعقوب ^(٣) وأن يجعله رضيا. وقد قبل الله تعالى دعاءه، وبشره بيحيى عليه السلام ووصفه بصفات عظيمة من التصديق برسالة عيسى بن مريم الذي خلق بكلمة خاصة من الله تعالى، كما وصفه بالسيادة والعصمة والحفظ من الذنوب الشهوات الضارة والنبوة التي هي ذروة الصلاح والتقوى ^(٤).

وقال تعالى عن أم مريم عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ * فلما وضعها قالت رب أنبي وضعها أنشئ والله أعلم بما وضعت

(١) آل عمران الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) مريم الآيات : ١-٧

(٣) انظر : النبوات (٢٠٦-٢٠٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (١١١/٣) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٤٩) .

وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتا حسنا وكفلها زكريا . . . ﴿ ١ ﴾ .

فإن الله سبحانه وتعالى أخبر عن أم مريم أنها دعت الله سبحانه وتعالى أن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه قبل دعائها، فلا شك أن عيسى ابن مريم عليه السلام له حظ من هذا الدعاء فهو محفوظ من الشيطان الرجيم، وأنه عليه سلام من الله منذ أن ولد كما قال بعد ولادته : ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ .

٣ - وكذلك نرى أن هناك من الأنبياء من نشأ وترعرع تحت رعاية نبوية كريمة وصحبة شريفة جليلة، فبني الله لوط عليه السلام كان مع عمه خليل الله إبراهيم عليه السلام، وبني الله إسماعيل وإسحاق ترعرعا في بيت النبوة في حجر والدهما إبراهيم عليه السلام، وبني الله يعقوب عليه السلام نشأ تحت رعاية والده إسحاق عليه السلام، وبني الله يوسف عليه السلام نشأ نشأته الأولى تحت رعاية والده يعقوب عليه السلام، وبني الله داود عليه السلام كان في صحبة نبي من أنبياء بني إسرائيل يقاتل معه جالوت الجبار، وبني الله سليمان عليه السلام نشأ تحت رعاية والده داود عليه السلام الذي آتاه الله العلم والحكمة والنبوة، وبني الله يحيى عليه السلام نشأ في رعاية والده زكريا عليه السلام، فهؤلاء من الأنبياء الذين كانت نشأتهم محظوظة برعاية نبوية مباشرة، وعيسى عليه السلام نشأ تحت تربية أمه مريم رضي الله عنها التي كفلها زكريا عليه السلام فهو أيضا محظوظ بتربية الأنبياء بواسطة أمها التي كفلها زكريا عليه السلام .

ثالثا : أن الأنبياء والرسل يتحلون بسلامة الفطرة وصفاء النفس وسمو الروح وصحة الضمير ورجاحة العقل وسداد الرأي ما يجعل كل واحد منهم أنموذجا رفيعا بين قومه، في أخلاقه ومعاملاته، وأمانته وبعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة والتي يمكن أن يؤذى منها ويعاب بها بعد النبوة ^(٢) .

رابعا : نرى في أتباع الأنبياء من كان محمود الطريقة وسوي السلوك قبل ظهور النبي، وقبل قبوله لدعوته، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه - مع نشأته في قومه - كان في الجاهلية معروفا

(١) آل عمران الآيات : ٣٥-٣٧

(٢) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤) .

بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، ولم يكن فيه قبل الإسلام ما يعيونه به بعد الإسلام،^(١) وهذا حال واحد من أتباع الأنبياء، فالأنبياء أولى بمثل هذه الأخلاق العالية والصفات الحميدة .
خامسا : قال تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾^(٢) وقال تعالى :
﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم
عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل وإيسع وذو الكفل وكل من الأخيار﴾^(٣) . فالله سبحانه
وتعالى لا يختار لحمل رسالته إلا الأخيار .

فهذه الوجوه المذكورة يستنبط منها أن أحوال الأنبياء والرسل تختلف عن غيرهم من
الناس حتى قبل النبوة اختلافا عظيما، وأن لهم عناية خاصة من الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك
نراهم محل ثقة وأمانة واعتماد وصدق وعفاف ... في أقوامهم حتى قبل النبوة، ويؤكد هذا
الاستنباط أنهم لما أكرموا بحمل رسالة الله إلى أقوامهم، ودعواهم إلى ما أوحى إليهم عادتهم
أقوامهم عداوة شديدة، وحاولوا أن يصرفوا الناس عنهم بكل ما يملكون من نسبتهم إلى السحر
أو الجنون أو الشر وما إلى ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا أن يرموهم بالكفر والشرك والكذب
والخيانة والسرقة والزنا واللياسة وما إلى ذلك من الأمور المستقبحة المنكرة الخسيسة .
فهذا أيضا مما يشعر أن الله سبحانه وتعالى حمى أنبياءه ورسله قبل نبوتهم ورسالتهم
عن كل ما يشينهم بما سيكرمهم من نبوته وحمل رسالته إلى عباده فيما بعد .

قال العلامة ابن حزم : (فيبين ندرى أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغية
أو من أولاد بغى أو من بغايا بل بعثهم الله تعالى في حسب قومهم، فإذا لا شك في هذا،
فسيبين ندرى أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة، فدخل في
ذلك السرقة، والعدوان، والقسوة، والزنا، واللياسة، والبغى، وأذى الناس في حريمهم،
وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء، ويتشكى منه، ويؤذى بذكره)^(٤) .

(١) انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١٩٤/١) .

(٢) الحج الآية : ٧٥

(٣) ص الآيات : ٤٥-٤٨

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

وأما ما جاء عن موسى عليه السلام أنه قتل القبطي ثم ذهب إلى مدين وبذلك عيره فرعون فالظاهر أن فرعون قال ذلك تعصبا وتعتنا وإلا فالذي فعله موسى عليه السلام من نصره الضعيف المظلوم، يعد شرفا عند عامة الخلق، مع أنه لم يكن قاصدا لقتله أصلا ^(١)، كما قال النبي ﷺ : ((إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ)) ^(٢) .

الحاصل فيما يظهر لي : إن الأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه وتعالى، ولكنهم غير معصومين عن صدور الكبائر، إلا أنه يظهر لي أنهم كانوا بعيدين من الأفعال الخسيسة التي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة، والله أعلم بالصواب .

المحور الثاني : عصمة الأنبياء بعد النبوة .

إن الأنبياء والرسل الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة واختارهم لهذا المنصب الجليل والعمل العظيم على غيرهم من البشر قد سبق البيان بأنهم كانوا محظوظين بعناية خاصة من الله سبحانه وتعالى لهم قبل النبوة، ولما كمل هؤلاء الصفوة المختارة بتاج النبوة والرسالة ازدادت عناية الله سبحانه وتعالى بهم وازدادت رعايته وحفظه وعصمته لهم . قال تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ فَأَوْحِينَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾ ^(٤) وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ إلى أن قال : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٥) وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ﴾ ^(٦) وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٧) وقال تعالى عن الرسل عامة : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا

(١) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٠) .

(٢) جزء من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -، أخرجه م (الفتن، ب : الفتنة من المشرق ... ٢٢٢٩/٤ ح : ٢٩٠٥) .

(٣) المؤمنون الآية : ٢٧

(٤) هود الآية : ٣٧

(٥) الأنبياء الآيات : ٥١-٦٩

(٦) طه الآية : ٤٦

(٧) الطور الآية : ٤٨

* ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴿^(١)﴾ .

فهذه الآيات وغيرها كثيرة تدل على أن الأنبياء والرسل بعد نبوتهم وحملهم لرسالة الله صاروا تحت رعاية الله وحفظه ووقايته وعصمته ونصره، وأنه سبحانه وتعالى كان يوحى إليهم ويسددهم في كل وقت وحين يحتاجون إليه، فكانوا موفقين للخير، بعيدين عن الشر ^(٢) .

مم تكون العصمة بعد النبوة :

الكلام عما تكون العصمة للأنبياء بعد نبوتهم متشعب، وللناس فيها أقوال كثيرة ومختلفة، وأنا أحاول ذكر الخلاصة من خلال نقطتين :

الأولى — الكلام عن عصمة الأنبياء فيما يتعلق بتبليغ الرسالة .

اتفق المسلمون جميعا على عصمة الأنبياء في كل ما يتعلق بتبليغ الرسالة، والإخبار عن الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يستقر في ذلك شيء من الخطأ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه) ^(٣) . وقال أيضا : (أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، في تبليغ رسالته باتفاق الأمة ... العصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين) ^(٤) .

وعصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام فيما يتعلق بتبليغ الرسالة لها جوانب، والأنبياء عليهم السلام معصومون في جميع تلك الجوانب؛ فهم معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئا مما أوحى إليهم إلا أن يشاء الله ربهم، وكذلك معصومون في فهم رسالة الله إليهم على مراد الله سبحانه وتعالى فلا يخطئون في فهمها، ومعصومون في تبليغ ما أوحى إليهم من ربهم، فهم أمناء على رسالة الله، ويبلغونها إلى الناس، كما ألقيت إليهم من غير أن يزيدوا فيها شيئا، أو ينقصوا منها شيئا من عند أنفسهم . وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا يطبقون على أنفسهم

(١) الجن الآيات : ٢٦-٢٨

(٢) انظر أدلة أخرى على عصمة الأنبياء من الكتاب والسنة والعقل في : عصمة الأنبياء للرازي (ص : ٢٨-٣٤) ؛ وعصمة الأنبياء للدكتور محمد أبي النور الحديدي (ص : ١٣٣-١٤٢) .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٤٤٦) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠ / ٢٨٩-٢٩٠) .

كل ما أوحى إليهم ويدعون الناس إليه، ولم تكن أفعالهم تخالف أقوالهم بل كانت معتقداتهم وأقوالهم وأفعالهم منسجمة متطابقة، فهم لما كانوا يدعون الناس إلى الإيمان بالله تعالى وإفراده بأنواع العبادة كلها وإلى الصدق والعفاف والنصح... كانوا بعيدين كل البعد عن الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه، وكانوا بعيدين عن النفاق وكممان الرسالة والغش والخيانة فيها... بل كل ما دعت الرسل إليه أقوامهم كانوا بعيدين عن اتصاف ما يعارض ويخالف دعوتهم؛ لأن مخالفة الفعل للقول يعد كذبا ويكون منافيا ومعارضاً لمقصود الرسالة وغايتها^(١).

الحاصل : إن الأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون في كل ما يتعلق بتبليغ الرسالة والإخبار عن الله سبحانه وتعالى، فلا يستقر فيها شيء من الخطأ، وذلك أمر مجمع عليه عند المسلمين، والله أعلم بالصواب.

الثانية : الكلام عن عصمة الأنبياء فيما يتعلق بغير الرسالة والتبليغ .

وأما عصمة الأنبياء في غير ما يتعلق بالرسالة وتبليغها ففيها نزاع كبير، وللناس فيها مواقف متباينة، ويمكن ذكر خلاصتها من خلال ثلاثة مواقف، وهي كما يلي :

أولاً : موقف التفريط والتنقيص، وهو :

أ - ما حكى عن الشيعة أنهم يجوزون إظهار الكفر من الأنبياء والرسل على سبيل التقية^(٢) بل نقل بعضهم أنهم أوجبوا ذلك عليهم عند الخوف^(٣) .

ب - ما حكى عن بعض الفرق من الخوارج كالفضيلية والأزارقة أنهم يجوزون الكفر على الأنبياء، فالأزارقة نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته^(٤)، والفضيلية يجوزون صدور الذنوب عن الأنبياء، وكل ذنب عندهم كفر، وبذلك جوزوا صدور الكفر عنهم^(٥) .

(١) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٩٧-٩٨)؛ ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٣٩٩) .

(٢) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٢/٢٢٦)؛ والتفتازاني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦) وغيرهم .

(٣) ذكره عنهم الدكتور محمد أبو النور الحديدي عن شمس الدين الأصفهاني وأحال إلى كتاب : (مطالع الأنظار ص : ٢٠٩) وبين بطلانها . انظر : عصمة الأنبياء (ص : ٧٧-٧٨) .

(٤) ذكره عنهم الآمدي في (الأحكام في أصول الأحكام ١/١٥٧)؛ والآلوسي في (روح المعاني ١٦/٢٧٤) .

(٥) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٢/٢٢٦)؛ والآمدي في (الأحكام في أصول الأحكام ١/١٥٧) .

فإن جاز الكفر على الأنبياء كما حكى عن هؤلاء فما دونه يجوز عليهم من باب أولى، وهذا المذهب الذي ذهب إليه هؤلاء لهم سلف في ذلك، وهم اليهود والنصارى .
فقد نسب اليهود إلى الأنبياء والرسل جميع أنواع القبائح والمنكرات والمعاصي إذ نسبوا إلى نبي الله نوح عليه السلام أنه شرب الخمر وسكر وتعري داخل خبائه^(١)، ونسبوا إلى نبي الله لوط عليه السلام أنه شرب الخمر حتى سكر ثم قام على ابنتيه فرنا بهما الواحدة بعد الأخرى، وأن كل واحدة منهما أنجبت منه ولدا^(٢)، ونسبوا إلى نبي الله هارون عليه السلام أنه صنع عجلا وعبداه مع بني إسرائيل^(٣)، ونسبوا إلى نبي الله داود عليه السلام أنه زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، فقتل، وبعد ذلك أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له ولدا^(٤)، ونسبوا إلى سليمان عليه السلام أنه ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبني لها المعابد^(٥).

فهذه بعض المخازي والقبائح التي نسبها اليهود إلى الأنبياء والرسل، وهي مما يتره عنها ويتجنبها كثير من عوام الناس وأوساطهم فضلا عن فضلائهم وكرامهم، فكيف يتلبس بها الأنبياء الصفوة المختارة من عباد الله تعالى ؟

وأما النصارى فقد سبق ذكر شيء من المخازي والقبائح والكبائر التي نسبها اليهود إلى الأنبياء والرسل، والنصارى وافقتهم على ذلك لتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم بين أيديهم، كما ذكرت النصارى في أناجيلهم المحرفة مخازي وقبائح أخرى مثل ما سبق، ونسبوا إلى الأنبياء، ومنها أنهم زعموا أن عيسى عليه السلام قال عن أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا قبله : (جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم ... السارق لا يأتي إلا ليسرق ويدبح ويُهْلِك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لكم حياة)^(٦).

ثم إن النصارى يعتقدون أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وقع جميع نسله في عثرة العصيان والفساد إذ انتقلت تلك الخطيئة من بعده إلى الأبناء ، وبقي الناس كلهم محملين بتلك الخطيئة، تائهي

(١) انظر : سفر التكوين (٢٠/٩) .

(٢) انظر : المصدر السابق (٣٧-٣٠/١٩) .

(٣) انظر : سفر الخروج (٦-١/٣٢) .

(٤) انظر : سفر صموئيل الثاني (٢٦-١/١١) .

(٥) انظر : سفر الملوك الأول (١٣-٤/١١) .

(٦) إنجيل يوحنا (١١-٧/١٠) .

في ضلالة وشقاوة حتى جاء عيسى عليه السلام وفداهم بنفسه فمات مصلوبا وبذلك نجاهم من تلك الخطيئة .
فهم لا يعتقدون بعصمة أحد من الأنبياء سوى عيسى عليه السلام ^(١) ، ومع ذلك نسبوا إليه أنه أهان أمه في
وسط جمع من الناس، وأنه قال لها : (ما لي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد) ^(٢) .

ولا شك أن ما ذهب إليه اليهود والنصارى ومن وافقهم من نسبة الكفر والشرك والارتداد
وغيرها من المعاصي والقبايح والفواحش فيها ظلم وجور وعدوان على حقوق الأنبياء والمرسلين وغض
من شأنهم ونيل من كرامتهم ونسبة إليهم ما هم براء منه براءة الذئب من دم يوسف؛ فإن هذه المخازي
والقبايح التي نسبها هؤلاء إلى الأنبياء والرسل، هي مما يتزه ويتعد عنها كثير من عوام الناس وأوساطهم
فضلا عن فضلائهم وكرامهم، فكيف يتلبس بها الأنبياء الصفوة المختارة من عباد الله تعالى ؟ وهو
سبحانه قد عصمهم من الكفر والشرك وغيرهما من القبايح قبل النبوة فكيف تصح نسبتها إليهم بعد
النبوة ؟ والله سبحانه وتعالى اختارهم لحمل رسالته وأرسلهم لهداية خلقه فكيف يمكن الجمع بين
الشرك والقتل والارتداد... الخ وبين النبوة والرسالة الإلهية؟ والله عز وجل يقول : ﴿ لا ينال عهدي
الظالمين ﴾ ^(٣) وأي ظلم أكبر من الكفر والشرك والارتداد والقتل والزنا ؟ ثم إن الله سبحانه وتعالى
جعلهم أسوة لغيرهم، وإذا كان هذا هو تاريخ الأنبياء وأعمالهم وصفاتهم فيا ليت شعري ما ذا بقي
من حرمتهم، وفيماذا يقتدى بهم وكيف ولماذا؟؟ وما ذا يقال لكبار الفساق والجرمين ؟ ^(٤) .

ثانيا : موقف الإفراط والمبالغة، وهو ما ذهب إليه الشيعة ومن وافقهم .

وللشيعة موقف آخر تجاه عصمة الأنبياء والرسل وهو معاكس تماما لموقفهم السابق كما
سبقته الإشارة إليه من قبل، وهو أنهم بالغوا في إثبات عصمة الأنبياء والرسل حتى زعموا أنهم
معصومون من الذنوب مطلقا، وأنه لا يجوز عليهم الخطأ والغفلة، وأنه لا يصدر منهم صغيرة ولا
كبيرة، لا عمدا ولا سهوا، ولا اجتهدا ولا تأويلا، بل هناك من زعم أن الأنبياء والرسل (ليست

(١) انظر : الوحي المحمدي (ص : ٥١)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ٦٢) وقد سبق الكلام عن عقيدة النصارى هذه مع

الرد عليها مفصلا . انظر : (ص : ٤٧٨-٤٩٧) .

(٢) إنجيل يوحنا (٤/٢) .

(٣) البقرة الآية : ١٢٤

(٤) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ٢٨٤) والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٦١)؛ ومصادر

النصرانية دراسة ونقدا لعبد الرزاق الألو (ص : ١٩٦-١٩٧) .

عندهم الصلاحية لارتكاب الخطايا أو الذنوب أو عصيان المولى عز وجل منذ البداية ...^(١) وهذا المذهب الذي ذهب إليه الشيعة^(٢) نحوه قال ابن السبكي^(٣) ونسبه إلى والده وغيرهم^(٤).

ولكن دعوى العصمة المطلقة للأنبياء والرسل - عليهم السلام - فيها مبالغة وغلو وإفراط في شأن الأنبياء، ووصف وإثبات لهم بما ليس فيهم، مع أن نصوص الكتاب والسنة قد أخبرت عن اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم إلى الله واستغفارهم منه سبحانه ومغفرته لهم، فلا يمكن أن تصح دعواهم في مقابل نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وقد سبق بيان بطلان قولهم هذا من قبل^(٥).

الحاصل : إن ما ذهب إليه اليهود والنصارى ومن تبعهم فيه تنقيص للأنبياء والرسل وفي مقابله ما ذهب إليه الشيعة ومن موافقهم فيه غلو ومبالغة في شأنهم ووصف وإثبات لهم بما ليس فيهم، وكلا المذهبين متعارضان مع أدلة الكتاب والسنة، فلا شك أنهما باطلان بعيدان عن الحق والصواب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي تقيض، كلامها مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه؛ قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوبا وعبوبا نزههم الله عنها، وهؤلاء مخالفون للقرآن، وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتديا إلى الصراط المستقيم)^(٦).

ثالثا : الموقف الوسط، وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

إن موقف أهل السنة والجماعة تجاه عصمة الأنبياء والرسل موقف وسط كما هو معروف من منهجهم في جميع الأمور، فهم لم يصفوا الأنبياء بما وصفهم به اليهود والنصارى وغيرهم من القبائح

(١) قاله رجل اسمه " أحمد أحمد نور " في كتابه (العصمة والرسل والورثة هم النضر ص : ١٤) وانظر أيضا : (ص : ٢٥) .

(٢) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٧)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٢٢٥/٣)؛ وشيخ الإسلام

ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤)؛ والفتاواني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦) وغيرهم .

(٣) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، فقيه أصولي مؤرخ، توفي سنة ٧٧١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٢٥/٦) .

(٤) انظر : جمع الجوامع لابن السبكي مع شرحه للحلال المحلي وحاشية البناي عليه (١٤٥/٢) وانظر : البرهان

في علوم القرآن (١٥٠/٣)؛ والبحر المحييط كلاهما للزركشي (١٦/٦) .

(٥) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٠/١٥) .

والمنكرات والمعاصي، وأيضاً لم ينفوا عنهم ما أثبتته نصوص الكتاب والسنة عنهم من وقوع بعضهم في بعض الذنوب وتوبتهم واستغفارهم منها، وفيما يلي ذكر موقفهم في المسألة باختصار :

أ - العصمة عن الكبائر دون الصغائر .

لا شك أن الأنبياء والرسل - عليهم السلام - من البشر، يحملون كل خصائص البشرية، فهم بمقتضى بشريتهم قد يصدر من بعضهم بعض الذنوب والمعاصي ولكنها لا تكون من كبائر الذنوب كالزنا والسرقه والكذب والخيانة وشرب الخمر... بل تكون من الصغائر فهم معصومون من الذنوب الكبيرة مطلقاً، فلا تصدر عنهم هذه القبائح، لا عمداً ولا سهواً، بحفظ الله وعصمته لهم، وأما التي قد يقع فيها بعضهم إنما تكون من الصغائر.

قال ابن عبد البر : (معلوم أن رسول الله ﷺ لم يكفر عنه إلا الصغائر من الذنوب لأنه لم يأت كبيرة قط، لا هو ولا أحد من أنبياء الله ؛ لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم)^(١).

قال القرطبي : (اختلف العلماء في هذا الباب، هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين صغائر من الذنوب، يؤاخذون بها ويعتبون عليها أم لا ؟ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر، ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعاً...)^(٢) وقال أيضاً : (الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً)^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر : (الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع)^(٥).

الحاصل : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام قد يصدر من بعضهم بعض الذنوب ولكنها

(١) التمهيد (٢٦٦/٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١) .

(٣) المصدر السابق (٢٩٩/٣) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٩/٤) .

(٥) فتح الباري (٦٩/٨) .

تكون من الصغائر ولا تكون من الكبائر فإنهم معصومون عن الكبائر كلها بالاتفاق .

ب - العصمة عن الصغائر الخسيسة :

ومن أهل العلم من فصل في الصغائر، فيرى أن الأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون أيضا عن الصغائر الخسيسة التي توجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة كسرقة حبة أو كسرة أو لقمة^(١) ... كعصمتهم من الكبائر؛ لأن صدورها منهم يؤدي إلى سقوط هيتهم من النفوس، والتفكير عنهم، وعدم الانقياد لهم، وهو خلاف مقتضى الحكمة من البعثة لهم .

قال القاضي عياض : (قال بعض أئمتنا : ولا يجب على القولين [أي : العصمة عن الصغائر وعدمها] أن يختلف أهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها؛ إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء والخساسة، فهذا أيضا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا)^(٢).

وقال القرطبي : (الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا)^(٣).
وقال النووي : (لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزرى بفاعلها، وتحط منزلته، وتسقط مروءته)^(٤).

ج - العصمة عن تعمد الصغائر :

إن هذه الذنوب الصغائر التي قد يقع فيها بعض الأنبياء تكون في الغالب من جهة النسيان أو التأويل أو الخطأ الغير المتعمد؛ لأن الأنبياء والرسل هم أعلم الخلق بالله، وأتقاهم لله، وأحشاهم له سبحانه وتعالى، فهم أعلى وأرفع من أن يتعمدوا معصية الله وأن يرتكبوا الذنوب عمدا ولو كانت صغيرة .

قال الرازي : (إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد)^(٥).

(١) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٥٧/١) .

(٢) الشفا في تعريف حقوق المصطفى (٧٨٧/٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/٣) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (٥٤/٣) .

(٥) عصمة الأنبياء (ص : ٢٨) .

وقال الدكتور شاكر عطية : (والسابقون بالخيرات من المؤمنين، المنتهون عن مناهي الله قد بلغ بهم الخوف من الله إلى حد أنه لا يفقدتهم حيث أمرهم، ولا يراهم حيث نهاهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر خوفاً من الله، وأسرع امتثالاً له، وأحرص على إرضائه، فلا يتعمدون ترك مأمور، أو فعل منهي عنه، وإن كان صغيرة)^(١) .

د - العصمة على الإقرار على الذنوب مطلقاً .

إن هذه الصغائر التي قد يقع فيها بعض الأنبياء خطأ أو نسياناً أو تأويلاً^(٢)، وقد لا تكون من الذنوب بالنسبة لغيرهم^(٣) ولكنهم قد يعاتبون عليها لرفعة مقامهم وعلو مرتبتهم، ومع ذلك لا يقرون عليها بل الله سبحانه وتعالى ينيبهم عليها ويوفقهم للتوبة منها ويتوب عليهم^(٤) .

ولذلك لم يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقروناً بالتوبة والاستغفار^(٥)، فقال تعالى عن آدم وزوجته - عليهما السلام - : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) وقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٧) وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغْفَرَهُ ﴾^(٨) وقال تعالى عن داود عليه السلام : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾^(٩) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً، والرد على من يقول :

(١) مواقف القرآن من عصمة الأنبياء بواسطة كتاب : عصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدي (ص : ١٢٤) وهو

لم يذكر الصفحة من الكتاب الذي أحال إليه .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٤٢٧/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٤٢١/٢) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٩/١٠) .

(٥) انظر : المصدر السابق (٢٩٦/١٠) .

(٦) الأعراف الآية : ٢٣

(٧) هود الآية : ٤٧

(٨) القصص الآية : ١٦

(٩) ص الآيتان : ٢٤-٢٥

إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول، وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء (١).

خلاصة قول أهل السنة والجماعة في المسألة : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام قد يقع من بعضهم بعض الذنوب والمعاصي من غير أن يقصدوا ويتعمدوا بها معصية الله تعالى وهي لا تكون من الكبائر والصغائر الخسيسة بإجماعهم، وإنما تكون من الصغائر، مع ذلك هم لا يقرون عليها بل ينهون عليها ويوقفون للتوبة والاستغفار منها، وهذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم في المسألة، وهو الموافق لما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة والله أعلم بالصواب .

شبهتان والجواب عنهما :

الذين يرون عدم وقوع الصغائر من الأنبياء ويستعظمون نسبتها إليهم لهم شبهتان في ذلك يتعلقون بهما (٢):

الأولى : أن الله سبحانه وتعالى أمر باتباع الرسل والتأسي بهم، والأمر باتباع الرسول يستلزم أن لا يكون في أفعال الرسول وأقواله شيء من المعصية؛ لأنه لو جاز من الرسول وقوع المعصية لحصل تناقض في واقع الحال؛ إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول أمران متناقضان : الأمر بفعلها والنهي عنها : الأمر بفعلها لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول، والنهي عنها لأنها معصية منهى عنها، فلا يمكن أن يأمر الله عبدا بشيء في حال أنه ينهاه عنه .

وقولهم هذا لا يكون صحيحا إلا إذا بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة بحيث تختلط بالطاعة بالمعصية، ولكن معصية الرسول لا تبقى خافية بل الله سبحانه وتعالى ينبه رسله وأنبياءه على ما وقع منهم من مخالفات ويوقفهم للتوبة منها، من غير تأخير، والتأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نفوا عنه ورجعوا عنه، فما ذكروه لا يصلح دليلا لما ذهبوا إليه بل فيه أمر بالتأسي بالرسول في الإسراع إلى التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف في هذا، كما فعل الرسل عليهم السلام .

الثانية : الذنوب تنافي الكمال وأنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، وأنها توجب التنفير وهذا كله مناف لمقام الأنبياء والرسل ودعوتهم .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٣/١٠) .

(٢) انظر الشبهتين مع الجواب عنهما في : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٣/١٠ - ٣١٠ - ١٥٨/١٤٨)؛

وعنه نقله الدكتور عمر الأشقر في (الرسل والرسالات ص : ١٠٩ - ١١١) .

وهذا استدلال غير صحيح لأن الذنوب تنافي الكمال وتوجب اللوم والتفكير إذ بقي صاحبها مستمرا عليها، ملازما لها، لا يتوب منها ولا يرجع عنها، والأنبياء والرسل عليهم السلام ليسوا كذلك بل هم إن حصل منهم شيء من المعصية يندمون عليها ويأدرون إلى التوبة والاستغفار منها، ويسرعون إلى التضرع والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه يحب التوابين والمستغفرين والأوابين والمتضرعين إليه ويفرح بهم، ويرفع من شأنهم ودرجاتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات تفضلا وكرما منه سبحانه وتعالى، فوقعهم في بعض الذنوب مع توبتهم عنها لا يوجب التفكير منهم ولا ينافي كمالهم ومقامهم بل هذا من أسباب ما يرفع الله به من شأنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون : إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحيث فم وصفوهم إلا بما فيه كمالهم؛ فإن الأعمال بالحوادث، مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم)^(١).

خلاصة ما سبق : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام لهم من الله عناية خاصة قبل نبوتهم، وأهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه وتعالى، والقرائن المحتفة بهم قبل النبوة تدل على بعدهم عن كل ما يخل بمروعتهم ويشينها والتي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة. وأن عناية الله سبحانه وتعالى بهم تزداد بعد نبوتهم واختيارهم لرسالته، وأهم معصومون في كل ما يتعلق بإخبارهم عن الله وتبليغهم لرسالته سبحانه، فلا يستقر فيها شيء من الباطل باتفاق المسلمين، وأهم معصومين عن الكبائر والصغائر الخسيسة بإجماع من يعتد به منهم، وكذلك هم معصومون عن تعمد الذنوب والإقرار عليها مطلقا، وهذا هو المذهب الوسط الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة، الموافق لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والله أعلم بالصواب .

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٠٠) .

المطلب الثالث : اختصاص العصمة بالأنبياء .

لقد اتفق أهل العلم بالكتاب والسنة على اختصاص العصمة بالأنبياء والرسل عليهم السلام وعدم مشاركة غيرهم فيها، فلا عصمة لأحد بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ - الصحابة الذين هم سادات الأولياء وكبار الأتقياء وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم جميعا - ولكن ليس فيهم من هو معصوم عصمة النبي ﷺ بل كل واحد منهم معرض للخطأ والصواب .

قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ﷺ في أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة بعد ما حمد الله وأثنى عليه سبحانه بما هو أهله ثم قال : (أما بعد ! أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم ...)^(١). وقال مجاهد : (ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك؛ إلا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم)^(٢).

وقال الإمام مالك بن أنس : (ليس أحد بعد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم)^(٣).

وقال الإمام أحمد : (ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ)^(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس : يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وإن كانوا متفاضلين في الهدى والنور والإصابة)^(٥). وقال

(١) هذا الأثر له عدة طرق إلى أبي بكر الصديق ﷺ، وأحسنها ما أخرجه ابن حبان في الثقات (١٥٢/٢)، واللفظ له؛ فإن رجال إسناده ما بين ثقة وصدوق، وقريب منه ما أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢٧٦/٤) عن ابن إسحاق، ثم الزهري ثم أنس بن مالك، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢٣٧/٢) بإسناده إلى ابن إسحاق به، وابن إسحاق صدوق في الحديث، وإمام في المغازي والسير ولا يضر كونه موصوفا بالتدليس، لأنه صرح هنا بالتحديث عن الزهري . وكذلك أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٦٦/١١) والطبراني في الأوسط (٢٦٧/٨ ح ٨٥٩٧) ولكن سندهما ضعيف؛ فإن في سند عبد الرزاق جهالة وانقطاعا، وفي سند الطبراني جهالة وضعف.

(٢) رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ٩١/٢) من أربعة طرق، وصححها إليه .

(٣) رواه ابن عبد الهادي في (إرشاد السالك ٢٢٧/١) وصححه، بواسطة صفة صلاة النبي ﷺ (ص : ٢٨) .

(٤) مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص : ٢٧٦) .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٧/٢) .

أيضا : (اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص سوى الرسول، فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) (١).

فالمعصوم هو من لا ينطق إلا ما أوحى إليه، وليس ذلك إلا لأنبياء الله ورسله لكن هناك جماعات من الناس انحرفت عن جادة الصواب، حادت عن سواء الصراط، فلم تجعل هذه العصمة خاصة بالأنبياء والرسل الذين أمر الله بالاعتداء والتأسي بهم بل ادعت العصمة لغير الأنبياء من الأتباع، فقد ادعى أتباع المعز الفاطمي (٢) أنه معصوم هو أولاده عن الذنوب والأخطاء (٣)، كما ادعى بعض المتصوفة العصمة لشيخوهم فزعموا (أن شيخهم لا يفعل إلا حقا، ولا يقول إلا حقا) (٤)، وأكثر من غلا في هذا الباب، وأوغل في يبداء الضلال والفساد هم الشيعة الذين ادعوا العصمة لعلي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ ثم لغيره من أئمتهم، والعصمة التي ادعوها للأنبياء هي التي أثبتوها لأئمتهم، وجعلوها من دينهم وعقيدتهم وكفروا من لم يقل بكفرهم وضلالهم وغوايتهم .

قال المجلسي : (أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأ ونسيانا، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد، فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالى، لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام) (٥). ونقل إبراهيم الموسوي الزنجاني عن الصدوق قوله : (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس؛ فإنهم لا يذنبون ذنبا لا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٦). وقال أيضا : (ومن نفى عنهم العصمة في

(١) منهاج السنة النبوية (٦/١٩٠-١٩١) .

(٢) معبد بن إسماعيل بن سعيد، أبو تميم المعز الفاطمي، وهو أول الخلفاء الفاطميين، مات سنة ٣٢٢ هـ. انظر : البداية والنهاية (١١/١٧٩) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٢٠ و ٣٥/١٢٠) .

(٤) أسباب البدع ومضارها لمحمود شلتوت (ص : ٤٥) بواسطة الشرك في القدم والحديث (٢/١٠٣٥) وانظر :

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٦٧)؛ ومنهاج السنة النبوية (٦/١٨٩) .

(٥) بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/٣٥١-٣٥٠) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٦) عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة المصدر السابق نفسه .

شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر (١) وقال أيضا : (اعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها ، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان) (٢) وقال الحميني (٣) : (الأئمة لا تتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين) (٤) ويقول عبد الله نعمة - وهو من دعاة الرافضة المعاصرين - : (ينظر الشيعة إلى الأنبياء و الأئمة من أهل البيت جميعا نظرة مثالية، ويحيطونهم بمالة مقدسة، لا تقتحمها الظنون والشكوك، فهم لديهم شخوص كريمة، يتجسد فيها المثل الأعلى للإنسان في الخير والحق والعدل والعلم، لا يلتون، ولا ينحرفون، ولا يجورون، ولا يظلمون، قد تساموا بأنفسهم عن الأهواء والشهوات والمطامع والخطايا والذنوب) (٥).

فتراهم مجمعين على إثبات العصمة لأئمتهم، والعصمة التي ادعوها للأنبياء هي التي أثبتوها لأئمتهم (٦)، ولعلمهم لم يقولوا بعصمة الأنبياء إلا تقية، أو ليجعلوا عصمة الأنبياء دهليزا لإثبات العصمة لأئمتهم؛ ولذلك جعل بعضهم عصمة الأئمة فوق عصمة الأنبياء بدعوى أن النبي إذا وقع في الخطأ يأتيه الوحي من السماء فيرده إلى الصواب، وأما الأئمة فلا وحي إليهم فيجب أن يكون على الصواب على الإطلاق بدون احتمال (٧)، ولا شك أن هذه الدعاوى كلها باطلة فاسدة ضالة، وليس من دين الله في شيء، فيما يلي الإشارة إلى بطلانها وضلالها :

أولا : إن الأنبياء والرسل هم أعلم الخلق بالله وبشرعه ومرضاته، وأتقاهم له سبحانه وتعالى، ولا سلطان للشيطان عليهم ولا سبيل له إليهم البتة، والله سبحانه وتعالى قد صرف عنهم السوء والفحشاء، وإن صدر عن أحد منهم ما لا يحسن صدوره عن مثلهم نبههم ربه

(١) المصدر السابق بواسطة المرجع السابق .

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٣) هو روح الله الحميني، رافضي حاقده خبيث، من قواد الثورة الرافضية في إيران، هلك سنة ١٩٨٩ م. انظر :

المنجد (الأعلام ، ص : ٢٣٤) .

(٤) الحكومة الإلهية (ص : ٩١) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٥) روح التشيع لعبد الله نعمة (ص : ٤٠٩) بواسطة : الشرك في القديم والحديث (١٠٣٢/٢) .

(٦) انظر ما ذكره عنهم الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في (رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعة ص : ١٥) .

(٧) انظر : ما ذكره عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات (ص : ٤٧-٤٨)، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في

منهاج السنة النبوية (٣٩٤/٢) .

عليه، ووبخهم وعاتبهم، وهداهم للتوبة والاستغفار، وحماهم من الإصرار عليه والاستمرار، وعفا عنهم وغفر لهم ذلك، ولذلك كانت للأنبياء والرسل من العزة والمناعة والحفظ والحصانة والعصمة والعناية الإلهية ما لم تحصل لغيرهم من الناس وهذه كلها فضائل عظيمة اختص الله بها أنبياءه ورسله دون غيرهم، فلا يصح إشراك غيرهم فيما اختصهم الله سبحانه وتعالى به .

ثانيا : قال تعالى بعد أن ذكر جماعة عن الأنبياء والمرسلين : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾^(٢) .

فإن الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء والرسل أسوة للناس وأمر أتباعهم بالافتداء والتأسي بهم أمرا عاما، وجعل أعمال الأنبياء وأقوالهم ميزانا توزن به أعمال أتباعهم لمعرفة مدى الخطأ فيها من الصواب، ولم يأمر بالافتداء والتأسي بأحد من الأتباع لكونه غير معصوم معرضا قوله وعمله للخطأ والصواب، فأمر الله بالتأسي بالرسل دون سواهم يدل على اختصاصهم بالعصمة دون غيرهم .

ثالثا : قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾^(٣) .

فإن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، كما أمرهم أيضا بطاعة أولي الأمر منهم، ولكنه سبحانه أمر عند التنازع والاختلاف بالرد إلى الله ورسوله فقط ولم يأمر بالرد إلى أولى الأمر لأن طاعتهم ليست على الإطلاق بل مشروطة بطاعة الله وطاعة رسوله، فلو كان أحد من أئمة الشيعة أو شيوخ المتصوفة أو معد بن تميم الفاطمي أو أحد من أولاده معصوما لأمر الله بالرد إليه عند الاختلاف، ولم يأمر بالرد إلى الله والرسول فقط، فعدم أمره تعالى بالرد إلى أحد منهم عند التنازع دليل على عدم عصمتهم^(٤) .

رابعا : المعصوم لا تجوز مخالفته بل تجب طاعته مطلقا بلا قيد، وهذه المترلة لم يشتها الله تعالى لأحد من البشر إلا لرسوله الكريم ﷺ .

(١) الأنعام الآية : ٩٠

(٢) الأحزاب الآية : ٢١

(٣) النساء الآية : ٥٩

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢١/٣٥)؛ ومنهاج السنة النبوية (١٨٩/٦-١٩٠) .

قال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ^(٣) وقال النبي ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ...)) ^(٤).

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن من أطاع الرسول ولم يعصه كان من أهل السعادة على الإطلاق، وأن الرسول ﷺ هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأبرار والفجار، فلا يعلم الحق من الباطل، والرشاد من الغي، والهدى من الضلال إلى عن طريق الرسول المعصوم ﷺ، فلا تصح دعوى العصمة لأحد بعده ^(٥).

خامسا : لقد اتفق المسلمون على أن كل شخص بعد الرسول ﷺ غير معصوم فيؤخذ من قوله ويرد، فادعاء الشيعة العصمة بعد النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ ولمن بعده من أئمتهم ليس من عمل المسلمين واعتقادهم؛ فإنه لم ينقل ذلك عن أحد له في الأمة لسان صدق أو عقل محمود ^(٦).

سادسا : انفراد الشيعة دون المسلمين بدعوى العصمة بعد النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ولمن بعده من أئمتهم شبيه بما فعلت طائفة الكاثوليك من النصارى حيث ادعوا العصمة بعد عيسى ﷺ لبطرس لزعمهم أنه مؤسس كنيستهم وزعيمها، وأنه كان خليفة المسيح ﷺ ونائبه على وجه الأرض ثم لم يقتصرُوا في دعوى العصمة لبطرس بعد المسيح ﷺ بل جعلوها تمتد وتستمر إلى من بعده من الخلفاء والباباوات حتى جعلوا من أقوال الباباوات أمورا واجبة وشرائع لازمة لهم، بحيث لا يجوز لأحد منهم مخالفتها ومعارضتها بأي حال من الأحوال . فقررت الكنيسة الكاثوليكية عصمة باباواتها بشكل رسمي في

(١) الجن الآية : ٢٣

(٢) النساء الآية : ٦٩

(٣) النساء الآية : ٨٠

(٤) جزء من حديث صحيح من أحاديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٠) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢١/٣٥-١٢٢)؛ ومنهاج السنة له (١٩٠/٦-١٩١) .

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٧/٢ و ١٢٦/٣٥) .

المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد فيما بين عامي ١٨٦٩م و ١٨٧٠م^(١).

سابعاً : هؤلاء الأئمة الذين ادعت لهم الشيعة العصمة لم يكونوا يقولون بالعصمة لأحد بعد الرسول ﷺ، كما لم يدعوا العصمة لأنفسهم، ولا ادعاه لهم غيرهم من أقرانهم وأصحابهم الأخيار، بل كلهم كانوا يعتقدون العصمة فيما ثبت بجيئه عن طريق الوحي المتمثل في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ فكانوا به يحكمون وإليه يرجعون وعنده يقفون .

فقد روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (ألا إني لست بنبي، ولا يوحى إلي، ولكنني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله، فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم)^(٢).

ثامناً : المعصوم يجب اتباعه من غير دليل، ولا تجوز مخالفته، وأما غير المعصوم فجائزة مخالفته بل تجب مخالفته إذا علمنا أنه خالف النص؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد كان علي ابن أبي طالب وابناه وغيرهم يخالف بعضهم بعضاً في العلم والفتيا، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضاً، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعة، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع علي عليه السلام في آخر الأمر إلى رأيه، وتبين له في آخر عمره أنه لو فعل غير الذي فعله لكان هو الأصوب، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان، إلا أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر، وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق، ولا يطلب هذا الأمر، ولو كان معصوما لما جاز للحسين مخالفته^(٣).

يتبين مما سبق أن دعوى الشيعة العصمة لأئمتهم بعد النبي ﷺ دعوى باطلة مخالفة لدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ومخالفة لأحوال الأئمة الذين ادعوا لهم العصمة ومخالفة لأقوالهم وفتاواهم .

وأما دعوى بعض المتصوفة العصمة لشيخهم ودعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده

(١) انظر تفصيله مع الرد المفصل عليه في كتاب : مصادر النصرانية دراسة ونقداً (ص : ٦٠٩-٦٢٤) .

(٢) أخرجه حم (٤٦٩/٢ ح : ١٣٧٧)؛ وكم (معرفة الصحابة ١٢٣/٣)؛ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال : " الحكم وهاه ابن معين "، فسند ضعيف لأجل الحكم بن عبد الملك البصري ولكن معناه صحيح .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٥/٣٥-١٢٦) .

فأبعد وأبطل من دعوى الشيعة، فإن الذين ادعت لهم الشيعة العصمة بعضهم من كبار السادات، ومشهود لهم بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وبعضهم مبشر بالجنة على لسان أصدق البرية، فإذا كان دعوى العصمة فيهم باطلة، فكيف تصح دعوى العصمة لمن دونهم من شيوخ المتصوفة أو غيرهم؟ فكل تلك الوجوه المذكورة في بيان بطلان دعوى الشيعة العصمة لأئمتهم تدل على بطلان دعوى المتصوفة العصمة لشييوخهم وكذلك تدل على بطلان دعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده، ويزداد بطلان دعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده بأنهم كانوا أهل كذب ونفاق وزندقة والحاد فكيف (تكون العصمة في ذرية [عبيد الله بن ميمون القداح^(١)] مع شهرة النفاق والكذب والضلال...، وكيف يدعى العصمة من ظهرت عنه الفواحش والمنكرات، والظلم والبغي، والعدوان والعداوة لأهل البر والتقوى من الأمة، والاطمئنان لأهل الكفر والنفاق؟ فهم من أفسق الناس، ومن أكفر الناس. وما يدعى العصمة في النفاق والفسوق إلا جاهل مبسوط الجهل، أو زنديق يقول بلا علم)^(٢).

الحاصل : إن الله سبحانه وتعالى عصم أنبياءه ورسله عصمة خاصة، ومن زعم أن أحدا بعد النبي ﷺ معصوم كعصمة النبي ﷺ فهو مخالف لدلالة الكتاب والسنة، ومخالف لإجماع المسلمين وعقيدتهم، والله أعلم بالصواب .

(١) كان الفاطميون يدعون أنهم من نسل علي بن أبي طالب ﷺ ولكن الأمر عكس ذلك بل هم من سلالة يهودية ومن نسب عبيد الله بن ميمون القداح، وعبيد الله لقب له واختلف في اسمه وكان والده يهوديا . انظر : البداية والنهاية (١١ / - ١٨٠١٧٩) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٧ / ٣٥) .

المطلب الرابع : شبهات حول عصمة النبي آدم عليه السلام والجواب عنها.

إن آدم عليه السلام لا شك أنه نبي من الأنبياء فهو معصوم كغيره من الأنبياء، ولكن هناك شبهات أثارت حول عصمته عليه السلام، وفيما يلي ذكرها مع بيان الجواب عنها والله الموفق .

الشبهة الأولى : إن أول شبهة تثار حول عصمة نبي الله آدم عليه السلام هي أكله من الشجرة المحرمة في الجنة مع النهي الأكيد والتحذير الشديد من الله له عنها .

وقد أجاب عن ذلك أهل العلم بعدة أجوبة وتوجيهات، وقد مضى ذكر بعضها مع بيان ما لها وما عليها ^(١)، والآن أكتفي بذكر الأصح منها، مع الزيادة عليها، من خلال أقوال تالية :

القول الأول : إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة لم يكن جعل نبيا في ذلك الوقت، وإنما جعل نبيا بعد ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ * ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى ^(٢) .

فالظاهر من الآيتين أن آدم عليه السلام جعل نبيا بعد معصيته بأكله من الشجرة المحرمة، وتوبته إلى الله منها، ومغفرة الله له؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر معصية آدم أولا ثم ذكر اجتباؤه وتوبته عليه، وفصل بينهما بأداة " ثم " التي تدل على التراخي والمهلة والفصل بين الأمرين، وعلى هذا يكون أكله من الشجرة المحرمة قبل أن يكرمه الله بالنبوة .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : (إن تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه : ﴿ فنسي ولم نجد له عزما ﴾ ^(٣) . والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة) ^(٤) وقد ذهب إلى المسلك قبله الرازي ^(٥) والأدكاوي ^(٦) .

(١) انظر : (ص : ٤٣٤-٤٣٧ و ٤٥٨-٤٦٥) .

(٢) طه الآيتان : ١٢١-١٢٢

(٣) طه الآية : ١١٥

(٤) تفسير القرآن الحكيم (٣٨٠/١) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (١٢/٣)؛ وعصمة الأنبياء (ص : ٣٧) .

(٦) انظر : موسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٦٣/١) .

وعلى هذا، أكله من الشجرة المحرمة لا يتعارض مع القول الصحيح في عصمة الأنبياء، إذ لم يقل بعصمتهم عن المعاصي مطلقاً قبل النبوة إلا الروافض وهو مذهب باطل كما سبق بيانه ^(١)، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن آدم ﷺ لم يقصد بالأكل معصية ربه، ولكنه أكل من الشجرة المحرمة متأولاً، فحمل النهي المطلق على شجرة معينة فتركها، وتناول من شجرة أخرى من نوعها، فوقع في مخالفة الأمر اجتهداً وتأويلاً منه، لا عن سابق تعمد أو إصرار على المخالفة ^(٢). وقال ابن العربي عن هذا التوجيه بأنه أظهر الأقوال ^(٣).

القول الثالث : إن آدم ﷺ لما قاسمه عدو الله أنه ناصح، وأخرج له الكلام على أنواع متعددة من التأكيد ^(٤)، فقال كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ ^(٥) ولم يكن آدم ﷺ يظن أن أحدا يقسم بالله كاذباً يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة ، فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة والحلف بالله تعالى فظن آدم صدقه ^(٦)، ونسي عهد الله به، فأكل من الشجرة ووقع في مخالفة الأمر من غير أن يقصد المخالفة والمعصية لربه جل وعلا، ولذلك قال تعالى عنه : ﴿ لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ ^(٧).

فالله سبحانه وتعالى أخبر وهو أعلم بما في أنفس عباده أن أكل آدم ﷺ من الشجرة كان عن نسيان ولم يكن عن قصد وعمد منه ﷺ، ووقوع الخطأ من غير عمد ولا إصرار جائز على الأنبياء حتى بعد النبوة على القول الصحيح الموافق للكتاب والسنة ^(٨) إلا أنهم يسرعون في التوبة

(١) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (١٣/٣)؛ والصواعق المنزلة (٢١٢/١) .

(٣) انظر : أحكام القرآن (١٨/١-١٩) .

(٤) انظر أوجه التأكيد والمبالغة في (ص : ٤٦٤) .

(٥) الأعراف الآية : ٢١

(٦) انظر : إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (١١٣-١١٤)؛ والصواعق المنزلة (٢١٤/١) .

(٧) طه الآية : ١١٥

(٨) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١ و٧٥٥-٧٥٦) .

إلى الله تعالى، وآدم عليه السلام لم يعتمد المعصية بالأكل من الشجرة، وإنما وقع فيها متأولاً؛ فأخطأ في تأويله أو ناسياً لأمر ربه وعهده به، ثم إنه أسرع في التوبة، وبادر إلى الله سبحانه وتعالى بطلب المغفرة، والله سبحانه قد تاب عليه وغفر له؛ فلا لوم على آدم عليه السلام في ذلك، وهذا الذي اختاره القرطبي^(١) وابن العربي في أحد قوليهِ^(٢) وغيرهم^(٣) وهو الأظهر، والله أعلم بالصواب .

الشبهة الثانية : قد فهم بعض المفسرين من المتقدمين والمتأخرين أن آدم عليه السلام حصل منه شرك، وذلك لقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾^(٤) .

وساندهم على هذا الفهم ما روي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال : سميه عبد الحارث . فسمته عبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره^(٥) .

وتأكد ذلك لديهم بما حكى من الآثار عن السلف مثل أبي بن كعب^(٦)

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١ و ١٤١/٦) .

(٢) انظر : أحكام القرآن (١٩-١٨/١) .

(٣) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٣٦)؛ والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٦٦)؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٤٢/١) .

(٤) الأعراف الآيات : ١٨٩-١٩١

(٥) أخرجه حم (٣٠٥/٣٣ ح : ٢٠١١٧)؛ وت (تفسير القرآن، سورة الأعراف ٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٧)، واللفظ له؛ وابن جرير في تفسيره (١٤٦/٩)؛ وتاريخه (٩٣/١) والطبراني في الكبير (٢١٥/٧ ح : ٦٨٩٥)؛ وابن عدي في الكامل (ترجمة : عمر بن إبراهيم البصري، ٤٣/٥)؛ وكَم (التاريخ ٥٤٥/٢)؛ والرويان في مسنده (٥٢/٢ ح : ٨١٦) كلهم من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعاً . قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي هنا !، وكذلك صححه الشيخ فريخ بن صالح البهال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ص : ١١٢) ولكن فيما يظهر لي أنه غير صحيح إلى النبي ﷺ، وسيأتي بيانه إن شاء الله .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٣/٥ برقم : ٨٦٥٣) بإسناده إليه، فقال : حدثنا أبي، ثنا أبو الجماهر [محمد بن عثمان التتوخي]، أنبأ سعيد بن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب من قوله . وهذا

﴿

الإسناد قال عنه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في (تيسير العزيز الحميد ص : ٦٣٥) : (إسناده صحيح)، ووافقه على ذلك الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد ص : ١١٥ و ١١٦) ولكنه إسناد ضعيف؛ فإن فيه سعيد بن بشير، وهو الأزدي وجمهور الأئمة على تضعيفه، وكذلك فيه عقبة، وهو الأصم العبدى كاد أن يتفق الأئمة على تضعيفه . انظر أقوال الأئمة في : تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩١ برقم : ٢٦٧٤، ترجمة سعيد الأزدي)، و (٤/ ١٥٥ برقم : ٥٣٤٢، ترجمة عقبة بن عبد الله الأصم) وغيرها من المصادر التي ترجمت لهما .

(١) روي معنى هذا الحديث عن ابن عباس من ستة طرق فيما وقفت عليه : الأولي : وهي التي تقدمت في الهامش السابق، والثانية : أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ رقم : ٨٦٥٤) فقال : ثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن علي بن حمزة، ثنا حبان، عن عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من قوله، وهذا الإسناد فيه شريك بن عبد الله القاضي النخعي، وهو صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء ولم يتبين لي متى أخذ عنه ابن المبارك قبل الاختلاط أو بعده، وكذلك فيه خصيف بن عبد الرحمن الجزري اختلفت كلمة الأئمة حوله توثيقا وتجرىحا وأعدل كلمة ما قاله ابن حبان في الجرحين (٢٨٧/١ برقم : ٣١٥) : (تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون، وكان شيخا صالحا فقيها عابدا إلا أنه كان يخطئ كثيرا فيما يروي وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه، وهو صدوق في روايته إلا أن الإنصاف فيه قبول ما وافق الثقات في الروايات، وترك ما لا يتابع عليه) وقرب منه ما قال عنه ابن عدي في الكامل (٧٢/٣) : ولخصيف نسخ وأحاديث كثيرة... وإذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه وروايته إلا أن يسروي عنه عبد العزيز بن عبد الرحمن.. فإن رواياته عنه بواطيل، والبلاء من عبد العزيز لا من خصيف . أهد بتصرف ولذلك قال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق سعي الحفظ خلط بأخرة ورمي بالإرجاء) . فالخصيف نفسه سعي الحفظ مختلط ولم يتبين لي متى أخذ عنه شريك القاضي الراوي عنه قبل الاختلاط أو بعده وكذلك شريك أيضا مختلط يخطئ كثيرا ولم يتبين لي متى أخذ عنه ابن المبارك قبل الاختلاط أو بعده، وعلى هذا لا يمكن تصحيح هذا الإسناد أو تحسينه والله أعلم بالصواب . الثالثة : أخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٧٣/٥ برقم : ٩٧٣ [بتحقيق د. سعد آل حميد]) فقال : نا عتاب بن بشير، نا خصيف عن مجاهد وسعيد عن ابن عباس من قوله، وفي هذا الإسناد أيضا خصيف وقد سبق الكلام عنه وبالإضافة إلى ذلك فيه عتاب بن بشير الجزري هو صدوق لا بأس به إلا أن رواياته عن خصيف منكورة كما نص على ذلك الإمام أحمد والجزوي وابن عدي وهذه الرواية مما رواه عتاب عن خصيف فهي منكورة . انظر : أقوال الأئمة عن عتاب بن بشير في (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٠-٦١ برقم : ٥٠٩٣) . الرابعة : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا ابن حميد، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس من قوله، وهذا الإسناد قال عنه الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد ص : ١٠٩) : (رجال سنده متكلم فيهم، وفيهم توثيق) وهذه العبارة فيها قصور عن بيان درجة هذا الإسناد بل هو إسناد ضعيف جدا؛ فإن فيه ابن حميد الرازي، وفيه كلام شديد من الأئمة حتى كذب بعضهم، وسلمة هو ابن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ، وابن إسحاق صدوق ولكنه مدلس كبير من الطبقة الرابعة وقد عنع هنا. وهؤلاء الثلاثة قد سبق الكلام عنهم من قبل (ص : ٤٦١)، وأيضا فيه داود بن الحصين الأموي مولاهم، وأمره دائر بين القبول والرد، فقد وثقه بعض الأئمة توثيقا عاما كابن معين والنسائي وابن سعد والعجلي، وضعفه بعضهم تضعيفا عاما منهم ابن عينة وأبو زرعة وأبو حاتم

←

وسمرة بن جندب^(١) وسعيد بن جبير^(٢) وعكرمة^(٣) ومجاهد^(٤)

والساجي والجوزجاني، وضعفه ابن المديني وأبو داود وابن حجر والألباني خاصة فيما رواه عن عكرمة، وهذه الرواية مما رواه عن عكرمة، وقد انتقد الشيخ صالح الرفاعي على من ضعف داود هذا في عكرمة بعد بحث طويل ثم لخص قوله : (إذا روى عنه ثقة فهو صحيح الرواية سواء روى عن عكرمة أو عن غيره) والرواة الذين نقلوا عنه هذا الأثر قد رأيت أحوالهم فالأثر ضعيف جدا لما سبق . انظر : أقوال الأئمة عن داود بن الحصين في تهذيب التهذيب (١٠٩/٢ برقم : ٢٠٩٦)، وفي الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ١٥٤-١٥٩)، وكلام الألباني في إرواء الغليل (٣٤٠/٦ ح : ١٩٢١) . الخامسة : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا محمد بن سعد ثني أبي، ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس من قوله، وهو إسناد ضعيف جدا؛ فإنه مسلسل بالضعفاء وسيأتي الكلام عنه في (ص : ٧٩٤) . السادسة : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا القاسم، ثنا الحسين، ثنا حجاج، عن ابن جريح، قال : قال ابن عباس . وهو إسناد ضعيف، فإن فيه الحسين وهو سنيد بن داود ضعيف، وكان يلحق شيخه حجاج بن محمد المصيصي أيام اختلاطه، وأيضا روى هذا الأثر من طريق شيخه المذكور، وكذلك فيه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح وهو مدلس من الثالثة وقد عنعن وأيضا روى عن ابن عباس مباشرة وليس له سماع منه؛ فإنه ولد سنة ثمانين، وابن عباس توفي سنة ثمانية وستين وشيخ الطبري في هذا الإسناد لم يتمكن من معرفته وكذلك الشيخ أحمد شاكر لم يجد له ترجمة يمكن الجزم بأنها ترجمته كما في رجال تفسير الطبري (ص : ٤٥١-٤٥٢) . انظر : أقوال الأئمة في تهذيب التهذيب (٤٣٧/٢ - ٤٣٨ برقم : ٣٠٩٢ ، ترجمة سنيد)، و (٤٤٦/١ برقم : ١٣٤٢ ، ترجمة حجاج بن محمد المصيصي)، و (٥٠١/٣ - ٥٠٣ برقم : ٤٨٠٥ ، ترجمة ابن جريح) و (١٨١/٣ ، تاريخ وفاة ابن عباس في ترجمته) ، فيتين بما سبق أن هذا الأثر المحكي عن ابن عباس لم يصح إليه طريق ما، وبذلك يعلم خطأ الإيجي في دعواه أن ذلك صحيح إلى ابن عباس كما نقل عنه الشيخ فريح بن صالح البهلال ووافقه عليه في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١١٠ و ١١٦) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) من طريقين صحيحين موقوفا على سمرة رضي الله عنه، وقد صحح إسناده ووثق رجاله الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١١٤) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٥، ١٤٧/٩) من ثلاثة طرق . الأولى : قال ابن جرير : حدثني القاسم، ثنا الحسين، ثني حجاج عن ابن جريح قال : قال سعيد بن جبير . وهو إسناد ضعيف لأجل الحسين وهو سنيد ولأجل ابن جريح وقد سبق الكلام عنهما قريبا في الطريق الخامس من طرق ابن عباس . الثانية : قال ابن جرير : ثنا ابن وكيع، ثنا ابن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن سعيد بن جبير وهو إسناد ضعيف فإن ابن وكيع هو سفيان بن وكيع وهو ضعيف ساقط الحديث، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٦٦) والثالثة : قال ابن جرير : ثنا ابن وكيع، ثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك عن سعيد بن جبير وهو إسناد ضعيف كسابقه لأجل ابن وكيع .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦/٩ - ١٤٧) بإسناده إليه وفيه سقط كما أشار إليه الشيخ محمود محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٣١١/١٣ - ٣١٢ برقم : ١٥٥١٩)، وأيضا بعض من ذكر في الإسناد فيه كلام شديد من الأئمة كابن حميد الرازي وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥١٨ - ٥٢٠) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩) بإسناد صحيح .

وقتادة^(١) وابن زيد^(٢) وبكر بن عبد الله المزني^(٣) والسدي^(٤) في معنى هذا الحديث، بأن آدم ﷺ وقع في الشرك بوحى الشيطان وأمره له، فكيف بهذا مع دعوى عصمة الأنبياء عن الشرك بالإجماع؟ لا شك أن آدم نبي من الأنبياء وقد اتفقت كلمة المسلمين على عصمة الأنبياء من الشرك، ولذلك لا تجد أحدا من المفسرين أو المحدثين الذين تعرضوا لتفسير هذه الآيات أو شرح ذلك الحديث إلا وحاولوا الدفاع عن عصمة آدم ﷺ وما قيل عن وقوعه في الشرك، وأجاب كل واحد منهم بما تبين له، فأجوبة أهل العلم عن الشبهة المذكورة كثيرة ومختلفة، ويمكن ذكر خلاصتها بتصنيفها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : الأقوال المبنية على صحة حديث سمرة رضي الله عنه، وعلى أنه ورد تفسيراً للآيات المذكورة، ولكن هذه الأقوال يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم ﷺ، فللتخلص من هذا الإشكال لهم أجوبة وتوجيهات، منها ما يلي :

١- إن الشرك المنسوب إلى آدم وحواء عليهما السلام لم يكن في العبادة، وإنما كان شركاً

(١) روي عنه من طريقين : أولهما أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩)، والثاني : أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٩) كلاهما بإسنادهما ويجمعان عند بشر [بن معاذ العقدي]، ورجال الإسنادين كلهم ثقات ما عدا راو واحد في الإسناد الثاني وهو بشر العقدي فإنه صدوق فالأثر إليه صحيح .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٩/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٥/٥ برقم : ٨٦٦٤) كلاهما بإسنادهما إلى ابن زيد من قوله . ورجال الإسنادين ثقات ولكن فيه أنهما سميا المولود عبد شمس !! وكذلك فيه أن رسول الله ﷺ قال : خدعهما مرتين . قال زيد : خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض ، وهذا الحديث [خدعهما مرتين] اعتمد عليه كثير من المفسرين ولكني لم أجد من ذكره بالإسناد إلى النبي ﷺ إلا في هذا الإسناد وهو إسناد معضل على أقل تقدير . انظر : (ص : ٩٥) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٨)، ورجال إسناده كلهم ثقات ولكن فيه أن آدم سمى ابنه عبد الشيطان . والمزني هو بكر بن عبد الله، أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت جليل، توفي سنة ١٠٦هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٢٧ برقم : ٧٤٣) .

(٤) روي عنه من ثلاثة طرق : الأولى : أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩-١٤٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٧) بإسنادهما ويجمعان عند عمرو بن حماد القناد، ثنا أسباط، عن السدي . وهؤلاء كلهم في مرتبة الصدوق . والثانية : أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٦) فقال : ثنا أبي، ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن الهذلي عن السدي . وابن أبي عمر : صدوق، والهذلي لم يتمكن من معرفته وبقية رجاله ثقات . والثالثة : أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٥) فقال : ثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبا عبد الرزاق، أنبا ابن عينة قال : سمعت صدقة قال : أبي : يعني عبد الله بن كثير المكي، يحدث عن السدي . الحسن بن أبي الربيع وعبد الله بن كثير المكي : كلاهما صدوقان، وبقية رجاله ثقات فالإسناد إليه حسن، وبالمجموع يكون صحيحاً لغيره .

في التسمية؛ حيث سما ولدهما عبد الحارث، والحارث اسم إبليس، وكان ذلك بوحى الشيطان إليهما . هذا التوجيه ذهب إليه الفراء وابن خريز الطبري وابن قتيبة وابن أبي زمنين والكرماني^(١)، واستحسنه الآلوسي فقال : ولا يعد هذا شركا في الحقيقة؛ لأن أسماء الأعلام لا تفيد مفهوماتها اللغوية لكن أطلق عليه الشرك تغليظا أهـ بتصرف يسير^(٢). وبه قال جماعة غيرهم^(٣).
وهذا القول فيه نظر، وبيان ذلك بما يلي :

أ- إن الأسماء والأعلام لا يقصد بها مجرد الدلالة على مسمياتها فقط بل ينظر إلى معانيها أيضا، فيكون معنى الاسم مقصودا ولو تبع لمعنى العلمية^(٤)؛ ولذلك رغب النبي ﷺ في تحسين الأسماء، وغير أسماء جماعة من الصحابة، كانت معبدة لغير الله تعالى أو كانت غير صالحة المعنى، فغيرها النبي ﷺ وجعلها معبدة لله تعالى، وأرجعها إلى معاني حسنة. عبد الرحمن بن عوف ؓ كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ إلى عبد الرحمن^(٥). وأبو هريرة ؓ قيل كان اسمه عبد شمس فغيره أيضا إلى عبد الرحمن^(٦). وابنة لعمر بن الخطاب ؓ كان اسمها عاصية فغيرها النبي ﷺ إلى جميلة^(٧)... فلو كانت الأسماء المقصود بها مجرد التسمية والدلالة على العلم المسمى به لم تكن هناك حاجة إلى تغييرها، فهذا يدل على أن معنى الاسم أيضا يكون مقصودا مع الدلالة على العلمية^(٨)، فلا يصح أن يقال إن تسمية آدم وحواء ولولدهما بعبد الحارث

(١) انظر بالترتيب : معاني القرآن (٤٠٠/١)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤٨/٩-١٤٩)؛ وتأويل مشكل القرآن (ص : ٢٥٩)؛ وتفسير القرآن العزيز (١٥٨/٢-١٥٩)؛ وغرائب التفسير (٤٣٠/١).

(٢) انظر : روح المعاني (١٤٢/٩).

(٣) انظر : تفسير الجلالين (ص : ١٧٥)؛ وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص : ٨٩)؛ وتيسر العزيز الحميد (ص : ٦٣٤-٦٣٥) وفتح المجيد (ص : ٥٢٦)؛ وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق (ص : ٢٠٧-٢٠٨)؛ وشرح كتاب التوحيد للشيخ ابن باز (ص : ٢٣٣)؛ وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢٠٣/٢-٢٠٦)؛ وأيسر التفاسير مع نهر الخير (٢٧٤/٢)؛ ودعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس (ص : ٨٥).

(٤) انظر : فتح البيان (١٠٢/٥).

(٥) انظر : تهذيب التهذيب (٤٠٤/٣)، ترجمة : عبد الرحمن بن عوف؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١).

(٦) انظر : تهذيب التهذيب (٤٧٩/٦)، ترجمة : أبي هريرة الدوسي؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١)؛ وفتح البيان (١٠٢/٥).

(٧) أخرجه م (الآداب ب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ١٦٨٦-١٦٨٧/٣ ح : ٢١٣٩).

(٨) انظر : تحقيقا نفيسا، مشتملا على الأحاديث والآثار وأقوال أئمة اللغة - حول ارتباط معنى الاسم بالمسمى في "تحفة المولود بأحكام المولود" لابن القيم (ص : ٣٥-٣٧ و ٩١-٩٢)؛ وفي (مفتاح دار السعادة ١/٢٣٩-٢٤٠).

كانت تسمية مجردة بغض النظر إلى معناه ومحتواه، ولا سيما وقد اختارا تسمية معبدة لله تعالى من قبل فسميا عبد الله وعبد الرحمن ونحوه، ثم ألبأتهما الأحوال والظروف على اختيار عبد الحارث اسما لولدهما - على فرض صحة الحديث وثبوته .

ب - إن التعبيد لغير الله حرام لا يجوز باتفاق أهل العلم . قال العلامة ابن حزم : (اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله عز وجل؛ كعبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب)^(١).

وقال العلامة ابن القيم : (لا تحل التسمية بعبد علي وعبد الحسين، ولا عبد الكعبة... فعن هانئ بن يزيد قال : أنه وَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ في قومه، فسمعهم يسمون : عبد الحجر. فقال له : ما اسمك ؟ قال عبد الحجر. فقال له رسول الله ﷺ : إنما أنت عبد الله^(٢)) أهـ بتصرف يسير^(٣).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : (لا تجوز التسمية بعبد المطلب، ولا غيره مما عبّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية، وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بـ: عبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة ؟ وكل هذه أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به، وأيضا قد نص النبي على أن التسمية بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمره)^(٤).

فالتعبيد لغير الله حرام لا يجوز لعامة الناس، فكيف يجوز لنبي من الأنبياء ؟، وهذا الحكم من حيث الأحكام التكليفية، وأما من حيث ذنبه هل يعتبر شركا أم لا ؟ فالأمر فيه تفصيل: إن كان التعبيد لغير الله حقيقة بحيث تعلق به الخوف والرجاء والمحبة، كما هو الواجب تجاه الرب، أو شارك الرب في هذه الأشياء فيكون شركا أكبر، وإن اقتصر التعبيد في مجرد إسداء النعمة إلى غير الله كقول من قال : (إن آدم وحواء لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما ولكنهما

(١) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (ص : ٢٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" في حديث طويل (كنية أبي الحكم ، ص : ٢٨٢ ح : ٨١١)؛ وابن أبي شيبة في المصنف مختصرا على المذكور (الأدب ، في تغيير الأسماء ٢٦٢/٥ ح : ٢٥٩٠١)؛ وفي المطبوع منه خطأ في الاسم والتصويب من " الأدب المفرد"، والحديث صححه الألباني في (إرواء الغليل ٢٣٧/٨ ح : ٢٦١٥) .

(٣) تحفة المولود بأحكام المولود (ص : ٧٢) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص : ٦٣٢) .

قصدا أن إبليس سبب نجاة الولد وسلامة الأم (١)، فهذا نوع من الشرك لأن فيه إضافة النعمة إلى السبب دون المسبب، وهو الله تعالى إلا أنه لا يصل إلى حد الشرك الأكبر (٢).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في معرض بيانه وجوه الشرك من الأبوين في الأولاد : (الوجه الثاني : أن يضيف سلامة المولود ووقايته إلى الأطباء وإرشادهم وإلى القوابل وما أشبه ذلك، فيقولون مثلا : سلم هذا الولد من الطلق؛ لأن القابلة امرأة متقنة جيدة؛ فهنا أضاف النعمة إلى غير الله، وهذا نوع من الشرك، ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ لأنه أضاف النعمة إلى السبب ونسي المسبب، وهو الله عز وجل (٣).

فالتعبيد لغير الله حرام ولا يخلو من نوع من الشرك، ولذلك من العلماء من ذكر التعبيد لغير الله في أمثلة الشرك الأصغر باللسان (٤)، وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : (الصواب أنه لا يجوز أن يعبد لغير الله مطلقا، لا بعبد المطلب ولا غيره، وعليه؛ فيكون التعبيد لغير الله من الشرك (٥)، فالتسمية بعبد الحارث فيها تعبيد لغير الله، فلا يخلو من الشرك ولا سيما هذه القصة المنسوبة إلى الأبوين: آدم وحواء عليها السلام، فإن ظروف هذه التسمية والقرائن المحتف بها تؤكد كونه شركا، كما سيأتي تقريره، والشرك مهما صغر كان أشد من الكبائر (٦)، وقد سبق أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكبائر بالاتفاق، فكيف يجوز عليهم الشرك ولو كان شركا أصغر؟ وسيأتي له وجوه أخر تدل على بطلان هذا القول.

٢- ليس المراد بالتعبيد هنا الشرك في عبادة الله، وإنما المراد منه الشرك في الطاعة وذلك لما حصل منهما من طاعة الشيطان إذ سميا المولود عبد الحارث بوحي منه، وهذا القول ذهب إليه قتادة في رواية عنه إذ قال : كان شركا في طاعته ولم يكن شركا في عبادته (٧)، وبه قال البغوي (٨) وغيرهما.

(١) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٤٢٦/١)؛ ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) .

(٢) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٧٨/٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٧٨/٣) .

(٤) انظر : المدخل للدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكاني (ص : ١٣٩) .

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٢/٣) وانظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١-٣٨٠)؛ ونحفة المودود بأحكام المولود (ص : ٧٢-٧٣) .

(٦) انظر : قصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٠) .

(٧) الإسناد إليه صحيح وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٦٧) .

(٨) انظر : معالم التنزيل (٢٢١/٢)؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (ص : ٤٩٧-٥٠٠) .

وهذا القول فيه تفسير للعبادة بالطاعة، فيلزم منه أن يكون الشرك في العبادة هو الشرك في الطاعة ولكن قد يقال ليس كل طاعة تسمى شركا بل الطاعة التي تكون من الشرك والعبودية لغير الله هي الطاعة العمياء التي توصل صاحبها إلى طاعة ذلك الغير على الإطلاق حتى يكون مطيعا له في تحليل الحرام أو العكس وما إلى ذلك . وأما الطاعة في بعض الذنوب مع اعتقاد حرمة فحكمه حكم المعصية فهذا ضابط الطاعة التي تكون شركا والتي لا تكون شركا ^(١) .

ولعل المراد من الذين قالوا بالشرك في الطاعة دون العبادة هو هذا الثاني ؛ أي : الطاعة في المعصية، وعلى هذا ما نسب إلى آدم عليه السلام من تسمية ولده عبد الحارث يكون معصية وطاعة للشيطان ولا يكون شركا بالله ^(٢) ولكن هذا التوجيه وكذلك الذي قبله فيهما نظر، وبيان ذلك بما يلي :

أ- إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن نبي ذنبا في القرآن الكريم إلا وذكر توبته، فلو كان آدم عليه السلام أشرك بالله شركا أصغر على أقل تقدير كما في القول السابق أو أنه معصية من المعاصي دون الشرك كما في هذا القول، لذكر الله سبحانه وتعالى توبته، ولم يكتف بذكر معصيته فقط ^(٣)؛ إذ الأنبياء لا يقرون على المعصية ولو كانت صغيرة والله أعلم بالصواب .

ب - سياق هذه القصة يخالف دعوى من زعم أن ذلك كان مجرد طاعة للشيطان في تسميتهما للولد بعد الحارث أو أن ذلك لم يكن يعني منهما إلا التسمية فقط؛ فإن القصة تبدأ أن إبليس طاف بحواء عندما كانت حاملة بحملها الأول، وخوفها كثيرا في ذلك الوقت، حتى خوفها بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كقوله : (لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشققه ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث)، وحاول إضلالهما كل المحاولة، ولكنهما لم يسمعا قوله ولم يقبلا منه ما أشار عليهما، فمات الولد، وفي رواية ابن عباس : أن إبليس قتله، ثم حملت حواء مرة أخرى فجاءهما الشيطان، وجرى مثل ما جرى في المرة الأولى ثم لما حملت مرة ثالثة جاءهما إبليس وقال لهما : إن أردتما أن يعيش ولدكما فسمياه عبد الحارث (فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث)، أي : إنهما فعلا كما أمرهما الشيطان، أملا ورجاء منهما أن يحيى الولد ولا يموت. فما كان هذا

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٠/٧) .

(٢) انظر : الشرك في القدم والحديث (٢٢٣/١) .

(٣) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٥/٣) .

شأنه لا يصح أن يقال عنه بأنه لا يعني إلا مجرد التسمية بل الأمل في سلامة الولد وزجاء حياته والخوف من موته وكذلك الأمل في سلامة الأم وحياتها واضح وراء هذه التسمية - إن صحت القصة كما حكيت - وهذه من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، فيكون شركا حقيقيا، ولا يمكن أن يصدر ذلك عن نبي من الأنبياء، والله أعلم بالصواب، وستأتي وجوه أخرى تبين بطلان هذه القصة .

٣- قال عبد الرحمن بن أحمد الإيجي : (لعله كان قبل النبوة) ^(١) .

هذا القول فيه نظر وبيان ذلك بما يلي :

أ - القول بأن هذه القصة على - فرض ثبوتها - حصلت قبل النبوة يحتاج إلى دليل صحيح يعتمد عليه، ولا دليل على ذلك .

ب - قوله تعالى : ﴿ ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى ﴾ ^(٢) يدل على أن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة المحرمة وتاب إلى الله تعالى تاب الله عليه واصطفاه نبيا .

ج - إن الكفر والشرك ممتنع على الأنبياء حتى قبل النبوة على القول الراجح وقد انتبه الإيجي لذلك، فاستدرك على قوله السابق وقال : (فإن قلت : قد مر امتناع الكفر على الأنبياء مطلقا قلت : معنى إشراكهما بالله أنهما أطاعا إبليس في تسمية ولدهما بعبد الحارث) ^(٣) ففسر الشرك المنسوب إلى الأبوين بالشرك في الطاعة بتسمية ولدهما عبد الحارث، هذا التوجيه منه عائد إلى القول السابق، فيكون مثله، والملاحظات المذكورة على ذلك القول تنطبق على هذا أيضا .

٤ - جاءت تسمية الولد بعبد الحارث من قبل حواء دون آدم عليهما السلام، فهي التي طاف بها إبليس، وأشار عليها بتسمية ولدها عبد الحارث، فالشرك كان من حواء ولم يكن من آدم ﷺ . وهذا القول ذهب إليه صديق حسن خان ^(٤) .

وهذا مخرج حسن فيما يتعلق بآدم ﷺ ولكن يعترض عليه بما ورد في الروايات الأخرى بأنه لما طاف إبليس بحواء وقال لها ما قال فحزن لذلك آدم وحواء وخافا من

(١) انظر : المواقف في علم الكلام (٤٣٤/٣) .

(٢) طه الآية : ١٢٢

(٣) المواقف في علم الكلام (٤٣٤/٣) .

(٤) انظر : فتح البيان (٩٩/٥ - ١٠٠ و ١٠٣) .

ذلك ولذلك جاء في رواية الإمام أحمد (فسموه عبد الحارث) ومن ثم لا يصح أن يقال أن تسمية الولد بعبد الحارث كان من حواء دون آدم ﷺ على فرض صحة الحديث .
ثم إن هذه الأقوال كلها مبنية على أن الحديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ، والأمر ليس كذلك بل هو منتقد لدى أهل العلم بالحديث رواية ودراية، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : الكلام على الحديث فيما يتعلق بإسناده .

إن هذا الحديث من ناحية إسناده معلول بعدة علل، وهي كما يلي :

الأولى : قال الترمذي : (لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة^(١)) وقال ابن عدي : (وهذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر بن إبراهيم^(٢))، فهذا الحديث تفرد بروايته عمر بن إبراهيم العبدى، وقد تكلم فيه الأئمة، فضعفه بعضهم تضعيفا عاما، ووثقه بعضهم توثيقا عاما، وفصل بعضهم فضعه خاصة فيما رواه عن قتادة كالإمام أحمد إذ قال : (يروي عن قتادة أحاديث مناكير، يخالف) وقال ابن عدي : (يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب) وقال ابن حبان : (كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه، فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد. فأما فيما روى عن الثقات، فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأسا) وقال الحافظ ابن حجر : (صدوق في حديثه عن قتادة ضعف^(٣)) وكذلك قال محمد عبد الرحمن المباركفوري^(٤) وأحمد محمد شاكر^(٥) والألباني^(٦) وصالح بن حامد الرفاعي^(٧) .

وقد يقال^(٨) : جاء عن ابن معين توثيقه في قتادة خاصة . قال له عثمان بن سعيد الدارمي :

(١) سنن الترمذي (٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٧) .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (٤٣/٥ ، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدى) .

(٣) انظر أقوال الأئمة في : الجرح والتعديل (٩٨/٦ برقم : ٥٠٩)؛ والمجروحين (٨٩/٢ برقم : ٦٥٠)؛

والكامل في ضعفاء الرجال (٤٢-٤٣ برقم : ١٢١١)؛ وتذيب التهذيب (٢٦٧/٤ برقم : ٥٥٩٦)؛

وتقريب التهذيب (ص : ٤١٠ برقم : ٤٨٦٣)؛ ورجال تفسير الطبري (ص : ٤٠٩ برقم : ١٩٠٦) .

(٤) انظر : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٣٦٦/٨) .

(٥) انظر : تعليقه على تفسير الطبري (٣١٠-٣٠٩/١٣) .

(٦) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ... (٥١٧/١ ح : ٣٤٢ و ٨٢/٥ ضمن كلامه على الحديث : ٢٠٦١) .

(٧) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٣-٢٣٦) .

(٨) انظر : تخريج أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب لمؤلفه : فريح بن صالح البهلال (ص : ١١٢) .

(فعمر بن إبراهيم في قتادة ؟ قال : ثقة)^(١) . ولا شك أن هذا توثيق من ابن معين لعمر بن إبراهيم في قتادة خاصة ولكن خالفه في ذلك جماعة من الأئمة، فيقدم قولهم على قوله^(٢)، والله أعلم بالصواب. فيتبين من كلام الأئمة أن روايات عمر بن إبراهيم العبدى عن قتادة مضطربة، وفيها مناكير، فلا تقبل روايته عن قتادة إذا انفرد، وهذا مما انفرد بروايته عن قتادة، كما نص على ذلك إمامان جليلان الترمذي وابن عدي، فهو غير مقبول .

الثانية : قتادة بن دعامة السدوسي موصوف بكثرة التدليس، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب أهل التدليس^(٣)، وهم الذين لا تقبل رواياتهم إلا إذا صرحوا فيها بالتحديث، وهنا قد عنعن قتادة، ولم يصرح بالسماع، فلا تقبل منه هذه الرواية بهذه الصفة .

الثالثة : أنه جاء من طريقين صحيحين موقوفا على سمرة رضي الله عنه من قوله^(٤)، ورجال الموقوف كلهم ثقات، فهم أحفظ وأوثق بكثير من رجال المرفوع فيرجح الموقوف على المرفوع .

الرابعة : أن الحسن البصري نفسه قد فسر الآية بغير هذا فقال : (كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم)^(٥)، وقال أيضا : (عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده)^(٦) وقال أيضا : (هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا)^(٧) فلو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله ﷺ لما عدل إلى غيره .

الخامسة : الحسن البصري في سماعه عن سمرة رضي الله عنه خلاف مشهور، ومن أثبت سماعه منه

(١) الجرح والتعديل (٩٨/٦) .

(٢) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

(٣) انظر : طبقات اللئسين (ص : ٤٣ برقم : ٩٢)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح (٦٤٢/٢ برقم : ٥) وانظر : ما قاله العلامة

في جامع التحصيل (ص : ٢٥٤-٢٥٥)؛ والشيخ صالح الرفاعي في الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

(٤) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) بإسناده من طريقين صحيحين وقد سبق ذكرهما .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩) فقال : ثنا ابن وكيع، ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن من قوله،

وحكم ابن كثير في تفسيره (٢٧٤/٢-٢٧٥) على هذا الإسناد بالصحة ولكنه إسناد ضعيف جدا، فإن فيه ابن وكيع

وهو ضعيف وفيه عمرو هو ابن عبيد المشهور في الدعوة إلى الاعتزال، متروك في الحديث، متهم بالكذب . انظر :

أقوال الأئمة في تهذيب التهذيب (٣٦٠/٤-٣٦٤ رقم : ٥٨٦٢ ، ترجمة عمرو بن عبيد) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩) قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن ثور، عن معمر قال : قال

الحسن . وهذا الإسناد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢) وهو كما قال .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥) وكلاهما يلتقيان عند يزيد بن

زريع عن سعيد [بن أبي عروبة] عن قتادة . وقد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢) وهو كما قال .

إنما أثبتته في أحاديث معدودة، ولم يذكروا هذا الحديث في مسموعاته عن سمرة رضي الله عنه، فعلى كلا الرأيين يكون هذا الحديث مما لم يسمعه الحسن من سمرة رضي الله عنه ^(١)، والله أعلم بالصواب.

السادسة : الحسن البصري - بالإضافة إلى ما سبق عنه - موصوف بالتدليس. قال الذهبي في ترجمته : (كان الحسن كثير التدليس؛ فإذا قال في حديث: "عن فلان"؛ ضعف احتجاجه، ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم) ^(٢)، والحسن لم يصرح بسماعه لهذا الحديث من سمرة، وإنما عنعن فيه، ولا شك أن ذلك يضعف الاحتجاج به، ولا سيما إذا اقترنت به العلة التي قبلها، وهي الكلام في عدم سماعه من سمرة رضي الله عنه ^(٣).

فهذه العلة التي ذكرها الأئمة في هذا الحديث يتبين من النظر فيها أن إسناده لا يصح إلى النبي ﷺ، ولكن قد يقال : إن هذا الحديث (لم يتفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة [عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ]، فقد جاء من طريق أخرى . قال الحافظ ابن كثير : " ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فالله أعلم"، والمعتمر هو ابن سليمان بن طرخان. وهما ثقتان، ولهذا لم يتعقب ابن كثير هذه الطريق بقدرح، فدل على سلامتها منه، وعلى هذا فالحديث صحيح إن شاء الله ^(٤) ولا سيما قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

فالجواب عن ذلك إن هذه الطريق كالتى قبلها، وليست سالمة من الآفات بل فيها أيضا علل تمنع من قبولها والحكم بصحتها، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : الإسناد من ابن مردويه إلى المعتمر بن سليمان غير مذكور، وقد يكون فيها ما يمنع صحته إلى المعتمر .

ثانيا : سليمان بن طرخان التيمي - مع إمامته وثقته - موصوف بالتدليس، وصفه

(١) انظر : المراسيل لابن أبي حاتم (ص : ٣٢-٣٣)؛ وجامع التحصيل للعلائي (ص : ١٦٥)؛ وشرح علل الترمذي (٨٤٧/٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن حجر (ص : ١٤٢)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٧/١ ح : ٣٤٢ و ٧٤/٢ ضمن كلامه على الحديث : ٦٠٧) .

(٢) ميزان الاعتدال (٥٢٧/١ برقم : ١٩٦٨، ترجمة الحسن بن يسار البصري) .

(٣) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٧/١ ح : ٣٤٢ و ٧٤/٢ ضمن كلامه على الحديث : ٦٠٧)؛ والثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

(٤) تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد... (ص : ١١٢) .

بذلك يحيى بن معين ^(١) والنسائي ^(٢) والعلاني ^(٣) وقد ذكر العلاني شاهدين مما رواه التيمي عن سمعه ما لم يسمعه منه مقرونا بكلام يحيى بن سعيد القطان وابن عبد البر ^(٤)، وكذلك وصفه بالتدليس الذهبي ^(٥) والحافظ ابن حجر ^(٦) والمقدسي ^(٧) والجلي ^(٨) والألباني، وقد ذكر الألباني شاهدا آخر مما رواه التيمي عن سمعه ما لم يسمعه منه مقرونا بكلام الإمام أحمد ^(٩)، وكذلك وصفه بالتدليس الدميني ^(١٠) وغيرهم.

ثالثا : سليمان التيمي وصف بالتدليس ورواية ما لم يسمعه عن الحسن خاصة . قال عنه الذهبي: (قيل: إنه كان يدلّس عن الحسن وغيره ما لم يسمعه منه) ^(١١) وقال يحيى بن سعيد القطان كما نقله البخاري عنه : (ما روى عن الحسن وابن سيرين فهو صالح إذا قال : سمعت أو [حدثنا]) ^(١٢)؛ فسليمان التيمي متهم بالتدليس، وبصفة خاصة فيما رواه عن الحسن البصري، فلا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالسماع عن الحسن خاصة، وقد روى هذه الرواية من غير أن يصرح بالسماع أو التحديث عن الحسن، فينبغي التوقف عن قبوله وعدم الحكم بصحته والله أعلم بالصواب .

رابعا : العلل الأربعة الأخيرة المذكورة في الطريق الأول لا تزال قائمة حتى في هذا

(١) انظر : يحيى بن معين وتاريخه (٢٣٢/٢ برقم : ٣٦٠٠) .

(٢) حكاة عن الدارقطني . انظر : سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني (ص : ٣٦٧ برقم : ٤٤٢) .

(٣) انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص : ١٠٦ برقم : ١٩) .

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ١٨٨ برقم : ٢٥٧) .

(٥) انظر : ميزان الاعتدال (٢١٢/٢ برقم : ٣٤٨١) .

(٦) انظر : طبقات المدلسين (ص : ٣٣ برقم : ٥٤)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح (٦٣٧/٢) .

(٧) انظر : قصيدته في المدلسين (ص : ٣٧) بواسطة كتاب (التدليس في الحديث ص : ٢٧٣) .

(٨) انظر : التبيين لأسماء المدلسين (ص : ٢٩ برقم : ٢٨) .

(٩) انظر : تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص : ٢٧١-٢٧٢) .

(١٠) انظر : التدليس في الحديث (ص : ٢٧٢-٢٧٣) .

(١١) ميزان الاعتدال (٢١٢/٢ برقم : ٣٤٨١) .

(١٢) التاريخ الصغير (ص : ٧٤)؛ والتاريخ الكبير (٢١/٤ برقم : ١٨٢٨)، في كلا الكتاين : " قلت " ولكن

الصحيح " حدثنا " كما نقله ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤١١/٢)، ترجمة سليمان التيمي .

الإسناد^(١)، ومن ثم يبقى الحديث غير ثابت مرفوعاً إلى النبي ﷺ. والله أعلم بالصواب .
وأما قول الترمذي: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري)^(٢)، فالتأمل في كلام هذا الإمام يرى أنه لم يكتف بالحكم على الحديث بالحسن بل أشار إلى نقاط ضعيفة في الإسناد وهي : كونه مروياً من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ومجيئه موقوفاً في إسناد آخر، وأن عمر بن إبراهيم شيخ بصري.

وكلمة " شيخ " من عبارات التوثيق عند الأئمة عموماً إلا أنها لا تعني عند المحدثين أن الموصوف بها يحتاج به مستقلاً بل معنى ذلك أنه ليس من كبار طلبة الحديث، وإنما له روايات أخذت عنه، فهو لا يترك حديثه تماماً، ولا يحتاج به مستقلاً^(٣)؛ ولذلك صنفه أهل هذا الفن في أنزل درجات التوثيق، التي تكون متجاذبة بين الاحتجاج وعدمه، فينظر إلى القرائن ثم يحكم في ضوئها على ما رواه بالصحة والحسن أو الرد وعدم القبول^(٤)، والقرائن هنا ترجح عدم القبول؛ لأنه مما رواه عمر بن إبراهيم عن قتادة، وهو موصوف بالاضطراب في مروياته عن قتادة، فتعين عدم الاحتجاج به .

وأما الإمام الذهبي فهو استدرك على ما قاله في تلخيص المستدرك واستبدله في الميزان بقوله : (صححه الحاكم، وهو حديث منكر كما ترى)^(٥) والذهبي عمل تلخيصه على المستدرك في أوائل اشتغاله بهذا الفن حتى إنه قال عن تلخيصه : (يعوز عملاً وتحريراً)^(٦) وكتابه الميزان من تأليفاته المتأخرة فالقول ما قال في الميزان .
وأما قول الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) فنعم ولكنه قول مخالف

(١) انظر : لرواية عمر بن إبراهيم العبدى عن قتادة ... لهذا الحديث متابعة أخرى مع رد الإمام ابن عدي عليها في (الكامل في ضعفاء الرجال ٢٩٨/٣ برقم : ٧٦٥ ، ترجمة : سليمان بن داود المنقري) .

(٢) سنن الترمذي (تفسير القرآن ، سورة الأعراف ٢٦٧/٥) .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال (٣٨٥/٢ ، ترجمة : العباس بن الفضل العدني)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح للزرکشي (٤٣٤/٣)؛ ونيل الأوطار (٢٢٩/٣)، والشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل (ص : ٦٨) .

(٤) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٧١) .

(٥) ميزان الاعتدال (١٧٩/٣ برقم : ٦٠٤٣ ، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدى) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٧٦/١٧ ، ترجمة الحاكم) .

لما ذهب إليه جماعة كبيرة من الأئمة الذين انتقدوا هذا الحديث وبينوا عدم ثبوته إلى النبي ﷺ، منهم ابن عدي وابن حزم وابن العربي والقرطبي وابن جزى الكلبي وأبو حيان والذهبي في آخر قولييه وابن القيم وابن كثير وابن حجر وأبو السعود والقاسمي ومحمد عبد الرحمن المباركفوري ومحمد رشيد رضا وأحمد محمد شاكر ومحمد الأمين الشنقيطي والألباني ومحمد بن صالح العثيمين وصالح الرفاعي^(١) وغيرهم من المشايخ وأهل العلم^(٢).

يتبين بالنظر فيما سبق من العلل الموجهة إلى إسناد الحديث وإلى أقوال الأئمة في الحكم عليه أن الحديث لا يصح عن النبي ﷺ بحال، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الكلام عن الحديث فيما يتعلق بمتمته ودرايته :

لقد تبين بالنظر في إسناد هذا الحديث من خلال أقوال الأئمة أنه غير ثابت عن النبي ﷺ، فكَذلك إلقاء النظر عليه من حيث الدراية والنظر في متمته يؤكد ضعفه وبطلانه ويبين عدم صحته إلى النبي ﷺ وبيان ذلك بما يلي :

١- لم يرد في غير هذه القصة أن إبليس كان اسمه الحارث في الجنة، وأن آدم ﷺ كان أولاده يولدون ميتين من بطن أمهم أو أنهم كانوا يموتون فور ولادتهم، وهذا كله من أمور الغيب، ولا يمكن الاعتماد على مثل هذه القصة الغير الثابتة في مثل هذه الأمور الغيبية^(٣). فأصل القصة قائم على أساس منهار غير مقبول، فكيف يصح ما بني عليه من

(١) انظر بالترتيب : الكامل في ضعفاء الرجال (٤٣/٥)، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدى ؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٨١٩/٢ - ٨٢٠)؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/٧)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٤٣٧/٤ - ٤٣٨)؛ وميزان الاعتدال (١٧٩/٣)، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدى ؛ روضة المحبين لابن القيم (ص : ٢٤٨)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٧٥/٢ - ٢٧٦)؛ وقصص الأنبياء كلاهما لابن كثير (ص : ٤٥)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن حجر (ص : ١٤٢)؛ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٠٥/٣)؛ ومحاسن التأويل (٣١٧/٧)؛ وتحفة الأحوذى للمباركفوري (٣٦٧/٨)؛ وتفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا (٥٢٥/٩)؛ وأضواء البيان (٢٥٤/٢)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٥١٦/١ - ٥١٧ ح : ٣٤٢)؛ والقول المفيد للعثيمين (٨٤/٣ - ٨٥)؛ وتعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري (٣٠٩/١٣ - ٣١٠)؛ والثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم للرفاعي (ص : ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٢) منهم الشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد (قصص الأنبياء ص : ٣٩ - ٤٠)، وظاهر محمود في (أسباب الخطأ في التفسير ص : ١٣٣ - ١٣٧)؛ وأبو بكر زكريا في (الشرك في القدم والحديث ١/٢٢٧ - ٢٣٠) .

(٣) انظر : الشرك في القدم والحديث (١/٢٢٩) .

أن آدم ﷺ سمي ولده عبد الحارث بوحى الشيطان ووسوسته إليه ليعيش ولده.

٢- جاء عن النبي ﷺ ما يرغب في التسمية بالحارث إذ قال : ((أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام))^(١) ولذلك سمي به كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والمحدثين^(٢). فلو كان الحارث من أسماء إبليس لغير النبي ﷺ أسماء الصحابة الذين كانوا يسمون بالحارث، وما كان للصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة والمحدثين أن يقرؤا هذا الاسم ويرضوه لأنفسهم، وما كان للأمة المحمدية أن تجتمع وتستمر على التسمية به منذ قرونها الأولى إلى يومنا هذا . فهذا يدل على عدم صحة دعوى أن إبليس كان اسمه الحارث، وبالتالي لا تصح دعوى أن آدم ﷺ وقع في الشرك بتسمية ولده عبد الحارث.

٣- إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وحواء عليهما السلام، وجعلهما أصل البشر وأنزلهما إلى الأرض، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وجعلهم خلائف في الأرض واستعمرهم فيها، فمن المستبعد أن يولد أولادهما ميتين أو يموتوا فور الولادة في مثل ذلك الوقت؛ فإن ذلك يخالف الحكمة التي من أجلها أنزل الله إلى الأرض^(٣).

٤- إن آدم ﷺ كان من أشد الناس معرفة بإبليس وعداوته الشديدة له، وكان عالما بجميع الأسماء كما قال تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(٤)، فإن صح أن إبليس كان اسمه الحارث فلا بد أن يكون آدم ﷺ قد علمه أيضا، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين إبليس ومع علمه بأن الحارث اسم الشيطان مستبعد جدا أن يسمي آدم ﷺ ولده بعبد الحارث^(٥).

٥- إن إبليس لم يرد له ذكر في الآية، فلو كان اللعين كاد الأبوين في هذه القضية وغرهما فعلاً حتى سميا المولود بعبد الحارث لورد ذكره وصُرحَ باسمه، كما بين الله تعالى ذلك في قصة الأكل من الشجرة، فإن المقام مقام تحذير من الانخداع بوسوسة إبليس، وذلك يقتضي

(١) أخرجه د (الأدب، ب: في تغيير الأسماء ٢٨٧/٤ ح : ٤٩٥٠) والحديث صحيحه الألباني في سلسلة الصحيحة (٥٧٢/٢-٥٧٤ ح : ٩٠٤ و ٣٣/٣-٣٤ ح : ١٠٤٠) وذكر له عدة شواهد ومتابعات .

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني مائة وستة وخمسين راويا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، سمو بالحارث . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٤٥-١٤٩ رقم : ١٠٠٨-١٠٦٤) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء لابن كثير (ص : ٤٥) .

(٤) البقرة الآية : ٣١

(٥) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥)؛ وعصمة الأنبياء للرازي (ص : ٤٤)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٠) .

ذكر اسمه والتصريح به، حتى لا يقع في غروره واحتياله بعد ذلك أحد من ذريتهما^(١).

٦- قال تعالى : ﴿ فجعلناه شركاء فيما آتاهما ﴾ فهذا يدل على أن المتخذ شريكا لله تعالى جماعة وليس واحدا، في حين أن المتخذ شريكا لله على هذا القول واحد، وهو إبليس، فالتعبير بصيغة الجمع يدل على ضعف هذا القول ويرده^(٢).

٧- قال تعالى : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ فأخبر عمن أشرك بصيغة الجمع، فلو كان المقصود الإخبار أن الذي أشرك هو آدم وحواء عليهما السلام ؛ لقال : (عما يشركان) ولم يقل : ﴿ عما يشركون ﴾^(٣).

٨- قال تعالى بعد ذلك : ﴿ أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ وهذا يدل على أن المقصود من الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر، ولو كان المراد إبليس لم يقل : ﴿ أشركون ما لا يخلق شيئا ﴾ بل لقال : (أشركون من لا يخلق شيئا) لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما) غالبا^(٤).

٩- ورد في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال لهما : " أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة " وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبوله، فإذا قال : " أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة " فسيعلمان أنه عدو لهما، فلا يقبلان منه صرفا ولا عدلا^(٥).

١٠- وكذلك قول الشيطان في هذه القصة : " لأجعلن له قرني إيل " إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه؛ فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، أو لا يصدقا، فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه^(٦).

(١) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥) ؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١) ؛ وأضواء البيان (٢٥٥/٢) ؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٦/٣) .

(٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٣/١) ؛ والمصادر السابقة نفسها .

(٥) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٦/٣) .

(٦) انظر : المصدر السابق نفسه .

١١- جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فيقولون له : (يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول : ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وهابني عن الشجرة، فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ... الحديث ^(١) .

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام لم يشرك بالله تعالى - أي شرك - إذ لو كان قد وقع منه شرك لاعتذر به عن الشفاعة إلى الله تعالى، كما اعتذر بالأكل من الشجرة، فإنه ليس من المعقول أن يعتذر آدم عليه السلام بالأخف والأدنى، ويترك الاعتذار بالأشد والأغلظ ^(٢) .

١٢- إن آدم عليه السلام كان أعلم بالله وأتقى الله سبحانه وتعالى من أن يشرك به سبحانه وتعالى، فمن أوصافه وفضائله أن الله سبحانه وتعالى علمه أسماء كل شيء، وجعله نبيا فهو مع نبوته وعلمه الكثير وتجاربه الكثيرة ولا سيما بعد وقوعه في الزلة وخروجه إثرها من الجنة بسبب إبليس - يستبعد منه أن يقع في مثل هذه الأمور المنكرة الواضحة؛ فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فكيف بأبي البشر آدم عليه السلام الذي اختاره الله نبيا وعلمه أسماء كل شيء ؟ ^(٣) .

١٣- إن الأنبياء معصومون عن الشرك باتفاق العلماء ولا سيما بعد النبوة وهذا الحديث يلزم منه عدم عصمتهم من الشرك ^(٤)، وكل قول طعن في مقام الرسالة وعصمة الأنبياء فهو مردود ^(٥) .

١٤- لو كانت هذه القصة في آدم وحواء فلا يخلو الأمر من حالين إما أن يقال أنهما تابا إلى الله من هذا الشرك أو أنهما ماتا عليه من غير توبة، فإن قيل : إنهما ماتا عليه من غير توبة، فقد أعظم قائله الفرية إذ قال بجواز موت أحد من الأنبياء على الشرك، وأتى بقول مخالف للإجماع، وإن قيل أنهما أشركا بالله تعالى ثم تابا منه فهذا لا يليق بحكمة الله تعالى وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فإن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن نبي ذنبا

(١) جزء من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١٢) .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٢-٢٥٣)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٥/٣) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء (ص : ٤٥) .

(٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١)؛ والقول المفيد (٨٥/٣)؛ و (ص : ٧٣٢-٧٤٨) من هذا البحث.

(٥) انظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٢٨/١ و ٣٤٣)؛ وأسباب الخطأ في التفسير (ص : ١٣٦) .

إلا مقرونًا بتوبته، كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة هو وزوجه وتابا من ذلك، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله تعالى شركا عن آدم وحواء من غير ذكر توبتهما، وهما قد تابا منه . فنسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام باطلة وممتعة في كلتا الحالتين ^(١).

١٥-١٦ : جاء في التوراة الموجودة بين يدي أهل الكتاب اليوم ما نصه :
(وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين . وقالت : اقتنيت رجلا من عند الرب .
ثم عادت فولدت أخاه هابيل . وكان هابيل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض
وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب وقدم هابيل أيضا من
أبكار غنمه ومن سماها . فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر.
فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه ... وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل
أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله) ^(٢).

فهذا النص من التوراة المحرفة يدل على أن الابن الأول لآدم ﷺ لم يمت فور الولادة بل عاش طويلا، وأنه هو الذي قتل أخاه فيما بعد ويوافق على ذلك ما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل ^(٣).

وبعد بمجيء هذا الحديث الصحيح الثابت عن المصطفى ﷺ لا يبقى شك أن الابن الأول لآدم ﷺ عاش طويلا، وأنه لم يمت فور الولادة، وكذلك الولد الثاني أيضا عاش، ولم يمت فور الولادة، وبه يعلم علما يقينيا أن قصة تسمية آدم وحواء عليهما السلام لولدهما بعد الحارث ليعيش وأنه أولادهما قبله كانوا يموتون قصة باطلة، ولا يمكن أن تكون صادرة من مشكاة النبوة إذ لا يصدر عن النبي المعصوم خبران متناقضان والله أعلم بالصواب .

فهذه الوجوه المذكورة تدل على أن هذه القصة غير صحيحة إلى النبي ﷺ، ولا يمكن أن تصدر مثلها من مشكاة النبوة، وإذا جمعت الوجوه بعضها إلى بعض، ونظر إليها جميعها؛ تؤمل فيما قيل عنها رواية ودراية لا يبقى شك في بطلانها من أساسها، فلا يجوز أن يعتقد في آدم

(١) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٥/٣) .

(٢) سفر التكوين (٨-١/٤) .

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٢٢) .

وحواء - عليهما السلام أنه وقع منهما شرك بأي خال من الأحوال، والله أعلم بالصواب .
 وأما الآثار الواردة في ذلك عن السلف، فأغلبها غير صحيحة الأسانيد إلى من حكيت
 عنهم، وبالإضافة إلى ذلك من المحتمل جدا أن تكون مأخوذة من خرافات أهل الكتاب
 وأساطيرهم؛ فإن من دأبهم النيل من كرامة الأنبياء والخط من شأن الرسل، ونسبة كل الجرائم
 والقبائح حتى السكر والزنا والكفر والشرك... إلى تلك الصفوة المختارة المعصومة المحفوظة بحفظ
 الله، وهذه القصة يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام، فلا يبعد أن يكون أصلها
 منهم، وقد نبه على ذلك جماعة كبيرة من أهل العلم^(١)، أكتفي بذكر نماذج من كلامهم في ذلك :
 قال العلامة ابن حزم : (وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمي ابنه عبد الحارث
 خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء، لم يصح سندها قط، وإنما
 نزلت في المشركين على ظاهرها)^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير : (قد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن
 جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف، وجماعة من الخلف، ومن
 المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل
 الكتاب؛ فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو
 الجماهر، حدثنا سعيد يعني ابن بشير، عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن
 كعب قال : (لما حملت حواء أتاها الشيطان، فقال لها : أتطيعيني ويسلم لك ولدك، سمي عبد
 الحارث. فلم تفعل، فولدت فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة،
 فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة، فهيهما فأطاعا)^(٣). وهذه الآثار يظهر
 عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب... ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام، فمنها ما علمنا
 صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسول الله، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه

(١) منهم ابن العربي في (أحكام القرآن ٨٢٠/٢)، والقاسمي في (محاسن التأويل ٣١٧/٧)، ومحمد أبو شعبة في
 (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص : ٢٩٢-٣٠٠)، ورمزي نعناعة في (الإسرائيليات وأثرها
 في كتب التفسير (ص : ٢٠٥-٢٠٧)، وأحمد نجيب بن عبد الله في (الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري
 ص : ٥٣٨-٥٥٠)، وعبد القادر بن شيبه الحمد في (قصص الأنبياء ص : ٣٩-٤١) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٤) .

(٣) السند إليه ضعيف، وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص : ٧٦٤-٧٦٥) .

من الكتاب والسنة أيضا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته ...، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ... وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رحمه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته (١). وقال محمد رشيد رضا : (ولما كانت هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، ولما كانت طعنا في عقيدة أبونا آدم وحواء عليهما السلام بما تبطله عقائد الإسلام وجب الجزم بطلانها وتكذيبهم فيها) (٢).

فيتين مما سبق أن الحديث المذكور والآثار الواردة عن السلف في هذا المعنى لا يمكن الاعتماد عليها لتفسير الآيات المذكورة لعدم صحة الحديث، لا رواية ولا دراية، ولا احتمال أن تكون هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات ولأنه يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم عليه السلام وهو نبي والأنبياء كلهم مترهون عن الشرك بالاتفاق والله أعلم بالصواب .

المجموعة الثانية : الأقوال المبنية على عدم صحة حديث سمرة رضي الله عنه :

أصحاب هذه الأقوال ذهبوا إلى عدم صحة حديث سمرة رضي الله عنه، فضعفوه وبينوا علله، وفسروا الآيات بما يوافق طبيعة اللغة العربية، وبما روي من آثار عن السلف في ذلك، ففسروها تفسيراً لا يلزم منه نسبة الشرك إلى النبي المعصوم آدم عليه السلام ، ولهم في ذلك عدة تفسيرات ويمكن ذكر خلاصتها من خلال تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : إن هذه الآية لا تتحدث عن آدم وحواء عليهما السلام وهذا القسم تحته عدة أقوال، وهي كما يلي :

١- هذا خطاب خاص بكفار قريش الذين كانوا في عهد النبي ﷺ وهم آل قصي، والمراد بالنفس الواحدة هنا قصي، ومعنى «جعل منها زوجها» أنه زوجه بامرأة عربية قرشية مثله، ليسكن إليها ... فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلاً له شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادهما : عبد مناف وعبد العزى وعبد اللات وعبد الدار، والضمير في يشركون

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٧٥/٢) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (٥٢٥/٩) .

لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك . فهذه الآيات لا تتحدث عن آدم وحواء عليهما السلام، فلا معنى لوقوعهما في الشرك، وهذا التوجيه ذهب إليه الزمخشري^(١).
ولكن هذا التوجيه فيه نظر وبيان ذلك بما يلي^(٢):

أ - المتبادر من الآية أن المراد بالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام، لا قصي وزوجه، ولذلك فسر جمهور المفسرين حتى الزمخشري نفسه هذه الآيات^(٣) وما في معناها بآدم وحواء عليهما السلام .

ب - الظاهر من قوله تعالى : « هو الذي خلقكم » أن الخطاب عام لبني آدم كلهم، وليس خاصا ببعضهم^(٤).

ج - المخاطبون من كفار مكة لم يكن كلهم أو جلهم من أولاد قصي، بل كان في مكة كثير ممن ليس من أولاد قصي، كما أن قريشا في ذلك الوقت لم يكونوا مجتمعين في مكة وحدها بل كانوا متفرقين في أماكن أخرى .

د - قصي لم تكن زوجته قرشية، وإنما كانت بنت سيد مكة من خزاعة .

هـ - من أين علم أن قصيا وزوجته كانا وعدا عند الحمل أن يكونا شاكرين لله تبارك وتعالى ثم كفر بعد ذلك بما ذكر من تسمية أولادهما بعبد الدار ونحوه .

و - أن الكفر الذي كانا فيه من عبادة الأصنام والأوثان وصرف ما هو خاص بالله تعالى إلى غيره سبحانه - أشد مما ذكر من تسمية أولادهما بعبد الدار ونحوه .

٢ - المراد بالنفس الواحدة في هذه الآية الجنس وجعل من هذا الجنس زوجته، ولم يجعل وزوجه من جنس البقر أو الضأن أو نحو ذلك، والنفس بمعنى الجنس وارد في اللغة العربية كما في قوله تعالى: « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم »^(٥)؛ أي : من جنسهم، وعلى هذا لا يكون في هذه الآيات ذكر لآدم وحواء عليهما السلام، فلا تبقى شبهة وقوع الشرك منهما،

(١) انظر : الكشف (٥٤٢/٢ - ٥٤٣) .

(٢) هذه الوجوه التالية أغلبها مستفادة من روح المعاني للآلوسي (١٤١/٩) .

(٣) انظر : الكشف (٥٤٠/٢) .

(٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٣/١) .

(٥) آل عمران الآية : ١٦٤

وهذا القول اختاره ابن العربي ^(١) والشيخ محمد بن صالح العثيمين ^(٢).

٣- إن هذه الآيات ضرب الله تعالى بها مثلا لبيان حالة المشركين في جهلهم ووقوعهم في الشرك، فمعنى الآية : أن الله تعالى يقول لهم أنه هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة رهما : إن آتانا ولدا صالحا سويا ل نكون من الشاكرين لآلائك ونعمائك، فلما آتاها الله ولدا صالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاها؛ لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطباع كما يقول الطبيعويون، وتارة ينسبونه إلى الكواكب كقول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كقول عبدة الأصنام، فعلى الله عن شرك ذلك الشرك . هذا القول ذكره الرازي وعزاه إلى القفال ^(٣).

القسم الثاني : إن المراد بالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام ولكن الشرك المذكور في هذه الآيات لم يكن صادرا منهما، وإنما كان من بعض أولادهما، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ * أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴿ وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، ومن ذهب إليه عكرمة ^(٤) والحسن البصري ^(٥)، واختاره ابن كثير وابن حجر، ورجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ^(٦) وغيرهم . ولكن قد يشكل على هذا التوجيه تشتت الضمائر ^(٧) في قوله تعالى في آخر الآية :

(١) انظر : أحكام القرآن (٨١٩/٢ - ٨٢٠) .

(٢) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٧٩-٧٨/٣) .

(٣) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥ - ٨٧) ، والقفال هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشافعي

صاحب التصانيف في التفسير والفقه والأصول، توفي سنة ٣٦٥هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠٠/١٦) .

(٤) ذكره عنه سعيد بن منصور في سننه (الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٤/٥ ضمن الأثر برقم : ٩٧٣) [بتحقيق د .

سعد آل حميد ط . الأولى] .

(٥) سبق توثيق أقواله قريبا في (ص : ٧٧٤) .

(٦) انظر بالترتيب : تفسير القرآن العظيم (٢٧٥-٢٧٦) ؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٤٣) ؛

وأضواء البيان (٢٥٤-٢٥٥) .

(٧) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٠/٣) .

﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ * أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ ، وقد أجاب عن ذلك أهل العلم بما يلي :

١- إن الآيتين في حق آدم وحواء ومعنى قوله تعالى : ﴿ جعلا له شركاء ﴾ ؛ أي : جعل أولادهما له شركاء، ولكن حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا وارد في اللغة العربية كما في قوله تعالى : ﴿ وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ ﴾ ^(١)؛ أي : أهل القرية . هذا القول ذهب إليه الزمخشري وحسين بن أبي العز الهمداني والبيضاوي والنسفي وابن جزى الكلبي ^(٢).

٢- إن أول الآية موصول بآخرها لفظا ولكنه مفصول منها معنى؛ ففي الآية استطراد من الشخص إلى النوع، وهذا أسلوب لطيف من أساليب القرآن الكريم وله أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ^(٣) فالأول آدم والثاني بنوه. ومنها قوله تعالى : ﴿ يسألوك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البرأان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ^(٤) فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر لهم وقت الإحرام وهو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما كانوا يفعلونه فيه وهو إتيانهم البيوت من ظهورها، فكذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ﴾ * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ * أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ . فهذه الآيات فيها استطراد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما . وهذا التوجيه ذهب إليه السدي في بعض الروايات المنقولة عنه ^(٥)، وهو الذي اختاره ابن القيم وابن كثير وابن حجر

(١) يوسف الآية : ٨٢

(٢) انظر بالترتيب : الكشف (٥٤١/٢)؛ والفريد في إعراب القرآن المجيد للهمداني (٣٩٤/٢)؛ وأنوار التنزيل

(٢٥٤/٢)؛ ومدارك التنزيل (٦٢٤/١)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١) .

(٣) المؤمنون الآيتان : ١٢-١٣

(٤) البقرة الآية : ١٨٩

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥-١٦٣٥) وهي حسنة الأسانيد إليه .

والسيوطي وصديق حسن خان وعبد الرحمن السعدي وعبد القادر بن شبية الحمد^(١).

٣- معنى الآية أنه تعالى أتى آدم وحواء نسلا صالحا ولكن كفر بعد ذلك كثير من نسلهما وذريتهما فلم يشكروا الله سبحانه وتعالى بل أشركوا به سبحانه فأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾^(٢)؛ أي : بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله تعالى بعده : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ . هذا التوجيه ذكره أبو جعفر النحاس، وإليه ذهب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٣).

٤- ضمير التثنية في قوله تعالى : ﴿ جعلناه شركاء فيما آتاهما ﴾ ليس عائدا إلى آدم وحواء عليهما السلام بل هو عائد إلى قوله : ﴿ صالحا ﴾ وهو صفة لموصوف محذوف، يصح أن يكون نسلا صالحا ويصح أن يكون ولدا صالحا، والولد جنس يشمل الذكر والأنثى والقليل والكثير، فعندما يجري الكلام عليه بعد ذلك بضمير التثنية فالمقصود النوعان : الذكور والإناث، وعندما يجري الكلام عليه بضمير الجمع فالمقصود النسل الصالح والأولاد الصالحون . وهذا القول ذهب إليه أبو جعفر النحاس واستحسنه القرطبي، وبه قال الخطيب الشربيني^(٤) ومصطفى المنصوري، واختاره الدكتور محمد أبو النور الحديدي^(٥).

وهذه كلها أوجه سليمة لا غبار عليها من حيث اللغة العربية، ومن حيث أساليب القرآن الكريم في تقرير المسائل، وأيضا معهم آثار وأقوال من السلف، ولا يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام، فينبغي الأخذ بها، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر بالترتيب : التبيان في أقسام القرآن (ص : ١٦٥)؛ وروضة المحبين (ص : ٢٤٧-٢٤٨)؛ وهداية الحيارى (ص : ٣٦٣-٣٦٤) وهذه كلها لابن القيم؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٧٥-٢٧٦)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٤٣)؛ والإتقان في علوم القرآن (١/٢٥٢-٢٥٣)؛ وأجد العلوم للفتوحاني (٢/٤٩٤)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص : ٤٠٣-٤٠٤)؛ وقصص الأنبياء لعبد القادر الحمد (ص : ٤٠-٤٢) .

(٢) الأعراف الآية : ١١

(٣) انظر بالترتيب : معاني القرآن (٣/١١٧)؛ وأضواء البيان (٢/٢٥٤-٢٥٥) .

(٤) محمد بن أحمد الشربيني، القاهري الشافعي، المعروف بالخطيب الشربيني، فقيه مفسر نحوي صربي، توفي سنة ٩٧٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٨/٢٦٩) .

(٥) انظر بالترتيب : إعراب القرآن (٢/١٦٧)؛ ومعاني القرآن الكريم (٣/١١٦)، كلاهما للنحاس؛ والجامع لأحكام القرآن (٧/٣٣٩)؛ والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني (١/٥١٤-٥١٥)؛ والمقتطف من عيون التفاسير للمنصوري (٢/٢٠٦-٢٠٧)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٢-٢٥٣) .

الشبهة الثالثة : حكي من قول علي بن أبي طالب ^(١) وابن عباس ^(٢) أن ابن آدم لما قتل أخاه، بكى آدم عليه السلام فقال :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَوْنُ الْأَرْضِ مُعَبَّرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
قَتَلَ قَائِلُ هَابِلًا أَخَاهُ فَوَاحِزْنَا مَضَى الْوَجْهُ الصَّبِيحُ ^(٣).

فهذا الأثر المحكي عن علي بن أبي طالب وابن عباس يدل على أن آدم عليه السلام قال شعرا رثاء على وفاة ابنه هابيل، والأنبياء عليهم لا يقولون الشعر . قال تعالى : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ ^(٤) فكيف تصح نسبة الشعر إلى أبي البشر آدم عليه السلام ؟ .

فالجواب إن نسبة الشعر إلى آدم عليه السلام غير صحيح، وبيان ذلك بما يلي :

أولاً : الأثر الذي حكي عن علي بن أبي طالب وابن عباس في نسبة الشعر إلى آدم عليه السلام لم يصح إسناداه إليهما بل هو منحول عليهما، فالأثر الذي نسب إلى علي بن طالب عليه السلام في إسناده إليه رواية متكلم فيهم، وبعضهم كذاب ومتهم بالوضع ، وتفصيل ذلك بما يلي :

- ابن حميد هو محمد بن حميد حيان الرازي، كان ابن معين حسن الرأي فيه ولكن أكثر الأئمة على تضعيفه حتى اتهمه غير واحد من الأئمة بالكذب وسرقة الأحاديث وقد سبق الكلام عنه بالتفصيل ^(٥).
- سلمة هو سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ، وقد سبق ذكره ^(٦).
- غياث بن إبراهيم الكوفي، تالف متروك الحديث، متهم بوضع الحديث ^(٧).

(١) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٠/٦) بإسناده فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام ... الخ .

(٢) أخرجه عنه الخطيب في (تاريخ بغداد ١٢٨/٥ برقم : ٢٥٥٢ ، في ترجمة أحمد بن محمد المخرمي) فقال : حدثنا الأزهرى، أخبرنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق، حدثنا أبو البخترى عبد الله بن محمد بن شاكر، حدثني أحمد بن محمد المخرمي، عن عبد العزيز بن الرماح، عن سفيان بن عيينة، عن بن أبي نجيح، عن مجاهد عن بن عباس ... الخ، وكذلك ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال ١٥٤/١ ، في ترجمة المخرمي) .

(٣) البيت الأخير في الرواية المنسوبة إلى ابن عباس وليس في الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب .

(٤) يس الآية : ٦٩

(٥) انظر : (ص : ٤٥٩ و ٥١٨ - ٥٢٠) .

(٦) انظر : (ص : ٤٥٩) .

(٧) انظر : الضعفاء الصغير للبخاري (ص : ٤٧٣ برقم : ٢٩٤) ؛ والضعفاء والمتروكون للنسائي (١٨٧ برقم :

٤٨٥) ؛ وميزان الاعتدال (٣٣٧-٣٣٨ برقم : ٦٦٧٣) ؛ ولسان الميزان (٢٩٩/١) ، في ترجمة : أحمد بن

محمد المخزومي و ٤٢٢/٤ برقم : ١٣٩٧ ؛ الوضع في الحديث (٢٧١-٢٧٠/١) .

● أبو إسحاق الهمداني لعله عمرو بن عبد الله بن عبيد ويقال له ابن أبي شعيرة الهمداني فإن كان هو فهو ثقة كان ولد في خلافة عثمان بن عفان ؓ، وفي سماعه عن علي بن أبي طالب كلام^(١).

فهذا الأثر لا يصح عن علي بن أبي طالب، والغالب أنه نسب إليه غياث بن إبراهيم كذبا وزورا عليه فإنه كان متهما بوضع الحديث .

وكذلك ما حكى عن عبد الله بن عباس إسناده أيضا غير صحيح إليه فإن في إسناده أحمد بن محمد المخرمي أو المخزومي عن عبد العزيز بن الرماح، وقد قال الذهبي بعد أن ذكر الشعر المذكور : (الآفة المخرمي أو شيخه)^(٢) ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر^(٣) وأقره، وأيضا جاء عن ابن عباس ؓ ما يعارض هذا القول ويكذبه وسيأتي ذكره.

فالقول بنسبة الشعر إلى آدم ؑ لم يصح سنده إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهم .

ثانيا : القول بأن آدم ؑ قال الشعر المذكور فرع عن دعوى أنه كان يتكلم بالعربية، واللغة التي كان يتكلم بها آدم ؑ فيها اختلاف كثير، ولا يمكن تعيينها على وجه الجزم واليقين، فلا يصح أن ينسب هذا الشعر العربي إلى آدم ؑ ؛ إذ ليس هناك دليل معتمد صحيح صريح يدل على أن آدم ؑ كان يتكلم بالعربية، وقد سبق الكلام عن ذلك بالتفصيل^(٤).

ثالثا : روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : (من قال : إن آدم قال شعرا، كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمأثم، إن محمدا والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر)^(٥). فهذا القول من حبر الأمة يدل على أن الأنبياء كلهم معصومون عن الشعر وأنهم لا يقولون الشعر، فهذا يدل على بطلان ما نسب إلى آدم ؑ من أنه قال شعرا في رثاء ابنه هابيل، كما يدل على بطلان الأثر المنسوب إليه في ذلك، وأنه مكذوب عليه ؓ .

(١) انظر : أقوال الأئمة فيه في (تهذيب التهذيب ٤/٣٥٦-٣٥٩ برقم : ٥٨٥٤) .

(٢) ميزان الاعتدال (١٥٤/١) ترجمة أحمد بن محمد المخرمي .

(٣) انظر : لسان الميزان (٢٩٨/١)، ترجمة أحمد بن محمد المخزومي .

(٤) انظر : (ص : ١٩٦-٢٠٠) .

(٥) ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢٩٩/١)، ترجمة : أحمد بن محمد المخزومي (جزءا من إسناد الأثر

المذكور عن ابن عباس ، وأحال إلى الثعلبي ، وما ذكره من الإسناد رجاله ما بين ثقة وصدوق .

رابعاً : هذا الشعر المنسوب إلى آدم عليه السلام مع كونه مكذوباً فيه لحن وركاكة لغوية :
 قال الزمخشري : (روي أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر،
 وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر)^(١).
 واستحسن الرازي ما قاله الزمخشري فقال (وصدق صاحب الكشف فيما قال؛ فإن
 ذلك الشعر في غاية الركاكة، لا يليق بالحمقى من المعلمين، فكيف ينسب إلى من جعل
 الله علمه حجة على الملائكة)^(٢).

وأشار الآلوسي إلى بعض أوجه الركاكة في البيت المذكور فقال : (ذكر بعض
 علماء العربية : أن في ذلك الشعر لحنًا، وإقواء^(٣) وارتكاب ضرورة^(٤)، والأولى عدم
 نسبه إلى يعرب [؛ أي: ابن قحطان]، لما فيه من الركاكة الظاهرة)^(٥).

وقال الشيخ محمد محمد أبو شهبه : (والحق أنه شعر في غاية الركاكة، والأشبه أن
 يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلي، ليس له من العربية إلا حظ قليل، أو قصاص يريد
 أن يستولي على قلوب الناس بمثل هذا الهراء)^(٦).

خامساً : قد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به على ابنه هابيل ونظمه غيره ونسبه
 إليه . قال ابن كثير : (هذا الشعر فيه نظر، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به
 بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال، والله أعلم)^(٧).

(١) الكشف (٢٢٧/٢) .

(٢) التفسير الكبير (٢٠٨/١١) .

(٣) الإقواء هو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى مخفوضة أو منصوبة، والبيت المذكور فيه إقواء
 واضح؛ فإن القافية الأولى منه مرفوعة، والثانية مخفوضة ثم الثالثة مرفوعة أيضاً، وهذا يعتير عيباً في الشعر ولا سيما في
 شعر المرلدين . انظر : نقد الشعر لابن جعفر (ص : ١٨٥) والعمدة في صناعة الشعر والنقد لابن رشيق (٢٦٢/١ -
 ٢٦٣) ومقامات الزمخشري (مقامة القوافي ، ص : ٢٤٢)؛ ومعجم البلاغة العربية (ص : ٥٧٢-٥٧٤) .

(٤) وارتكاب الضرورة الشعرية في البيت المذكور هو قوله : " قتل قابيل هابيلاً " وذلك أن هابيل غير منصرف
 للعجمة والعلمية وما كان غير منصرف لا يدخل عليه التنوين كما في " قابيل " فإدخال التنوين على ما لا يجوز
 تنوينه من الضرورة الشعرية والله أعلم .

(٥) روح المعاني (١١٥/٦) .

(٦) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٨) .

(٧) قصص الأنبياء (ص : ٤٣) .

فيتين مما سبق أن الشعر المذكور لا تصح نسبته إلى آدم عليه السلام، وأن الأثر المحكي في ذلك عن علي بن أبي طالب وابن عباس - رضي الله عنهم - غير ثابت عنهما بل هو مكذوب مختلق عليهما ولعله من اختلاق من لم يكن له نصيب جيد بالعربية والله أعلم بالصواب .

الشبهة الرابعة : جاء في الحديث أن آدم عليه السلام كان قد أعطى من عمره أربعين عاما لابنه داود عليه السلام ثم لما جاء وقت وفاة آدم عليه السلام جحدته ونسيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته ^(١) .

وقد ضعف هذا الحديث الشيخ عبد القادر بن شية الحمد - حفظه الله - فقال : (وأما قصة هبته من عمره لداود ... فهذا الخبر لا يصح عن رسول الله ﷺ بحال؛ لأنه يدور على علي بن زيد وفي حديثه نكارة، وقد أخرج نحوه الترمذي بسند فيه هشام بن سعد، وقد وصف بأنه له أوهام وقد رمي بالتشيع، والظاهر أن هذا من أوهامه، كما رواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف عند المحدثين، ولا يجوز أن يوصم أبو البشر نبي الله آدم عليه السلام بالجحود بمثل هذه الأخبار؛ إذ الجحود من الأمور المذمومة التي لا يرتضيها عوام المسلمين لأنفسهم فكيف يوصف بها نبي من أنبياء الله ؟) ^(٢) .

فالشيخ يرى عدم صحة حديث إعطاء آدم عليه السلام من عمره أربعين سنة لداود عليه السلام وينتقد ذلك من وجهين :

الوجه الأول : عدم صحة سنده إلى النبي ﷺ (في رأي الشيخ) .

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) قصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٢-٤٣) .

والوجه الثاني : إن الجحود صفة ذم فلا ينبغي أن تنسب إلى آدم عليه السلام.

ولكن ما ذهب إليه الشيخ غير صحيح، وبيان ذلك بما يلي :

أولاً : إن هذا الحديث له طرق كثيرة، وبعضها ضعيفة، وقد أشار الشيخ إلى ثلاثة منها ولكن لا يلزم من ضعف تلك الطرق أن تكون الطرق الأخرى كلها ضعيفة، فإنه مروي عن النبي ﷺ عن ثلاثة من الصحابة فيما وقفت عليه، وفيما يلي ذكر طرقها مع بيان ما لها وما عليها باختصار :

● حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه مختصراً .

أخرجه ابن أبي شيبة ^(١) والنسائي ^(٢) فقالا : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا، ليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ .

وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ولكن محمد بن عجلان المدني تكلم فيه الأئمة فيما رواه من طريق سعيد المقبري - خاصة، فقال الإمام أحمد : (كان ثقة، إلا أنه اختلط عليه حديث المقبري ، كان عن رجل، جعل يصيره عن أبي هريرة) ^(٣) وقال ابن معين : (ثقة أوثق من محمد بن عمر، وما يشك في هذا أحد، كان دادو بن قيس يجلس إلى ابن عجلان يتحفظ عنه، وكان يقول : إنها اختلطت على ابن عجلان يعني أحاديث سعيد المقبري) ^(٤)، وفصل ذلك يحيى القطان ونقله من قول ابن عجلان نفسه فقال القطان : (قال محمد بن عجلان : أحاديث سعيد المقبري روى بعضها سعيد عن أبي هريرة، وروي بعضها عن سعيد عن رجل عن أبي هريرة، واختلط عليّ، فجعلتها عن سعيد عن أبي هريرة) ^(٥). وقال الحافظ ابن حجر : (صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة) ^(٦).

(١) انظر : المصنف (٢٦٧/٧ ح : ٣٥٩٥٨) .

(٢) انظر : عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨ ح : ٢١٩) .

(٣) ذكره ابن رجب في (شرح علل الترمذي ٤١٠/١) .

(٤) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢١٩/٥ - ٢٢٠ ، ترجمة ابن عجلان) .

(٥) ذكره عنه الإمام البخاري في (التاريخ الكبير (١٩٧/١ برقم : ٦٠٣) ، والترمذي في سننه (٨٧/٥) ، وابن

حبان في (الثقات ٣٨٦/٧ برقم : ١٠٥٤٣) ، والذهبي في (سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٦ ترجمة : ابن عجلان)

وفي ميزان الاعتدال (٦٤٥/٣ برقم : ٧٩٣٨) ، وابن رجب في (شرح علل الترمذي ٤١٠/١) ؛ وابن

حجر في (تهذيب التهذيب ٢٢٠/٥ برقم : ٧١٥٦) .

(٦) تقريب التهذيب (ص : ٤٩٦ برقم : ٦١٣٦) .

الحاصل : إن ابن عجلان حصل له اختلاط فيما رواه عن سعيد المقبري، وقد يكون اختلاطه في أحاديث المقبري عموماً، فيخشى في هذا الحديث من اختلاطه، فلا يمكن الاعتماد عليه حيثُذ، وقد يكون اختلاطه خاصاً بما رواه من طريق سعيد المقبري من أحاديث أبي هريرة، فيكون هذا الإسناد سالماً من اختلاطه؛ لأنه ليس من حديث أبي هريرة بل هو من حديث عبد الله بن سلام، وهذا الذي رجحه الدكتور صالح بن حامد الرفاعي^(١) وهو الظاهر من كلام الأئمة، والله أعلم بالصواب .

● حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وهو مروي من طريقين ضعيفين :

١ - ما جاء من طريق محمد بن سعد، ثني أبي^(٢)، ثني عمي^(٣)، ثني أبي^(٤) عن أبيه^(٥)، عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

وهذا الإسناد عند ابن جرير الطبري في تفسيره^(٦) وتاريخه^(٧) وهو إسناد مسلسل بجماعة من الضعفاء، وهم : سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، والحسين بن الحسن بن عطية العوفي، والحسن بن عطية بن سعد العوفي، وعطية بن سعد بن جنادة العوفي، فهؤلاء العوفيون كلهم ضعفاء في الحديث مع أن الأخير منهم موصوف بالتدليس القبيح وعده الحافظ ابن حجر في المرتبة الرابعة وقد عنعن، فالإسناد ضعيف جداً، والله أعلم بالصواب .

٢ - ما جاء من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً .

(١) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٢٦) .

(٢) هو سعد بن محمد بن الحسن العوفي، قال عنه الإمام أحمد : جهلي ولم يكن هذا ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعاً لذلك . انظر : تاريخ بغداد (١٢٦/٩) ولسان الميزان (١٨/١ - ١٩) .

(٣) هو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائي والعقيلي وابن جبان وغيرهم . انظر : الجرح والتعديل (٤٨/٣)؛ وتاريخ بغداد (٢٩/٨ - ٣١)؛ ولسان الميزان (٢٧٨/٢) .

(٤) الحسن بن عطية بن سعد العوفي الكوفي، ضعيف . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٦٢ برقم : ١٢٥٧) .

(٥) عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي، وقد سبق ذكره في (ص : ٤٦٧) بأنه كان صندوقاً يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، ويضاف إلى ذلك هنا ما قاله الحافظ في (طبقات المدلسين ص : ٥٠) بعد أن ذكره في

المرتبة الرابعة : (تابعي معروف ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح) .

(٦) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن (١١٤/٩) .

(٧) تاريخ الأمم والملوك (٩٩/١) .

وهذا الإسناد عند ابن سعد ^(١) وابن أبي شيبة ^(٢) والإمام أحمد ^(٣) وابن جرير الطبري ^(٤) وأبي الشيخ ^(٥) وابن عساكر ^(٦) وغيرهم، وهو إسناد ضعيف؛ لأن مداره على علي بن زيد بن جدعان هو ضعيف وقد سبق الكلام عنه ^(٧)، وكذلك فيه يوسف بن مهران البصري، وليس يوسف بن ماهر بن مهران الفارسي المكي فإنه ثقة وقد روى عنه جماعة. وهذا لم يرو عنه غير ابن جدعان، وهو لين الحديث ^(٨).

فحديث ابن عباس لا يمكن الاعتماد عليه لعدم صحة إسناده إليه .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو مروي من عدة طرق منها ما يلي :

١- ما جاء من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن

أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا الإسناد عند ابن أبي حاتم ^(٩) وابن مندة ^(١٠) وابن عساكر ^(١١) وغيرهم، وهو

إسناد ضعيف لأجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد سبق الكلام عنه ^(١٢).

٢- ما أخرجه أبو يعلى فقال : حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمر بن محمد عن

إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ^(١٣).

وهذا الإسناد فيه ضعف قال عنه الهيثمي : (فيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري

ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح) ^(١٤). ولكن إسماعيل

(١) الطبقات الكبرى (٢٨/١) .

(٢) المصنف (٢٦٦/٧ ح : ٣٥٩٤٤) مختصرا .

(٣) حم (١٢٧/٤ - ١٢٨ ح : ٢٢٧٠ ، ٤٤٦ - ٤٤٧ ح : ٢٧١٣) .

(٤) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .

(٥) العظمة (١٥٥٠/٥ ح : ١٠١٢) .

(٦) تاريخ مدينة دمشق (٣٩١/٧ - ٣٩٢ ، ترجمة أبي البشر آدم رضي الله عنه) .

(٧) انظر : (ص : ١٦١) .

(٨) انظر : تهذيب التهذيب (٢٦٦/٦ برقم : ٩٠٨٨ و ٢٦٨/٦ برقم : ٩٠٩٦) ؛ وتقرّب التهذيب (ص : ٦١٢ برقم : ٧٨٨٦) .

(٩) تفسير القرآن العظيم (١٦١٤/٥ ح : ٨٥٣٥) .

(١٠) الرد على الجهمية (ص : ٥٠ - ٥١ ح : ٢٤) .

(١١) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٥/٧ ، ترجمة أبي البشر آدم رضي الله عنه) .

(١٢) انظر : (ص : ٥٠٨ - ٥١١) .

(١٣) مسند أبي يعلى (٤٥٣/١١ - ٤٥٥ ح : ٦٥٨٠) في النسخة المطبوعة عمرو بن محمد ولكن الصواب عمر بن

محمد، وهو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله العمري .

(١٤) مجمع الزوائد (١٩٧/٨) .

ابن رافع لم ينفرد برواية هذا الحديث عن سعيد المقبري؛ فقد تابعه الحارث بن عبد الرحمن على ذلك، وبذلك يتقوى هذا الطريق، وينجبر ضعفه، فيصل إلى درجة الحسن لغيره، وسيأتي ذكر رواية الحارث بن عبد الرحمن في الطريق الرابع .

٣- ما جاء من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح [السمان] عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا الإسناد عند ابن سعد ^(١) والترمذي ^(٢) وأبي يعلى ^(٣) وابن مندة ^(٤) والحاكم ^(٥) وابن عساكر ^(٦) وغيرهم، هو إسناد لا يقل عن درجة الحسن لذاته، فإن رجاله كلهم ثقات ما عدا هشام بن سعد المدني فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق له أوهام ورمي بالتشيع) ^(٧) ولكنه روى هذا الحديث عن زيد بن أسلم، وقد قال الإمام أبو داود : (هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم) ^(٨) ، فهذا يرفع من شأنه، ويقلل احتمال وهمه في هذا الحديث، والله أعلم بالصواب.

٤- ما جاء من طريق محمد بن بشار ثنا صفوان بن عيسى ثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا الإسناد عند الترمذي ^(٩) وابن حبان ^(١٠) والحاكم ^(١١) وعند النسائي في (عمل اليوم واليلة) ^(١٢) والبيهقي ^(١٣)، وهما يلتقيان في الإسناد عند صفوان بن عيسى. وعند ابن أبي عاصم ^(١٤)

(١) الطبقات الكبرى (٢٧/١ - ٢٨) .

(٢) سنن الترمذي (التفسير ، سورة الأعراف ٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٦) .

(٣) مسند أبي يعلى (٢٦٣/١١ ح : ٦٣٧٧ و ٨/١٢ ح : ٩٠٤) .

(٤) الرد على الجهمية (ص : ٤٩ ح : ٢٣) .

(٥) المستدرك على الصحيحين (التفسير ، إعطاء آدم أربعين سنة من عمره لداود عليه السلام ٣٢٥/٢) .

(٦) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٤-٣٩٥ ، ترجمة أبي البشر آدم عليه السلام) .

(٧) تقريب التهذيب (ص : ٥٧٢ برقم : ٧٢٩٤) .

(٨) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٩/٦ ، ترجمة هشام بن سعد) .

(٩) سنن الترمذي (أبواب تفسير القرآن ، سورتا المعوذتين ، الباب الذي قبل الأخير ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨) .

(١٠) كما في الإحسان (التاريخ ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧) .

(١١) المستدرك على الصحيحين (الإيمان ، قصة خلق آدم ... ٦٤/١) .

(١٢) عمل اليوم واليلة (ص : ٢٣٧ ح : ٢١٨) .

(١٣) السنن الكبرى (ب : الاختبار في الإشهاد ١٤٧/١٠ ح : ٢٠٣٠٧) .

(١٤) السنة (٩١/١ ح : ٢٠٦) .

وابن جرير الطبري^(١) وابن مندة^(٢) بأسانيدهم، يلتقون عند الحارث بن عبد الرحمن، وهذا الإسناد كسابقه، لا يقل عن درجة الحسن لذاته؛ فإن رجاله كلهم ثقات ما عدا الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذباب الدوسي المدني، فإنه صدوق يهم^(٣).

٥- ما جاء من طريق محمد بن خلف عن آدم بن أبي أياس عن أبي خالد الأحمر عن الحارث بن عبد الرحمن عن يزيد بن هرمز عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا الإسناد كسابقه، رجاله كلهم ثقات ما عدا الحارث بن عبد الرحمن، وقد تقدم بيان حاله بأنه صدوق يهم، فهو في درجة الحسن لذاته .

٦- ما جاء بالإسناد السابق إلى أبي خالد الأحمر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ما عدا محمد بن عمرو فإنه صدوق له أوهام .
٧- ما جاء بالإسناد السابق أي : من طريق أبي خالد الأحمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .
وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات .

٨- ما جاء من طريق أبي خالد الأحمر السابق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .
وهذا الإسناد أيضا رجاله كلهم ثقات .

وهذه الأسانيد الأربعة الأخيرة عند النسائي في "عمل اليوم والليلة"^(٤) وابن جرير الطبري^(٥)، يلتقي فيها ابن مندة^(٦) وابن عساكر^(٧) بإسنادهما عند أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان الأزدي، والإسناد الأخير عند الحاكم^(٨)، وهو أيضا يلتقي بإسناده عند أبي خالد الأحمر .

(١) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .

(٢) الرد على الجهمية (ص : ٥٠ : ح : ٢٣ و ص : ٥٣ : ح : ٢٦) .

(٣) انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٤٦ : برقم : ١٠٣٠) .

(٤) عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨ : ح : ٢٢٠) .

(٥) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .

(٦) الرد على الجهمية (ص : ٥٣ : ح : ٢٦) .

(٧) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٤/٧-٣٩٥ ، ترجمة أبي البشر آدم عليه السلام) .

(٨) المستدرک على الصحيحين (الإيمان، قصة خلق آدم ... ٦٤/١) .

خلاصة ما تقدم : أن حديث عبد الله بن سلام يترجح جانب قبوله على رده؛ لأنه ليس من روايات المقبري من أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه بل هو من أحاديث عبد الله بن سلام؛ فيكون سالما مما يخشى عليه من قبل اختلاط ابن عجلان في مروياته عن المقبري، وأن حديث ابن عباس بطريقه وكذلك الطريق الأول من حديث أبي هريرة لم تصح أسانيدھا، وأن بقية الطرق من حديث أبي هريرة جيدة ثابتة، واحد منها حسن لغيره وهو الطريق الثاني، وأربعة منها حسنة لذاقھا؛ وهي : الثالث والرابع والخامس والسادس، وطريقان منها صحيحان لذاقهما وهما السابع والثامن .

ثانيا : إن هذا الحديث قد صححه جماعة من كبار أئمة الحديث منهم الترمذي وابن حبان والحاكم وابن مندة وابن العربي وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي والألباني ^(١) .

فيتين مما سبق أن هذا الحديث صحيح، ولا شك في صحته وثبوته، وأن ما ذهب إليه الشيخ عبد القادر بن شية الحمد - حفظه الله - من أنه لا يصح عن النبي ﷺ بحال قول غير صواب، مبني على عدم اطلاعه على طرق الحديث الأخرى الحسنة والصحيحة، والله أعلم بالصواب .

وأما ما يتعلق بجحود آدم ﷺ إعطاءه أربعين سنة من عمره لداود ﷺ، فيقال أولا : حديث المصطفى ﷺ صحيح صريح في ذلك، وإذا صح الحديث وجب على المؤمن قبوله والتسليم له . قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ لاهلّا مبينا ﴾ ^(٢) .

ثانيا : إن النسيان من الصفات البشرية، وليس آدم ﷺ هو النبي الوحيد الذي تعرض للنسيان؛ فقد تعرض لذلك غيره من الأنبياء أيضا، ولم يعتبر ذلك نقصا في حقهم أو هضما من شأنهم وكرامتهم، وجحود آدم إعطاءه داود ﷺ أربعين سنة من عمره إنما كان من أجل النسيان، فلا لوم ولا غضاظة على أبي البشر في ذلك ^(٣) والله أعلم بالصواب .

الحاصل : إن جحود آدم ﷺ إعطاءه أربعين سنة من عمره صحيح ثابت عن النبي ﷺ فيجب الإيمان به والتسليم له، وكان جحوده من أجل النسيان فهو معذور في ذلك، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) الأحزاب الآية : ٣٦

(٣) انظر : عارضة الأحوذ (١٩٩/١١)؛ ونحفة الأحوذ (٢١٦/٩)؛ وصحيح القصص النبوي للأشقر (ص : ٢٢) .

الفصل الثاني : دعوة آدم ﷺ.

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دلالة قصة ابني آدم على مسائل عقدية وأخلاقية في دعوة آدم ﷺ .

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها.

وقد اختلف أهل التفسير في بيان المراد من «ابن آدم» في هذه القصة على قولين :
القول الأول : إنهما رجلان من بني إسرائيل حصلت بينهما عداوة فقتل أحدهما الآخر . وهذا القول حكى عن الحسن البصري من طريق ضعيف ^(١) .
القول الثاني : إنهما ابنا لآدم من صلبه . وهذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين واختاروه ^(٢) . وهو الراجح، وذلك لما يلي :

١- قال تعالى : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ﴾ .

فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أن القاتل لما قتل أخاه لم يدر ما يفعل بجثته واحتار في أمره حتى جاء الغراب فعلمه أن يواري سوءة أخيه ويدفنه، فلو كانت هذه القصة جرت في بني إسرائيل لما خفي على القاتل أمر الدفن .

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل ^(٣) .

فقول النبي ﷺ : ((ابن آدم الأول)) يدل على أنهما ابنا آدم لصلبه، وأن الأول منهما قتل أخاه، ولو كان المقصود بهما رجلين من بني إسرائيل لم يصح أن يخبر عنه بالأول، وكذلك قول النبي ﷺ : ((إنه أول من سن القتل)) يدل على ضعف قول من قال : إنهما رجلان من بني إسرائيل؛ لأن القتل كان موجودا قبل بني إسرائيل ^(٤) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٩/٦)؛ وتاريخه (٩١/١)، وإسناده إليه ضعيف لأن فيه سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف وكذلك فيه عمرو بن عبيد، المشهور في الدعوة إلى الاعتزال، متروك في الحديث، متهم بالكذب، قال ابن كثير في تفسيره (٤٦/٢) عن هذا القول المحكي عن الحسن : (وهذا غريب جدا، وفي إسناده نظر) والغريب أن الحافظ ابن كثير نفسه حكم على هذا الإسناد بالصحة من قبل، وقد سبق ذكره والتعليق عليه . انظر : (ص : ٧٧٤) .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٩/٦-١٩٠)؛ وأحكام القرآن للحصص (٤٩/٤)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٥٨٩/٢)؛ والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٧/٥)؛ وزاد المسير (٣٣٢-٣٣١/٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٣٣/٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤٦/٢)؛ وفتح القدير (٣٠/٢)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٣٤١/٦)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢٧٨)؛ وأضواء البيان (٤٧/٢) .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٢٢) .

(٤) انظر : زاد المسير (٢٣٢/٢) .

٣- جاء في الحديث أن آدم عليه السلام لما مرض في آخر حياته واقترب أجله جاءه الملائكة : ((فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وأحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه في قبره، ووضعوا عليه اللبَن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم)) ^(١).

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام لما توفي دفنته الملائكة وعلمت بني آدم طريقة الدفن، وقصة ابني آدم تدل على أن هذا القتل هو أول موت في بني آدم، وأن القاتل لم يدر ما يفعل بجنة أخيه المقتول، فهذا يدل على أنهما ليسا من بني إسرائيل وإلا لما خفي على القاتل طريقة الدفن .

ثانيا : ذكر بعض المسائل العقديّة والأخلاقيّة في دعوة آدم عليه السلام المستنبطة من هذه القصة .

هذه القصة مشتملة على فوائد جليّة، وفيها إشارات إلى بعض تلك المبادئ التي قامت عليه دعوة آدم عليه السلام، وفيما يلي ذكر ما تيسر منها، والله الموفق .

١- الإيمان بالله تعالى ومعرفة بعض صفاته سبحانه : هذه القصة تدل على أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يؤمنون بالله تعالى، وكانوا يعرفون أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وأنه قادر على أن يجزي الحسن بإحسانه والمسيء على إساءته، وأن المسيء لا يستطيع أن يفلت من بطش الله وعقابه وعذابه، وأنه سبحانه وتعالى عدل، يحب العدل فهو سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم ويستوفي منه حق المظلوم، وأنه سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا .

٢- الإيمان بيوم البعث والحساب والجزاء، والاعتقاد بوجود حياة أخروية بعد الحياة الدنيوية : هذه القصة فيها دلالة على أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يؤمنون باليوم الآخر، وكانوا يعلمون أن الناس ليس لهم خلود في هذه الحياة الدنيا بل لهم وقت محدود ويوم موعود يصيرون فيه إلى ربهم عز وجل، فيحاسبهم ويجازيهم حسب أعمالهم، فالمسيء يكون مصيره إلى النار جزاء منه سبحانه وعدلا، والحسن يكون

(١) حديث صحيح مرفوعا وموقوفا، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٣٣) .

مصيره إلى دار كرامته ورضوانه رحمة منه سبحانه وفضلا .

٣- وجوب التقوى والإخلاص لله تعالى في العبادة : هذه القصة تبين أن أولاد آدم عليه السلام لم يكونوا مشركين بالله شيئا بل كانوا يعبدون الله وحده، فكانوا يتقدمون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يرجون رحمته ويخافون عذابه، وكانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا العبادات التي تكون قائمة على الإخلاص والتقوى، وكانوا يعلمون أن العبادة يجب أن تكون كلها خالصة لله جل وعلا، وأن تكون قائمة على محبة العابد لمعبوده، فيقدم العبد أنفس وأخلص ما لديه، وبذلك تكون عبادته مقبولة عند ربه جل وعلا .

٤- معرفة الصفات السيئة والحذر من التخلق بها : هذه القصة فيها إشعار بأن أولاد آدم عليه السلام كانوا يعلمون أن الصفات المذمومة يجب الحذر منها؛ فالبنخل، والشح، والحسد، والغرور، والتكبر، والجناية على الآخرين، وقتل النفس بغير حق ... هذه كلها صفات مذمومة، لا تعود على أهلها إلا بالشر والخسارة والندامة في الدنيا والآخرة - كما حصل مع القاتل أخاه - فيجب الحذر منها .

٥- معرفة الصفات الحسنة ووجوب التحلي بها : هذه القصة تدل على أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يعلمون أن الصبر وصلة الرحم والبر بالأقارب والانكسار والتواضع، ومقابلة الشر بالإحسان، ووصل من قطع، وإعطاء من منع، والإحسان إلى من أساء... هذه كلها من كريم الأخلاق وجميل الصفات وحميد الخصال، وأن التمسك بها مطلوب، وأن من فعله ابتغاء مرضات الله تعالى، وطلباً لرحمته ومحبه ومغفرته ودار كرامته جل وعلا فله أجر عظيم وثواب جزيل، كما فعل المقتول .

٦- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة : هذه القصة تبين أن ابن آدم المقتول دعا أخاه القاتل إلى النظر في تقصيره والبحث عن سبب حرمانه، وأرشده في أسلوب لطيف إلى سبيل الفوز والفلاح، وذلك أن القاتل منهما لما هدد أخاه بالقتل، وقال له : «لأقتلك» أجابه الأخ المقتول جواباً في غاية الأدب والحكمة والنصح، فقال : «إنما يقبل الله من المتقين» . فهذا الجواب فيه دعوة منه لأخيه أن ينظر إلى سبب حرمانه، فيحاول إزالته، وبيان منه أنه لا دخل له في عدم قبول قربانه عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل إلا من المتقين، فكن متقياً لله تعالى في عملك، وأخلص نيتك له سبحانه سيتقبل منك. وأما هذا الذي قلته لي بأنك ستقتلني، فذلك شيء لا يتفعل، بل يضرك؛ فإنه يوصلك إلى غضب الجبار،

ويؤديك إلى النار، وبئس القرار، فعليك بالاجتهاد في تقوى الله وإخلاص النية له والخوف منه سبحانه، وهذا هو سبيل النجاة والفوز والفلاح والقبول عند الله تعالى ^(١).

٧- الإمساك عن إشهار السيف وعدم مقابلة الاعتداء بالاعتداء : هذه القصة تبين أن الشريعة التي أرسل بها آدم ﷺ إلى بنيه كانت تمنعهم من الخوض في الفتن، وكانت تحثهم على إخماد نار الفتنة، وكانت تأمرهم بالإمساك عن إشهار السيوف وقتال بعضهم لبعض، وإن بغى أحد منهم على غيره فالأفضل له أن يدافع بما دون القتال ولو أدى ذلك إلى إزهاق روحه كما فعل خير ابني آدم حيث امتنع أن ييسط يده إلى أخيه ليقتله، خوفا من الله سبحانه وتعالى ولكنه دافع عن نفسه بما دون القتال فبين لأخيه القاتل أنه لم يفعل جرما ولم يأت إثما يوجب قتله، وأنه لا دخل له في عدم قبول قربانه عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل إلا من المتقين، فكان متقيا لله تعالى في عملك سيتقبل منك. وبين له مضرة القتل والظلم بأنه موصل إلى غضب الجبار ومؤد إلى النار.

وهذا الموقف شبيه بموقف عثمان بن عفان ؓ الخليفة الثالث الراشد، وذلك حين ثار الثوار عليه وأرادوا قتله واغتياله، فقام له جماعة من الصحابة يدافعون عنه ويناصرونه إلا أن عثمان بن عفان ؓ منعهم صونا لدماء المسلمين وقال : (إنما يراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي) ^(٢).

قال أيوب السخيتاني : (إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة «لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بياسطيدي إليك لقتلك إني أخاف الله رب العالمين» لعثمان بن عفان رضي الله عنه) ^(٣).

وقال البغوي : (قال عبد الله بن عمرو : " وأيم الله! إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن ييسط إلى أخيه " ^(٤) يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه) ^(٥).

(١) انظر : روح المعاني (١١٢/٦)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٣٤٢/٦-٣٤٣) .

(٢) تهذيب الكمال (٤٥٦/١٩) ، ترجمة عثمان بن عفان .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤٤/٢)، والسخيتاني هو أيوب بن كيسان السخيتاني، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، توفي سنة ١٣١هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١١٧ برقم : ٦٠٥) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩١/٦)، ورجال إسناده كلهم ثقات ما عدا أبا المغيرة القواس، فهو لا يعلم اسمه، ولم يرو عنه غير عوف بن أبي جميلة العبدي، وقد ضعفه سليمان التيمي ولكن وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : الجرح والتعديل (٤٣٩/٩)؛ والثقات (٥٦٥/٥)؛ والمقتنى في سرد الكنى للذهبي (٩٤/٢)؛ ولسان الميزان (١٠٩/٧) .

(٥) معالم التنزيل (٢٩/٢)، وانظر : المحرر الوجيز (٧٧/٥)؛ والتحريير والتنوير من التفسير (١٧١/٦) .

ويؤيد هذا التفسير ما جاء عن النبي ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة فتنة كقطع الله المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً... فإن دخل بغى على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم^(١).
وعن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (... ولتكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، فإن الرجل يكون في فئة الإسلام فيأكل مال أخيه، ويسفك دمه، ويعصي ربه، ويكفر بخالقه، وتجب له النار^(٢)).

فيجب الإمساك عن الخوض في الفتن والحروب الدائرة بين المسلمين ولا يجوز إشهار السيف في رقاب المسلمين، وإن بغى أحد من المسلمين على غيره؛ فالأفضل الدفاع بما دون القتال ولو أدى ذلك إلى إزهاق روحه، كما فعل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٣)، وكما فعل خير ابني آدم، وإن قاتل الباغي دفاعاً عن نفسه أو عرضه أو ماله فقتل الباغي يكون دمه هدراً وإن قتله الباغي يكون شهيداً، والله أعلم بالصواب .

٨- معالجة النفس عند شهواتها المحرمة وعدم اتباع هواها^(٤): هذه القصة تبين

(١) أخرجه حم (٥٠٤/٣٢ : ١٩٧٣٠)؛ ود (الفتن والملاحم، ب : النهي عن السعي في الفتنة ١٠٠/٤ : ٤٢٥٩)، واللفظ له؛ وت (أبواب الفتن، ب : ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة ٤٩٠/٤ : ٢٢٠٤)؛ وحب كما في الإحسان (الزهن، ب : ما جاء في الفتن، ذكر البيان بأن على المرء عند الفتن أن يكون مقتولاً لا قاتلاً ٢٩٧/١٣ : ٥٩٦٢)؛ والبيهقي في الكبرى (قتال أهل البغي، ب : النهي عن القتال في الفرقة، ومن ترك قتال الفئة الباغية خوفاً من أن يكون قتالاً في الفرقة ١٩١/٨) قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب صحيح) وفي تحفة الأحوذى (٣٧١/٦) : "حسن غريب"، وصححه العلامة الألباني في (إرواء الغليل ١٠٢/٨) على شرط البخاري، وذكر له شواهد كثيرة .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٧/٢ : ١٧٢٤) قال الألباني : (هذا إسناد جيد)، وذكر له متابعا . انظر : (إرواء الغليل ١٠٣-١٠٤) .

(٣) إن عثمان بن عفان كان قد بين للنوار أنه لا يستحق أن يعامل بهذه المعاملة، فقال لهم : إن بئر رومة التي تشربون من مائها أنا اشتريتها بمالي وجعلتها للمسلمين فكيف لكم أن تمنعوني من مائها ؟ وأن المسجد النبوي لما ضاق بالمسلمين اشتريت لها أرضاً وأضفتها إلى المسجد فكيف لكم أن تمنعوني من الصلاة فيها ؟ فهو بهذا دافع عن نفسه دفاعاً دون القتال ولكنهم لما حملوا عليه السلاح استسلم لهم، ولم يقابلهم بالسلاح، صونا لدماء المسلمين، وأخذوا بالأفضل، وكان ذلك في عهد الصحابة وحضورهم وعلمهم، ولو كان ذلك غير جائز لم يفعله عثمان رضي الله عنه، ولم يقره الصحابة على ذلك، والله أعلم بالصواب . انظر تفاصيل ما دار بينه وبين الثوار في : تمذيب الكمال (٤٥٣/١٩)، ترجمة عثمان بن عفان .

(٤) انظر هذه الفائدة وكذلك التي بعدها في كتاب : قصص وعبر لحمد المجذوب (ص : ٢٧-٢٨) .

أن ابن آدم القاتل اتبع شهوات نفسه المحرمة حتى سيطرت على قلبه وغلبت على عقله فطوعت له قتل أخيه فقتله فكان من الخاسرين .

وأما ابن آدم المقتول فهو عالج شهوات نفسه المحرمة بالشعور بمراقبة الله سبحانه وتعالى، والوقوف عند أوامره ونواهيه، والالتزام بشرعه، فلم ييسط يده إلى أخيه ليقتله خوفا من الله سبحانه وتعالى، فكان من الفائزين .

فينبغي معالجة النفس عند شهواتها المحرمة بالشعور بمراقبة الله سبحانه وتعالى، والالتزام بشرعه والوقوف عند حدوده حتى نكون من الفائزين .

٩- الأمر بدفن الميت مع الإحسان والاحترام والتكريم : هذه القصة فيها دلالة على أن هذا المقتول هو أول من مات من بني آدم ولذلك احتار القاتل ولم يدر ما يفعل بجثة المقتول فبين الله سبحانه وتعالى له طريقة الدفن بواسطة الغراب، إكراما للميت واحتراما له. ففي هذه القصة إرشاد من الله سبحانه وتعالى للأحياء وبيان لواجبهم الأول تجاه إخوانهم الميتين، فالأحياء يجب عليهم أن يقوموا بدفن من مات من إخوانهم، ففي دفن الميت وقبره إحسان إليه وبر به وتكريم وحفظ له من الإهانة والإذلال^(١).

١٠- الدلالة على نبوة آدم عليه السلام : هذه القصة فيها دلالة على أن أولاد آدم عليه السلام

(١) وكذلك هذه القصة تبين أن دفن الميت في الأرض هي الطريقة الأولى المثلى، وفي ذلك رد على أولئك الذين لا يدفنون موتاهم، مع قدرتهم على الدفن في الأرض، فيتركون موتاهم في الصحاري والبراري للوحوش والضواري أو يرمونهم في البحار والأنهار أو يحرقونهم بالنار ثم يثرون الرماد في الفضاء فيكدرون به الهواء، كما يرمونه في البحار والأنهار، فيكدرون الماء المصفى ويجعلونه غير صالح للشرب والاغتسال، حتى إن تصفية تلك المياه وتخليتها يأخذ قسطا كبيرا من ميزانية الفرد والمجتمع والدولة، ومع ذلك يصرون على هذه الطرق القبيحة التي فيها مشقة عليهم في بدفهم ومالهم، وإرهاق لهم ولأقاربهم، والأهم من ذلك فيها إساءة للميت وإهانة وتعذيب له. وأحيانا يشعرون بذلك في أنفسهم، ولذلك منهم من يوصي أبناءه وأقرباءه عند وفاته بأن يغسلوه ويدفنوه على طريقة المسلمين، وإن لم يعرف بعض من اعتنق منهم الإسلام، وفر من دين آباءه وأجداده، وترك تقاليدهم الباطلة؛ وخرج من ظلمة الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإسلام، وذلك تأثرا منه لما عند المسلمين من إكرام الميت وحسن تجهيزه وتكفينه ودفنه، وهذا يدل على حسن دين الإسلام وسمو تعاليمه وتطابقه بالفطرة السليمة في كل أوامره ونواهيه وجميع تشريعاته، ويطلب منا معشر العلماء والطلاب أن نقوم بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى ننقذ أولئك التائهين في بيداء الضلال ونخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والشرك إلى دين الفطرة والتوحيد والإسلام لله جل وعلا .

كانوا على رسالة وشريعة ومنهج وهداية من الله سبحانه وتعالى، فهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقربون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يعرفون أهمية الخوف من الله والإخلاص له سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة، وأنه سبحانه لا يتقبل إلا ما كان قائما على التقوى والإخلاص، وكانوا يعلمون أن هناك ثوابا وعقابا من الله سبحانه وتعالى، وأن الظالمين لهم عذاب النار. فهذا كله يشعر بنبوة آدم عليه السلام، وأن الله سبحانه وتعالى كان أوحى ذلك كله إليه، وعن طريقه علم أبنائه هذه الأمور المهمة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق الفاضلة ^(١).

١١- الدلالة على أن الأصل في بني آدم التوحيد : هذه القصة تبين أن آدم عليه السلام وأولاده وأهله لم يكونوا كافرين ولا مشركين بل كانوا يؤمنون بالله تعالى وكانوا على التوحيد الخالص لله جل وعلا. ففيها تقرير وتأييد لقول من قال إن الأصل في بني آدم هو التوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة كلها، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وردّ على من زعم عكس ذلك، سيأتي الكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله ^(٢).

(١) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٢) انظر : (ص : ٨١٧-٨٢٧) .

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

لا شك أن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيا وكان موحدًا وداعية إلى التوحيد، فكان هو وبنوه على التوحيد الخالص لله جل وعلا ثم انحرف بعض بنيهِ عن التوحيد وضل عن الصراط المستقيم، فوقع في الشرك بالله تعالى . وقد اتفقت جميع الشرائع السماوية على كون التوحيد هو الأصل في الإنسان، وعلى كون الشرك شيئا طارئا عليهم، ولم يخالفهم في ذلك إلا من شذ منهم. والأدلة على ذلك كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١- الغاية الكبرى من خلق الخلق وإيجاد الكون هي أن تكون العبادة كلها لله

تعالى، فهي تقتضي أسبقية التوحيد وتقدمه على الشرك . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ ^(٣).

فالله سبحانه وتعالى بين في هذه الآيات أن الغاية العظمى والحكمة الكبرى من خلق الجن والإنس هي أن يكونوا مخلصين في عبادتهم لله سبحانه وتعالى، وألا يجعلوا معه ندا، ولا يشركوا به أحدا؛ ولذلك جعل لهم الأرض فراشا، والسماء بناء، وأنزل الأمطار، وأخرج الأرزاق والأقوات وما إلى ذلك من النعم والمنافع التي أغدقها عليهم وسخرها لهم. فإذا كان الله سبحانه وتعالى ما خلقهم إلا لعبادته؛ وما أسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى إلا لأجل عبادته ^(٤) فمحال أن يترك عباده أزمانا متطولة يتخبطون في بيداء الكفر والشرك والضلال والظلام، بحيث لا يعرف أحد منهم أن الذي خلقهم ورزقهم وأنعم عليهم بهذه النعم

(١) الذاريات الآية : ٥٦

(٢) الطلاق الآية : ١٢

(٣) البقرة الآيتان : ٢١-٢٢

(٤) قد سبق الكلام عن الحكمة من خلق الجن والإنس بشيء من التفصيل . انظر : (ص : ٢٧-٤٠) .

كلها هو الله سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة كلها؛ فإن ذلك يخالف مقتضى الحكمة التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسخره للإنسان .

٢- أبو البشر آدم عليه السلام يحمد الله رب العالمين في أول لحظة من حياته : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله آدم عطس، فألممه ربه أن قال : الحمد لله، فقال له ربه : يرحمك الله، فلذلك سبقت رحمته غضبه ^(٢).
فآدم عليه السلام هو أول من خلقه الله من البشر، وبعد أن تم خلقه ونفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه، أخذته عطاس فعرف بإلهام الله إليه وجوب حمد الله وشكره عليه، فحمد الله رب العالمين فور خلقه، فأول كلمة قالها أبو البشر هي كلمة حمد وشكر وإجلال وتعظيم وعبادة لله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٣- لجوء آدم وحواء - عليهما السلام - إلى الله تعالى وتوبتهما إليه سبحانه : إن آدم وحواء عليهما السلام لما وقعا في معصية الله تعالى بأكلهما من الشجرة المحرمة في الجنة، لم يلتجئ أحد منهما إلى غير الله سبحانه وتعالى، وإنما تابا إلى ربهما، وطلبا منه سبحانه وتعالى أن يغفر لهما ويرحمهما. قال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٣).

فالأبوان اعترفا بظلمهما وتقصيرهما، وأظهرا ندمهما وعجزهما وضعفهما أمام الله سبحانه وتعالى، وأيقنا أن الخسارة والهلاك سيكون مصيرهما إن لم يتداركهما الله سبحانه وتعالى بمغفرته ورحمته، ولذلك أحلصا التضرع والدعاء، ولا شك أن هذا من أعظم درجات التوحيد وأعلاه، وفي ذلك أوضح دليل على أن التوحيد قبل الشرك .

٤- إن الله سبحانه وتعالى نزل هداية على آدم عليه السلام وبنيه الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشقاء : إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبوين من الجنة قال

(١) حديث صحيح وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٣) .

(٢) حديث لا يقل عن درجة الحسن، وقد سبق تخريجه في (١٤٣) .

(٣) الأعراف الآية : ٢٣

لهما : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو وإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ^(٢) .

فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه لما أخرج الأبوين من الجنة إلى الأرض، وعدهما بأنه سيزل عليهما هدايه، فآدم عليه السلام لم تنقطع علاقته بالله تعالى بعد نزوله إلى الأرض، بل لم يزل يتلقى من ربه تبارك وتعالى وحيه وهدايه الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشقاء، ولا ضلال ولا شقاء أكبر من الانحراف عن التوحيد والوقوع في الشرك الذي يوجب غضب الجبار والخلود في النار، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٥- إن آدم عليه السلام نبي فهو معصوم عن الكفر والشرك : إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج أبا البشر آدم عليه السلام من الجنة وأنزله إلى الأرض، أنزله بصفحة بيضاء ودرجة علياء فقد أنزله الله تعالى وقد بشره باختياره له نبيا . قال تعالى : ﴿ ثم اجتبه ربه فتأب عليه وهدى * قال اهبطا منها جميعا ﴾ ^(٣) فأبو البشر كان نبيا ^(٤)، والنبي لا يجوز عليه الكفر والشرك بالاتفاق ^(٥)، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٦- إن أبا البشر آدم عليه السلام لم يشرك بالله قط، وإنما كان على التوحيد الخالص . فقد جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فيقولون له : (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول : ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده

(١) البقرة الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) طه الآيتان : ١٣٢-١٢٤

(٣) طه الآيتان : ١٢٢-١٢٣

(٤) قد سبق الكلام عن نبوة آدم عليه السلام وذكر الأدلة عليها. انظر : (ص : ٧٠٥-٧١٤) .

(٥) انظر : (ص : ٧٣٢-٧٤٨) .

مثله، ونهاني عن الشجرة، فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ... الحديث (١).

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام الذي هو أبو البشر عليه السلام وأصل الناس كلهم - لم يشرك بالله تعالى قط؛ إذ لو كان قد وقع منه شرك لاعتذر به عن الشفاعة إلى الله تعالى، كما اعتذر بالأكل من الشجرة، فإنه ليس من المعقول أن يعتذر آدم عليه السلام بالأخف والأدنى، ويترك الاعتذار بالأشد والأغلظ، فعدم اعتذاره بالوقوع في الشرك يدل على عدم وقوعه فيها، ويدل على كونه على التوحيد، وفي ذلك دليل على كون التوحيد قبل الشرك (٢).

٧- إن آدم عليه السلام علم أبناءه ما أوحى إليه من توحيد الله جل وعلا : قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٤).

فالله سبحانه وتعالى أخبر أن جميع الأنبياء والمرسلين أوحى إليهم بالتوحيد وإفراد الله وحده بالعبادات كلها، وأن كل أمة أرسل إليها رسول من الله سبحانه وتعالى يدعوهم إلى عبادة الله وحده . ولا شك أن آدم عليه السلام كان نبيا من الله سبحانه وتعالى، فهو أيضا كان مأمورا بعبادة الله وحده بوحي من الله إليه، وكان مأمورا بالدعوة إليها وتعليمها وتلقينها لأبنائه وذريته، ويؤكد هذا الوجه ويقويه الوجه التالي .

٨- قصة ابني آدم تدل على تمسك الأولين بالعقيدة الصحيحة وإخلاصهم العبادة

لله جل وعلا. فقد حكى الله سبحانه وتعالى علينا قصتهما فقال عز من قائل : ﴿ واثق عليهم بنأى ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ * لن بسطت إلي يدك لتقتلي ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ * إني أريد أن تبوء يا بنى واثقك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ (٥).

(١) جزء من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١١).

(٢) انظر : (ص : ٧٨١) .

(٣) الأنبياء الآية : ٢٥

(٤) النحل الآية : ٣٦

(٥) : المائدة الآيات : ٢٧-٣٠

فهذه القصة فيها بيان للعقيدة التي كان عليها آدم عليه السلام وبنوه؛ فهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا إذا كانت قائمة على الإخلاص والتقوى لله وحده سبحانه وتعالى، وكانوا يخافون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقربون بالقرايين إلى الله وحده سبحانه وتعالى، فهذا يدل دلالة واضحة على أن التوحيد قبل الشرك ^(١).

٩- إن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على وحدانيته وربوبيته : لقد سبقت الأدلة من الكتاب والسنة ^(٢) على أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره في عالم الغيب قبل عالم الشهادة الذي نحن فيه، وأنه سبحانه وتعالى أخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، وأنه أشهدهم على أنفسهم، فشهدوا به على أنفسهم واعترفوا بوحدانية الله تعالى وربوبيته، فهذا يدل على أن التوحيد هو الأصل في بني آدم دون الشرك .

١٠- إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس كلهم على الفطرة السليمة المستلزمة لتوحيد الله وإفراده وحده سبحانه بالعبادة كلها : إن الله سبحانه وتعالى كما أخذ الميثاق من ذرية آدم على وحدانيته وربوبيته في عالم الغيب، فكذلك فطرهم في عالم الشهادة على فطرة التوحيد الخالص والإسلام لله وحده سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣).

فهذه الآية تدل على أن العباد مفلطرون على الإقرار بالرب والإسلام والتوحيد له سبحانه، وأن هذا هو الأصل في بني آدم .

ويشرح ذلك ويؤكد ما جاء عن الصادق المصدوق عليه السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول

(١) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٢) انظر : (ص : ٦٠٥ - ٦١٣) .

(٣) الروم الآية : ٣٠

أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ ^(١)
فهذا الحديث يدل على أن الأصل سلامة الفطرة وكونها مجبولة على التوحيد، وأن الانحراف عنها والوقوع في الشرك شيء طارئ خلاف الأصل كما أن سلامة البهائم من العيوب الجسدية هو الأصل في خلقها ولكن قد يطرأ عليها التغير بعد ذلك للمؤثرات الخارجية من البتك والقطع ^(٢).

قال العلامة ابن القيم : (فجمع عليه الصلاة والسلام بين الأمرين : تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما، فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة) ^(٣).

وعن عياض بن حمار الجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ... الحديث ^(٤).
فيتبين مما سبق أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس كلهم على الفطرة السليمة، المستلزمة للدين الحنيف، وأن الناس كلهم كانوا بعيدين عن الشرك، ثم اجتالتهم الشياطين، فأوقعتهم في الشرك، فالتوحيد أسبق وأقدم من الشرك .

١١ - كان الناس كلهم في القرون العشرة الأولى على شريعة الحق والهدى والصراط

المستقيم . قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦١٥) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٥/٤) .

(٣) إغاثة اللهفان (١٠٧/١) .

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٧٩) .

ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم^(١).

ذهب جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية أن الناس كلهم في أول أمرهم كانوا أمة واحدة على الهدى والتوحيد وشرعية الحق، ثم حصل فيهم الخلاف، فوقع بعضهم في الانحراف والضلال والشرك واتخاذ الآلهة وعبادة الأوثان والأصنام مع الله سبحانه وتعالى وهذا هو المنقول عن السلف في تفسير الآية وبيان المراد منها .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين^(٢).

وقال قتادة : كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ فكان أول نبي بعث نوح^(٣).

وقال عكرمة : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام^(٤).

وقال الحافظ ابن كثير : (أخبر الله تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام . قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة)^(٥).

ويؤيد هذا التفسير ما جاء في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - : { كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين }^(٦).

(١) البقرة الآية : ٢١٣

(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سبق تخريجه في (ص : ٧١٩) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٥/٢)، وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢/١ و ٥٣) بإسناد رجاله كلهم من رواة الكتب الستة وكلهم ثقات ما عدا قبيصة بن عقبة السوائي فإنه صدوق فالإسناد حسن لذاته، وكذلك أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٩/٢٩) ولكن إسناده ضعيف جدا .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤١١/٢ ، يونس : ١٩) .

(٦) انظر : تاريخ الأمم والملوك (١١١/١)؛ والمستدرك على الصحيحين (التاريخ، ذكر نوح النبي ﷺ ٥٤٦/٢)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٥٠/١)؛ ومعجم القراءات القرآنية (٣٠٧/١) .

وكذلك يؤيده قوله تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ﴾ ^(١).

١٢- لو كان الناس كلهم في أول أمرهم على الضلال والخلاف والشرك والكفر لقضي بينهم وانتهى منهم . قال تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ ^(٢) .

هذه الآية كالتّي قبلها في الدلالة على أن التوحيد قبل الشرك، وأن الناس كلهم كانوا على هدى وشريعة الحق ثم اختلفوا فوق بعضهم في الشرك، وترداد دلالة على كون التوحيد قبل الشرك بأن الله سبحانه وتعالى توعد على الاختلاف فقال : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ .

فهو سبحانه توعدهم على الاختلاف، ولم يتوعدهم على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، فلو كان اجتماعهم قبل الاختلاف على الكفر والشرك ثم كان الاختلاف بعد ذلك بحيث انتقل بعضهم إلى الإيمان والتوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة لكان الوعد والبشارة من الله سبحانه وتعالى أولى بحكمته ورحمته ورضوانه دون الوعيد والتخويف والتهديد لأنها حالة توبة وإنابة ورشد وهداية، ولأنها حالة إيمان بالله وعودة إلى عبادته وحده سبحانه، والتزام بما يرضى به الرب ويفرح به فمحال أن يتوعدهم في هذه الحالة الموجبة لرضى الرحمن ورحمته ويترك ذلك في حالة اجتماع الجميع على الكفر والشرك الموجب لغضب الله وعقابه .

١٣- قصة وقوع الشرك في بني آدم تدل على أسبقية التوحيد : قال ابن عباس

- رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ ^(٣) : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصابا وسموها

(١) يونس الآية : ١٩

(٢) يونس الآية : ١٩

(٣) نوح الآية : ٢٣

بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبت (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام - حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان - بدعة من تلقاء أنفسهم لم يترل الله بها كتابا، ولا أرسل بها رسولا؛ بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الخائدة... فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه ...) (٢) .

قال أبو السعود : (إن التوحيد والإسلام ملة قديمة، أجمعت عليها الناس قاطبة فطرة وتشريعا، وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة) (٣) .
فيتبين مما سبق من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف أن التوحيد هو الأصل في الإنسان وأنه قديم قدم البشرية على هذه المعمورة، وأن الشرك شيء طارئ عليهم وهذا هو الحق والصواب، والله أعلم بالصواب.

(١) أخرجه خ (التفسير، ب : «ولا تذرنا ولا سواها...» [نوح : ٢٣] ١٨٧٣/٤ ح : ٤٦٣٦) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٠٣/٢٨ - ٦٠٤)، وانظر : (٣٢١/١) .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٢/٤)، يونس : ١٩ .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها .

لا شك أن التوحيد هو الأصل في بني آدم، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وهذه هي الحقيقة القاطعة التي يثبتها النقل الصحيح، وتؤيدها العقول السليمة ولكن زعم كثير من الباحثين في العصر الحديث من الملاحدة وغيرهم أن الشرك أسبق في الوجود على الأرض من التوحيد، وأن الإنسان قبل أن يصل إلى عقيدة التوحيد مر بعدة مراحل تطورية، فزعموا أنه كان في المرحلة الأولى يعبد آلهة كثيرة وأربابا متعددة، ثم تطور من هذه المرحلة، فبدأ يرجح بين الآلهة الكثيرة التي كان يعبدها من قبل، وجعل يتنازل عن بعضها حتى قل عدد الآلهة قبل المرحلة الأخيرة، ثم تطور في الآونة الأخيرة ووصل إلى مرحلة أخيرة، وهي مرحلة الوحدانية؛ أي : عبادة معبود واحد^(١)، ولا يلزم أن يكون ذلك المعبود هو الله سبحانه وتعالى، فقدماء المصريين عبدوا الشمس وحدها في فترة من الفترات وسموها (رع) واعتبر هذا نوعا من الوحدانية^(٢) .
وأما الوحدانية بمعنى عبادة الله وحده وترك ما سواه من الأصنام والأوثان فقد اعتبرها بعضهم حديثة جدا، بل زعم بعضهم أنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي^(٣) .
والقول بتطور العقيدة من الشرك والخرافة والوثنية إلى الوحدانية نادى به أنصار مذهب التطور التقدمي منهم (سبنسر Spencer وتيلور Tyjor وفريرز Frazer ودور كايم Durkheim وغيرهم^(٤))، ووافقهم على هذه الخزعبلات بعض من يسمى بالمفكرين الإسلاميين المعاصرين

(١) انظر : كتاب : الله جل جلاله للعقاد (ص : ٢٣) وما ذكره الدكتور عمارة نجيب في : الإنسان في ظل الأديان (ص :

٧٢)؛ والدكتور محمود بن الشريف في (الأديان في القرآن ص : ٢٩)؛ وأحمد عبد الغفور في (الديانات والعقائد في مختلف العصور ٦٣/١) والشيخ عبد القادر بن شبية الحمد في (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص : ٩-١٠) .

(٢) انظر : كتاب : الله جل جلاله (ص : ٢٦)؛ وما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠)

والشيخ عبد القادر بن شبية الحمد في (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص : ١٠) .

(٣) انظر : ما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٧) .

(٤) ذكره عنهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٧) .

منهم عباس محمود العقاد^(١) وعبد الكريم الخطيب^(٢) وثرثيا منقوش^(٣).

مناقشة المذهب التطوري :

كانت السطور المذكورة إجمالاً للمذهب التطوري للعقيدة الدينية، المذهب الذي حاول مناصروه كل محاولة لتزييف تاريخ البشرية، خدمة للمذاهب المادية الإلحادية وفيما يلي ذكر ملاحظات عامة حول هذا المذهب الباطل ثم تليها مناقشة تفصيلية لأدلتهم مع بيان بطلانها وفسادها .

أولاً : ملاحظات عامة حول المذهب التطوري تدل على فسادهِ وبطلانهِ :

١- قولهم بتطور الإنسان في عقيدته من الأساطير والخرافة والشرك إلى الوحدانية ناشئ من اعتقادهم أن الإنسان نشأ على هذه الأرض نشأة ذاتية، وتطور تطوراً ذاتياً، وأنه لم تكن به أية قوة علوية، ولم ترعه أية عناية إلهية، وأنه ليس مخلوقاً من نفس واحدة من قبل خالق حكيم عليم خبير ، فهذا القول مبني على أساسين باطلين: أولاً : إنكار الخالق جل وعلا. وثانياً : القول بتطور الإنسان تطوراً عضوياً ذاتياً وقد سبق بيان بطلان هذا القول من جوانب كثيرة وأوجه متعددة، فهي تدل على بطلان هذا القول وفساده^(٤).

٢- إن أنصار المذهب التطوري اختلفوا في بيان المعبود الأول، فتارة جعلوه من الحيوانات والحشرات، وتارة جعلوه من الأجرام السماوية، وتارة جعلوه من الجوامد الأرضية والقوى الطبيعية ... كما اختلفوا في باعث التدين وأسباب العبادة ؛ وذكروا لها عللاً واهية كالخوف من الحيوانات المفترسة والحشرات المؤذية والشعور بالضعف أمام الأجرام السماوية والقوى الطبيعية والدهشة من الأحداث المفاجئة أو الأحلام المنامية أو ضرورة الحالة الاجتماعية والتقليل من الأعمال الإجرامية أو الحرمان من التمتع الجنسي ...

(١) انظر : كتابه : الله جل جلاله (ص : ٧ و ٢٤ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٤-٣٥ و ٢٩٢) .

(٢) انظر : قضية الألوهية بين الفلسفة والدين (ص : ٧٠-٩٥ و ١٧٨-١٨٤) ؛ والقصص القرآني (ص : ٣٧٩-٣٨٤) .

(٣) انظر : التوحيد في تطورها التاريخي (ص : ٩١-٩٢ و ١٣٦) بواسطة كتاب : عقيدة التوحيد في القرآن

الكريم (ص : ٥٤) ؛ وكتاب : الشرك في القدم والحديث (١ / ١٩٤) .

(٤) انظر : (ص : ٢٢٤-٢٦٧) .

ومما إلى ذلك من العلل والأوهام والخرافات التي ذكروها، وهي كلها سواء في البطلان والضلال، وهم أنفسهم متنازعون فيما بينهم، ويرد بعضهم على بعض،^(١) ولم يستطيعوا أن يتفقوا على قول معين، وهذا دليل على ضعفهم واضطرابهم فيما ذهبوا إليه.

٣- إنهم بحثوا في أمم قد مضى عليها آلاف مؤلفة من السنين، وهي تعتبر في عالم الغيب الذي لا طريق للوصول إليه على وجه صحيح إلا عن طريق الوحي، فهم بحثوا في شيء خارج عن وسعهم وطاقتهم، واقتحموا بعقولهم فيما لا يستطيع العقل أن يخسوس ويبحث فيه؛ ولذلك كانت أقوالهم رجما بالغيب، وكانت أبحاثهم ونتائجها مناقضة للبحث العلمي والمنهج العلمي الصحيح.^(٢)

٤- لقد خاض هؤلاء في دراسة تلك الأحقاب السحيقة من تاريخ الإنسانية من غير براهين ولا أدلة بل بالافتراضات والتخمينات، وقد اعترف بذلك بعض مناصري هذا المذهب . يقول " هـ. د. ويلز " في معرض حديثه عن الفكر البدائي للإنسان بما فيه الدين : (ليس أمامنا الآن من سبيل إلا أن نركز على الاستنتاج والتخمين دون غيرهما في إجابتنا عن هذه الأسئلة)^(٣).

ويقول "ول ديورانت"^(٤): (وبالطبع لن يتاح لنا قط أن نعلم أي الأشياء في هذا العالم الفسيح كان أول معبود للإنسان)^(٥) ثم لجأ إلى الظن والتخمين لمعرفة أول المعبودات^(٦). فدراساتهم لتلك الأحقاب الموعلة في القدم ليست قائمة على الأدلة والبراهين، وإنما هي ظنون وأوهام وافتراضات وتخمينات، ومثل هذه الافتراضات العقلية

(١) انظر مجموعة من هذه الأقوال الباطلة والردود عليها في كتاب : الدين (ص : ١٠٦-١٦٦)؛ والإنسان في ظل الأديان

(ص : ٢٥ و ٣١ و ٦٠ و ٦٣)؛ والديانات والعقائد في مختلف العصور (١٩/١-٨٥)، والأديان دراسة تاريخية

مقارنة (القسم الأول : الديانات القديمة ص : ٢٧-٤٥)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٥٠-٦٤)؛

ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ١٣-٢٠)؛ والشرك في القدم والحديث (١٨٩/١-٢٠٠) .

(٢) انظر : الدين (ص : ١٠٨)؛ والأديان (ص : ٤٢)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٦٤) .

(٣) موجز تاريخ العالم (ص : ٤٥) .

(٤) أمريكي، له كتب في التاريخ والفلسفة، توفي عام ١٤٠٢هـ . انظر : أعلام أجناب (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٥) قصة الحضارة (١/١٥٢) .

(٦) انظر : المصدر السابق نفسه .

والتخمينات الوهمية لا تغني في المسائل اليسيرة الدنيوية فكيف يمكن الاعتماد عليها على مسألة كهذه تتعلق بالدين والعقيدة ؟ .

٥- هؤلاء زعموا أن الإنسان تطور في عقيدته من الشرك إلى التوحيد ولكنهم لم يطبقوا قاعدة التطور إذ معنى التطور في العلوم والفنون والحضارات وفي كل كائن حي مخلوق : أنها تبدأ في صورة ساذجة متحدة متجانسة، ثم تنتقل تدريجيا إلى نوع من التكثر والتركيب، تزداد به تعقيدا كلما بعدت عن أصلها. وواضح أن تطبيق هذا القانون التطوري بمعناه العلمي الحيوي على العقيدة الإلهية يستوجب أنها سارت أيضا من الوحدة إلى الكثرة، ومن النقاوة والسهولة واليسر إلى التعقد بالإضافة الأسطورية، والتراوات الخيالية التي لا ضابط لها من العقل السليم^(١).

٦- قد سبق في المبحث السابق ذكر وجوه كثيرة في ضوء أدلة قطعية من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، تدل على أسبقية عقيدة التوحيد في البشرية، وأنه قدم قدم البشرية على هذه المعمورة، وأن الشرك شيء متطفل ومرض طارئ عليها، فكل تلك الوجوه السابقة تدل على بطلان هذا القول وترد عليه^(٢).

ثانيا : ذكر ما تعلق به القائلون بتطور العقيدة من الخرافة والشرك إلى

التوحيد ومناقشته : اعتمد القائلون بتطور العقيدة من الشرك والخرافات والوثنية إلى التوحيد بما يلي^(٣):

١- دراسة بعض القبائل المنعزلة عن الأمم المتحضرة، والاستدلال بها على ديانة الإنسانية الأولى وعقيدتها .

(١) انظر : الدين (ص : ١١١) .

(٢) انظر : (ص : ٨٠٨-٨١٦) .

(٣) انظر ما قاله عباس محمود العقاد في كتابه : الله جل جلاله (ص : ٧ و ٢٧)؛ وكذلك ذكر عنهم هذه الأدلة مع الرد عليهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٨-١٠٩)؛ والدكتور عمارة نجيب في (الإنسان في ظل الأديان ص : ٧٧-١٠١)؛ والدكتور رشدي عليان وسعود الساموك في (الأديان ص : ٤٢-٤٤)؛ وشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف في (دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص : ٢٥-٢٩)؛ والدكتور سعيد محمد بابا سيلالي (أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم ص : ٩٩-١٠٢)؛ وأبو بكر زكريا في (الشرك في القدم والحديث ١/١٩٤-٢٠٠) وغيرهم .

٢- دعوى أن الحفريات دلتهم على أن الناس وقعوا في الشرك وتعدد الآلهة، وأن الإنسان عرف التوحيد متأخرا .

٣- قياس العقيدة على التطور في الصناعة المادية الحديثة، فزعموا أن الإنسان كما تطور في صناعته المادية فكذلك هو تطور في ديانته وعقيدته القديمة .

مناقشة ما تعلق به القائلون بتطور العقيدة الإنسانية من الخرافة والشرك إلى التوحيد وبيان بطلانه : إن هذه الأمور المذكورة التي اعتمد عليها أصحاب المذهب التطوري العقدي كلها باطلة لا تصلح للاعتماد عليها ولا يصح الاستدلال بها وبيان ذلك بما يلي :

أولا : إن دراستهم لبعض القبائل المنعزلة عن الأمم المتحضرة، واستدلالهم بها على ديانة الإنسانية الأولى وعقيدتها باطل من وجوه، وهي كما يلي :

١- إن المنهج الذي سلكه القائلون بنظرية التطور حتى توصلوا لما توصلوا إليه من نتائج تطورية، هو منهج خاطئ، لأن مقارنتهم كانت لا تفرق بين الدين الصحيح والخرافات الأسطورية الهمجية التي كانت منتشرة عند الشعوب القديمة عن الأرواح والأحلام وما إلى ذلك، فجعلوا عقيدة التوحيد على قدم المساواة بالعقائد الأخرى الباطلة، فهم لا يفرقون بين اليهودية والنصرانية والمجوسية والبوذية والهندوكية، وسائر أنواع الشرك من جهة وبين الإسلام من جهة أخرى^(١).

٢- إن علماء الأجناس لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد أي المجتمعات البدائية الموجودة الآن أقدم عهدا أو أيها أقرب إلى الحالة الأولى، فنظرية (دور كايم) - مثلا - بنيت على أساس أن قبائل استراليا الوسطى أقدم هذه التجمعات ولكن البحوث العلمية التي أتت بعده أثبتت أن هذه القبائل لا تمثل أقدم القبائل بل يذهب البعض إلى أن قبائل الزنوج الأقزام في أفريقيا هي التي تمثل أكثر المجتمعات بدائية^(٢).

٣- إن أصحاب تلك النظريات لم يكونوا آرائهم تلك نتيجة بحث وتمحيص لكل

(١) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٧٧)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٥٦ و ٦٣-٦٤).

(٢) انظر : الأديان (ص : ٤٢-٤٣) .

تجمع إنساني، وإنما كونوها بناء على دراستهم لتجمعات إنسانية معينة ثم حاولوا تعميم النتائج التي توصلوا إليها على جميع التجمعات الإنسانية .

والواقع أن فكرة التعميم هذه إن كان يمكن تطبيقها في العلوم الطبيعية فإنه لا يمكن التسليم بها فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية، وذلك لأن هذه العلوم مما تخضع للإرادة والرأي العام، وهي أمور مرنة متطورة لا تسير على وتيرة واحدة^(١).

٤- إنهم قاموا بدراسة أديان بعض الشعوب المعاصرة المتخلفة، وحاولوا الاستنتاج منها عقيدة الإنسان الأول، وهذا استنتاج باطل من غير ريب؛ فأن تأثير التجمعات البشرية فيما سواها أو تأثرها بغيرها وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة والدين أمر مشاهد ومعلوم، فكثيرا ما تغير المؤثرات الخارجية المفاهيم الدينية لدى الشعوب وتقلبها من توحيد إلى شرك ومن شرك إلى توحيد ومن عبادة لآلهة معينة إلى عبادة آلهة أخرى، وكل دارس للأديان يعلم ذلك.

فمن أين لهم أن هذه الأمم والشعوب المتخلفة التي قاموا بدراستها أنها لم تتأثر بأية حضارة من الحضارات، وأنها لا زالت باقية على الحالة التي كان عليها الإنسان الأول في عبادته وعقيدته وطريقة حياته ومعيشته وما إلى ذلك^(٢).

٥- إن من شروط المنهج العلمي أن يقوم بالتجارب والملاحظات عالم بمحلي التجربة والملاحظة وبطريقتها، خبير بعناصرها، ومحيط بخصائصها ومميزاتها وأسرارها، قادر على إجرائها في الموقع والزمان اللازمين لنجاح التجربة، وقادر أيضا على رصد هذه التجارب وتسجيل نتائجها بدقة . فهل توفرت لأحد منهم هذه الشروط ؟ كلا! ولم تتوفر لأحد منهم حتى الآن ولن تتوفر لأحد منهم بعد الآن، بل هذا العلم وهذه القدرة والخبرة لا يحيط بها غير خالق هذا الكون^(٣).

٦- كما استدل هؤلاء بدراسة الشعوب المنعزلة عن التجمعات الإنسانية الكبيرة والبعيدة عن الحضارات المدنية على أسبقية الشرك فكذلك هنا جماعة من علماء

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٤) .

(٢) انظر : الدين (ص : ١٠٨-١٠٩) .

(٣) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٢٨٢) .

الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس قاموا بدراسة تلك الشعوب البدائية، وتوصلوا في بحوثهم ودراساتهم أن فكرة : "الإله الأعظم" توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية^(١).

ثانيا : وأما استنادهم إلى الحفريات ومخلفات الأمم السابقة، واستدلّاهم بها على تطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد فهذا أيضا باطل وبيان ذلك بما يلي :

١- أسباب حفظ هذه الحفريات في حالتها الأصلية غير متوفرة، ولا سيما في تلك الأزمان الغابرة الموهلة في القدم .

٢- علم الحفريات ناقص جدا؛ فإنه لا يستطيع أن يدعي أحد أنه أكمل التنقيب في جميع طبقات الأرض .

٣- السلسلة التي تغطيها الحفريات منقطعة غير متصلة .

٤- علم الحفريات في تغير؛ فلا يمكن الاعتماد عليه كدليل قطعي .

هذه الوجوه الأربعة قد سبق ذكرها^(٢) عند بيان بطلان نظرية النشوء والارتقاء المتعلقة بأصل الإنسان، والردّ على أصحابها الذين استدلوا عليها بالحفريات، وهي أيضا تدل على بطلان مزاعم أنصارها الذين استدلوا بها على أن الإنسان تطور في عقيدته من الخرافة والأساطير والشرك إلى التوحيد .

٥- هذه الحفريات ليس فيها دلالة على أن الشرك والخرافة أسبق في الوجود على الأرض من التوحيد، وأن الناس وقعوا في الشرك أولا ثم تطوروا منه إلى التوحيد، بل غاية ما تدل عليه الحفريات والآثار : أن الأمم السابقة وقعت في الشرك، وهذا لا ننكره نحن، بل كتاب ربنا وأحاديث رسولنا تثبت ذلك وتنص على وقوع الشرك في الأمم الماضية، وأما عبادة الإنسان الأول وعقيدته فلا يمكن معرفتها من خلال الآثار والحفريات حتى يعثروا على الإنسان الأول، ويجدوا آثارا تدل على عقيدته وعبادته ولكن لهم ذلك حتى يلج الحمل في سم الخياط^(٣).

(١) انظر : الدين (ص : ١٠٨) ، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٦٣) .

(٢) انظر : (ص : ٢٥٠-٢٥٥) .

(٣) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٦) .

٦- إن الأمم تتقلب في عبادتها، فتنتقل من التوحيد إلى الشرك، ومن الشرك إلى التوحيد، فمعرفة عبادة أمة من الأمم لا يعني أن تلك الأمة لم تعرف سوى تلك العبادة في سائر فترات تاريخها بل يعني ذلك أنها كانت على هذه العبادة في تلك الفترة فقط^(١).

٧- إن الحفريات ومخلفات الأمم السابقة كما استدل بها بعضهم على القول بأسبقية الشرك، فكذلك استدل بها فريق آخر على أسبقية التوحيد، فقد قال به فريق من العلماء أمثال (لانج وشريدن وبروكلمان وكاترفاج وشيدت^(٢) وبتازوني وفوكارت^(٣)) وغيرهم فقد توصل هؤلاء من خلال أبحاثهم التي قاموا بها إلى أن الأصل هو التوحيد وليس الشرك وسموا نظريتهم (نظرية فطرية التوحيد وأصالته) وقد انتصر لهذه النظرية فريق كبير من العلماء، وأيدوها بما توصلوا إليه من اكتشافات وحفريات قديمة تدل على أن هناك أمة عريقة في القدم لم تعرف تعدد الآلهة، وكانت تؤمن بالإله الواحد، وبنوا عليه أن عقيدة التوحيد هي أقدم ديانة عرفها البشر، وأن التعدد والوثنية طارئة ومتطفلة على عقيدة التوحيد^(٤).

ثالثاً : وأما تمسكهم بتطور الصناعات على تطور الديانات والعقائد فلا شك أن هذا قياس فاسد والاستدلال به باطل وبيان ذلك بما يلي :

١- الاستدلال بالتطور الصناعي على التطور العقدي والديني يرد عليه الماضي والحال . أما الماضي فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه أقواماً كانوا في غاية الحضارة المادية في زمانهم ولكنهم من الناحية العقدية كانوا في أسوأ المنازل وأردئها ولذلك استحقوا عذاب الله تعالى . قال تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق ﴾^(٥)

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) ذكره عنهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٧-١٠٨) .

(٣) ذكره عنهما الدكتور محمد أحمد ملكاوي في (عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص : ٦٣)؛ والشيخ أبو بكر

زكريا في (الشرك في القديم والحديث ١/١٩٦ و١٩٨) .

(٤) انظر : المصدرين المذكورين في الهامش السابق .

(٥) غافر الآية : ٢١

وقال تعالى عن عاد قوم هود عليه السلام : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴾ * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ ^(١) وقال تعالى عن ثمود قوم صالح عليه السلام : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتحنون الجبال بيوتا ﴾ ^(٢) وقال تعالى عن عاد وثمود وفرعون : ﴿ ألم تتركيف فعل ربك بعاد ﴾ * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمرود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ ^(٣).

فهذه الأمم الكافرة الماضية كانت أشد قوة وأكثر آثارا في الأرض وكانت في غاية القمة والحضارة والصناعة المادية في عصرها ولكنها مع ذلك كانت بعيدة عن التوحيد كل البعد بل كانت منغمسة في الشرك والكفر والوثنية والخرافات ولذلك استحققت عقاب الله جل وعلا ^(٤).

وأما الحال فقد نرى أمما كثيرة قد بلغت مرحلة رفيعة في المدنية المعاصرة ومظاهرها المادية الصناعية ولكنها لا زالت تعيش في أحط دركات الوثنية والشرك والإيمان بالخرافات، بينما هناك أمم كثيرة لم تنل حظا وافرا من الرقي في نواحي الحياة المادية، ومع ذلك بقي دينها نقيا صافيا لم تتنازع نوازع الوثنية والإلحاد ^(٥).

فمن ينظر نظرة واحدة إلى المدنية المعاصرة ويقارن رقيها في الصناعات بالخطاها في الجوانب الدينية لا يشك في بطلان الاستدلال بالتطور الصناعي على التطور الديني والعقدي.

٢- القول بتطور العقيدة قياسا على تطور الصناعة الحديثة قياس فاسد، وبيان ذلك بما يلي :

أ - الصناعات من الأشياء المادية والعقائد من الأشياء المعنوية، فكيف يقاس شيء معنوي

(١) الشعراء الآيات : ١٢٨-١٣٠

(٢) الأعراف الآية : ٧٤

(٣) الفجر الآيات : ٦-١٣

(٤) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٢٨٣-٢٨٥) .

(٥) انظر : أسباب هلاك الأمم السالفة كما ودرت في القرآن الكريم (ص : ١٠٢) .

غير محسوس على شيء مادي محسوس ؟ فهذا كمن يقيس الهواء على الماء ^(١).

ب - إن الصناعات تقوم على التجربة والملاحظة، وتظهر النتائج بعد استكمال مقوماتها في الحال، بخلاف الدين الذي لا يقوم على ذلك ولا تظهر نتائجه في هذه الحياة الدنيا ^(٢).

ج - يلزم من هذا القياس شيان :

أ - أن يكون الإنسان في هذا الزمن صادق النية خالص التوحيد، لأن الصناعة قد بلغت مبلغا عاليا من التطور، والواقع الديني خلاف ذلك؛ فإن الإنسان في العصر الحاضر أحط ما يكون من الناحية الدينية؛ إذ الإلحاد متفش في أكثر بقاع العالم .

ب - كما يلزم منه ألا يوجد شرك في هذا الزمن، والواقع خلاف ذلك، حيث إن الشرك منتشر في الشرق والغرب انتشارا واسعا، بل مشركوا هذا الزمان أشد تمسكا بشركهم من المشركين في الماضي؛ لأنهم في الرخاء كانوا يعبدون آلهة كثيرين ولكنهم في الشدة كانوا يرجعون إلى الله وحده دون غيره من المعبودات الباطلة، وأما مشركوا زماننا فهم لا يرجعون إلى الله وحده لا في الرخاء ولا في الشدة وعلى هذا هم أشد في الشرك كما وكيفما من الماضي، وهذا يدل على بطلان القول بتطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد كتطور الصناعة الحديثة المادية ^(٣).

يتبين مما سبق أن القول بأسبقية الشرك على التوحيد قول باطل فاسد؛ وأن ما استدلوا به ليس إلا تحريصات وتوهمات وظنون وأوهام، لا تقوم في وجه الحق الواضح المبين الذي سبق ذكره، وهو أن التوحيد هو الأصل في الإنسان، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأنه هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والعقل السليم الموافق للنقل الصحيح، وقد اهتدى بعض علماء الآثار والباحثون في الأديان من الغربيين وغيرهم إلى ذلك، وفيما يلي ذكر نماذج من أقوالهم ^(٤):

(١) انظر : الدين (ص : ١٠٩-١١١)؛ والأديان (ص : ٤٣)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٥).

(٢) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٥) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) هذه النماذج مأخوذة من كتاب : التفكير الديني في العالم قبل الإسلام (ص : ٢٨-٣٠) .

يقول الباحث " آدمسون هيوبل " - المتخصص في دراسة الملل البدائية - : (لقد مضى ذلك العهد الذي كان يتهم الرجل القديم بأنه غير قادر على التفكير فيما يتعلق بالذات المقدسة أو في الله العظيم، ولقد أخطأ " تيلور " حيث جعل التفكير الديني الموحد نتيجة للتقدم الحضاري والسمو المعرفي، وجعل ذلك نتيجة لتطور بدأ من عبادة الأرواح والأشباح، ثم التعدد، ثم أخيرا العثور على فكرة التوحيد) .

ويقول الباحث " اندري لانج " - من علماء القرن الماضي - : إن الناس في استراليا وأفريقيا والهند لم ينشأ اعتقادهم في الله العظيم على أساس من الاعتقاد المسيحي، وقد أكد هذا الرأي العالم الاسترالي " وليم سميث " حيث ذكر في كتابه " أسس فكرة التوحيد " مجموعة من البراهين والأدلة جمعها من عدة مناطق واتجاهات تؤكد أن أول تعبد مارسه الإنسان كان تجاه الله الواحد العظيم . أهـ بتصرف .

ويقول الدكتور " حاج أورانج كاي رحمت " - من علماء الملايو في أندونيسيا - : عندنا في بلاد أرخبيل الملايو دليل أكيد على أن أهل ديارنا هذه كانوا يعبدون الله الواحد، وذلك قبل أن يدخل الإسلام إلى هذه الديار، وقبل أن تدخل النصرانية .

وفي عقيدة جزيرة كلمنتان بأندونيسيا لوثة من الهندوسية، ورائحة من الإسلام، مع أن التوحيد كعبادة لأهل الديار كان هو الأصل قبل وصول الهندوسية أو الإسلام إليها . وإذا رجعنا إلى اللغة الدارجة لأهل هذه الديار قبل استخدام اللغة السانسكريتية أو قبل هجرة الهندوسية أو دخول الإسلام تأكدنا من أن التصور الاعتقادي لأجدادنا حسب النطق والتعبير الموروث هو أن الله في عقيدتهم واحد لا شريك له . أهـ بتصرف .

خلاصة القول : دعوى أن الشرك قبل التوحيد باطلة، وأدلتها لا تعدو أن تكون تخمينات عقلية واستنتاجات وهمية، يكذبها الماضي والحال، ويردها البحوث العملية والدراسات المحايدة المنصفة، ويشهد بطلانها الأدلة القطعية من الكتاب والسنة النبوية، والله أعلم بالصواب .

الفصل الثالث : عمر آدم ﷺ ووفاته .

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : عمر آدم ﷺ .

المبحث الثاني : وفاة آدم ﷺ .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم

الضالة في ذلك .

المبحث الأول : عمر آدم عليه السلام .

اختلف في بيان عمر آدم عليه السلام عند وفاته، وفيما يلي ذكر الأقوال في ذلك، وبيان الراجح منها، والله الموفق :

القول الأول : جاء في التوراة المحرفة الموجودة بين يدي أهل الكتاب الآن ما نصه : (وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولدا ولداً ... ودعا اسمه شيثاً، وكانت أيام آدم بعد ما ولد شيثاً ثمان مائة سنة ولد بنين وبنات فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ومات)^(١) .

فأهل التوراة المحرفة يزعمون أن كل أيام آدم عليه السلام التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ولكن هذا مخالف لما جاء عن النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس فقل : السلام عليكم، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال الله له - ويده مقبوضتان - اختر أيهما شئت. قال : اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم. قال يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود، قد كتبت له عمر أربعين سنة. قال : يا رب زده في عمره . قال : ذاك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال : أنت وذاك قال : أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه، قال : فأتاه ملك الموت، فقال له آدم : قد عجلت قد كتب لي ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود^(٢) .

فهذا الحديث النبوي يرد على قولهم بأن آدم عليه السلام عاش تسع مائة وثلاثين سنة فقط بل هو عاش أكثر مما ذكروا فقولهم مردود عليهم لكونه مخالفا لما جاء عن النبي ﷺ .

(١) سفر التكوين (٥-٣) .

(٢) إسناده حسن لذاته، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق ترجمته في (ص : ٧٤) .

القول الثاني : إن آدم ﷺ عاش ألف سنة . هذا القول ذهب إليه كثير من أهل العلم منهم عثمان بن أبي العاتكة كما ذكر عنه ابن مندة ^(١)، وبه قال ابن جرير الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وعلي المنوفي ومحمد بن إبراهيم التتائي والزرقاني وأحمد النفراوي والدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة ^(٢) وغيرهم .

وقد استدلل أصحاب هذا القول بما روي من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : أول من جحد آدم - قالها ثلاث مرات - إن الله لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته، فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، قال : أي رب، من هذا؟ قال : هذا ابنك داود . قال : كم عمره ؟ قال : ستون . قال : أي رب، زد في عمره . قال : لا، إلا أن تزيد أنت من عمرك . فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله عليه كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه، قال : بقي من أجلي أربعون سنة . فقبل له : إنك جعلته لابنك داود . قال : فجحد، قال : فأخرج الله عز وجل الكتاب، وأقام عليه البيعة، فأتمها لداود مئة سنة، وأتمها لآدم عمره ألف سنة ^(٣) .

فهذا الحديث يدل على أن آدم ﷺ كان عمره ألف سنة، وأنه أعطى من عمره أربعين سنة لابنه داود ﷺ ثم أكمل الله تعالى بفضله لآدم ﷺ ألف سنة ولداود ﷺ مائة سنة تكملة لآدم ﷺ . ولكن محل الشاهد من الحديث، وهو الجزء الأخير ؛ أي : إكمال الألف لآدم ﷺ ضعيف لا يمكن الاعتماد عليه ؛ لأن هذه الزيادة لم ترد في طرق الحديث المتعددة إلا في طريق واحد، وهذا الطريق مداره على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف بالاتفاق،

(١) انظر : الرد على الجهمية (ص : ٥١) وابن أبي العاتكة هو عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي، صدوق ضعفه في روايته عن علي بن يزيد الأهلي، توفي سنة ١٥٢ هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٤ برقم : ٤٤٨٣) .

(٢) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١ - ١٠٠) ؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢١٦/١) ؛ والكامل في التاريخ (٣٠/١) ؛ وكفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١) ؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩٠/١) ؛ والأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية (ص : ١٤) ؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٢/١) ؛ وخلق آدم وذريته كما ورد في التزويل (ص : ٩٠) .

(٣) أخرجه حم (٤٤٦/٤ - ٤٤٧ ح : ٢٧١٣) ؛ واللفظ له ؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (٩٨/١ - ٩٩) ؛ وأبو الشيخ في العظمة ١٥٥٠/٥ - ١٥٥١ ح : ١٠١٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، وكذلك أخرجه غيرهم بالإسناد نفسه وليس عندهم إكمال الألف لآدم ﷺ . انظر : (ص : ٧٩٥) .

وكذلك فيه يوسف بن مهران البصري، وهو لين الحديث، وقد سبق الكلام عن ذلك^(١). فلا تقبل الزيادة المذكورة إلا إذا توبع عليها ابن جدعان أو إذا وجد ما يشهد لها، وأنا لم أقف على شيء من ذلك، فאלله أعلم بالصواب .

القول الثالث : إن آدم ﷺ عاش تسع مائة سنة وأربعين سنة . هذا القول ذهب إليه محمد السيد الوكيل^(٢) .

واستدل لما ذهب إليه بما جاء في حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس... فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم. قال يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود، قد كتبت له عمر أربعين سنة. قال : يا رب زده في عمره . قال : ذاك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال : أنت وذاك قال : أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه، قال : فأتاه ملك الموت، فقال له آدم : قد عجلت قد كبت لي ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحده فجحدت ذريته، ونسيت ذريته قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود^(٣) .

فهذه الرواية تدل على أن آدم ﷺ كان عمره ألف سنة، وأنه أعطى من عمره ستين سنة لابنه داود ﷺ، وعلى هذا يكون آدم ﷺ قد عاش تسع مائة وأربعين سنة .

القول الرابع : إن آدم ﷺ عاش تسع مائة سنة وستين سنة .

ويدل على هذا القول ما جاء عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه ويص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك

(١) انظر : (ص : ٧٩٥) .

(٢) انظر : نظرات في أحسن القصص (١ / ٥٩ - ٦٠) .

(٣) إسناده حسن لذاته، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .

الموت، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته^(١).
فهذه الرواية تدل على أن آدم ﷺ كان قد أعطى من عمره أربعين سنة لابنه داود ﷺ؛ وعلى هذا يكون آدم ﷺ قد عاش تسع مائة وستين سنة .

التعارض في بيان عدد السنين التي أعطى آدم ﷺ من عمره لابنه داود ﷺ وذكر أقوال العلماء في توجيه ذلك :

الرواية المذكورة آنفا تدل على أن داود ﷺ كان عمره ستين سنة، وأن آدم ﷺ أعطاه من عمره أربعين سنة، فاكتمل لداود ﷺ مائة سنة، ولكن الرواية التي قبلها تدل على أن داود ﷺ كان عمره أربعين سنة، وأن آدم ﷺ أعطاه من عمره ستين سنة فاختلفت الروايتان من حديث أبي هريرة ؓ في بيان عمر داود وفي بيان السنين التي أعطاهما آدم ﷺ من عمره لداود ﷺ، فذهب أهل العلم في توجيه الروايتين إلى مذهبين :
المذهب الأول: وهو الجمع بين الروايتين : وذلك بأن يقال: إن آدم ﷺ جعل أولا من عمره لداود ﷺ أربعين سنة ثم زاده عشرين سنة فصار المجموع ستين سنة، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾^(٣) . هذا التوجيه ذكره ملا علي القاري، وكأنه مال إليه^(٤).

ولكن هذا الجمع فيه نظر؛ لأنه يلزم منه أن ملك الموت جاء إلى آدم ﷺ ليقبض روحه بعد ما مضى من عمره تسع مائة وأربعون سنة، فجحد آدم، فعاد ملك الموت وعاش آدم بعد ذلك عشرين سنة، ثم جاءه ملك الموت مرة ثانية، بعد ما مضى من عمر آدم تسع مائة وستون سنة فجحد ﷺ مرة أخرى، وألفاظ الحديث لا تدل على ذلك بل ترد عليه؛ فإن من ألفاظ الحديث : نفذ عمر آدم ... انقضى عمر آدم .. واحتضر آدم ... فهذا يدل على أن

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) البقرة الآية : ٥١

(٣) الأعراف الآية : ١٤٢

(٤) ذكره عنه المباركفوري في (تحفة الأخوذ ٣٦٤/٨) .

ملك الموت جاءه في نهاية عمره، وأنه لم يترك بعد ذلك ليعيش، ثم إن التفصيل المذكور يحتاج إلى دليل من نقل صحيح، وبذلك يتبين أن الجمع المذكور بين الروایتين غير سليم^(١).

وهناك توجيه آخر للجمع بين الروایتين، وذلك أن يقال : إن ساعات زمان آدم ﷺ كانت أطول من ساعات زمان داود ﷺ، فباعتبار ساعات زمان آدم ﷺ يكون آدم ﷺ قد أعطى داود ﷺ أربعين سنة من عمره، وباعتبار ساعات زمان داود يكون قد أعطاه ستين سنة. وهذا الجمع أيضا ذكره ملا علي القاري، وتعقبه بأن صحة هذا الجمع موقوف على صحة النقل، وإلا فظاهره يأباه العقل كما حقق في دوران الفلك عند أهل الفضل^(٢).

المذهب الثاني : وهو الترجيح بين الروایتين : لما كان الجمع بين الروایتين فيه نوع من التعذر ولم يتيسر جمع سليم مقبول ذهب آخرون من أهل العلم إلى ترجيح رواية إعطاء آدم ﷺ أربعين سنة من عمره لداود ﷺ على رواية إعطائه ستين سنة، وقد اختار هذا المسلك ملا علي القاري أخيرا^(٣)، وبه قال محمد عبد الرحمن المباركفوري^(٤) والدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر^(٥) وإبراهيم محمد العلي^(٦).

ويدل على رجحان رواية إعطاء أربعين على إعطاء ستين ما يلي :

١- إن رواية إعطاء آدم ﷺ أربعين سنة من عمره لداود ﷺ جاءت من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة مرفوعا. وقد قال الإمام أبو داود : (هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم)^(٧) ، فطريق من هو أثبت الناس فيمن روى عنه أولى بالتقدم على من ليس كذلك، والله أعلم بالصواب.

٢- إن الإمام الترمذي لما أخرج رواية إعطاء آدم ﷺ أربعين سنة من عمره لداود ﷺ

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) ذكره عنه المباركفوري في (تحفة الأحوذى ٣٦٥/٨) .

(٣) ذكره عنه المباركفوري في المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : تحفة الأحوذى (٣٦٥/٨) .

(٥) انظر : صحيح القصص النبوي (ص : ٢٢) .

(٦) انظر : الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ص : ٢٢) .

(٧) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٩/٦ ، ترجمة هشام بن سعد) .

قال : (هذا حديث حسن صحيح)^(١) ولما أخرج رواية إعطاء ستين سنة قال عقبه :
(هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه)^(٢) فهذا التفريق من الإمام الترمذي في
الحكم على الروایتين فيه إشارة إلى أرجحية رواية الأربعين على رواية الستين؛ لأن عبارته
الأولى أقوى في التصحيح؛ فهي أدعى للقبول، وأولى بالتقدم^(٣) .

٣- إن الإمام الترمذي لما أخرج رواية إعطاء آدم ﷺ ستين سنة من عمره لداود ﷺ قال :
(هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) فكأن الإمام الترمذي أشار بقوله " حسن " إلى حسن
إسناده، وأن رجاله جيدون ليس فيهم ضعيف أو متهم، وأنهم داخلون في دائرة القبول ثم أشار
بقوله " غريب من هذا الوجه " إلى وجود غرابة في متنه، ويؤكد هذا الاستنباط ما جاء عن
الإمام النسائي أنه قال : (حديث محمد بن خلف^(٤) منكر)^(٥) ثم ذكر روايته، وفيها أن آدم ﷺ
أعطى داود ﷺ ستين سنة من عمره^(٦)، فهذا يؤكد ترجيح رواية الأربعين على رواية الستين.

٤- قصة إعطاء آدم ﷺ من عمره لداود ﷺ جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما -
مرفوعاً من طريقين ضعيفين^(٧)، وفيهما أيضاً أن آدم ﷺ أعطى من عمره أربعين سنة
لداود ﷺ، فهذان الطريقان وإن كانا ضعيفين ولكنهما يزيدان قوة في ترجيح رواية
الأربعين على رواية الستين لتعدد مخرج رواية الأربعين دون رواية الستين .

فهذه الوجوه الأربعة يمكن أن يقال في ضوئها أن رواية إعطاء آدم ﷺ أربعين سنة
من عمره لداود ﷺ أصح وأرجح من الرواية التي فيها أنه أعطاه ستين سنة من عمره،
وبذلك يتبين أن القول بأن آدم ﷺ عاش تسع مائة وستين سنة أرجح من غيرها من
الأقوال التي ذكرت في بيان عمره، والله أعلم بالصواب .

(١) سنن الترمذي (التفسير، الأعراف ٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٦) .

(٢) المصدر السابق (التفسير، الباب الذي يلي سورتي المعوذتين ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨) .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى (٣٦٥/٨) .

(٤) محمد بن خلف بن عمار العسقلاني، من شيوخ النسائي وابن ماجه وابن خزيمة، ثقة صدوق، توفي سنة ٢٦٠هـ .

انظر : تهذيب التهذيب (٩٨/٥ برقم : ٦٨٠٥) .

(٥) عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨) .

(٦) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٣٨ ح : ٢٢٠) .

(٧) انظر تخريجهم والحكم عليهما في : (ص : ٧٩٤-٧٩٥) .

المبحث الثاني : وفاة آدم عليه السلام .

اليوم الذي توفي فيه أبو البشر آدم عليه السلام :

جاء في عدد من الأحاديث النبوية ما يبين لنا اليوم الذي توفي فيه أبو البشر آدم عليه السلام ، منها ما يلي :

عن أوس بن أوس عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فآكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون : بليت ؟ . فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء ^(١) .

وعن أبي هريرة عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مُصَيَّحَةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ... الحديث ^(٢) .

وعن سعد بن عبادته عليه السلام أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن يوم الجمعة : ماذا فيه من الخير؟ قال : " فيه خمس خلال : فيه خلق آدم، وفيه أهبط آدم، وفيه توفي آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه ما لم يسأل مأثماً أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة ^(٣) .

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر عليه السلام قال : قال النبي ﷺ : إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة ^(٤) .

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(٣) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(٤) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٨) .

فهذه الأحاديث النبوية تبين لنا أن آدم عليه السلام توفي يوم الجمعة الذي هو سيد أيام الأسبوع، وأعظمها وأفضلها عند الله تعالى، والله أعلم بالصواب .

تجهيز آدم عليه السلام وتكفينه والصلاة عليه ودفنه :

جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : إن آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبيه : أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل.

فقالوا لهم : يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ أو ما تريدون وأين تذهبون ؟ قالوا : أبونا مريض، فاشتهدى من ثمار الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضى قضاء أبيكم .

فجاءوا فلما رأهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال : إليك إليك عني، فإني إنما أوتيت من قبلك، خلّني بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى، فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه في قبره، ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم^(١).

وهو في رواية أخرى : عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا، ألحدوا له، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده^(٢).

فهذا الحديث النبوي يخبرنا أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملائكته بالأكفان والحنوط والفؤوس والمساحي والمكاتل، فقبضوا روح آدم عليه السلام وتولوا تجهيزه، وغسلوه وترا، وكفنوه وحنطوه، وصلوا عليه، وحفروا له القبر لحداء، ونزلوا في قبره، ووضعوه فيه، ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، وحثوا عليه التراب، وقالوا لأبنائه معلمين لهم : يا بني آدم هذه سنتكم ؛ أي طريقتكم التي اختارها الله في موتاكم^(٣).

وفي ذلك منقبة عظيمة لآدم عليه السلام؛ حيث تولت الملائكة تجهيزه والصلاة عليه، ودفنه،

(١) حديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٣٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٧/٨ ح : ٨٢٦١)؛ وكم (التاريخ، ٥٤٥/٢)، واللفظ له، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وكذلك صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٠٦/٦) ضمن

كلامه على حديث (٢٨٧٢)؛ وفي (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٩٢٤/٢ ح : ٥٢٠٧) .

(٣) انظر : صحيح القصص النبوي (ص : ٢٧-٢٨) .

وكذلك فيه منة عظيمة على بنيه؛ إذ علمهم الله سبحانه وتعالى عن طريق ملائكته أفضل طريقة لدفن الميت وأسهلها وأيسرها وأقلها تكليفاً على الأحياء، وأكثرها حفظاً وصيانة وكرامة للميت، وهي الطريقة التي شرعها الله لنا في ديننا؛ فله الحمد والمنة^(١).

موضع وفاة آدم ﷺ ودفنه :

اختلفت آراء المؤرخين والمفسرين في بيان المكان الذي توفي فيه آدم ﷺ ودفن فيه ﷺ فقيل : إنه توفي بمكة ودفن بغار أبي قبيس، وقيل : دفن عند مسجد الخيف بمعى، وقيل : في المسجد الحرام بين الكعبة وبين بئر زمزم .
وقيل : إنه مات في المكان الذي أهبط فيه من أرض الهند ودفن فيه .

وقيل : إنه حمل إلى القدس ودفن فيه، ورأسه عند الصخرة، ورجلاه عند مسجد إبراهيم الخليل^(٢).

ذهب المحققون من أهل العلم بأن موضع وفاة آدم ﷺ، وكذلك موضع دفنه لا يعرف معرفة صحيحة إذ لم يرد في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ وهذا هو الراجح والله أعلم بالصواب^(٣) .
خلاصة الكلام : أن أبا البشر آدم ﷺ توفي يوم الجمعة، وأن الملائكة قاموا بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية، وأما المكان الذي توفي فيه آدم ﷺ وكذلك المكان الذي دفن فيه، فليس لنا في ذلك علم صحيح يمكن الاعتماد عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر : المصدر السابق نفسه؛ و (ص : ٨٠٦) من هذا البحث .

(٢) انظر : هذه الأقوال في : تاريخ الأمم والملوك للطبري (١٠١/١)؛ والعظمة لأبي الشيخ (١٥٥٢/٥ و ١٥٩٢) [مع تعليق المحقق عليه]؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٢٧/١ - ٢٢٨)؛ والكامل في التاريخ (٣١/١)؛ والبداية والنهاية (٩٨/١ و ٣٢٦ و ٣٢٨)؛ والدر المنثور (١٤٩/١ - ١٥١ و ٣٢٨)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٦٢/١)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢٥٦/٢) .

(٣) انظر : التمهيد لابن عبد البر (٢٨٩/٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١٦/٤ و ٢٦٩/٢٧ و ٢٤٤ - ٢٤٦ ، ٢٨٤)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (١٦٥/٢ - ١٦٦)؛ والمجموع في ترجمة العلامة حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله (٥٠٤/٢ برقم : ١٨٤)؛ وفتاوى نور على الدرب [من فتاوى الشيخ ابن باز] (١٦٠/١ و ٢٧٤)؛ وفضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها (ص : ٤)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد (ص : ٤٤)؛ وما قاله الشيخ عبد الله مصلح في تحقيقه لقصص الأنبياء للحافظ ابن كثير (ص : ٩٣)؛ ونظرات في كتاب النبوة والأنبياء (١٧ - ٢٥) بواسطة كتاب : الردود للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص : ٣٢١) .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء عليهم السلام وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم الضالة في ذلك .

أولا : الكلام عن أجساد الأنبياء في القبور :

إن الله سبحانه وتعالى أكرم أنبياءه ورسله فخصهم بفضائل ومكرمات كثيرة، منها ما يتعلق بحياتهم، ومنها ما يتعلق بهم بعد وفاتهم، ومما أكرمهم الله به بعد وفاتهم أنه سبحانه وتعالى صان أجسادهم الشريفة من التغير والفساد والتفنن والروائح الكريهة، وحفظها من الحشرات والديدان، وحرمها على الأرض أن تأكل شيئا منها أو تؤثر فيها، فهم مدفونون في قبورهم، وأجسادهم فيها رطبة طرية محفوظة بحفظ الله تعالى لها .

ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه، فقال له : ائتنا، فأتاه، فقال له رسول الله ﷺ : سل حاجتك . قال : ناقة تركبها، وأعتر يحملها أهلي . فقال رسول الله ﷺ : أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟ قالوا : يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل ؟ قال : إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال : ما هذا ؟ فقال علماءهم : إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل (عظامه معنا) ^(١) . قال : فمن يعلم موضع

(١) هذا الحديث لا يتعارض مع الحديث الذي بعده إذ المقصود بالعظام هنا الجسد كله ولكن أطلق الجزء وأريد به الكل وهذا وارد في اللغة العربية ومثال ذلك : قوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء : ٧٨] ؛ أي : صلاة الفجر . ومثله ما جاء في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما بدئ قال له تميم الداري رضي الله عنه : ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال : بلى الحديث . ولا شك أن المراد بالعظام هنا الجسد كله فكذلك في قصة يوسف عليه السلام . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦٢٣-٦٢٤ ح : ٣١٣) .

وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أخرجه د (الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، ب : في اتخاذ المنبر ٢٨٤/١ ح : ١٠٨١)؛ والبيهقي في الكبرى (الجمعة، ب : مقام الإمام في الخطبة ١٩٥/٣-١٩٦)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٩٨/٤ ح : ١٤٧٠) . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٩٨/٢) : (إسناده جيد)؛ وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦٢٤ ضمن كلامه على حديث : ٣١٣) : (إسناده جيد على شرط مسلم)؛ وصححه في صحيح سنن أبي داود (١/٢٩٨-٢٩٩ ح : ١٠٨١) .

قبره ؟ قال : عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها، فأتته، فقال : دليني على قبر يوسف. قالت : حتى تعطيني حكمي . قال : وما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة . فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة : موضع مستنقع ماء، فقالت : أنضبوا هذا الماء. فأنضبوه، فقالت : احفروا. فاحفروا، فاستخرجوا عظام يوسف، فلما أفلوها إلى الأرض، وإذا الطريق مثل ضوء النهار^(١).

فيوسف عليه السلام نبي من الأنبياء، والله سبحانه وتعالى حفظ جسده بعد موته، حتى أخرجه موسى عليه السلام في عهده لما غادر مصر، وخرج ببني إسرائيل منها، وقيل إن المدة التي بين وفاة يوسف عليه السلام وبين خروج موسى عليه السلام من مصر هي أكثر من أربع مائة سنة حسب ما ورد في التوراة^(٢)، فبقاء جسد يوسف عليه السلام محفوظا إلى هذه المدة الطويلة يدل على أن أجساد الأنبياء والرسل في قبورهم لا تبلى ولا تفنى، فلا تأكلها الحشرات، ولا يؤثر فيها الأرض، ويؤكد ذلك الحديث النبوي التالي :

وهو ما جاء عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت- يقولون : بليت ؟ . فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء^(٣).

فهذا الحديث النبوي ينص على أن أجساد الأنبياء لا تبلى ولا تفنى في القبور، وأنها محفوظة من

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٣٦-٢٣٧/١٣ ح : ٧٢٥٤)؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : الورع والتوكل ٥٠٠/٢-٥٠١ ح : ٧٢٣)، واللفظ له إلا ما هو بين القوسين فهو من مستدرك الحاكم وهو عنده في (التفسير، سورة الشعراء، قصة عجوز بني إسرائيل التي دلت على عظام يوسف ٤٠٤/٢-٤٠٥ والتاريخ، ذكر يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما (٥٧١/٢-٥٧٢)؛ والخطيب في تاريخه (٣٦٣/٩ برقم : ٤٩٢٨، ترجمة : الطيب بن إسماعيل القحطبي) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠-١٧١) : (رواه الطبراني وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح) وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٢٣/١ ح : ٣١٣) : (إنما هو على شرط مسلم وحده فإن يونس [بن أبي إسحاق] لم يخرج له البخاري في صحيحه وإنما في جزء القراءة) ونحوه قال الشيخ إبراهيم محمد العلي في (الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ص : ١١٣) .

(٢) انظر : قصة إخراج موسى عليه السلام جثمان يوسف عليه السلام عند خروجه من مصر في التوراة الموجودة بين يدي أهل الكتاب الآن (سفر الخروج ١٧/١٣-١٩)، وكذلك انظر فيها مدة إقامة بني إسرائيل في مصر (سفر التكوين ١٢/٤٠-٤١) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخرجه في (ص : ٨٦) .

السود والهوام والحشرات، وأن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل شيئا من أجسادهم الشريفة، ولذلك قال أبو العالية : (إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع)^(١)، فهم في قبورهم ولكن أجسادهم رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها^(٢)، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون :

قد أخبر النبي ﷺ أنه رأى موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره، وكذلك أخبر ﷺ أن الأنبياء في قبورهم يصلون. فعن أنس بن مالك عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره^(٣) .
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون^(٤) .
فالحديثان فيهما دلالة على أن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — أحياء في قبورهم يصلون، ولكن كيفية حياتهم وصلاتهم في تلك الدار الغيبية البرزخية لا يعلم كنهها وحقيقتها وتفصيلها إلا الله سبحانه وتعالى، فيجب الوقوف فيها عند النصوص الصحيحة وعدم التجاوز عنها^(٥) .

ثالثا : ذكر مفاهيم ضالة عن حياة الأنبياء في القبور :

لقد أخطأ بعض الناس في فهم حياة الأنبياء في قبورهم؛ فزعموا أن الأنبياء عليهم السلام

(١) ذكره عنه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ٤٠/٢) وقال : (هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية) وقد ذكر أيضا بالإسناد السابق في المصدر نفسه : قصة دانيال الذي وجدت جثته على سرير في بيت مال الهرمزان في عهد الصحابة، وذلك لما فتحوا تستر، وأنه لم يكن تغير منه شيء إلا شعرات في قفاه، وأنهم حفروا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، ودفنوه في الليل، وسورا القبور كلها تسمية على الناس، وذكر ابن كثير : من المحتمل أنه كان نبيا . فإن كان كذلك فيكون هذا أيضا من الأدلة على سلامة أجساد الأنبياء عليهم السلام من التغير والفساد، والله أعلم بالصواب .
(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩ - ١٦٢) ، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي ؛ وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٥٢٨) ؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٢٦٦/٣) .

(٣) أخرجه م (الفضائل، ب : من فضائل موسى ١٨٤٥/٤ ح : ٢٣٧٥) .

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦ ح : ٣٤٢٥) ؛ وتمام الرازي في (الفوائد ٣٣/١ ح : ٥٨) ؛ والبيهقي من طرق في (حياة الأنبياء بعد وفاتهم ص : ٧٢) وغيرهم . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢١١/٨) : (رواه أبو يعلى والبخاري ورجال أبي يعلى ثقات) ، وصححه الألباني في تعليقه على الآيات البينات (ص : ٤٠) ؛ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٧/٢ - ١٩٠ ح : ٦٢١) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩ - ١٦٢) ، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي ؛ والتحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز (ص : ٩٦ - ٩٧) ؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٠/٢) ؛ وفضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها للشيخ عبد المحسن العباد (ص : ٤٠) ؛ وآداب وأحكام زيارة المدينة المنورة للشيخ صالح السدلان (ص : ٥٨) .

أحياء في قبورهم حياة دنيوية^(١)، وزعم بعضهم عن النبي ﷺ أنه (لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمتة ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطيرهم)^(٢)، وزعم بعضهم أنه ﷺ في قبره (يتمتع بجميع الملاذ والعبادات غير أنه حجب عن أبصار القاصرين)^(٣)؛ أي : يأكل ويشرب ويجامع نساءه^(٤)، وزعم بعضهم أن النبي ﷺ أخرج يده الشريفة من قبره فصافح فلانا وفلانا^(٥)، وزعم بعضهم أن النبي ﷺ خرج من قبره، وذهب إلى غرفة فلان - وهو في حالة اليقظة - فتحدث معه طويلا عن أحوال الناس وأخبارهم^(٦)، وزعم بعضهم أن النبي ﷺ وخلفاءه الأربعة خرجوا من قبورهم، وذهبوا إلى مدينة " ديوبند " في الهند، وأن النبي ﷺ طلب من الشيخ محمد قاسم^(٧) حساب مدرسة ديوبند، فقدم الشيخ محمد قاسم حساب المدرسة بكل دقة، ففرح الرسول ﷺ بهذا فرحا شديدا^(٨)، وزعم بعضهم أنه صلى

(١) هذه عقيدة الديوبندية والبريلوية وغيرهم من القبورية . انظر : مقاله الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في كتابه (المهند على المغند ص : ٣٨-٣٩) عن عقيدته وعن عقيدة مشايخه الديوبنديين، وانظر فيما يتعلق عن البريلوية ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير نقلا من كتبهم مع الرد عليها في (البريلوية ص : ٧٨-٨٥) وكذلك انظر ما قاله السيوطي في رسالتيه [ضمن الحاوي للفتاوى] : إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء (٢٦٤/٢-٢٧٧)؛ وتنوير الخلك في إمكان رؤية النبي والملك (٤٣٧/٢-٤٥٤) .

(٢) زعمه يوسف بن إسماعيل النبهاني في (الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص : ٥٩٩) .
(٣) زعمه حسن بن عمار الشرنبلاني الحنفي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ في كتابه : مراقي الفلاح (ص : ١٤٤) .
(٤) هذا ما فهمه الشيخ العلامة الفهامة الألباني من قول حسن الشرنبلاني المذكور . انظر : السلسلة الصحيحة (١٩٠/٢) .
(٥) انظر الحكاية المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي المتوفي سنة ٥٧٨هـ ، ومن نسبها إليه السيوطي في رسالته المسماة (تنوير الخلك في إمكان رؤية النبي والملك (٤٤٦/٢-٤٤٧) [ضمن الحاوي للفتاوى] يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفي سنة ١٣٥٠هـ في كتابه : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص : ١٠٨) وانظر : ردا مفصلا لتلك الحكاية المكذوبة في (غاية الأمان في الرد على النبهاني ٢٢٢/١-٢٢٦) .

(٦) انظر الحكاية المنسوبة إلى خدام الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد مع الرد المفصل عليها من قبل العلامة الشيخ ابن باز - رحمه الله - في رسالته بعنوان : تكذيب الرؤية المزعومة من خدام الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد (٣٦٠/١-٣٦٧) [منشور ضمن : المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجموعة الأولى] .

(٧) هو قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش الصديقي النانوتوي، من كبار علماء الأحناف الديوبنديين، أخذ الطريقة الصوفية عن الشيخ إمداد الله العمري التهانوي، وله جهود طيبة في الرد على الهنود والنصارى والشيعية، وإليه ينسب تأسيس مدرسة ديوبند، المسماة : قاسم العلوم، توفي سنة ١٢٧٩هـ . انظر : نزهة الخواطر (٣٨٢/٧-٣٨٥ برقم : ٦٩٣) .

(٨) ذكره أمير شاه خان صاحب في (أرواح ثلاثة ص : ٣٨١-٣٨٢) .

الله عليه وسلم يحضر كل مجلس، أو مكان أراد يجسده وروحه، وأنه يتصرف، ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت^(١) وأن (حضور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بأجسادهم وأرواحهم قراءة "جوهرة الكمال" وعند أي مجلس خير أو أي مكان شاعوا لا ينكره إلا الطلبة الجهلة الأغبياء والحسد المرذلة الأشقياء^(٢))^(٣) وما إلى ذلك من الأقوال الضالة والمزاعم الباطلة .

رابعاً : بيان بطلان المفاهيم الضالة حول حياة الأنبياء في قبورهم .

لا شك أن الاعتقاد بحياة الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عقيدة باطلة خرافية مخالفة لصريح القرآن، ومخالفة لعقيدة صحابة رسول الله ﷺ فعن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ : أن رسول الله ﷺ مات ... فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال : بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا^(٤) وفي رواية أنه قال : (لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة الأولى التي كتبت عليك فقد متها)^(٥) ثم خرج إلى الناس فخطبهم وقال : (أما بعد، ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات؛ ومن كان يعبد الله - فإن الله حي لا يموت)^(٦) ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾^(٧) وقوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾^(٨) .

فهذه هي عقيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها - وهذه هي عقيدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي التي أرشد إليها صريح القرآن، وأجمع عليها بقية الصحابة - رضي الله عنهم -

(١) ممن زعمه السيوطي في (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك ٤٥٣/٢) [ضمن الحاوي للفتاوى] وعمر بن سعيد الفتوي في كتابه : رماح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم (٢١١-٢١٠/١) .

(٢) رماح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم (٢١١/١) .

(٣) أخرجه خ (فضائل الصحابة، ب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ١٣٤١/٣ ح : ٣٤٦٧) .

(٤) أخرجه خ (المغازي، ب : مرض النبي ﷺ ١٦١٨/٤ ح : ٤١٨٧) .

(٥) أخرجه خ (فضائل الصحابة، ب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ١٣٤١/٣ ح : ٣٤٦٧) .

(٦) الزمر الآية : ٣٠ .

(٧) آل عمران الآية : ١٤٤ .

من أن النبي ﷺ قد مات موتاً حقيقياً، وفارق الحياة الدنيوية، وانتقل إلى الحياة البرزخية، ولم يقل أحد منهم أن حياة النبي ﷺ في قبره حياة دنيوية أو أنه انعزل عن الناس انعزال المعتكف^(١).

● قال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾^(٢). فالله سبحانه وتعالى أخبر عن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون مجاهدين لإعلاء كلمة الله أنهم أحياء عند الله تعالى ولكن حياتهم هذه حياة برزخية، فلا نعلم حقيقتها وتفصيلها؛ وقد نبه الله تعالى على ذلك فقال : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾.

فكذلك الأنبياء عليهم السلام قضوا ما قدر لهم من العمر في هذه الحياة الدنيا ثم ماتوا، وغسلوا، وكفنوا، ودفنوا في قبورهم، وصلي عليهم صلاة الجنازة، فهم ارتحلوا من دار الدنيا إلى دار البرزخ، وهم فيها أحياء بل حياتهم فيها أكمل وأتم وأحسن من حياة الشهداء ولكنها حياة برزخية التي لا يعلم كونها وحقيقتها وتفصيلها إلا الله سبحانه وتعالى^(٣)؛ فجميع التفاصيل التي قيلت عن حياة النبي ﷺ في قبره كلها باطلة مبنية على جهل وسوء فهم من أصحابها للنصوص الشرعية .

● قال تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون^(٤) وقال النبي : ((إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض؛ فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى))^(٥) .
فهذا كلام الله وكلام رسوله ﷺ يدلان على أن الخروج من القبر إنما يكون يوم القيامة،

(١) انظر : عداء الماتريدية للعقيدة السلفية (٤٤٤/١) .

(٢) البقرة الآية : ١٥٤

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩ - ١٦٢) ، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي ؛ والآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للآلوسي (ص : ٣٩) ؛ وجلاء العينين في محاكمة الأحمديين (ص : ٥٢٨ - ٥٢٩) ؛ ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٢٣ - ٢١/١٠) والتحقيق والإيضاح لسماحة الشيخ ابن باز (ص : ٩٦ - ٩٧) ؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٠/٢) ؛ وفضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها (ص : ٤٠) .

(٤) المؤمنون الآيات : ١٥ - ١٦

(٥) جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه خ (الخصومات، ب : ما يذكر في الأشخاص والملازمة، والخصومة بين المسلم واليهودي خ ٨٥٠/٢ ح : ٢٢٨١) ، واللفظ له ؛ وم (الفضائل، ب : من فضائل موسى عليه السلام ١٨٤٥/٤ ح : ٢٣٧٤) .

وزاد الحديث النبوي في البيان والإيضاح بأن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو نبينا محمد ﷺ؛ فمن زعم أن النبي ﷺ انشق قبره وأنه أخرج منه يده الشريفة ... أو أنه خرج منه بنفسه ... وذهب إلى فلان وفلان ... فهو بعيد عن الحق والصواب، مخالف لقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم^(١).

الحاصل : إن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فتكون أجسادهم في القبر رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها، وأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم يصلون، ولكنها حياة بزرخية لا نعلم كنهها وكيفيتها وتفصيلها، وإنما علمها عند الله سبحانه وتعالى، فمن زعم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عنصرية ثم رتب عليه أموراً أخرى كجواز التوسل بهم، أو طلب الشفاعة منهم، أو زعمهم أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ... أو أنه خرج من قبره وذهب إلى فلان وفلان ... فهذا كله باطل فاسد مخالف للكتاب والسنة النبوية الصحيحة، ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم، والله أعلم بالصواب. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) انظر : تكذيب الرؤية المزعومة من خدام الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد (ص : ٣٦٢) .

الختام

أحمد الله عز وجل وأشكره على عونه وتوفيقه لي في كتابة هذا البحث، والآن أختتمه بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وهي كالآتي :

١- لا يخلو فعل من أفعال الله تعالى أو أمر من أوامره من حكمة وغاية حميدة، قد يدرك بعضها البشر ويخفى عليهم غيرها، فالحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى .

٢- خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من الطين، وخلق به يده التي هي صفة من صفاته الذاتية، كما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه، وكان آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة، بعد العصر في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، وكان خلق وصور في الجنة على القول الراجح .

٣- خلق الله سبحانه وتعالى جسد آدم عليه السلام أولاً فصوره وشكله على ما سبق به علمه وتركه في الجنة ما شاء أن يتركه فكان إبليس يطيف به وينظر فيه ويقول: خلق خلقاً لا يملك ظفرت به . ثم لما شاءت إرادة الله واقتضت حكمته تبارك وتعالى نفخ فيه من روحه .

٤- الروح الذي نفخ في آدم عليه السلام خلق من خلق الله تعالى، له جسم لطيف مخالف لهذا الجسم المحسوس، وجعل الله تعالى حياة الأجساد به، ولم يعط الله علمه أحداً من العباد، وأضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً لآدم عليه السلام، وهي إضافة خلق وملك، لا أنه جزء منه.

٥- إن الله سبحانه تعالى كلم أبا البشر آدم عليه السلام قبلاً، وخاطبه بكلام حقيقي مسموع ومفهوم. وكلامه سبحانه وتعالى غير مخلوق بل صفة من صفاته الذاتية والفعالية، كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه .

٦- إن آدم عليه السلام كان طويل القامة فكان طوله ستين ذراعاً في السماء، وكان كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق، وكان في غاية الجمال البشري ونهايته، وأن الناس تناقصوا في خلقهم وجمالهم بعد ذلك إلى الآن، وأن أهل الجنة يدخلون الجنة يوم القيامة على صورة أبيهم آدم عليه السلام ، ستون ذراعاً في السماء .

٧- إن الحديث : ((خلق الله آدم على صورته)) صحيح ثابت عن النبي ﷺ، ولم يكن عند السلف خلاف في رجوع الضمير إلى الله تعالى، كما جاء مصرحا في حديث ابن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهم -، وأن الصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث وغيره، فيجب الإيمان بثبوت هذه الصفة لله تعالى كما يليق به سبحانه، وعدم الخوض في تأويلها، وقطع الطمع عن إدراك كيفيتها.

٨- خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين في أحسن تقويم ثم خلق منه زوجه حواء ثم بارك في أولادهما وأحفادهما حتى ملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها، فهما أصل البشر، والناس كلهم من ذريتهما وأولادهما، وهذا هو أصل البشر الذي قرره الإسلام، وهو أصل كريم شريف، يشعر الإنسان في نفسه العزة والكرامة والسعادة بالانتساب إليه، كما أنه يعطي الخالق الحكيم حقه من الإجلال والتعظيم. ويستوجب من العبد شكره وامتنانه تجاه خالقه وربّه، وهو الذي يتوافق مع العقل السليم والفكر المستقيم .

وأما ما عده من الأقوال في أصل الإنسان فهي أقوال باطلة عارية عن الأدلة والبراهين، مخالفة لأدلة الكتاب والسنة والعقل السليم والفطرة المستقيمة والعلوم الحديثة؛ وفيها إهانة للإنسان وتحقير له، يخجل الإنسان العاقل من الانتساب إليها بل فيها تعطيل للخالق عن خلقه وكماله المقدس، وإنزال للمخلوقين بمزلة الخالق، وإثبات لآلهة كثيرة وأرباب متفرقة، ونسبة للخلق إلى غير الخالق تعالى أو فيها إنكار للخالق جلا وعلا إنكارا كلياً، وهذا كله من أعظم الظلم وأشنع الباطل، فهي كلها ظلمات وضلالات بعضها فوق بعض .

٩- إن الله سبحانه وتعالى أمر ملائكته بالسجود لآدم ﷺ فامثلوا جميعاً لأمر ربهم وخروا ساجدين لآدم ﷺ، ولم يكن سجودهم عبادة لآدم ﷺ، وإنما كان طاعة لله وقربةً إليه وعبادةً له سبحانه وتعالى، وفي الوقت نفسه كان تكريماً وتشريفاً وتعظيماً لآدم ﷺ ولكن الآن لا يجوز لأحد من هذه الأمة أن يسجد لمخلوق أيا كان بل يجب أن نفرد الله وحده بالسجود وبجميع أنواع العبادات التي شرعها لنا وتعبّدنا بها، مخلصين له وحده لا شريك له سبحانه .

١٠- إن إبليس كان موقفه من آدم ﷺ موقف عداً واستكبار . فقد كان ينوي مخالفة آدم ﷺ قبل أن يتم خلقه وقبل أن ينفخ فيه الروح، وكان يزعم أن آدم ﷺ لا ينجو من سلطانه وكيده ومكره.

ثم لما أمر بالسجود لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه امتنع عن السجود له، إباء واستكبارا وحسدا وغرورا. ولما عوتب على ذلك استند إلى قياس فاسد، وادعى أنه خير من آدم عليه السلام لكونه مخلوقا من النار وكون آدم عليه السلام مخلوقا من الطين، واستمر في غوايته وتقديس عقله وتقديم رأيه على الأمر الإلهي، وصارت هذه المعارضة الإبلسية ميراثا في أتباعه من بني آدم من وجوه كثيرة .

١١- إن الله سبحانه وتعالى أسكن الأبوين في جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وأباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدا إلا شجرة حرما عليهما، وهما عن الاقتراب منها، وحذرهما من كيد الشيطان لهما ولكن سبق القضاء عليهما، فوقعا في كيد الشيطان عدوهما، وأكلا من الشجرة الممنوعة، فلما أكلا منها أمرا بالخروج من الجنة.

١٢- إن الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وحواء عليهما السلام في الجنة لا نعلم عن حقيقتها شيئا، وكل الذي نعرفه أنها شجرة يؤكل ثمرها .

١٣- إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة ندم على فعله واعترف بذنبه وأناب إلى ربه وطلب المغفرة والرحمة من ربه سبحانه فسمع الله دعاءه وأجاب ندائه وقبل توبته وغفر خطيئته.

١٤- لم يثبت أن آدم عليه السلام توسل في دعائه بحق مخلوق أو جاهه عند الله تعالى، لا بحق محمد ﷺ أو جاهه عند الله تعالى، ولا بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - .

١٥- الخطيئة التي وقعت من آدم عليه السلام كانت خطيئة فردية حصلت ومحيت بالتوبة وانتهى أمرها ولم يبق شيء منها في ذمته ولا في ذمة أولاده فدعوى النصارى أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا فداء للخليفة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام دعوى باطلة قطعاً.

١٦- إن آدم عليه السلام أدخل الجنة يوم الجمعة، وكذلك أخرج منها يوم الجمعة وأما المدة التي مكثها فيها لا يمكن تحديده على وجه الجزم واليقين لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك .

١٧- أكثر الآثار المنقولة عن السلف تدل على أن آدم عليه السلام نزل في الهند فلا يبعد أن تكون الهند هي مهبط أبي البشر آدم عليه السلام ولكن لا يمكن الجزم به.

١٨- إن عداوة إبليس لآدم عليه السلام وبنيه شديدة، فهو وجنوده يمارسون كل أسباب الغواية وأساليب الإضلال لإغواء بني آدم، وصدّهم عن الحق، وقطع صلّتهم بالله سبحانه وتعالى. ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم على بني آدم حيث نزل عليهم هداية الذي من تمسك به وحفظه يكون في حفظ الله وحمايته وكفالاته ورعايته فيكون في مأمن عن جميع أنواع الحزن والخوف والضلّال والشقاء، ولا تصل إليه يد المضلين، ولا تنجح فيه مكاييد الشياطين.

١٩- إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره في عالم الغيب، وهم صور كالذر، وأخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، فاعترفوا بذلك جميعاً وأقرّوا به قولاً. والفترة السليمة الدالة على وحدانية الله وربوبيته من آثار ذلك الميثاق.

٢٠- إن المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام أمر من أمور الغيب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عنها، فيجب الإيمان بها. وهي تدل على ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر، فمن أنكره يكون كافراً. ولا يصح الاحتجاج بها على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها؛ فإن آدم عليه السلام لما وقع في المعصية تاب إلى الله تعالى وطلب الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى، وصبر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وأرجع الأمر في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فكذلك يجب على من وقع في شيء من معصية الله تعالى أن يبادر بالتوبة إلى الله وطلب المغفرة منه سبحانه وعدم الاتكال على القدر والاحتجاج به فإنه حجة باطلة عقلاً وشرعاً.

٢١- إن الخلافة الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾ ^(١) شاملة لآدم عليه السلام وبنيه. وهي تحتمل ثلاثة معانٍ:

● - إن هذه الأرض كانت معمورة قبل أن ينزل عليها آدم عليه السلام وجاء آدم عليه السلام بعدهم فكان هو وبنوه خليفة لمن سبقهم من المخلوقات.

(١) البقرة الآية : ٣٠

●● - إن هذا الخليفة يكون له نسل وذرية، فيخلف كل قرن وجيل منهم من قبله،
فالخلافة عبارة عن ذهاب أجيال من بني آدم ومجيء آخرين منهم مكانهم.
وعلى هذين المعنيين تكون الخلافة عامة لجميع بني آدم من غير تفريق بين الكافرين
والمؤمنين .

●●● - المقصود بالخلافة هو الخلافة من جهة الله سبحانه وتعالى في إجراء أحكامه،
وتنفيذ قضاياه وإقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم بين عباده في الأرض بالحق ولكن لا
لحاجة به تعالى إلى ذلك بل من باب التشريف والتكريم لهم.
وعلى هذا المعنى تكون الخلافة خاصة بآدم عليه السلام وبالصالحين من بنيه ولا تكون عامة
لبنی آدم كلهم كما في المعنيين السابقين .

٢٢- حاجة الناس إلى الرسالة السماوية فوق حاجتهم إلى كل شيء لكونها مدار
سعادتهم في الدنيا والآخرة وقد امتن الله عليهم إذ أرسل إليهم أنبياءه ورسله يحملون إليهم
رسالة ربهم وأول من اختاره الله سبحانه لهذا المنصب العظيم هو أبو البشر آدم عليه السلام فقد
كان نبيا بالاتفاق وكان رسولا على قول أكثر أهل العلم .

٢٣- إن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيا فلا شك أنه كان موحدا وداعية إلى التوحيد،
ولم يقع في الشرك قط؛ فالأصل في بني آدم التوحيد . وأما الشرك فهو شيء طارئ عليهم،
ووقع فيه بعض بني آدم بعد تسعة قرون مضت على التوحيد الخالص لله جل وعلا .

٢٤- إن أبسا البشر عاش في الدنيا تسع مائة سنة وستين سنة على الراجح ثم توفي
وكان ذلك يوم الجمعة، وقامت الملائكة بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. وأما
المكان الذي توفي فيه آدم عليه السلام، وكذلك المكان الذي دفن فيه فليس لنا في ذلك علم
صحيح يمكن الاعتماد عليه .

٢٥- إن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فتكون
أجسادهم في القبر رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها، وأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في
قبورهم يصلون، وحياتهم فيها أفضل من حياة الشهداء ولكنها حياة بزرخية لا نعلم
كنهها وكيفيتها وتفصيلها، وإنما علمها عند الله سبحانه وتعالى، فمن زعم أن حياة
الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عنصرية ثم رتب عليه أمورا أخرى كجواز التوسل بهم،

أو طلب الشفاعة منهم، أو زعمهم أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ... أو أنه خرج من قبره وذهب إلى فلان وفلان ... فهذا كله باطل فاسد مخالف للكتاب والسنة النبوية الصحيحة، ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم والله أعلم بالصواب. هذا، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما وفقني ويسر لي من إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعفو عني ويغفر لي، وأن يوفقني لما فيه الحق والصواب، وأن يجعل عملي كله خالصاً لوجهه الكريم. سبحانه رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣- فهرس الآثار .
- ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٥- فهرس الكلمات المشروحة .
- ٦- فهرس الفرق والطوائف .
- ٧- فهرس الأماكن والبلدان .
- ٨- فهرس الأبيات الشعرية .
- ٩- فهرس المصادر والمراجع .
- ١٠- محتويات البحث .

١ - فهرس الآيات القرآنية .

سورة البقرة - ٢

- ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (٣) ٥٦.
- ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ (٣-٥) ٦٨٠.
- ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ (٢١) ٨٠٨ و ٦٥٤ و ٦٥٣ و ٣٥٢ و ٤٣ و ٣٨.
- ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا ﴾ (٢٢) ٨٠٨ و ٦٥٤.
- ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ (٣٠) ٩٢ و ٩٠.
- و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٤٢٩ و ٤٤٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٦١٦ و ٦٥٠ و ٦٥٢ و ٦٥٤ و ٦٥٦ و ٦٥٨ و ٦٦٠ و ٨٤٨.
- ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ﴾ (٣١) ١٩٤ و ١٨٩ و ١٤١ و ٦٩.
- و ٧٧٩ و ٦٥١ و ٤٧٢ و ٢٩٦.
- ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (٣٢) ٤٧٢ و ٤١١ و ٢٩٦ و ١٨٩ و ١٤١.
- ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ (٣٣) ٤٧٢ و ٢٩٦ و ١٨٩ و ١٤١.
- ﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (٣٤) ٣٤٦ و ٣٤٥ و ٣٣٣ و ٣١٢.
- و ٣٦٧ و ٣٧٩ و ٣٨١ و ٤١١ و ٤٣٤ و ٥٦٢ و ٦١٦.
- ﴿ وقتلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (٣٥) ٤٣٥ و ٤٣٤ و ٤٢٣ و ٤٢١ و ٢٠٥ و ١٥٢ و ١٤٢ و ٩٦.
- و ٤٤٤ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٦ و ٥٤٦ و ٧١٧.
- ﴿ فأنزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقتلنا هابوطا ﴾ (٣٦) ٥٤٦ و ٤٦٦ و ٤٤٥ و ٤٣٦ و ٤٣٥ و ٣٦٣.
- ﴿ فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (٣٧) ٥٢٧ و ٥٠٣ و ٥٠١ و ٤٩٩ و ٤٨١ و ٤٤٨ و ٤٤٧ و ١٤٢.
- ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى ﴾ (٣٨) ٧٠٧ و ٦٧٧ و ٥٧٨ و ١٤٢.
- ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣٩) ٥٧٨.
- ﴿ وإذا وعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ (٥١) ٨٣٢.
- ﴿ وإذا قلتم يا موسى لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ (٥٥-٥٧) ٢٨٨.

- ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل علينا ﴾ (٩١) ٦٩٠
- ﴿ واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ (١٠٢) ٥٧٢
- ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ (١١٨) ٤٠٤
- ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (١٢٤) ٧٤٨
- ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ (١٢٥) ١١٤
- ﴿ وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ (١٢٧) ٦١٦
- ﴿ والله يخصص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١٣٠) ٥٥٩
- ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾ (١٣٦) ٦٨٨ و ٦٨٩
- ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ (١٣٧) ٦٨٩ و ٦٩٢
- ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ (١٤٠) ١٣١
- ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (١٤٣) ٦٣٣
- ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ (١٥٤) ٨٤٣
- ﴿ إن الذين يكفون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ﴾ (١٥٩-١٦٠) ٦٩٧
- ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ ١٦٥ ٥١
- ﴿ أن القوة لله جميعا ﴾ (١٦٥) ٨٣
- ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (١٦٨) ٥٦٣ و ٤٠٤
- ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ (١٦٨-١٦٩) ٥٨٨
- ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما آلفينا عليه آباءنا ﴾ (١٧٠) ٣٩٠
- ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ (١٧١) ٢٢٧
- ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله ﴾ (١٧٧) ٣١٠
- ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (١٨٦) ٣٩٣ و ٥٩٠
- ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ (١٨٩) ٧٨٧
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (٢٠٨) ٥٦٣ و ٤٠٤

- ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين... ﴾ (٢١٣) ٦٩٨ و ٧١٩ و ٨١٣ - ٨١٤
- ﴿ قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ (٢٢٢) ٣٧٢
- ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٢٢٢) ٥٨٩ و ٥٤٣ و ٤٩٨
- ﴿ أم ترأى إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا... ﴾ (٢٤٦ - ٢٥٢) ٦٩٨ - ٦٩٩
- ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ (٢٥٣) ١٤٩ و ٧٢١
- ﴿ ولو شاء الله ما اقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ (٢٥٣) ٣٠
- ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (٢٥٥) ٥٨٥ و ٧١٢
- ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ (٢٥٥) ٤١
- ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (٢٦٠) ٢٤
- ﴿ أودأحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ (٢٦٦) ٤٤٧
- ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (٢٦٨) ٥٧٤
- ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ (٢٦٩) ٢٤
- ﴿ ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٢٨١) ٤١٦
- ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله... ﴾ (٢٨٥) ٦٨٩ و ٣١٠

سورة آل عمران - ٣

- ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (٦) ٢٤
- ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ (٨) ٦٢٢
- ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ (٩) ٢٨٠
- ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ (١٥ و ٢٠) ٦٦٤
- ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو الملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (١٨) ١٤٩
- ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء... ﴾ (٢٦) ٧٢
- ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله... ﴾ (٣١) ٥١
- ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٣٣) ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩

- ﴿ إذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني ... ﴾ (٣٥-٣٧) ٧٤٢-٧٤١
- ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ... ﴾ (٣٨-٣٩) ٧٤١
- ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٥٩) ٢٧٣ و ١٠٣
- ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ (٧٣) ٤٨
- ﴿ قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٧٣) ٧٢
- ﴿ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾ (٧٩) ٢٨٥ و ١٢٦
- ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ (٨٣) ٣٢
- ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ... ﴾ (٨٤) ٦٨٨
- ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ (١٠١) ٤٩
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١٠٢) ٣
- ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ (١٣٢) ٤٩
- ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (١٣٣) ٤٠٠
- ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ (١٣٥) ٥٩٠
- ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (١٤٤) ٨٤٢
- ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ﴾ (١٦٤) ٧٨٥ و ٣٥٢-٣٥٣
- ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (١٦٩) ١١٨
- ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (١٧٥) ٥٧٥-٥٧٤
- ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (١٨٥) ٢٨٠
- ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعنا عذاب النار ﴾ (١٩١) ٢٧
- ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ... ﴾ (١٩٣) ٥٣٨

سورة النساء - ٤

- ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ... ﴾ (١) ٢١٩ و ٢٠١ و ٤٢ و ٣٨ و ٣٠
- ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ (٤) ٦٥٤

- ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ... ﴾ (١٨) ٥٠٠
- ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ... ﴾ (٢٣) ٣٥٧
- ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ... ﴾ (٢٦-٢٨) ٣٠
- ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (٢٨) ٣٢٨
- ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ (٢٩) ٣٦٦
- ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (٣٦) ٣٣
- ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ (٤٠) ٤٣
- ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ (٥٧) ٤٠١
- ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ (٥٨) ١٤٩
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... ﴾ (٥٩) ٧٥٨ و ٥٠٤ و ٤٩
- ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ (٦٤) ٣١
- ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا ﴾ (٦٤) ٥١٧
- ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ... ﴾ (٦٥) ٥٣ و ٥٢
- ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ... ﴾ (٦٩) ٧٥٩
- ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٨٠) ٧٥٩ و ٥٠
- ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (٨٢) ٣٢
- ﴿ ومن أصدق من الله حديثًا ﴾ (٨٧) ٢٢٠
- ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ (١١٣) ٢٤
- ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾ (١١٥) ٥٨
- ﴿ وقال لآخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولاضلنهم ولأمنينهم ... ﴾ (١١٧-١١٨) ٥٦٥
- ﴿ يعدهم ويمينهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (١٢٠) ٥٧٥
- ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ... ﴾ (١٢٢) ٤٠١ و ٢٢٠
- ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ (١٢٦) ١٤٩

- ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ (١٣٦)..... ٣١١
- ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (١٤٠)..... ٢٨٠
- ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله...﴾ (١٥١-١٥٠)..... ٦٩٢-٦٩٠
- ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا﴾ (١٥٢)..... ٦٩٠ و ٦٨٩
- ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ (١٥٧)..... ٣٦٦
- ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه...﴾ (١٥٨-١٥٧)..... ٤٩٢
- ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (١٦٤)..... ١٥٤ و ١٤٩
- ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (١٦٥)..... ٦٠٠
- ﴿لئن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا﴾ (١٦٨-١٦٩)..... ٤٠٢

سورة المائدة - ٥

- ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهم مما علمكم الله﴾ (٤)..... ١٢٥
- ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك...﴾ (١٧)..... ١١٢
- ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (١٨)..... ٤٦
- ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما...﴾ (٢٧-٣١)..... ٨١١ و ٨٠٦ و ٨٠٠ و ٧٠٦
- ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾ (٣٢)..... ٢٥
- ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ (٣٨)..... ٨٢
- ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا...﴾ (٤٤)..... ٦٩٨
- ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات﴾ (٤٨)..... ٦٣٠
- ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (٦٤)..... ٧٢ و ٧٥
- ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح...﴾ (٧٢-٧٣)..... ١١٢-١١٣
- ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر...﴾ (٩١)..... ٥٧١
- ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ (١٠٠)..... ٤٨٧
- ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا...﴾ (١٠٤)..... ٣٩٠

- ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ (١٠٩) ١٤٨
- ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ (١٢٠) ٨٤

سورة الأنعام - ٦

- ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ (٢) ١٠٤
- ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ (٨) ٣٩٩
- ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ (١٤) ٢٨٦
- ﴿ ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ﴾ (٢٧-٢٨) ١١٧
- ﴿ أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ﴾ (٤٤) ٣٦٠
- ﴿ كبر ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا يجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ﴾ (٥٤) ٥٤٣
- ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ (٥٧) ٥٢
- ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ (٧١) ٤٨
- ﴿ ولوأشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (٨٨) ٣٥
- ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٩٠) ٧٥٨ و ٦٨٠
- ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ (٩١) ٣٩٩
- ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ (٩٢) ٢٨٠
- ﴿ ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾ (٩٣) ١٣٣
- ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾ (٩٨) ٢٠١
- ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ (١٠٢) ٢٢٢
- ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ﴾ (١١٢) ٦٧٥ و ٣٦٤
- ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ (١٢١) ٥٧٤
- ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (١٢٤) ٤٠٠
- ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ﴾ (١٣٠) ١٢٧ و ٣٨٠
- ﴿ سيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ (١٣٩) ٤٨٣

- ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (١٤٢) ٥٦٣ و ٤٠٤
- ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ... ﴾ (١٤٤) ٣٢٩
- ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ (١٥١) ٤٦٣
- ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ (١٥٢) ٤٦٣
- ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ (١٥٨) ٥٠٠
- ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ... ﴾ (١٦٢-١٦٣) ٢٨٦
- ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ (١٦٥) ٦٦٣ و ٦٦٠ و ٦٥٣ و ٦٥٢ و ٦٤٩ و ٥٦٠

سورة الأعراف - ٧

- ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ... ﴾ (١١) ٣٤٥ و ٣١٢ و ٢٨٧
- ٧٨٨ و ٤٤١ و ٣٧٩ و ٣٤٦ و
- ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (١٢) ٣٨٠ و ٣٦٦ و ١٠٤
- ٤١١ و ٤٠٤ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و
- ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ... ﴾ (١٦-١٧) ٥٦٥
- ﴿ وإيا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلاما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (١٩) ٢٠٥ و ١٤٢
- ٤٦٣ و ٢٩٧ و ٤٢١ و ٤٤٤ و ٤٦٢ و ٤٦٣
- ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوأتها وقال ... ﴾ (٢٠) ٤٦٢ و ٤٥٤ و ٤٥٣ و ٣٦٣
- ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ (٢١) ٧٦٣ و ٥٦٩ و ٤٦٣ و ٤٥٤ و ٤٥٤ و ٤٥٣
- ﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتها وطفقا يخصفاً فوقهما ... ﴾ (٢٢) ٤٢٣ و ٣٦٣ و ٢٩٧ و ١٤٢
- ٤٥٣ و ٤٤١ و
- ﴿ قالاربتنا ظللنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٢٣) ٨٠٩ و ٧٥٢ و ٥٢٦ و ٥٢٥ و ٥٠١ و ٤٦٢ و ٤١١ و ٢٩٧ و ١٤٢
- ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (٢٤) ٥٦٢ و ٤٣٦ و ٢٩٧ و ١٤٢
- ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ (٢٥) ٥٦٢ و ٤٤٥ و ٢٩٧ و ١٤٣
- ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ... ﴾ (٢٧) ٥٦٢ و ٥٤٦ و ٤٢٣ و ٣٦٣

- ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ... ﴾ (٤٠) ٦٢٦
- ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة أو ترموھا بما کتم تعملون ﴾ (٤٣) ٤٠١
- ﴿ ونادی أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربکم حقاً ... ﴾ (٤٤) ٦٣٤
- ﴿ أن أفیضوا علینا من الماء أو بما رزقکم الله ﴾ (٥٠) ١٩٩
- ﴿ أله الخلق والأمر ﴾ (٥٤) ١٤٩
- ﴿ قالوا أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما کان عبد آبائنا ﴾ (٧٠) ٣٤
- ﴿ واذکروا إذ جعلکم خلفاء من بعد عاد ... ﴾ (٧٤) ٨٢٥
- ﴿ قال الملأ الذین استکبروا من قومہ لنخرجنک یا شعیب والذین آمنوا معک من قریتنا ... ﴾ (٨٨-٨٩) ٧٣٤
- ﴿ وما أرسلنا فی قرية من نبی الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم ینزعون ﴾ (٩٤) ٦٩٨
- ﴿ وما وجدنا لأکثرهم من عهد وإن وجدنا اکثرهم لفاسقین ﴾ (١٠٢) ٦١٢
- ﴿ قال عسی ربکم أن یهلك عدوکم ویستخلفکم فی الأرض فینظر کیف تعملون ﴾ (١٢٩) ٦٦٥ و ٥٦٠
- ﴿ وواعدنا موسی ثلاثین لیلة وأتمناها بعشر فتم میقات ربه أربعین لیلة ﴾ (١٤٢) ٨٣٢
- ﴿ فلما أفاق قال سبحانک تبت الیک وأنا أول المؤمنین ﴾ (١٤٣) ٢٨٥
- ﴿ ولقد ذرأنا لجنهم کثیرا من الجن والإنس ﴾ (١٧٩) ٣٠ و ٢٨
- ﴿ وإذا أخذ ربک من نبی ءادم من ظهورهم ذریتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربکم قالوا بلی ... ﴾ (١٧٢-١٧٤) ٧٥
- ٥٩١ و ٥٩٥ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠٢ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٩ و ٦١١ و ٦١٥ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦٢٠ و ٦٢١
- ﴿ ولقد ذرأنا لجنهم کثیرا من الجن والإنس ﴾ (١٧٩) ١٢٧
- ﴿ ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها ﴾ (١٨١) ٥٣٨ و ٥٣٤
- ﴿ هو الذی خلقکم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لیسکن الیهما ﴾ (١٨٩) ٢٠١
- ﴿ هو الذی خلقکم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لیسکن الیهما فلما تعشاهما حملت حملاً خفیفا ... ﴾ (١٨٩-١٩١) ٧٦٤
- ٧٨٠ و ٧٨٦ و ٧٨٧
- ﴿ وإما ینزعنک من الشیطان نزغ فاستعد بالله إنه سمیع علیم ﴾ (٢٠٠) ٥٨١
- ﴿ إن الذین اتقوا إذا مسهم طائف من الشیطان تذکروا فإذا هم مبصرون ﴾ (٢٠١) ٥٨٢

سورة الأنفال - ٨

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ... ﴾ (٢٠) ٤٩
- ﴿ وَإِذْ يَكْرَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ (٣٠) ٦١٦
- ﴿ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا... ﴾ (٣٧) ٥٥٩
- ﴿ وَإِذْ يَنْهَى لُحْمَ الشَّيْطَانِ أَغْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ... ﴾ (٤٨) ٥٧٥

سورة التوبة - ٩

- ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (٥) ٧٢٧
- ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٦) ١٤٩ و ١١٣
- ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ... ﴾ (٢٤) ٥١
- ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) ٣٧
- ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمُ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ (٥٤) ٥٣
- ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ (٨٧ و ٩٣) ٦٤٧
- ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتُوبُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٩٩) ٢٨
- ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ... ﴾ (١٠٠) ٥٧ و ٥٨ و ٤٠٠
- ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١٣) ٣٨٩

سورة يونس - ١٠

- ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) ١٩٩
- ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ... ﴾ (١٨) ٣٩٣ و ٣٤
- ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا... ﴾ (١٩) ٨١٥ و ٧١٩
- ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٣٢) ٤٨
- ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾ (٤٧) ٧٢٧ و ٧٠٦ و ٧٢٠ و ٧٢٣
- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴾ (٦٧) ٦١٤
- ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧٢) ٢٨٥
- ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧٤) ٤٠٤
- ﴿ حَتَّى إِذَا دُرِكَهُ الْفُرْقَانُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ... ﴾ (٩٠-٩١) ٣٥

سورة هود - ١١

- ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ (٧) ٥٦٠
- ﴿ إنهم ملاقوا ربهم ﴾ (٢٩) ٢٨٠
- ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ (٣٤) ٣٠
- ﴿ وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتسب بما كانوا يفعلون ﴾ (٣٦-٣٧) ٥٤١
- ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ (٣٧) ٧٤٤
- ﴿ قال ساوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ (٤٣) ٧٢٧
- ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾ (٤٥-٤٧) ٥٤١
- ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (٤٦) ١٥٢
- ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ولا تغفري ولا تقبلي وتزجني أكن من الخاسرين ﴾ (٤٧) ٧٥٢
- ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ (٤٨) ١٩٨
- ﴿ يستخلف ربي قوما غيركم ﴾ (٥٧) ٦٦٣
- ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ (٥٩-٦٠) ٦٩٢
- ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (٦١) ٦٥٣ و ١٠٣
- ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ﴾ (٦٩-٧٠) ٤٧ و ١٩٨

سورة يوسف - ١٢

- ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (٣) ١٣٩
- ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ (٥) ٥٦٣
- ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ (٣٢) ٧٢٧
- ﴿ وأرأب سقرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ (٣٩) ٢٢٢
- ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ﴾ (٤٢) ٧٣٠
- ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ﴾ (١٠٠) ٣٥٧ و ٣٣٠
- ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ﴾ (١٠٠) ٥٧٢

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (١٠٦) ٣٥

سورة الرعد - ١٣

﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها ... ﴾ (١٥) ٣٣ و ٣١٥

﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ... ﴾ (١٦) ٢٢٢

﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ونس الورود المورود ... ﴾ (٨٩-٩٩) ٦٣٤

سورة إبراهيم - ١٤

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (٤) ١٩٩

﴿ قالت لهم رسلكم أني الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ (١٠) ٦٠٢

﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ... ﴾ (١٠) ٢٨٥ و ١٢٠

﴿ قالت لهم رسلكم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء ... ﴾ (١١) ٤٠٠ و ٢٨٥ و ١٢٠

﴿ وقال الذين كفروا لرسلكم لن نخرجكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا ... ﴾ (١٣) ٧٣٦ و ٧٣٤

﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ (٢١) ١٩٩

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ... ﴾ (٢٢) ٥٧٥ و ٤١٨

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (٣٤) ٨٤-٨٣

﴿ وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ (٣٥) ٧٤٠

﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾ (٥٢) ٢٤

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ... ﴾ (٩٢) ٤١٥

سورة الحجر - ١٥

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٩) ٥٤

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (٢٦) ٦٥٨ و ٦٥٥ و ١٣١ و ١٠٤

﴿ والجنان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ (٢٧) ٦٥٨ و ٦٥٥

﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (٢٨) ٢٧٥ و ١٣٨ و ١٣١ و ١٠٨ و ١٠٤

و ٢٨٠ و ٣١٢ و ٣٤٥

﴿ فإذا سويته وشفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٢٩) ٣١٢ و ١١١ و ١٤ و ١٩ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٨١ و ٣١٢

و ٣٣١ و ٣٣٧ و ٣٤٥

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ (٣٠-٣١) ٩٤ و ٣١٢ و ٣٢١ و ٣٤٣
و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩

﴿ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ (٣٢) ٣٨٠ و ٤٠٩

﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾ (٣٣) ١٠٤ و ٢٧٥ و ٣٨٠

﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ (٣٥) ٤١٥

﴿ رب فأظنني إلى يوم يبعثون ﴾ (٣٦) ٤١١

﴿ قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٣٩-٤٠) ٥٦٥ و ٥٦٨

و ٥٧٨-٥٧٩

﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ (٤٢) ٥٧٩ و ٦٦٤

﴿ ونبهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وحولون ﴾ (٥١-٥٢) ١٩٨

﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ (٨٠) ٦٩١

سورة النحل - ١٦

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ (٢) ٦٨٣

﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (١٧) ٧٨

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (١٨) ٨٤ و ٣٤٨

﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء... ﴾ (٢٠-٢١) ٣٩٥

﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة... ﴾ (٣٠-٣٢) ٤٣١

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٣٦) ٦٠ و ٣٨ و ٦٧٧ و ٧٠٥ و ٧٢٠ و ٧٢٣ و ٨١١

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (٤٤) ٢٤ و ٢٧١

﴿ وقال الله لا تتخذوا آل إيماناً هم أولاه واحد قبايلي فارهبون ﴾ (٥١) ٢٢٢

﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ (٦٤) ٢٧١

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأتمم لا تعلمون ﴾ (٧٤) ٧٨ و ٨٦ و ٣٩٩

- ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ... ﴾ (٧٨) ٧٣٠ و ٧٢٤ و ٣٢٨ و ٢٨٣
- ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾ (٩٠) ١٤٩
- ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ... ﴾ (٩٧) ٥٤
- ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٩٨) ٥٨١
- ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ (١٠٣) ١٢٥
- ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ (١١٩) ٥٤٣

سورة الإسراء - ١٧

- ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١٥) ٧٢٤ و ٦٦٠
- ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (٢٤) ١٩
- ﴿ ولا تقر بوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ (٣٤) ٤٦٣
- ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (٤٤) ٥٩٧
- ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ... ﴾ (٥٣) ٥٨٩ و ٥٧١ و ٥٦٣
- ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ... ﴾ (٦١) ٤٠٤ و ٣١٢ و ٣١٩ و ٣٣٠ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٨٠ و ٤٠٤
- ﴿ قال أريتك هذا الذي كرمت علي ... ﴾ (٦٢) ٥٦٥ و ٣٦٣ و ٣٣٠ و ٣٢٠
- ﴿ قال اذهب فكن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴾ (٦٣) ٥٦٥
- ﴿ واستقرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ (٦٤) ٥٧٢ و ٦٥٦
- ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٦٥) ٦٦٤
- ﴿ ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ... ﴾ (٧٠) ٣٢٠
- ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ (٧٨) ٨٣٨
- ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (٨٥) ٤١
- ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ (٩٣) ١٢٠
- ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ (٩٤) ٤٠٤

سورة الكهف - ١٨

- ﴿ وإنا لجالعون ما عليها صعيدا جرزا ﴾ (٨) ٢٨٠

- ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ﴾ (٢٣-٢٤) ٢٨٠
- ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ﴾ (٣٢) ٤٤٧
- ﴿ أكثرت بالذي خلقك من تراب ﴾ (٣٧) ١٠٣
- ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ﴾ (٣٩) ٤٤٧
- ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ... ﴾ (٥٠) ٣٤٦ و ٣٤٥ و ٣١٩ و ٣١٢
- ٣٦٧ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٩ و ٥٦٣
- ﴿ أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ (٥٠) ٥٧٤
- ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ (٥١) ٢١٩
- ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ (٦١) ٧٣٠
- ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ... ﴾ (٧٠) ٣٢٣
- ﴿ قل لو كان البحر مداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ (١٠٩) ١٥٣
- ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الوحي من عند ربك ﴾ (١١٠) ١٢٠

مریم - ١٩

- ﴿ كهيعص ﴾ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ... ﴾ (٧-١) ٧٤١
- ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً ﴾ (٩) ١١٥
- ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقياً ﴿ وبرا بوالديه ... ﴾ (١٢-١٥) ٧٣٩
- ﴿ فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ (٢٦) ٢٨٤ و ٢٢٩
- ﴿ يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوءاً وما كانت أمك بغياً ﴿ (٢٧-٢٨) ٢٨٤ و ٢٢٩
- ﴿ قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ وجعلني مباركاً أين ما كنت ﴿ ... ﴾ (٣٠-٣٢) ٧٣٩ و ٢٨٦ و ٢٨٥ و ١٩٨
- ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ (٣٣) ٧٤٢ و ٧٣٩ و ١٩٨
- ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ (٣٩) ٤٠٢
- ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان نبياً حفياً ﴾ (٤٧) ١٩٨
- ﴿ وإذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً ﴾ (٥١) ٦٩٦

- ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ (٥٢) ١٤٨.
- ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا ﴾ (٥٤) ٧٠١ و ٦٩٦.
- ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ (٥٩) ٦٤٧.
- ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ (٦٥) ١٨٦ و ٧٨.
- ﴿ ويقول الإنسان أنذا مامت لسوف أخرج حيا ... ﴾ (٦٦-٦٨) ١٢٩.

سورة طه - ٢٠

- ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾ (٣٩) ٧٣٩.
- ﴿ واصطعقتك لنفسي ﴾ (٤١) ٦٩.
- ﴿ لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴾ (٤٦) ٧٤٤.
- ﴿ قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ (٤٧) ١٩٨.
- ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (٥٥) ٩٢.
- ﴿ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ (٨٨) ٧٣٠.
- ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴾ (٩٨) ٦٢٩.
- ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ (١١٠) ٤١.
- ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ (١١٥) ٧٦٣ و ٧٦٢ و ٤٦٣.
- ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ (١١٦) ٤٢١ و ٣٤٦ و ٣٤٥ و ٣١٩ و ٣١٢.
- ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزواجك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى ... ﴾ (١١٧-١١٩) ٤٢١ و ٢٠٥ و ١٤٢.
- ٤٤٥ و ٤٢٤-٤٢٣ و
- ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (١٢٠) ٤٣٧ و ٤٢٦ و ٤٢٤ و ٣٦٣.
- ٥٨٣ و ٤٥٤ و ٥٦٦ و ٥٦٨ و
- ﴿ فأكلَا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ (١٢١) ٥٠١ و ٤٢٦ و ٤٢٤.
- ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ (١٢١) ٥٠١ و ٧٦٢ و ٥٤١.
- ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (١٢٢) ٥٠١ و ٤٨١ و ٤٩٩ و ٥٤١ و ٧٠٨ و ٧٦٢ و ٧٧٢ و ١٠ و ٥٠١.

﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي... ﴾ (١٢٣-١٢٤) ٤٨
 و١٤٣ و٢٩٧ و٥٦٢ و٥٧٨ و٦٧٧ و٧٠٦ و٧٠٧ و٨١٠

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضلوكا... ﴾ (٢٤) ٤٨ و١٤٣ و٢٩٧ و٥٧٨ و٨١٠

﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا... ﴾ (١٢٧-١٢٥) ٥٧٨.

سورة الأنبياء - ٢١

﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ (١٩-٢٠) ٣٥١

﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون... ﴾ (٢١-٢٥) ٣٨-٣٩ و٢٢٢

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢٥) ٦٠ و٨١١

﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ (٢٧) ٣٧٥

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (٣٠) ١٠٦

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٣٥) ٢٨٠

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ (٣٥) ٦٨٢

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ (٣٧) ٩٧ و٩٨

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به العالمين ﴾ (٥١) ٧٣٩ و٧٤٤

﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ (٦٩) ٧٤٤

﴿ ونجيناه هارون وهارون إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ (٧١) ٣٨٤

﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة... ﴾ (٧٣) ٦٩٩

﴿ وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ (٨١) ٣٨٤

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (٩٢) ٣٨

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١٠٧) ٢٥٣

سورة الحج - ٢٢

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ (١) ٣٨ و١٤٥

﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ (٢) ١٤٥

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة... ﴾ (٥) ١٠٣ و١٣٠ و٢٨٨ و٢٩٢

و٣٢٨ و٣٩٧

- ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير... ﴾ (٦-٧) ٣٩٧.....
- ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ (٨) ٣٢٩.....
- ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر... ﴾ (١٨) ٣١٤.....
- ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ (٣١) ٦٢٧ و ١٣٥.....
- ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ (٤٧) ٥٥١.....
- ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ (٥٢) ٦٩٨ و ٦٩٥.....
- ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ (٧٠) ٦٢٩.....
- ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾ (٧٥) ٧٤٣ و ٤٠٠.....
- ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا... ﴾ (٧٧) ٢٢٦.....

سورة المؤمنون - ٢٣

- ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ (١) ٧٠.....
- ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ (١٢) ٧٨٧ و ٢٩٠ و ٢٨٩ و ٢٧٦ و ٢٦٣ و ١٣٠ و ١٠٤.....
- ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين... ﴾ (١٣) ٧٨٧ و ٢٩١ و ٢٨٩ و ١٣٠.....
- ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة... ﴾ (١٤) ٢٩١ و ٢٨٩ و ١٣٠.....
- ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميئون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (١٥-١٦) ٨٤٣.....
- ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ (٢٧) ٧٤٤.....
- ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ (٢٤) ١٢٦.....
- ﴿ وقال الملائم قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا... ﴾ (٣٣-٣٧) ٣٩٧.....
- ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا... ﴾ (٥٠-٥١) ٣٨.....
- ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق... ﴾ (٩١) ٢٢٢.....
- ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ (٩٧-٩٨) ٥٨١.....
- ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ (٩٩-١٠٠) ١١٧.....

﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴿ (١٠٧-١٠٨) ٦٣٤

﴿ ربنا ءامننا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ ﴿ (١٠٩) ٥٣٨

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون .. ﴾ ﴿ (١١٥-١١٦) ٢٥

سورة النور - ٢٤

﴿ يهدي الله للنوره من يشاء ﴾ ﴿ (٣٥) ٨٥

﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ ﴿ (٤٠) ٤١٨ و ٨٥

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات ... ﴾ ﴿ (٤١) ٥٩٧ و ١٢٦ و ١٢٥

﴿ والله خلق كل دابة من ماء ... ﴾ ﴿ (٤٥) ١٩٠ و ١٠٦

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ... ﴾ ﴿ (٥٥) ٦٦٥

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿ (٦٣) ٣٤٨ و ٥٠

سورة الفرقان - ٢٥

﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ ﴿ (٧) ١٢١

﴿ ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ... ﴾ ﴿ (٢٧-٢٩) ٥٧٥

﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس ... ﴾ ﴿ (٣٧) ٦٩٠

﴿ وأنا سي كثيرا ﴾ ﴿ (٤٩) ٢٧٨

﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ ﴿ (٥٤) ٢٨٤ و ١٢٦ و ١٠٦

﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ ﴿ (٦٢) ٦٤٧

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ ﴿ (٦٣) ٦٦٤

﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ ﴿ (٧٠) ٥٤٤

﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ ﴿ (٧١) ٤٩٨

﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ ﴿ (٧٤) ٦٥٤

سورة الشعراء - ٢٦

﴿ وإذ نادى ريك موسى أن اتت القوم الظالمين ﴾ ﴿ (١٠) ١٤٩

﴿ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ ﴿ (٧٧) ٣٦٦

- ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ (١٠٥) ٦٩١
- ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ (١٢٣) ٦٩١
- ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ... ﴾ (١٢٨-١٣٠) ٨٢٥
- ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ (١٤١) ٦٩١
- ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ (١٦٠) ٦٩١
- ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ (١٧٦) ٦٩١
- ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ (١٩٣) ٦٨٣

سورة النمل - ٢٧

- ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ (١٠) ٤٩١
- ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ (١٤) ٣٧
- ﴿ قالت غفلة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (١٨) ٥٩٧
- ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ... ﴾ (١٩) ٥٣٨ و ١٨
- ﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ (٤٠) ١٨
- ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ (٦٢) ٦٦٠ و ٦٥٢ و ٦٥٢ و ٦٤٩

سورة القصص - ٢٨

- ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ (٨) ٢٤
- ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتلان ... ﴾ (١٥) ٦٣٧ و ٥٤٢ و ٥٤٢ و ٦٣٧
- ﴿ قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ... ﴾ (١٦) ٧٥٢ و ٦٣٧ و ٥٤٢
- ﴿ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾ (١٧) ٦٣٧
- ﴿ يا موسى أني أنا الله رب العالمين ﴾ (٢٠) ١٥٣
- ﴿ ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا لفتنح آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ (٤٧) ٦٠١
- ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (٥٠) ٣٢٩ و ٣٢٨ و ٤٨
- ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٥٦) ٣٨٩
- ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ (٦٢ و ٧٤) ١٤٩

﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ (٦٥) ١٤٩

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء... ﴾ (٧١-٧٣) ٦١٥

﴿ لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ (٨٨) ١٣٠

سورة العنكبوت - ٢٩

﴿ فأمّن له لو ط ﴾ (٢٦) ٧٣٤ و ٧٣٦ و ٧٣٧

﴿ إن أرضي واسعة ﴾ (٥٦) ١١٣

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٥٧) ٢٨٠

﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (٦٥) ٣٥ و ٢١٧

سورة الروم - ٣٠

﴿ ويوم تقوم الساعة يقلس المجرمون ﴾ (١٢) ٣٦٠

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون... ﴾ (٢٠) ٤٢ و ١٠٤ و ١٢٠ و ٢٧٥

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا... ﴾ (٢١) ٤٢ و ٢٠١

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم... ﴾ (٢٢) ٤٢

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها... ﴾ (٣٠) ٦١٢ و ٦١٥ و ٦٧٩ و ٨١٢ و ٨١٣

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة... ﴾ (٥٤) ٧٣٠

سورة لقمان - ٣١

﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ (٢٠) ٨٤

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا... ﴾ (٢١) ٣٩٠

﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ (٢٥) ٣٤

﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبحر ما فقدت كلمات الله ﴾ (٢٧) ١٥٣

﴿ ألم تر أن الله يوحى الليل في النهار ويوحى النهار في الليل... ﴾ (٢٩) ٦١٤

﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ (٣٤) ٥٦

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ (٣٣) ٣٨

سورة السجدة - ٣٢

- ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ (٧) ٢٩٠ و ٢٨٩ و ٢٧٦ و ١٠٤
- ﴿ ثم جعل نسله من سلال من ماء مهين ﴾ (٨-٩) ٢٩٠ و ٢٨٩
- ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ (١٧) ٤٠١
- ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستويون ﴾ (١٨) ٤٨٧

سورة الأحزاب - ٣٣

- ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ (٤) ١٤٨
- ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ (٧) ٦١٢
- ﴿ وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾ (٨) ٤٠١
- ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (٢١) ٦٨١ و ٧٥٨ و ٦٨٠
- ﴿ وإذ يقول الذي أنعم الله عليه ﴾ (٢٩) ٦١٦
- ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (٣٦) ٧٩٨ و ٥٢
- ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ﴾ (٣٦) ٥٠
- ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ﴾ (٦٤-٦٥) ٤٠٢ و ٤٠١
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ﴾ (٧٠-٧١) ٣٠

سورة سبأ - ٣٤

- ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ﴾ (١٨) ٣٨٤
- ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ (٢٢) ٣٩٤ و ٣٩٣
- ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ (٢٣) ٣٩٤ و ١٥٤
- ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ (٤٠-٤١) ٣٧٥ و ٣٧٤

سورة فاطر - ٣٥

- ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ (١) ٢٨١
- ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وإنما يدعوه عنكم بملكه فيكونوا من أصحاب السعير ﴾ (٦) ٥٦٣
- ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ (١١) ١٢٠ و ١٠٤

- ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ (١١) ١١٣
- ﴿ يا أيها الناس أتمموا الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ (١٥) ١١٥
- ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور... ﴾ (١٩-٢٢) ٣٩٥
- ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (٢٤) ٧٢٣ و ٧٠٦ و ٦٧٧
- ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ (٣٩) ٦٦٠ و ٦٦٣ و ٦٦٥

سورة يس - ٣٦

- ﴿ قالوا ما أتمم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أتمم إلا تكذيب ﴾ (١٥) ٣٩٩
- ﴿ أمبرواكم أهلكتنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون... ﴾ (٣١-٣٢) ١١٧
- ﴿ أم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان... ﴾ (٦٠-٦١) ٥٦٣ و ٣٨ و ٣٣
- ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم تعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ (٦٠-٦٤) ٥٦٣
- ﴿ وما علمناه الشعروا ينبغي له ﴾ (٦٩) ٧٨٩
- ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ (٧٨) ٣٩٧
- ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (٨٢) ١٥١

سورة الصافات - ٣٧

- ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ (١١) ١٠٤
- ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ (٤٥-٤٧) ٤٦٠
- ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ (٧٧) ١٩٤
- ﴿ قال اتعبدون ما تتحون * والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٩٥-٩٦) ٦٣٠ و ٢٢٦
- ﴿ وقال لي ذاهب إلى ربي سمعدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بسلام حلیم ﴾ (٩٩-١٠٢) ٧٤٠
- ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ (١٠٧) ٤٨٣
- ﴿ وإن لوطا لمن المرسلين ﴾ (١٣٣) ٧٠١
- ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لحضرون ﴾ (١٥٨) ٣٧٠ و ٣٧١

سورة ص - ٣٨

- ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب * فغفرنا له ذلك ﴾ (٢٤-٢٥) ٧٥٢

- ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ (٢٦) ٦٦٠ و ٦٦٥ و ٦٦٨
- ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا... ﴾ (٢٧-٢٨) ٢٥ و ٢٧ و ٤١٦
- ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار... ﴾ (٤٥-٤٨) ٧٤٣
- ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ (٧١) ١٠٤ و ١٠٨ و ١٣٨ و ١٥٢ و ٢٧٠
- و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٩ و ٢٨٠-٢٨٢ و ٢٨٨ و ٢٩٧ و ٣١٢ و ٣٤٥ و ٤١٥ و ٦١٦
- ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٧٢) ١٠٩ و ١١١ و ١١٤ و ١١٩ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٨١
- و ٣٣٠ و ٢٧٢ و ٢٨٨ و ٢٩٧ و ٢١٣ و ٣٣١ و ٣٣٨ و ٣٤٥ و ٤١٥
- ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر... ﴾ (٧٣-٧٤) ٩٤ و ٢٩٧ و ٣١٢ و ٣٢١ و ٣٤٣
- و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٣٦٥ و ٣٧٩ و ٤١٥
- ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين ﴾ (٧٥) ٦٨ و ٧٦ و ٨٢ و ٨٤
- و ٢٩٧ و ٣٤٠ و ٣٤٤ و ٣٦١ و ٣٧٩ و ٤٠٩ و ٤١٥
- ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٧٦) ١٠٤ و ٣٧٩ و ٤٠٨ و ٤١٥
- ﴿ إن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ (٧٨) ٤١٥ و ٤٠٩
- ﴿ قال رب فأظنني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين... ﴾ (٧٩-٨٥) ٣٧ و ٤١٥ و ٥٧٩

سورة الزمر - ٣٩

- ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (٣) ٣٣-٣٤ و ٣٩٣
- ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ (٦) ٢٠١
- ﴿ لا يرضى لعباده الكفر ﴾ (٧) ٥٢٦-٥٢٧
- ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ (١١-١٢) ٢٨٦
- ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ (١٤) ٢٨١
- ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (٣٠) ١٢١ و ٨٤٢
- ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ (٣٨) ٣٤
- ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها... ﴾ (٤٢) ١٣٣

- ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ... ﴾ (٥٤-٥٣) ٥٩٠
- ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (٦٢) ١١٤
- ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ... ﴾ (٦٥-٦٦) ٣٥
- ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ... ﴾ (٦٧) ٧٣
- ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ... ﴾ (٧١) ٦٠١

سورة غافر - ٤٠

- ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾ (١٥) ٦٨٣
- ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ... ﴾ (٢١) ٨٢٤
- ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ (٣١) ٦٦٤
- ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به ... ﴾ (٣٤) ٧٠١
- ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ (٤٦) ٦٢٦
- ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ﴾ (٥٥) ٦٣٥
- ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ... ﴾ (٦٠) ٣٩٣ و ١٤٨
- ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تكون ﴾ (٦٢) ٢٢٢
- ﴿ قل إنني نهيأت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي ﴾ (٦٦) ٢٨٦
- ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ﴾ (٦٧) ١٠٤
- ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ (٧٨) ٧٢٠

سورة فصلت - ٤١

- ﴿ قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون لها أندادا ... ﴾ (٩-١٠) ٢٨٣
- ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ... ﴾ (٣٧) ٣٥٢
- ﴿ وقالوا لجلودهم لما شهدت علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ (٢١) ١٩٥
- ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٢٦) ٥٨٨
- ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ (٣٣) ٦٦٩
- ﴿ وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (٣٦) ٥٨١

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٤٢) ٥٩٣

سورة الشورى - ٤٢

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ (١٠) ٥٠

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١١) ٣٩٧ و ١٨٨-١٨٦ و ٨٥ و ٧٨ و ٧٧

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ... ﴾ (١٣) ٣٨

﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ (٢٥) ٥٤٣

﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ (٤٤) ١١٧

﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ... ﴾ (٤٨-٥٠) ١٣١

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ... ﴾ (٥١) ٧٢١-٧٢٠ و ٢٨٥

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ... ﴾ (٥٢) ٧٣٧ و ٧٣٣ و ٦٨٣ و ٥٤

سورة الزخرف - ٤٣

﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ (١٣-١٤) ٦٦١

﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتب شاهدتهم ﴾ (١٩) ٣٧٥

﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ... ﴾ (٢٢-٢٣) ٣٩٠

﴿ وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ (٢٦-٢٧) ٣٦٦

﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ (٣٨) ٥٨٠

﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ (٤٣) ٦٠٢

﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ (٤٥) ٣٨

﴿ أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ (٥٢) ٤٠٤

﴿ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (٦٢) ٥٦٣

﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ (٨٧) ٣٦

سورة الدخان - ٤٤

﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا عين * ما خلقناهما إلا بالحق ﴾ ٣٨-٣٩ ٢٥، ٢٧

سورة الجاثية - ٤٥

﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ... ﴾ (١٢-١٣) ١٣٧ و ١١٦ و ١١٣ و ٤٥

﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ... ﴾ (٢٤) ٢٢٣

سورة الأحقاف - ٤٦

﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾ (٦) ٦٩٨

﴿ وإذ صرفنا إليك قرآن من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ... ﴾ (٢٩-٣٠) ١٢٧

﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ... ﴾ (٣٠-٣١) ٣٨

سورة محمد - ٤٧

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن ... ﴾ (١٥) ٦٥٤ و ٤٦٠

سورة الحجرات - ٤٩

﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ... ﴾ (٢) ٥١٧

﴿ إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ... ﴾ (٣) ٥١٧

﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٤) ٥١٧

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... ﴾ (١٣) ٢١٩ و ٤٦٠ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٢

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (١٤) ٦١٧ و ٢٨

سورة ق - ٥٠

﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ (٢٩) ٤٣

سورة الذاريات - ٥١

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢١) ٢٢٥

﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ... ﴾ (٢٤-٢٥) ١٩٨

﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ (٥٠-٥١) ٣١

﴿ قول عنهم فما أنت بعلوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ (٥٤-٥٥) ٢٨

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ... ﴾ (٥٦) ٥٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ١٢٧ و ٥٢٧

و ٥٥٧ و ٦٥٣ و ٦٧٨ و ٨٠٨

﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ (٥٧) ٦٧٨ و ٥٥٧ و ٣١ و ٢٧

﴿ إِنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ (٥٨) ٢٧ و ٥٥٧ و ٦٧٨

﴿ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ... ﴾ (٥٩-٦٠) ٣١

سورة الطور - ٥٢

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ ﴾ (٣٥-٣٦) ٢٢٨

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٤٨) ٧٤٤

سورة النجم - ٥٣

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (٣٢) ١٠٣

﴿ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٣٨) ٤٨١

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ (٥٦) ٦١٢

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ (٦٢) ٣١٥ و ٣٥٢

سورة القمر - ٥٤

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (٥٤) ٦٥٤

سورة الرحمن - ٥٥

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (١-٤) ١٩٥ و ٤٧٤

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (١٤) ١٠٤ و ١٠٨

﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْظُرُوا ... ﴾ (٣٣-٣٩) ١٢٧

سورة الواقعة - ٥٦

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ... ﴾ (١٠-٤٠) ٤١٦-٤١٧

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَخْلُودُونَ * بَأْكُوبٍ وَأَبَاقٍ وَكَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ ... ﴾ (١٧-١٩) ٤٦٠

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (٢٥-٢٦) ٣٦٧

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ... ﴾ (٤١-٥٦) ٤١٧

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ فِي الضَّالِّينَ الْمَكْذُوبِينَ * لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ * فَمَالُونَ فِيهَا الْبَطُونَ ﴾ (٥١-٥٣) ٢٨٠

سورة الحديد - ٥٧

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٢٥) ٦٨٢

سورة المجادلة - ٥٨

﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذنين﴾ (٢٠) ٥٠

سورة الحشر - ٥٩

﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (٧) ٢٥

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (١٠) ٥٣٩

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (١٦-١٧) ٤١٨

سورة الممتحنة - ٦٠

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم﴾ (٤٠) ٦٨٠

سورة الصف - ٦١

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ (٦) ٤٨٨

سورة الجمعة - ٦٢

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (٢) ٦٨٢

سورة التغابن - ٦٤

﴿أبشرونا﴾ (٦) ٤٠٤

﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ (١١) ٦٣٥

سورة الطلاق - ٦٥

﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما﴾ (١٢) ٨٠٨ و ٦٥٣ و ٢٤

سورة التحريم - ٦٦

﴿ما لا حكمه غلاظ شديد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٦) ٣٧٥ و ٣٥١ و ٣٣٨ و ٣٠٩

سورة الملك - ٦٧

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ (١) ٧٢

﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا﴾ (٨-٩) ٦٠١

﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ (١٠) ١٩٩

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (١٤) ٢٢٦ و ١٣٢

سورة القلم - ٦٨

﴿إيا بلوآهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ (١٧) ٤٤٧

﴿أفجعل المسلمين كالجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ (٣٥-٣٦) ٤٨٧ و ٤١٦

سورة الحاقة - ٦٩

- ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية... ﴿ (٤-١٠) ٦٨٩.
- ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ (١١) ٢٨٨.

سورة نوح - ٧١

- ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ﴾ (٧) ٥٨٨.
- ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ (١٤) ٢٩٢ و ٢٩٠ و ٢٨٩ و ٢٦٣.
- ﴿ وقالوا لا ندرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ (٢٣) ٨١٦ و ٨١٥.

سورة الجن - ٧٢

- ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا... ﴾ (١-٥) ٤٣٦ و ١٢٧.
- ﴿ وأنا لمسننا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا... ﴾ (٨) ٤٣٩.
- ﴿ وأنا كما نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ (٩) ٤٣٧ و ٤٣٥.
- ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ (٢٣) ٧٥٩ و ٥٠.
- ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ * إلا من ارتضى من رسول... ﴿ (٢٦-٢٨) ٧٤٥ و ٧٤٤ و ٥٧.

سورة المدثر - ٧٤

- ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ (٣٠) ٣١٦.
- ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر ﴾ (٣١) ٣١٠ و ٢٨٥ و ١٢٦.
- ﴿ نذير للبشر ﴾ (٣٦) ٢٨٥ و ١٢٦.
- ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٣٨) ٣٨١.

سورة القيامة - ٧٥

- ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ * إلى ربها ناظرة ﴿ (٢٢-٢٣) ٧١٦ و ١٨٠.
- ﴿ أئحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (٣٦) ٣٨.

سورة الإنسان - ٧٦

- ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا... ﴾ (١-٢) ١٣٠ و ١١٥ و ١٠٩.
- ﴿ إنا هدينا السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ (٣) ٤٧٣.

سورة النبا - ٧٨

﴿عَمَّ يَسَاء لَوْنٌ * عَنِ النَّبَا الْعَظِيمِ﴾ (١-٢) ٦٩٣

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ مَهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ...﴾ (٦-١٦) ٢٥

سورة النازعات - ٧٩

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَاهَا﴾ (٢٧-٢٨) ١٢٤

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ...﴾ (٣٧-٤١) ٦٨٢

سورة المطففين - ٨٣

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ...﴾ (١٥-١٧) ٤٠٨

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافِسُ الْمُنَافِسُونَ﴾ (٢٦) ٤٦

سورة الطارق - ٨٦

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) ٦١٧

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ﴾ (١٣-١٤) ٥٩٢

سورة الأعلى - ٨٧

﴿سُبْحَانَ سَمِيعِ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (١-٣) ١٩٥

سورة الفجر - ٨٩

﴿أَمْ تَرَكَيْتَ فَعْلَ رَبِّكَ بَعَادَ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ...﴾ (٦-١٣) ٨٢٥

سورة البلد - ٩٠

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) ٤٧٣

سورة الشمس - ٩١

﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (١٣) ١١٤

سورة الليل - ٩٢

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾ (١٩-٢٠) ٣٦٧

سورة التين - ٩٥

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ٣٢٣ و ٢٩٧ و ١٦٢

سورة العلق - ٩٦

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ٥٨٣

سورة البينة - ٩٨

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ (٥) ٣٧

سورة الزلزلة - ٩٩

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٧-٨) ٤٣

سورة الإخلاص - ١١٢

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (١-٤) ٣٩٩ و ١٨٦ و ٧٨

سورة الفلق - ١١٣

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب ... ﴾ (١-٥) ٥٨١

سورة الناس - ١١٤

﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس ... ﴾ (١-٦) ٥٨١

﴿ من الجنة والناس ﴾ (٦) ٣٧١

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

- أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه، فقال له : اتنا. فأتاه..... ٨٣٩-٨٣٨
- أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: رسول الله ﷺ أحق أن يسجد له..... ٣٥٥
- أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : يا أبا ذر هل صليت ؟..... ٧١٢-٧١١
- أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام..... ٧٧٩
- أخذ بنفسي الذي أخذ - بابي أنت وأمي يا رسول الله !- بنفسك..... ١٣٣
- أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت..... ٨٨
- أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها..... ٦٠٩
- أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم : أأست بربكم ؟..... ٦١٠
- إذا حضرتم موتاكم؛ فأغمضوا البصر..... ١٣٣
- إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله : من كان في قلبه..... ٧٣٥
- إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله..... ٥٨٢
- إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته..... ١٨٢-١٨٠ و ١٧٨ و ١٧٥ و ١٦٦
- إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه؛ فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه..... ١٧٣
- إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي..... ٤١٥ و ٣٣٧
- الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف..... ١١٥
- أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت..... ٤٥٠ و ١١٨
- أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة، ثم جلس..... ٧٠٩-٧٠٨
- أقتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة..... ٦٣٢
- ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا..... ٨١٣ و ٦٧٩
- اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر..... ١٢٢
- ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ؟..... ١٣٣
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله..... ٧٢٧
- أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تشق عنه الأرض..... ٧١٠
- أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ويدي لواء الحمد ولا فخر..... ٧١٠-٧٠٩
- أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك..... ١٨٩
- أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره..... ٦٢٩ و ٣١١ و ٥٦
- إن كنا لنتنظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين..... ٣٨٣
- إن آدم خلق من ثلاث تربات : سوداء، وبياض، وخضراء..... ٢٧٤ و ١٠٥

إن آدم كان رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق..... ١٦١ و ٣٠٠
 إن آدم ﷺ لما حضره الموت قال لبنيه : أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة..... ٤٣٣ و ٨٠٢ و ٨٣٦
 إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه..... ٥٧٢
 إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي..... ٦٢٦
 إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك..... ٢٩١
 إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر..... ١٥٩ و ١٨٧
 إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا..... ٣
 إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم..... ٥٧١
 إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام..... ٥٦٥-٥٦٦
 إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ..... ٥٠٠
 إن الله خلق آدم على صورته..... ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧
 إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه..... ١٠٩ و ١٣٨ و ٢٧٤ و ٣٧٧
 إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض..... ١٠٥ و ٢٧٣
 إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية..... ٧٥ و ٦٠٦
 إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام..... ٥٨٦
 إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم..... ٤٦
 إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة..... ٢٩٩ و ٤٤٩
 إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار..... ٥٠٠
 إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك وسعديك..... ١٥٠
 إن الله يقول لأهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفندي به..... ١٥٠ و ٦٠٥
 إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة..... ٢٠٢
 إن المرأة خلقت من ضلع، إن أقمتها كسرته؛ فدارها تعش بها..... ٢٠٢
 إن المرأة خلقت من ضلع، فإن تقمها كسرته؛ فدارها؛ فإن فيها أودا وبلغة..... ٢٠٣
 إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر..... ٦٦٦
 إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض..... ٨٤٣
 أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر ﷺ يصلي..... ٥٨٤
 إن النبي ﷺ رأى رجلاً يضرب رجلاً ويقول : قبح الله وجهك..... ١٦٧
 أن النبي ﷺ لما بدّن قال له غم الداري ﷺ : ألا أتخذ لك منيراً يا رسول الله ﷺ يجمع..... ٨٣٨
 أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ... ﴾ قال : =
 = أتدرون أي يوم ذلك ١٤٥

إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا..... ١٢٧
 إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الله المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا..... ٨٠٥
 أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أتبتديء الأعمال أو قد قضى القضاء؟..... ٦٠٨
 أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن يوم الجمعة : ماذا فيه من الخير قال فيه خمس خلال : =
 = فيه خلق آدم ٨٧ و ٥٤٧ و ٨٣٥
 أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير، فسجده..... ٣٥٦
 أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه..... ٧٣٩-٧٤٠
 أن رسول الله ﷺ دخل حائطا من حوائط الأنصار، فإذا فيه جملان يضربان ويرعدان..... ٣٥٤
 أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا..... ٦٦١-٦٦٢
 أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه..... ٧٤٠
 أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين..... ٣٩٥-٣٩٦
 إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ٦
 إن لله أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة..... ٣٤٠
 إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض..... ٨٦ و ٨٣٥ و ٨٣٩
 أن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة..... ١٩٢ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٦٣١
 إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله..... ٨٧ و ٨٨ و ٥٤٧ و ٨٣٥
 الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون..... ٨٤٠
 إنما أنا بشر أَرْضِي كما يَرْضَى البشر، وأغضب كما يغضب البشر..... ١٢٢
 إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ..... ٧٤٤
 إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم..... ٧٠٠
 أنه وَقَدَ النبي ﷺ في قومه، فسمعهم يسمون : عبد الحجر..... ٧٦٩
 إني أخطأت وأنا في الفردوس، فإن يغفر لي اليوم حسبي..... ٤٤٩
 إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزى الحسنة عشرا..... ١٥٣
 إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة. وآخر أهل النار خروجا منها..... ٥٤٤
 أول من جحد آدم - قالها ثلاث مرات - إن الله لما خلقه مسح ظهره..... ٨٣٠
 إياكم ومحقرات الذنوب..... ٥٧٧
 احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما..... ٦٩ و ٣١٣ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٦٣١
 احتج آدم وموسى، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة..... ٤٤٦
 استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس..... ٥٨١-٥٨٢
 انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ..... ٤٣٥-٣٤٦

- انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ ١٢٢
- أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته ١١١ و ٣٢٢
- بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ ٣٩
- بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ٤٣٢
- تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفوها الجبار بيده ٧٤
- ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ٥٠٠
- ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ٥١
- ثم إن المرأة كالضلع ٢٠٤
- جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع ٧٣
- خدعهما مرتين ٧٦٧
- خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ١٣٤
- خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء في الجنة ٦٠٨
- خلق الله آدم حين خلقه فضرب كفه اليماني فأخرج ذرية بيضاء ٦٠٨ و ٦٠٧ و ٧٥
- خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا ١٦٠
- خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه ٣٤٨ و ٣١٣ و ٨٦ و ٦٩
- خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا. فلما خلقه قال ١٤٤ و ١٤٣
- و ١٥٩ و ١٨١ و ١٩٦ و ٣٠٠
- خلق الله عز وجل آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا ١٨٠ و ١٦٨ و ١٦٦ و ١٦٠
- خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا ٧٣٩
- خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار ٣٧٥ و ٢٧٣ و ١٠٥
- خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٥٨
- خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها ٥٤٧ و ٤٢٢
- خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ٨٦
- و ١٠٠ و ٤٢١ و ٥٤٦ و ٥٤٧
- خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة ٨٣٥ و ٨٧ و ٨٦
- دخل النبي ﷺ حائطا للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الأنصار ٣٥٦ و ٣٥٥
- دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة عليه السلام، وقد شق بصره؛ فأغمضه ١٣٣
- دع ما يريك إلى ما لا يريك ٥٤٠
- دعوة المرء المسلم لأخيه، بظهر الغيب مستجابة ٥٣٩
- الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ٥٨١

- سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عنه فقال : قال بحق محمد وعلي ٥٢٨-٥٢٩
- سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله ١٣٣
- سمع رسول الله ﷺ خصومة بباب حجرته؛ فخرج إليهم ١٢١
- سيد الأيام يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ٨٧ و ٤٢٢ و ٥٤٧
- صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا، فقلنا : يا رسول الله ! أزيد في الصلاة ؟ ١٢١ و ٧٣١
- صليت ما قدر لي فنعست في صلاتي، فاستثقلت ١٧٩
- عرضت علي الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر ٦٩٩
- العلماء ورثة الأنبياء ٧٠٣
- فإذا أنا بآدم كهية يوم خلقه الله على صورته ٦٢٨
- فإذا بشيخ جالس تام الخلق لم ينقص من خلقه شيئا، كما ينقص من خلق البشر ٦٢٨
- فإذا أنا بـيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن ٣٠١ و ١٦٢
- فألقي الله عز وجل تلك القبضة في نهر من أنهار الجنة حتى صارت طينا ٩٥
- فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه وإن هلك جسمك وأخذ مالك ٦٦٦
- فأنا منه بريء وهو للذي أشرك ٣٥
- فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فتزل جبريل، ففرج صدري ٦٢٥
- فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآوه فيها أول مرة ١٧٨-١٧٩
- فيأتيهم الله، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ١٧٨
- قال آدم ﷺ : أرايت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم ٥٠٣
- قال الله تبارك وتعالى : أنا أغني الشركاء عن الشرك ٣٥
- قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ٤٠١ و ٤١٧
- قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة ٢٢٦
- قالت أم العلاء : سكن عندنا عثمان بن مظعون فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه =
- = دخل علينا رسول الله ﷺ ٥٦-٥٧
- قال سعد بن عبادَةَ ﷺ : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك =
- = رسول الله ﷺ، فقال : تعجبون من غيره سعدا ! ٣٩
- قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمابين مكة والمدينة ١٢٢
- كان إذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم ٥٨٢
- كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْتَوْنَ عليه، وإن الحمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره =
- = وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا ٣٥٤-٣٥٥
- كان بشرا من البشر؛ يبغي ثوبه، ويحب شاته، ويخدم نفسه ١٢٢

- كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الرحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ٤٣٦.....
- كان رسول الله ﷺ في المسجد جالسا، وكانوا يظنون أنه ينزل عليه ٧١١.....
- كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي ٣١٠-٣١١ و٦٨٨.....
- كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ٤٧٣-٤٧٤.....
- كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث ٥٣٨.....
- كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ٥٨١ و٧٤٠.....
- كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي ٧٠٠ و٧٠٣.....
- كانت له [أي: لأبي أيوب الأنصاري] سهوة فيها تمر، فكانت تجيء الغول، فتأخذ منه، فشكا = ذلك إلى النبي ﷺ ٥٨٦.....
- كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ٦٣٢.....
- كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ٠٠٠..... ٤٠.....
- كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب ١٢٨.....
- كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فترلنا متزلا، فمنا من يصلح نجاءه ٤٧٣.....
- كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان فقال: لا تقل تعس الشيطان ٥٨٤.....
- كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته، تمر زمامها بأرض قفر ٥٤٣-٥٤٤.....
- لا أحد أعير من الله؛ ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ٣٩.....
- لا تجمعوا بيوتكم مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ٥٨٥.....
- لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن ١٧١.....
- لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ٧٢٢ و٧٨٢ و٨٠١.....
- لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ٥٠٠.....
- لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف ٤٩.....
- لا يؤمن أحدكم حتى أكون إليه من والده وولده والناس أجمعين ٥١.....
- لا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ١٦٦.....
- لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئة ٧٣٩.....
- لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج ٣٩٥.....
- لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: يا جابر! ما لي أراك منكسرا؟ ١١٨.....
- لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ٥٤٤.....
- لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ٥٠٦.....
- لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا، ألدوا له، وقالوا ٨٣٦.....
- لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ... فسار رسول الله ﷺ ٧١٠.....

لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد ٧٦٤

لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله ١٤٣ و ٣٠٠ و ٨٠٩

لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة ١٤٤ و ١٩٠ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٦٠٧

و ٧٣٠ و ٧٩٢ و ٨٣١ و ٨٣٢

لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس ٧٤ و ١٤٤ و ٣٠٠ و ٤٣٨ و ٨٢٩ و ٨٣١

لما خلق الله عز وجل آدم انتزع ضلعاً من أضلاعه فخلق منه حواء ٢٠٣

لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ٩٩ و ١٣٨ و ٢٧٤ و ٣٦١ و ٣٧٧ و ٤١٢

لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال : " ما هذا يا معاذ ؟ ٣٥٣ - ٣٥٤

لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين ١٤٣ و ٢٩٩ و ٨٠٩

لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان ٥٨٣

لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله ٦٢٠

لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا ٤٤ و ١٠٥ و ٢٢٠ و ٢٧٣

ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ٦١٥ و ٦٧٩ و ٨١٢ و ٨١٣

ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ١٥٠

مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قمره ٨٤٠

من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ٥٣١

من أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ٥١ - ٥٢

من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ٥٠ و ٧٥٩

من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ٥٦٠

من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله ٦٦٤ و ٦٦٨

من بدل دينه فاقتلوه ٣٧٢

من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ٥١٤

من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ٥٢٦ و ٥٣٤

من قاتل فليجتنب الوجه؛ فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن ١٧٣

من قال في دبر صلاة الفجر ... قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ٥٨٧

من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد ٥٨٧

من قال يعني إذا خرج من بيته : "بسم الله، توكلت على الله ٥٣٨ - ٥٨٤

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيراً ٢٠٢

من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه ٤٠١

الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب ٤٢

- نزل آدم بالهند واستوحش ٥٥٥
- نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ عَلَى النَّبِيِّ ۖ وَهُوَ فِي مَجِئِهِ... فقال : " أتدرون أي يوم هذا ؟ =
 = يوم يقول الله لآدم : قم، فابعث بعثا إلى النار ١٤٦
- وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود =
 = الوجوه ٦٢٦-٦٢٧
- وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ٣٩٥
- وأني بأرضك السلام ١٩٨
- والذي نفس محمد بيده ! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ٦٤٧
- والذي نفسي بيده ! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ٥٤٣
- وكل الله بالرحم ملكا، فيقول : أي رب نطفة، أي رب علقة ٢٩١
- وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام ٥٨٥
- ولتكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القتال ٨٠٥
- يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ٤٠٢
- ياخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه ٧٤
- يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ٢٧٦ و ٢٧٥ و ١١١
- و ٧٨١ و ٨١٠ و ٨١١
- يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ٣٢٢ و ١٩٤ و ١٨٩
- يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ٤٦
- يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ٢٧٣ و ٢٢٠ - ١٠٥ و ٢١٩ و ٤٤
- يا رسول الله ! ألا أنشدك محمد حمدت بها ربي تبارك وتعالى ؟ ٤٠
- يا رسول الله ! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي ٥٨٢
- يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " ٧٢٣ و ٧٠٩ و ١٤٦ و ٦
- يا رسول الله ! إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء ١٠٧
- يا رسول الله ! متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ١٣٩
- يا رسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ١٣٩
- يا رسول الله ! أرايت آدم أنبيا كان ؟ قال : " نعم كان نبيا رسولا كلمه الله ٧٢١
- يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ٣٩٤
- يا نبي الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم ٧٢١
- يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب ٦٣٣

يُجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم.....٦٨-٦٩ و١٩١ و١٩٣ و٢٧٦
و٢٩٨ و٣١٣ و٣٤٧ و٧١٥
يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم.....٤٤٦
يحبس المؤمنون يوم القيامة، حتى يُهْمُوا بذلك.....٧١٦
يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرْب.....١٥٤
يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً، مُرْداً، يَضَا.....١٦
يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صوم.....١٥٦
يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة.....٧٤
يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات يمينه.....٧٣
يقتل عند كثركم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم.....٦٦٦
يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم ! يقول : لبيك ربنا وسعديك.....١٤٥ و١٥٤
ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً.....٤٠١

٣- فهرس الآثار.

- أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس إلا ثلاثة أشياء : غرس الجنة بيده ٠٠٠..... ٧١
أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق، وما سواه =
مخلوق، والقرآن كلام الله ٠٠٠..... ١٥٦
إلا لأمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي ٠٠٠..... ٣٧
إلا ليعبدون ويطيعون؛ فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد..... ٣٧
إلا ليقرؤا لي بالعبودية طوعا أو كرها..... ٣٣
أما بعد ! أيها الناس فإنني قد وليت عليكم، ولست بخيركم..... ٧٥٥
أما بعد، ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات..... ٨٤٢
إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة «لن بسطت إليك لتقتلي...» لعثمان بن عفان..... ٨٠٤
أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا : ربنا..... ٦٦٨
إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث : خلق آدم ﷺ بيده..... ٧١
إن المارج من النار هو : اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت..... ١٠٥
أن رسول الله ﷺ مات... فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله..... ٨٤٢
إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع..... ٨٤٠
أهبط آدم ﷺ إلى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف..... ٥٥٢
أهبط آدم ﷺ إلى موضع البيت الحرام بين الركن والمقام..... ٥٥٢
أهبط آدم ﷺ بالصفاء وحواء - عليها السلام - بالمروة..... ٥٥٢
أهبط آدم ﷺ في الهند..... ٥٥٢
أول من قاس إبليس، وما عبت الشمس والقمر إلا بالمقاييس..... ٣٩٢
أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعائه إلى دينه..... ٦٦٩
امدد بصرك يا ابن أخي، ما السواد الذي ترى ؟..... ٥٥
أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى..... ٥٠٣ و ٤٤٨-٤٤٧
أي رب أرأيت ما أتيت أشياء ابتدعتها من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني ؟..... ٥٠٣
توسل الضحاك بن قيس ﷺ لما قحطوا بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي..... ٥٣٣
توسل معاوية ﷺ لما قحطوا بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي..... ٥٣٣
جبلهم على الشقاوة والسعادة..... ٣٣
جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية..... ٣٣
جمعه له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحا ثم صورهم..... ٦١٢-٦١١
حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله..... ١٦٤
حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة..... ٣٨٠

٥٤٨.....	خرج آدم من الجنة بين الصلاتين صلاة الظهر وصلاة العصر
٩٣.....	خلق الله آدم في سماء الدنيا، وإنما أسجد له ملائكة سماء الدنيا
٢٧٤ و ١٠٦.....	خلق الله تعالى عز وجل آدم عليه السلام من أديم الأرض جميعها
٧٠.....	خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده : آدم <small>عليه السلام</small> ، والقلم
٧٠٧.....	رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين
٣٦٤.....	ركب عمر <small>رضي الله عنه</small> برذونا فجعل يتبختر به
٧٦.....	سألت ابن أبي مليكة عن يد الله تعالى واحدة أو اثنتان ؟ قال : بل اثنتان
١٠٨.....	«الصلصال» الطين اليابس
١٠٨.....	«الصلصال» هو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة فهو كالفخار كما قال الله عز وجل
١٠٨.....	الطين اللازب : اللازق الجيد
١٠٨.....	«طين لازب» ملتصق
٧٧٤.....	عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده
٧٠٧.....	فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم
٣٧٨.....	فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة
٩٨.....	فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة
٣٧٨-٣٧٧.....	فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله
٣٩٢.....	قاس إبليس وهو أول من قاس
٦٦٢.....	قال رجل لأبي بكر : يا خليفة الله ! قال : لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله
٦٦٩.....	قبض رسول الله <small>ﷺ</small> فاستخلف الله أبا بكر، ثم قبض أبو بكر
٧٥.....	قوله تعالى : «بل يدها مبسوطتان» قال : يعني اليدين
٧٦.....	قوله تعالى : «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» قال : بيديه
٣٣٢-٣٣١.....	كانت تحية من قبلكم
٤٣٧.....	كان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء
٦٥٦ و ٩٠.....	كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة
=	كان الحسن إذا تلا : «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا...» قال : هذا حبيب الله، هذا ولي الله =
٦٧٠-٦٦٩.....	= هذا صفوة الله، هذا خيرة الله
٨١٤.....	كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام
٨١٤ و ٧٢٣ و ٧١٩.....	كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق
٣٣٥.....	كان سجود الملائكة إيماء
٥٣٢.....	كان عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> إذا قحطوا توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب <small>رضي الله عنه</small>
٧٧٤.....	كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم
٨١٤.....	كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» فكان أول نبي بعث نوح
٣٧.....	لأمرهم وأنهم

لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم.....	٥٨
لبث آدم ﷺ في الجنة ساعة من نهار.....	٥٤٩
لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشققه ولأفعلن.....	٧٧١
لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد.....	٦٥٦-٦٥٥ و ٦٥٠ و ٤٤٨ و ٩٠.....
لقد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر.....	٦٥٧
لا يجمع الله عليك موتين؛ أما المنة الأولى التي كتبت عليك فقد متها.....	٨٤٢
لم يبق إلا ذرية نوح.....	١٩٤
لم يخلق الله بيده غير ثلاث : خلق آدم ﷺ بيده.....	٧٠
لم يكن له بد من أن يأكل منها لأنه خلق للأرض.....	٦٥٠
لما أصاب آدم الخطيئة فرغ إلى كلمة الإخلاص فقال : لا إله إلا أنت سبحانك.....	٥٠٤
لما حملت حواء أناها الشيطان، فقال لها : أتطيعيني ويسلم لك ولدك، سمي عبد الحارث.....	٧٨٣
اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي.....	٥٢٤
اللهم إني أسألك بحق محمد عليك.....	٥٢٤
لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب آدم، ثم أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا.....	٦١٠
ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.....	٧٥٥
ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.....	١٦٤
ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني.....	٢٩
ما خلقتهما إلا للعبادة.....	٣٧
ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس.....	٥٤٨
ما مكث آدم ﷺ إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر.....	٥٤٩-٥٤٨
مرت بآدم أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح.....	٩١
مكث آدم في الجنة مائة عام أو ستين عاما.....	٥٤٩
مكث في الجنة خمس ساعات.....	٥٤٩
من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم.....	٥٢
«من حمائمسنون» من حمائمتن.....	١٠٨
«من حمائمسنون» من طين رطب.....	١٠٨
من قال : إن آدم قال شعرا، كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمأثم.....	٧٩٠
من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة.....	٤٨
الهدى : الأنبياء والرسل والبيان.....	٧٠٧
هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان.....	٨١٥
هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا.....	٧٧٤
وأيمن الله! إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن ييسط إلى أخيه.....	٨٠٤
ولينا أبو بكر، فكان خير خليفة الله، أرحمه بنا، وأحناء علينا.....	٦٦٩

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٧١٦.....	آدم عبد الله الألوري النيجيري
٢١٤.....	إبراهيم بن الحسين الحامدي، من دعاة الإسماعيلية الباطنية
١٦٨.....	إبراهيم بن خالد - أبو ثور الكلبي
٣٧.....	إبراهيم بن محمد بن السري - الزجاج
٣٢٩.....	إبراهيم بن محمد بن مفلح - ابن مفلح المقدسي
٥٠٨.....	إبراهيم بن هدية الفارسي - أبو هدية
٥١٨.....	إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق - الجوزجاني
٥٨١.....	أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
٥٨٤.....	أبو المليح بن أسامة بن عمير الهذلي
٧٦.....	أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل - أبو بكر الإسماعيلي
٤٤٢.....	أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي - الشهير بزروق
١٣٧.....	أحمد بن الحسين بن علي - أبو بكر البيهقي
١٦٩.....	أحمد بن حميد المشكافي - أبو طالب
٤٤٢.....	أحمد بن سليمان بن كمال باشا
٩٣.....	أحمد بن شعيب - النسائي
٢٣.....	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام - شيخ الإسلام ابن تيمية
٩٥.....	أحمد بن عبد الرحمن بن وهب القرشي المصري
٥١٠.....	أحمد بن عبد الله بن أحمد - أبو نعيم الأصبهاني
٦٥٧.....	أحمد بن عبد الله بن سليمان - أبو العلاء المعري
٣٣٤.....	أحمد بن علي الرازي - الجصاص
٦١.....	أحمد بن علي بن محمد - ابن حجر العسقلاني
٥١٠.....	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق - البزار
٩٦.....	أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي
٣٦.....	أحمد بن محمد بن إبراهيم - الثعلبي
١٦١.....	أحمد بن محمد بن أبي بكر - القسطلاني
٥٣٧.....	أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر - القدوري
٥٣٥.....	أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس - الشلي
٢٩.....	أحمد بن محمد بن إسماعيل - النحاس
٥٠٩.....	أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي - أبو جعفر الطحاوي

٤٤٢.....	أحمد بن محمد بن عبد الله - القلشاني
٦٦.....	أحمد بن محمد بن عماد - ابن الهائم
٤٤٢.....	أحمد بن محمد بن عمر - الخفاجي
٣٦٥.....	أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي
٢٥٦.....	أرنست هيكل
١٨٥.....	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد - ابن راهويه
٥١٨.....	إسحاق بن منصور بن بهرام - الكوسج
٣٦٤.....	أسلم العدوي - مولى عمر بن الخطاب
٣٤.....	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة - السدي
١٥٧.....	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد - الصابوني
٥٢.....	إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي
٧٧.....	إسماعيل بن محمد بن الفضل - قوام السنة
٢٢٥.....	ألكسندر إيفانو فتش - أوبارين
٨٠٤.....	أيوب بن كيسان السخيتاني
٣٨٧.....	بشار بن برد، الشاعر الملحد
٧٦٧.....	بكر بن عبد الله المزني
٤٤٩.....	ثابت بن أسلم البناني
٢٣٤.....	جارلس روبرت - داروين
٤٦٨.....	جعدة بن هبيرة المخزومي
٥٣٥.....	جلال الدين بن شمس الدين - الخوارزمي الكرلاني
٣٢٩.....	جمال الدين بن محمد سعيد - القاسمي
٤٦٦.....	جيلان بن فروة الأسدي
٤٤٤.....	حافظ بن أحمد بن علي - الحكمي
٥٤٩.....	حسان بن عطية المحاري مولاهم
٣٧٣.....	الحسن بن أبي الحسن البصري
٤٤٤.....	حسن بن طور خان بن داود - الكافي البوسنوي
٧٩٤.....	الحسن بن عطية بن سعد العوفي الكوفي
٩٣.....	الحسن بن علي بن عمر - الدارقطني
٤٧٥.....	الحسن بن علي بن محمد - الحسن العسكري
٥٣٦.....	الحسن بن منصور بن محمود - قاضي خان
٩٤.....	الحسين بن إبراهيم حسين - الجوزقاني

٧٩٤.....	الحسين بن الحسن بن عطية العوفي.....
٦٩٧.....	الحسين بن الحسن بن محمد - الحلبي.....
٢١٢.....	الحسين بن علي بن محمد بن الوليد - الإسماعيلي الباطني.....
٥١٩.....	الحسين بن علي بن يزيد - أبو علي النيسابوري.....
٣٠٦.....	الحسين بن محمد بن الفضل - الراغب.....
١٠١.....	الحسين بن محمد بن عبد الله - الطيبي.....
٣٦.....	الحسين بن مسعود بن محمد - الفراء البغوي.....
٣٧٣.....	حسين بن يعقوب الحمذاني.....
٧١.....	حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسي.....
٦٩٧.....	حمد بن محمد بن إبراهيم - الخطابي.....
١٩١.....	حميد الشامي.....
٥٠٩.....	خالد بن خدّاش بن عجلان - صاحب مالك.....
٥٠٢.....	خالد بن معدان الكلاعي.....
٦٥٠.....	خالد بن مهران البصري - الحذاء.....
١٠٠-٩٩.....	خليل أحمد بن مجيد علي بن أحمد علي - السهارةفوري.....
٣٧.....	الربيع بن أنس البكري.....
٣٣٩.....	رُفيع بن مهران الرياحي - أبو العالية.....
٧٥٧.....	روح الله الخميني الرافضي.....
٩٣.....	زكريا بن يحيى البصري - الساجي.....
٢٩.....	زيد بن أسلم العدوي - مولى عمر بن الخطاب.....
٥٦٥.....	سيرة ابن أبي فاكه.....
٧٩٤.....	سعد بن محمد بن الحسن العوفي.....
٢٩.....	سعيد بن المسيب بن حزن.....
٩٨.....	سعيد بن جبير الأسدي مولا هم.....
٤٤٩.....	سعيد بن منصور الخراساني - صاحب السنن.....
٤٢٥.....	سفيان بن عيينة الهلالي.....
٤٣٩.....	سُلَيم بن أيوب بن سُلَيم - الرازي.....
٥٠٨.....	سليمان بن أحمد بن أيوب - الطبراني.....
٥٠٨.....	سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني - أبو داود.....
٥١٣.....	سليمان بن عبد الله آل الشيخ.....
٦٥٩.....	سليمان بن عمر بن منصور العجلي - الجمل.....

٥٧٢.....	سليمان بن مهران - الأعمش.....
٦٢١.....	شبرويه بن شهر دار بن شبرويه - الديلمي.....
٥١٩.....	صالح بن الإمام أحمد بن محمد الشيباني.....
٥١٨.....	صالح بن محمد بن عمرو - الجزرة.....
٦١٢.....	صالح بن مهدي بن علي - المقلبي.....
٥٣٩.....	صفوان بن عبد الله بن صفوان القرشي.....
٥٣٣.....	الضحاك بن قيس بن خالد الفهري.....
٢٩.....	الضحاك بن مزاحم الهلالي.....
٣٢٠.....	طنطاوي بن جوهري المصري.....
٧٦.....	عاصم بن العجاج الجحدري.....
٦٩٣.....	العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي.....
٥٩٢.....	عبد الجبار بن أحمد الهمداني - القاضي.....
٤٤٠.....	عبد الحق بن غالب الأندلسي - ابن عطية.....
٥٣٦.....	عبد الحكيم الأفغاني.....
٩٦.....	عبد الرؤوف بن تاج العارفين - المناوي.....
٣٣٦.....	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد - السيوطي.....
٤٤١.....	عبد الرحمن بن أحمد - ابن رجب الحنبلي.....
٤٤٤.....	عبد الرحمن بن أحمد الإيجي.....
١٦٤.....	عبد الرحمن بن أحمد بن يونس.....
٩٥.....	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.....
٦٥.....	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد - السهيلي.....
٦٥١.....	عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط.....
٩٤.....	عبد الرحمن بن علي بن محمد - ابن الجوزي.....
٥٤٩.....	عبد الرحمن بن عمرو - الأوزاعي.....
١٦٣.....	عبد الرحمن بن القاسم - صاحب الإمام مالك.....
٥٥.....	عبد الرحمن بن محمد - ابن خلدون.....
٩١.....	عبد الرحمن بن محمد الدوسري.....
١٦٤.....	عبد الرحمن بن محمد بن إدريس - ابن أبي حاتم.....
٤٥٧.....	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف - الثعالبي.....
٥٠٤.....	عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.....
٧٠٨.....	عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني - عز الدين الحنبلي.....

٥٠٩.....	عبد العزيز بن محمد بن عبيد - الدراوردي
١٥٧.....	عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي
٤٢٦.....	عبد القادر بن أحمد بن مصطفى - ابن بدران
٥٣٦.....	عبد القادر بن عثمان القاهري - الطوري
٣٩٨.....	عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم - الجيلي
٩١.....	عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن - الخطيب
٤٣٩.....	عبد الله بن أبي زيد القيرواني - مالك الصغير
٤٤٠.....	عبد الله بن أحمد بن محمود - التسفي
١٦٧.....	عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل
٥٢٤.....	عبد الله بن ذكوان القرشي - أبو الزناد
١٨٥.....	عبد الله بن عبد الرحمن - أبا بطين
٥٥٥.....	عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري
٣٧٤.....	عبد الله بن عبد الله بن سلامة - الأدكاوي المؤذن
٧٦.....	عبد الله بن عبيد الله - ابن أبي مليكة
٩٣.....	عبد الله بن عدي بن عبد الله - ابن عدي
٤٤٠.....	عبد الله بن عمر بن محمد - البيضاوي
٥٠٧.....	عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي - ابن لهيعة
١٧٤.....	عبد الله بن محمد بن جعفر - أبو الشيخ
٥١٧.....	عبد الله بن محمد بن علي - أبو جعفر المنصور
٥٣٥.....	عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي - ابن مودود
١١٦.....	عبد الله بن مسلم الدينوري - ابن قتيبة
٩٥.....	عبد الله بن وهب بن مسلم المصري - صاحب مالك
١٩٧.....	عبد الملك بن حبيب بن سليمان الأندلسي
٣٦.....	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
٤٤٣.....	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف - الجويني إمام الحرمين
٤٤٤.....	عبد الوهاب بن أحمد بن علي - الشعرائي
٧٤٩.....	عبد الوهاب بن علي السبكي
١٥٧.....	عبيد الله بن سعيد بن حاتم - السجزي
٣٤٢.....	عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد - أبو زرعة الرازي
٥٥.....	عبيد الله بن محمد بن محمد - ابن بطة
٤٤٢.....	عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحمان - المبار كفوري

٥٠٣.....	عبيد بن عمير الليثي
٨٣٠.....	عثمان بن أبي العاتكة : سليمان الأزدي
٥٣٥.....	عثمان بن علي بن محجن - الزيلعي الحنفي
٣٨٣.....	عروة بن الزبير بن العوام
٥٥٤.....	عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي
٥٠٢.....	عطاء بن أبي مسلم الخراساني
٧٩٤ و ٤٦٧.....	عطية بن سعد بن جنادة العوفي
٣٧.....	عكرمة مولى ابن عباس
٦١٠.....	علقة بن قيس بن عبد الله النخعي
٥١٦.....	علي بن أبي بكر بن سليمان - الهيثمي
٥٣٥.....	علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني - صاحب الهداية
٤٦٠.....	علي بن أبي الحسن بن منصور - الحريري
٧١٢.....	علي بن أحمد السبيعي الأموي - ابن حمير
١١٨.....	علي بن أحمد بن سعيد - ابن حزم
٣٣٦.....	علي بن أحمد بن محمد - الواحدي
٤٤٢.....	علي بن أحمد بن مكرم الله الصبيدي العدوي
٧٦.....	علي بن إسماعيل بن إسحاق - أبو الحسن الأشعري
٥٥٥.....	علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي - ابن عساكر
٣٠٨.....	علي بن حمزة بن عبد الله - الكسائي
٤٣٩.....	علي بن خلف بن عبد الملك - ابن بطال
١٠١.....	علي بن سلطان بن محمد - ملا علي القاري
٥١٢.....	علي بن عبد الكافي - السبكي
٥٠٩.....	علي بن عبد الله بن جعفر - ابن المديني
١٥٧.....	علي بن علي بن محمد - ابن أبي العز
٤٣٩.....	علي بن عيسى الرماني
٤٤٠.....	علي بن محمد بن إبراهيم - الخازن
٤٥٣.....	علي بن محمد بن حبيب - الماوردي
٥١٣.....	علي بن محمد بن علي - ابن عراق
٦٩٥.....	علي بن محمد بن علي الجرجاني
٥٥٠.....	علي بن محمد بن محمد - ابن الأثير المؤرخ
٩٦.....	علي بن محمد بن محمد المنوفي

عمر بن علي - ابن الفارض.....	٣٢٥-٣٢٦
عمر بن علي بن سالم - الفاكهاني.....	٤٤٠
عمر بن علي بن عادل - ابن عادل الدمشقي.....	٣٣٦
عمرو بن دينار.....	١٥٦
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي القاضي.....	٤٤٠
غزوان الغفاري - أبو مالك.....	٤٦٦
فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.....	٦٠٤
فتح بن سعيد الموصلبي.....	٤٣٩
فم الذهب بطرياك.....	٤٧٢
قاسم بن أسد علي الصديقي النانوتوي - مؤسس مدرسة ديوبند.....	٨٤١
قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي.....	٤٤١
قتادة بن دعامة السدوسي.....	٢٠٢
كعب بن ماته الحميري - كعب الأخبار.....	٧٠
الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري.....	٥٠٧
مجاهد بن جبر المكي.....	٣٦
محارب بن دثار السدوسي.....	٤٦٧
محب الله بن عبد الشكور البهاري الحنفي.....	٧٣٣
محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز - ابن عابدين.....	٥٣٦
محمد أورنك زيب عالمكير بن خرم شاه جهان.....	٥٣٦
محمد باقر المجلسي - الرافضي.....	٧٢٩
محمد زكريا بن يحيى - الكاندهلوي.....	١٠٠
محمد طاهر بن علي الفتني الكجراتي.....	٥٢٩
محمد الطاهر بن محمد الشاذلي - ابن عاشور.....	٣٠٦
محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم - المباركفوري.....	٦٦٨
محمد علي بن محمد بن علان البكري.....	٦٦٤
محمد الفراهي - ملا مسكين.....	٥٣٥
محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري - ابن المنذر.....	٥٢٤
محمد بن إبراهيم بن خليل - التتائي.....	٩٦
محمد بن إبراهيم بن كيسان - ابن كيسان.....	٣٠٦
محمد بن أبي بكر بن أيوب - ابن القيم.....	٢٣
محمد بن أحمد الشريبي الخطيب.....	٧٨٨

٤٤٢.....	محمد بن أحمد المورتاني - الملقب بالداه
٩١.....	محمد بن أحمد بن أبي بكر - القرطبي
٦٩٧.....	محمد بن أحمد بن سالم - السفاريني
٥١٢.....	محمد بن أحمد بن عبد الهادي - ابن عبد الهادي
١٦٤.....	محمد بن أحمد بن عثمان - الذهبي
٤٤٠.....	محمد بن أحمد بن محمد - ابن جزى الكلبي
٣٣٦.....	محمد بن أحمد بن محمد - جلال الدين المحلي
٩٣.....	محمد بن إدريس بن المنذر - أبو حاتم الرازي
١٦٥.....	محمد بن إسحاق بن خزيمة
٩٦.....	محمد بن إسحاق بن محمد - ابن مندة
٥٠٩.....	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - الإمام البخاري
٤٢٥.....	محمد بن بحر الأصفهاني
٣٣.....	محمد بن جرير الطبري
١٦٥.....	محمد بن حبان بن أحمد - ابن حبان
٥٣٦.....	محمد بن الحسن الشيباني مولا هم - صاحب أبي حنيفة
٣٠٧.....	محمد بن الحسن الاسترابادي - رضي الدين
٦٥.....	محمد بن الحسن بن دريد
٧٠.....	محمد بن الحسين الآجري
٦٤٥.....	محمد بن الحسين بن محمد - القاضي أبو يعلى
٨٤٣.....	محمد بن خلف بن عمار العسقلاني
١٦٨.....	محمد بن خلف بن عمر - الأبي
٣٥.....	محمد بن السائب بن بشر - الكلبي
٥٠٩.....	محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولا هم - ابن سعد
٣٩٢.....	محمد بن سيرين الأنصاري البصري
٢٩.....	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر
٣٣٥.....	محمد بن عباد بن جعفر المخزومي
٣٧٣.....	محمد بن عبد الباقي بن يوسف - الزرقاني
٤٠٣.....	محمد بن عبد الكريم بن أحمد - الشهرستاني
٣٤٠.....	محمد بن عبد الله الشبلي - القاضي بدر الدين
١٦٣.....	محمد بن عبد الله بن عيسى - ابن أبي زمنين
٣٢٩.....	محمد بن عبد الله بن محمد - ابن العربي المالكي

٥١٠.....	محمد بن عبد الله بن محمد - الحاكم
٤٢٥.....	محمد بن عبد الوهاب - أبو علي الجبائي
٣٧٣.....	محمد بن علي بن أحمد البلنسي
٧٨٦.....	محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي - أبو بكر القفال
٥٢٣.....	محمد بن علي بن الحسين - أبو جعفر الباقر
٢٩٢.....	محمد بن علي بن حسن بن علي - صديق حسن خان القنوجي
١٦٩.....	محمد بن علي بن عبد الله - حمدان الوراق
٩٩.....	محمد بن علي بن محمد - الشوكاني
٦٧١.....	محمد بن علي بن محمد الحاتمي - محي الدين ابن عربي
١٦٨.....	محمد بن عمر بن الحسن - الرازي
١٦٣.....	محمد بن عمر بن موسى - أبو جعفر العقيلي
١٧٤.....	محمد بن عوف بن سفيان الطائي
٥٠٩.....	محمد بن عيسى بن سورة - الترمذي
٥٣٥.....	محمد بن فراموز بن علي - ملا خسرو
٦٠٥.....	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري
٤٦٨.....	محمد بن قيس المدني
٥٠٢.....	محمد بن كعب القرظي
٤٣٩.....	محمد بن محمد بن الحسين - البزدوي
١٧٩.....	محمد بن محمد بن محمد - أبو حامد الغزالي
٥٣٥.....	محمد بن محمد بن محمد - مرتضى الزبيدي
٤٢٤.....	محمد بن محمد بن محمود - أبو منصور الماتريدي
٤٤٤.....	محمد بن محمد بن محمود البابرقي
٤١٥.....	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي - أبو السعود
٦٣.....	محمد بن المستنير النحوي - قطرب
٥٢.....	محمد بن مسلم بن عبيد الله - الزهري
٥١٨.....	محمد بن مسلم بن عثمان - ابن واره
١١٦.....	محمد بن نصر المروزي
٥٩٨.....	محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان - الطرطوشي
٣٥١.....	محمد بن يزيد الأزدي - المبرد
١٦٤.....	محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي
٦٦.....	محمد بن يوسف بن علي - أبو حيان

٧١٦.....	محمد بن يوسف بن علي - الكرمانى
١٦٨.....	محمد بن يوسف بن عمر - السنوسى
٤٤٠.....	محمود بن أبي الحسن بن الحسين
٤٤١.....	محمود بن أحمد بن موسى - العيني
٤٣٩.....	محمود بن حمزة الكرمانى
٢٠٥.....	محمود بن عبد الله الحسينى - الآلوسى
٣٥٠.....	محمود بن عمر بن محمد - الزمخشري
٤٤٤.....	مسعود بن عمر بن عبد الله - التفتازانى
٤٤٢.....	مصطفى بن ميمش بن الحسين
٧٥٦.....	معد بن إسماعيل بن سعيد المعز الفاطمى
٣٠٧.....	معمر بن المثنى التيمى مولا هم - أبو عبيدة
٥٠٩.....	معن بن عيسى بن يحيى الأشجعى
٢٠٢.....	مقاتل بن حيان النبطى البلخى
١٩١.....	مقاتل بن سليمان الأزدي
٣٧٣.....	مكي بن حموش بن محمد القيسى
٤٢٥.....	منذر بن سعيد البلوطى
٤٦.....	المنذر بن مالك بن قطعة
٦٥١.....	منصور بن محمد بن عبد الجبار - أبو المظفر السمعانى
٥٤٩.....	موسى بن عقبة الأسدي مولى آل الزبير
٧١.....	ميسرة أبو صالح، مولى كندة
١٣٩.....	ميسرة الفجر الكلابى
٣٧٠.....	ميمون بن قيس بن جندل - الأعشى
٧٦.....	نافع بن عمر الجمحى
٤٢٥.....	نصر بن الصباح البلخى
٦٥.....	النضر بن شميل المازنى
٦٠٣.....	نضر بن عربى الباهلى
١١٧.....	نعمان بن محمود بن عبد الله - خير الدين الآلوسى
٨٥.....	نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعى
١٥٦.....	هبة الله بن الحسن بن منصور - اللالكائى
٨١٩.....	ول ديورانت
٣٣.....	وهب بن منبه بن كامل

٥٥٥.....	ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.
٢٩.....	يحيى بن زياد - الفراء النحوي.
٤٤٠.....	يحيى بن شرف بن مري - النوي.
٥٠٩.....	يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولا هم.
٥٣٣.....	يزيد بن الأسود الجرشي.
٥٨٢.....	يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير.
٤٦٩.....	يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي.
٥٣٤.....	يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري - أبو يوسف.
٥١٨.....	يعقوب بن شيبة بن الصلت السدوسي.
٤٦٩.....	يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي.
٤٧٢.....	يوحنا فم الذهب.
١٦٥.....	يوسف بن عبد الله بن محمد - ابن عبد البر.
٤٤١.....	يوسف بن عمر الأنفاسي.
٩٥.....	يوسف بن عمرو بن يزيد.

٥- فهرس الكلمات المشروحة .

٦٦-٦١.....	آدم
٤١٣و٣٦٢-٣٦٠.....	إبليس
٣٦١.....	إجفيل
٣٦١.....	إحليل
٦٠.....	أدم وأدمة
٦٤.....	أرأس
٣٥٣.....	أساقفة
٦٤.....	أسوق
٦٤.....	أعناق
٦٤.....	أعين
٧٩١.....	الإقواء
٣٦١.....	إكليل
١٥٩.....	الأنجوج
١٥٩.....	الألوة
٢٧٩-٢٧٧.....	الإنسان
٢٠٣.....	الأود
٢٧٩-٢٧٧.....	البشر
٣٥٣.....	بطارقة
٢٣١.....	التريلايون
٤٩٨.....	التوبة
٣٥٤.....	الجران
١٦٠.....	جُرد
١٦٠.....	جَعَاد
٤٤.....	الجعل
٢٢.....	الحكمة
١٠٨.....	حما مسنون
٦٤٨.....	الخلافة
٦٤٨.....	الخليفة
١٠٩.....	خياشيم

٢٢٦.....	الذرة.....
٦٩٤.....	الرسول.....
١٥٩.....	الرشح.....
٣٤١.....	رهقا.....
١٣٦-١٣٥و١٣٢.....	الروح.....
١٠٦.....	السِّبَاخ.....
٣١٥-٣١٣.....	السجود.....
١٣٤.....	السفود.....
٥٨٦.....	السهوة.....
٣٨١.....	الشواظ.....
١٠٨.....	صلصال.....
٥٦٦.....	الطَّوْل.....
١٠٨و١٠٣.....	طين لازب.....
٤٤.....	عبية الجاهلية.....
٧٢٧.....	العصمة.....
٥٨٦.....	الغول.....
٣٥٤.....	الْكَلْبُ الْكَلْبُ.....
٣٩.....	لبيك وسعديك.....
١٠٥.....	مارج من نار.....
١٥٩.....	الجامر.....
٣٥٥.....	مرزبان.....
١٣٤.....	المسوح.....
٨٧.....	مصيخة.....
٣١٠-٣٠٦.....	الملائكة.....
٦٩٤-٦٩٣.....	النبي.....
١٦١.....	النخلة السحوق.....
١٣٦-١٣٥و١٣٢.....	النفس.....
١٤٤.....	الوبيص.....
١٥٦.....	وشي الثوب.....
٣٥٤.....	يسنون عليه.....
١٥٧.....	ينقري.....

٦- فهرس الفرق والطوائف

الإباضية.....	٧٩
الأزارقة.....	٧٤٦
الأشاعرة ^(١)	٧٩ و ٢٦ و ٣٩٢ و ٧٢٧ و ٧٣٢
أهل التشبه والتمثيل.....	٧٨
أهل النفي والتعطيل.....	٧٩
الاتحادية.....	٤٠٧ و ٦٧١-٦٧٥
البريلوية.....	٨٤٠
البيانبة.....	١١٢
الجبرية.....	٤٠٦ و ٤٠٧ و ٦٣٦
الجناحية.....	١١٢
الجهمية.....	٧٩ و ٣٩٢
الخوارج.....	٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٤٦
الديوبندية.....	٨٤٠
الرافضة الإمامية.....	٧٩ و ٧٢٩
الزيدية.....	٧٩
الشيعة.....	٧٢٩ و ٧٣٢ و ٧٤٦
و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٦ و ٧٥٩-٧٦١	
الصوفية.....	٣٤٠ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٧٢
و ٧٥٦ و ٧٦٠-٧٦١	
الضرارية.....	٧٩
العقلانيون.....	٣٩٠ و ٣٩١
الفضيلية.....	٧٤٦
الفلاسفة.....	٧٩ و ٣١٥ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٤٢٦ و ٧٢٧
القدرية.....	٣٩١ و ٤٠٦ و ٤٢٦ و ٦٤١

(١) الأشاعرة : فرقة ظهرت في الإسلام بعد أن تنفس الناس صعداء من سيطرة المعتزلة في القرن الثالث الهجري، وهي في الأصل نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان في أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه و انتقل إلى مذهب ابن كلاب ثم تركه أيضا وتمسك بمذهب السلف ولكن أغلب الأشاعرة في العالم المنتسبين إليه إنما هم على ما كان عليه الأشعري في طوره الثاني وقد اتخذت الأشاعرة الدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم وقد يطلق عليها بعض أهل العلم السبعية لأنها تثبت لله تعالى سبع صفات فقط وتقول ما عداها . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٨٣-٩٣)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/ ١٠٥٩-١٠٧٨) .

القرآنيون	٧٢٥
القرامطة	٣٩٢
الكرامية ^(٢)	٧٨ و ٢٩
الكلاية	٣٩٢ و ٧٩
الماتريديية	٣٩٢ و ٧٩
المعتزلة ^(٣)	٢٦ و ٧٩ و ٣٢٩ و ٣٩١ و ٤٢٦ و ٥٩٢ و ٦٤١ و ٧٢٧ و ٧٣٢
النجارية	٧٩

(٢) هم أتباع محمد بن كرام ، يعتقدون أن الله تعالى جسم وأنه تعالى محل للحوادث، وأن له ثقل، وأنه خالق رازق بلاخلق ولا رزق ولهم في الإيمان قول منكر حيث جعلوا الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المناق مؤمنا .

انظر : الفرق بين الفرق (ص : ٢٠٢ وما بعدها)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٣/٣) .

(٣) المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أواخر العصر الأموي بزعامة رجل يدعى واصل بن عطاء الغزال، وازدهرت في العصر العباسي، وتأثرت بشق الاتجاهات في ذلك العصر، واعتمدت على العقل مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة . انظر للتفصيل : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤-٧٤)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١٠١٧/٢-١٠٥٢) .

٧- فهرس الأماكن والبلدان

١٢٢.....	خم
٥٥٢.....	دحنا
٢١٣.....	سرنديب
٣٥٥.....	الحيرة
٤٢٧.....	عدن
٤٢٧.....	فارس
٤٢٧.....	كرمان
٦٢٣ و ٦٠٩.....	نعمان
٥٥٦ و ٥٥٥ و ٥٥٤ و ٥٥٢.....	الهند

٨- فهرس الأبيات الشعرية

- أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم :: إني أخاف عليكم أن أغضبا ٢٢
- الأرض مظلمة والنار مشرقة :: والنار معبودة مذ كانت النار ٣٨٧
- إبليس خير من أبيكم آدم :: فتنبها يا معشر الفجار ٣٨٧
- إبليس من نار وآدم طينة :: والأرض لا تسمو سمو النار ٣٨٧
- تعصي الإله وأنت تظهر حبه :: هذا محال في القياس بديع ٤١٤
- لو كان حبك صادقا لأطعته :: إن المحب لمن يحب مطيع ٤١٤
- تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا :: فَلَوْنُ الْأَرْضِ مُعَبَّرٌ قَبِيحٌ ٧٨٩
- تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ :: وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ ٧٨٩
- قَتَلَ قَائِلُ هَائِلًا أَخَاهُ :: فَوَاحِزْنَا مَضَى الْوَجْهُ الصَّبِيحُ ٧٨٩
- تقول الهند آدم كان قنا :: لنا فسعى إليه مخبوه ٦٥٧
- وسخر من جن الملائك تسعة :: قياما لديه يعملون بلا أجر ٣٧٠
- وفي شهدت الساجدين لمظهري :: فحققت أني كنت آدم سجدي ٣٢٥
- وما الخلق في التمثال إلا كتلحة :: وأنت بها الماء الذي هو نابع ٣٩٨
- وما الثلج في تحقيقنا غير مائه :: وغيران في حكم دعته الشرائع ٣٩٨
- ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه :: ويوضع حكم الماء والأمر واقع ٣٩٨
- تجمعت الأضداد في واحد البها :: وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع ٣٩٨
- وما آدم في مذهب العقل واحدا :: ولكنه عند القياس أوادم ٦٥٧
- جائز أن يكون آدم هاذا :: قبله آدم على أثر آدم ٦٥٧
- يا خاتم النبأ إنك مرسل :: بالحق كل هدى السبيل هداكا ٦٩٣
- يا صورة أنس سرها معنائي :: ما خلقتك للأمر ترى لولائي ٦٧١
- شئتاك فأنشأتاك خلقا بشرا :: لتشهدنا في أكمل الأشياء ٦٧١
- يهز الجيش حولك جانبيه :: كما نفضت جناحيها العقاب ٥٩٣

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات .

(أ)

إتحاف المرید لشرح جوهرة التوحيد لعبد السلام بن إبراهيم المالكي اللقاني . مخطوط في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، قسم المخطوطات الرقم العام : ٣٠٠/٩٧ والرقم الخاص : ٢٤ . أسباب الخطأ في التفسير للدكتور طاهر محمود بن محمد يعقوب . رسالة دكتوراة، تحت إشراف : أ.د. حكمت بن بشير بن يسين، عام : ١٤٢٢هـ، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ت)

التحرير والتحجير (شرح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني) . لعمر بن علي بن سالم الفاكهاني ٧٣١هـ . نسخة مصورة في فيلم في قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم : (١٥٢٨) ، وأصلها في مكتبة رضا رامفور بالهند .
تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي من خلال مدرسة القافية . لشيخنا الدكتور عبد الرزاق بن فراج دخيل الحربي . رسالة دكتوراه، تحت إشراف : محمد يعقوب تركستاني، عام : ١٤١٤هـ، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
ترجيحات الحفاظ ابن كثير - رحمه الله - لمعاني الآيات في تفسيره . للشيخ آدم عثمان علي، رسالة ماجستير، تحت إشراف شيخنا الدكتور / محمد أيوب بن محمد يوسف . عام ١٤١٧هـ ، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
تفسير ابن كمال باشا . أحمد بن سليمان بن كمال باشا ٩٤٠هـ . تحقيق ودراسة لسورتي الفاتحة والبقرة : يونس عبد الحي ما . رسالة ماجستير، تحت إشراف : عبد العزيز عبد الفتاح قاري، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان . لشيخنا الدكتور عبد العزيز بن صالح العبيد السلمي، رسالة دكتوراة، تحت إشراف : د. محمد سالم محيسن، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تفسير ضياء القلوب . لأبي الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي ٤٤٧هـ . دراسة وتحقيق من أول الفاتحة إلى نهاية قوله تعالى : ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ من سورة البقرة : ملفي بن

ناعم بن عمران الصاعدي. رسالة ماجستير، تحت إشراف : د. محمد عمر حوية، قسم التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

التفسير الواضح . لأبي محمد عبد الله بن محمد بن وهب بن بشر بن صالح بن حمدان الدينوري ٣٠٨هـ . تحقيق ودراسة : عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي . رسالة الدكتوراه تحت إشراف : محمد سيد عطية طنطاوي . عام : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . شعبة التفسير بالجامعة الإسلامية .
تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأبي الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي ٧٦١هـ مخطوط في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، رباط سيدنا عثمان رضي الله عنه ، رقم عام : (٣٦١٥) ورقم خاص : (١٥٤) وهو موجود مصورا في فيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة في قسم المخطوطات برقم : (٩٤٥١) .

(ر)

الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء) . للدكتور أحمد نجيب ابن عبد الله صالح، رسالة الدكتوراه تحت إشراف : الدكتور محمد عمر حوية، قسم التفسير بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ش)

شرح القلشاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المغربي ٨٦٣هـ . تحقيق : عبد الوهاب بن محمد جامع إيليشن. رسالة ماجستير تحت إشراف : د. عبد الرحمن بن سعدي الحربي، عام ١٤٢١هـ، قسم الفقه، كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ق)

القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام . " دراسة مقارنة " للشيخ سامي محمد سعيد عبد الشكور. رسالة ماجستير تحت إشراف : أحمد محمد صبري . عام : ١٤٢٠هـ قسم القراءات، كلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف . مقال غير منشور لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله - .
القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة . لشيخنا الدكتور أحمد بن شاكر الحديفي . رسالة الدكتوراه تحت إشراف : الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . عام : ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(م)

مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة .
للدكتور خالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله . رسالة دكتوراة تحت إشراف : فضيلة شيخنا الدكتور /
صالح بن سعد السحيمي . قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
مصادر النصرانية دراسة ونقدا . لعبد الرزاق بن عبد المجيد الألو . رسالة ماجستير تحت
إشراف فضيلة شيخنا الدكتور / صالح بن سعد السحيمي ، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ،
الجامعة الإسلامية .

المعرب والدخيل في اللغة العربية . لشيخنا الدكتور . ف . عبد الرحيم عبد السبحان ، رسالة
دكتوراة ، تحت إشراف : أ . د . إبراهيم محمد نجا . عام : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، كلية اللغة بجامعة
الأزهر ، القاهرة مصر .

منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة . للشيخ تامر محمد محمود متولي . رسالة ماجستير
تحت إشراف شيخنا الدكتور / محمد باكريم باعبد الله . عام : ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ قسم
العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرافضة وموقف الرافضة منهم . للدكتور عبد الرزاق
ابن عبد المجيد الألو . رسالة الدكتوراة ، تحت إشراف : شيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن
البدر . عام ١٤٢٢هـ ، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ن)

نقض تأسيس الجهمية . لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن
تيمية ٧٢٨هـ [القسم الأول من الجزء الثالث] نسخة خطية في مكتبة الشيخ سعود بن عبد العزيز
الخلف - حفظه الله - بالمدينة المنورة .

ثالثا : الكتب العربية المطبوعة .

(أ)

الآثار . لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ١٨٢هـ . تصحيح وتعليق : أبي الوفا . لجنة
إحياء المعارف النعمانية حيدر آباد الدكن الهند ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
الآثار . لمحمد بن الحسن الشيباني ١٨٩هـ . ط . الأولى ١٤٠٧هـ إدارة القرآن كراتشي باكستان .
الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب " سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي
جمعاً وتخریجاً ودراسة . للدكتور جمال بن أحمد بن بشير بادي . ط . الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن
الرياض المملكة العربية السعودية .

- الآحاد والمثاني . لأحمد بن عمرو الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ . تحقيق : د. باسم فيصل الجوابرة . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م دار الراه الرياض .
- آداب وأحكام زيارة المدينة المنورة . للدكتور صالح بن غانم السدلان . ط. الأولى ١٤١٩هـ ، دار بلنسية الرياض، المملكة العربية السعودية .
- آدم أبو البشر . تأليف : عبد الله بن حسين الموحان . ط. عام : ١٩٩٨م دار النصر القاهرة .
- آدم عليه السلام . ألفه : البهي الخولي . ط. الثالثة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م مكتبة وهبة القاهرة مصر .
- آراء أهل المدينة الفاضلة . لأبي نصر محمد بن محمد الشهير بالفارابي ٣٣٩هـ مطبوع ملخصا ضمن كتاب " تراث الإنسانية " لجماعة من أهل العلم . الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .
- آفاق الهداية . للشيخ عبد العزيز بن خلف آل خلف . مكتبة دار البيان دمشق . سوريا .
- آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجنان . للقاضي بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي ت : ٧٦٩هـ . تصحيح وتعليق : عبد الله محمد الصديق . الناشر : نور محمد، أصبح المطابع، كاريخانه تجارت كتب، آرام باغ، فريز رود، كراتشي، باكستان . بدون تاخير الطبعة ورقمها .
- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات . لسعمان ابن محمود بن عبد الله الألوسي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثانية ١٣٩٩هـ بدون ذكر الناشر .
- الإبانة عن أصول الديانة . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . ٣٢٤هـ تحقيق : فوقيه حسين محمود . ط. الأولى ١٣٩٧هـ دار الأنصار القاهرة مصر .
- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة . لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ٣٨٧هـ . تحقيق : رضا بن نعيان معطي . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م دار الراه الرياض المملكة العربية السعودية .
- الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم . لعبد الله مير غني محمد صالح . ط. عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م دار الاعتصام، القاهرة .
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ . تحقيق : عبد الجبار زكار . ط. عام : ١٩٧٨م منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق .
- الإبداع في مضار الابتداع . للشيخ علي محفوظ ١٣٦١هـ . تحقيق : أبي البخاري سعيد بن نصر بن محمد . ط. الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض .
- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد . للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق ١٣٠١هـ . اعني به : سمير بن عدنان الماضي . ط. الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م دار المعالي عمان الأردن .

- ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف. لشيخنا د. عبد الله بن سليمان الغفيلي . تقديم :
- صالح بن فوزان الفوزان، حماد بن محمد الأنصاري . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م دار المسير الرياض .
- أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة. للدكتور عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب مصر.
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن. للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب. ط. الثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م مكتبة النهضة الإسلامية، عمان الأردن .
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي . ط. الثالثة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- إتحاف الأذكياء بما ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء . لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني . ط. عام : ١٣٥٣هـ . المطبعة الإسلامية بالأزهر .
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة. للشيخ حمود بن عبد الله التويجري. ط. الأولى ١٣٩٦هـ . مطبعة المدينة الرياض .
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ٨٤٠هـ . تحقيق : أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، أبي إسحاق السيد بن محمود بن إسماعيل . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .
- إتحاف السادة المستقين بشرح إحياء علوم الدين. لمحمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ . دار الفكر بدون .
- الإتقان في علوم القرآن . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ، حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم . مكتبة دار التراث القاهرة مصر . بدون بيانات النشر الأخرى .
- الإجماع في التفسير. لمحمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضير . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .
- الأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية أو العقود الجهرية لحل الأسئلة المغربية أو الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة. تأليف : عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ. تحقيق : مصطفى عاشور. مكتبة ابن سينا القاهرة.
- الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لإبراهيم محمد العلي . ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، دار البشير، جدة .
- الأحاديث المختارة . لمحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ٦٤٣هـ تحقيق : عبد الملك بن عبد الله دهيش . ط. الأولى ١٤١٠هـ مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة .
- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان . للإمام ابن حبان البستي ٣٥٤هـ . ترتيب : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ . تحقيق : شعيب الأرناؤوط . ط. الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

- أحكام أهل الذمة. لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العارودي . ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م رمادي للنشر الدمام .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. لعلي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ٤٥٠هـ .
- مراجعة : محمد فهمي السرجاني . ط. عام : ١٩٧٨م المكتبة التوفيقية .
- الإحكام في أصول الأحكام. لعلي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري ٤٥٦هـ. تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز . ط. الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر القاهرة مصر.
- أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص ٣٧٠هـ. تحقيق : محمد الصادق قمحاوي . ط. عام : ١٤٠٥هـ دار إحياء التراث العربي بيروت .
- أحكام القرآن. لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت : ٥٤٣هـ) . تحقيق : علي محمد البحاري . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون
- الإحكام في أصول الأحكام. لأبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي ٦٣٠هـ ط. عام : ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة .
- أحكام من القرآن الكريم. للشيخ محمد بن صالح العثيمين . جمع : أبي نجالد عبد الكريم بن صالح المقرن . ط. الأولى ١٤١٥هـ دار طويق الرياض .
- أحوال الرجال. لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ٢٥٩هـ. تحقيق : صبحي البدري السامرائي . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق ٢٤٠هـ . تحقيق : رشدي الصالح ملحق . ط. الثانية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م مطابع دار الثقافة مكة المكرمة .
- اختصار علوم الحديث. لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ. تعليق وتحقيق : صلاح محمد محمد عويضة . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م . دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت .
- الاختيار لتعليل المختار . لعبد الله بن محمود بن مودود الموصل ٦٨٣هـ . تعليق : محمود أبي دقيقة . مراجعة : محسن أبي دقيقة . ط. الثانية ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م دار المعرفة بيروت لبنان .
- أخذ الميثاق في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ . للشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد العثيمين . ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م أضواء السلف الرياض . المملكة العربية السعودية .
- الأدب المفرد. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان.

- الأديان (دراسة تاريخية مقارنة) . للدكتور رشدي عليان و سعدون الساموك . ط. الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراق .
- الأديان في القرآن . للدكتور محمود بن الشريف . ط. الثالثة ١٩٧٦م دار المعارف القاهرة، مصر .
- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . للشيخ عبد القادر شيبه الحمد . طبعته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . بدون رقم الطبعة وتاريخها .
- الأذكار السنوية . لأبي بكر يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ . تحقيق : محي الدين مستو . ط. الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م مكتبة التراث مدينة، دار ابن كثير دمشق، بيروت لبنان .
- الأربعين في صفات رب العالمين . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : عبد القدر بن محمد عطا صوفي . ط. الأولى ١٤١٣هـ مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد . للشيخ صالح بن فوزان الفوزان . ط. الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م دار ابن الجوزي الدمام .
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد . لعبد الملك الجويني ٤٧٨هـ . تحقيق : أسعد تميم . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان .
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري . لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني ٩٢٣هـ . ضبط وتصحيح : محمد عبد العزيز الخالدي . ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ٩٨٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت .
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث . للحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي ٤٤٦هـ . تحقيق : د. محمد سعيد بن عمر إدريس . ط. الأولى مكتبة الرشد الرياض .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م المكتب الإسلامي بيروت .
- أساس التقديس . لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي ٦٠٦هـ . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط. عام : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة مصر .
- أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم . للدكتور سعيد محمد بابا سيلا . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م السلسلة الثالثة من إصدارات مجلة الحكمة ، بريطانيا - ليدز .
- استخراج الجدل من القرآن الكريم . لأبي الفرج عبد الرحمن بن نجم الأنصاري، المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٤هـ . تحقيق : د. زاهر بن عواض الألمعي . ط. الثانية : ١٤٠١هـ . بدون .
- الاستذكار . لأبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر ٤٦٣هـ . تحقيق : عبد المعطي أمين قلعي . ط. الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م دار قتيبة دمشق بيروت ودار الوعي حلب القاهرة .

- الاستقامة . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : محمد رشاد سالم . ط . الثانية مؤسسة قرطبة الهرم ، مصر .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب . للحافظ ابن عبد البر ٤٦٣هـ . تحقيق : علي محمد الجاوي . مكتبة قهضة مصر ومطبعها ، القاهرة .
- أسرار التكرار في القرآن . لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، توفي في حدود ٥٣٥هـ . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا . ط. الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م دار الاعتصام القاهرة . مصر .
- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . د. رمزي نعنعة . ط. الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م دار القلم دمشق ، دار البيضاء بيروت .
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . لمحمد بن محمد أبو شهية. مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر .
- الإسلام ونظرية داروين . لمحمد أحمد باشميل . ط . الأولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، الناشر : المؤلف . مطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية بيروت .
- الإسلام يتحدى . تأليف : وحيد الدين خان. تعريب : ظفر الإسلام خان . تحقيق : د. عبد الصبور شاهين. ط. السادسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م دار البحوث العلمية الكويت .
- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد. للعلامة ابن حزم الظاهري ٤٥٦هـ . تحقيق : سيد كسردي حسن . ط. الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة . للدكتور عمر سليمان الأشقر . ط. الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م دار النفائس عمان الأردن .
- أسماء الكتب (المتمم لكشف الظنون) . لعبد اللطيف بن محمد رياضي زاده من علماء القرن الحادي عشر . تحقيق : محمد التويحي . ط. مكتبة الخانجي بمصر . بدون
- الأسماء والصفات . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت : ٤٥٨هـ . تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي . ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م مكتبة السوادى جدة .
- الإسماعيلية تاريخ وعقائد. للشيخ إحسان إلهي ظهير . ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م الناشر : إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان . الطابع : دار عالم الكتب الرياض .
- الإسماعيلية المعاصرة : الأصول، المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية. لمحمد بن أحمد الجوير . ط. الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .
- الأشباه والنظائر في النحو. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي . ت : ٩١١هـ . تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . ط. عام: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .

- الاشتقاق . لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ٣٢١هـ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط.عام : ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م . الناشر : مؤسسة الخانجي بمصر .
- الإصابة في تمييز الصحابة . لأحمد بن علي بن محمد المعروف بالحافظ ابن حجر العسقلاني . ط . الأولى ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بمصر .
- أصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن الكريم . للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر . ط.الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م . الناشر : تهامة جدة المملكة العربية السعودية .
- أصل الإنسان وسر الوجود . لـ باسمه كيال . ط.الأولى ١٩٨١م مكتبة الهلال بيروت لبنان .
- الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام . للدكتور فاروق أحمد الدسوقي . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م بدون .
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة . إعداد : شيخنا الدكتور صالح بن سعد السحيمي وشيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، وشيخنا الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي . مراجعة : شيخنا الدكتور محمد ناصر الفقيهي، وشيخنا الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . ط.عام ١٤٢١هـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .
- أصول الدين . لأبي اليسر محمد بن محمد البردوي ت : ٤٩٣هـ . تحقيق : هانز بيتز لينس . ط.عام : ١٩٦٣م دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- أصول الدين الإسلامي . لمحمد بن إبراهيم التويري . ط.الأولى ١٤١٤هـ . دار العاصمة الرياض .
- أصول السنة . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله - ابن أبي زمنين ٣٩٩هـ . تحقيق : عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن الحسن البخاري . ط . الأولى ١٤١٥هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ١٣٩٣هـ . تخريج الآيات والأحاديث : محمد عبد العزيز الخالدي . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- إظهار الحق . للشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي . عني بطبعه ونشره : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة قطر .
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . شرحه : صالح ابن فوزان بن عبد الله الفوزان . ط.الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مؤسسة الرسالة بيروت .
- الاعتصام . لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٥هـ . مكتبة الرياض الحديثة. الرياض. بدون .
- اعتقاد أئمة أهل الحديث . لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ٣٧١هـ . تحقيق : د. محمد ابن عبد الرحمن الخميس . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار العاصمة الرياض .

- اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين . لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ . تحقيق : علي سامي النشار . ط. عام : ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية بيروت .
- اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث . للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس . ط. الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م دار الصميعي الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ . تحقيق : أحمد عصام الكاتب . ط. الأولى ١٤٠١هـ دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .
- إعراب القرآن . لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ٣٣٨هـ . تحقيق : زهير غازي زاهد . ط. الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه . لمحي الدين الدويش . ط. الثالثة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م دار اليمامة دمشق بيروت ، دار ابن كثير دمشق بيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص سورية .
- الأعلام . خير الدين الزركلي . ط. الخامسة ١٩٨٠م دار العلم للملايين بيروت لبنان .
- أعلام أجنب . لمحمد خير رمضان يوسف . ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م دار ابن حزم بيروت .
- الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام . لشيخنا الدكتور ف . عبد الرحيم ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م دار القلم دمشق .
- الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام . لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط. عام : ١٣٩٨هـ . دار التراث العربي القاهرة .
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري . لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣٨٨هـ . تحقيق : د. محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى مكة المكرمة .
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة . للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ . تحقيق : حازم القاضي . ط. عام : ١٤٢٠هـ . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية . لـ زكي محمد مجاهد . ط. الثانية ١٩٩٤م دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : عبد الرحمن الوكيل . ط. عام : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م دار الكتب الحديثة . القاهرة .
- أعلام النبوة . لعلي بن محمد الماوردي ٤٢٩هـ . تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي . ط. الأولى ١٩٨٧م دار الكتاب العربي بيروت .

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : محمد حامد الفقي . ط . الثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م . دار المعرفة بيروت لبنان .
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات . لـ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ١٠٣٣هـ . تحقيق : شعيب الأرناؤوط . ط. الأولى ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- الاقتصاد في الاعتقاد . للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ٦٠٠هـ . تحقيق : د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي . ط. الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : د. ناصر عبد الكريم العقل . ط. السابعة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .
- إكمال إكمال المعلم . لمحمد بن خلفه الوشائي الأبي ٨٢٧هـ تقريباً . دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- إكمال المعلم بفوائد مسلم . للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ . تحقيق : د. يحيى إسماعيل . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م دار الوفاء، منصوره، جمهورية مصر العربية ومكتبة الرشد، الرياض .
- ألفية السيوطي في علم الحديث . شرح وتصحيح : أحمد محمد شاكر . دار كاتب وكتاب بيروت لبنان .
- ألقاب الولاة الواردة في النصوص ودراسة دلالتها الاعتقادية . لشيخنا الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشظيفي . ط. الأولى ١٤١٨هـ ، دار البخاري، المدينة المنورة .
- الله جل جلاله . لعباس محمود العقاد . المكتبة العصرية صيدا بيروت . بدون .
- الله يتجلى في عصر العلم . لنخبة من العلماء الأمريكيين . إشراف : جون كلوفر مونسما . ترجمة : د. الدمرداش عبد المجيد سرحان . مراجعة وتعليق : د. محمد جمال الدين الفندي . دار القلم بيروت لبنان . بدون معلومات النشر الأخرى .
- الأم . للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ . تخريج وتعليق : محمود مطرجي . ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . دار الكتب العلمية بيروت .
- الأمالي . ليحيى بن الحسين الشجري ٥٩٩هـ . ط. الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م عالم الكتب بيروت .
- إمام دار الهجرة مالك بن أنس . محمد بن علوي المالكي الحسني [مطبوع مع كتابه : أنوار المسالك إلى روايات موطأ مالك] . مراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني : أمير دولة قطر، بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية عام ١٤٠٠هـ بدوحة قطر .
- أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ . للقاضي أبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الراهزمي ٣٦٠هـ . تعليق : أحمد عبد الفتاح تمام . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان .
- إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء [ضمن الحاوي للفتاوى] . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ط. عام : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م المكتبة العصرية صيدا بيروت .

- أنبياء الله . لأحمد مجحت . ط. الثالثة ١٩٧٥م دار الشروق القاهرة . مصر .
- أنبياء الله . للشيخ محمد متولي الشعراوي . دار أخبار اليوم القاهرة .
- إنجيل برنابا . ترجمة وتحقيق ونشر : د. أحمد غنيم . ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . مطبعة أبناء وهبة حسان القاهرة .
- الإنسان في ظل الأديان : المعتقدات والأديان القديمة . للدكتور عمارة نجيب . ط. عام : ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م مكتبة المعارف الرياض .
- الإنسان في القرآن الكريم . لعباس محمود العقاد . المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .
- الإنسان في الكون بين القرآن والعلم . لعبد العليم بن عبد الرحمن خضر . ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، عالم المعرفة جدة .
- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ٨٣٢هـ ط. عام : ١٢٩٣هـ، اعتنى به : سعادة حسين بك، محمد أفندي حسن، أفندي أحمد، المطبعة المصرية ببولاق في مصر .
- الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم . للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي . ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م مكتبة وهبة القاهرة . مصر .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين . تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي ٥٧٧هـ. دار الفكر بيروت . بدون معلومات النشر الأخرى .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ٧٩١هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر. بدون تفاصيل أخرى .
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة " من الزلل والتضليل والمجازفة . للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي . ط. عام : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م عالم الكتب بيروت .
- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية . لسيوسف بن إسماعيل النبهاني . ط. دار الفكر بيروت بدون .
- أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع . لعبد الله بن عبد الحميد الأثري . مراجعة وتقديم : عبد القادر الأرناؤوط، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود . ط. الأولى ١٤٢٢هـ دار الراجية الرياض .
- أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك . للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ١٤٠٢هـ . ط. الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة . طبع في مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .
- أوضح البيان في جرح علي بن زيد بن جدعان ومناقشة العلامة الظاهري أبي عبد الرحمن في رسالته " البرهان " . للشيخ علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري . مطبوع مع كتابه : " تنقيح الأنظار بضعف حديث : " رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار " . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م دار المسير الرياض .

- أوضح التفاسير . لمحمد محمد عبد اللطيف المعروف بابن الخطيب . ط. الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م المطبعة المصرية ومكتبتها . بدون.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . لجمال الدين بن هشام الأنصاري، مطبوع مع شرحه ضياء السالك . الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر .
- إثثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد. لأبي الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير ٨٤٠هـ. ط. الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن . لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ٥٥٣هـ تحقيق : علي بن سليمان العبيد ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م مكتبة التوبة الرياض .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . للشيخ أبي بكر جابر الجزائري . ط. الثالثة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م راسم للدعاية و الإعلان جدة .
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل . لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله ٧٢٧هـ تحقيق : وهي سليمان الألباني ط. الأولى ١٣٩٠ دار السلام .
- الإيمان . للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق : الشيخ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي . المجلس العلمي بلجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- الإيمان . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط. الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م المكتب الإسلامي بيروت .
- الإيمان : أركانه، حقيقته، نواقضه. للدكتور محمد نعيم ياسين . مكتبة التراث القاهرة، مصر . بدون معلومات النشر الأخرى .
- الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم . لعبد الله بن زيد آل محمود . ط. الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، دولة قطر .
- الإيمان بالقضاء والقدر . لمحمد بن إبراهيم الحمد . تقدم : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط. الثالثة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م دار ابن خزيمة الرياض، المملكة العربية السعودية .
- الإيمان بالملائكة عليهم السلام. لعبد الله سراج الدين. ط. الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م، الناشر هو المؤلف نفسه، ولم يذكر معلومات النشر الأخرى .
- أيهما هو الصحيح : الخلق أم النشوء ؟ تأليف : الدكتور وليم. ي. أوانيل . تعريب : هاني رجا جريس . ط. عام : ١٩٨٦م . الناشر : بيت عنيا، القاهرة .

(ب)

- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن . لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري
الغزنوي توفي بعد : ٥٥٣هـ . تحقيق : سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي . ط. عام : ١٤١٨هـ /
١٩٩٧م . معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي . جامعة أم القرى مكة المكرمة .
بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم . ليوسف بن حسن بن عبد الهادي ٩٠٩هـ .
تحقيق : د. وصي الله محمد عباس . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م دار الراية الرياض .
البحر الرائق شرح كثر الدقائق لابن نجيم الحنفي [التكملة] لمحمد بن حسين الطوري الحنفي
١٠٢٦هـ . ط. الثانية دار المعرفة بيروت لبنان .
البحر المحيط . لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ . ط. الأولى ١٤١٤هـ /
١٩٩٤م دار الكتب القاهرة .
بدائع التفسير ، الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية . جمع وتوثيق : يسري السيد محمد .
ط. الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٨٣م دار ابن الجوزي الدمام .
بدائع الفوائد . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تصحيح وتعليق : محمود غانم غيث . ط. الثانية
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م مكتبة القاهرة ، مصر .
بداية السؤل في تفضيل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم . للعز عبد
العزیز بن عبد السلام السلمي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٨٣م
المكتب الإسلامي بيروت .
البداية والنهاية . للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ . مكتبة المعارف بيروت لبنان .
بذل المجهود في حل أبي داود . خليل أحمد السهارنفوري ١٣٤٦هـ . دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة . لسلامة العضاعي العزامي الشافعي ت : ١٣٧٦هـ ،
كلمة التصدير : محمد زاهد الكوثري . الناشر : نجم الدين أمين الكردي . مطبعة السعادة مصر .
البرهان في علوم القرآن . لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ . تحقيق :
محمد أبي الفضل إبراهيم . ط. الأولى مكتبة دار التراث القاهرة . بدون
البريلوية عقائد وتاريخ . للشيخ إحسان إلهي ظهير . ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . إدارة
ترجمان السنة . لاهور باكستان .
البعث والنشور . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ . ط. الأولى ١٤٠٦هـ /
١٩٨٦م مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية بيروت .
بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . عبد المتعال الصعيدي . ط. السابعة ١٤١٠هـ /
١٩٩٠م مكتبة الآداب القاهرة مصر .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث . نور الدين على بن سليمان الهيثمي ٨٠٧هـ . تحقيق :
د. حسين أحمد صالح الباكري . ط . الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م مركز خدمة السنة والسيرة النبوية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحللول والاتحاد.
لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : موسى سليمان الدويش ط. الأولى ١٤٠٨هـ مكتبة
العلوم والحكم المدينة المنورة .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ . تحقيق :
محمد أبي الفضل إبراهيم . ط. الأولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
البلاغة العربية في ثوبها الجديد. للدكتور بكري شيخ أمين. ط. الثالثة ١٩٩٠م، دار الملايين بيروت.
البلاغة الواضحة . لعلي الجازم ومصطفى أمين . ط. عام ١٩٨٧م دار المعارف القاهرة .
بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني . لأحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ١٣٧١هـ .
دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان . بدون .
البنية في شرح الهداية. لمحمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ . تصحيح : المولوي محمد عمر
الشهير بناصر الإسلام الرامفوري. ط. الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م دار الفكر بيروت.
بمجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب. لعلي بن عثمان المارديني المعروف
بابن التركماني ٧٥٠هـ . تحقيق : د. محمد رياض كريم . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. بدون .
البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها. للدكتور عبد الله مصطفى نومسوك. ط. الأولى
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م أضواء السلف الرياض، المملكة العربية السعودية .
البيان في غريب إعراب القرآن . لعبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ٥٧٧هـ . تحقيق : طه
عبد الحميد طه، ط. عام : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
البيان في مداخل الشيطان . لعبد الحميد البلالي . تقديم : محمد أحمد الراشد . ط. السادسة
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مؤسسة الرسالة بيروت .
البيان لأخطاء بعض الكتاب. للشيخ صالح بن فوزان الفوزان. ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م
دار ابن الجوزي الدمام المملكة العربية السعودية .
(ت)
تاج العروس من جواهر القاموس . للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . تحقيق : إبراهيم
الترزي وغيره . ط. عام : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م دار إحياء التراث العربي بيروت .
تاريخ الأمم والملوك. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ . ط. الأولى ١٤٠٧هـ دار
الكتب العلمية بيروت .

- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية . للدكتور محمد الطيب النجار . ط.
الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م مكتبة المعارف الرياض .
- تاريخ بغداد. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ . دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- تاريخ الدعوة . للدكتور جمعة علي الخولي . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار الطباعة
المحمدية درب الأتراك بالأزهر، القاهرة مصر.
- تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . للدكتور عبد العزيز سالم . ط. عام ١٩٩٩م مؤسسة
شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر .
- التاريخ الصغير . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ . تحقيق : محمود إبراهيم زايد .
ط. الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . دار الوعي حلب، مكتبة دار التراث القاهرة .
- التاريخ الكبير . للإمام البخاري ٢٥٦هـ . دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند .
- تاريخ مدينة دمشق . لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ٥٧١هـ . تحقيق :
محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي . ط. عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م دار الفكر بيروت لبنان.
- وبتحقيق : أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي . ط. الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م دار إحياء التراث
العربي بيروت لبنان .
- تأويلات أهل السنة . لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي . تحقيق : د. إبراهيم
عوضين ، السيد عوضين . ط. الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، لجنة القرآن والسنة بالقاهرة، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية .
- تأويل مختلف الحديث. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ . تحقيق : محمد زهري
النجار . ط. عام : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م دار الجيل بيروت .
- تأويل مشكل القرآن. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ . تحقيق : السيد أحمد
صقر. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون المعلومات الأخرى .
- التبيان بشرح ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم. لعبد العزيز السيروان. مراجعة : د. محمد
الطيب إبراهيم. ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م مؤسسة الإيمان بيروت لبنان، دار الرشيد دمشق، بيروت.
- التبيان في أقسام القرآن . للعلامة ابن القيم . تصحيح وتعليق : طه يوسف شاهين . ط. عام :
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م دار الطباعة المحمدية القاهرة .
- التبيان في تفسير غريب القرآن . لشهاب الدين أحمد بن محمد بن هائم المصري. تحقيق :
فتحي أنور الدابولي . ط. الأولى ١٩٩٢م دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة مصر .
- تبيين الحقائق شرح كثر الدقائق . لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ٧٤٣هـ . ط.
الأولى عام : ١٣١٥هـ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري . لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي . ٥٧١هـ - ط. الثالثة ١٤٠٤هـ - دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
- التبيين لأسماء المدلسين . لسبط ابن العجمي الشافعي . تحقيق : يحيى شفيق . ط. الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت .
- تبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي . للشيخ مقبل بن هادي الوادعي . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة .
- تجريد الفوائد الرقائق في شرح كثر الدقائق في فروع الحنفية . لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالشلي ١٠٢١هـ . مطبوع في هامش " تبين الحقائق شرح كثر الدقائق " للزيعلي، وقد تقدم .
- التحرير والتنوير من التفسير . لمحمد بن طاهر بن عاشور ١٢٨٤هـ . ط. عام : ١٩٤٨م الدار التونسية، تونس .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي . لأبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري . ١٣٥٢هـ - ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- تحفة القاري في الرد على الغماري . للشيخ حماد بن محمد الأنصاري . ط. عام : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ضمن السلسلة الأنصارية الأولى، مكتبة المعلا الكويت .
- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية . للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي . ط. الثالثة ١٤١٣هـ - كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية .
- تحفة المودود بأحكام المولود . للعلامة ابن القيم . تحقيق : بشير محمد عون . ط. الرابعة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- تحفة النبلاء من قصص الأنبياء . انتخبه واختصره الحافظ ابن حجر العسقلاني من قصص الأنبياء لابن كثير . ضبط وتعليق : غنيم بن عباس بن غنيم . تقديم : د. السيد بن حسين العفاني . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مكتبة الصحابة، الشارقة الإمارات، وجدة المملكة العربية السعودية ومكتبة التابعين، القاهرة مصر .
- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة . للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط. الثانية والثلاثون . ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض .
- تججيل من حرف التوراة والإنجيل . للقاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي ٦٦٨هـ . تحقيق : شيخنا محمود عبد الرحمن قدح . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م . مكتبة العبيكان الرياض، تحت إشراف : المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب . تأليف : الشيخ فريح بن صالح البهلال . ط. الأولى ١٤١٥هـ . دار الأثر الرياض .

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ.
- تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار الكتب العلمية بيروت.
- التدليس في الحديث: حقيقته وأقسامه وأحكامه ومراتبه والموصوفون به. للدكتور مسفر بن غرم الله الدميني. ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، يطلب من المؤلف: ص.ب: ٩٠٢٠٤ الرياض: الرمز البريدي: ١١٦١٣، الرياض أو ص.ب: ١٩٦١، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب. لابن الجوزي. تحقيق: علي حسين البواب. ط. الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م مكتبة المعارف الرياض.
- تذكرة الحفاظ. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٢هـ. تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الهند. تصوير: دار إحياء التراث العربي.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. ط. الخامسة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- تذكرة الموضوعات. لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني ٩٨٦هـ. الناشر: أمين دمج بيروت، الشيخ عبد الوكيل دمشق جامع الدرويشية.
- تراث الإنسانية. لنخبة من الكتاب. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. بدون.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- الترغيب والترهيب. لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٦٥٦هـ. ضبط وتعليق: مصطفى محمد عمارة، ط. الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- تسمية أصحاب رسول الله ﷺ. للإمام محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ. تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الجنان بيروت لبنان.
- التسهيل لعلوم التنزيل. لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلي (ت: ٧٤١هـ) ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم. ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- تصريف الأفعال ومقدمة الصرف. للشيخ عبد الحميد عنتر. ط. الثانية ١٤٠٩هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- تعجيل السندی بشرح قطر الندى. لعبد الله بن صالح الفوزان. ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م مكتبة الرشد الرياض.
- التعريفات الاعتقادية. لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف. ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م دار الوطن للنشر الرياض.

- التعريفات . لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) . تحقيق : إبراهيم الأبياري . ط. الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م دار الكتاب العربي بيروت .
- تعظيم قدر الصلاة . لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ٢٩٤ هـ . تحقيق : د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي . ط. الأولى ١٤٠٦ هـ - مكتبة الدار المدينة المنورة .
- التعليق الصريح على مشكاة المصابيح . الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي . ط. الأولى عام : ١٣٥٤ هـ . بمطبعة الاعتدال دمشق، من قبل : مجلس إشاعة الإسلام حيدر آباد دكن، الهند.
- تغليق التعليق . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزفي . ط. الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م المكتب الإسلامي بيروت ، دار عمار عمان الأردن .
- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء . لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة . ط. الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م مكتبة الرشد الرياض، شركة الرياض للنشر .
- تفسير ابن جريج . جمعه : علي حسن عبد الغني . ط. الأولى ١٤١٣ هـ - مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.
- تفسير البحر المحيط . لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ٧٤٥ هـ . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض . ط. الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- تفسير الجلالين . جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الحلبي ٨٦٤ هـ و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١ هـ . ط. الثامنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م دار ابن كثير دمشق سوريا .
- تفسير سفيان الثوري . ١٦١ هـ . ط. الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- تفسير سورة البقرة . للدكتور أمير عبد العزيز . ط. الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م دار الفرقان عمان الأردن و مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور . للشيخ حكمت بن بشير بن ياسين . ط. الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م دار المآثر المدينة المنورة .
- تفسير الضحاك ١٠٥ هـ . جمع ودراسة وتحقيق : محمد شكري أحمد الزاوي . ط. الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م دار السلام القاهرة مصر .
- تفسير غريب القرآن . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦ هـ . تحقيق : السيد أحمد صقر . ط. عام : ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م دار الكتب العلمية بيروت.
- تفسير غريب القرآن العظيم . لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي توفي بعد ٦٦٦ هـ . تحقيق : د. حسين ألمالي . ط. الأولى ١٩٩٧ م، بمطابع مديرية النشر، التابعة لوقف الديانة التركي. أنقرة .
- تفسير القرآن . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١ هـ . تحقيق : مصطفى مسلم محمد . ط. الأولى ١٤١٠ هـ - مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .

- تفسير القرآن . لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني ٤٨٩هـ . تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار الوطن الرياض .
- تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار. لمحمد رشيد رضا . ط. الثانية دار المعرفة بيروت .
- تفسير القرآن العزيز . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ٣٩٩هـ . تحقيق : حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكثر . ط. الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م الفاروق الحديثة القاهرة .
- تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ . طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون .
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين . لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ . تحقيق : أ. د. أحمد بن عبد الله الغماري الزهراني . ط. الأولى . ١٤٠٨هـ . مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، دار طيبة الرياض ، دار ابن القيم الدمام .
- وبتحقيق : أسعد محمد الطيب . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة و الرياض .
- التفسير القرآني للقرآن . لعبد الكريم الخطيب ١٤٠٦هـ . دار الفكر العربي بيروت . بدون .
- تفسير القمي . لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي الرافضي (من أعلام قرني ٣-٤هـ) . تصحيح وتعليق وتقدم : السيد طيب الموسوي الجزائري . ط. الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م مطبعة النجف .
- التفسير الكبير . لمحمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ . ط. الثالثة . دار إحياء التراث العربي بيروت .
- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذيل لموصول كتابي الأعلام والتكميل . لأبي عبد الله محمد بن علي البلنسي ٧٨٢هـ . دراسة وتحقيق : حنيف بن حسن القاسمي . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان .
- تفسير المعوذتين . للعلامة ابن القيم . ط. الرابعة عام : ١٣٩٤هـ المطبعة السلفية ومكتبها . نشره : قصي محب الدين الخطيب .
- التفسير المقتطف . للدكتور مصطفى خرم دل . ط. الأولى ١٤١٨هـ ، دار إحسان طهران، إيران .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . للدكتور وهبة الزحيلي . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم . للشيخ محمد سيد طنطاوي . مراجعة : عبد الرحمن العدوي . ط. عام : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م دار المعارف القاهرة .
- التفسير والمفسرون . لمحمد حسين الذهبي . ط. الثانية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م توزيع المكتبة السلفية المدينة المنورة . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

- التفكير الديني في العالم قبل الإسلام . للدكتور/ حاج اورانج كاي رحمت بن داتو بحر الدين .
ترجمة : الدكتور / رؤوف شلي . دار الثقافة، الدوحة قطر .
- تقريب التهذيب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ . تحقيق : محمد عوامه . ط. الرابعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م دار الرشيد سوريا حلب .
- تكذيب الرؤية المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد . لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . منشور ضمن : المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجموعة الأولى، المجلد الأول ، ط. الأولى ١٤٢١هـ . عمادة خدمة المجتمع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- التكليف في ضوء القضاء والقدر . للدكتور أحمد بن علي بن عبد العال . ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م دار هجر أمّاء، المملكة العربية السعودية .
- تكملة البحر الرائق شرح كتر الدقائق . لمحمد بن حسين الطوري ١١٣٨هـ . ضبط وتخرج : زكريا عميرات . ط. الأولى . دار الكتب العلمية بيروت .
- تكملة معجم المؤلفين . لمحمد خير رمضان يوسف . ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م دار ابن حزم بيروت .
- تلبيس إبليس لابن الجوزي . تحقيق : خير الدين علي . دار الوعي العربي بيروت . بدون .
- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري . لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : محمد ابن علي عجال . ط. الأولى ١٤١٧هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة .
- تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي . لخصه : الحافظ الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : أبي تميم ياسر ابن إبراهيم بن محمد . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .
- تلخيص المستدرک . للحافظ الذهبي، مطبوع مع المستدرک على الصحيحين للحاكم و سياتي .
- تمام المنة في التعليق على فقه السنة . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الخامسة ١٤٢٢هـ دار الراية الرياض، المملكة العربية السعودية .
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ . ط. الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م دار التوحيد الرياض .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . للحافظ ابن عبد البر النمري ٤٦٣هـ . تحقيق : عبد الله ابن الصديق . ط. عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية .
- التبہ والرد على أهل الأهواء والبدع . لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ٣٧٧هـ . تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري . ط. عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م . الناشر : عزت العطار الحسيني الدمشقي، مدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية .
- تزييه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء . لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حمير . تحقيق : د. محمد رضوان الداية . ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م دار الفكر المعاصر بيروت .

- تزييه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة . لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ٩٦٣هـ . تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق . ط. الأولى ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م دار الكتب العلمية بيروت .
- تزييه القرآن عن المطاعن . للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ٤١٥هـ . دار النهضة الحديثة بيروت لبنان . بدون .
- تنوير الحلك بإمكان رؤية النبي والملك . [ضمن الحاوي للفتاوى] . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ط. عام : ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م المكتبة العصرية صيدا بيروت .
- تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة . لمحمد بن إبراهيم التتائي المالكي ٩٤٢هـ . تحقيق : د. محمد عايش عبد العال شبير . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م . بدون .
- تفاوت الفلاسفة . لأبي حامد محمد بن محمد لغزالي ٥٠٥هـ . تصحيح وتعليق : سليمان دنيا . ط. عام : ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل وردئ الأقاويل . للشيخ عبد القادر ابن شيبه الحمد . ط. الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م مكتبة المعارف الرياض .
- تهذيب التهذيب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ . ط. الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال . للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي ٧٤٢هـ . تحقيق : بشار عواد معروف . ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م مؤسسة الرسالة بيروت .
- تهذيب اللغة . لمحمد بن أحمد الأزهرى ٣٧٠هـ . تحقيق : يعقوب عبد النبي ؟! . الدار المصرية القاهرة مصر . بدون .
- التوبة في ضوء القرآن الكريم . للدكتورة . آمال بنت صالح نصير . ط. الأولى . ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م دار الأندلس الخضراء ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . ط. الثانية . ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء . الرياض .
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل . للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ٣١١هـ . تحقيق : د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان . ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م دار الرشد الرياض .
- التوحيد والشرك في القرآن الكريم . لجعفر سبحاني - الشيعي الاثنا عشري - ط. الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مؤسسة الفكر الإسلامي .

- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد . للإمام محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن منده ٣٩٥هـ . تحقيق : د. غلي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط. الأولى، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- التوراة السامرية . ترجمة الكاهن السامري : أبي الحسن إسحاق الصوري. نشرها : أحمد حجازي السقا . ط. الأولى ط. ١ عام : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م مكتبة دار الأنصار القاهرة مصر .
- التوصل إلى حقيقة التوصل المشروع والممنوع . محمد نسيب الرفاعي . ط. الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بيروت لبنان، بدون .
- التوصل أنواعه وأحكامه . تأليف وتنسيق : محمد عيد العباسي، من بحوث كتبها وألقاها : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الرابعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م المكتب الإسلامي بيروت .
- التوشيح شرح الجامع الصحيح . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ . تحقيق : رضوان جامع رضوان . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .
- توضيح الصرف . للدكتور عبد العزيز محمد فاخر، أستاذ ورئيس قسم اللغويات جامعة الأزهر القاهرة . ط. عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م . الناشر : المؤلف .
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية . لأحمد بن إبراهيم بن عيسى . ط. الثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م المكتب الإسلامي بيروت .
- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين . لمرعي بن يوسف الحنيلي ١٠٣٣هـ . تحقيق : خليل بن عثمان الجبور السبيعي . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م دار ابن حزم بيروت .
- التيسير بشرح الجامع الصغير . لـ عبد الرؤوف المناوي ط. عام : ١٢٨٦هـ . المطبعة المصرية ببلاط، وصورته المكتب الإسلامي بيروت .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ . ط . عام : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م المكتب الإسلامي بيروت .
- تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير . لمحمد نسيب الرفاعي . ط. الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م . بدون .
- تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم . لعبد الجليل عيسى . بدون .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م نشر : جمعية إحياء التراث الإسلامي الضاحية الكويت . توزيع : دار الصميعي الرياض، المملكة العربية السعودية .
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ . مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته . ط. عام : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م الناشر : مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة . المملكة العربية السعودية .

(ث)

الثقات . لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ . تحقيق : السيد شرف الدين أحمد . ط .
الأولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م دار الفكر بيروت لبنان .
الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم . للدكتور صالح بن حامد الرفاعي . ط . عام : ١٤١٣هـ .
مركز البحث العلمي ، الجامعة الإسلامية .

(ج)

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله . للحافظ ابن عبد البر ٤٦٣هـ .
ط . الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية بيروت .
جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ . ط . عام :
١٤٠٥هـ دار الفكر بيروت لبنان .
وبتحقيق : محمود محمد شاكر ، أحمد محمد شاكر . ط . الثانية دار المعارف بمصر .
جامع التحصيل في أحكام المراسيل . لخليل بن كيكلي العلاءي الدمشقي ٧٦١هـ . تحقيق :
حمدي عبد المجيد السلفي . ط . الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م عالم الكتب بيروت .
الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ . تحقيق :
أحمد عبد العليم البردوني . ط . الثانية ١٣٧٢هـ دار الشعب القاهرة مصر .
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ .
تحقيق : د . محمود الطحان . ط . عام : ١٤٠٣هـ مكتبة المعارف الرياض .
الجرح والتعديل . لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ . ط .
الأولى ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن الهند .
جلاء العينين في محاكمة الأحمدين . لأبي البركات نعمان بن محمود الألوسي ١٣١٧هـ . الناشر :
مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، دار المدني جدة ، بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .
الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي . لأبي الفرج المعافي بن زكريا النهرواني ٣٩٠هـ .
تحقيق : د . إحسان عباس . ط . الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م عالم الكتب بيروت .
جمع الجوامع . لعبد الوهاب بن علي السبكي ٧٧١هـ . ضبط وتخرىج : محمد عبد القادر
شاهين . ط . الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت .
جهرة اللغة . لمحمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد ٣٢١هـ . دار صادر بيروت .
جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية . للدكتور محمد أحمد لوح . ط . الأولى ١٤١٨هـ /
١٩٩٧م دار ابن عفان الخبر المملكة العربية السعودية .

الجن في القرآن والسنة . ولي زار بن شاه ز الدين . ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م دار
البشائر الإسلامية بيروت لبنان .

الجواب الباهر في زوار المقابر . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : الشيخ عبد الرحمن
بن يحيى المعلمي اليماني . ط. الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م مطبعة المدني القاهرة، دار المدني جدة .
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق وتعليق :
د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكرة، د. حمدان بن محمد الحمدان . ط.
الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م دار العاصمة الرياض .

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . للعلامة ابن القيم . ط. الأولى ١٩٩٤م اعتنى بنشره :
قصي محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ومكتبها .

جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار . للشيخ عبد القادر بن أحمد
بدران ١٣٤١هـ . تحقيق : زهير الشاويش . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م المكتب الإسلامي بيروت .
الجواهر الحسان في تفسير القرآن . لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ٨٧٥هـ . تحقيق :
علي محمد معروض، عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتاح أبي سنة، ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م
دار إحياء التراث العربي بيروت .

الجواهر في تفسير القرآن الكريم . للشيخ طنطاوي جوهرى المصري . ط . الثانية ١٣٥٠هـ -
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

جواهر القرآن . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ . تحقيق : د. محمد رشيد رضا
القباني . ط. الأولى ١٩٨٥م دار إحياء العلوم بيروت .

(ح)

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . دار الكتب العلمية بيروت . بدون .
حاشية السندي على سنن النسائي . [طبع مع سنن النسائي] دار إحياء التراث العربي بيروت . بدون .
حاشية العلامة عبد الرحمن بن جاد الله البناي المغربي ١١٩٨هـ ، على شرح الجلال شمس الدين
محمد بن أحمد المحلي ٨٦٤هـ ، مطبوع مع " جمع الجوامع " لابن السبكي وقد تقدم .

حاشية العلامة العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد . علي بن أحمد الصعيدي
العدوي ١١٨٩هـ . ط . عام : ١٣٥٥هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني للعقائد العضدية . إسماعيل الكلنبوي
١٢٠٥هـ . ط . عام : ١٣١٨م المطبعة العثمانية استانبول تركيا .

حاضر العالم الإسلامي . تأليف : لوثرروب ستودارد الأمريكي . نقله إلى العربية : عجاج نويهض،
مع تعليقات وحواشي بقلم : الأمير شكيب أرسلان . ط. الرابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٢م دار الفكر بيروت .

حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة . للدكتور جميل عبد الله محمد المصري . كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة .

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة . لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ٥٣٥هـ . تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م دار الراية الرياض المملكة العربية السعودية .
الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى . لشيخنا الدكتور محمد ربيع هادي المدخلي . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م مكتبة لينة دمنهور .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ . ط. الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م دار الكتاب العربي بيروت .
حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم . للحافظ أبي بكر البيهقي ٤٥٨هـ تحقيق : الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . ط. الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة .

(خ)

خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة . ١٣٩٧هـ المكتب الإسلامي بيروت .
خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفا عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة . للشيخ/ الصادق بن محمد بن إبراهيم . ط. الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض .
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام . للسيد أحمد بن زيني دحلان ١٣٠٤هـ . ط. الأولى ١٣٠٥هـ . المطبعة الخيرية بمصر .
خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى . لعلي بن أحمد السمهودي ٩١١هـ . ط. عام : ١٣٦٧هـ دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني الحلبي و شركاه ، القاهرة .
خلق آدم وذريته كما ورد في التزويل " فوائد وأحكام " . للدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة . ط. الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م مكتبة الصحابة الرياض .
خلق أفعال العباد . للإمام البخاري . تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة . ط. عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار المعارف السعودية الرياض .

(د)

دائرة معارف القرن العشرين . محمد فريد وجدي . ط. الثالثة ١٩٧١م دار المعرفة بيروت لبنان .
داون ونظرية التطور . تأليف : شمس الدين آق بلوت . ترجمة : أورهان محمد علي . ط. عام : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م الناشر : الدار السعودية بمجدة بالاتفاق مع دار بني آسيا في استانبول تركيا .

- دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية . لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م مكتبة أضواء السلف الرياض .
- دراسات في جغرافية الإنسان. للدكتور فاروق كامل عز الدين. ط. عام : ١٩٨٠م دار الثقافة بالقاهرة.
- دراسات في العربية وتاريخها . لمحمد الخضر حسين . ط. الثانية ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م المكتب الإسلامي دمشق ، مكتبة دار الفتح دمشق .
- دراسات في النبوة والرسالة . للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- درء تعارض العقل والنقل. لشيخ الإسلام بن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : محمد رشاد سالم . ط . عام : ١٣٩١هـ دار الكنوز الأدبية الرياض، المملكة العربية السعودية .
- الدرة فيما يجب اعتقاده . للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـ. تحقيق : أحمد بن ناصر بن محمد الحمد، سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي. ط. الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م مكتبة التراث مكة المكرمة .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. طبعة دائرة المعارف حيدر آباد الهند عام : ١٣٥٠هـ، تصوير دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين ٧٥٦هـ . تحقيق : أحمد محمد الخراط . ط. الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار القلم دمشق .
- الدر المنثور. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. ط. عام : ١٩٩٣م دار الفكر بيروت.
- درر الحكم في شرح غرر الأحكام . محمد بن فراموز الشهير بملا خسرو الحنفي ٨٨٥هـ. طبعه ونشره : قريمي يوسف ضيا ولوفجه لي راشد . عام : ١٣٣٠هـ مطبعة أحمد كامل الكاتنة في دار الخلافة.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني ١٣٩٢هـ. ط. السادسة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م . بدون ذكر الناشر .
- الدعاء ومزلته من العقيدة الإسلامية. لأبي عبد الرحمن جيلان العروسي. ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م مكتبة الرشد الرياض وشركة الرياض للنشر .
- دعوة التوحيد. لمحمد خليل هراس . ط. الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة . لصالح الدين بن مقبول أحمد . ط. الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م مجمع البحوث العلمية الإسلامية تحت إشراف : مركز " أبو الكلام آزاد " للتوعية الإسلامية جوغا بائي نيو دلهي الهند .
- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين . للشيخ محمد بن جميل زينو . ط. الثالثة . مطبعة دار المجمع العلمي جدة المملكة العربية السعودية .

دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن. للشيخ عبد الله بن محمد ابن أحمد الدويش (ت : ١٤٠٨ هـ) الإشراف على الطباعة والتصحيح : عبد العزيز بن أحمد المشيقح . ط. الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م دار العليان بريدة القصيم .

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ١٣٩٣ هـ . مطبوع ملحقاً في آخر " أضواء البيان " له وقد تقدم .

دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد . ألفه : أبو بكر الحصري الدمشقي ٨٢٩ هـ . تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري . المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة .

دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر . لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ١٠٣٢ هـ . تحقيق : شيخنا الدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي ط. الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م دار البخاري المدينة المنورة و بريدة، المملكة العربية السعودية .

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨ هـ . تحقيق : عبد المعطي قلعجي . ط. الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . دار الكتب العلمية بيروت .

الديانات والعقائد في مختلف العصور . لأحمد عبد الغفور عطار . ط. الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م مكة المكرمة، لعل الناشر هو المؤلف نفسه .

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ . تحقيق : أبي إسحاق الحويني . ط. الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م دار عفان الخبر المملكة العربية السعودية .

الدين . للدكتور محمد عبد الله دراز . ط. الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م دار القلم الكويت .

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى " التبيان في شرح الديوان " تصحيح : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي . دار الفكر بيروت .

ديوان بشار بن برد . شرح وتقديم وتكميل : محمد الطاهر بن عاشور، مراجعة وتصحيح : محمد شوقي أمين . ط. ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من الجهوليين وثقات فيهم لين . للحافظ الذهبي . تحقيق : حماد بن محمد الأنصاري . ط. الثانية . مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة .

ديوان عمر ابن الفارض . ط. عام ١٣١٩ هـ . بالمطبعة الميمينة على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخوية بكري وعيسى بمصر .

(د)

الذيل على طبقات الحنابلة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين الشهير بابن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥ هـ) . دار المعرفة بيروت لبنان .

(ر)

- رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً [من كلام أحمد شاکر ومحمود شاکر] جمع وترتيب :
محمد صبحي بن حسن حلاق . ط. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م دار ابن حزم بيروت .
- رحلة الإيمان في جسم الإنسان . للدكتور حامد أحمد حامد . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م
دار القلم دمشق .
- الرحلة في طلب الحديث . للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٤٦٣هـ . تحقيق :
نور الدين عتر . ط. الأولى ١٣٩٥هـ دار الكتب العلمية بيروت .
- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد . تحقيق : محمد حامد الفقي .
ط. الأولى ١٣٥٨هـ دار الكتاب العلمية بيروت لبنان .
- وبتحقيق : شيخنا الدكتور منصور بن عبد العزيز السماري، ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م
مكتبة أضواء السلف الرياض .
- الرد على الاخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية . لشيخ الإسلام ابن تيمية
٧٢٨هـ . تحقيق : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . ط. عام : ١٤٠٤هـ الرئاسة العامة
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض .
- الرد على الجهمية . للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ٢٨٠هـ . تحقيق : بدر البدر . ط. الأولى
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م الدار السلفية الصفاة الكويت .
- الرد على الجهمية . للحافظ ابن مندة ٣٩٥هـ . تحقيق : د. علي بن محمد ناصر الفقيهي .
ط. الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . بدون .
- الرد على الزنادقة والجهمية . للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ . تحقيق : محمد حسن
راشد . ط. عام : ١٣٩٣هـ المطبعة السلفية القاهرة مصر .
- الرد على المنطقيين . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . ط. الرابعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان .
- الرد على من يقول القرآن مخلوق . لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد ٣٤٨هـ . تحقيق :
رضاء الله محمد إدريس ط. عام : ١٤٠٠هـ مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية، الكويت .
- الرد القويم على الجرم الأثيم . للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري . ط. الثانية ١٤٠٦هـ
دار العليان الحديثة بريدة القصيم، المملكة العربية السعودية .
- رد المختار على الدر المختار . الشهير بحاشية ابن عابدين . محمد أمين الشهير بابن عابدين
١٢٥٢هـ . ط. الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
بمصر، محمد محمود الحلبي وشركاه .
- الردود . للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد . ط. الأولى . ١٤١٤هـ دار العاصمة الرياض .

- ردود على أباطيل . محمد الحامد . تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . منشورات : المكتبة
العصرية ، صيدا ، بيروت .
- الرسالة . لعبد الله بن أبي زيد القيرواني ٣٨٦هـ . تصحيح وتقديم : أحمد نصر . ط. عام :
١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعية . للشيخ أبي بكر جابر الجزائري . ط. عام : ١٤٢٠هـ . بدون .
- رسالة إلى أهل الثغر . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ . تحقيق : عبد الله شاکر
محمد الجندي . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .
- رسالة التوحيد . ترجمة كتاب " تقوية الإيمان " لمؤلفه : إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهيد
١٣٤٦هـ . تعريب : أبي الحسن علي الندوي . ط. الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م المكتبة البيحوية
سهارنفور الهند ومكتبة ندوة العلماء لكهنؤ الهند .
- الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية . حسين أفندي الجسر .
ط. عام ١٣٢٢هـ . مطبعة الحميدية المصرية القاهرة .
- رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت . لأبي نصر عبيد الله
بن سعيد بن حاتم السجزي ٤٤٤هـ . تحقيق : شيخنا محمد باكرم با عبد الله . ط. الأولى ١٤١٤
هـ / ١٩٩٤م دار الراية الرياض .
- رسالة في فنون الأشياء كلها لله تعالى . [ضمن : جامع الرسائل] لشيخ الإسلام ابن تيمية .
تحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط. الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- الرسائل والرسالات . د. عمر سليمان الأشقر . ط. الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . مكتبة الفلاح الكويت .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني . لأحمد بن عبد النور المالقي ٧٠٢هـ . تحقيق : أحمد
محمد الخراط . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . بدون .
- ركائز الإيمان بين العقل والقلب . محمد الغزالي . ط. الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، دار الاعتصام القاهرة .
- رماح حزب الرحيم على نخور حزب الرجيم . لعمر بن سعيد الفوري الطوري الكدوي . ط.
عام : ١٣٨٣هـ . دار الفكر بيروت لبنان .
- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز . للحافظ عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني ٦٦١هـ . تحقيق :
شيخنا الدكتور محمد صالح البراك . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م دار ابن الجوزي الدمام .
- الروح . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : الشيخ العارف الحاج . ط. الأولى ١٤٠٨هـ /
١٩٨٨م دار إحياء العلوم بيروت لبنان .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . لأبي الفضل محمود آلوسي ١٢٢٠هـ .
دار إحياء التراث العربي بيروت .

الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية . لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ٥٨١هـ .
ضبط وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد . ط. عام : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار المعرفة بيروت لبنان .
روضة المحبين ونزهة المشتاقين . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م دار الخير بيروت، دار الصميعي الرياض .
الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة . للشيخ عبد الرحمن بن
ناصر السعدي ١٣٧٦هـ ، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته . ط . الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة المملكة العربية السعودية .
الرياض النضرة في مناقب العشرة . لحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ٦٩٤هـ . اعطني به :
عبد المجيد طعمة حلي . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

(ز)

زاد المسير في علم التفسير . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ .
ط. الثالثة ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .
زاد المعاد في هدي خير العباد . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عبد القادر
الأرنؤوط . ط. الرابعة عشر . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م . مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة المنار الإسلامية الكويت .
الزاهر في معاني كلمات الناس . لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨هـ . تحقيق : حاتم
صالح الضامن . ط. الثانية ١٩٨٧م دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق .
الزندقة والزنادقة . لعاطف شكري أبو عوض . دار الفكر عمان، المملكة الأردنية . بدون .
الزهد . للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ . تحقيق : محمد السعيد بسيوني
زغلول . ط. الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار الكتاب العربي .
الزهد . لهناد بن السري الكوفي ٢٤٣هـ . تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي . ط.
الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م . دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الصباحية الكويت .
الزهد والرقائق . لعبد الله بن المبارك المروزي . (ت : ١٨١هـ) تحقيق : أحمد فريد .
ط. الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م دار المعراج الدولية الرياض المملكة العربية السعودية .
زوابع في وجه السنة قديما وحديثا . لصلاح الدين بن مقبول أحمد . ط. الأولى ١٤١١هـ /
١٩٩١م . مجمع البحوث العلمية الإسلامية تحت إشراف : مركز " أبو الكلام آزاد " للتوعية
الإسلامية جوغا بائي نيو دلهي الهند .

(س)

الساميون ولغاتهم . للدكتور حسن ظاظا . ط. الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار القلم دمشق،
الدار الشامية بيروت، لبنان .

- سبل السلام . لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ١١٨٢هـ . ط . المكتبة التجارية الكبرى ، بدون .
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . لمحمد بن أحمد الشربيني ٩٧٧هـ . ط . عام : ١٢٨٥هـ دار الطباعة بولاق القاهرة .
- سعادة الدارين في الرد على الفرقين الوهابية ومقلدة الظاهرية . لإبراهيم السمنودي المنصوري ، كان حيا قبل ١٣٢٠هـ . ط . عام : ١٣١٩هـ . مطبعة جريدة الإسلام ، بمصر .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط . الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م مكتبة المعارف الرياض المملكة العربية السعودية .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في العالم . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط . الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م مكتبة المعارف الرياض المملكة العربية السعودية .
- السلفية وقضايا العصر . للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزبيدي . ط . الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م مركز الدراسات و الإعلام دار إشبيليا الرياض .
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر . للسيد محمد خليل أفندي المرادي . ط . عام : ١٣٠١هـ . المطبعة المنيرية ببولاق القاهرة ، مكتبة المثنى بغداد .
- السنة . لعمر بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط . الأولى ١٤٠٠هـ . المكتب الإسلامي بيروت لبنان .
- السنة . لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٩٠هـ . تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني . ط . الأولى ١٤٠٦هـ دار ابن القيم المملكة العربية السعودية .
- السنة . لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي ٢٩٤هـ . تحقيق : سالم بن أحمد السلفي . ط . الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- السنة . لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ٣١١هـ . تحقيق : عطية بن عتيق الزهراني . ط . الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م دار الراية الرياض .
- السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها . للدكتور مكّي الشامي . ط . الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م دار عمار للنشر عمان ، الأردن .
- سنن الترمذي . محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
- سنن أبي داود . سليمان بن أشعث السجستاني ٢٧٥هـ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر .
- سنن الدارقطني . علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ . تحقيق : السيد عبد الله هاشم مجالي المدني ، ط . عام : ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م دار المعرفة بيروت .

سنن سعيد بن منصور الخراساني ٢٢٧هـ. تحقيق : الدكتور سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد. ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م دار الصميعي الرياض .

وبتحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، الدار السلفية بمبي الهند .

السنن الكبرى . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت .

السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. تحقيق : محمد عبد القادر عطا. ط. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م مكتبة دارالباز مكة المكرمة .

سنن ابن ماجه . لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. دار الفكر بيروت لبنان .

سنن النسائي . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. حققه : عبد الفتاح أبو غدة . ط. الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مكتب المطبوعات الإسلامية حلب .

سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني في الجرح والتعديل. تحقيق : أ.د. سليمان آتش . ط. عام : ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م دار العلوم الرياض .

سؤالات أبي عبيد الآجري . أبا داود سليمان بن أشعث السجستاني ٢٧٥هـ. تحقيق : محمد علي قاسم العمري . ط. الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٩٧م الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

سؤال وجواب في أهم المهمات . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته . ط . الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة المملكة العربية السعودية .

سير أعلام النبلاء . للحافظ محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : شعيب الأرناؤوط، محمد العرقوسوسي. ط. التاسعة ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

السيرة النبوية . لعبد الملك بن هشام المعافري ٢١٣هـ. تحقيق : محمد علي القطب، محمد الدالي بلطة . ط. عام : ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م المكتبة العصرية صيدا بيروت .

(ش)

شذا العرف في فن الصرف . لأحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ١٣٥١هـ. ط. الثانية دار القلم بيروت لبنان .

شرح أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني. لأحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي الشهير بزروق ٨٩٩هـ . ط. عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م دار الفكر .

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة . لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن الألكائي ٤١٨هـ. تحقيق : أحمد سعد حمدان. دار طيبة الرياض، المملكة العربية السعودية.

- شرح الأصول الخمسة. للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ٤١٥هـ. تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم. تحقيق: د. عبد الكريم عثمان. ط. الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. مكتبة وهبة، عابدين، مصر.
- شرح ابن عقيل على ألفية مالك. عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ٧٦٩هـ. ط. العشرون ١٩٨٠م دار التراث القاهرة مصر.
- شرح جلال الدين الدواني للعقائد العضدية. مطبوع مع حاشية الكلبي عليه ط. عام: ١٣١٨م المطبعة العثمانية استانبول تركيا.
- شرح جمل الزجاجي. لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشيلي ٦٦٩هـ. تقديم وفهرسة ووضع الهوامش: فواز الشعار. ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت.
- شرح ديوان جرير. مهدي محمد ناصر الدين. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. محمد بن عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ. ط. عام: ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- شرح السيوطي لسنن النسائي [طبع مع سنن النسائي]. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- شرح السنة. لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري ٣٢٩هـ. تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. ط. الأولى ١٤٠٨هـ. دار ابن القيم الدمام.
- شرح السنة. لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط. الأولى ١٤٠٠هـ المكتبة الإسلامية بيروت، دمشق.
- شرح الشفا. لملا علي القاري ١٠١٤هـ. مطبوع بهامش "نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض" وسياقي.
- شرح شافية ابن الحاجب. لرضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي النحوي ٦٨٦هـ. تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزراف، محمد محي الدين عبد الحميد. ط. عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- شرح صحيح البخاري. لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطلال ٤٤٩هـ. ضبط وتعليق: أبي عيم ياسر بن إبراهيم. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض.
- شرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم لابن عربي. ط. الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- شرح العقائد العضدية. جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني ٩٠٨هـ. اعتنى به: أحمد رفعت بن عثمان حلمي وآخرون. ط. عام ١٣١٨هـ.

- شرح العقائد النسفية . لمسعود بن عمر التفتازاني ٧٩١هـ . تحقيق : محمد عدنان درويش .
مراجعة : الشيخ أديب الكلاس . بدون .
- شرح العقيدة الأصفهانية. لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : سعيد بن نصر بن محمد .
ط. الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م مكتبة الرشد الرياض .
- شرح عقيدة أهل السنة والجماعة. (شرح العقيدة الطحاوية) . تأليف : أكمل الدين محمد بن
محمد البابرتي ٧٨٦هـ . تحقيق : د. عارف آيتكن . مراجعة : د. عبد الستار أبو غدة . ط. الأولى
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت .
- شرح عقيدة أهل السنة و الجماعة على مذهب الإمام مالك: شرح القيروانية الميسر. للدكتور
محمد بن عبد الرحمن الخميس . طبع عام : ١٤٢٠هـ تحت إشراف : وكالة شؤون المطبوعات
والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .
- شرح العقيدة الطحاوية. لعلي بن علي بن محمد المعروف بابن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ . تحقيق :
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط . ط. الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م مؤسسة
الرسالة بيروت لبنان .
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية . شرحه : محمد بن الصالح العثيمين . خرج
أحاديثه واعتنى به : سعد بن فواز الصميل . ط. الثانية ١٤١٥هـ . دار ابن الجوزي . الدمام .
- شرح علل الترمذي . للحافظ ابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ . تحقيق : د. همام عبد الرحيم سعيد .
ط. الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م مكتبة المنار الزرقاء الأردن .
- شرح الفقه الأكبر . لملا علي القاري الحنفي ١٠١٤هـ . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار
الكتب العلمية بيروت لبنان .
- شرح قاسم بن ناجي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني . قاسم بن عيسى بن ناجي
التنوخني ٨٣٧هـ . ط. عام : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م دار الفكر بيروت .
- شرح القصيدة الميمية لابن القيم . شرحها : سعد المزلعل . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار
ابن حزم بيروت لبنان .
- شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . شرحه : سماحة الشيخ عبد العزيز بن
عبد الله بن باز . ط. الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م دار الضياء طنطا مصر .
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري . للشيخ عبد الله بن محمد الغنيان . ط. الثانية
١٤١٣هـ / ١٩٩٣م مكتبة لينة دمنهور .
- شرح كثر الدقائق في فروع الحنفية. لملا مسكين ٩٥٤هـ . ط. الأولى بالمطبعة الحسينية
المصرية عام ١٣٢٨هـ .

- شرح مختصر الروضة . لنجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي ٧١٦هـ .
تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط. الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
- شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة . شرحها : الأمين الحاج محمد أحمد . ط. الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٩م مكتبة دار المطبوعات الحديثة جدة .
- شرح النووي على صحيح مسلم . يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ . ط. الثانية ١٣٩٣هـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
- الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل . ليوسف محمد صديق . ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م مكتبة ابن تيمية الروضة الكويت .
- الشرك في القديم والحديث . لأبي بكر محمد زكريا . ط. الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .
- الشرعية . لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ٣٦٠هـ . تحقيق : عبد الله بن عمر الدميحي . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار الوطن الرياض .
- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم . للشيخ عبد المتعال محمد الجبري . دار اعتصام . بدون .
- شعب الإيمان . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ . تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول . ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت .
- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء . لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ . تحقيق : د. مفيد قميحة . مراجعة : نعيم زر زور . ط. الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت .
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ . تحقيق : علي محمد البخاوي . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه القاهرة ، عام : ١٩٧٧م .
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام . لعلي بن عبد الكافي السبكي ٧٥٦هـ . ط. الثانية ١٩٧٨م دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي . ط. الأولى ١٣٢٣هـ مكتبة الرياض الحديثة . المملكة العربية السعودية .
- الشمائل الحمديّة . لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ . تخريج وتعليق : عزت عبيد الدعاس ، ط. الثانية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م مؤسسة الزعبي بيروت لبنان .

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . لنشوان بن سعيد الحميري ٥٧٣هـ . تحقيق :
أ.د. حسين بن عبد الله العمري، أ.مطهر بن علي الأرياني، أ.د. يوسف محمد عبد الله . ط. الأولى
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت .

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ . ليوسف بن إسماعيل البهبائي ١٣٥٠هـ . ط. عام
: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار الفكر بيروت لبنان .

الشيعية والقرآن . للشيخ إحسان إلهي ظهير . إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان .

(ص)

الصارم المسلول على شاتم الرسول . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : محمد محي
الدين عبد الحميد . الناشر : الحرس الوطني السعودي بإشراف الإدارة العامة للشؤون الدينية .
مؤسسة الممتاز الرياض المملكة العربية السعودية .

الصارم المنكي في الرد على السبكي . لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي ٧٤٤هـ . تحقيق :
إسماعيل بن محمد الأنصاري . مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي . بدون .

الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية . لإسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٣هـ . تحقيق : أحمد
عبد الغفور عطا . ط. الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دارالعلم للملادين بيروت لبنان .

صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري . تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ط. الثانية ١٤١٥
هـ/١٩٩٤م دار الصديق الجليل المملكة العربية السعودية .

صحيح البخاري . أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ . تحقيق :
مصطفى ديب البغا . ط. الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م دار ابن كثير بيروت لبنان .

صحيح الجامع الصغير وزيادته . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثالثة . ١٤٠٨هـ/
١٩٨٨م المكتب الإسلامي بيروت، لبنان .

الصحيح الجامع لأخبار الجن والشيطان من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم. لوائل بن السعيد
ابن الدمرداش بن المتولي آل درويش . ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الفتوح الإسلامية القاهرة .

صحيح ابن خزيمة . محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ٣١١هـ . تحقيق : محمد مصطفى
الأعظمي . ط. عام : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

صحيح سنن الترمذي . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

صحيح سنن أبي داود . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

- صحيح سنن ابن ماجه . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- صحيح سنن النسائي . محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م مكتب
التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- صحيح القصص النبوي . للدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر. ط. الرابعة ١٤٢٠هـ /
١٩٩٩م دار الفائس الأردن .
- صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. دار
إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
- صريح السنة . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ . تحقيق : بدر بن يوسف المعتوق .
ط. الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. الصباحية الكويت.
- الصفات . للإمام علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ . تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.
ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الناشر هو المحقق، المدينة المنورة.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتزهي . للشيخ محمد أمان بن
علي الجامي. ط. الثانية ١٤١٣هـ - كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- صفات الله عز وجل . للشيخ صالح علي المسند . ط. الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م دار المدني
جدة، المملكة العربية السعودية .
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة. لعلوي بن عبد القادر السقاف . ط. الأولى
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م دار الهجرة الرياض المملكة العربية السعودية .
- صفة الجنة . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ . تحقيق : علي رضا بن عبد الله
بن علي رضا . ط. الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م دار المأمون بيروت لبنان .
- صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم. لأبي بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن
أبي الدنيا ٢٨١هـ . تحقيق : عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، دار البشير عمان الأردن .
- صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني
ط. السادسة . ١٣٩١هـ المكتب الإسلامي بيروت .
- الصفدية . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط . الثانية
١٤٠٦هـ . طبع على نفقة أحد المحسنين وفقاً لله تعالى .
- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم . للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري
١٣٨٩هـ . ط. الثانية ١٤٠٤هـ : ١٩٨٤م مكتبة الرشد الرياض .

صفوة البيان لمعاني القرآن. لحسين محمد مخلوف ١٤١٠هـ. ط. الثانية ١٤٠٢هـ، لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، دولة الإمارات العربية المتحدة.

صفوة التفاسير . محمد علي الصابوني . ط. الخامسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار القلم بيروت .
الصواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعتلة . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : شيخنا الدكتور أحمد عطية الغامدي ط. عام ١٤١٠هـ كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
وبتحقيق : الدكتور علي بن محمد الدخيل الله. ط. الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م دار العاصمة الرياض .
صوفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل . ط. الأولى ١٤١٣هـ مركز خدمة المؤلف الرياض .

(ض)

الضعفاء . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ. تحقيق : د. فاروق حمادة. ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب .
الضعفاء الصغير . للإمام البخاري. تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان. ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار القلم بيروت لبنان.
الضعفاء الكبير . لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي ٣٢٢هـ. تحقيق : عبد المعطي أمين قلعي ط. الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
الضعفاء والمتروكون . للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار القلم بيروت .
الضعفاء والمتروكون . للإمام علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ . تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار القلم بيروت .
الضعفاء والمتروكون . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ٥٧٩هـ. تحقيق : عبد الله القاضي . ط. الأولى ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية بيروت .
ضعيف الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمد ناصر الألباني . ط. الثالثة . ١٤١٠هـ/١٩٩٠م المكتب الإسلامي بيروت .
ضعيف سنن أبي داود . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م مكتبة المعارف الرياض .
ضعيف سنن الترمذي . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م المكتب الإسلامي بيروت لبنان .
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الجيل بيروت لبنان .

ضوابط الجرح والتعديل . لشيخنا الدكتور عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف . ط.
الأولى ١٤١٢ هـ . الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ضياء السالك إلى أوضح المسالك . لمحمد عبد العزيز النجار . الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة
مصر . وتوزيع : مكتبة العلم بجدة المملكة العربية السعودية .

(ط)

طبقات الحنابلة . للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي . دار المعرفة بيروت لبنان . بدون .
طبقات الشافعية الكبرى . لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٧١ هـ . تحقيق :
عبد الفتاح محمد الخلو ، محمود محمد الطناحي . دار إحياء الكتب العربية القاهرة . بدون .
الطبقات الكبرى . لمحمد بن سعد البصري ٢٣٠ هـ . دار صادر بيروت . بدون .
طبقات المدلسين . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ . تحقيق : د. عاصم بن عبد الله
القريوتي . ط . الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م مكتبة المنار عمان .

طبقات المفسرين . لأحمد بن محمد الأدنه وي . تحقيق : سليمان بن صالح الخزي . ط . الأولى
١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

الطب محراب الإيمان . لـ "خالص جلبي كنجو" . ط . الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م مؤسسة الرسالة بيروت .
طريق المهجرتين وباب السعادتين . للعلامة ابن القيم ٧٥١ هـ . تحقيق : عبد الله بن إبراهيم
الأنصاري . ط . عام : ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م إدارة الشؤون الدينية قطر .

(ظ)

ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم . ألفه : خليل إبراهيم أبو ذياب . ط . الأولى ١٤٢٠
هـ / ١٩٩٩ م دار عمار عمان الأردن .
ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة الحميدة . ألفه : محمد عبد الرزاق حمزة . ط . عام : ١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م حديث أكاديمي فيصل آباد باكستان .

(ع)

عارضه الأحوزي شرح جامع الترمذي . لأبي بكر ابن العربي المالكي . ط . عام : ١٣٥٣ هـ /
١٩٣٤ م ، مطبعة الصاوي .
عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة . لعبد الكريم نوفان فواز عبيدات . ط . الأولى ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٥ م دار ابن تيمية الرياض .

عالم الجن والشياطين . للدكتور عمر سليمان الأشقر . ط . الرابعة ١٤٠٤ هـ مكتبة الفلاح الكويت .
العبر في خبر من غير . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨ هـ . تحقيق : صلاح
الدين المنجد . ط . عام : ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

- العجاب في بيان الأسباب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ . تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس . ط . السادسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار ابن الجوزي الدمام .
- عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من الأسماء والصفات الالهية . لشمس الدين بن محمد أشرف الأفغاني . ط . الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، بدون ذكر الناشر وبلد النشر .
- عصمة الأنبياء . لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي ٦٠٦هـ . ط . الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم . للدكتور محمد أبو النور الحديدي . ط . عام : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م مطبعة الأمانة ، مصر .
- العصمة والرسول والورثة هم النذر . لأحمد أحمد نور . بدون .
- العظمة . لأبي محمد عبد الله محمد بن جعفر الأصهباني ٣٦٩هـ . تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري . ط . الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية .
- عقائد علماء الديوبند . سيد طالب الرحمن . ط . الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م دار الكتاب والسنة كراتشي باكستان .
- العقد الفريد . لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٢٧هـ . شرح وضبط وتصحيح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ط . الثالثة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- العقلانية هداية أم غواية . لعبد السلام البسيوني . ط . الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الوفا المنصورة ، مصر .
- العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون . لعلي بن حسن بن علي الحلبي الأثري . ط . الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .
- العقيدة الإسلامية وأسسها . لعبد الرحمن حبنكة الميداني . ط . الخامسة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م دار القلم دمشق وبيروت .
- عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن . للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري . ط . الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م دار اللواء الرياض .
- عقيدة أهل السنة والجماعة [ضمن المجموعة العلمية في العلوم الشرعية ، المجموعة الأولى ، المجلد الأول] . للشيخ محمد بن صالح العثيمين . ط . الأولى ١٤٢١هـ . عمادة خدمة المجتمع ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم . لمحمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي . ط . الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار ابن تيمية للنشر الرياض .

- عقيدة السلف أصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة .
 لأبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني . تحقيق : بدر البدر . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
 الدار السلفية الصفاء الكويت .
- العقيدة السلفية والرد على المتحرفين عنها . ألفه : الطيب بن عمر بن الحسين الجكني .
 ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م المكتب الإسلامي بيروت ، دار ابن حزم بيروت .
- العقيدة في الله . للدكتور عمر سليمان الأشقر . ط. الخامسة ١٩٨٤م مكتبة الفلاح الكويت .
- عقيدة المسلم . لمحمد الغزالي . ط. الرابعة ٤١٠٣هـ / ١٩٨٣م دار القلم دمشق .
- علماء المسلمين والوهابيون . لحسين حلمي ايشيق بن سعيد استانبولي ١٣٩٢هـ . مكتبة
 ايشيق استانبول تركيا .
- العلم في مواجهة المادية . (قراءة في كتاب : حدود العلم لسوليفان) . الدكتور عماد الدين
 خليل . ط. الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مؤسسة الرسالة بيروت .
- العلم ومشكلات الإنسان . ليوسف مصطفى الحاروني . دار الكتاب العربي القاهرة مصر ، بدون .
- العلم يدعو للإيمان . تأليف : أ. كرسي موريسون . ترجمة : محمود صالح الفلكي . ط. الأولى
 ١٩٨٦م دار القلم بيروت لبنان .
- العلو للعلي الغفار . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : أبي محمد
 أشرف بن عبد المقصود . ط. الأولى ١٩٩٥م مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ . لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦هـ .
- تحقيق : محمد باسل عيون السود . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري . لأبي محمد محمد بن أحمد بن موسى المعروف
 بالبدر العيني ٨٥٥هـ . ط. عام : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م دار الفكر بيروت .
- العمدة في صناعة لشعر ونقده . لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ . تحقيق : د.
 البنوي عبد الواحد شعلان . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- عمل اليوم والليلة . للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ . تحقيق : د. فاروق حمادة .
 ط. الثانية ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- علوم البلاغة . لأحمد مصطفى المراغي . مراجعة : أبو الوفاء مصطفى المراغي . ط. الخامسة .
 المكتبة المحمودية التجارية . بدون .
- عناية القاضي وكفاية الراضي . للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ١٠٦٩هـ . ضبط
 وتخرير : عبد الرزاق المهدي . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

عون المعبود شرح سنن أبي داود . لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي . ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

العين . لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٥هـ . تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

(غ)

غاية الأمان في الرد على النبهاني . للعلامة محمود شكري الآلوسي ١٣٤٢هـ . ط. الثانية ١٣٩١هـ مطابع نجد الرياض ، المملكة العربية السعودية .

غرائب التفسير وعجائب التأويل . لمحمود بن حمزة الكرمانى ٥٣٥هـ . تحقيق : شمران سركال يونس العجلي . ط. الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م دار القبلة جدة ، مؤسسة علوم القرآن بيروت .

غرائب القرآن ورغائب الفرقان . لنظام الدين الحسن بن محمد الحسين القمي النسابوري ٨٢٨هـ . تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . ط. الأولى ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

الغنية في أصول الدين . لأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ٤٧٨هـ . تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . ط. الأولى ١٩٨٧م ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت .

(ف)

الفارق بين المخلوق والخالق . لعبد الرحمن باجه جي زاده . تدقيق وتعليق : عصام فارس الحرساني . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م دار عمار عمان الأردن .

فتاوى قاضي خان [مطبوع مع الفتاوى الهندية] ، وسيأتي ذكره .

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . جمع وترتيب : الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش . ط. الثالثة ١٤١٩هـ الرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض المملكة العربية السعودية . توزيع : دار العاصمة الرياض .

فتاوى نور على الدرب ، من أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .

الفتاوى الهندية المعروف بالفتاوى المالكية في مناهج الإمام أبي حنيفة . رتبه مجموعة من علماء الهند الأحناف بأمر من السلطان أبي المظفر محي الدين محمد أورنگ زيب بهارد عالمكير بادشاه غازي . ط. الثانية عام : ١٣١٠هـ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر . وصورته المكتبة الإسلامية محمد ازدمير تركيا .

فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي . إعداد : وليد بن إدريس بن منسي ، السعيد بن صابر عبده . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار الفضيلة الرياض .

- فتح الباري . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ . تصحيح : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف على الطبعة : محب الدين الخطيب . دار المعرفة بيروت .
- فتح البيان في مقاصد القرآن . لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ . اعتنى بطبعته : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . ط . عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م المكتبة العصرية بيروت لبنان .
- الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لمحمد بن أحمد الشنقيطي المورتاني (كان حيا عام : ١٣٧٩هـ) . مكتبة القاهرة ، مصر . بدون .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ . دار الفكر بيروت لبنان .
- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد . لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ١٢٨٥هـ . تحقيق : د . الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان . ط . الرابعة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية .
- فتح الملهم شرح صحيح مسلم . لشبير أحمد العثماني الديوبندي ط . الأولى مكتبة الحجاز كراتشي باكستان . بدون .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية . لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجميل ١٢٠٤هـ . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر . بدون .
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية . لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ١٠٥٧هـ . ط . عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار الفكر بيروت .
- الفتوحات المكية . لمحي الدين ابن عربي ٦٣٨هـ . تحقيق : د . عثمان يحيى، مراجعة : د . إبراهيم مدكور . ط . عام : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية مصر العربية .
- الفردوس بمأثور الخطاب . لأبي شعاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي ٥٠٩هـ . تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول . ط . الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت .
- توزيع : دار الباز عباس أحمد الباز مكة المكرمة .
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية . لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ٤٢٩هـ . ط . الثانية ١٩٧٧هـ دار الآفاق الجديدة بيروت .
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها . لشيخنا الدكتور غالب بن علي عواجي . ط . الثالثة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار لينة دمنهور .

- فرق وطبقات المعتزلة أو المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل . للقاضي عبد الجبار
الهمداني ٤١٥هـ . نقله عنه : أحمد بن يحيى بن المرتضى . تحقيق : د. علي سامي النشار ، أ. عصام
الدين محمد علي . ط. عام ١٩٧٢م دار المطبوعات الجامعية . بدون .
- الفروق في اللغة . لأبي هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري توفي بعد ٤٠٠هـ .
ط. الثالثة ١٩٧٩م دار الآفاق الجديدة بيروت .
- الفريد في إعراب القرآن المجيد . لحسين بن أبي العز الهمداني ٦٤٣هـ . تحقيق : محمد حسن
النمر . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م دار الثقافة الدوحة قطر .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل . للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـ . صححه وذيله بالهوامش : عبد الرحمن
خليفة . ط. الأولى ١٣٤٧هـ ، طبعه : محمد علي صبيح في مطبعته الواقعة بجوار الأزهر بمصر .
- فصوص الحكم . لمحي الدين ابن عربي ٦٣٨هـ . بتعليق : أبي العلاء عفيفي . دار الكتاب
العربي بيروت لبنان . بدون
- فصول في أديان الهند . لشيخنا الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي . ط. الأولى ١٤١٧هـ /
١٩٩٧م دار البخاري المدينة المنورة .
- فضائح الصوفية . لعبد الرحمن عبد الخالق . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م مكتبة ابن تيمية الكويت .
- فضائل الصحابة . للإمام أحمد ابن حنبل الشيباني ٢٤١هـ . تحقيق : د. وصي الله بن محمد عباس .
ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م مركز البحث العلمي جامعة أم القرى ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها . للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر . ط. الأولى
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م . طبع بمطابع الوحيد ، مكة .
- الفقه الأكبر . المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، رواية حماد بن أبي حنيفة
عن أبيه . مع شرحه " الشرح الميسر " للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس . طبع ونشر : وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- الفقيه والمتفقه . لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ . تصحيح وتعليق :
إسماعيل الأنصاري . ط. الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م دار الكتب العلمية بيروت .
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة . للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق . ط. الرابعة ١٤١٠هـ /
١٩٨٩م دار الحرمين القاهرة مصر .
- الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه . للدكتور محمود عثمان . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
- فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة . للشيخ آدم عبدالله الألوري . ط. الأولى
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م مكتبة وهبة ، مصر .

الفهرست . محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم ٣٨٥هـ . ط. عام : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
دار المعرفة بيروت لبنان .

الفوائد . للحافظ أبي القاسم غمام بن محمد الرازي ٤١٤هـ . تحقيق : حمدي بن عبد المجيد
السلفي ط. الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م مكتبة الرشد الرياض .

الفوائد . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : الشحات أحمد الطحان. ط. الأولى ١٤١٧هـ /
١٩٩٧م مكتبة المنارات، المنصورة، مصر .

الفوائد البهية في تراجم الحنفية . للشيخ محمد عبد الحي اللكنوي. دار المعرفة بيروت لبنان . بدون .
الفوائد المجمع في بيان الفرق الضالة والمبتدعة . تأليف : إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي
١١٢١هـ . تحقيق وتعليق : الدكتور يوسف بن محمد السعيد . ط. الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م دار
أطلس الخضراء الرياض .

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ . تحقيق :
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . ط. الثانية ١٣٩٣هـ . توزيع : المكتب الإسلامي بيروت .
الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي
١١٢٥هـ . دار الفكر بيروت . بدون .

فيض القدير شرح الجامع الصغير . للعلامة عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ . ط. الثانية
١٣٩١هـ / ١٩٧٢م دار المعرفة بيروت لبنان .

في رحاب التفسير . لعبد الحميد كشك. المكتب المصري الحديث. القاهرة مصر. بدون .
في سبيل موسوعة فلسفية. جمعه : مصطفى غالب. منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت -
سلسلة في أربع مجلدات وكل مجلد طبع في أوقات مختلفة.

في ظلال القرآن . لسيد قطب . ط. العاشرة . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م دار الشروق بيروت لبنان .
في موكب النبيين . لسيد أحمد الكيلاني . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار القلم الكويت .

(ق)

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : عبد القادر
الأرنؤوط . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م تحت إشراف : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض .
قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاية الأمور . لشيخ الإسلام ابن تيمية
٧٢٨هـ . تحقيق : شيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر. الإدارة العامة للتوعية
والتوجيه بالرياسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المملكة العربية السعودية .

القاموس المحيط . لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . ط. الثانية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م
شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

- القرآن محاولة لفهم عصري. لمصطفى محمود. ط. الثانية ١٩٧٧م دار المعارف القاهرة . مصر.
- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل. لمحمد الأمين بن فضل المحي ١١١١هـ. تحقيق :
- عثمان محمد الصيني . ط. الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م مكتبة التوبة الرياض المملكة العربية السعودية.
- قصص الأنبياء . للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ. تحقيق : أبي مصعب بلال بن حبشي طبري الجزائري . مراجعة : عبد الله مصلح . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م دار هجر أهما، المملكة العربية السعودية .
- قصص الأنبياء . لعبد الوهاب النجار . ط. الرابعة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م المكتبة التجارية الكبرى شارع محمد علي. مصر .
- قصص الأنبياء . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود . ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م مكتبة أضواء السلف . الرياض .
- قصص الأنبياء أحداثها وعبرها . لمحمد الفقي . ط. مكتبة وهبة القاهرة . مصر .
- قصص الأنبياء، القصص الحق . للشيخ عبد القادر بن شية الحمد. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م مكتبة المعارف الرياض .
- قصص الرحمن في ظلال القرآن. لأحمد فايز الحمصي . ط. الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. لعبد الكريم الخطيب ١٤٠٦هـ . ط. الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م دار المعرفة بيروت.
- قصص المرسلين في كتاب رب العالمين. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري. ط. عام ١٤٢٠هـ. بدون.
- قصص وعبر، نظرات تحليلية في القصة القرآنية . لمحمد المجنوب . الدار السعودية للنشر بدون.
- قصص آدم ويوسف. لعبد الكريم الخطيب . دار الفكر العربي . بدون معلومات النشر الأخرى .
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن . للشيخ نديم الجسر. طرابلس لبنان . بدون.
- قصة الحضارة . تأليف : ول ديورانت . ترجمة : د. زكي نجيب محمود . ط. الثالثة ١٩٦٨م الناشر : الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر .
- القصة القرآنية هداية وبيان. للدكتور وهبة الزحيلي. ط. الأولى ١٤١٣هـ، دار الخير بيروت.
- القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المعروفة. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ.
- اعتنى به : عبد الله بن محمد العمير. ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار ابن خزيمة الرياض.
- القضاء والقدر في الإسلام . للدكتور فاروق أحمد حسن الدسوقي. ط. الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة الخانجي الرياض .

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه . للدكتور عبد الرحمن بن صالح الحمود . ط. الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار الوطن الرياض .

قضية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ذاتا وموضوعا . لعبد الكريم الخطيب ١٤٠٦هـ . ط. الثالثة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م دار المعرفة بيروت لبنان .

قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني . للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر . ط. الأولى ١٤٢٣هـ دار الفضيلة الرياض .

قواعد الترجيح عند المفسرين . حسين بن علي بن حسين الحربي . مراجعة وتقديم : مناع بن خليل القطان . ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م دار القاسم الرياض .

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى . للشيخ محمد بن صالح العثيمين . ط. الثالثة ١٤٠٩هـ مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

القول المفيد على كتاب التوحيد . للشيخ محمد بن صالح العثيمين . جمع وتخرىج : د. سليمان ابن عبد الله الخيل، خالد بن علي المشيقح . ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية .

(ك)

الكاشف عن حقائق السنن . لأبي عبد الله حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ٧٤٣هـ . تحقيق : المفتي عبد الغفار، نعيم أشرف، محب الله، شبير أحمد، بديع السيد اللحام . ط. الأولى ١٤١٣هـ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان .

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب . ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن جدة .

الكامل في التاريخ . لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ . ط. السادسة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار الكتاب العربي بيروت .

الكامل في ضعفاء الرجال . لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ٣٦٥هـ . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار الفكر بيروت لبنان .

كبرى اليقينيات الكونية . للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي . ط. التاسعة ١٤١١هـ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية .

الكتاب المقدس . ط. عام : ١٩٨٢م دار الكتاب المقدس القاهرة مصر .

كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي) . ألفه : آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقي . ترجمة : عبد الرحيم ملا زاد البلوشي، مراجعة وتعليق : عمر محمود أبو عمر . ط.

الأولى باللغة العربية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، من منشورات : رابطة أهل السنة في إيران . دار البيارق ، عمان . الأردن ، بيروت لبنان .

الكشاف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ. تحقيق : أحمد عادل عبد الموجود، علي محمد معوض. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م مكتبة العبيكان الرياض .

كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط. الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
كشف الأسرار . ألفه : روح الله الخميني الرافضي. ترجمه عن الفارسية : د. محمد البنداري . وعلق عليه : سليم الهلالي . وقدم له : د. محمد أحمد الخطيب . ط. الثالثة . ١٩٨٨م . اتحاد الجمعيات الإسلامية في أمريكا وكندا، وجمعية آل البيت في أمريكا . دار عمار، عمان الأردن .
كشف الستار عما يظن أنه عار. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري. ط. عام : ١٤١٧هـ. مطابع الإيمان . بدون .

كشف الحقائق شرح كثر الدقائق . لعبد الحكيم الأفغاني ١٣٢٦هـ. تصحيح : محمود العطار . ط. الأولى ١٣٢٢هـ في مطبعة الموسوعات بمصر .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لمصطفى أفندي بن عبد الله أفندي الشهير بحاجي خليفة ١٠٦٧هـ. مكتبة المثنى بغداد .

كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني. لعلي بن محمد بن محمد المنوفي ٩٣٩هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر . بدون .
الكفاية في شرح الهداية. لجلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني. تصحيح : شير محمد خان بن غلام محمد خان، ومحمد رحم إلهي . طبع عام : ١٢٨٢هـ مطبع أحمدي بدلهلي عام ١٢٨٢هـ .
الكلام على مسألة السماع. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : راشد بن عبد العزيز الحمد. ط. الأولى ١٤٠٩هـ . دار العاصمة الرياض .

كواشف زبوف في المذاهب الفكرية المعاصرة . لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار القلم دمشق .

الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري . لشمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكرماني ٧٨٦هـ. ط. الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار إحياء التراث العربي بيروت .

كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري . لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي ١٣٥٤هـ . ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت .

الكوكب الدري على جامع الترمذي . للشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي
١٢٣٤هـ. تحقيق وتعليق : محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي. ط. مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ الهند.
كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ~~الطهارة~~ ومعه مذاهب الفرق الضالة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن
علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ٥٩٧هـ. تحقيق : أبي الأشبال الزهيري . ط. الأولى ١٤١٢٠
هـ/١٩٩٥م مكتبة ابن تيمية القاهرة .

(ل)

الآلآي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ.
ط. الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار المعرفة بيروت لبنان .
لباب التأويل في معاني التنزيل. لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخانزاد ٧٢٥هـ. ضبط
وتصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين. ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.
اللباب في علوم الكتاب . لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي توفي بغد :
٨٨٠هـ . تحقيق : أحمد عادل عبد الموجود، علي محمد معوض. ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

لسان العرب . لأبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ٧٧١هـ. اعتنى به : أمين
محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي . ط. الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار إحياء التراث
العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان .

لسان الميزان . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. دار الكتاب الإسلامي القاهرة. ط.
الأولى، وهي مصورة من طبعة حيدر آباد الهند عام : ١٣٣٠هـ .

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف . لابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ. ضبط وتعليق :
إبراهيم رمضان، سعيد اللحام . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار الكتب العلمية بيروت .

لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٦٢٠هـ.
تخريج وتعليق : بدر بن عبد الله البدر. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م الدار السلفية الصفاة الكويت.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية.
لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ١١٨٨هـ. ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . منشورات : مؤسسة

الخافقين ومكتبتها، محمد مفيد الخيمي، دمشق.

(م)

ما اتفق لفظه واختلف معناه . لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني المعروف بابن الشجري
٥٤٢هـ. تحقيق : أحمد حسن بسج . ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت .

ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة. للدكتور. موريس بوكائي. ترجمة : مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض. ط. الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م بالاتفاق مع مؤسسة سيفر باريس.

ما جاء في البدع. لمحمد بن وضاح القرطبي ٢٨٧هـ. تحقيق : بدر بن عبد الله البدر. ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م دارالصميعي الرياض، المملكة العربية السعودية .

مباحث برينة في الإنجيل. لمصطفى أحمد الرفاعي اللبان. ط. عام : ١٣٥٧هـ. المطبعة السلفية القاهرة .

المتشابه من القرآن . لمحمد علي حسن الحلبي . ط. الأولى ١٩٦٥م دار الفكر بيروت لبنان .

مجاز القرآن . لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ٢١٠هـ. مقابلة وتعليق : محمد فؤاد سزكين . مكتبة الخانجي القاهرة . بدون .

المجروحين . لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ. تحقيق : محمود إبراهيم زايد. دار الوعي حلب.

مجمع البيان في تفسير القرآن. ألفه : الفضل بن الحسن الطبرسي الرافضي. تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي. دار إحياء التراث العربي بيروت. بدون .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ. ط. الثانية ١٩٦٧م دار الكتب العلمية بيروت .

مجموعة الرسائل والمسائل . لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . جماعة من علماء نجد . إشراف : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم. ط . الثانية ١٤٠٩هـ دار العاصمة الرياض .

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد. ط. عام : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. تحت إشراف : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين . جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. ط. الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م دار الثريا للنشر، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض .

مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . إعداد وتقديم : أ . د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز . ط. الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن الرياض .

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز . ط. الثالثة ١٤٢١هـ. إعداد : محمد سعد الشويعر . رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض .

المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري - رحمه الله تعالى - وسيرته وأقواله ورحلاته . تأليف : عبد الأول بن حماد الأنصاري . ط. الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، الناشر هو المؤلف : المدينة المنورة .

- محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي ١٣٣٢هـ. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط.
- الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م دار الفكر بيروت .
- محاضرات في النصرانية . ألقاها وكتبها: الشيخ محمد أبو زهرة . ط. الثالثة ١٣٨٥هـ/ ١٩٩٦م مطبعة المدني . العباسية، عمارة النجمة . بدون .
- انحرور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ. تحقيق : المجلس العلمي بفاس . ط. عام : ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م دار الكتاب الإسلامي القاهرة .
- المحصل في علم أصول الفقه . محمد بن عمر بن الحسن الرازي ٦٠٦هـ. تحقيق : د. طه جابر فياض العلواني . ط. الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م مؤسسة الرسالة بيروت.
- محق النقول في مسألة التوسل [ضمن مقالات الكوثري] . محمد زاهد بن حسن الكوثري ١٣٧١هـ . قام بطبعها ونشرها : راتب حاكمي . عام : ١٣٨٨هـ.
- الحكم والمحيط الأعظم. لغلي بن إسماعيل بن سيده ٤٥٨هـ. تحقيق : محمد علي النجار . ط. الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز بمكة .
- المحلى. للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـ. تحقيق : أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث القاهرة. بدون.
- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ٧٢١هـ. تحقيق : محمود خاطر . ط. عام : ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مكتبة بيروت لبنان .
- المختار من الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري. تحقيق : الوليد بن محمد نبيه بن يوسف النصر . ط. الأولى ١٤١٨هـ دار الراية الرياض .
- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . للشيخ عبد العزيز محمد سلمان . ط. الثالثة عشر . ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م الرياض .
- مختصر الشمائل الحمديّة للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ. اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م المكتبة الإسلامية عمان الأردن .
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم . اختصار : محمد بن الموصلي . مكتبة الرياض الحديثة، الرياض . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .
- مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي . اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م المكتب الإسلامي بيروت. لبنان .
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع . لابن خالويه. عني بنشره : ج. برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر لجمعية المستشرقين الألمانية . ط. عام : ١٩٣٤م .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : محمد حامد الفقي . ط. الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م دار الكتاب العربي بيروت .

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل. لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ٧١٠هـ. تحقيق : يوسف علي بديوي. مراجعة : محي الدين ديب مستو. ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م دار الكلم الطيب بيروت.
- المدخل إلى الصحيح . لمحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ. تحقيق : الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي. ط. الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة بيروت.
- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة . للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان . ط. الثالثة . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م دار السنة الخير .
- مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين. لميرة علي الغاياتي، مكتبة وهبة عابدين القاهرة. بدون.
- مذكرة في أصول الفقه . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٣٩٣هـ. ط. الثالثة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة ، توزيع : مكتبة العلم بجدة .
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات . للعلامة ابن حزم . اعتنى به : حسن أحمد إسبر . ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م دار ابن حزم بيروت .
- المراسيل لابن أبي حاتم ٣٢٧هـ. اعتنى به : شكر الله بن نعمة الله قوجاني . ط. الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م مؤسسة الرسالة بيروت .
- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح . لحسن بن عمار بن علي الشرنبلاني الحنفي ١٠٦٩هـ. ط. الثانية ١٣٢٩هـ المطبعة الخيرية مصر .
- المرشد إلى قواعد اللغة العربية. ألفه : أ. خالدية البياع . إشراف ومراجعة : د. حبيب مغنية . ط. عام : ١٩٩٩م دار و مكتبة الهلال بيروت لبنان .
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري ١٤١٤هـ. ط. الثالثة ١٤٠٥هـ، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس الهند.
- مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. لملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري ١٠١٤هـ. أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السوري في مطبعة أصح المطابع في بمبي الهند .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. شرح وتعليق : محمد أحمد جاد المولي، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون ذكر التاريخ و رقم الطبعة .
- مسائل الإمام أحمد. للإمام أبو داود السجستاني. تقدم : السيد محمد رشيد رضا. ط. الثانية، الناشر : محمد أمين دمج . بيروت لبنان .
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة . جمع وتحقيق ودراسة : شيخنا الدكتور عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحدي . ط. الأولى ١٤١٢هـ دار طيبة الرياض .

المساعد على تسهيل الفوائد. لعبد الله بن عقيل العقيلي ٧٦٩هـ. تحقيق : محمد كامل بركات. ط. الأولى. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

المستدرك على الصحيحين . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ. مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب . بدون ذكر التاريخ .

مسلم الثبوت . لمحب الله بن عبد الشكور البهاري ١١١٩هـ . ط. عام : ١٣٢٦هـ . المطبعة الحسينية المصرية .

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. بتحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون معه . ط. الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان . توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

وبتحقيق : أحمد محمد شاكر . ط. الرابعة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م دار المعارف بمصر .

مسند البزار (البحر الزخار) . لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ٢٩٢هـ. تحقيق : د. محفوظ الرحمن ابن زين الله . ط. الأولى ١٤٠٩هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي. عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ٢٥٥هـ. تحقيق : حسين سليم أسد الداراني. ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار المغني الرياض .

مسند الروياني . محمد بن هارون الروياني ٣٠٧هـ. تحقيق : أيمن علي أبي عماري . ط. الأولى ١٤١٦هـ مؤسسة قرطبة . القاهرة .

مسند الطيالسي . أبي داود سليمان بن داود الطيالسي ٢٠٤هـ . دار المعرفة بيروت .

مسند عبد بن حميد ٢٤٩هـ. تحقيق : صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيد. ط. الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مكتبة السنة القاهرة .

مسند أبي يعلى . أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ٣٠٧هـ. تحقيق : حسين سليم أسد . ط. الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار المأمون للتراث دمشق

المسيح والمسيحية والإسلام. للدكتور عبد الغني عبود. ط. الأولى ١٩٨٤م دار الفكر العربي .

مشاهد الخلق في المعصية . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق وتعليق : نذير حسن عتمة . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتب الإسلامي بيروت .

مشكاة المصابيح . لولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م المكتب الإسلامي .

مشكلات موطأ مالك بن أنس . لعبد الله بن السيد البطلبوسي ٥٢١هـ. تحقيق : طه بن علي بوسريح التونسي. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار ابن حزم بيروت لبنان.

- مشكل إعراب القرآن. لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٤٣٧هـ. تحقيق : د. حاتم صالح الضامن . ط. الثانية ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- مصائب الإنسان من مكائد الشيطان . لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي ٨٠٣هـ. ط. الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت.
- مصاييح المغاني في حروف المعاني . لمحمد بن علي بن إبراهيم الموزعي المعروف بابن نور الدين ٨٢٥هـ. دراسة وتحقيق : د. عائض بن نافع بن ضيف الله العمري. ط. الأولى ١٤١٤هـ. دار المنار .
- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه. لأحمد بن أبي بكر البوصيري ٨٤٠هـ. تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي . ط. الثانية ١٤٠٣هـ دار العربية بيروت .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ٧٧٨هـ . ط. عام ١٩٨٧م مكتبة لبنان بيروت لبنان .
- المصحف الميسر . لعبد الجليل عيسى . ط. السادسة ١٣٩٤هـ دار الفكر بيروت .
- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي . لبرهان الدين البقاعي ٨٨٥هـ . تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل . ط. عام : ١٤١٥هـ تحت إشراف : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض المملكة العربية السعودية .
- مصرع الدارونية . لمحمد علي يوسف . ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م دار الشروق جدة .
- المصنف . لعبد الرزاق بن همام الصنعائي ٢١١هـ. تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ط. الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي بيروت .
- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ٢٣٥هـ. ط. الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م مكتبة الزمان المدينة المنورة.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. تحقيق : أحمد بن محمد بن عبد الله . تنسيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م دار العاصمة الرياض، دار الغيث الرياض، المملكة العربية السعودية .
- معارج التفكير ودقائق التدبر. لعبد الرحمن حسن حنكة الميداني. ط. الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت . توزيع في المملكة العربية السعودية : دار البشير جدة .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ. تحقيق : عمر بن محمود. ط. الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م دار ابن القيم الدمام. المملكة العربية السعودية .
- المعارف. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ. تحقيق : د. ثروت عكاشة. ط. الرابعة، دار المعارف القاهرة مصر .

معارف السنن شرح سنن الترمذي . للسيد محمد يوسف بن محمد زكريا الحسيني البنوري
 ١٣٩٧هـ . ط. الثانية ١٣٩٨هـ ، أدب منزل، باكستان جوك، كراتشي باكستان .

معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة . تأليف : محمد بن حسين بن حسن الجيزاني . ط.
 الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م دار ابن الجوزي الدمام .

معالم التنزيل . لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ . تحقيق : خالد عبد الرحمن
 العك، مروان سوار . ط. الثانية . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

معالم الثقافة الإسلامية . لعبد الكريم عثمان . ط. الثانية . ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م مؤسسة الأنوار الرياض .

معالم السنن شرح سنن أبي داود . لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣٨٨هـ . تخريج وترقيم
 ومقارنة : عبد السلام عبد الشافي محمد . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

معاني القرآن . لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٠٧هـ . تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلي .
 دار السرور بيروت لبنان . بدون ذكر تاريخ الطبع .

معاني القرآن الكريم . لأبي جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس ٣٣٨هـ . تحقيق : محمد علي
 الصابوني . ط. الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

معاني القرآن وإعرابه . لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج ٣١١هـ . تحقيق : عبد الجليل
 عبده شلي . ط. الأولى ٤١٠٨هـ / ١٩٨٨م عالم الكتب بيروت لبنان .

معاني النحو . للدكتور فاضل صالح السامرائي . ط. الأولى ١٤٢٠هـ . دار الفكر عمان الأردن .

مع الأنبياء في القرآن الكريم . لغفيف عبد الفتاح طبارة . ط. السابعة ١٩٧٩م دار العلم
 للملايين بيروت لبنان .

المعتزلة . ألفه : زهدي جار الله . ط. الأولى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٧م ، منشورات النادي العربي في
 يافا، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة .

معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى . لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي .
 ط. الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع . الجهاء الكويت .

معتقد أهل السنة و الجماعة في توحيد الأسماء والصفات . لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة
 التميمي . ط . الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م دار إيلاف الدولية الجهاء الكويت .

المعجم الأوسط . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ . تحقيق : طارق بن عوض الله
 ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . ط. عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م دار الحرمين القاهرة .

معجم البلاغة العربية . ألفه : بدوي طبانة . ط. الرابعة ١٤١٨هـ دار المنارة جدة، دار ابن خزم بيروت .

معجم البلدان . لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادى ٦٢٦هـ . ط. عام : ١٣٩٧هـ /
 ١٩٧٧م دار صادر بيروت لبنان .

- معجم الصحابة . لعبد الله بن محمد البغوي ٣١٧هـ . تحقيق : شيخنا الدكتور/ محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكني . ط. الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م دار البيان حولي الكويت .
- معجم الصحابة . لعبد الباقي بن قانع ٣٥١هـ . ضبط وتعليق : صلاح بن سالم المصري . ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م مكتبة الغرباء، المدينة النبوية .
- المعجم الصغير . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . ط . عام : ١٣٨١هـ/ ١٩٦٨م المكتبة السلفية المدينة المنورة .
- معجم القراءات القرآنية . إعداد : د.أحمد مختار عمر، د. عبد العال سالم مكرم . ط. الثالثة ١٩٩٧م عالم الكتب بيروت .
- معجم القواعد العربية في النحو والصرف . لعبد الغني الدقر . ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م دار القلم دمشق .
- المعجم الكبير . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ . تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي . ط. الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ٤٨٧هـ . تحقيق : مصطفى السقا . عالم الكتب بيروت . بدون .
- معجم متن اللغة . لأحمد رضا . دار مكتبة الحياة ط. عام : ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م بيروت لبنان .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة . ليوسف اليان سركيس . مكتبة الثقافة الدينية القاهرة . بدون .
- معجم مقاييس اللغة . لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط. عام : ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م دار الفكر بيروت لبنان .
- معجم المؤلفين . لعمر رضا كحالة . مكتبة المثنى بيروت، إحياء التراث العربي بيروت .
- معجم المناهي اللفظية . للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد . ط. الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية .
- المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . ط. الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م القاهرة مصر .
- المعجم من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ٥٤٠هـ . تحقيق : شيخنا الدكتور . ف. عبد الرحيم . ط. الأولى ١٤١٠هـ دار القلم دمشق .
- معرفة الثقات : لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ٢٦١هـ . ترتيب : نورالدين الهيثمي وتقي الدين السبكي . تحقيق : عبد العليم بن عبد العظيم البستوي . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
- معرفة الصحابة . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ . تحقيق : عادل يوسف ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ.
تحقيق : د. طيار آلي قولا ج. ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف
الديانة التركي، استانبول تركيا.

المعلم بفوائد مسلم . لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري ٥٣٦هـ. تحقيق : محمد الشاذلي
النيفر . ط. الأولى عام : ١٩٩١م، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس .

المغني في الضعفاء. للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : نور الدين عتر. بدون.
مغني اللبيب عن كتب الأعراب . لعبد الله بن يوسف بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن
هشام ٧٦١هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . دار إحياء التراث العربي .

مفاهيم يجب أن تصحح . للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني . ط. العاشرة ١٤١٥هـ/
١٩٩٥م . دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي .

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . للعلامة ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. دار
الكتب العلمية بيروت لبنان .

مفردات ألفاظ القرآن . للراغب الأصبهاني توفي في حدود : ٤٢٥هـ. تحقيق : صفوان
عدنان داوودي . ط. الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت .

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. لأحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٦٥٦هـ.
تحقيق : محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال . ط.
الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الكلم الطيب دمشق بيروت .

مقارنة الأديان. للدكتور أحمد شلبي. ط. الرابعة ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر.
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ. تحقيق :
هلموت ريتز . ط. الثالثة إحياء التراث العربي بيروت .

مقالة التعطيل والجمع بن درهم . لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي . ط. الأولى ١٤١٨هـ/
١٩٩٧م مكتبة أضواء السلف الرياض .

مقامات الزمخشري . ط. الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت .
مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة . لسليم بن عيد الهلالي . ط. الثالثة
١٤١٢هـ/ ١٩٩١م دار ابن الجوزي الدمام .

المقتطف من عيون التفاسير . لمصطفى الحصن المنصوري ١٣٩٠هـ. تحقيق : محمد علي
الصابوني . ط. الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت .

المقتنى في سرد الكنى . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : محمد صالح
عبد العزيز المراد . ط. عام : ١٤٠٨هـ المجلس العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- المقدمات في أصول الدين. للدكتور إبراهيم بن محمد البريكاني. ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
دار السنة الخبز، المملكة العربية السعودية .
- مقدمة تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي المغربي ٨٠٨هـ مؤسسة
جمال للطباعة بيروت لبنان .
- مكائد الشيطان. لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا ٢٨١هـ. تحقيق :
مجدي السيد إبراهيم . مكتبة القرآن القاهرة .
- مكمل إكمال الإكمال. لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسيني ٨٩٥هـ. دار
الكتب العلمية بيروت.
- الملل والنحل. لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٥٤٨هـ. تحقيق : محمد سيد كيلاي. ط. عام :
١٤٠٤هـ دار المعرفة بيروت لبنان .
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين
الإسلامية والنصرانية . ط. الثانية ١٤١٢هـ مكتبة ابن خزيمة الرياض .
- مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور التراي . للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد . ط. الأولى
١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مركز الصف الالكتروني . بدون .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي
٥٩٧هـ. تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا . ط. الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
دار الكتب العلمية بيروت.
- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك . لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي ٤٩٤هـ.
ط. الأولى ١٣٣١هـ مطبعة السعادة مصر، وصورتها دار الفكر حديثا .
- المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. جمع وإعداد : عادل بن
علي بن أحمد الفريدان . ط. الثالثة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م دار العسل الرياض .
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والضلال، وهو مختصر منهاج السنة
لشيخ الإسلام ابن تيمية . اختصار : الحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : محب الدين الخطيب. ط
عام : ١٤١٨هـ تحت إشراف : وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية .
- المنتقى النفيس من تلبس إبليس للإمام ابن الجوزي . اختصره : علي حسن علي عبد الحميد
الأثري . ط. الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م دار ابن الجوزي الدمام .
- المنجد في اللغة والأعلام . ط. السادسة والثلاثون . دار الشروق بيروت .

المنظومة الألفية في مسائل الاعتقاد السلفية أو قلادة الزبرجد في نظم ما يعتقد ابن مقعد. فهد بن مقعد بن حاسن النفيعي العتيبي. ط. الأولى ١٤٢١هـ - دار بلنسية الرياض .

منع جواز انجاز في المنزل للتعب والإعجاز . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي . ١٣٩٣هـ . طبع ملحقاً في آخر "أضواء البيان" له، وقد تقدم .

منهاج التأسيس والتأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس . للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ١٢٩٢هـ . ط. الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار الهداية الرياض، المملكة العربية السعودية.

منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : محمد رشاد سالم . ط. الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة قرطبة .

المنهاج في شعب الإيمان . تأليف : الحسين بن الحسن الحلبي ٤٠٣هـ . تحقيق : حلمي محمد فوده . ط. الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م دار الفكر بيروت .

المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد . لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي ٩٢٨هـ . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط. ط. عام: ١٩٩٧م دار صادر بيروت .

منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة. لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان . ط. الأولى ١٤١٦هـ - مكتبة ابن تيمية القاهرة، توزيع : مكتبة العلم بجدة .

منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى . تأليف : خالد بن عبد اللطيف ابن محمد نور . ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .

منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه " فتح الباري " . تأليف : محمد إسحاق كندو . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩١٨م مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .

المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني . تأليف : عمرو بن عبد المنعم . الناشر : مكتبة الضياء طنطا .

منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة . تأليف : جابر إدريس علي أمير . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م مكتبة أضواء السلف الرياض .

منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير . للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط. الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م مؤسسة الرسالة بيروت .

المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وآراء الفرق المختلفة . للدكتور عبد العليم ابن عبد العظيم البستوي . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م المكتبة المكية مكة، دار ابن حزم بيروت .

المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ تحقيق : الدكتور التهامي الراحي الهاشمي، الناشر : لجنة مشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة .

- المهند على المفند . للشيخ خليل أحمد السهارنفوري الديوبندي ١٣٤٦هـ . ط. الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م إدارة إسلاميات لاهور باكستان .
- المواقف في علم الكلام . لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ٧٥٦هـ . تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة . ط. الأولى ١٩٩٧م دار الجيل بيروت .
- موجز تاريخ العالم . تأليف : هـ . ج . ويلز . ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد . مراجعة : محمد مأمون نجا . مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
- موسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم المسمى " ترويح أولي الدماء بمنتهى الكتب الثلاثة . عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأذكاوي ١١٨٤هـ . تحقيق : مروان العطية، حسن خرابة . ط. الأولى ١٤١٢هـ / ٢٠٠١م مكتبة العبيكان الرياض .
- موسوعة خلفاء المسلمين . لزهير شفيق الكبي . ط. الأولى ١٩٩٤م دار الفكر العربي بيروت .
- الموسوعة العربية العالمية . ط. الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر الرياض .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف وتخطيط ومراجعة : الدكتور مانع بن حماد الجهني . ط. الرابعة ١٤٢٠هـ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض .
- الموضوعات . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ٥٩٧هـ . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . ط. الأولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م . المكتبة السلفية المدينة المنورة .
- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي ١٧٩هـ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. دار إحياء التراث العربي .
- موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي . تأليف : محمد إسماعيل السلفي . تعريب وتقديم وتعليق : صلاح الدين مقبول أحمد . ط. الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م الدار السلفية، الصفاة الكويت .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : محمد علي البحايي . ط. دار الفكر للطباعة والنشر، ولم يذكر بيانات النشر الأخرى .

(ن)

- النبوات . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تحقيق : شيخنا الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .
- نبوة محمد ﷺ في القرآن . للدكتور حسن ضياء الدين عتر . ط. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان .
- النبوة والأنبياء . لمحمد علي الصابوني . ط. الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

النسبة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم . لأبي الحسن علي الندوي . ط. الثالثة ١٣٨٧هـ - بيروت، الدار السعودية للنشر جدة .

نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . ط. الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة .

النحو الوافي . تأليف : عباس حسن . ط. الثالثة ١٩٦٦م دار المعارف بمصر .
نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر . للشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني . ط. الأولى ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد الدكن الهند.

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض . لشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري . ط. عام : ١٣٢٧هـ بالمطبعة الأزهرية المصرية .

نظرات في أحسن القصص . للدكتور محمد السيد الوكيل . دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت .
نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان ... من المفوات أو تعقيبات على كتاب : السلفية ليست مذهبا . للشيخ صالح بن فوزان الفوزان . ط. الثانية ١٤١١هـ . دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .

النظريات العلمية ونظرية التطور . تأليف : البروفسور أ. هـ . أندروز . ترجمة : أورخان محمد علي . ط. عام : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . مطبعة الحوادث، بغداد، العراق .

نعمة الذريعة في نصرة الشريعة . لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي القسطنطيني . تحقيق : علي رضا بن عبد الله علي رضا . ط. الأولى ١٩٩٨م دار المسير الرياض .

السنفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمديّة الإدريسية . لمحمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني . شركة مطبعة الرغائب بشارع محمد علي بدارالمويد بمصر .

نقد الشعر . لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت : ٣٣٧هـ) تحقيق : كمال مصطفى . ط. الثالثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م مكتبة الخانجي القاهرة .

نقض تأسيس الجهمية . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تصحيح وتعليق : محمد بن عبد الرحمن بن القاسم . ط . الأولى ١٣٩١هـ مطبعة الحكومة مكة المكرمة .

النكت على كتاب ابن الصلاح . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي . ط. الثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م دار الراية الرياض .

النكت على مقدمة ابن الصلاح . لبدر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ . تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج . ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م مكتبة أضواء السلف الرياض .

النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم . لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ .
مراجعة وتعليق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط. الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م دار
الكتب العلمية بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .

نهاية الإقدام في علم الكلام . لعبد الكريم الشهرستاني . تصحيح : الفرد جيوم . توزيع :
مكتبة المثنى ببغداد عراق .

النهاية في الفتن والملاحم . للحافظ ابن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ . تحقيق : خليل مأمون شحا،
محمد خير طعمه حلي ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م دار المعرفة بيروت .

النهاية في غريب الحديث والأثر . لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير
٦٠٦هـ . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي . ط. المكتبة العلمية بيروت . بدون .

فج البلاغة . جمعه أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين الموسوي - في زعمه - من كلام علي
بن أبي طالب عليه السلام . تحقيق : د. صبحي الصالح . ط. الثانية ١٩٨٢م دار الكتاب اللبناني بيروت،
مكتبة المدرسة بيروت .

فهر الخیر علی أيسر التفاسير . للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مطبوع مع "أيسر التفاسير" له وقد تقدم .
نور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي . تأليف : حسن بن طور خان بن داود
الأقحصاري الكافي البوسنوي ١٠٢٤هـ . تحقيق : زهدي عاد لوفينش البوسنوي . ط. الأولى ١٤١٨
هـ / ١٩٩٧م مكتبة العبيكان الرياض .

نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار . لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ . تحقيق :
عصام الدين الصباطي . ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م دار الحديث القاهرة مصر .

(هـ)

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : أحمد
حجازي السقا . دار الريان للتراث، دار المطبعة السلفية القاهرة مصر . بدون .

الهداية شرح البداية . لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني ٥٩٣هـ . شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . بدون .

هدي الساري في مقدمة فتح الباري . للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،
محب الدين الخطيب . ط . عام : ١٣٧٩هـ دار المعرفة بيروت .

هذه مفاهيمنا . للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . هو رد على كتاب : مفاهيم يجب أن تصحح
لمحمد بن علوي المالكي . ط. عام : ١٤٠٧هـ . مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة الرياض .

هذه هي الصوفية . لعبد الرحمن الوكيل . ط. الرابعة ١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(و)

الواضح في أصول الفقه. لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي ٥١٣هـ. تحقيق :
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط. الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م . مؤسسة الرسالة.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ٤٦٨هـ. تحقيق :
صفوان عدنان داوودي . ط. الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م . دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

الوحي المحمدي. لمحمد رشيد رضا. ط. العاشرة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

وسطية أهل السنة بين الفرق . لشيخنا الدكتور محمد باكرم محمد با عبد الله . ط. الأولى
١٤١٥هـ / ١٩٩٤م . دار الراية الرياض .

الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ٤٦٨هـ. تحقيق : عادل
أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، أحمد عبد الرحمن
أويس، ط. الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م . دار الكتب العلمية بيروت .

الوضع في الحديث . للشيخ عمر بن حسن عثمان فلاته . ط. عام : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م مكتبة
الغزالي دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى . علي بن أحمد السمهودي ٩١١هـ. تحقيق : محمد محي
الدين عبد الحميد. ط. الثالثة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٨١هـ.
تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر بيروت .

وقاية الإنسان من الجن والشيطان . وحيد عبد السلام بالي . تقرّظ : أبي بكر جابر الجزائري.
ط. الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م مكتبة الصحابة . جدة .

(ي)

يحيى بن معين وكتابه التاريخ . لشيخنا الدكتور أحمد محمد نور سيف . ط. الأولى : ١٣٩٩
هـ / ١٩٧٩م مركز البحث العلمي جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة .

اليهودية والمسيحية . لشيخنا الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي . ط. الأولى ١٤٠٩هـ /
١٩٨٨م مكتبة الدار المدينة المنورة .

اليواقيست والجواهر في بيان عقائد الأكابر . لعبد الوهاب الشعراني . ط. الأولى ١٣٥١هـ.
نشره : عباس بن عبد السلام بن شقرون، بالفحامين بمصر .

رابعا : المجلات العربية .

● مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

مقال بعنوان : " إزالة الشبهة عن حديث التربة "، للشيخ عبد القادر السندي، العدد : ٤٩

٥٠ و ٥١، السنة : ١٣ .

ومقال بعنوان : " الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم : عرض ونقد " لشيخنا

الدكتور : محمود عبد الرحمن قدح ، العدد : ١١١ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ

ومقال بعنوان : " الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها " لشيخنا الدكتور / محمد بن خليفة

التميمي ، العدد : ١١٢ - السنة : ٣٣ - ١٤٢١ هـ .

ومقال بعنوان : " العلمانية وموقف الإسلام منها " . للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي . العدد :

١١٥ ، السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ .

● مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها .

مقال لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف بعنوان : " قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام

في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف " ، ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١ هـ .

● مجلة الجامعة السلفية، بنارس الهند .

مقال للشيخ حماد بن محمد الأنصاري - رحمه الله - بعنوان : " تعريف أهل الإيمان بصحة حديث

صورة الرحمن " . المجلد الثامن، العدد الرابع، شهر ذي القعدة ١٣٩٦ هـ الموافق نوفمبر ١٩٧٦ م .

وقد زودني ابن المؤلف شيخنا عبد الباري بن حماد الأنصاري نسخة مكتوبة بالكمبيوتر، وفيها

بعض الإيضاحات والإضافات على المقال المنشور وسينشر قريباً إن شاء الله .

خامساً : مصادر بغير العربية .

ألف : اللغة الأردية .

أرواح ثلاثة . لـ أمير شاه خان صاحب . مكتبة رحمانية، إقرا ستر، غزني استريت، مطبعة :

تلل استار برنترز، أردو بازار لاهور، باكستان .

تحفة الهند . للشيخ عبيد الله السندهي، اعتنى بطبعه : محمد عبد الأحد ط. عام : ١٣٣٠ هـ /

١٩١٢ م مطبع مجتبائي، دهلي، الهند، وطبع عام : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م من قبل : مكتبة حنفية، كلي

داك خان والي، أردو بازار، كوجرا نواله باكستان .

تفسير حضرت مولوي محمد نعيم الدين صاحب مراد آبادي . اعتقاد بيلشك هاوس لال

كنوان دهلي .

خلاصة الأنبياء ترجمة أردو قصص الأنبياء . للشيخ غلام نبي بن عنایت الله كمرئي . أنور بك

دفو متيا محل جامع مسجد دهلي . الهند .

فضائل أعمال . للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي . ط. الثانية ١٩٩٧ م . الناشر : سليم بك

دبو، بستي حضرت نظام الدين، نئي دهلي . الهند .

المجلة الشهرية " السراج " مقال بعنوان " آنحضرت ﷺ كا منشور حقوق إنسانيت " أي :
الحقوق الإنسانية التي نشرها وأعلنها محمد ﷺ . للدكتور / احتشام أحمد الندوي، المجلد التاسع
والعدد ١-٢، تصدرها : جامعة سراج العلوم السلفية جهندا نغر نيال .

ب : اللغة الإنجليزية .

Test Book of Pediatrics المؤلف : Nelson ط. الخامسة عشر عام : ١٩٩٦ م .

توكيو يابان .

سادسا : مصدر مسموع، وهو

شرح متن العقيدة الطحاوية للدكتور يوسف بن محمد الغفيص، شريط رقم (٤) ضمن سلسلة
دروس الدورة العلمية المتقدمة المكثفة لعام ١٤٢٣ هـ بجامع الملك عبد العزيز بالمعابدة، نشر : مؤسسة
الإمام البخاري الإسلامية، مكة، بالتعاون مع تسجيلات الإمام البخاري الإسلامية .